المواجهة مع رسول الله وآله

«القصة الكاملة»

تأليف

المحامي أحمد حسين يعقوب

الغدير

بيروت ـ لبنان




المواجهة مع
رسول الله وآله
« القصة الكاملة »



المواجهة مع رسول الله وآله عليهم الصلاة والسلام

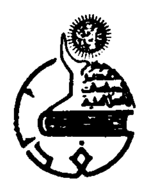
« القصة الكاملة »

تأليف

المحامي أحمد حسين يعقوب

الغدير

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م

الغدير
للطباعة والنشر والتوزيع

حارة حريك ـ بناية البنك اللبناني السويسري ـ جنب مسجد الامامين الحسنين(ع)
هاتف: ٠٣/٦٤٤٦٦٢ ـ فاكس: ٦٠١٠١٩ ص ب: ٢٤/٥٠ بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم:

يـروي هـذا الكتـاب قصّـة المـواجهـة التـي حـدثـت بيـن رسـول الله وآلـه والمسلمين من جهة، وبين أعداء الله و«الطلقاء» وأعوانهم من جهة أخرى.

وإن يكن هؤلاء الأعداء قد أذعنوا «عام الفتح»، وتلفَّظوا بالشهادتين، فخاطبهم النبي (ص) بقوله: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فإنهم عادوا بعد وفاة رسول الله (ص) يستأنفون المواجهة من جديد.

وكانت مواجهة دائمة بين الشرعيّة الإلهية وبين قوى الأمر الواقع الذي فرض على المسلمين بوسائل كثيرة أبرزها: القوّة العسكرية، وإغراءات المال والجاه، والعصبيّة القبليّة، والقمع الذي فاق كل تصوّر، إضافة إلى الزيف والتضليل الاعلاميين.

يروي الكتاب قصّة هذه المواجهة في خمسة أبواب متسلسلة تاريخياً، يروي أولها الوقائع التي حدثت قبل الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنوَّرة، وثانيها وقائع الحقبة التي تم فيها نصر الله والفتح، وثالثها ما حدث في أيام رسول الله (ص) الأخيرة، والوقائع التي حدثت بعد وفاته. وقد اتّحدت في هذه الآونة بطون قريش لتحول دون أن يؤول الأمر إلى أصحابه الشرعيين بالوصيّة والأهليّة. ويبحث رابعها في الأحكام الشرعيّة المتعلّقة بالإمامة والولاية، ويجيب عن مختلف الأسئلة المتعلقة بهذه القضية. أمّا الباب الخامس، والأخير، فيروي وقائع الانقلاب الذي حدث على الشرعيّة ويبيِّن آثاره المدمّرة على الإسلام.

يمثل هذا الكتاب، وهو يروي قصة المواجهة هذه، مواجهة علمية حقيقية تسعى الى كتابة قصة قضيّة عادلة عمل السلطان وأعوانه، طوال عصور عديدة، على طمسها. وقد أتيح من خلال الجهد الذي بذله المؤلف للحقيقة الموضوعية أن تتضح كاملة نقيّة، من طريق العودة الى كتاب الله وسيرة رسوله (ص)، وبيان الأئمة (ع)، واتباع مناهج البحث العلمية.

وإذا كان المؤلف الذي امتهن في حياته العامة مهنة المحاماة عن المظلومين في ساحة القضاء لم يتورع عن إظهار عاطفته تجاه موضوع بحثه - كما سيلاحظ القارىء - فإنّ ذلك ناشىء من إيمانه العميق بقيم العدالة والإنصاف، ووجوب إقرار الحق واتّباعه، وليس من التعصّب الأعمى لعقيدته، سيّما أنه لم يتلق هذه العقيدة من أسلافه وبيئته، وإنما كونها بنفسه بالبحث والتحقيق والرجوع إلى المصادر الأصلية الموثوقة.

ولقد سبق للمؤلف أن أصدر عدة كتب ليست بعيدة عن موضوع كتابه هذا منها: ١ - نظرية عدالة الصحابة. ٢ - النظام السياسي في الإسلام. ٣ - طبيعة الأحزاب السياسية العربية. ٤ - الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية. ٥ - المرجعية السياسية في الإسلام.

ومركز الغدير للدراسات الإسلامية إذ يسرّه أن يقدّم كتابه الجديد هذا (المواجهة - القصة الكاملة) إلى القرّاء فإنما يقوم بجزء من واجبه في إعادة قراءة تاريخ أمتنا الاسلامية واستخلاص الحقائق والعبر.

مركز الغدير للدراسات الإسلامية
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة:

أحمد الله رب العالمين، وأصلي وأسلم بأفضل صلاة وأتم تسليم، على حبيبنا، وقرة أعيننا، سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله الطيبين، سفن النجا، ونجوم الهدى، وباب حطة، وأحد الثقلين، وأهل المنزلة والشرف والفخر والرئاسة، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين متكررين في كل لحظة وحين إلى يوم الدين أما بعد:

فها أنا أضع بين يدي عشاق الحقائق الشرعية المجرّدة كتابي السادس «المواجهة القصة الكاملة» وهو أول كتاب من نوعه يعالج هذا الموضوع بذات الهيئة والمضمون والمنهجية.

وقد عنيت بالمواجهة تلك المجابهة التي حدثت عبر التاريخ بين رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهة، وبين أعداء الله الذين كرهوا ما أنزل الله، فتبرعوا نيابة عن الجنس البشري فجابهوا رسول الله وآله، وقاوموهم، وكادوا لهم كيداً، ومكروا بهم مكراً، وحاربوهم حرباً مسلّحة طوال إحدى وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة وثماني سنين بعد الهجرة.

ثم أحاط الرسول وآله بأعداء الله، وأغلق في وجوههم كل الأبواب، وترك باب الإسلام مفتوحاً، فاستسلم أعداء الله، وذكرهم بمكرهم، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ـ ولما ذلوا واستسلموا، عفا رسول الله عنهم قائلاً: «اذهبوا

فأنتم الطلقاء»، وتلفّظوا بالشهادتين، فعرفوا بالمسلمين الطلقاء، وعاشوا بنعيم في ظلال حرية الإسلام، ونظام المساواة، والعدل، وتكافؤ الفرص الإسلامي واحترام كرامة الإنسان، ولاح لمجتمع دولة الرسول أن أعداء الله بالأمس والذين صاروا اليوم «مسلمين طلقاء» قد استقاموا، ولِمَ لا، فالبواطن اختصاص الهي، وليس للبشر إلا ظواهر الأمور وانشغل المجتمع الإسلامي بالأهم.

وجاء نصر الله والفتح، وخرج العرب جميعاً ومواليهم من دوائر الشرك الى دائرة التوحيد، فلم يعد بوسع عربي أن يُعلن شركه وتوحّد العرب، ولأول مرة في تاريخهم، تحت خيمة دولة النبي، دولة الإيمان التي عاش في ظلالها العرب والعجم، والموالي والصرحاء، مع كل الألوان ينعمون جميعاً بالحرية، والمساواة، والعدل، والكرامة الإنسانية، وتكافؤ الفرص كثمرات طبيعية لتطبيق القوانين الإلهية التي بيّنها النبي بياناً كاملاً وشاملاً ونقلها من النص الى التطبيق، ومن النظر إلى الواقع، ومن الكلمة الى الحركة عبر مسيرتي الدعوة والدولة.

وحج رسول الله بالناس، وأعلن أمام وفود الحجيج، أن حجته تلك هي حجة الوداع، وأنه قد خُيِّر فاختار ما عند الله، وأنه يغتنم فرصة تجمُّع المسلمين، ويعلن أمامهم بأمر من ربه في ذلك المكان «غدير خم» أن الله تعالى قد أمره باعلان علي بن أبي طالب ولياً للأمة وإماماً لها من بعده، فهو ولي من كان النبي وليّه ومولى من كان النبي مولاه.

فتقدمت الجموع وبايعت الإمام علي، وهنأته بالولاية، وكان أبو بكر وعمر من أوائل المبايعين والمهنئين، وبايعه الطلقاء أيضاً.

وفي ذات الموقف أعلن النبي أمام ذلك الجمع المهيب بأن الهدى لا يدرك إلا بالتمسك بالثقلين: كتاب الله وعترة النبي أهل بيته، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً.

ثم نادى النبي بأعلى صوته: «ألا هل بلغت» وصاحت الجموع الإسلامية بصوت واحد: لقد بلغت يا رسول الله، أديت الأمانة، وبلّغت الرسالة، وتركت الناس على المحجة البيضاء. فقال الرسول: اللهم إني أشهدكم عليهم.

ويهبط جبريل الأمين، ومعه آية الإكمال ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[1] وتلى النبي آية الإكمال على المجتمعين، ففرح المجتمعون بكمال الدين، وتمام النعمة، ورضا الرب الحكيم بولاية علي. وبدا للناس أن المواجهة قد وضعت أوزارها، وأن الشرعية الإلهية قد ألقت جرانها في الأرض، وعاد الناس إلى ديارهم على هذا الأساس.

بطون قريش:

في هذا الوقت، توحدت بطون قريش تماماً مرةً أخرى كما توحدت ضد النبي، وهبطت من بهاء التدبير الإلهي، إلى ظلمة تدبيرها، فقال قائلها: ليس من العدل أن يكون النبي من بني هاشم، وأن يكون الولي منهم. وليس من الحكمة أن يُعطى أهل بيت النبوة هذا الدور المميّز!! والإنصاف يقضي بأن تكون النبوة لبني هاشم، وأن تكون الخلافة للبطون. هذا هو العدل، وعلى بطون قريش أن تعمل على فرض العدل بالقوة، وتجميع العرب حول هذا الهدف!!!

فليس مناسباً أن يتولى الأمور من بعد النبي علي بن أبي طالب الذي قتل سادات البطون!! ونكّل بشيوخ الوادي في بدر وأُحُد والخندق!!

وهكذا فَتَحَتْ بطون قريش أبواب مواجهة جديدة بالوقت الذي كان فيه النبي يتأهّب للقاء ربه، وبدأت بطون قريش تستقطب، وتشن حملاتها الدعائية ضد النبي من جديد، ولكن وهي مسلمة هذه المرة!!! ولم يكن أمام النبي في هذه الحالة إلا التذكير بالبيان الإلهي المتعلق بالقيادة من بعد النبي، وبالدور المميز لأهل بيت النبوة، فقاد النبي حملة مضادة، ووضّح خلال حملته حتى الواضحات، حتى لا تبقى لمن خالف شبهة، وحتى تكون معصيته مع العلم وسبق الإصرار.

---

(١) سورة المائدة، آية ٣.

مرض النبي:

ومرض النبي مرضه الذي مات منه، فأراد قبل موته أن يلخّص الموقف للأمة، وأن يكتب توجيهاته النهائية، كما يفعل قادة الأمم عادةً وكما فعل الخلفاء طوال التاريخ، وضرب الرسول لكتابة توجيهاته موعداً يحضره الخُلّص من أوليائه، وبالوقت الذي حدده النبي لكتابة توجيهاته النهائية فوجىء النبي، وفوجىء الخُلّص من أوليائه بسادات بطون قريش يدخلون على حجرته المقدسة، ولم يكن بوسع النبي أن يعدل عن كتابة توجيهاته النهائية فقال لأوليائه: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» فنهض أولياء النبي ليحضروا الكتف والدواة، وعلى الفور نهض عقيد سادات البطون، وتجاهل وجود النبي وقال للحاضرين: «إن رسول الله يهجر، ولا حاجة لنا بكتابه، حسبنا كتاب الله». وعلى الفور أيضاً قال سادات البطون، متجاهلين بالكامل وجود النبي: «القول ما قاله «فلان» حسبنا كتاب الله، لا حاجة لنا بكتاب النبي، إن النبي يهجر!! ما باله استفهموه أهجر!! ما شأنه أهجر!!» وأكثروا اللغط والتنازع وتبيّن للنبي حقيقة الموقف، وأن هدف سادات البطون هو الحيلولة بينه وبين كتابة ما أراد، وبهذا المناخ لم يعد هنالك ما يبرر كتابة ما أراد، وأدرك أنها الفتنة، لذلك رأى أن يحسم الموقف فقال: «قوموا عني، لا ينبغي عند نبي تنازع، ما أنا فيه خير مما تدعوني إليه» هنالك نهض الجميع وخرج سادات البطون بعدأن صدموا خاطر النبي الشريف، وتركوه يموت غاضباً مهموماً!!.

واغتنموا فرصة انشغال الإمام وأهل بيت النبوة، بتجهيز النبي وتكفينه «فتقطعوا أمرهم زبراً» ونصّبوا الخليفة الجديد في غياب آل محمد ثم أقبلوا يزفونه، وواجهوا آل محمد بواقع لا طاقة لهم على تفسيره، ونجحت خطة البطون بتقويض الشرعية الإلهية، ونسف الترتيبات الإلهية رأساً على عقب، وفتح أبواب مواجهة جديدة ودائمة بين الشرعية والواقع المفروض وما زالت تلك المواجهة تشتد حتى أكلت الأخضر واليابس، ولم يبق من الجانب السياسي في الإسلام إلا الهيكل العظمي.

خطة البحث:

فتحت على البحث خمسة أبواب، استحضرت خلالها الحادثات التاريخية وأعملت فيها الجهد المضني المستفيض وفق مناهج الاستقراء والبحث والمقارنة والاستنباط، فدرّت، فأعطت حقائقها، وأوقفتني على منابعها وأصولها، ومراكز قوتها، ونقاط ضعفها فاتضح الواقع على حقيقته.

ثم وقفت على منابع الشرعية الإلهية، من مصادرها النقية كتاب الله جل وعلا، وبيان الرسول لهذا الكتاب، وبيان أئمة أهل بيت النبوة أعدال الكتاب، ووقفت على حجة قادة التاريخ وشيعتهم من العلماء وفق مناهج البحث والاستقراء والمقارنة أيضاً، فاتضحت أمامي الشرعية الإلهية كاملة لا تشوبها شائبة، بلا لبس ولا غموض نقية، كأنها كوكب درّي.

وبعد ذلك استحضرت دقائق الزمن واستعرضت حركة المواجهة بين الشرعية الإلهية وبين الحادثات التاريخية، وذهب الزبد جفاء وأما ما ينفع الناس فمكث في الأرض.

تقسيم البحث:

قسمت البحث الى خمسة أبواب. ففي الباب الأول: غطيت وقائع المواجهة بين رسول الله وآله الأكرمين وبين أعداء الله خلال الفترة الواقعة ما بين الإعلان عن أنباء النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد الى اللحظة التي نجا فيها النبي من مطاردة بطون قريش له أثناء الهجرة المباركة، وقد بحثت هذه الفترة من خلال ستة فصول وافية.

أما الباب الثاني فقد غطيت فيه أنباء المواجهة من اللحظة التي وصل فيها النبي الى المدينة حتى اللحظة التي تمَّ فيها فتح مكة واستسلام سادات بطون قريش للنبي بدون قيد أو شرط، وقد عالجتها من خلال خمسة فصول شافية.

وفي الباب الثالث: غطيت وقائع المواجهة التي جرت بين الشرعية الإلهية

وبين بطون قريش المتحدة بعد اسلامها من خلال ستة أبواب، أبرزت فيها كل خفي في هذه المواجهة، حتى تعرَّت مواقف البطون على حقيقتها المذهلة.

أما في الباب الرابع: فقد أبرزت فيه الأحكام الشرعية المتعلقة بالإمامة أو القيادة أو المرجعية من بعد النبي من خلال ثلاثة عشر فصلاً، فما من سؤال عن هذه الناحية إلا ونجد له في الباب جواباً حتى ليصلح هذا الباب أن يكون كتاباً مستقلاً.

وفي الباب الخامس: غطيت فيه بدقة وقائع الانقلاب الأسود على الشرعية وآثاره المدمرة من خلال ثلاثة عشر فصلاً وقد حرصت على توثيق الأبواب الأربعة توثيقاً كاملاً، وعلى ربطها مع بعضها برباط محكم وثيق.

وإني أعيذك بالله من أن تتصور أنّ هذا البحث كان نزهة، لقد كان معاناة مرهقة، بل ومواجهة حقيقية، تركت حملها الثقيل على عظم قد رق، وقلب مثقل بالألم.

اللهم إنك تعلم أني ما أردت إلا الدفاع عن القضية العادلة لأهل بيت نبيك، تقرباً مني اليك بهم، اللهم اجعل جهدي خالصاً لوجهك وصدقة تطفىء بها خطاياي، وهدية خالصة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين وبني هاشم الماجدين تقربني منك زلفى، انك يا مولاي ودود رحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأردن ـ جرش

أحمد حسين يعقوب

الباب الأول

المواجهة قبل الهجرة



الفصل الأول:

انتشار نبأ النبوة مع نبأ ولاية العهد والخلافة

خلال المرحلة السرّية للدعوة، كثُرت الإشاعات عن بشائر النبوة والرسالة والكتاب، وكثُر الإهتمام بشخصية محمد بن عبد الله واختلطت الأمور على بطون قريش، وزاد فضولها للوقوف على حقيقة الرجل، وحقيقة الإشاعات التي تُنشر من حوله بذلك الوقت، وبالذات تلقى النبي أمراً إلهياً باعلان دعوته، ويبدو جلياً من التسلسل المنطقي للأمور، أن النبي قد جمع الهاشميين في بيته أولاً، وأطلعهم على حقيقة النبأ العظيم،وأنه ـ وبأمر من ربه ـ عيّن في هذا الاجتماع ولي عهده والإمام من بعده وانتهى الإجتماع بقرار البيت الهاشمي بحماية النبي وعدم تسليمه، وأعلن هذا القرار (عميد البيت الهاشمي) عبد مناف بن عبد المطلب المكنّى بأبي طالب. واجتماع الهاشميين في بيت النبي لم يكن خافياً على بطون قريش المشبعة بالفضول للوقوف على حقيقة محمد، ومن الطبيعي أن وقائع الإجتماع، انتشرت وشاعت بعد سويعات من إنفضاضه، وهكذا وقفت بطون قريش على حقيقة ومجمل النبأ. ويبدو أن الخطوة المنطقية الثانية تمثلت بصعود النبي على الصّفا، ومناداته على بطون قريش وملأها الذين يجتمعون دائماً حول الكعبة وقيامه باعلان نبأ النبوة والرسالة والكتاب أمامهم.

ويذكر المؤرِّخون أن رسول الله وأصحابه قد خرجوا في صفين واخترقوا طرق مكة وسككها».

وهكذا أحيط البطن الهاشمي خاصة بحقيقة النبأ، وتم تعيين ولي العهد والخليفة من بعد النبي أمام هذا البطن، وأحيطت بطون قريش وسكان مكة عامة بحقيقة هذا النبأ، ووقفوا على حقيقة الشائعات التي انتشرت طوال المرحلة السرية

من الدعوة والتي استمرت ثلاث سنين، وأُشرب الجميع نبأ النبوة ونبأ ولاية العهد أو الإمامة من بعد النبي، وانتشر نبأ ولاية العهد أو الإمام من بعد النبي مع نبأ النبوة، ولكن لأن بطون قريش متغطرسة، ولم تحمل الأمر محمل الجد، ولأن النبأ العظيم «نبأ النبوة» هو الأعظم فقد طغى على نبأ ولاية العهد أو الإمامة من بعد النبي، وقد وثقت ذلك في الباب المتعلق بالقيادة من بعد النبي توثيقاً كاملاً.

التدرج بتعميم وتثبيت ولاية العهد أو الإمامة من بعد النبي:

التدرُّج بتعميم وترسيخ معالم الحكم الشرعي، صفة ملازمة لقواعد العقيدة الإسلامية، ويمكن أن تلحظ هذه الصفة في الصلاة، وفي الإنفاق، وفي الدعوة، وفي المنهج السياسي، وتحريم المألوفات كالخمر، وحتى في طريقة نزول القرآن الكريم، وولاية العهد أو الإمامة من بعد النبي لازمتها صفة التدرُّج والتعميم والتثبيت المستمر، فقد أُعلنت ولاية العهد أو الإمامة من بعد النبي في الإجتماع الذي عقده النبي لبني هاشم في بيته، حيث أعلن في هذا الاجتماع لأول مرة أن علي بن أبي طالب هو ولي عهد النبي، وهو الإمام أو أمير الجماعة المسلمة من بعد النبي. وطوال مرحلة الدعوة العلنية في مكة والتي استمرت عشر سنين والرسول يظهر مع ولي عهده معاً، يسيران معاً، ويصليان معاً، فإذا رؤى الرسول رؤى معه ولي عهده والإمام من بعده، وكانا يسكنان معاً في بيت واحد.

ولي العهد المعيّن يصف علاقته بالنبي في تلك المرحلة:

قال الإمام علي واصفاً علاقته بالنبي في تلك الفترة: «وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. وكنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة». وسئل قثم بن العباس كيف ورث على رسول الله دونكم؟ فقال «كان أولنا لحوقاً به، وأشدنا به لصوقاً».

بمعنى أنه كلما تذكرت بطون قريش نبوة محمد تذكرت إمامة علي من بعده، لقد ربطت الإثنين معاً، وتجسد هذا الربط واقعياً حيث كان الاثنان معاً يسكنان في بيت النبي.

نصوص نبوية ومراسيم تشريعية ثبتت ولاية العهد والإمامة من بعد النبي:

عملاً بمبدأ التدرُّج بتعميم وتثبيت الحكم الشرعي، ونظراً لأهمية ولاية عهد النبي والإمامة من بعده فقد أعلن رسول الله خلال مرحلتي الدعوة والدولة الاسلامية سلسلة من الاعلانات أو المراسيم التشريعية لتثبيت وترسيخ ولاية العهد أو الإمامة من بعد النبي، فقال لولي عهده أمام ملأ المسلمين وعامتهم: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[1] وأعلنه ولياً للمسلمين فقال له: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»[2].

وقال لولي عهده أمامهم «أنت ولي كل مؤمن من بعدي»[3] وقال للمسلمين

---

(١) راجع على سبيل المثال صحيح البخاري ٥/ ١٢٩ وصحيح مسلم باب فضائل علي ١/ ٣٦٠ وصحيح الترمذي ٥/ ٣٠٤ ومسند الإمام أحمد ٣/ ٥٠ والمستدرك للحاكم ٣/ ١٠٩ وتاريخ الطبري ٣/ ١٠٤ ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٣٢٠ ح٣٥٣ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٢٥.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٢٤ والحاكم في المستدرك ص١٠٩ والذهبي في تلخيص المستدرك وقد صرح الذهبي بصحته في تلخيص المستدرك وذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة باب ١٢ ص١٦ وباب ١١ ص١٠٧ وقال إن الإمام أحمد أخرجه وصححه، وراجع صحيح البخاري ١/ ٥٨ وصحيح مسلم ٢/ ٣٢٣ ومسند الإمام أحمد ٢/ ١٠٩ وذكره الطبراني والبزار قد أخرجه في مسنده والترمذي كما يدل الحديث ٢٥٠٤ جـ٦ من أحاديث الكنز وأورده ابن عبد البر في الاستيعاب ص٢٢٧ في أحوال علي راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٥ بسند صحيح والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٣/ ٣٨ والاصابة لابن حجر ٢/ ٥٠٩ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٥٥ ح١٨٢ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي ص٦٤ والمستدرك للحاكم ٣/ ٣٤ وتلخيص المستدرك =

في قضية الجارية إنّه: «. . .ولي كل مؤمن بعدي»[1] وجعل ولايته طريقاً إلى الجنة ومسلكاً إلى الهدى، وحاجزاً عن الضلالة فقال للمسلمين: «من أحب أن يحيى حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فإن ربي غرز قضبانها بيده فليتول علياً فانه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة»[2]. وأعلن أمام المسلمين قائلاً: «أوصي من آمن بي وصدقني بالولاية لعلي، فانه من تولاه تولاني، ومن تولاني تولى الله، ومن أحبه أحبني ومن أحبني أحب الله، ومن أبغضه أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله»[3]. وأعلن أمام المسلمين قائلاً: «من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب، فإن ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله»[4] وتأكيداً لحق علي بالولاية والإمامة من بعد النبي نزل قوله تعالى: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة**

= مطبوع بذيل المستدرك للذهبي وراجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٤١٦ ح٤٩٠. . . وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٢٨.

(١) صحيح الترمذي ٥/ ٢٩٦ ح٣٧٩٦ وخصائص النسائي ص٩٧ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٩٢ والإصابة لابن حجر ٢/ ٥٠٩ وحلية الأولياء ٦/ ٢٩٤ وأسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٧ ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٢٧٥ وجامع الأصول ٢/ ٤٧٠ وكنز العمال ١٥/ ١٢٤ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ١/ ٥١ ـ ٥٢ وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص٣٦ والغدير للأميني ٣/ ٢١٦ ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ١/ ٤٨ وملحق المراجعات ص١٣٤ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٢٨.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٠٨ ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٩٩ ح٦٠٥ وفضائل الخمسة ٢/ ٢١٣ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٢٨.

(٣) راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٢٩ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٩٤ ح٥٩٨ والمناقب لابن المغازلي الشافعي ص٢٣٠ ح٢٧٧ و٢٧٩ ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٨ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٨٢ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٢ وفضائل الخمسة ١/ ٢٠٢.

(٤) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ٢/ ٩١ ح٥٩٤.

وهم راكعون، ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[١] وسبب نزول هذه الآية أن عليّ بن أبي طالب تصدَّق بخاتمه وهو راكع، فرآه رسول الله، فدعا ربه بالدعاء الذي دعا به موسى ربه ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ وما أتم رسول الله دعاءه حتى هبط جبريل ومعه آية الولاية[٢] ولم يكتف الرسول بذلك، واحتياطاً لسد أبواب التأويلات فقد أعلن الرسول أن علياً سيد المسلمين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين، وأنه راية الهدى، وإمام الأولياء، ونور أهل الطاعة، فقال أمام المسلمين: «أوصى الله اليّ في علي ثلاثة. «إنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين»[٣] وقال له أمامهم: «مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين»[٤] وفي جلسة ضمته والملأ من المسلمين قال النبي: «يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين. قال أنس: قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ـ وكتمته ـ إذ جاء علي فقال: من هذا يا أنس؟ فقلت: علي. فقام مستبشراً فاعتنقه...»[٥] وفي يوم من الأيام قال رسول الله أمام الملأ من

---

(١) آية ٥٥ ـ ٥٦ من سورة المائدة.

(٢) راجع تفسير الطبري ٦/ ٢٨٨ و٢٨٩ والكشاف للزمخشري جـ١ ص٦٤٩ وزاد المسير من علم التفسير لابن الجوزي ١/ ٢١٠ وأسباب النزول للواحدي، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ١/ ١٦١ ح٢١٦ ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٣١١ ح٣٥٤ وذخائر العقبى للطبري الشافعي ص٨٨ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص١٨٧ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٠٩ والفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص١٠٨ و١٢٣ والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٩٣ وفتح القدير للشوكاني وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٣٠.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٢/ ٨٨ والمناقب للخوارزمي الحنفي وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٥٧ ح٧٨٠.

(٤) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٤٠ ح٩٥٦ والرياض النضرة جـ٢ ص٢٣٤ وذخائر العقبى للطبري ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ونظرية عدالة الصحابة ص٢٣١.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩/ ١٦٩ وحلية الأولياء ١/ ٦٣ والمناقب للخوارزمي ص٤٢ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٨٧ ح١٠١٤ والميزان للذهبي جـ١ =

المسلمين: «ادعوا لي سيد العرب، فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟! فقال النبي: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب»[1] وقال في جمع من المسلمين: «النظر الى وجه علي عبادة، وهو سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، من أحبه أحبني، وحبيبي حبيب الله، وعدوّه عدوي، وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضه»[2] وأعلن أمام المسلمين قائلاً: يا علي كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك»[3] وخاطب النبي علياً أمام المسلمين قائلاً له: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»[4] وأعلن أمام المسلمين قائلاً: «كفي وكف علي في العدل سواء»[5] وقال أمام المسلمين: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[6]، «وأنا مدينة الحكمة وعلي بابها»[7].

= ص٦٤ وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص٣١٣ ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٣٦.

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ونقله ابن أبي الحديد في شرح النهج جـ٣ ص٢٥١ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٣.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٣٩١ ح٨٩٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ومقتل الحسين للخوارزمي ح١ ص٤٣ والاستيعاب بهامش الإصابة ٣/٣٨ والميزان للذهبي ١/٤١٥ والجامع الصغير للسيوطي ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/٣٠ وشرح النهج ٧/٢١٩ ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٣٣.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٢/١٨٦ ح٦٧٥.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٤٨٨ ح١٠١٥ ـ ١٠١٨ ومقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ١/٨٦ والمناقب للخوارزمي ٢٣٦ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص١٨٢ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/٣٣.

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧٠ ومقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ١/٤٣ والاستيعاب بهامش الإصابة ٣/٣٨ والميزان للذهبي ١/٤١٥ والجامع الصغير للسيوطي جـ٩٣١ وشرح النهج ٧/٢١٩..

(٦) صحيح الترمذي ١/٣٠١ ح٣٨٠٧ وحلية الأولياء ١/٦٣ وذخائر العقبى للطبري والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢٠ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٤٦٤ والجامع الصغير للسيوطي..

(٧) راجع المناقب لابن المغازلي الشافعي ص٨٦ وفتح الملك العلي ....=

وزيادة في اقامة الحجة قال النبي لأصحابه: «علي بن أبي طالب باب حِطّة من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً»[1].

وقال لهم النبي: «علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[2]. وقال لأصحابه أيضاً: «أنا المنذر، وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون»[3] وأعلن أمام أصحابه قائلاً: «أنا وهذا ـ يعني علياً ـ حجة على أمتي يوم القيامة»[4] وأكد لهم ذلك بقوله: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»[5].

وإمعاناً بالتشريف، واعلاناً عن عمق الإلتصاق بين نبوة النبي، وولاية علي أُمر النبي من ربه أن يزوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين الى سيد المسلمين[6]،

= بصحة حديث باب مدينة العلم علي ص٢٦.

(١) الجامع الصغير للسيوطي ٢/٥٦ ومسند الإمام أحمد الهامش ٥/٣٠ والصواعق المحرقة لابن حجر ص٧٥.

(٢) راجع سنن ابن ماجه ١/٤٤ ح١١٩ وصحيح الترمذي ٥/٣٠٠ ح٣٨٠٣ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٢٠ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٣٧٩ ح٨٨٥ والأصول لابن الأثير ٩/٧١ والجامع الصغير للسيوطي ٢/٥٦...

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٤١٧، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١٠٧ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/٢٤ وتفسير الطبري ١٣/١٠٨ وتفسير ابن كثير ٢/٥٠٢ وتفسير الشوكاني ٢/٧٠ وتفسير الفخر الرازي ٥/٢٧١ والمستدرك للحاكم ٣/١٢٩ ـ ١٣٠ والدر المنثور للسيوطي ٤/٤٥ وزاد المسير لابن الجوزي ٤/٣٠٧ وروح المعاني الآلوسي ١٣/٩٧ ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٣٥.

(٤) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٢٧٣ ح٨٠١ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/٩٤ ومناقب علي لابن المغازلي والميزان للذهبي ٤/١٢٨.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير وراجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧٣.

(٦) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٢٤٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ١/٦٠ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣٠٤ وأسد الغابة لابن الأثير ١/٢٠٦ والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٧١.

ورفض النبي أن يزوج السيدة المباركة لأبي بكر أو لعمر[1]، وأعلن النبي أمام المسلمين: أن الله قد جعل ذرية كل نبي من صُلبه، وجعل ذرية محمد من صلب علي[2].

فأولاد علي وفاطمة بالنص الشرعي هم أولاد النبي، وهم ورثته من بعده، ومنهم أئمة الأمة الى يوم الدين، وأعلن النبي: أن وصيّه ووارثه علي[3]، وأخيراً أعلن في حجة الوداع أمام جمع يزيد على مئة ألف مسلم ولاية علي، وإمامته للمسلمين من بعده[4]، وقدّم له المسلمون التهاني وعلى رأسهم أبو بكر وعمر[5]

---

(١) كفاية الطالب للكلنجي الشافعي ص٣٠٢ و٣٠٤ ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٢٠٥ و٢٠٦ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص١١٤ والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٣٩ وذخائر العقبى للطبري ص٢٧ والمناقب لابن المغازلي الشافعي ص٣٤٤ وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٣٠٦ وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ٣٨ والإصابة لابن حجر العسقلاني ١/ ٣٤٧ وجامع الأصول لابن الأثير وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٢٦١ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١/ ٣٦٣ والطبقات لابن سعد ٢/ ٢٤٠..

(٢) راجع كنز العمال ٦/ ١٥٢ الحديث ٥٢١، وراجع الحديث ص٢٢٠ من الأحاديث التي أوردها ابن حجر في النص، من الصواعق المحرقة ص١١٢ وراجع المستدرك للحاكم ٣/ ١٦٤ وقال انه حديث صحيح.

(٣) حديث الدار من أصح الآثار وفيه نص بالوصاية أخرجه ابن ماجه ١/ ٩٢ والترمذي والنسائي في صحيحيهما وهو الحديث رقم ٢٥٣١ من أحاديث الكنز ٦/ ١٥٣ وأحمد في مسنده ٤/ ١٦٤ و١/ ١٥١. والمناقب للخوارزمي ص٤٢ وذخائر العقبى للطبري والميزان للذهبي ٢/ ٢٧٣ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٣٢ و٢٤٨ ومسند الإمام أحمد ٥/ ٣٢ ومجمع الزوائد ٨/ ٢٥٣، ٩/ ١١٣ وذخائر العقبى للطبري ص١٣٨ وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٤٢ ـ ٢٤٣ تجد التفصيل.

(٤) راجع كتابينا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٤٧، ٢٥٦ ـ حيث فصلت هذا المجمل ـ، والخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٢٤٠ وما فوق.

(٥) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٧٥ ح٥٧٥ و٥٧٧ و٥٧٨ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٩٤ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/ ٢٩٠ وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١/ ١٥٨ وسر العليم لأبي حامد الغزالي ص٢١.

وبانتهاء إعلان التولية أمر الله نبيه أن يعلن كمال الدين وتمام النعمة[١].

وضوح قرار تعيين الولي والإمام من بعد النبي:

يصعب تأويل قرار تعيين الولي والإمام من بعد النبي، فالنبي وصفه بأنه خليفة له، وأنه ولي المسلمين، وولي كل مسلم ومسلمة من بعده، وأنه أمير المؤمنين، وأنه سيد المسلمين، وأنه المبين للدين من بعد النبي، وأن طاعته طاعة النبي، ومعصيته معصية للنبي، وأنه لا يؤدي عن النبي غيره، وأنه وارث النبي، فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد تعمّد أن يعلن ولاية العهد والإمامة بكل الألفاظ والمدلولات المتعارف عليها في زمانه وفي كل زمان، وذلك نظراً لأهمية هذا المنصب ولضرورته من بعده، ومن يمض بهذه النصوص الشرعية يجدها متكاملة، وتشكل شبكة محكمة واطاراً متيناً للإمامة يصعب الخروج عنه دون الخروج من الدين نفسه[٢].

قرار تعيين الإمام وكافة النصوص النبوية أوامر الهية:

النبي الكريم، يتبع ما يوحى اليه، ﴿**إن اتبع إلا ما يوحى الي**﴾[٣] وعندما أعلن: أن علياً ولي عهده والخليفة من بعده، ورسخ وثبّت هذا الإعلان طوال مرحلتي الدعوة والدولة بمئات النصوص الشرعية، لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه، بل فعله بناء على التوجيهات الإلهية، وحتى على مستوى زواج ابنته الغالية، سيدة نساء العالمين، كان ينتظر التوجيه الإلهي بزواجها انظر الى تصريحه حول هذا

---

(١) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٧٥ ح٥٧٥ و٥٧٨ و٥٨٥ وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ١/ ١٥٧ ح٢١١ و٢١٥ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/ ٢٩٠ والدر المنثور للسيوطي ١/ ٢١ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٨٠ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٣٠ وتفسير ابن كثير ٣/ ١٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ١/ ١١٥ وكتاب الولاية لابن جرير الطبري والبداية والنهاية لابن الأثير ٥/ ٢١٣.

(٢) مراجع المبحث السابق (نصوص نبوية ومراسيم تشريعية ثبتت ولاية العهد والإمامة من بعد النبي).

(٣) سورة يونس آية١٥.

الموضوع اذ جاء فيه: «بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج علياً من فاطمة»[1] وقوله لفاطمة: «أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك، والآخر بعلك»[2].

وكقوله: «إن الله أوحى إليَّ في علي ثلاثاً، أنه سيد المسلمين»[3].. وكقوله: «إن الله عهد إلي في علي عهداً... إن علياً راية الهدى، وإمام أوليائي ونور من أطاعني»[4] وكقوله: «يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: هذا علي فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، فان جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل»[5] ومن جهة ثانية فإن مهمة النبي أن يبين للناس ما نزل اليهم من ربهم، ومن المسلّم به أن القرآن الكريم قد جاء تبياناً لكل شيء، فهل يعقل أن يترك النبي أهم شيء وهو الإمامة من بعده دون بيان؟! ومن الذي فرّق الأمة برداً، وجعلها طرائق قدداً، غير التنافس على منصب خلافة النبي؟!

---

(١) المناقب للخوارزمي ص٢٤٦، وينابيع المودة للقندوزي ص٣٠٤، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٧١، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤٠ (الطبعة الأولى/ الخيام - الأردن).

(٢) المستدرك للحاكم ١٢٩/٣، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٦٩/١ ح٣١٥ـ٣١٨ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٣٠٩، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤٠.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٨٨/٢، ودرر السمطين للزرندي ص١١٤، ومجمع الزوائد ١٢١/٩، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥٧/٢ ح٧٧٩ـ٧٨١، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣١ (ط١، مطبعة الخيام/ الأردن).

(٤) حلية الأولياء ٦٧/١، وشرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق أبي الفضل ٦٧/٩، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٢٩/٢ ـ ٢٣٠ ح٧٤٢، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٢.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد تحقيق أبي الفضل ١٧٠/٩، وحلية الأولياء ٦٣/١، ومجمع الزوائد ١٣٢/٩، والرياض النضرة ٢٣٣/٢، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٣٢.

تألُّق نجم ولي العهد والإمام من بعد النبي:

لقد تم اختيار الإمام علي من الله تعالى ليكون ولي عهد للنبي خلال حياته، والإمام أو رئيس الدولة أو أمير الجماعة المسلمة من بعد وفاة النبي، بل ووالد الأئمة أو رؤساء الدولة الاسلامية، على اعتبار أن أولاد علي هم أولاد النبي؛ كما هو ثابت بالنصوص الشرعية القاطعة، وقد أعلن النبي هذا الاختيار الإلهي، وأرسى قواعد مؤسسة الإمامة أو رئاسة الدولة الاسلامية أو امارة الجماعة المسلمة، وقدَّم الرسول ولي عهده على أساس أنه الأعلم والأفهم بالدين، والأكثر اخلاصاً له، وعلى أساس أنه الأفضل.

وجاءت الوقائع لتترجم التكييف الإلهي، ولتثبت دقته ويقينيته، فأثبت الإمام علي أنه الأشجع في الجماعة المسلمة، ولا يوجد من هو أشجع منه، وقد اعترف العدو والصديق بسبقه في هذا المجال، وأثبت بأنه الأعلم وبأنه الأفهم بالدين، وقد رجع إليه كل الخلفاء، وأثبت بأنه الأكثر اخلاصاً للدين، فقد ضمّن بحقه لينجو دين الإسلام، وأثبت أنه الأفضل اطلاقاً في الجماعة المسلمة.

وهكذا انطبقت الوقائع على النصوص، فكأنها ثوب قد فُصِّل على لابسه، والله أعلم حيث يضع رسالته.

الإحساس بالخطر وعدم احتمال لفظ النَّص الشرعي:

مع انتشار المعرفة وتعميمها، ومع سطوع فجر الحريات، وتكريس الحق بالرأي والرأي المعارض، والرغبة في الوقوف على الحقائق العلمية المجرّدة، أحس القوم بالخطر الداهم من النص الشرعي (إن هذا أخي وخليفتي ووصيي فيكم فاسمعوا له واطيعوا) وقدّروا أن شيوع هذا النص واطلاع عامة المسلمين عليه يمزِّق الهالة المقدسة التي أضفاها القوم على التاريخ السياسي الاسلامي الذي ساد من بُعيد وفاة النبي حتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، وعلى الذين قادوا هذا التاريخ، وكيف يسمحون بتمزيق تلك الهالة المقدسة، وقد ضحوا بالدين نفسه لتجميل التاريخ وقادته.

في كتاب حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص١٠٤ الطبعة الأولى ذكر الحديث النص الشرعي «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم» وفي الطبعة الثانية وما بعدها من طبعات الكتاب حذفت هذه الجملة كاملة من النص. وفي تفسير الطبري جـ١٩ ص١٢١ طبعة مصطفى الحلبي استبدلوا كلمة (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي) بكلمة (إن هذا أخي وكذا وكذا) فلم يتحمّلوا أن يلفظوا كلمة (وصيي وخليفتي) فاستعاضوا عنها بكذا وكذا مع أن الطبري نفسه ذكر النص الشرعي بكامله في تاريخه جـ٢ ص٣١٩.

وتلك عادة تعوّد القوم عليها فيحذفون من النص ما يعارض التاريخ أو ما لا يليق بجماله وهالته!!! وظاهر الحق معهم، فإن استطاعوا أن يُؤولوا كلمة ولي المؤمنين فكيف يمكنهم تأويل كلمة خليفة، أو كلمة وصي!!!

الفصل الثاني:

تقييم بطون قريش
لأنباء النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد

القيادة والزعامة في مكة:

بعد صراع مرير بين جرهم، وخزاعة، وقريش آلت زعامة مكة «أم القرى» إلى بطون قبيلة قريش. وتتألف هذه القبيلة من ٢٥ بطناً[١] أشرفها اطلاقاً أولاد عبد مناف «بنو هاشم، بنو المطلب، بنو عبد شمس، بنو نوفل»[٢] فهم سادة بطون قريش في الجاهلية بغير منازع، وهم الذين أخذوا العصم لقريش من ملوك الأرض، فانساحت برحلتي الشتاء والصيف بأمن وأمان. ولأنهم زعماء مكة، ولأن البيت الحرام في مكة، ولقيامهم بخدمة الحجيج واكرامه، ولكرمهم المميز، اشتهرت هذه البطون الأربعة وسموا بأقداح النضار لفخرهم وسيادتهم على العرب[٣]، وتبعاً لذلك اشتهرت كل بطون قريش عامة.

وبعد منافسات طويلة وصراع توصلت بطون قريش الى صيغة سياسية جاهلية اقتسمت بموجبها المناصب السياسية «مناصب الشرف»، بحيث يختص كل بطن من البطون المتنافسة على منصب من مناصب الشرف يبقى لهم، ولأن هذا التقسيم في جانب منه تركة، وفي جانب منه اتفاق ضمني، وعقيدة سياسية

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٢) الطبقات لابن سعد ١/ ٧٥.

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ١٨٠ والسيرة الحلبية ١/ ٥ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٩٣ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام حيث فصلنا الصيغة السياسية الجاهلية ووضحنا نظرية الاختيار الإلهي للأئمة.

في الجانب الثالث، فقد استقر، وأصبح جزءاً «مما وجدنا عليه آباؤنا» فاختص الهاشميون بالسقاية والرفادة، وهو منصب من أخطر المناصب آنذاك وأكثرها كلفة، واختص بنو عبد الدار باللواء، وهو رمز لوحدة قريش، واختص بنو عبد شمس بالقيادة، وآلت القيادة الى أبي سفيان والد معاوية، والخلاصة أن القيادة أو الزعامة في مكة حسمت بهذه الصيغة، واستقرت أوضاعها، ولم يعد من مصلحة أي بطن زعزعة أو هز هذه الصيغة في ظل الأوضاع السائدة آنذاك.

التميز الهاشمي مصدر قلق لبطون قريش عامة والبطن الأموي خاصة:

هاشم أول من سن رحلتي الشتاء والصيف، وفي السنين العجاف لم يكن لمكة غيره يطعم الناس ويشبعهم، وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف، وينهى عن أكل الحرام، ويجالس الملوك فكثيراً ما دخل الى النجاشي وقيصر وأكرموه، مما جعل من هاشم قائداً فعلياً أو زعيماً فعلياً لمكة وللبطون، هذا التميز أثار حسد أمية، واعتبر هذا التميز خطراً يتهدد حصته «القيادة»[1]، لذلك تكلف أن يصنع مثل هاشم فعيرته العرب بذلك ثم نافر هاشماً، وقضى بأن هاشماً هو الأفضل، وخسر أمية الرهان، وجلى عن مكة[2]، وترك هاشم عبد المطلب، وسريعاً ما تخلّق بأخلاق أبيه فنهى عن الظلم والبغي ودنيات الأمور، وقال إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه، ويعاقب فيها المسيىء بمساوئه، وحث على الوفاء بالنذر، ومنع نكاح المحارم، ونهى عن قتل المؤودة، وحرّم الخمر والزنا، وأكرم الجار، ورعى الذمام فقد قاطع حرب بن أخيه لأنه قتل يهودياً، ولاحقه حتى أخذ الدية وأعطاها لابن عم اليهودي، وهو الذي كشف ماء زمزم، واستخرج منها غزالان من ذهب، وأسياف وحلّى بها الكعبة، وكانت رؤياه حق، ودعاؤه مستجاب، وكان يفي بالعقود، ولا

(١) الطبقات لابن سعد ١/ ٧٨ والسيرة الحلبية ١/ ٦.

(٢) الطبقات لابن سعد ١/ ٧٦ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٧٠ «المملكة الأموية».

يظلم، ولا يغدر، وكان يحرم أكل الميتة. وكان يقال له الفياض لجوده[1].

ومن المؤكد أن هذه الصفات والمزايا العالية تجعل من صاحبها زعيماً، وقائداً فعلياً تهفو له العقول السليمة، وترتاح اليه القلوب الطيبة فتواليه، وفسر الأمويون هذه الصفات على أنها محاولة للإلتفاف على الصيغة السياسية التي أعطت الحق بالقيادة لبني أمية، وفسرتها بطون قريش على انها مزاودة بلا معنى وتمهيد لزعزعة الصيغة ونسفها، وتحولت كل هذه الوساوس الى حسد أضمرته بطون قريش لهذا التميز الهاشمي، وبدأت تشعر بالقلق المتزايد من هذا التميز وأكثرها قلقاً كان أبو سفيان، وخلال أسفاره سمع أن نبياً سيظهر من بني عبد مناف، وقرر أبو سفيان أنه لا يوجد في بني عبد مناف من هو أجدر بالنبوة منه[2]، ولم لا فانه وارث الحق بالقيادة، وترقب حتى يصبح نبياً فيفرك أنوف بني هاشم بنبوته، ويضع حداً لتميزهم هذا، وينتزع منهم الاعتراف بأنه القائد والزعيم بجدارة. وارتاح من ظلال هذا الوهم الى حين.

الإعلان عن النبوة والولاية قطع الشك باليقين:

من خلال الإشاعات التي تسربت عن النبوة والديانة الاسلامية الجديدة خلال المرحلة السرية للدعوة التي استمرت بصورة سرية ثلاث سنوات، سمع أبو سفيان خاصة، وبطون قريش عامة أن «فتى بني عبد المطلب يُكلم من السماء»[3] واستبعد أبو سفيان خاصة، وبطون قريش عامة أن يختار الله محمد بن عبد الله نبياً، واستثقلوا على أنفسهم أن يتبعوا هذا الغلام[4]، واستبعدوا صحة هذه الإشاعات.

ولكن بعد أن صعد النبي على الصفا، وأعلن أمام الملأ من قريش نبأ النبوة

---

(١) السيرة الحلبية ١/ ٤ وتاريخ الطبري ٢/ ١٧٩ والطبقات لابن سعد ١/ ٨٣ و٨٤ و٨٥ والسيرة الحلبية ١/ ١٠ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام.

(٢) السيرة الحلبية ١/ ٨٠.

(٣) سيرة الرسول وأهل بيته جـ١ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤.

(٤) السيرة الحلبية ١/ ٨٠.

والرسالة والكتاب، وبعد أن تسرّبت وقائع الاجتماع الهاشمي في بيت النبي، ونبأ تعيين ولي العهد، وبعد أن قطع محمد وأصحابه طرق مكة وسككها[1] معلنين انتماءهم للدين الجديد، تأكد أبو سفيان، والبطن الأموي خاصة، وتأكدت بطون قريش عامة من صحة أنباء النبوة والكتاب وولاية العهد، وأنها كانت مصيبة بقلقها وخوفها من البطن الهاشمي.

كيف فهمت بطون قريش أنباء النبوة وولاية العهد؟:

بعد وقوف محمد بن عبد الله على الصفا[2] واعلانه رسمياً عن نبأ النبوة والرسالة والكتاب أمام الملأ من قريش، وبعد أن تسرّبت وقائع اجتماع الهاشميين في بيت النبي، وتسرّب نبأ اختياره لولي عهده، وبعد أن فاجأ أصحاب محمد البطون باختراقهم لطرق مكة وسككها[3]، استوعب أبو سفيان والبطن الأموي خاصة وبطون قريش عامة المضامين الأساسية للدعوة المحمدية، واعتبروها مؤامرة هاشمية، وأدركوا جميعاً بأن أهداف محمد بن عبد الله تنصبُّ على:

تغيير عقيدة الشرك السائدة في المجتمع المكي تغييراً كاملاً، واستبدالها بالعقيدة الإسلامية الجديدة، ويستتبع ذلك الغاء الصيغة السياسية السائدة في مكة آنذاك، والقائمة على اقتسام مناصب الشرف بين بطون قريش، وايجاد نظام سياسي جديد بقيادة محمد الهاشمي يحصر مناصب الشرف كلها به يخلفه بتدبير هذا النظام وقيادته الشخص الذي يعينه رب محمد، أو يعينه محمد باذن من ربه!!! بعد أن يبسط سلطانه على مكة، وهكذا يحوز الهاشميون كافة مناصب الشرف وحدهم، ويحرمون البطون من المناصب التي ورثوها وأصبحت حقوقاً لهم!!!

وبالايجاز فإذا كان بامكان بطون قريش أن تتكارم لتحاكي الكرم الهاشمي، وأن تتفاخر لتنقله الفخر الهاشمي، وأن تتصنع الحكمة لتردم الحكمة الهاشمية،

---

(١) سيرة الرسول وأهل بيته مؤسسة البلاغ ١/ ٦٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤ والطبقات لابن سعد ١/ ٢٠٠.

(٣) سيرة الرسول وأهل بيته مؤسسة البلاغ ١/ ٥٨ ـ ٦٠.

فإنه ليس بامكانها الإتيان بنبوة لتضارع هذه النبوة الهاشمية، وقد عبّر عن هذه الحقائق أبو جهل أحسن تعبير.

«التقى ابن أبي شريف مع أبي جهل وقال له: أترى محمداً يكذب؟ فقال له أبو جهل كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية، والرفادة، والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء يبقى لنا؟.

وكان أبو سفيان يقول: «كنا وبني هاشم كفرسي رهان، كلما جاءوا بشيء جئنا بشيء مقابل، حتى جاء منهم من يدعي بخبر السماء فأنى نأتيهم بذلك!![1].

برأي بطون قريش فان الدين الإسلامي يقوم على ثلاثة أسس:

فهمت بطون قريش عامة، وأبو سفيان والبطن الأموي خاصة، أن الدين الذي جاء به محمد يقوم على ثلاثة أسس أو على ثلاثة مرتكزات.

الأساس الأول: «الأساس الشخصي»، وهو محمد بن عبد الله الهاشمي بالذات الذي أعلن أنه نبي ورسول، وأنه يوحى اليه قرآناً من عند الله يعمل بالتعاون والتنسيق مع بني هاشم، ومع أصحابه ليكون قيادة جديدة تحل محل قيادة بطون قريش، حيث سيكون هو القائد والزعيم أو صاحب الملك، وهو بمثابة المرجعية الوحيدة لدينه، والولي الوحيد في حالة نجاح دعوته.

الأساس الثاني: «وهو الأساس القانوني»، ويتمثل فيما يوحى إلى محمد «وهو القرآن»، وهو في مجمله بالإضافة لقول محمد سيشكلان قانوناً لادارة الملك الذي يطمح محمد بتكوينه وإقامته، ومن خلال أسفارهم عرفوا أن الدول لها قوانين، وسمعوا وعرفوا عن قوانين روما والقياصرة.

الأساس الثالث: «وهو الأساس البشري»، ويتمثل بالهاشميين، وببني المطلب بن عبد مناف وبأصحاب محمد، وهم بمثابة نواة لمجتمع الملك الجديد، وأركان للأمة الجديدة، وهم بمثابة جيش ينمو باستمرار، ومهمته حماية

---

(١) كما نقلها الحسيني في كتابة لقد شيعني الحسين ص١٠٦ عن ابن الأثير في تأريخه.

القيادة الجديدة والديانة الجديدة، وتوسيع رقعة الملك الجديد الذي يطمح محمد باقامته على أنقاض مُلك زعامة بطون قريش، وطمعه بالغاء حق الأمويين الموروث بالقيادة!! هذا الملك الذي يأمل محمد بالقضاء عليه وتدميره، ويأمل بحرمان الأمويين من حقهم الموروث بقيادته[١].

قريش وأوهام التضرر من الدين الجديد:

للأسف الشديد أن زعامة بطون قريش عامة، والزعماء الأمويون بقيادة أبي سفيان خاصة قد قدروا أنهم المتضررون من هذا الدين الجديد. فقد اعتبروا مخطئين أن النبوة موجّهة ضدهم بالذات، وأن غايتها هو ابدال زعامة البطون بزعامة محمد، واقامة ملك محمد على أنقاض ملك البطون، وأن هدفها الحقيقي هو الغاء الصيغة السياسية الجاهلية القائمة علي اقتسام مناصب الشرف بين البطون، والغاء القيادة الأموية، واقامة نظام جديد يعطي الحق للهاشميين بالتمتع بكل مناصب الشرف وحيازتها، ويعطي الحق لمحمد بالقيادة بدلاً من أبي سفيان، وهكذا برأي البطون ينال الهاشميون شرف النبوة وشرف الملك معاً، وتُحرم من هذين الشرفين كافة بطون قريش، وفي ذلك اجحاف بحق البطون على حد تعبير عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما بعد!!![٢].

بطون قريش عامة والبطن الأموي خاصة يحددون موقفهم النهائي من أنباء النبوة وولاية العهد:

قدرت بطون قريش عامة، والبطن الأموي خاصة أن نجاح النبوة المحمدية والرسالة يعني (حسب تحليل قريش) دمار الصيغة السياسية الجاهلية القائمة على التوازن بين البطون وتقسيم مناصب الشرف، وتعني أيضاً تفرد البطن الهاشمي

---

(١) بموجب الصيغة السياسية الجاهلية فإن القيادة من نصيب بني أمية وقد آلت لأبي سفيان.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٤ آخر سيرة عمر بن موارث سنة ٢٣، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٣/ ٩٧ و١٠٥ و١٠٧ كما أخرجه الإمام أحمد بن أبي الطاهر من تاريخ بغداد. وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٤٢ واقرأ تحليلنا في كتابنا أيضاً الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية، تفصيلات انقلاب البطون بقيادة عمر بن الخطاب وكيف بدأ هذا الانقلاب والنبي على فراش الموت.

بشرف النبوة، وحرمان بطون قريش من هذا الشرف. وعندما ينجح محمد بدعوته، ويتمكن من بناء المجتمع الجديد على أساسها، فسيكون حاكم ذلك المجتمع بغير منازع، وهكذا يتفرّد الهاشميون بالملك أيضاً وبمزايا القيادة، وفي ذلك نسف كامل للصيغة السياسية الموروثة، ونسف للجانب السياسي من عقيدة الشرك التي تتبناها البطون!!

فالدين الجديد برأي بطون قريش خروج هاشمي على ما أجمعت عليه البطون ورضيت به، وهو نقض للصيغة السياسية يصب في الخانة الهاشمية، وبما أن البطن الهاشمي هو الذي يحتضن الدعوة والداعية، فمن المؤكد ـ حسب منطق الأشياء وبتحليل قريش ـ أن خلافة محمد ستنحصر في البطن الهاشمي أبداً، وقد سمعت بطون قريش بوقائع الاجتماع الذي عقده الهاشميون في دار محمد، وسمعوا نبأ اختيار علي بن أبي طالب لولاية محمد ولخلافته من بعده، وهكذا سينال الهاشميون شرف النبوة أبداً، وشرف الملك أبداً، وستحرم بطون قريش من هذين الشرفين معاً، وهذا أمر ينبغي أن ترفضه كافة البطون، وأن تكافح بكل وسائل الكفاح لاجهاض النبوة والدين والرسالة، لأن اختصاص محمد الهاشمي بشرف النبوة وحرمان البطون الأخرى من هذا الشرف، أمر غير مقبول، واختصاص آل محمد مع النبوة بالملك اجحاف بحق البطون على حد تعبير عمر بن الخطاب فيما بعد[1]. والطريق الأوحد يتمثل برفض النبوة ورفض الرسالة ورفض الكتاب!!!

الأمويون البطن الأكثر اندفاعاً بمعاداة النبوة وبني هاشم:

كان أكثر البطون القريشية اندفاعاً بمعاداة النبي ورسالته وبني هاشم حضنته هو البطن الأموي، وأبو سفيان وأولاده خاصة، ذلك لأن القيادة كانت لبني أمية ولأبي سفيان خاصة، ونجاح دعوة محمد يعني فقدانهم لمنصب القيادة الذي

---

(١) مراجع فقرة ـ قريش وأوهام التضرر من الدين الجديد ـ من هذا الفصل. تجد نص الحوار الذي دار بين ابن عباس وعمر بن الخطاب ومروج الذهب ٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ للمسعودي وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٧٨.

توارثوه، وانتقال هذا المنصب الى محمد الهاشمي وإلى آله من بعده، والأمويون وأبو سفيان وأولاده خاصة لا يطيبون خاطراً ببني هاشم، فذكريات المنافرة بين هاشم وأمية وفوز هاشم على أمية والجلاء عن مكة قبل البعثة ما زالت عالقة في الذهنية الأموية[1]، وحسد الأمويين لبني هاشم أمر لا يخفى على أحد في مكة آنذاك.

ومن جهة ثانية فقد سبقت البعثة النبوية اشاعات بأن النبي الموعود سيكون من بني عبد مناف، واقتنع أبو سفيان بأنه الأجدر بهذه النبوة[2].

وفوجىء أبو سفيان باختيار الله سبحانه وتعالى لمحمد، فأحبط وامتلأ قلبه وبنوه وبنو عمومتهم الأمويين بالحسد لمحمد خاصة، وللهاشميين عامة، وأقنع أبو سفيان نفسه بأن الهاشميين قد «سرقوا» حلمه بالنبوة وهم في طريقهم عن طريق هذه النبوة ليأخذوا حقه بالقيادة، فكان الحسد هو الموجّه الأعظم لتحركات الأمويين خاصة، ولبطون قريش عامة[3] خلال مرحلة الدعوة العلنية التي استمرت عشر سنين[4] فاندفعت بطون قريش بقيادة البطن الأموي، وبالتحديد أبي سفيان وبنيه، وشكلوا الجبهة المعارضة للنبوة وللإسلام ولمحمد ولآل محمد، وعارضوا النبي بكل وسائل المعارضة، وآذوه بكل أنواع الأذى، وصدوا عن سبيل الله بكل وسائل الصد، وتآمروا على قتل النبي[5]، وشرعوا بهذا القتل فصلاً[6]، ولكن الله نجى نبيه.

---

(١) الطبقات لابن سعد ١/ ٧٦ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٧١.

(٢) السيرة الحلبية ١/ ٨٠.

(٣) شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ١/ ١٤٣ ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٤٦٧ ح٣١٤ والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص١٥.

(٤) سيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٥٧ وما فوق كما رواها اليعقوبي في تاريخه ٢/ ٢٤ وما فوق.

(٥) الطبقات لابن سعد ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣، و٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ من تاريخ الطبري، والسيرة الحلبية ١/ ٣٠٥ و٣٠٨ و٣٢٢ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢١٩.

(٦) ويتمثل المشروع بالقتل ارسال بطون قريش مائة رجل ليلة هجرته من مكة إلى المدينة، اتلو الآية ٣٠ من سورة الأنفال ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك﴾.. راجع سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٦ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩.

وعندما هاجر النبي مكرها، وكوّن قاعدة دولته، جيّشت بطون قريش الجيوش بقيادة البطن الأموي، وحاربته بكل وسائل الحرب طوال ثماني سنين من أصل عشر سنين «عمر دولة النبوة المباركة»، وأخيراً أحاط الله بهم وأمكن نبيه منهم، وأغلقت بوجههم كل الأبواب، ولم يبق إلا باب الإسلام فأسلمت بطون قريش عامة، والبطن الأموي خاصة، مكرهين بعد أن غُلبوا على أمرهم وسُمّوا بالطلقاء»[1].

وطوال ٢١ عاماً وبطون قريش عامة والبطن الأموي خاصة يعارضون ويقاومون الإسلام ونبيه ويحاربون الله ورسوله، وخلال هذه الحروب قتل الإمام علي والهاشميون سادات بني أمية وسادات البطون القريشية، فجمعت بطون قريش مع الحسد لمحمد ولآل محمد الحقد على محمد وعلى آل محمد لأنهم قتلوا سادات البطون، وما فعلته هند أم معاوية بعم النبي لدليل قاطع على طبيعة هذا الحقد[2].

وبالرغم من دخول جيوش النبي لعاصمتهم عاصمة الشرك آنذاك، وبالرغم من هزيمة البطون المنكرة، وبالرغم من عفو النبي الكريم وحلمه وقوله لهم «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، إلاّ أن هذه البطون لم تكن راضية عن الترتيبات الإلهية، ولا مطمئنة لهذا التميز الهاشمي، صحيح أنها توقفت عن المقاومة، وألقت السيوف التي حاربت بها الإسلام ونبي الإسلام، واندمجت في المجتمع الإسلامي، إلا أنها استغلت سماحة الإسلام، وأخذت تخلق الفرص وتتحينها لإعادة التوازن بين البطون الذي أختل - برأيها بالنبوة الهاشمية، وأخذت تعمل بالخفاء لتعديل الترتيبات الإلهية بعد موت النبي!!![3].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٥٢ و٢/ ٢٧٢.

(٢) المراجع المدرجة في فقرة قريش وأوهام التضرر من الدين الجديد من هذا الفصل.

(٣) كتابنا الخطط السياسية من ص ١٥٠ إلى ٥٠٠ لتطلع على منهج بطون قريش بتعديل الترتيبات الإلهية. وراجع سنن الدارمي ١/ ١٢٥ باب من رخص في الكتاب وسنن أبي داود باب كتابه العلم ٢/ ١٢٦ ومسند أحمد ٢/ ١٦٢ و٢٠٧ و٢١٦ ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦ وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٨٥ نجد أن قريش كانت تنهى سراً عن كتابة أحاديث الرسول أثناء حياته تحت شعار أن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى، راجع تحليلنا لذلك في كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤١٢ وما فوق تجد.



الفصل الثالث:

بطون قريش ترفض النبوة والرسالة والكتاب

تعميم النبأ العظيم:

بصعوده صلى الله عليه وآله وسلم على الصفا، وباعلانه رسمياً لنبأ النبوة والرسالة والكتاب، وباختراقه وأصحابه لطرق مكة وسككها مكبّرين موحّدين لله، وباجتماعه مع الهاشميين في داره، واختياره لولي عهده، واجماع البطن الهاشمي على عدم تسليم النبي وعلى حمايته، بهذا كله عمت أنباء النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد أرجاء مكة كلها، ودخلت هذه الأنباء كل بيت من بيوتها، وأحيط سكان مكة علماً بهذه الأنباء.

الاعلان عن الرفض المطلق:

ما أن أعلن النبي أنباء النبوة والرسالة والكتاب، وأحيطت بطون قريش الـ٢٣ بهذه الأنباء علماً، عندئذٍ وقفت وقفة رجل واحد بقيادة البطن الأموي، وأعلنت رفضها المطلق والتام للنبوة والرسالة والكتاب ولولاية العهد، وأعلنت أنها ستجنّد كل امكانياتها المادية والأدبية لصد سكان مكة خاصة والعرب عامة عن تصديق محمد وأنبائه، وعن الدخول في دينه، وتجسيداً لهذا الرفض شنت بطون قريش الثلاثة والعشرين حملات نفسية واعلامية مركّزة ومنكرة ومنظمة ضد محمد، وضد نبوته، وضد القرآن، وضد البطن الهاشمي، وضد الذين اتبعوه، وأعلنت هذه البطون أنها لن تسمح اطلاقاً بنجاح محمد، أو نجاح دعوته، وقد فهمت مضامين هذا الإعلان ضمناً ومن خلال مواقف البطون.

انقسام بطون قريش والمجتمع المكي:

قلنا ان الزعامة أو الوجاهة أو الأمر في مكة قد استقر لصالح قبيلة قريش، وتتكون هذه القبيلة من خمسة وعشرين بطناً، وكانت ظاهرياً قبل الإسلام تظهر بمظهر واحد، وتلوح كأنها وحدة واحدة لها علم يرمز لوحدتها، ويحمل بنو عبد الدار هذه الراية، وتسمى براية قريش كلها، ولها قيادة ممثلة بالبطن الأموي، وتظهر هذه القيادة وتتصرف على أساس انها قيادة لكل بطون قريش، ويكرم الهاشميون ويطعمون الحجيج ويسقونه ويسهلون اقامته، وينفقون عليه، ويحسنون وفادته، فيتحدث الناس عن كرم قريش كلها، وحسن وفادتها، فكان الهاشميون يكرمون باسم قريش كلها، وكان بني عبد الدار يحملون راية قريش كلها، وكان الأمويون يقودون قريش كلها. .الخ. وباختصار كانت قريش تظهر أمام الآخرين كأنها كتلة واحدة بصرف النظر عما بين بطونها من ضغائن، وحسد، ودغالة. أما في الحق والحقيقة فقد كانت وحدة البطون تتآكل من الداخل وتُنذر بانهيار مريع.

وجاءت الاعلانات المتبادلة الصادرة عن محمد بن عبد الله من جهة، وعن بطون قريش الـ٢٣ من جهة أخرى، لتعجل حركة التآكل الداخلي، ولتكرس علناً واقع انقسام المجتمع المكي، فانقسم المجتمع المكي إلى قسمين.

١ ـ القسم الأعظم عدداً ومدداً ظاهرياً، ويتألف من بطون قريش الثلاثة والعشرين من والاهم من الموالي والأحابيش، وقد أعلنوا بلسان واحد، أنهم سيقفون ضد محمد، وضد دعوته، وأنهم لن يأذنوا له بأن يُفسد عليهم أمرهم.

٢ ـ أما القسم الثاني وهو الأقل عدداً، ويتألف من محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بطنه الهاشمي ومن بطن بني المطلب بن عبد مناف، وممن والى هذين البطنيين من الموالي والأحابيش يضاف اليهم الذين اعتنقوا دين محمد.

وقد أعلن محمد أنه لن يتراجع عن دعوته حتى لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره، وأنه ملزم بتبليغ رسالات ربه.

تلخيص الإنقسام:

بمعنى أن قريش تتكون من خمسة وعشرين بطناً وقف منها مع محمد بطنان هما البطن الهاشمي وبطن بني المطلب بن عبد مناف ووقف ضده إلى ٢٣ بطناً الأخرى من بطون قريش.

حتمية المواجهة:

محمد بن عبد الله مصر على دعوته، وهو ماض بتبليغ رسالات ربه، ولا مساومة في هذه الناحية، فها هو يقول لعمه الذي راجعته مشيخة بطون قريش، وطلبت منه أن يتدخل لدى محمد للتوقف عن دعوته: «والله ما أنا بقادر أن أرد ما بعثني به ربي، ولو أن يشعل أحدهم من الشمس ناراً»، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم مرة أخرى: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

وموقف عمادة البطن الهاشمي آنذاك المتمثلة بأبي طالب مرتبط ارتباطاً وثيقاً بموقف النبي، فها هو أبو طالب يقول باسم الهاشميين: «والله لننصرنه ثم لنعيننه»، ويقول في موقف آخر مخاطباً النبي: «يا ابن أخي إذا أردت أن تدعو الى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح»، وقال في موقف ثالث مخاطباً مشيخة قريش: «والله لبئس ما تسومونني، اتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً».

وقوله للنبي: «اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً»، وعندما أشيع يوماً أن محمداً قد قتل، رتب أبو طالب مؤامرة لقتل كل سادات قريش دفعة واحدة، وحضر محمد والفتية الهاشميون على وشك تنفيذ أمر أبي طالب بقتل سادات قريش، عندئذٍ أعلن أبو طالب تفاصيل ما قرره، وكشف الفتية الهاشميون عن سلاحهم، فأدركت مشيخة قريش الجد الهاشمي.

بمعنى أن النبي ماضٍ بدعوته، وأن الهاشميين وعلى رأسهم عميدهم آنذاك أبو طالب لن يسلّموه وسيحموه. ولن يسمحوا لأحد أن يمس شعرة منه وسيردون

على أية اساءة توجه إلى النبي، وفي حالة قيام قريش بقتل محمد، فإن الهاشميين سيقتلون سادات قريش كلهم، وسيقاتل الهاشميون والمطلبيون حتى يفنوا، وتفنى بطون قريش كلها.

كذلك فإن بطون قريش الـ٢٣ بقيادة البطن الأموي مصرّة على الحيلولة بين محمد ودعوته لله، ومصرة على منعه وعلى تعويق دعوته، وعلى المحافظة على عقيدتها عقيدة الشرك وعلى نظامها السياسي وأمرها كله، وفي سبيل ذلك هي على استعداد لتعادي محمداً، والهاشميين وأتباع محمد، وأن تستعدي العرب قاطبة على محمد ومن والاه مستغلة نفوذها الأدبي عند العرب لتحقيق ذلك مما يجعل المواجهة بين محمد والبطنين الهاشمي والمطلبي ومن شايع محمد من جهة، وبين بطون قريش الـ٢٣ وأشياعها من جهة أخرى قدراً محتوماً لا مفر منه.

أهداف بطون قريش من المواجهة مع النبي:

فور اعلان النبي عن بشائر النبوة والرسالة والكتاب، وبمجرد انفضاض الاجتماع الهاشمي الذي عقد في دار النبي، أعلنت زعامة بطون قريش الـ٢٣ بقيادة البطن الأموي، وبالتحديد أبو سفيان وآله «حالة الطوارىء»، وأعلنوا المواجهة مع النبي خاصة ومع الهاشميين عامة، ومع من والاهم، وأخذت هذه المواجهة أشكالاً مختلفة طوال حياة النبي بدءاً من السخرية والاستهزاء والإغراء والتكذيب، وانتهاء بالحرب المسلّحة التي شنّوها على النبي وآله، والتي وضعت أوزارها بهزيمة البطون الساحقة، ثم عودة البطون للتشكيك بكل ذلك من وراء جدر.

وغاية بطون قريش الـ٢٣ وهدفهم من هذه المواجهة ينصبُّ على ما يلي:

١ ـ صرف شرف النبوة والرسالة والكتاب عن محمد الهاشمي لمجرد كونه هاشمياً، وعن آله لكونهم هاشميين، لأنه ليس من الإنصاف برأي البطون أن ينال البطن الهاشمي هذا الشرف وحده من دون بطون قريش الـ٢٥[1]، ومن جهة ثانية

(١) مروج الذهب للمسعودي ١/ ٢٩١ ـ ٢٩٣ نجد أن قريش تتألف من ٢٥ بطناً. بطنان مع النبي و٢٣ بطناً =

فإن محمداً ليس عظيماً من عظماء القرشيين حتى يكون جديراً بهذا الشرف «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»[١].

٢ ـ التصدي بكل وسائل التصدي للنبوة والرسالة والكتاب حتى لا ينجح محمد بدعوته، وحتى لا يُفلح بنسف عقيدة الشرك، واحلال عقيدة الإسلام محلها، وتبعاً لذلك ستسقط زعامة الشرك «زعامة بطون قريش» وتحل محلها آلياً زعامة محمد الهاشمي كونه الأعلم والأفهم بهذه العقيدة، ولأنه مرجعها اليقيني الوحيد، وكون محمد همزة الوصل بين السماء وأتباع هذه العقيدة، وحيث أن الرهط هو الذي يحتضن محمداً ويحتضن دعوته، فحتماً مقضياً سيكون الهاشميون بطانة زعامته، وسيكون خليفته منهم، وقد عرفت البطون وقائع اجتماع الهاشميين الذي عقد في دار النبي، وسمعت تلك البطون بقول النبي للمجتمعين: «أيكم يؤازرني على هذا الأمر ويكون أخي ووزيري وخليفتي فيكم. . . ، وسمعوا بقوله لعلي بن أبي طالب أنت أخي وخليفتي. . . »[٢].

وبهذه الحالة تقع الطامة الكبرى برأي البطون، ويجمع الهاشميون شرف النبوة، وشرف الملك وعزه، ويقع المحذور على حد تعبير عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن بطون قريش البار وترجمانها الأمين فيما بعد[٣].

٣ ـ وفي سبيل تحقيق ذلك يجب أن تتحد بطون قريش الـ٢٣ في وحدة

= ضده.

وراجع محاورة عمر بن الخطاب لابن عباس في الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد ٣/ ١٠٧ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٤١، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٣٠١ وما، فوق وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٩٣ تجد التحليل المنطقي لما حدث.

(١) سورة الزخرف آية ٣١.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٢٥٤ و٢٦٣، وتاريخ الطبري ١/ ٢١٧ والخصائص للنسائي ص١٨ وجمع الجوامع للسيوطي ٦/ ٤٠٨ وشواهد التنزيل للحسكاني ١/ ٣٧١ ح٥١٤ ٥٨٠، وكنز العمال ١٥/ ١١٥ ح٣٣٤ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٠٣ ح١٣٩ ـ ١٤١.

(٣) نص محاورة ابن عباس لعمر بن الخطاب في المراجع المدرجة تحت رقم١ «من فقرة أهداف بطون قريش من المواجهة مع النبي».

حقيقية، وأن تقف وقفة رجل واحد، وتسلم قيادتها للبطن الأموي ليقود المواجهة ضد نبوة محمد ومطامع الهاشميين، وهكذا كان إذا اتحدت البطون وتولى الأمويون بقيادة أبي سفيان وذريته كبر مواجهة النبي ومواجهة دينه، والصد عن سبيل الله مستغلة نفوذها الأدبي عند العرب، بوصفهم جيران بيت الله الحرام وسدنته.

٤ ـ ووسيلة البطون الى ذلك كله تتمثل بعزل محمد عن بني هاشم، فمحمد مجرد رجل يسهل قتله والقضاء على دعوته، ولكن العقبة الكؤود هم بنو هاشم الذين أعلنوا أنهم حماة النبي، وأن أي اعتداء عليه من قبل البطون هو بمثابة اعلان حرب لن تضع أوزارها حتى يفنى الهاشميون والبطون معاً[١]، لذلك رأت البطون استعمال كل الوسائل لعزل محمد عن الهاشميين، وإن أصر الهاشميون على عدم التخلي عن محمد يتوجب عزل الهاشميين أنفسهم عن البطون، وفرض محاصرتهم ومقاطعتهم[٢]، وبالتالي عزل الهاشميين عن العرب، وإن لم تنجح هذه الوسائل فيتوجب على البطون أن تقدم رجالاً منها ليشتركوا جميعاً بقتل محمد فيضيع دمه بين البطون، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، وإن لم تنجح محاولة القتل، فيتوجب ملاحقة محمد أينما حل، ومحاربته حتى يتم القضاء التام عليه وعلى دعوته[٣].

٥ ـ وأثناء ذلك كله يجب صد الناس عن دين محمد ودعوته، وملاحقة الذين اتبعوا دينه وعزلهم والتضييق عليهم، وحملهم على ترك هذا الدين، وتشويه سمعة محمد بين الناس وعند العرب، واشاعة الدعايات الكاذبة عنه، والقول بأنه ـ حاشا له ـ مجنون أو كاهن أو شاعر، أو كاذب.. الخ، والتشكيك بكل ما

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ١٨٦.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٨، ١/ ١٧٣ ح١٩٢، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٩٩، ٤٠٤ وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ١٥١ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٢ وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ٢٥٢ وتاريخ ابن كثير ٣/ ٨٤، ٩٦، ٩٧ والسيرة الحلبية ١/ ٣٥٧ ـ ٣٦٧.. الخ. والغدير للأميني ٧/ ٤٠٦ تجد قصة الحصار والمقاطعة.

(٣) وتجد ترجمة هذا القرار في بدر وأحد والخندق...

يقوله، وأن القرآن الذي جاء به «إن هو إلا أساطير الأولين.. الخ». وبايجاز فان بطون قريش حسدت محمداً وأهل بيت محمد فضلاً خصهم الله به، فتصرفت طوال حياة النبي بدوافع الغيرة والحسد، وحسد بطون قريش أمر ظاهر[1]. ﴿أَمْ يَحْسُدونَ الناسَ على ما آتاهُمُ الله من فَضْلِهِ﴾[2].

التقى ابن أبي شريف مع أبي جهل وقال له أترى محمداً يكذب؟ فقال له أبو جهل كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين، لأنه ما كذب قط!، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء يبقى لنا!!

وكان أبو سفيان يقول «كنا وبني هاشم كفرسي رهان، كلما جاءوا بشيء جئنا بشيء مقابل، حتى جاء منهم من يدعي خبر السماء فأنى نأتيهم بذلك»[3].

هذا هو نمط تفكير البطون، وتلك هي الدوافع الخفية لفهم مواقف تلك البطون.

---

(١) شواهد التنزيل للحسكاني الخفي ١/ ١٤٣ ح١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨ وراجع مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص٤٦٧ ح٣١٤، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص١٤٢ و٣٢٨ و٣٥٧ وراجع الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص١٥٠ ونور الأبصار للشبلنجي ص١٠٢، واسعاف الراغبين للصبان الشافعي ص١٠٨ بهامش نور الابصار، والاتحاف بحب الاشراف للشبراوي الشافعي ص٧٦ والغدير للأميني ٣/ ٦١ وملحق المراجعات ص٥٨، وراجع كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية بحث نشأة النظام البديل ص٣٩١ وما فوق.

(٢) سورة النساء آية ٥٤.

(٣) كما نقلها الحسيني في كتابه «شيعني الحسين» ص١٠٦ عن ابن الأثير في تاريخه.



الفصل الرابع:

المواجهــــة

طبيعة المواجهة:

مع أن المواجهة بين النبي والهاشميين ومن شايعهم من جهة، وبين بطون قريش الـ٢٣ وأشياعهم من جهة أخرى، قد أصبحت قدراً محتوماً ولا مفر منه، إلا أن هذه المواجهة محكومة ومضغوطة في المرحلة الأولى منها(١) بعوامل متعددة، تجعل من هذه المواجهة مواجهة نفسية واعلامية وتهديدية، أو إن شئت فقل إنها حرب باردة، فأبو طالب سيد البطحاء، والشيخ الفعلي لقريش كلها، وهو حكيمها وشاعرها وسيدها وابن سيدها، وهو عميد البطن الهاشمي، ومحمد هو ابن شقيق أبي طالب، وهذا عامل من أهم العوامل التي تجعل المواجهة بين الفريقين محكومة ومضغوطة، فضلاً عن ذلك فإن أبا طالب لم يقطع صلته بالبطون بل كان يستقبل وفودها، ويستمع لمطالب تلك الوفود، وينقل تلك المطالب لابن أخيه محمد، ويسمع رده عليها وينقل الرد لوفود قريش(٢)، ويساهم بذلك بتلطيف حدة الصراع وابقائه ضمن حدود معينة.

كما إنّ أبا طالب قد أبلغ بطون قريش وأثبت لهم بأنه قد همّ بأن يقتل

---

(١) أي مرحلة الدعوة العلنية في مكة والتي استمرت عشر سنوات بأرجح الأقوال.

(٢) شكوى البطون لأبي طالب من ذكره لالهتهم بسوء واقرأ عرض البطون على أبي طالب ليعطوه عمارة بن الوليد مقابل أن يسلمهم محمداً ليقتلوه، راجع الشكوى والعرض في الغدير للأميني ٧/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ كما نقلها عن ابن اسحاق، وراجع تفاصيل حوار أبي طالب مع البطون بعد ثلاث سنين من المقاطعة راجع الطبقات لابن سعد ١/ ١٧٣ وسيرة ابن هشام ١/ ٣٩٩ والسيرة الحلبية ١/ ٣٥٧ ـ ٣٦٧.

سادات البطون كلهم عندما ظن بأن محمداً قد قتل، وأنه قد خصص لكل سيد من سادات البطون هاشمياً ليقتله، فأدركت بطون قريش أن عملية قتل النبي مكلفة، وأنها ستفتح عليها سلسلة من الثارات لا تنتهي إلا بدمار قريش، وساعدت قناعة البطون تلك على لجم المواجهة، وجعلها بحدود معينة، بالإضافة إلى ذلك فإن البطن الهاشمي وبطن بني المطلب قد أعلنا حمايتهما للنبي، وأنهما لن يسلماه، ولن يسمحا لأحد بايذائه[1]، فمحمد بحماية هذين البطنين الهاشمي والمطلبي، وهذان البطنان قوة حقيقية معروفة عند العرب بفخرها وشرفها ومكانتها، ولا تملك بطون قريش امكانية تجاهلها، خاصة بعد أن أيقنت تلك البطون بجدية الموقف الهاشمي، أنظر الى قول أبي طالب مخاطباً ومتوعداً ومحذراً لبطون قريش: «والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم»[2].

وأنظر إلى قوله مخاطباً النبي: «يا ابن أخي إذا أردت أن ندعو إلى ربك، فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح»[3] كان عاملاً من أهم العوامل التي حددت طبيعة المواجهة بين الفريقين، فأخذت المواجهة بين الفريقين في السنين العشر الأولى طابعاً أو مناخاً يشبه مناخ الحرب الباردة بين القوى العظمى، فكل قوة تتمسك برأيها وعقائدها ولا تتراجع عنها، وموقفه أن الصدام قدر لا مفر منه، ولكنها لا تعرف متى ولا أين؟ وتجهل نتائجه! مما طبع المواجهة الأولى بطابع الحرب النفسية والإعلامية، وجعلها ملجومة بحدود معينة حتى حين.

جبهتان وقيادتان للمواجهة:

مع اعلان النبي لبشائر النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد أو الإمارة من بعد النبي، ومع اعلان البطنين الهاشمي وبطن بني المطلب حمايتهما للنبي، وعدم

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٤ والفائق للزمخشري ٢/ ٩٨ والقرطبي في تفسيره ص٤٠٦ وابن اسحاق كما نقل عنه العلامة الأميني في غديره ٧/ ٤٠٠ ـ ٤٠١ وابن هشام في سيرته ١/ ٢٧٥ ـ ٢٨٣ وابن سعد في طبقاته ١/ ١٨٦ والطبري في تاريخه ٢/ ٢١٨ ـ ٢٢١ وتاريخ أبي الفداء ١/ ١١٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٨٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧.

تسليمه، وعدم السماح لأي كان بايذائه، واعلان الهاشميين بأنهم سيقاتلون بطون قريش حتى آخر رجل إذا قامت تلك البطون بقتل محمد[1]، ومع دخول عدد من الناس في دين الإسلام[2]، ومع اصرار بطون قريش الـ٢٣ على رفض النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد، واعلانها بأنها ستقاوم محمداً بكل وسائل المقاومة..

مع هذا كله تكونت واقعياً جبهتان تتواجهان، وقيادتان تتنافسان:

الجبهة الأولى جبهة الإيمان:

وتتكون هذه الجبهة من البطن الهاشمي، وبطن بني عبد المطلب، ومن مواليهما وأحابيشهما بالإضافة إلى القلة التي دخلت في دين الإسلام، وهذه هي جبهة الإيمان.

الجبهة الثانية جبهة الشرك والعصيان:

وتتكوّن هذه الجبهة من بطون قريش الـ٢٣ ومواليها وأحابيشها، بمعنى أن مقاليد الأمور في مكة ـ أم القرى ـ كانت بيد قبيلة قريش، وأن هذه القبيلة كانت تتكون من ٢٥ بطناً[3]، ومع اعلان بشائر النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد انقسمت بطون قريش الى قسمين، فالبطن الهاشمي وبطن بني عبد المطلب بن مناف وقفا الى جانب النبي، وشكلوا معه نواة جبهة الايمان، أما بقية بطون قريش الـ٢٣ فقد رفضوا نبوة محمد، واعتبروها هاشمية، واخلالاً بتوازن البطون القرشية، وخروجاً هاشمياً على الصيغة السياسية السائدة في مكة. ورفضوا الدين الاسلامي على اعتبار أنه أثر من آثار نبوة محمد، وتبعاً لذلك شكلوا جبهة عريضة هي جبهة الشرك، لغايات مقاومة النبوة المحمدية، ومقاومة الدين الإسلامي

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٨٦.

(٢) سيرة رسول الله وأهل بيته ١/ ٦٠ طبعة مؤسسة البلاغ كما تم نقلها عن الدر المنثور للسيوطي في معرض تفسير واصدع بما تؤمر.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

المنبثق عن هذه النبوة، وللصد عن سبيل الله المتمثل بمحمد وبدين الإسلام.

القيادتـــــان:

عندما تتكون جبهتان متعارضتان، وعندما تصبح المواجهة بينهما قدراً محتوماً، وقاب قوسين أو أدنى، فمن الطبيعي أن تبرز قيادة لكل جبهة من الجبهتين المتنافستين، تتولى عملية التدبير والتخطيط، وتعمل على تحقيق أهداف الجبهة من المواجهة، فمن الذي كان يقود جبهة الايمان، ومن الذي كان يقود جبهة الشرك؟

قيادة جبهة الايمان:

ظهرت فكرة الايمان النقي بظهور نبوة محمد، حيث استقطب بنبوته الهاشميين وبني المطلب، والقلة التي آمنت من بطون قريش وأحابيشها ومواليها، ومن هؤلاء تكونت جبهة الايمان، وكردة فعل لظهور هذه الجبهة، تجمع الرافضون لفكرتي النبوة والايمان وشكلوا جبهة الرفض والتصدي «جبهة الشرك»، وغايتها الغاء النبوة الهاشمية أو القضاء عليها، واجهاض فكرة الايمان، ومنع الدين الجديد من الانتشار. وبهذه الحالة فإن طبائع الأمور ومنطقها يقضيان بأن تكون قيادة جبهة الايمان بيد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو النبي والرسول المكلّف بتبليغ رسالات ربه، وهو الأعلم بمضامين تلك الرسالات، وهو الأكثر اخلاصاً لها، وهو الذي يتلقى التوجيهات الإلهية بالذات، ويبلغها لأتباعه، وبالضرورة هو ولي من آمن به وناصره، وهو أمير الجماعة المسلمة وقائدها وامامها، ومن المحال عقلاً أن تكون قيادة جبهة الايمان بيد غيره، فهو وحده القائد العام لجبهة الايمان أثناء المواجهة، يستعين بمن يشاء من أتباعه تحت عين الله ليضمن كسب المواجهة ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة أعداء الله هي السفلى.

أركان قيادة جبهة الإيمان:

قلنا أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو القائد العام لجبهة الايمان

بالشرع والعقل والضرورة، لأنه الأعلم والأخلص، ولأنه هو بالذات الذي يتلقى التوجيهات المتعلقة بمسيرة جبهة الإيمان، ومنطق الأمور يقضي أن يستعين القائد العام محمد بصفوة أتباعه ليكونوا أركاناً لقيادته فمن هم أولئك الصفوة؟

١ ـ أولهم ولي عهده والإمام من بعده: علي بن أبي طالب عليه السلام حيث عينه الرسول بأمر من ربه ولياً لعهده واماماً وأميراً وعلماً للجماعة المسلمة من بعده، وأعلن ذلك مع اعلانه لأنباء النبوة والرسالة والكتاب، وطلب من الهاشميين ومن بني المطلب ـ وهم العمود الفقري لجبهة الإيمان ـ أن يسمعوا لعلي بن أبي طالب ويطيعوه، وكان من بين الحضور والده أبو طالب[١].

واقتضت حكمة الله تعالى أن يكفل النبي علياً، وأن يعيش في كنف النبي كواحد من أفراد أسرته[٢]، وأن يبقى كذلك حتى يفارق النبي الحياة، وذلك ليعده لخلافته وليصنع على عين الرسول بالشكل والمضمون الذي أراده الله تعالى. وخلال مرحلتي الدعوة التي استمرت ثلاث سنوات سرية، وعشر سنوات علنية، ومرحلة الدولة التي استمرت عشر سنوات[٣]، كان الإمام علي يتبع الرسول اتباع الفصيل لأمه، وينفذ أوامره حرفياً[٤] مهما كانت مكلفة، فعلى سبيل المثال أمره النبي أن ينام في فراشه ليلة هجرته ليوهم المتآمرين على قتل النبي أن النائم هو النبي وليس علياً[٥]، ونفّذ الإمام الأمر مع أنه من الممكن أن يقتله المتآمرون ظناً منهم أنه النبي[٦].

---

(١) راجع حديث الدار وتاريخ الطبري ٢/٣١٩ ـ ٣٢١، والكامل لابن الأثير ٢/ ٦٢ و٦٣ وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ١٣/ ٢١٠ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٠٣ ح١٣٩ ـ ١٤٠ . . . الخ.

(٢) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٢٢ ـ ٢٢٥ تجد التوثيق.

(٣) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٢٣ والنظام السياسي في الإسلام ص٧٥ ـ ٧٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٦ ـ ١٢٧ وراجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩ والمستدرك للحاكم ٣/ ١٣٣ وتاريخ الطبري ٢/ ٢٩ والكامل لابن الأثير ٢/ ١٠٣.

(٥) المصادر السابقة.

(٦) المصادر السابقة.

وكلفه الرسول أن يؤدي الأمانات إلى أهلها بعد هجرته[1]، وأن يتولى عملية ترحيل عائلة الرسول من مكة إلى المدينة، وبعد الهجرة، وفي أول معركة جرت بين الكفر والايمان، كلفه أن يخرج مع حمزة وعبيد الله بن الحارث لمبارزة سادات قريش دفاعاً عن الحق الهاشمي[2]، وفي كل معارك الشرك مع الإيمان كانت الراية بيد علي[3]، وكان هو فارس الإسلام الأوحد، وقد فرّ الجميع ولم يفر[4]، وتقدم في مواطنَ عجز الجميع أن يصلوا إليها[5]، وحقق النصر في معارك عجز الجميع عن تحقيقها[6]، وعندما سقطت عاصمة الشرك، وصدر الأمر الإلهي بالبراءة من المشركين، أرسل الرسول سورة البراءة مع أبي بكر، وأحيط المسلمون علماً بذلك، وبينما كان أبو بكر متوجهاً إلى مكة هبط جبريل بأمر من ربه، ومعه الأمر الإلهي بأن يأخذ قرار البراءة من أبي بكر ويعطيه لعلي، وتعليل ذلك أنه لا يؤدي عن النبي إلا هو أو علي وقد أحيط المسلمون علماً بذلك[7].

وفي آخر حجة حجها الرسول «حجة الوداع» نصّبه الرسول رسمياً اماماً وولياً

---

(١) سيرة الرسول وأهل بيته ١/ ١١٢ لجنة التأليف مؤسسة البلاغ.

(٢) كتاب المغازي للواقدي ١/ ٦٨.

(٣) مستدرك الصحيحين ٣/ ١١١ و١٣٧ و٤٩٩، وطبقات ابن سعد ٣/ ١١٥، ومسند أحمد بن حنبل ١/ ٣٦٨، ٣/ ١٦، وأسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٢٠ ـ ٢١ ومجمع الزوائد للهيثمي ٥/ ٣٢١، ٦/ ١١٤، والرياض النضرة للطبري ٢/ ١٩١ وكنز العمال ٥/ ٢٦٩ وسنن البيهقي ٦/ ٢٠٧، والصواعق المحرقة لابن حجر ص٧٦.

(٤) ذخائر العقبى للطبري ص٩٢، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٩٧، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٤٥٧ والإصابة لابن حجر ٥/ قسم ٣/ ٢٨٧، وكنز العمال ٣/ ١٥٤ و٥/ ٢٧٣.

(٥) المصادر السابقة.

(٦) أُسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٢٠ والرياض النضرة ٢/ ١٧٢ والدر المنثور للسيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ وقال: اخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بعلي بن أبي طالب، ومسند أحمد بن حنبل ٦/ ٨ وتاريخ الطبري ٢/ ٣٠٠ وتاريخ بغداد ١١/ ٣٢٤، وكنز العمال ١/ ٣٩٨، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٧٨٠.

(٧) سنن ابن ماجه ١/ ٤٤ ح١١٩، وصحيح الترمذي ٥/ ٣٠٠ ح٣٨٠٣، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٢٠ والصواعق المحرقة ص١٢٠، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٣٦٨ ـ ٣٧٧ ح٨٧٥ ـ ٨٨٠.

للمؤمنين من بعده[١] وتوجه بتاج الولاية[٢] وطلب من المؤمنين أن يقدموا التهاني لأمير المؤمنين من بعد النبي، وبالفعل قدموا له التهاني، وكان على رأس المهنئين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٣].

والخلاصة أن علي بن أبي طالب أبرز أركان قيادة جبهة الإيمان خلال مرحلتي الدعوة الإسلامية والدولة الإسلامية في عهد النبوة المبارك.

٢ ـ الركن الثاني من أركان قيادة النبي، وهو عبد مناف بن عبد المطلب المكنّى بأبي طالب وهو والد الإمام علي بن أبي طالب وعم الرسول الشقيق لوالده[٤]، وهو الذي كفل الرسول وضمه إلى أولاده بعد وفاة جده، وربّاه في كنفه حتى تزوج[٥]، وأحاط أبو طالب والسيدة زوجته رسول الله بكل مشاعر الحب والمودّة، وأحباه أكثر مما يحب الوالدان ابنهما[٦].

وكان لأبي طالب الدور البارز في أركان قيادة جبهة الإيمان، فهو الذي شجع الهاشميين والمطلبيين على حضور أول اجتماع سياسي في دار النبي[٧]، وهو الذي تصدى لخصومه في ذلك الإجتماع ولجمهم[٨]، وهو الذي أرسى

---

(١) كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٤٧ وما فوق وقد فصلت عملية التنصيب تفصيلاً موثق بالمراجع.

(٢) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤٧ وما فوق، وقد فصلت عملية التنصيب تفصيلاً موثقاً بالمراجع.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٧ ـ ٥٠ ح٥٤٨ ـ ٥٥٠ ومسند أحمد ٤/ ٢٨١ وفضائل الخمسة ١/ ٣٥٠ وتاريخ الاسلام للذهبي ٢/ ١٩٧ ونقله صاحب الغدير عن المصنف لابن شيبة والمسند لأبي العباس الشيباني والمسند لأبي يعلى الموصلي وتفسير ابن مردويه، والبداية والنهاية لابن الأثير ٥/ ٢١٢.

(٤) سيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٢٩.

(٥) المرجع السابق.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤ قال النبي يوم وفاة أم علي بن أبي طالب: «اليوم ماتت أمي إن كانت لتجيع صبيانها وتشبعني، وتشعثهم وتدهنني وكانت أمي».

(٧) الإجتماع الذي دعى إليه النبي وأعلن فيه أمام الهاشميين بشائر النبوة وصدر عنه ما هو معروف بحديث الدار.

(٨) الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٤ وتعليل العلامة الأميني في غديره ٧/ ٣٩٣.

قواعد تأييد الهاشميين والمطلبيين للنبي، واعلان هذين البطنين حمايتهما للنبي[١]، وهو الذي أعلن أمام بطون قريش بأنها إذا قتلت محمداً فإن الهاشميين والمطلبيين سيقاتلون البطون حتى الفناء التام[٢]، وهو نفسه الذي خاطب النبي أمام قريش وباسم الهاشميين قائلاً: «يا ابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فاعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح»[٣].

وهو نفسه الذي كان يستقبل وفود البطون ويسمع لمطالبها وينقل رد النبي عليها[٤]، وأبو طالب هو الذي كان ينقل النبي عدة مرات من فراشه ليلياً أثناء الحصار خوفاً على حياته[٥]، وهو الذي شجّع بنيه على التضحية بأرواحهم فداء لمحمد[٦]، وهو الناطق الرسمي باسم النبي عندما أكلت راية الأرض صحيفة المقاطعة، وهو الذي قاد عملية الرجوع من الشعب الى مكة عندما حوصر الهاشميون في شعب أبي طالب[٧]، وهو شاعر الإسلام، وحامي حماه[٨]، ومن هنا نفهم معنى قول رسول الله: «ما نالت منى قريش حتى مات أبو طالب»[٩]، ولهذا سمي العام الذي مات فيه أبو طالب وماتت فيه زوجته بعام الحزن[١٠]، واعتبر موت الاثنين مصيبتين، وعبّر عن ذلك بقوله: «اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً»[١١].

---

(١) الطبقات لابن سعد ١/ ١٨٦.

(٢) الطبقات لابن سعد ١/ ١٨٦ وتاريخ ابن الأثير والسيرة الحلبية ١/ ٣٠٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧.

(٤) كما روى ابن اسحاق ونقله العلاّمة الأميني في غديره ٧/ ٤٠٠ على سبيل المثال.

(٥) كما روى ابن الأثير ذلك في تاريخه ونقله عن العلامة الأميني في غديره ٧/ ٤٠٤.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٥ وتاريخ الطبري ٢/ ٢١٤ والإصابة لابن حجر ١/ ١١٦ وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٣١٤ وأسد الغابة ١/ ٢٨٧ والغدير ٧/ ٣٩٧ وما فوق.

(٧) كما نقل ذلك العلاّمة الأميني من ٧/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ عن ابن الأثير في تاريخه.

(٨) اشعاره تنضح بأنبل العواطف الانسانية نحو النبي، وبأصدق المشاعر الدينية نحو الإسلام وقد ساعد الأميني في غديره قبسات مضيئة منها راجع الغدير للأميني ٧/ ٣٧١ ـ ٤٠٩.

(٩) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢١.

(١٠) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٥.

(١١) المصدر السابق.

والخلاصة أن أبا طالب كان أحد أركان قيادة جبهة الإيمان، وقد استغل مكانته الاجتماعية وسخّرها لصالح الرسول ولصالح دينه، فقد كان ـ سلام الله عليه ـ شيخ البطاح وسيد البطون القريشية بغير منازع. وقد لجم وجوده المواجهة لتبقى ضمن حدود معينة، اذ هابته البطون ولم تقو على تصعيد المواجهة.

ومن المثير للدهشة حقاً أن الدولة الإسلامية التاريخية التي قبضت على مقاليد السلطة بالقوة، وسيطرت على وسائل الإعلام، قلبت الحقائق وبقدرة قادر حولت أبا طالب إلى رجل مشرك، وقالت أنه في ضحضاح من النار على حد تعبير المغيرة بن شعبة المشهور بعداوته لبني هاشم وأنكرت دور أبي طالب البارز في قيادة جبهة الايمان!!![1]. ونسوا أو تناسوا مضامين قول الرسول وهو يقف أمام جثمان أبي طالب ويردد والأسى يملأ قلبه الشريف: «يا عم ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً»[2].

ومع هذا أقنعوا العوام أن الرجل مات مشركاً، وأخفوا فضله على الإسلام ونبيه، واخترعوا فضائل لمن عادوا النبي وعادوا الإسلام وحاربوهما بكل وسائل الحرب!!! ولله عاقبة الأمور!!!

٣ ـ ومن أركان قيادة جبهة الإيمان جعفر بن أبي طالب، وهو ابن عم رسول الله، والأخ الشقيق للإمام علي بن أبي طالب، وهو من أوائل الذين آمنوا. أمره رسول الله أن يقود المهاجرين إلى بلاد الحبشة وأن يرتب أمورهم هنالك، وأن يوطد لهجرتهم.

ولما علمت قريش بأمر الهجرة خشيت من انتشار الإسلام فأرسلت رسولين إلى النجاشي ومعهما الهدايا، ورجت النجاشيء أن يرد المهاجرين الى مكة، فدعا النجاشي جعفراً وسمع منه، وتمكن جعفر بن أبي طالب من اقناع النجاشي بعدالة القضية الإسلامية ومن هزيمة وفد بطون قريش»[3].

---

(١) كما نقل ذلك علامة المعتزلة ابن أبي الحديد عند مناقشته لإسلام أبي طالب في شرحه.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٥.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١.

وكانت لهذا القائد مكانة خاصة في قلب رسول الله، وعندما عاد من الحبشة بعد فتح خيبر استقبل الرسول قائلاً «والله ما أدري بأيهما أنا أشد سروراً بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»[1].

وبقى ركناً علياً من أركان قيادة جبهة الإيمان حتى استشهد في غزوة مؤته وهو حامل لراية القيادة والجهاد في سبيل الله[2].

٤ ـ ومن أركان قيادة جبهة الإيمان حمزة بن عبد المطلب، عم الرسول، اشترك مع الهاشميين بحماية الدعوة والداعية، ولما اشتد أذى قريش للنبي تحدى البطون وأعلن اسلامه، ومن ذلك اليوم صار ركناً من أركان جبهة الايمان، وفارساً من أعظم فرسان الإسلام قاتل وابن أخيه علي في بدر قتالاً فذاً لم تعهده العرب، وكان حمزة وعلي وعبيد الله بن الحارث أول ثلاثة برزوا لمبارزة سادات بني أمية، وتمكن علي وحمزة من أن يغيِّروا موازين القوى كلياً لصالح جيش الإسلام، وفي أُحُد فر الجميع ولم يبق غير حمزة وعلي ومصعب بن عمير والقلة من أصحاب النبي، وبينما كان حمزة يقاتل بأسلوبه الفذ غدره عبد حبشي من عبيد أبي سفيان، وكان قَتْل حمزة مؤامرة أموية رتب فصولها أبو سفيان وزوجته هند أم معاوية، لأن حقدهم على النبي وعلي، وحمزة خاصة، وبني هاشم عامة حقد يفوق التصور والتصديق، ولم يكتف المتآمرون بقتل حمزة، بل مثلوا به، فشقوا بطنه، وقطعوا أنفه وأذنيه، وحاولت هند أم معاوية أن تأكل كبده تشفياً وانتقاماً من فرط حقدها[3].

٥ ـ عبيد الله بن الحارث، وهو أحد سادات بني عبد المطلب، أعلن اسلامه يوم اجتماع الدار وبقي تحت تصرف الرسول يفعل ما يُؤمر، وهاجر مع الذين هاجروا، وخرج مع الرسول الى بدر، ولمابرزت سادات الأمويين وطلبوا المبارزة أمره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأن يخرج مع حمزة وعلي لمبارزتهم،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٥٦.

(٢) سيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٧٩.

(٣) سيرة الرسول وأهل بيته ١/ ١٣٩.

وكان خصمه أفتى منه فتبادلا الطعان وأصيب عبيد الله واستشهد في بدر[1]، وعز ذلك على رسول الله وردد بيتاً من الشعر قاله أبو طالب:

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل[2]

أركان قيادة جبهة الايمان هاشميون:

يلاحظ أن أركان قيادة جبهة الايمان خاصة في مرحلة الدعوة هاشميون، والسبب في ذلك أن الهاشميين قاطبة باستثناء أبو لهب أعلنوا التفافهم حول النبي، وحمايتهم له، وأنذروا بطون قريش بأنها إذا قتلت النبي فإن الهاشميين سيقاتلون حتى يفنى الهاشميون والبطون معاً[3]، وبالتالي فإن أية إساءة توجه لمحمد سيرد الهاشميون عليها بحزم[4]، فضلاً عن ذلك فقد أحس الهاشميون بحسد قريش لهم، وباصرارها على صرف الفضل الإلهي عنهم[5]، وأدركوا أن بطون قريش تتآمر عليهم، وقد أجمعت على مقاطعتهم وحصارهم في شعب أبي طالب، ولم يرعوا فيهم إلاً ولا ذمة[6] ومن هنا نفهم معنى قول رسول الله لحمزة وعلي وعبيد الله في بدر: «يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذا جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله»[7].

لماذا لم يبرز قادة من غير بني هاشم في مرحلة الدعوة؟

لأن الهاشميين هم الذين تحملوا عبء حماية الدعوة الاسلامية، وحماية الداعية محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولأن الهاشميين كانوا يشكلون بموازين

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ٦٩.
(٢) المغازي للواقدي ١/ ٧٠.
(٣) المغازي للواقدي ١/ ٦٩ ـ ٧٠ وكتاب الطبقات لابن سعد ١/ ١٨٦ والغدير للأميني ٧/ ٣٨٩.
(٤) الغدير للأميني ٧/ ٣٩٩ كما نقلها عن القرطبي في تفسيره ص٤٠٦ نقلاً عن أصحاب السير.
(٥) المغازي للواقدي ١/ ٦٩.
(٦) الغدير للعلامة الأميني ٧/ ٤٠٣.
(٧) كتاب المغازي للواقدي ١/ ٦٩.

بطون قريش كياناً سياسياً تعترف به البطون وتعتبره مسؤولاً، لأنه لم يسلم محمداً ولم يمكن بطون قريش منه، وفوق ذلك فإن البطن الهاشمي أعلن حمايته للنبي، وتوعد البطون بالإفناء التام إن هي أقدمت على قتل النبي.

أما الذين أسلموا خلال مرحلة الدعوة من غير بني هاشم وبني المطلب فقد كان لهم شأن آخر، فهم من بطون شتّى، وبالتالي لم يتبلور التجمُّع أو الكيان السياسي الذي ينتمون إليه واجمالاً هم مجرد أفراد.

فضلاً عن ذلك فقد كان المطلوب منهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن ما يوحى إلى محمد هو من عند الله. وهم على نوعين:

١ ـ فمن كان ينتمي بالدم إلى أي بطن من البطون القرشية حماه بطنه حماية تامة، فقد يتعرض للوم والتقريع والسخرية، لكن لا أحد يقوى على التعرض له بالضرب أو القتل أو الايذاء الظاهر، لأنه مغطى بحماية بطنه.

٢ ـ أما من كان منتمياً إلى بطون قريش بالموالاة أو العبيد أو الأحابيش ممن أسلموا، فقد كانوا موضع النقمة ومحط الابتلاء لأنهم بلا حماية عشائرية ومن هؤلاء:

أ ـ بلال بن رباح الحبشي الذي كان عبداً مملوكاً لأمية بن خلف الجمحي[1]، فقد عذبه أمية عذاباً أليماً فكان يضع الصخرة العظيمة عليه في الرمضاء ولا يتحول بلال عن ايمانه[2].

ب ـ ياسر وسمية ـ زوجته ـ وعمار ـ ابنهما ـ حلفاء بني مخزوم ولم يتورّع أبو جهل عن طعن سمية في قبلها، وعُذِّب ياسراً وعماراً عذاباً أليماً فصمدوا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من انتظر[3].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٦٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢/ ٦٧.

جـ ـ خباب بن الأرت وكان أبوه من السبايا فعذب أيضاً عذاباً أليماً وثبت على دينه[١].

د ـ الجارية لبيبه جارية بني مؤمل بن حبيب بن عدي، فقد أنزل بها عمر بن الخطاب أشد أنواع العذاب فكان لا يتوقف عن تعذيبها إلا سآمة[٢].

هـ ـ زنيرة المرأة التي عذبها عمر بن الخطاب حتى فقدت عينيها[٣]. هذه بعض نماذج الصفوة المؤمنة من المستضعفين، وبالإجمال فإن المواجهة الحقيقية كانت بين النبي محمد وآله من جهة، وبين بطون قريش من جهة أخرى، لقد تآمرت البطون على الآل ـ الكرام ـ فقاطعتهم وحدهم وحصرتهم في شعاب أبي طالب وحدهم، وذاقوا عذاب المقاطعة والحصار وحدهم[٤]، واشتركت بالحصار والمقاطعة كافة بطون قريش الـ٢٣ بما فيهم بنو تيم وبنو عدي وبنو أمية، ومن أسلم من هذه البطون كان خارج الحصار والمقاطعة تماماً، وخارج نطاق المواجهة الحقيقية، ولم يكن لهم دور يذكر لا بحماية الدعوة، ولا بحماية الداعية، هذا هو السبب بانحصار أركان قيادة المواجهة ببني هاشم وبني المطلب، وبثانوية الأدوار التي قام بها المسلمون من بقية البطون خلال مرحلة الدعوة في مكة.

القيادة العامة لجبهة الشرك والعصيان:

بيّنا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان بالعقل والضرورة ومنطق طبائع الأمور، هو القائد العام لجبهة الإيمان، خلال مرحلتي الدعوة الاسلامية العلنية التي استمرت عشر سنوات[٥]، ومرحلة الدولة الاسلامية التي استمرت عشر سنوات أيضاً، وساعده بهذه القيادة رجال امتحن الله قلوبهم للايمان، أعطوا

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢/ ٦٨.
(٢) الكامل لابن الأثير ٢/ ٦٩.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ والسيرة الحلبية ١/ ٢٤٣ وتاريخ الطبري ٢/ ٢٤٥.
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤.

ولم يأخذوا، وقدموا أضخم التضحيات وليس لهم هدف إلا رضوانه تعالى، وقد عرضنا نماذج من أركان قيادة جبهة الإيمان الذين تشرفوا بالعمل تحت قيادة النبي.

واستكمالاً للدائرة ونزولاً عند ضرورات البحث العلمي المجرد، يتوجب علينا بعد ذلك أن نبين من هو القائد العام لجبهة الشرك والعصيان الذي تولى كبر مجابهة النبي ومحاربته ومحاربة دينه بكل وسائل الحرب وفنونه طوال مرحلتي الدعوة والدولة، ومن هم أركان قيادته الذين وقفوا معه طوال عشرين عاماً، حتى إذا ما أحيط بهم وحصروا في جزيرة الشرك، أسلموا كارهين ونحو بحربهم للنبي منحىً جديداً يتمثل بفنون الكيد الحقود لمحمد ولآل محمد ولدين محمد؟!!

القائد العام لجبهة الشرك والعصيان:

كان القائد العام لجبهة الشرك والعصيان خلال مرحلتي الدعوة والدولة، هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف المكنّى بأبي سفيان، وهو والد معاوية الذي ناصب أمير المؤمنين العداء وأجلب عليه طلاب الدنيا، وحاربه حرباً لم تعهد البشرية أخلاقها، حتى غلب وقبض على مقاليد الأمور، وأصبح فيما بعد خليفة للمسلمين، وهو الذي دبّر عملية قتل الإمام الحسن بالسم[1]، وهو الذي أوصى ابنه يزيداً أن يرسل مسلمة بن عقبة الى مدينة النبي، فيقتل أصحاب الخطر من الصحابة الكرام ويختم أعناق عامتهم[2]، وهو جد يزيد بن معاوية قاتل الإمام الحسين، ومبيد الذرية الطاهرة في كربلاء[3] وهادم الكعبة المشرّفة.

ورث أبو سفيان الحسد لبني هاشم، والشغف بالتنافس معهم من أبيه حرب ومن جده أمية، فكان أمية يتشبّه بهاشم ويحسده مكانته في قريش، فعيّرته بطون

---

(١) سيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٤٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٥ وتاريخ الطبري ٧/ ١١ ومروج الذهب ٣/ ٧١.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ٢/ ١٤ وما فوق ومروج الذهب للمسعودي ٢/ ٥٠ ومقاتل الطالبيين ص٥٠ وشرح النهج ٤/ ١١ والغدير ١١/ ٢٨.

قريش بذلك، فأعلن أمية أنه أشرف من هاشم ونافره عمه هاشم الى كاهنة خزاعة، فقضت أن هاشماً أشرف من أمية، وخسر أمية الرهان، وذبح مائة ناقة، وجلى عن مكة عشر سنين، فازداد حقده على هاشم وبنيه وأورث هذا الحقد والحسد والرغبة بمنافسة الهاشميين الى ذريته[1].

كان قصي يجمع شرف مكة، فكانت بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة، وبموته وموت عبد الدار صارت السقاية والرفادة والقيادة لبني عبد مناف، والحجابة واللواء لبني عبد الدار. ثم صارت السقاية لعبد المطلب بن هاشم ومن بعده لأبي طالب، والقيادة لأمية ومن بعده لابنه حرب ومن بعده لابنه أبي سفيان، وكان يقود الناس في غزواتهم[2].

كان أبو سفيان تاجراً كثير التنقل والأسفار، وقد سمع أن نبياً سيبعث من آل عبد مناف، وقد أقنع نفسه أنه ليس في بني عبد مناف من هو أجدر منه بالنبوة، فهو قائد قريش في غزواتها، وهو تاجر ميسور الحال، وهو سليل عبد مناف رمز عز قريش وفخارها، ومن حوله بنو أمية الأكثر مالاً ونفيراً[3].

وانتشرت شائعات في مكة بأن فتى عبد المطلب «محمد» يكلم من السماء[4]، ويقول بأنه نبي، ورفض أبو سفيان أن يصدق تلك الشائعات، وفوجىء أبو سفيان باعلان النبي لبشائر النبوة والرسالة والكتاب، فجن جنونه، وسلم قيادة نفسه لعناصر الحسد والحقد والتنافس والهوى، تعبث بها ذات اليمين وذات الشمال أو تهوى بهافي مكان سحيق!! وشكا أبو سفيان لابن أبي الصلت سوء المقادير، وشعوره العميق بالهوان، وبنيات ثقيف تراه منقاداً لغلام من بني عبد مناف «يعني النبي»، وحاول ابن أبي الصلت مشفقاً أن يغير طريقة أبي سفيان بالتفكير، وأن يَعدهُ لتقبل قدر محتوم فقال له: «كأني بك يا أبا سفيان إن خالفته

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٧٦ والسيرة الحلبية ١/ ١٢ ـ ١٥.
(٢) السيرة الحلبية ١/ ١٥.
(٣) السيرة الحلبية ١/ ٨٠.
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤.

قد ربطت كما يربط الجدي يؤتى بك إليه فيحكم فيك بما يريد»[1].

ومن سوء طالع أبي سفيان أن بني هاشم كافرهم ومؤمنهم احتضنوا محمداً، وأعلنوا أن بطون قريش إذا قتلت محمداً فإن الهاشميين سيقاتلون حتى يفنوا هم والبطون القريشية معاً[2]، وأبعد من ذلك أن أبا طالب قال للنبي: «يا ابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح»[3].

فثارت في نفس أبي سفيان لواعج التنافس، والحسد لبني هاشم والحقد عليهم، وراق لأبي سفيان أن يعتبر قضية النبوة مؤامرة هاشمية على الأمويين عامة، وعلى أبي سفيان خاصة، وأدرك أن سلاح النبوة لا مثيل له لتنفيذ هذه المؤامرة، فقال أبو سفيان والشعور بالأسى والإحباط والهزيمة يملأ قلبه: «كنا وبني هاشم كفرسي رهان، كلما جاءوا بشيء جئنا بشيء مقابل، حتى جاء منهم من يدعي خبر السماء فأنى نأتيهم بذلك»!!؟[4].

هذه الخلفيات هيأت أبا سفيان نفسياً ليكون أحد أبرز أئمة الكفر الذين لا ايمان لهم.

فأبو سفيان هو قائد قريش في غزواتها كما كان أبوه وجده أمية وعبد شمس[5]، وهو أحد أشد المعادين للنبوة الهاشمية، وهو من أكبر تجار قريش وأكثرهم ثراء، فكل المؤهلات اللازمة لقيادة جبهة الشرك متوفرة فيه، فمن الطبيعي أن تقدمه بطون قريش الـ٢٣ ليقود جبهة الشرك، الرافضة للنبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد، وأن يوجه القابلين بأمرته التوجيه الذي يرى أنه كفيل باحباط مشاريع النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد.

فأبو سفيان كان وراء وحدة بطون قريش الـ٢٣ ضد محمد وضد البطن

---

(١) السيرة الحلبية ١/ ٨٠ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٧٢ ـ ١٧٣.
(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٨٦ وتاريخ ابن الأثير والسيرة الحلبية ١/ ٣٠٤.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧.
(٤) لقد شيعني الحسين ص١٠٨، كما نقلها عن سيرة ابن هشام.
(٥) السيرة الحلبية ١/ ١٢ ـ ١٥.

الهاشمي، فمن غير المعقول أن تتحد البطون في غياب قائدها ودون علمه، وهو وراء توحيد متناقضات الشرك لتكوين جبهة قوية تقف متحدة ضد محمد وضد الهاشميين ومع أن أبا جهل كان يعارض بشدة نفوذ بني عبد مناف بحجم معارضته للنبوة، وبالرغم من أن الأمويين هم بطن من بطون عبد مناف، إلاّ أن أبا سفيان لم يجد غضاضة من أن يتحالف مع أبي جهل، وحتى مع الشيطان ضد محمد وضد بني هاشم!!

وأبو سفيان هو رئيس وفد البطون الذي توجه إلى أبي طالب، وطالبه إمابكف ابن أخيه محمد عن بطون قريش، أو أن يخلي بين محمد وبين البطون، وأبو سفيان هو الذي حطّم الوحدة بين بني عبد مناف فاستهوى بني نوفل، وضمهم إلى جبهة الشرك ليقفوا وجهاً لوجه ضد أبناء عمومتهم الهاشميين وبني المطلب، وأبو سفيان كان وراء عمليات تعذيب المستضعفين من المسلمين، إذ من غير الممكن عقلاً أن تتم عمليات التعذيب بدون علم القيادة!! وأبو سفيان هو مهندس عملية الحصار والمقاطعة التي تفتقت عنها عقلية بطون قريش، ثم قررت حصار الهاشميين في شعب أبي طالب، ومقاطعتهم ثلاث سنوات حتى اضطروا أن يأكلوا ورق الشجر من الجوع، واضطر أطفالهم أن يحصوا الرمال من العطش[1] فمن غير المقبول بكل الموازين العقلية، أن تتخذ البطون القريشية قراراً بهذه الخطوة بدون علم قائدها وأركان قيادته. وكان أبو سفيان وراء استقبال الطائف لرسول الله ذلك الاستقبال السيىء الذي أثر بنفس رسول الله تأثيراً عميقاً، فهتف من أعماقه «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، اللهم يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري[2]... وأبو سفيان أحد الذين خططوا لإرسال وفد إلى النجاشي مزوداً بالهدايا، لرد المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٤ وصحيح البخاري في المغازي ٢/ ٥٨٢ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ والسيرة الحلبية ١/ ٣٣٦.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٩١ ـ ٩٢.

حتى يتمكن وأئمة الكفر في مكة من فتنتهم وردهم عن دينهم[1].

وأبو سفيان هو أحد المجتمعين على الأقل في دار الندوة، والمتآمرين على قتل النبي ليلة هجرته، وقد قرر المجتمعون أن يختاروا من كل بطن من بطون قريش رجالاً ليضربوا النبي ضربة رجل واحد، فيقتلوه ويضيع دمه بين القبائل، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه[2]، ولما نجى الله نبيه من مؤامرة أئمة الكفر، لم يتوقف أبو سفيان لحظة واحدة عن الكيد للنبي فقد استأجر الفين من أحابيش بني كنانة ليقاتل بهم رسول الله[3]، وهو الذي نحى العير وساحل بها وعلى أثرها حدثت معركة بدر، وكان أبو سفيان غائباً عن المعركة حيث كان يقود العير، فحلف أنه لا يغتسل قبل أن يثأر من محمد، فجاء المدينة وقتل رجلاً من الأنصار وأجيراً وأحرق أبياتاً وتبناً، فلحقه الرسول في حملة السويق ومعه مائتا رجل، ولكنه لم يدرك أبا سفيان[4].

وحاول أبو سفيان أن يغتال رسول الله، فأرسل أبو سفيان رجلاً لهذه الغاية، ولكن الله نجّى نبيه[5].

وأبو سفيان وزوجته وأولاده معاوية ويزيد، كانوا وراء معركة أُحُد، فهم الذين حرضوا المشركين على الانتقام من محمد وعلى ضرورة حربه، وهم الذين رتبوا مؤامرة قتل الحمزة عم النبي، وأنفقوا الكثير من أموالهم للتجهيز لمعركة أُحُد. فقد أنفق أبو سفيان على هذه المعركة أربعين أوقية من الذهب، وكل أوقية ٤٢ مثقالاً[6]، وبعد انتصار المشركين نادى أبو سفيان على مسمع النبي أعلى هبل/ أعلى هبل، لنا العزى ولا عزى لكم، ولم يكتف وزوجته بالتآمر على قتل

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٤.

(٣) تفسير الطبري ٩/ ١٩٥ ـ ١٦٠ والكشاف للزمخشري ٢/ ١٣ وتفسير الرازي ٤/ ٣٩٧ وتفسير الخازن ٢/ ١٩٢ وتفسير الألوسي ٩/ ٢٠٤ والغدير للعلامة الأميني ١/ ١٠٧.

(٤) الطبقات لابن سعد ٢/ ٣ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٣٩.

(٥) الطبقات لابن سعد ٢/ ٩٤ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٣٨.

(٦) الغدير للعلامة الأميني ١٠/ ١٠٧.

حمزة، بل قطعوا أذنيه وأنفه وأخذ يدق الرمح في شدق حمزة قائلاً ذق يا عقق[١]. وأبو سفيان كان وراء أكبر تجمع شهدته الجزيرة العربية، حيث جمع الأحزاب وغزا بهم رسول الله، وتحالف حتى مع اليهود طمعاً باستئصال محمد على حد تعبيره، وعندما أراد رسول الله أن يؤدي العمرة، كان أبو سفيان على رأس الذين صدوا رسول الله عن المسجد الحرام، والهدى معكوفاً أن يبلغ محله.

ولم يرع أبو سفيان في عداوته للنبي حتى أخلاق الجاهلية، فبالرغم من غناه وثروته فقد عدا على دور المهاجرين من بني جحش بن رئات وباعها من عمرو بن علقمة[٢].

خلال المدة التي ترأس فيها أبو سفيان جبهة الشرك والعصيان رمى الإسلام، وبني الإسلام ومعتنقي الإسلام لكل منهم في كنانته، وحاربهم بكل وسائل الحرب، وقاومهم بكل فنون المقاومة.

وفوجىء أبو سفيان يوماً من الأيام بجنود الله يحيطون بعاصمة الشرك، كما يحيط السوار بالمعصم، وكان خارج مكة ويلقاه العباس بن عبد المطلب، ويقترح عليه العباس أن يذهب به إلى رسول الله ليستأمن له، ويوافق الرسول على أن يؤمن أبا سفيان حتى الغداة[٣].

وفي اليوم التالي اقتيد أبو سفيان إلى رسول الله، كما يُقاد الجدي تماماً كما تنبأ ابن أبي الصلت[٤].

فخاطبه الرسول قائلاً: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال أبو سفيان بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد.

قال الرسول ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال أبو

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٤.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١١٧.
(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٣٣١ والكامل لابن الأثير ٢/ ٢٤٥ وسيرة الرسول وأهل بيته ١/ ١٦١.
(٤) السيرة الحلبية ١/ ٨٠.

سفيان بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً[1].

وتدخل العباس لانقاذ أبي سفيان قائلاً: ويحك أسلم وأشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك[2]، وهكذا وحتى لا تضرب عنقه نطق بالشهادتين، وتعاملاً مع التركيبة النفسية لأبي سفيان، وتسخيراً لموقعه القيادي لصالح الفتح، ونزعاً لفتيل المقاومة بالإعلان الضمني عن استسلام أبي سفيان، أمر النبي منادياً ينادي «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»[3].

تلك هي الظروف التي أسلم بها أبو سفيان، أما طبيعة اسلامه، ومحبته لمحمد، وأهل بيت محمد، ولبني هاشم فموضوع آخر، فقبل النبوة، كان أبو سفيان خاصة والأمويون عامة يحسدون بني هاشم ويدمنون على التنافس معهم، فما هي طبيعة مشاعر أبي سفيان والأمويين بعد ١٩ عاماً من المواجهة، وبعد أن قتل الهاشميون سادات بني أمية، وفيهم من أولاد أبي سفيان وأخوال أولاده وأجدادهم وبني عمومتهم، إنها مشاعر الحقد الأسود الدفين، والتلفُّظ بالشهادتين وحده غير قادر على محو هذه المشاعر السوداء بجرة قلم من نفس أبي سفيان ونفوس أولاده ونفوس البيت الأموي عامة.

وبأن محمداً هو سيد الأمة ووليها فمن الطبيعي أن لا يعلنوا ذكره إلا بخير، ومع هذا فقد كانت مشاعر الحقد تتفلت من أبي سفيان، فقد رأى الناس يتهافتون على رسول الله يوماً فقال أبو سفيان: «لو عاودتُ الجمع لهذا الرجل فضرب رسول الله في صدره ثم قال لأبي سفيان: إذاً يخزيك الله»[4].

ولقد مر يوماً في خلافة عثمان على قبر حمزة بن عبد المطلب، فداس عليه

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٥ و٤٦ وتاريخ الطبري ٢/ ٣٣١.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٦.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٤٥.

(٤) الإصابة لابن حجر ٢/ ١٧٩، ترجمة صخر بن حَرْب/ رقم ٤٠٦٦.

برجله، وقال: «يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به»[1].

وعندما آلت الأمور الى عثمان، وأصبح خليفة قال له أبو سفيان: «صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكره، واجعل أوتادها بني أمية، فانما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار»[2]. ودخل يوماً على عثمان بعدما ذهب بصره فقال: أها هنا أحد فقالوا: لا فقال أبو سفيان: «اللهم اجعل الأمر أمر جاهليه والملك ملك غاصبيه واجعل أوتاد الأرض لبني أمية»[3].

ورسول الله على علم كامل بنفسية أبي سفيان ونوازعه، وعن جديته في عداوته للإسلام ولنبي الإسلام، ولأهل بيت النبوة وعلى علم بطبيعة المشاعر الأموية نحوه، ونحو أهله ونحو الإسلام، وقد خبر هذه المشاعر السوداء وعجم عودها طوال ٢٣ عاماً من المواجهة النفسية والقتالية والكيدية، وبالرغم من أن رسول الله قد بسط سلطانه على بلاد العرب، إلا أن أبا سفيان لم ييأس من النيل من رسول الله، فقد كمن له ومعه احدى عشر فرداً لينفروا ناقته لعله يسقط عنها فيموت[4].

ومن الطبيعي جداً أن يلعنه رسول الله كوسيلة لكشف حقيقته أمام الأمة، ولقد روى الإمام الحسن عليه السلام أن رسول الله قد لعن أبا سفيان في سبع مواطن، وعد الإمام الحسن هذه المواطن[5]، ولعنه رسول الله في صلاة الصبح في الركعة الثانية فقال: اللهم العن أبا سفيان وصفوان بن أمية[6]. . . قال الحلبي في رواية: صار صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «اللهم العن فلاناً وفلاناً»[7].

---

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٤/ ٥١.
(٢) الغدير للعلامة الأميني ١٠/ ١١٠.
(٣) تاريخ ابن عساكر ٦/ ٤٠٧.
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٥) المرجع السابق.
(٦) تفسير الطبري ٤/ ٥٨ وأخرجه الترمذي في جامعه والشوكاني في نيل الأوطار ٢/ ٣٩٨.
(٧) آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي ص٧٤ والسيرة الحلبية ٢/ ٢٣٤.

وأخرج البخاري... أنه سمع رسول الله حتى إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة يقول اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً بعدما يقول سمع الله لمن حمده[1].

وقال السيوطي: وأخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي من الدلائل أن رسول الله قال يوم أُحُد: «اللهم العن أبا سفيان، والعن الحرث بن هشام، والعن سهيل بن عمرو والعن صفوان بن أمية»، ثم قال السيوطي: وأخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم أن رسول الله كان يقول في صلاة الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً[2]...»، وأخرج نصر بن مزاحم عن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال رسول الله: «اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيعس» فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس؟ قال: معاوية[3].

وأخرج ابن مزاحم قال: فنظر رسول الله إلى أبي سفيان، وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله قال: «اللهم العن القائد والسائق والراكب» قلنا أنت سمعت رسول الله؟ قال: نعم وإلا فعمتا أذناي كما عميتا عيناي[4].

وشاعت حقيقة أبي سفيان وبنيه بين الناس، وعرفها العامة والخاصة، قال الإمام علي في خطبة له يوم صفين: «... وخلاف معاوية أياي الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، وحزب من الأحزاب، لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدواً هو وأبوه، حتى دخلا في الإسلام كارهين مكرهين[5]، ومن خطبه أيضاً خاطباً على مقاتله معاوية: «سيروا

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٤.
(٢) الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٧١. صحيح البخاري ٥/ ٣٥ و١٧١.
(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري ص٢١٧.
(٤) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص٢٢٠، وآراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوى ص٧٤ ـ ٧٦.
(٥) كتاب صفين نصر بن مزاحم ص٢٢٧، وتاريخ الطبري ٦/ ٤، جمهرة الخطب ١/ ١٦١، والغدير للأميني ١٠/ ١٩١.

إلى بقية الأحزاب قتلة المهاجرين والأنصار»[١].

وقال مرة: «إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء، وأولى الجفاء، ومن أسلم كرهاً وكان لرسول الله أنف الإسلام كله حرباً، أعداء الله والسنة والقرآن وأهل الأحزاب والبدع والأحداث، ومن كانت بوائقه تتقى، وكان على الإسلام مخوفاً»[٢].

وخاطب الإمام علي معاوية قائلاً: «وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ولكتابه»[٣].

وقال الإمام علي يوماً لمعاوية: «منا النبي ومنكم المكذب»[٤]، وقوله: «قرأت كتاب الفاجرين الفاجر»[٥]، وقوله: «يا ابن صخر يا ابن اللعين»[٦]، وقول عمر بن الخطاب: «أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني يا رسول الله أضرب عنقه»[٧]، وقول عمر: «إن أبا سفيان لقديم الظلم»[٨].

قال الإمام علي: «ليسوا بأصحاب دين، ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم حجتهم أطفالاً وحجتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال»[٩]، كتب معاوية إلى أبي أيوب الأنصاري فأخبر بذلك علياً، وقال له: «يا أمير المؤمنين إن معاوية كهف المنافقين كتب إلي بكتاب»[١٠].

---

(١) كتاب صفين ص١٠٥، جمهرة الخطب ١/ ١٤٢.
(٢) الإمامة والسياسة ١/ ١١٣ وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ٣٧.
(٣) مقاتل الطالبين ص٢٩، وشرح ابن أبي الحديد ٤/ ١٢ جمهرة الرسائل ٢/ ٤٩.
(٤) شرح النهج ٣/ ٤٥٢.
(٥) الغدير للأميني ١٠/ ١١٠.
(٦) المصدر السابق.
(٧) تاريخ ابن عساكر ٦/ ٣٩٩.
(٨) الإصابة لابن حجر ٢/ ١٨٠.
(٩) كتاب صفين ص٥٦٠، وتاريخ الطبري ٦/ ٢٧ والكامل لابن الأثير ٣/ ١٣٦.
(١٠) شرح النهج ٢/ ٢٨٠.

وكتب قيس بن سعد بن عبادة أمير الخزرج مخاطباً معاوية «فإنما أنت وثن بن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً وخرجت منه طوعاً، لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك»[1].

وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية «وأنت اللعين ابن اللعين، ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على اطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل، على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله»[2]. . .

وكتب له الإمام السبط: «.. وأنت ابن حزب من الأحزاب وابن أعدى قريش لرسول الله ولكتابه»[3].

ومن خطبه لابن عباس في صفين: «إن ابن آكلة الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على علي بن أبي طالب»[4].

قال الحسن بن علي مخاطباً معاوية أمام جمع من أصحابه: «أنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذي شتمتموه ـ يعني علياً ـ منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت بهما كافر، تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى غواية؟، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية باحداهما كافر وبالأخرى ناكث؟ وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أولى الناس ايماناً، وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تسرون الكفر، وتظهرون الإسلام، وتستمالون بالأموال؟ وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله يوم بدر، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أُحُد ويوم

---

(١) العلامة الأميني في الغدير ١٠/ ١٩٤.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٥٩، وكتاب صفين ص١٣٢، وشرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٨٣، وجمهرة الرسائل ١/ ٥٤٢.

(٣) مقاتل الطالبيين ص٢٢، وشرح النهج ٤/ ١٢ وجمهرة الرسائل ٢/ ٤٩.

(٤) كتاب صفين ص٣٦٠، وشرح النهج ١/ ٥٠٤.

الأحزاب ومعه راية رسول الله، ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كل ذلك يفتح الله له، ويفج حجته، وينصر دعوته، ويصدق حيثه، ورسول الله في تلك المواطن كلها عني راضٍ وعليك وعلى أبيك؟ وأنشدك الله يا معاوية أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر، وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق؟، أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لما همَّ أن يسلم تنهاه عن ذلك؟

يا صخر لا تُسلمن يوماً فتفضحنا
بعد الذين ببدر أجموا فرقا
خالي وعمي وعم الأم ثالثهم
وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر يكلفنا
والراقصات به في مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة له
عاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت... إلى أن قال: وأنتم أيها الرهط نشرفكم الله ألا تعلمون أن رسول الله لعن أبا سفيان لا تستطيعون ردها[1]...

بمعنى أن خاصة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون أن أبا سفيان هو قائد جبهة الشرك، وأن أولاد أبي سفيان، وسادات بني أمية كانوا أركان قيادة طوال فترة المواجهة على صعيدي الدعوة والدولة الإسلامية التي دامت ١٩ عاماً، وأنهم قد دخلوا في الإسلام مكرهين حرصاً على حياتهم، وفهمهم للإسلام، لم يكن قادراً على أن ينزع من نفوسهم الحقد الدفين على محمد وعلى آل محمد وعلى الإسلام، ورسول الله لم يؤمر بأن يحاكم الناس على النوايا، واكتفى ببيان حقيقة أبي سفيان وأولاده وأركان جبهة الشرك للمسلمين ليحذروا منهم فيما بعد.

---

(١) تذكرة الخواص للسبط الجوزي ص١١٥، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ١٠٢ وجمهرة الخطب ٤٢٨/١.

وقبل أن ينتقل الرسول الى جوار ربه، كانت بطون قريش وبقية الأحزاب تتحرك بالخفاء وترتب أوراقها لتعديل الترتيبات الإلهية لمرحلة ما بعد النبوة، بحيث تصرف الأمر عن أهل بيت النبوة ويختص الهاشميون بالنبوة وحدها لا يشاركهم بها أحد من البطون، وتختص البطون بالخلافة وحدها لا يشاركهم بها هاشمي، والطريقة المثلى لتحقيق ذلك هي:

١ ـ القبض على مقاليد الأمور بالقوة والتغلب والاغتصاب.

٢ ـ رفع شعار القرآن وحده يكفي تمهيداً لاخراج النصوص النبوية من الصراع، ولاخراج النبي من التأثير على سير الأحداث وهكذا كان، فما أن مرض النبي وأدرك قادة البطون أنه ميت من مرضه، حتى كشفوا عن حقيقة مخططهم، فما أن قال النبي قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، حتى وقفت البطون وقفة رجل واحد، وقالوا للنبي نفسه لا حاجة لنا بكتابك حسبنا القرآن، إنك مريض، وأنك تهجر، وتمكنوا من الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد.

وقد وثقت هذه الحقائق ونظرتها علمياً في كتاب كامل يقع في ٨٠٠ صفحة اسمه الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية، وفي كتابي نظرية عدالة الصحابة كشفت حقيقة المؤامرة[(١)].

بهذا المناخ تألق نجم أبي سفيان وولده وبنو أمية، لأن المؤامرة لن تنجح بغير استقطاب كل المعادين لمحمد ولأهل بيت محمد، وأبو سفيان وأولاده وبنو أمية على قائمة المعادين فمن الطبيعي جداً أن تتم الاستعانة بهم، والاستفادة من خبراتهم في معاداة النبي وأهل بيت النبوة، ولا بأس من اعطائهم بعض المكاسب.

عندما انتقل رسول الله الى الرفيق الأعلى، كان أبو سفيان يجمع الصدقات

---

(١) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ـ وضعت فيه النقاط على الحروف وباللغة القانونية ـ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ـ وللوقوف علمياً على حقيقة مؤامرة البطون لا بد من مطالعة هذين الكتابين ـ.

من بعض القبائل، فعاد ومعه الصدقات وعلم أبو سفيان أن أبا بكر بالتعاون مع عمر قد قبضا على مقاليد السلطة عملياً، وهما في طريقهما لتصفية المعارضة، فأراد أبو سفيان أن يحسّن واقعه السياسي وأن يحصل على مكاسب سياسية فقال: «اني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم يا آل عبد مناف، فيم أبو بكر من أموركم! أين الأذلان علي والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش، ثم قال لعلي: ابسط يدك أبايعك فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً»[1] فزجره علي ـ لأنه يعرف حقيقته ـ وقال له: «والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله لطالما بغيت للإسلام شراً لا حاجة لنا في نصيحتك»[2]. وجد أبو سفيان أن طريقة تخريب الإسلام ونظامه عن طريق علي مغلقة، وكانت السلطة متلهفة للتعاون مع أبي سفيان وأولاده وبني أمية ومع أي شخص يواليها بما فيهم المنافقون.

فقال عمر لأبي بكر: إن هذا أبو سفيان قد قدم وهو فاعل شراً، وكان النبي يستألفه على الإسلام فدع له ما بيده من الصدقات، ففعل أبو بكر، وترك لأبي سفيان ما جمعه من الصدقات[3].

وزيادة بتعميق ولاء البيت الأموي للنظام الجديد الذي قبض على مقاليد الأمور حتى قبل أن يُدفن النبي، اقترح عمر على أبي بكر أن يعيّن يزيد بن أبي سفيان قائداً للجيش الزاحف إلى بلاد الشام، وأن يعيّن معاوية ابن أبي سفيان نائباً لأخيه يزيد، ولأن أبا سفيان كان غائباً، ولم يكن يدري أن الأمويين قاطبة شركاء فعليين بالنظام الجديد، وأن كافة بني أمية من أنصاره، وأنهم قد رتبوا الأمور بالتعاون مع الخليفة ومع نائبه ترتيباً محكماً بحيث يكون أبو بكر هو الخليفة الأول، وعمر هو الخليفة الثاني، وعثمان هو الخليفة الثالث، بدليل أن عثمان بن عفان كان أول زعيم من زعماء المهاجرين قد بايع بدون تردد، وتبعه الأمويين

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ١٣٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٤٩.

قاطبة فبايعوا بيعة رجل واحد[1]، وبدليل أن عثمان عندما كتب العهد لعمر قال: «اني قد وليت عليكم»، ثم أغمي عليه، فكتب عثمان: اني قد وليت عليكم عمر ولم آلِكُمْ خيراً ولما استفاق أبو بكر من اغماءته شكر لعثمان ذلك، وقال له: والله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها[2].

وكان عثمان يدعى بالرديف، والرديف بلسان العرب هو الرجل الذي يأتي بعد الرجل، وتقول العرب ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم[3].

وهذا كله لا يمكن أن يتم عفوياً وبدون اتفاق مسبق، بين السلطة وبين الأمويين، ولكن لأن أبا سفيان كان غائباً، ولا يدري حقيقة الأمر تصرف بهذه الطريقة، ولما وقف على الحقيقة سعد وشكر السلطة، وعبّر عن ذلك بقوله «وصلته رحم» وهكذا تأسست عملياً بذرة الملك الأموي فيما بعد. واتحدت ثانية بطون قريش ضد البطن الهاشمي، والفرق أن بطون قريش عندما اتحدت ضد النبي، وضد بني هاشم اتحدت وهي تُعلن شركها، بينما اتحادها اليوم تم وهي تعلن اسلامها[4].

والخلاصة: أن أبا سفيان كان القائد العام لجبهة الشرك والعصيان، طوال فترة الدعوة النبوية التي استمرت ١٣ سنة منها ثلاث سنوات سرية وعشرة علنية، وكان هو القائد العام لجيش الشرك الذي حارب الرسول طوال ٨ سنوات، ولما أحيط به وأسلم مكرهاً، لم يتوقف عن الكيد للنبي وآله، ولم يرتح للنتيجة المؤقتة التي آلت اليها أموره.

أركان قيادة جبهة الشرك:

قلنا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان القائد العام لجبهة

---

(١) الإمامة والسياسية لابن قتيبة ص٢٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ٣/ ٦١ وسيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٥.

(٣) نظام الحكم لظافر القاسمي، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٣٣.

(٤) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٣٢ ـ ٣٣ و١٧٦ وما فوق.

الإيمان، وكان له أركان قيادة يساعدونه بقيادة جبهة الايمان وقد عرفناهم بالقدر اللازم لبحثنا.

وتبين لنا أن أبا سفيان هو القائد العام لجبهة الشرك والعصيان، الذي ناصب رسول الله العداء طوال مرحلتي الدعوة الاسلامية، وحاربه حرباً حقيقية طوال ٤ ـ ٥ سنوات، ولم يلق أبو سفيان سيفه حتى وجد نفسه محاصراً، فاستسلم وأسلم لينجو بروحه، وبدأ حرباً ضد الإسلام ونبيه من نوع جديد.

من هم أركان قيادة جبهة الشرك؟:

كان أبو سفيان هو القائد العام لجبهة الشرك، وكانت عنده هيئة أركان تساعده في قيادة جبهة الشرك، وتتألف هيئة الأركان تلك من مجموعة من الشخصيات المشركة التي كان لها قدم راسخة بمعاداة الإسلام، ومحاربة نبيه طوال مدة ١٨ عاماً ولم تلق السلاح حتى استسلم قائدها أبو سفيان فاستسلمت معه، وأبرز رجالات هيئة أركان الشرك هم:

١ ـ معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن أبي سفيان، وعتبة أبي سفيان، وحنظلة بن أبي سفيان: وهم الحلقة الأولى من أركان قيادة جبهة الشرك، وقفوا مع أبيهم وقفة رجل واحد طوال ١٨ عاماً، وقاوموا رسول الله، وقاوموا دين الإسلام بكل وسائل المقاومة، وعندما حدثت الحرب حاربوا الرسول وحاربوا دينه بكل فنون الحرب، وبعد ١٨ عاماً من المقاومة والعداء والحرب فوجىء القائد ـ بجبهة الشرك ـ أبو سفيان، وفوجىء أولاده بجند الله على مشارف مكة، فانهارت معنويات أبي سفيان واستسلم واضطر مكرهاً أن ينطق بالشهادتين، فغضب أولاده ولامه معاوية، وشجعه على عدم الاستسلام، وتعجب معاوية من أبيه كيف ينسى حنظلة وينسى دمه الذي سفكه علي ابن أبي طالب في بدر[1]، وكيف يدين بدين محمد، ونظم ذلك شعراً مثيراً، ولكن أبا سفيان، كان أعقل من أولاده وأبعد نظراً، فقد أدرك أنه لا طاقة له بجند الله، وأدرك أن الحرب مع

---

(١) تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص١١٥، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ١٠٢، وجمهرة الخطباء ٢/ ٢٢٨.

محمد ومع الاسلام حرب طويلة، وليست محصورة بأسلوب أو بأسلوبين، وأن الدنيا أكبر من أهلها، فمضى قدماً باستسلامه، ولم يعبأ بتقريع معاوية له، واضطر أولاده للاستسلام، واضطروا للنطق بالشهادتين، فعصموا دماءهم.

٢ ـ عتبة بن ربيعة، وهو جد معاوية، وشيبة بن ربيعة وهو خال معاوية، والوليد بن عتبة وهو ابن خال معاوية، والعاص بن سعيد، وعقبة بن معيط وقد قتلوا في بدر[١].

٣ ـ والحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وكان من أكثر الناس عداوة لرسول الله خلال مرحلتي الدعوة، وأشدهم حرباً لله خلال مرحلة الدولة، ثم صار طليقاً من الطلقاء، ولم يتوقف عن عدائه لرسول الله ولا عن كيده له، فنفاه رسول الله، وبقي منفياً طوال فترة حياة الرسول المباركة في المدينة، فلما توفي النبي، راجع عثمان أبا بكر ليعيده، فرفض أبو بكر، ولما توفي أبو بكر راجع عثمان عمر ليعيده فرفض عمر، فلما تولى عثمان الخلافة أعاده معززاً مكرماً، وأعطاه من بيت مال المسلمين ما حوله من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش[٢]، وكان الخليفة عثمان يحبه حباً شديداً بالرغم من كراهية الحكم للرسول، وكراهية الرسول له، وعندما مات الحكم أقام الخليفة عثمان على قبره فسطاطاً على عادة أهل الجاهلية باظهار الحزن[٣].

٤ ـ وكان ابنه مروان بن الحكم بن العاص من أركان قيادة الشرك، وقد قربه عثمان، وأعطاه ابنته، وجعله رئيساً لوزرائه، وكاتماً لأسراره، وأعطاه خمس غنائم افريقيا[٤] وأعطاه فدك بالوقت التي منعوها عن صاحبة الحق فيها وهي فاطمة الزهراء ابنة محمد[٥] وكان من أسباب قتل الخليفة عثمان، فيما

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٢٧، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٣٤، والإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ١/ ٣٤٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٤.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٣/ ٩١، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٥ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٥٦.

(٥) تاريخ أبي الفداء ١/ ٢٣٢، والعقد الفريد ٤/ ٢٨٣ وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ١٩٨، وسنن أبي =

بعد[1]، وهو الذي ساهم أعظم المساهمة بتكوين الملك، وصار فيما بعد خليفة المسلمين وملكهم، وصار أولاده من بعده خلفاء وملوك المسلمين، مع أن رسول الله قد لعنهم وحرّم عليهم أن يسكنوا المدينة معه[2].

٥ ـ الحارث بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس: وهو ابن عم الخليفة عثمان وأخو مروان، ويكفيه تعريفاً أنه ابن الحكم، وأخ مروان الذين لم يتوقفوا عن معاداة رسول الله قط لا في الجاهلية ولا في الإسلام، ولقد حوله الخليفة عثمان من فقير معدم الى غني مترف، وأضفى عليه الشرف، فزوجه ابنته عائشة، وأقطعه منطقة مهزوز «منطقة تصدق بها رسول الله على المسلمين» وأعطاه مائة ألف من بيت المال دفعة واحدة[3].

٦ ـ الوليد بن عقبة بن معيط: كان والده من أشد أعداء رسول الله خلال مرحلة الدعوة، وقد قتل في بدر صبراً، واستمر ابنه الوليد في معاداة الإسلام، ومحاربة نبيه حتى أسلم كما أسلم غيره من الطلقاء، ونطق بالشهادتين، ومع هذا لم يتوقف يوماً عن معاداة رسول الله ودينه، ومن حسن حظه أنه كان أخ الخليفة عثمان لأمه، فولاه عثمان ولاية الكوفة فيما بعد، وكان مشهوراً فيما بعد بالزنا وشرب الخمر[4]، صلى الصبح أربعاً بدلاًمن اثنتين وهو سكران وقصته مشهورة، وكان يقول هو ساجد: اشرب واسقني[5]، واضطر الخليفة عثمان أن يقيم الحد عليه[6]، وقد لعب دوراً بارزاً في تأسيس الملك الأموي وتثبيته.

= داود ٢/ ٤٩، وسنن البيهقي ٦/ ٣١٠.

(١) الإصابة ٣/ ٤٧٨.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٢٧، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٣٤، والإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ١/ ٣٤٥.

(٣) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ١/ ١٩٩.

(٤) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ٥/ ١٢٦.

(٥) الأعلام للزركلي ٨/ ١٢٢.

(٦) أنساب الأشراف ٥/ ٣٣، والأغاني للأصفهاني ٥/ ١٣٠، والغدير للأميني ٨/ ١٢٠، وسيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٥٥٢.

٧ ـ عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، كتب لرسول الله، وعرف الرسول أن الرجل خائن فطرده، فارتد عن الإسلام، وأخذ يشيع بين أهل مكة، بأنه كان يتلاعب بالقرآن، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللهُ﴾[١] وبعد أباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة، ولكن عثمان استأمن له من النبي فآمنه النبي في النهاية[٢] وهو ابن خالة عثمان[٣] وأخوه من الرضاعة[٤] وقد لمع نجم الرجل في خلافة عثمان، فأعطاه عثمان جميع ما أفاء الله عليه من فتح افريقية كلها دون أن يشرك فيه أحداً من المسلمين، ثم ولاه على مصر بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص[٥]، وهو كغيره من بني أمية من الطلقاء.

٨ ـ عبد الله بن عامر بن كُرَيْز الأموي: وهو من المشهورين بعداوته للنبي، وهو طليق من الطلقاء، لكنه ابن خال عثمان وقد ولاه البصرة، وعيّنه أميراً على فتوحات الشرق فلمع نجمه، وصار سيداً من سادات بني أمية، الذين ساهموا باقامة الحكم الأموي وتثبيت أسسه، وزعزعة أركان الإسلام[٦]

٩ ـ ومن أركان قيادة الشرك أبو جهل المخزومي، الذي كان ينافس أبا سفيان على قيادة جبهة الشرك، ويشغل نفوذ بني عبد مناف تفكيره، وقد قتل في معركة بدر[٧]، ومن أركان قيادة الشرك الوليد بن المغيرة، وهو والد خالد بن الوليد وأحد المستهزئين[٨]، وابنه خالد بن الوليد، وقد قاوم الوليد وابنه خالد

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ١٠٠، وأسد الغابة لأبن الأثير ٣/ ١٧٣، وتفسير الآية في الكشاف الأنعام/ ٩٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٤٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ١٠٠، وأسد الغابة لأبن الأثير ٣/ ١٧٣، وتفسير الآية في الكشاف الأنعام/ ٩٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٤٩.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ١٠٠.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٩٩.

(٦) أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ١٩١.

(٧) المغازي للواقدي ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٨) المرجع السابق.

الإسلام ونبي الإسلام بكل وسائل المقاومة خلال مرحلة الدعوة، وبعد قيام الدولة الإسلامية ونشوب معركة بدر، اشتعلت نيران الحقد في قلوب بني مخزوم على محمد وعلى آل محمد نتيجة قتل سادات بني مخزوم، ولعب خالد فيما بعد دوراً مميزاً في معركة أحد، وقلب موازين القوى لصالح المشركين، وكانت كراهيته لأهل بيت محمد ظاهرة، لذلك حالف أبا بكر وعمر، وساهم مساهمة فعّالة بقيام دولتيهما، وصرف الأمر عن أهل بيت محمد، وكان مستعداً أن يحرق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه بأعصاب هادئة، وهو يعلم أن فيه فاطمة بنت الرسول، وعلي ابن عم الرسول، والحسن والحسين ابناه، وصار فيما بعد قائداً عسكرياً من أعظم القادة العسكريين لحكومتي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، يفعل ما يشاء، وكان بامكانه أن يقتل أصحابه، وأن يتزوج زوجة المقتول منهم بنفس يوم وفاة زوجها وبدون عدة دون أن يتعرض لأي لوم، لدوره الكبير في تثبيت أركان تلك الحكومتين[1]، وعندما قاد معاوية جبهة العصيان ضد الإمام علي بن أبي طالب، وقف سادات بني مخزوم، وعلى رأسهم أولاد خالد بن الوليد مع معاوية لا حباً بمعاوية، ولكن كراهية لعلي ولبني هاشم، ولقد جزاهم معاوية بجزاء سنمار ـ فدسّ السُم لابن خالد بن الوليد[2].

١٠ ـ عمرو بن العاص بن وائل، كان أبوه شانئاً لرسول الله، وقد نعته الله بالأبتر، قال الرازي: إن العاص بن وائل كان يقول أن محمداً أبتر لا ابن له[3] وأمه ليلى بغي من أشهر بغايا مكة، وأرخصهنَّ أجرة، واقعها ستة رجال، ولما حملت ووضعت أخذ كل منهم يزعم بأن المولود ابنه، فأقرت بمواقعة الستة لها، وقالت: الحقوا المولود بأكثرهم شبهة به، فألحقوه بالعاص بن وائل[4]، وعده

---

(١) السيرة الحلبية ١/٣١٨ ـ ٣٢٠.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٢٩٥ والإصابة لابن حجر ٢/ ٢٣٦، تاريخ الطبري ٢/ ٢٨٠، والغدير ٢/ ١٥٩، تاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٨ وفيات الأعيان ٦/ ١٤، وكنز العمال ٢/ ١٣٢.

(٣) تفسير الرازي ٨/ ٥٠٣، والطبقات لابن سعد ١/ ١١٥، والمعارف لابن قتيبة ص١٢٤، وتاريخ ابن عساكر ٧/ ٢٣٠.

(٤) بلاغات النساء ص٢٧، والعقد الفريد ١/ ١٦٤، ودائرة المعارف لفريد وجدي ١/ ٢١٥، وجمهرة الخطب ٢/ ٣٦٣.

الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦هـ في كتابه مثالب العرب: ممن يدين بسفاح الجاهلية، وعده أبو عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩هـ في كتاب الأنساب من الأدعاء، وأكد الزمخشري ذلك في كتابه ربيع الأبرار[١]، وكذلك الحلبي في سيرته[٢]، وابن عساكر في تاريخه[٣]، وأعلن والده العاص عداءه لرسول الله ووقوفه ضده.

تبنى الابن عمرو مواقف أبيه، وتطرف بكراهيته لرسول الله، ولأهل بيته، ولبني هاشم. ولأن عمرو ذكي وطموح، لَمَعَ كواحد من أركان قيادة جبهة الشرك، فقاوم الرسول خلال مرحلة الدعوة كلها، وكان أحد مبعوثي بطون قريش الى النجاشي، لرد المهاجرين إلى الحبشة، طمعاً بفتنتهم عن دينهم، واختياره مبعوثاً، دليل عمق ولائه لقضية البطون، واشترك مع بطون قريش في كل المواقع التي حاربت تلك البطون فيها رسول الله، قال الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) لعمرو بن العاص في حضور معاوية: «لقد قاتلت يا عمرو رسول الله في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته في مكة، وكدته كيدك كله، وكنت من أشهر الناس له تكذيباً وعداوة، ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة، لتأتي بجعفر وأصحابه الى مكة، فلما أخطأت ما رجوت، ورجعك الله خائباً، وأكذبك واشياً، جعلت حسدك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به الى النجاشي حسداً، لما ارتكب من حليلته، ففضحك الله وفضح صاحبك، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام، ثم إنك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسبعين بيتاً من الشعر فقال رسول الله: «اللهم اني لا أقول الشعر، ولا ينبغي لي فيه، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من اللعن»...

ويروى أن النجاشي قال لعمرو: «ويحك يا عمرو أطعني واتبع

---

(١) الغدير للعلامة الأميني ٢/ ١٤٥ وما فوق، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ١٠١.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠.

(٣) تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص١٤، وشرح النهج ٢/ ١٠٣، وجمهرة الخطب ٢/ ١٢، والغدير للعلامة الأميني ٢/ ١٦٠ وما فوق.

محمداً»[١] . . ولكن عمر تردد، ورصد مصالحه، ثم أدرك بدهائه وذكائه أن كفة محمد قد رجحت، وأن محمداً سيغلب بطون قريش، وتستسلم تلك البطون عاجلاً أم آجلاً، وشاور عمرو معاوية، وبيّن لمعاوية أن مصلحته تقتضي الالتحاق بمحمد، فقال له معاوية: «يا أبا عبد الله اني لأكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا»[٢] . . ولكن الرجل سار الى النبي ونطق بالشهادتين، وهو يحمل قناعات الشرك، وحسد البطون لبني هاشم، وآثاراً نفسية عميقة لثارات ودماء سالت. ومن الطبيعي أن النبي لا يحاسب على النوايا، وأنه سيقبل ظاهره ويكل باطنه لله، وأنه سيشجع توجهه نحو الإسلام، ويدخل النبي عاصمة الشرك، ويستسلم أبو سفيان وأبناؤه ومعاوية منهم، ويلتقي الصديقان في دائرة الإسلام، ويخططان معاً. قال زيد بن أرقم: «غزا رسول الله غزوة، ومعه معاوية، وعمرو، فرآهما مجتمعين، فنظر اليهما نظراً شديداً ثم رآهما في اليوم الثاني، واليوم الثالث، كل ذلك يديم النظر اليهما، فقال في اليوم الثالث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين، ففرقوا بينهما، فإنهما لن يجتمعا على خير»[٣].

ولم يطل مقام النبي بعد نصر الله له والفتح، فمرض، وأراد أن يلخص الموقف، فتصدّى له عمر بن الخطاب كما يروي البخاري ومسلم وقال: عندنا كتاب الله، ولا حاجة لنا بكتاب آخر، وردد أعوانه من خلفه: القول ما قال عمر إن النبي يهجر «حاشا له»، ونجح عمر واتباعه بالحيلولة بين النبي، وبين كتابة ما أراد[٤]. ومن المثير للدهشة حقاً أن بني أمية قاطبة، وعمرو بن العاص، وكل الطلقاء كانوا مع عمر ومع أبي بكر، وضد بني هاشم، وضد الإمام علي، ومع مبدأ الحيلولة بين أن يجمع الهاشميون مع النبوة الخلافة، وهكذا اتحدت البطون

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣١٩.
(٢) شرح النهج ١/ ١٣٧.
(٣) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص١١٢، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ٢٩٠.
(٤) كتابينا نظرية عدالة الصحابة ص٢٧١ وما فوق تجد الوقائع موثقة والخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص١٦١ وما فوق تجد تنظير هذه الوقائع.

مرة ثانية ضد محمد، وضد بني هاشم، ولكن هذه المرة تحت مظلة الإسلام. أما المرة الأولى فقد اتحدت البطون ضد محمد وضد بني هاشم ولكن تحت مظلة الشرك!!!

وصار عمرو قائداً من قادة جيوش الخليفة، وتألق نجم الرجل، وتوطد سلطانه، وكثر ماله، وتربع على ولاية مصر طوال عهدي أبي بكر وعمر، وجاء عثمان وعزله بعد فترة من بدء خلافته.

وولى عبد الله بن أبي سرح مكانه، فنقم على عثمان وأخذ يحرض على قتله، وبعد أن قتل عثمان وبويع الإمام علي، أدرك أن نجمه آفل لا محالة، وبعد مشاورات بينه، وبين معاوية، وبعد مساومات انتهت بأن تكون: مصر لعمرو بن العاص، والخلافة لمعاوية[1]، ومضى الحليفان قدماً، ونجحا بالخروج من الشرعية، وبتفرق الخاصة وجهل العامة.

لما رفعت المصاحف على الرماح يوم صفين، قال علي عليه السلام: «عباد الله أنا أحق من أجاب الى كتاب الله، ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين، ولا قرآن، اني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال، وشر رجال.. وما رفعوها إلا خدعة ومكيدة»[2]، وبالايجاز كان عمرو بن العاص أحد أركان قيادة جبهة الشرك، وأحد الذين أشربوا في قلوبهم حسد وكراهية محمد وبني هاشم. وبعد الحرب الدموية، أضافوا للحسد والكراهية، الحقد الدفين لمحمد ولآل محمد. وبعد أن رجحت كفة النبي، في صراعه المرير مع بطون قريش، وأغلقت كل الأبواب إلا باب الإسلام، أظهروا الخير للنبي،

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص٢٠ ـ ٢٤، والكامل للمبرد ١/ ٢٢١ وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ١٣٦ ـ ١٣٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦١ ـ ١٦٣، وقصص العرب ٢/ ٣٦٣، والغدير للعلامة الأميني ٢/ ١٥٠ وما فوق.

(٢) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص٢٦٤.

وبقيت مشاعرهم نحو آل محمد كما هي. وقد صدق عمرو بن العاص عندما تمثل بهذا البيت:

وقـــد نبـــت المـــرعـــى على دمـــن الثـــرى
وتبقـــى حـــزازات النفـــوس كمـــا هيـــا[1]

(1) كتاب صفين لابن مزاحم ص١٨٢، والكامل للمبرد ١/ ١٨١، ومروج الذهب للمسعودي ٢/ ٥٧ ـ ٥٩، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ١٧٦.



الفصل الخامس:

مراحل المواجهة

ربط الموضوع:

بدأت المواجهة الفعلية مع النبي وآله الأكرمين فور اعلانه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لبشائر النبوة، والرسالة، والكتاب، وولاية العهد، وبالتحديد بعد أن انفض الاجتماع الذي عقد في بيت النبي بناءً على دعوة منه، والذي ضم بني هاشم، حيث أعلن النبي في هذا الاجتماع أنباء النبوة والرسالة والكتاب اعلاناً خاصاً لرهطه الأقربين، وحيث تم تعيين السيد الهاشمي علي بن أبي طالب ولياً لعهد النبي، اماماً ومرجعاً من بعده[1]، ولسريع ما شاعت وقائع هذا الإجتماع وانتشرت، وبعد أن أحيط سكان مكة علماً بوقائع هذا الاجتماع وتفصيلاته، انقسم المجتمع المكي الى قسمين متناقضين، أو جبهتين متواجهتين:

الجبهة الأولى: وتتألف من النبي والهاشميين وبني عبد المطلب، وهي الأقل عدداً ويتزعمها النبي محمد وعلي بن أبي طالب ولي عهده وابن عمه، ومن أبرز أركان هذه الجبهة اطلاقاً عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب وهو عم الرسول وكافله[2] وجعفر بن أبي طالب وهو ابن عم الرسول، وحمزة بن عبد المطلب وهو عم الرسول أيضاً. وكانت بطون قريش تعتبر الذين أسلموا جزءاً من هذه الجبهة.

---

(١) عشرات المراجع التي ذكرناها في البحوث السابقة تحت عنوان صيغ تعيين ولي العهد أو الإمام من بعد النبي كالخصائص للنسائي ص١٨، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٢٠ وتاريخ الطبري ١/ ٢١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤.

الجبهة الثانية: وتتألف من بطون قريش الـ٢٣[1] بقيادة البطن، الأموي ويتزعم هذه الجبهة رسمياً صخر بن حرب بن أمية المكنى بأبي سفيان، ومن أبرز أركان قيادته أولاده معاوية ويزيد وحنظلة وعتبة، وسادات بني أمية كعتبة، وشيبة، والحكم بن العاص، ومروان بن الحكم بن العاص، وعقبة بن معيط، والوليد بن عقبة، والعاص بن وائل، وابنه عمرو بن العاص، وأبو جهل المخزومي، والوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد، وسادات بطون قريش الـ٢٣[2]، وهذه الجبهة هي الأكثر عدداً وهي التي استطاعت أن تستقطب عطف العرب، وأن تقاوم النبي ودينه وأهل بيته طوال مرحلة الدعوة العلنية التي استمرت عشر سنين في مكة، وجيشت الجيوش، وحاربت النبي وأهل بيته ودينه بعد الهجرة ثماني سنوات، حرباً حقيقية، وفي كل المواقع، ولم ترم البطون سلاحها إلا بعد أن أحيط بها، وحصرت في جزيرة من الشرك، وأغلقت بوجهها كل الأبواب، ولم يبق أمامها إلا باب الاسلام فدخلته مكرهة.

مراحل المواجهة:

مرت المواجهة بين هاتين الجبهتين بعدة مراحل:

المرحلة الأولى: بدأت هذه المرحلة من اليوم الذي أعلن فيه النبي أمام المجتمعين في منزله من بني هاشم أنباء النبوة والرسالة والكتاب، واختياره لولي عهده والإمام من بعده، وامتدت الى اللحظة التي هاجر فيها رسول الله من مكة إلى المدينة بعد نجاته من مؤامرة البطون التي كانت تهدف لقتله قبل الهجرة بقليل. ومدة هذه المرحلة عشر سنين، بمعنى أن النبي عندما تلقى كلمة الوحي، كان يدعو الى ربه سراً من يغلب على ظنه استجابتهم لدعوته، وكان أتباعه يمارسون عبادتهم سراً، واستمرت المرحلة السرية ثلاث سنين، وسمع الملأ من بطون قريش شائعات، مفادها أن فتى عبد المطلب يُكلَّم من السماء، وانتشرت هذه الشائعات بين سكان مكة، ولكن السكان لم يقطعوا الشك باليقين حول صحة

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٢) السيرة الحلبية ١/٣١٨ـ٣١٩.

هذه الشائعات أو عدم صحتها، إلا بعد صعوده - صلى الله عليه وآله وسلم - على الصفا واعلانه للنبأ العظيم[1]، وبعد أن انتشرت وقائع اجتماع الهاشميين في بيت النبي، واعلانه لبشائر النبوة والرسالة والكتاب، واختياره علي بن أبي طالب ولياً لعهده، هنالك بالذات، بدأت المرحلة الأولى من المواجهة، وهي مرحلة الدعوة العلنية في مكة والتي امتدت عشر سنين، مبتدئة بالاعلان عن النبأ العظيم، ومنتهية بنجاح النبي بالهجرة من مكة إلى المدينة[2].

وتتميز هذه المرحلة بأنها مواجهة مضغوطة، ونفسية بطابعها العام، فقد فهمت بطون قريش الـ٢٣ جدية الموقف الهاشمي، وعزم الهاشميين على حماية النبي ودعوته، وأن الهاشميين سيقاتلون حتى آخر رجل منهم إذا ما قامت البطون بقتل محمد[3]، لذلك لجأت البطون الى المفاوضات والإغراء[4] وحصار ومقاطعة بني هاشم لتحملهم على التخلي عن محمد لتنفرد به وتقتله، وشنت على النبي وعلى دينه حملات اعلامية منظمة، واستغلت البطون نفوذها الأدبي عند العرب وصدت عن سبيل الله، ونفرتهم من رسوله[5]، وضيقت على الذين اتبعوه من أبناء البطون، وعذبت من لا بطون لهم تحميهم عذاباً أليماً[6]، وبذلت جهودها لإرجاع الذين هاجروا إلى الحبشة، لتفتنهم عن دينهم[7]، وفكرت جدياً بقتل النبي سابقاً ولكنها تخلّت عن فكرة قتله أمام جدية الموقف الهاشمي[8].

---

(١) الطبقات لابن سعد ١/ ٢٠٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦ وما فوق.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٥، وسيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٩٦ وما فوق، مؤسسة البلاغ، وتاريخ ابن الأثير ١/ ٩٧ وما فوق.

(٣) الطبقات لابن سعد ١/ ٢٠١ - ٢٠٣، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤، والسيرة الدحلانية ص٣٠٥ - ٣٠٨، والسيرة الحلبية ١/ ٣٢٢، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢١٩.

(٤) الغدير للعلامة الأميني ٧/ ٤٠٠.

(٥) الطبقات لابن سعد ١/ ٢١٦ - ٢١٨ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢١٥.

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٦٦ - ٧٠، وسيرة الرسول وأهل بيته مؤسسة البلاغ ١/ ٧٣ وما فوق.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٨ - ٣٦١، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٥٦، والسيرة الحلبية ١/ ٣٣٨، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢١٩.

(٨) الطبقات لابن سعد ١/ ٢٤٣ - ٢٤٤، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤، والسيرة الدحلانية ص٣٠٥ - ٣٠٨، والسيرة الحلبية ١/ ٣٢٢، والغدير للعلامة الأميني ٧/ ٣٨٩ وما فوق.

ولما أيقنت باسلام جزء من أهل يثرب، ومن عزم النبي على الهجرة، اتفقت بطون قريش على اختيار عدد متساو من رجالات البطون ليشتركوا بقتل النبي، وليضربوه ضربة رجل واحد، فيضيع دمه بين البطون، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، وشرعوا بالقتل فعلاً ليلة هجرة النبي، ولكن الله نجى نبيه، وأفشل مخططات ومؤامرة البطون[١]، وبهذه الهجرة انتهت المرحلة الأولى من المواجهة.

المرحلة الثانية:

بدأت هذه المرحلة من اليوم الذي نجا فيه النبي من مؤامرة القتل، ومن وصوله إلى المدينة المنوّرة، وامتدت هذه المرحلة حتى صلح الحديبية[٢].

وفي هذه المرحلة قويت جبهة الإيمان باسلام من أسلم من الأنصار، وكثر عدد الداخلين في دين الإسلام، وتجمعت أكثريتهم في بقعة جغرافية واحدة، صارت بمثابة اقليم للدولة الاسلامية، وهي المدينة المنوّرة، وصارت للمسلمين دولة حقيقية ترأسها رسول الله بنفسه، وتولت هذه الدولة تنظيم وقيادة المواجهات العسكرية التي جرت بين جبهة الإيمان، وبين جبهة الشرك، وسيرت الدولة الإسلامية العديد من السرايا العسكرية التي لم تعهدها جزيرة العرب من قبل، ودخلت الدولة الإسلامية الفتية بحروب طاحنة مع بطون قريش[٣]، وخلال هذه الفترة كانت البطون ترفض التفاوض مع النبي، وترفض الإعتراف بكيانه، وتستمر في حملاتها الإعلامية الفاجرة ضده وضد الإسلام، وتحاربه بكل وسائل الحرب، مستعملة نفوذها الأدبي عند العرب لصدهم عن الإسلام ونبيه.

وفي هذه المرحلة ظهرت ظاهرة النفاق، وتتمثل بالتظاهر بالإسلام، والقيام ظاهرياً بكل ما يأمر به الإسلام من صلاة وصيام وكلام، واخفاء الحقد على النبي

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٧١ وما فوق والمغازي للواقدي ٢/ ٥٧١.

(٣) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٣١ وما فوق، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٨ وما فوق، وكتاب المغازي للواقدي الجزء الأول والثاني، وتاريخ الطبري الجزء الثاني والثالث.

وأهل بيته، والكفر بدينه، وتربص الفرص لنقض كلمة الإسلام من أصولها، وأصبح المنافقون قوة رهيبة، ولكن فاعليتها كانت ملجومة بوجود النبي، وقبول المسلمين بقيادته وولايته، كانت مشكلة النفاق من أكبر المشكلات، ومن المدهش أنه بعد موت النبي، اختفت كلمة النفاق، وتبخر المنافقون وكأنهم كانوا ينتظرون موت النبي ليصلحوا أنفسهم قبل أن يرتد اليك طرفك!!!

وعلى الرغم من أن مشكلة النفاق والمنافقين كانت عصية على الحل، إلا أن رسول الله قاد سفينة الإسلام بتلك الظروف بكفاءة لا مثيل لها.

ومهما انشغل النبي، فلن ينشغل عن مكة، ففيها بيت الله الحرام، القاسم المشترك بين قبائل العرب، ومع هذا فإن المشركين حولوا مكة إلى عاصمة للشرك، وقاعدة لجبهة الشرك، يتم فيها التدبير والتخطيط للصد عن سبيل الله، وقد اكتوت بطون قريش بنار الحرب، وتعرضت طرق تجارتها للخطر، وهي لا تفكر اطلاقاً بالإعتراف بمحمد وأتباعه، أو بالتفاوض معه.

فقرر صلى الله عليه وآله وسلم بعد رؤيا مباركة أن يؤدي العمرة ومعه عدد من أصحابه، وفوجئت بطون قريش بقدوم النبي وأصحابه، وفوجئت بقرار العمرة، وأصرت على منع النبي من أداء العمرة، ولكنها اضطرت أن تتفاوض معه لأول مرة، وانتهت المفاوضات «بصلح الحديبية»، ونتيجة هذه المعاهدة اعترفت بطون قريش بمحمد وآله وأتباعه، ولأول مرة ككيان سياسي، يقف معها على قدم المساواة، واعترفت بحق هذا الكيان باستقطاب ما يشاء، وبالتحالف مع من يشاء، ورفعت حصارها الأدبي عن العرب، وأعلنت ولأول مرة بأن لقبائل العرب الحرية باختيار التحالف معها، أو مع خصمها محمد، وقد اعتبر صلح الحديبية هو الفتح الحقيقي المبين لمكة، وبداية لتحالف جبهة الشرك المكونة من بطون قريش الـ٢٣ بقيادة البطن الأموي، بالإضافة لما استأجرت تلك البطون من الأحابيش، وتم صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة النبوية[١].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٧١ وما فوق، والمغازي للواقدي ٢/٥٧١ وما فوق، تجد تفصيلات صلح الحديبية.

وخلال هذه المرحلة شهدت المواجهة الطويلة بين محمد وآله، وبين بطون قريش حالة من الانفراج، وأتيحت الفرصة للنبي لإقامة تحالفات مع بعض القبائل، وللدعوة السلمية المسلّحة بالقوة والحجة الشرعية والعقل والمنطق، وحوافز المصلحة العاجلة والآجلة. كما أقيمت له الفرصة للقضاء نهائياً على الخطر اليهودي الذي لا يقل بشاعة عن خطر المشركين ففتح حصون خيبر[1] وغنم ما فيها، وأصلح أمور مجتمعه بما غنم، وسير بعض السرايا العسكرية الى القبائل المعاندة والمترددة[2]، وأوجد حالة من التماس مع الغساسنة أتباع الاكاسرة[3]، ورتب الكثير من أموره الداخلية خلال فترة سريان معاهدة الحديبية.

المرحلة الثالثة:

بدأت من فتح مكة بعد نقض معاهدة الحديبية في السنة الثامنة للهجرة، واستمرت حتى مرض الرسول مرضه الذي مات منه.

لم يرق طعم السلم لبطون قريش التي اتخذت من عداوة محمد وآله عقيدة تدين بها، واكتشفت تلك البطون أنها أوقعت نفسها بمطب قاتل، وعبدت الطريق أمام من تعتبره عدوها وتصورت أن الأمر لعبة، فنقضت تلك البطون معاهدة الحديبية[4]، عندئذٍ وجد النبي أن الفرصة مؤاتية والظروف مهيأة، فعزم على أن يفتح مكة، وأن يعلن انهيار جبهة الشرك وهزيمتها الساحقة النهائية، وأن يجبر قائد هذه الجبهة وأركان قيادته على الاستسلام، ولتحقيق هذه الأهداف جهز الرسول عشرة آلاف مقاتل، ورتب أموره ليفتح مكة، ويحقق الأهداف التي رسمها بدون اراقة دماء، وهكذا كان وبفتح مكة انهارت عملياً جبهة الشرك، وحذف هذا المصطلح من الخارطة السياسية نهائياً، واستسلم قائدها العام أبو

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٩١ ـ أحداث السنة السابعة ـ.

(٢) المغازي للواقدي ٢/ ٧٢٢ و٧٢٣ و٧٢٦ و٧٣١ و٧٥٠ و٧٥٢ و٧٥٣ و. . . حتى ٧٧٧، وتاريخ الطبري ٣/ ٩١ أحداث السنة السابعة والثامنة.

(٣) المغازي للواقدي ٢/ ٧٥٥، وتاريخ الطبري ٣/ ١٠٧.

(٤) المغازي للواقدي ٢/ ٦١٥ وما فوق، وتاريخ الطبري ٣/ ١١٠ ـ أحداث السنة الثامنة ـ.

سفيان مع أركان قيادته أولاده: معاوية ويزيد وعتبة، وسادات بني أمية، وسادات البطون، وكان تصرف النبي مع المغلوبين، بحجم خلقه العظيم، فقال لقادة جبهة الشرك ولمن والاهم من سكان مكة: اذهبوا فأنتم الطلقاء[1]، والتصق نعت الطلقاء بهم، ولم يقووا على التخلص منه حتى بعد أن نجح انقلابهم فيما بعد، وقبضوا على مقاليد الأمور بالقوة والتغلّب، وصاروا رسمياً قادة المسلمين بقوة السلاح!!!

وبفتح مكة تغيرت الخارطة السياسية كلياً، وأصبحت الدولة الاسلامية هي القوة الحقيقية الوحيدة في بلاد العرب، وسمع كل العرب باستسلام قادة بطون قريش، وشعرت قبائل العرب أنها صارت في حل من مجاملة البطون، وأنه ليس هنالك ما يحول بينهما، وبين ادراك مصالحها، من خلال استسلامها، أو اسلامها بعد أن بهرتها العبقرية المحمدية، وتوصلت الى قناعة عقلية مفادها «أن آلهة العرب جميعاً آلهة زائفة، وأن الإله الحقيقي هو إله محمد، والأقرب أن محمد رسول الله، وأن مصالحها تقتضي القرب من الرجل، وأن تستسلم له أو تسلم معه، فاتجهت اليه كل القلوب بقوة الإنبهار، وحوافز البحث عن الحلم المفقود.

واغتنم النبي الفرصة، وأراد أن يصفي ما تبقى من أوكار الشرك، فاتجه الى حنين ومعه كثرة كاثرة من المسلمين سكرى بزهو النصر، وفاجأهم عدوهم فولوا مدبرين، ولكن النبي وأهل بيته ثبتوا، حتى استعادت جموع المسلمين روعها، فكرّت بعد فر والحقت الهزيمة بعدوها[2]، واتجهوا الى الطائف آخر معاقل الشرك، فتحصن بها أهلها فحاصرهم النبي، ثم قرر أن الطائف قد سقطت عملياً، وأن أهلها أتوه يوماً فتركها[3]، وقسم الغنائم بين الناس، وعاد الى المدينة المنورة، يغمره السرور بنصر الله والفتح، وما أن استقر قليلاً حتى بدأت الوفود

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٨٣٧ وما فوق ـ وقائع الفتح بعد دخول جند الله لمكة ـ، وتاريخ الطبري ٣/ ١١٧، أحداث السنة الثامنة ـ، وطوال التاريخ ومسلمة مكة يعرفون بالطلقاء، راجع الرسائل التي أرسلها الإمام علي لمعاوية، ورسائل قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن العباس.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٠ وما فوق، ومغازي الواقدي ٣/ ٨٨٥ ـ ٩٢٢ وما فوق.

(٣) مغازي الواقدي ٣/ ٩٢٢ وما فوق، وتاريخ الطبري ٣/ ١٢٨ ـ ١٣٩.

تتقاطر عليه، معلنة استسلامها أو اسلامها على يديه[1]، وخلال تلك الفترة كان النبي يتفقد ما بقي من جيوب الشرك، ويرسل سراياه وبعوثه ورسله، لتطهيرها وهداية أهلها. وارتاحت نفسه الشريفة وهو يرى أن بلاد العرب قد توحّدت، ولأول مرة في التاريخ، وبكلفة بشرية لا تتجاوز أربعمائة قتيل، وبمدة زمنية لم تتجاوز تسع سنين واطمأن قلبه الطاهر وهو يرى دين الإسلام قد أصبح ديناً لكل سكان بلاد العرب، وصرّح علناً بأن الشيطان قد يئس من أن يعبد في بلاد العرب.

لقد أقلقت هذه الانجازات الهائلة مضاجع قادة الدولتين الأعظم آنذاك خاصة الأباطرة، وأشيع بأن الروم قد حشدوا جيشاً كبيراً، فاستنفر رسول الله المسلمين، وجهز حملة كبرى قوامها ثلاثين ألف مقاتل معهم (١٥ ألف) بعير، وعشرة آلاف فرس في ظروف صعبة، وسار بهذا الجيش قرابة ٥٠٠ كيلومتر ووصل الى تبوك[2]، وأخضع دومة الجندل، ووطد سلطان الاسلام بهيبته، وأحجم الروم عن ملاقاته بعد أن قذف الله في قلوبهم الرعب، وحققت الغزوة أهدافها النفسية، فضلاً عن الكم الهائل من العبر والأسرار، فقد جمعت غزوة تبوك الأخيار والأشرار، وثبت للأخيار بأن الذين أجرموا يحقدون على محمد وعلى آل محمد، وأن النبي وآله لو فتحوا أقطار الدنيا، وملكوها للمجرمين، فلن يرضوا عن محمد وآل محمد، بالوقت الذي يتلفظ فيه أولئك المجرمون بالشهادتين ويدعون الإسلام!! وأكبر دليل الآيات القرآنية النازلة في غزوة تبوك والتي فضحتهم، ومؤامرتهم الدنيئة على قتل النبي في طريق عودته من تبوك[3]، والمثير للدهشة حقاً، أنهم بنفس الوقت الذي كانوا يعدون فيه مؤامرة قتل النبي، كانوا يبنون مسجداً ويرجون من النبي أن يفتحه لهم تبركاً به[4].

ولما قيل للنبي لِمَ لا تقتلهم؟ قال الرسول: «اني أكره أن يقول الناس أن محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه».

(١) تاريخ الطبري ٣/ ١٣٩ وما فوق، والمغازي للواقدي ٣/ ٩٤٩ وما فوق.

(٢) وقائع الحملة في المغازي للواقدي ٣/ ٩٨٩ ـ ١٠٦٠، وتاريخ الطبري ٣/ ١٤٢ ـ ١٧٥.

(٣) الآيات النازلة في غزوة تبوك كما ذكرها الواقدي في المغازي ٣/ ١٠٢٢ و١٠٦٠ وما فوق.

(٤) تفاصيل المؤامرة في المغازي للواقدي ٣/ ١٠٤٢ ـ ١٠٤٤.

فقيل: «يا رسول الله فهؤلاء ليسوا بأصحاب» قال الرسول للسائل: «أليس يظهرون أنه لا إله إلا الله»؟ قال السائل: «بلى ولا شهادة لهم» قال النبي: «أليس يظهرون أني رسول الله؟» قال السائل: «بلى ولا شهادة لهم» ولم يستوعب السائل فقال النبي: «قد نهيت عن قتل أولئك»[١].

بمعنى أن هذا الصنف من المسلمين يتلفظ بالشهادتين، ويمارس كل الأعمال الظاهرية التي تدل ظاهرياً على اسلامه، ولكنه بنواياه وبقلبه كافر بكل ذلك، ويخرج عن صلاحية النبي أن يحاكم الناس على نواياهم وما في قلوبهم!! ولكن النبي يكشف صفاتهم للمخلصين حتى يحذرهم ـ المسلمون ـ فلا يقعوا في أحابيلهم ولا ينخدعوا بمظاهرهم، لأنهم هم العدو الحقيقي. ولم يتوقف النبي في هذه المرحلة عن ترسيخ العقائد، وبيان الطريقة المثلى، لكشف المنافقين وعزلهم، بعد أن أصبحوا خطراً حقيقياً يتهدد الإسلام ومستقبله، وفي هذه المرحلة حج النبي حجة الوداع[٢]، وقال للناس: أنها حجة الوداع، وأنه لن يلقاهم ثانية، وبعد انتهاء مراسم الحج وعودة الناس، جمعهم النبي في مكان يدعى: غدير خم ليس في بلاد العرب مكان آخر يحمل هذا الاسم، وأعلن أمامهم ولاية الإمام علي، وامارته على المؤمنين، وتوَّجه بتاج الإمارة، وطلب من الحاضرين أن يقدموا له التهاني بالإمارة وهكذا كان[٣]. وكان أبو بكر وعمر أول المهنئين[٤]، وما أن استقر قليلاً حتى أمر بتجهيز بعث أسامة، وكلف أبو بكر

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) المغازي للواقدي ٣/ ١٠٨٨.

(٣) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٧٥ ح٥٧٥ و٥٧٧ و٥٧٨، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص١٨ ح٢٤، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٩٤، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/ ٢٩٠، وسر العالمين لأبي حامد الغزالي، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٢٤، والحاوي للفتاوى للسيوطي ١/ ١٢٢، ذخائر العقبى ص٦٧، فضائل الخمسة ١/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ١٩٧، وتفسير الفخر الرازي الشافعي ٣/ ٦٣، وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٢٩، ومشكاة المصابيح ٣/ ٢٤٦ والغدير للعلاّمة الأميني ١/ ٣١٩.. الخ.

(٤) المصادر السابقة.

وعمر أن يلتحقا بالبعث ولعن من يتخلف عن بعث أسامة[1].

ثم مرض مرضه الذي مات منه، وهو على فراش المرض أراد أن يلخص الموقف لأمته ليجنِّبها شرور العواصف التي تتربّص وتنتظر موت النبي حتى تنقض وتقتلع كل شيء من جذوره، فقال لمن حوله: قربوا اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، وما أن سمع عمر كلام رسول الله حتى قال: «حسبنا كتاب الله» بمعنى أن المسلمين ليسوا بحاجة إلى كتاب رسول الله، لأن القرآن عندهم، وما أن أتم عمر جوابه حتى قال رجال عمر بصوت واحد: القول ما قاله عمر. ولما أبدى بعض الحضور استغرابهم قال رجال عمر: أن النبي قد هجر ـ حاشا له ـ وقال عمر: أن النبي قد هجر، وهكذا حالوا بين الرسول، وبين كتابة ما أراد، وصعدت الروح الطاهرة الى بارئها وانتهت تلك المرحلة[2].

المرحلة الرابعة:

وبدأت منذ اللحظة التي حالوا فيها بين رسول الله وبين كتابة ما أراد وامتدت حتى قتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث، ويبدو أنه قد تم الإعداد الدقيق لصنع تاريخ هذه المرحلة وبتروّي أثناء حياة النبي، فقول النبي: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده»، لا يستدعي نفور عمر ورده الفوري: «لا حاجة لنا بالكتاب حسبنا كتاب الله»، ولما أبدى بعض الحاضرين دهشتهم من رد عمر، قال أتباع عمر: «القول ما قاله عمر»، وأمام وجود أصوات تطالب بأن تتاح الفرصة لرسول الله ليكتب ما يريد قال أتباع عمر بصوت واحد إن النبي يهجر وأكثروا

(١) لا خلاف بين أحد من أهل الملة بأن رسول الله قد لعن من يتخلّف عن بعثة أسامة، وأن أبا بكر وعمر كانا في هذه السرية راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ٩٣، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣١٧ وطبقات بن سعد ٢/ ١٩٠، وشرح النهج ١/ ٥٣ و٢/ ٢١، وكنز العمال ٥/ ٣١٢، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٤/ ١٨٠، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦.

(٢) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٨٧ وما فوق، وصحيح البخاري ١/ ٣٧، ٤/ ٣١، ٥/ ٦٥ ـ ٦٦، و١٣٧، ٧/ ٩ ـ كتاب المرضى باب قول المريض قوموا عني، ٨/ ١٦١، وصحيح مسلم بشرح النووي ـ ٢/ ١٦، ٥/ ٧٥ ـ في آخر كتاب الوصية ـ، ١١/ ٩٤ ـ ٩٥ (بشرح النووي)، ومسند الإمام أحمد ١/ ٢ و٣٥٥، ٣/ ٢٨٦، ٤/ ٣٥٦ ح٢٩٩٢، وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣.

اللغط[1]، ومن يجرؤ أن يقول في حضرة النبي انه هجر غير عمر، فلو لم يقل عمر أولاً بهجر النبي، لما تجرّء الذين معه على ترديد هذه الكلمة النابية والقاسية[2]، وباختصار من غير الممكن عقلاً أن تلد هذه المقدمة مثل هذه النتيجة، وأن يكون هذا التوافق بين عمر والذين تضامنوا معه وليد لحظته!!

والظاهرة الثانية أن كل بطون قريش الـ٢٣ وقفت وقفة رجل واحد، وشكلت جبهة واحدة بمواجهة أهل بيت النبوة وبني هاشم، فمن غير الممكن عقلاً أن تكون هذه الوقفة ثمرة تصور آني!!! وأنت تلاحظ أن هذه البطون قد وقفت مجتمعة ضد النبي وحاربته وحاربت دينه وحاربت الهاشميين بكل وسائل الحرب طوال ١٨ عاماً، حتى أحيط بها فسلمت أو استسلمت ونطقت بالشهادتين كارهة، واليوم تدعى هذه البطون بأنها الأولى بالإمارة، لأن محمداً من قريش!! أما رهطه بني هاشم الذين حاربوا ووقفوا معه طوال حياته والذين قاطعتهم هذه البطون نفسها، وحاصرتهم بسبب موالاتهم لمحمد، فليس لهم من الأمر شيء[3].

والمدهش أن كل المنافقين وقفوا مع بطون قريش وقفة رجل واحد، وصاروا بقدرة قادر من المؤمنين، وكأنهم كانوا ينتظرون موت النبي حتى يهتدوا بيوم وفاته!!

وقبضت البطون على مقاليد الأمور، ووقع الخلاف بين الأنصار، واكتشفوا بأنهم أمام تجمع قبض على مقاليد الأمور، وتحول إلى سلطة حقيقية، فسلموا

(١) المراجع السابقة كلها.

(٢) تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

(٣) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٣٢٣ وما فوق، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٣/ ١٠٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في ١٢/ ٥٢ وتاريخ الطبري ٢/ ٢٨٩، ٤/ ٢٢٣، وعبد الله بن سبأ للعسكري ١/ ١١٤ وملحق المراجعات ص٢٦٢.

لينجوا بأنفسهم وليحافظوا على حياتهم ومصالحهم، ومن يعارض فالموت الزّؤوم ينتظره!!

فلن يكون أحد بعد النبي بوزن الإمام علي، فهو الولي بالنص، وهو الخليفة بالنص كما بينا وسنرى ومع هذا هدد بالقتل إن لم يبايع[1]، ولن يكون أحد أعظم حرمة، وأقرب للنبي من سيدة نساء العالمين فاطمة وابنيها سيدا شباب أهل الجنة، وريحانتي النبي في هذه الأمة، ومع هذا وضع الحطب حول منزلهم وهددوا باحراق البيت عليهم وهم أحياء إن لم يخرج نفر ممن لم يبايعوا[2]. كان ذلك في اليوم الثاني لوفاة النبي!! فكان الأمر ملخصاً للناس «إما الموت أو المبايعة والرضا بالأمر الواقع، فاختار الناس المبايعة والقبول بالأمر الواقع.

ومن جهة ثانية فإن الذين قبضوا على مقاليد الأمور، وصاروا سلطة، قبضوا في الوقت نفسه على موارد الأرزاق ومنابع الثروة، وعلى قرار الجاه والنفوذ، فمن لم يبايع يحيا ذليلاً ويموت جوعاً، فصارت البيعة طريق خلاص، ومسلك حياة.

ووجد أهل بيت النبوة أنفسهم وجهاً لوجه أمام سلطة جمعت رغبة ورهبة، من خلفها أمة تقف بمواجهتهم، فصار أهل بيت النبوة والقلة ممن والاهم في جهة، وصارت السلطة وجميع أوليائها في جهة أخرى.

ومع هذا قاوم أهل بيت النبوة، وأقاموا الحجة على خصومهم[3]، واعترف عدوهم بشرعية حجتهم ومنطقيتها وعقلانيتها[4] وطاف الإمام وزوجته وولداه على

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١/ ١٢، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٠٢، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥٧، وهامش الفصل في الملل لابن حزم ١/ ٧٣، وتاريخ الخميس ١/ ١٧٨ و١٨٨، وأنساب الأشراف ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤٠، ومروج الذهب ٢/ ١٠٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٦٤.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٢، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٠ و١٢.

(٤) قول بشير بن سعد في الإمامة والسياسة ١/ ١٠ على سبيل المثال.

بيوت الأنصار يسألون النصرة، فاحتج الأنصار بوقوع البيعة وتمنوا لو سبق الإمام اليهم[1].

أمام هذه المقاومة الضارية أصدرت السلطة الحاكمة سلسلة من القرارات الاقتصادية، قصمت فيها ظهر أهل بيت النبوة وهي:

١ ـ قرار حرمان أهل بيت النبوة من ميراث النبي[2].

٢ ـ قرار حرمان أهل بيت النبوة من منح النبي لهم ومصادرة هذه المنح[3].

٣ ـ قرار حرمان أهل بيت النبوة من حقهم في الخمس الوارد في القرآن الكريم بآي محكمة[4].

٤ ـ ألزمت السلطة نفسها باعالة أهل بيت النبوة[5]. وكانت هذه القرارات الأليمة حالة فريدة في تاريخ المواجهة، ففي أقسى مرحلة من مراحل المواجهة، قررت بطون قريش أن تحاصر النبي وأهله بني هاشم في شعب أبي طالب، وأن تقاطعهم فلا تبيع منهم ولا تشتري ولا تنكح منهم ولا تنكحهم، لكن بطون قريش المشركة آنذاك لم تتعرض لممتلكاتهم وأموالهم، ولم تتدخل في موضوع اعالتهم[6]، والفرق بين الحالتين أن بطون قريش كانت على الشرك عندما اتخذت

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١٢ و١٥، وشرح المنهج لابن أبي الحديد ٢/ ٦٧، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١٨٢.

(٢) سنن الترمذي ٧/ ١٠٩ و١١١ ـ باب ما جاء في تركة الرسول ـ، ومسند أحمد ١/ ٤ و١٠ ح١٤ و٦٠، وطبقات ابن سعد ٢/ ٣١٦ و٥/ ٧٧، وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٨٦ و٢٨٩، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٤٦، وسنن أبي داوود ٣/ ٥٠، وكنز العمال ٢/ ٣١٥ و٥/ ٣٦٥، و٤/ ١٣٠، وبلاغات النساء ص١٢ ـ ١٥، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٦٧ ـ ٤٧١.

(٣) فتوح البلدان ٢/ ٣٤ ـ ٣٥، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٧٢.

(٤) شرح النهج ٤/ ٨١ نقلاً عن الجوهري، وتاريخ الاسلام للذهبي ١/ ٣٤٧، وكنز العمال ٥/ ٣٦٧.

(٥) سنن الترمذي ٧/ ١١١، وصحيح بخاري ٢/ ٢٠٠ باب مناقب قرابة الرسول، وسنن أبي داود ٢/ ٤٩ كتاب الخراج، وسنن النسائي ٢/ ١٧٩ قسم الفيء، ومسند أحمد ١/ ٦ ـ ٩، ومجمع الزوائد ٩/ ٣٩.

(٦) الإمامة والسياسة ص١٤، وبلاغات النساء ص١٢ ـ ١٥، وكنز العمال ٦/ ١٠٨، وصحيح الترمذي ٢/ ٢٦٩، والمستدرك على الصحيحين ٤/ ٧٣، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٩٤، وشرح النهج ١/ ١٢٤ و٦٣٢، ٣/ ٢٣٨ و٣٥٠، ٤/ ٨٧، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية =

قرارات المقاطعة والحصار، وبطون قريش ومؤسسوا هذه المرحلة كانوا على الإسلام عندما اتخذوا قراراتهم الاقتصادية بحق أهل بيت النبوة!!! واحتج أهل البيت، فتلطفت السلطة، وسمعت ظلامتهم، ولكنها أصرت، فاستسلم أهل بيت النبوة، حفاظاً على شوكة الإسلام، ولكنهم لم يتركوا فرصة دون الاحتجاج بالنصوص الشرعية التي أعطتهم مركز القيادة، وبينت أن الهدى لا يدرك إلا بالقرآن وبهم، وأن الضلالة لا تتجنّب إلا بالقرآن وبهم[1].

وأدركت السلطة خطورة سلاح الاحتجاج بالنصوص الشرعية، خاصة السنّة النبوية بفروعها الثلاثة: القول، والفعل، والتقرير، لذلك منعت كتابة ورواية أحاديث رسول الله[2]، وقالت: أن القرآن وحده يكفي[3]، وعممت بأنه لا ينبغي الركون إلى كل ما قاله رسول الله، فرسول الله بشر يتكلم بالغضب والرضى[4]،

= ص٤٨٠ وما فوق.

(١) صحيح الترمذي ٥/٣٢٨ ح٣٨٧٤، وكنز العمال ص١٥٣ وتفسير ابن كثير ٤/ ١١٣، والمعجم الكبير للطبراني ص١٣٧، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٨٠ وما فوق ـ تجد نصوص تلك الاجتماعات ـ، وانظر مراجع حديث الثقلين.

(٢) سنن الدارمي ١/ ١٢٥ و١٣٢، وسنن أبي داود ٢/ ١٢٦، ومسند أحمد ٢/ ١٦٢ و٢٠٧ و٢١٦، ٤/ ٦٤، ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥ و١٠٦، وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٥٤ و٥/ ١٤٠، وتذكرة الحفاظ للذهبي ـ بترجمة محمد بن أبي بكر ـ ١/ ٢ و٣ و٤ و٥ و٧، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ١٤٧، وكنز العمال ٥/ ١٣٩ ح٤٨٦٥، ومنتخب الكنز ٤/ ٦١ و٦٤، ومعالم المدرستين ٢/ ٤٤، وأضواء على السنة المحمدية ص٢٦٢ و٢٧٣ و٢٥٩ ـ ٢٦١، وكتابينا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص١٣٦ ـ ١٤٨ وما فوق، والنظام السياسي في الإسلام ص١٣٧.

(٣) أول من أوجد شعار حسبنا كتاب الله هو عمر بن الخطاب، وقد رفع هذا الشعار بمواجهة الرسول نفسه ـ صحيح البخاري ١/ ٣٧، ٤/ ٣١ و٦٥ و٦٦، ٥/ ١٣٧، ٧/ ٩، ٨/ ١٦١، وصحيح مسلم ٥/ ٧٥، ١١/ ٩٥ ـ شرح النووي لصحيح مسلم ـ، وكتابنا الخطط السياسية ص٢٩٧ وما فوق.
وبعد عمر رفع أبو بكر هذا الشعار بعد وفاة الرسول: تذكرة الحفاظ للذهبي بترجمة أبي بكر ١/ ٢ ـ ٣.
وتطور هذا الشعار فرفعه عمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان في صفّين بمواجهة ولي الله الإمام علي بن أبي طالب، كتابنا الخطط السياسية ص١١٥ ـ ١١٧.

(٤) سنن الدارمي ١/ ١٢٥، وسنن أبي داود ٢/ ١٢٦ باب كتابة العلم، ومسند أحمد ٢/ ١٦٢ و٢٠٧ و٢١٦، ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥ و١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٨٥، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص١٣٦ وما فوق.

والسلطة هي الأعلم بالحالة النفسية التي صدر فيها القول عن رسول الله!! هل هو في الغضب فتهمله أو بالرضى فتعمل به!! ولتحقيق هذه الغاية اضطرت السلطة أن تستعين بالجميع بما فيهم المنافقين وأعداء الله الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والعصيان، لتكون الأمة كلها في جهة، وأهل بيت النبي في الجهة المواجهة لها!! فتظهره كأنهم قد خرجوا عن الجماعة، وشقوا عصا الطاعة!! واكتشفت السلطة أن رسول الله قد لعن أعداء الله، وكشف حقيقتهم، وتعذر على السلطة أن تلغى نصوص اللعن، وتعذر عليها أن تستغني عن أعداء الله ورسوله ليكون الحشد كاملاً بمواجهة أهل البيت، فأشاعت بين الناس أن رسول الله كان يتكلم بالغضب والرضى فلا ينبغي أن يعمل كلامه[1]، وللتغطية على الذين لعنهم رسول الله وكشف عداواتهم لله ولرسوله، وهم الذين استعانت بهم السلطة وبوأتهم أرفع المناصب ـ أشاعت السلطة بكل وسائل اعلانها أن الرسول كان يغضب ويفقد السيطرة على نفسه، فيسب ويشتم ويلعن ويسيء لمن لا يستحق ذلك ـ فدعا الله تعالى أن يجعل كل ذلك زكاةً وطهوراً لمن صدرت منه هذه الإساءات بحقهم!![2] وبهذا التأويل المرعب على صاحب الخلق العظيم، صار أبو سفيان ومعاوية ابنه وسادات بني أمية الذين حاربوا النبي وأهل بيته طوال ١٨ عاماً زاكيِّن مطهرين[3]، وصار الحكم بن العاص وابنه مروان، وذريتهم وهم الذين لعنهم رسول الله، وحرم عليهم أن يساكنوه، صاروا بجرة قلم، زكاة، طاهرة نفوسهم،

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب قول النبي من آذيته، وصحيح مسلم كتاب البر والعلق باب من لصفة النبي، وكتابنا الخطط السياسية ص١٠٣ ـ ١١١ ـ تجد الغاية من هذه الاختلافات وتجد التجذير التاريخي، والتنظير السياسي ـ. وفتوح البلدان للبلاذري، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٠٩ ـ وكنت قد أخطأت في التأويل اذ ثبت لي أن رسول الله كان يساوي في العطاء بين الناس، وأن مخالفة سنّة المساواة هي التي أوجدت نظام الطبقات ـ، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٦٧.

(٣) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب قول النبي من آذيته، وصحيح مسلم كتاب البر والعلق باب من لصفة النبي، وكتابنا الخطط السياسية ص١٠٣ ـ ١١١ ـ والنظام السياسي في الاسلام ص١٠٩، وفتوح البلدان للبلاذري.

وبحكم هذا التأويل صاروا فيما بعد خلفاء وقادة للمسلمين[1].

وطمعاً بتأليف القلوب حول السلطة، ولضمان وحدتهم بمواجهة مطالب أهل بيت النبوة أخذ قادة هذه المرحلة ينفقون أموال بيت المسلمين كيفما اتفق، وبما يحقق غاياتهم، فوزعوا العطايا حسب منازل الناس عندهم، ووفق معاييرهم[2]، وألغوا سنة المساواة بتوزيع العطايا التي أوجدها رسول الله[3]، وعندما قيل أن رسول الله قد وزع بالتساوي فلم تميزون؟ قالوا: رسول الله مجتهد، والخليفة مجتهد، فمن حق المجتهد أن لا يأخذ باجتهاد مجتهد آخر[4]. وهكذا نشأت في هذه المرحلة الطبقات، ووجد الغنى الفاحش بجانب الفقر المدقع، وعاش أصحاب الملايين جنباً إلى جنب مع مئات الألوف الذين كانوا يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء، ويطوون الليالي جياعاً هم وذرياتهم[5]، ثم جيّشوا الجيوش، وخرجوا لحرب العالم، ونشر دين الإسلام وتطبيق شرعيته ونشر عدالته بين الناس.

وخلعت وسائل الإعلام التي تملكها السلطة على مؤسسي هذه المرحلة أثواب القداسة والعصمة، فصار عملهم وقولهم وتقريرهم سنّة واجبة الإتباع تقرأ مع ما تبقى من سنّة الرسول، وصار لكل واحد من هؤلاء المؤسسين سنّة، وإذا تعارضت سنّة المؤسسين مع سنّة الرسول، تترك سنّة الرسول ويعمل بسنّة المؤسسين من باب الإجتهاد[6] وتحت شعار تغير الأحكام بتغيّر

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢١، وتاريخ ابن كثير ٧/ ٢٤٩، والطبقات لابن سعد ٣/ ٧٧، ومروج الذهب للمسعودي ١/ ٤٣٤، وأنساب الأشراف ٥/ ٧، والعقد الفريد ٢/ ٢٧٩، والغدير للعلامة الأميني ٨/ ٧٢٧.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) المراجع السابقة.

(٦) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص١٦١ وما فوق، ومقدمة ابن خلدون ص١٧٧، وسنن أبي داود ٤/ ٢٠٩، والعقد الفريد ٥/ ٥١، وتاريخ الطبري ٥/ ٦١ وتاريخ ابن الأثير ١/ ٢٠٥، ٩/ ٧٦.

الزمان[1].

فعلى سبيل المثال: أقنعت وسائل اعلام دولة المؤسسين العامة: بأن رسول قد خلى على الناس أمرهم، ولم يعين خليفة من بعده ليختار الناس لأنفسهم[2]، فكان الأولى بخليفة النبي أن يُخلى على الناس أمرهم اقتداء برسول الله ولكن سنّ المؤسسون سنّة خلاصتها أن الخليفة ينبغي أن يعين الخليفة الذي يأتي بعده وذلك لعدة أسباب:

أولاً: الخليفة ينظر للناس حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، فمن هنا صار من حق الخليفة القائم أن يعين من يخلفه «يعهد اليه»[3] على حد تعابير ابن خلدون.

ثانياً: حتى لا تترك أمة محمد هملاً بلا راع على حد تعبير أم المؤمنين عائشة[4] أو كالظأن على حد تعبير معاوية[5] أو خروجاً من اللوم على حد تعبير عبد الله بن عمر[6] وهكذا صار العهد سنّة واقتنع العامة أن رسول الله لم يسنّها إنما سنّها الخلفاء الراشدون[7].

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيب ١/ ١٥ وحلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ٤٤ ومسلم في صحيحه والبخاري في صحيحه والبيهقي في سننه ٨/ ١٤٩ وابن الجوزي في سيرة عمر والرياض النضرة ٢/ ٧٤ والمسعودي في مروجه ٢/ ٢٥٣ وتاريخ الطبري جـ٤ ص٥٣ والعقد الفريد ٢/ ٢٥٤ والبلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ١٦ وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٧١.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص١٧٧، والأحكام السلطانية للماوردي ص٦، والأحكام السلطانية للفراء ص٦ و٧ و١١، والارشاد في الكلام لامام الحرمين الجويني ص٤٢٤، وابن العربي في شرحه لسنن الترمذي ١٣/ ٢٢٩ والقرطبي في تفسير ﴿اني جاعل في الأرض خليفة﴾ والمواقف في علم الكلام ٨/ ٢٥١ - ٢٥٣. وراجع كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٧٣ وما فوق.

(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٢٢ واعلام النساء ٢/ ٧٨٦.

(٥) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ٣٧٢ وما فوق.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٤٤، والبيهقي في سننه ٨/ ١٤٩، وابن الجوزي في سيرة عمر، والرياض النضرة ٢/ ٧٤ ومروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٥٣.

(٧) الأحكام السلطانية للماوردي ص٦ وما فوق والأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء ص٧ وما فوق، والارشاد في الكلام لإمام الحرمين الجويني ص٤٢٤ وابن العربي في شرحه لسنن الترمذي ١٣/ ٢٢٩، =

ومثال آخر: أن الرسول كان يوزّع العطايا بين الناس بالتساوي لأن حاجات البشر الضرورية متشابهة فكل واحد من أبناء البشر بحاجة لمأكل ومشرب وملبس ومركب ومنزل وزوجة وذرية... الخ.

فجاء المؤسسون لهذه المرحلة وقالوا أن هذه السنّة ليست مناسبة، وأن الأفضل اعطاء الناس على حسب منازلهم، واخترعوا موازين لتلك المنازل[1].

مثال ثالث: أن الله قد جمع لآل محمد النبوة والملك كما جمعها لآل ابراهيم وجعل الصلاة على آل محمد جزءاً من الصلوات المفروضة على العباد[2]، وأرشد الخلق بأن الهدى لا يدرك إلا بالقرآن وبأهل بيت محمد، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالاثنين معاً كما هو ثابت بحديث الثقلين[3].

وجاء المؤسسون فقالوا: إنه ليس من العدل أن يأخذ آل محمد النبوة والملك، وأن تحرم بقية البطون من هذين الشرفين معاً، والأفضل برأيهم أن يأخذ الهاشميون النبوة لا يشاركهم فيها أحد من بطون قريش، وأن تأخذ بقية بطون قريش الملك أو الخلافة لا يشاركهم فيها هاشمي قط[4] واقتنع العامة أن هذا الترتيب هو الأول بالأعمال.

= والقرطبي في تفسيره «اني جاعل في الأرض خليفة» والمواقف في علم الكلام ٨/ ٢٥١ ـ ٢٥٣.

(١) شرح النهج ٢/ ٥٣، و٣/ ١٨٠ ومعالم المدرستين ٢/ ٦٧.

(٢) صحيح البخاري كتاب الدعوات، وفي بدء الخلق، وكتاب التفسير ورواه مسلم في كتاب الصلاة، وابن ماجه وأبو داود في صحيحيهما وأحمد في مسنده ٢/ ٤٧ والنسائي في صحيحه ١/ ١٩٠ والأدب المفرد للبخاري ص٩٣. راجع فضائل الخمسة للفيروز أبادي ١/ ٢٥٣ وما فوق.

(٣) صحيح الترمذي ٥/ ٣٢٨ ح٣٨٧٤ وكنز العمال ص١٥٣ وتفسير ابن كثير ٤/ ١١٣ والمعجم الكبير للطبراني ص١٣٧ واحياء الميت للسيوطي ص١١٤ بهامش الاتحاف والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٠، كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٦٦٤ وما فوق تجد مجموعة كبيرة من مراجع حديث الثقلين.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد جـ٢ وأورده في أحوال عمر وأخرجه الإمام أحمد بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد، وكتبنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤١١ والنظام السياسي في الإسلام ص١٤١ ـ ١٤٢ ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام.

وكضربة نهائية وفنية وللوقوف أمام حديث الثقلين الذي نقلته الأمة بالتواتر، ولإبقاء حالة المواجهة بين الأمة، وبين أهل بيت النبوة وجد مصطلح العشرة المبشرين في الجنة، ومصطلح النفر الذي مات رسول الله وهو عنهم راضٍ[١]، ولما مات هؤلاء وجد مصطلح الصحابة العدول[٢]، والعدالة تشبه العصمة[٣]، وأشاعوا أن كل من رأى النبي أو سمعه ونطق بالشهادتين فهو صحابي معصوم من سبّه أو شتمه أو نقده فهو زنديق لا تجوز الصلاة عليه، ولا يجوز دفنه في مقابر المسلمين[٤] وبعد موت الصحابة صار التابعون بمواجهة أهل البيت!! وبعد موت التابعين صار علماء المسلمين بمواجهة أهل البيت، وبهذه التدابير الذكية ألغوا عملياً مفاعيل حديث الثقلين، وصار وجود أهل البيت للتبرك إن لزموا الصمت، وأعرضوا عن السياسة أما إن لوحوا بحقهم بقيادة الأمة، فهم باحثون عن الفتنة التي حرّمها الله ودمهم حلال للحاكم الغالب.

وهكذا تم عملياً في هذه المرحلة وضع كافة الأسس التي نسفت النظام السياسي الاسلامي برمته، وتكوّن على أنقاضه نظام سياسي بديل، مؤلف من اجتهادات المؤسسين، وسوابقهم الدستورية، والأعراف التي أوجدوها، ومن تنظيرات شيعتهم التي جعلت الموالاة لهؤلاء المؤسسين الكرام، جزءاً لا يتجزء من الموالاة لله تعالى.

مؤسسوا هذه المرحلة:

يدين نظام الخلافة التاريخي الذي نشأ بعيد وفاة النبي واستمر بصورة مختلفة حتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان بوجوده وتنظيراته المختلفة الى مجموعة من الرجال المؤسسين العظام الذين أبلوا أعظم البلاء حتى أخرجوه بهذه

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٢ واعلام النساء ٢/ ٧٨٦.

(٢) الإصابة لابن حجر ص٩ و١٠، وقد ألفت كتاباً كاملاً حول هذا الموضوع «نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام»، وعالجت هذه الموضوع معالجة كاملة، فارجع اليه.

(٣) المرجع السابق.

(٤) كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام تجد التوثيق، وتفصيل هذا الموضوع.

الصيغة التي عرفناها وأعظم أُولئك المؤسسين هم:

١ ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الخليفة الراشد الثاني فهو الذي قاد مرحلة التأسيس وتحمل أعباءها كاملة فلولاه لما وجد نظام الخلافة التاريخي بصورته المعروفة، ولتغير وجه التاريخ الإسلامي تماماً ولنحا منحى آخر فهو الذي تصدى للنبي وهو على فراش الموت حيث قال لمن حوله: «قربوا أكتبَ لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» عندئذٍ تصدّى له عمر وقال: لا حاجة لنا بالكتاب، حسبنا كتاب الله[1]، وهو الذي حشد أعوانه لهذه المواجهة فما أن قال عمر: حسبنا كتاب الله حتى ردد أعوانه من خلفه: «القول ما قال عمر»، فوجد النبي نفسه أمام تكتُّل حقيقي وقد فهم النبي ذلك. ولما استغرب بعض الحاضرين هذا التصرُّف، وقالوا قربوا يكتب لكم رسول الله!! قال عمر (رضي الله عنه): إن النبي يهجر[2] فردد أعوانه من خلفه استفهموه؟ انه يهجر وكثر اللغط والاختلاف[3] وفهم النبي مغزى المعارضة وأدرك أن كتابة الكتاب بهذا المناخ لم تعد مجدية، فقال: «قوموا عني»[4] وهكذا نجح عمر وبتكتله بالحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد، فضاعت إلى الأبد فرصة تلخيص النبي للموقف.. وفيما بعد اعترف عمر ببعض الأسباب التي دفعته وحز به لهذا التصرف الرهيب[5]، فليس في الدنيا أحد يجرأُ على مواجهة النبي بهذه الصورة المرعبة غير عمر، وهكذا انكشفت هيبة الشرعية، وهتك سترها في حضرة النبي نفسه، وانفتح أمام الطلقاء باب الجرأة على انتهاك الشرعية، وفك عُراها عروة بعد عروة وبأعصاب هادئة.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٧، ٤/ ٢١، ٧/ ٩، وصحيح مسلم ٢/ ١٦، ٥/ ٧٥، ١١/ ٩٤ ـ ٩٥ (شرح النووي) ومسند أحمد ١/ ٣٥٥ وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٣ وتاريخ ابن الأثير ٢/ ٣٦٠ وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٣٧، ٤/ ٢١، ٧/ ٩، وصحيح مسلم ٢/ ١٦، ٥/ ٧٥، ١١ (شرح النووي) ٩٤ ـ ٩٥، ومسند أحمد ١/ ٣٥٥ وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٣، وتاريخ ابن الأثير ٢/ ٣٦٠ وسر العالمين وكشف ما في الدارين ص٢١.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) المراجع السابقة وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٣/ ١٠٥.

وعمر نفسه الذي أنبأ الناس عما سمي فيما بعد باجتماع الأنصار في السقيفة[1]، وهو الذي قاد أبو بكر، وأبا عبيدة بن الجراح الى ذلك المكان، واستطاع بعبقريته أن يحوله من مجرد تجمع عند مريض وهو سعد بن عبادة، وعوادة إلى اجتماع سياسي[2]، ثم حوله الى هيئة عامة تبايع الخليفة[3]، وهو الذي حشر أعوانه ورتبهم وحولهم إلى جيش يزف الخليفة زفاً ليواجه آل محمد بأمر واقع[4]، ورتب قسماً من أعوانه ليستقبلوا الخليفة الجديد بالترحاب ويقبلوا على بيعته[5].

فقد جمع عمر بطون قريش حول هذا الهدف، ونظّر مبدأ النبوة لبني هاشم، والخلافة للبطون[6] هدد الإمام علي بالقتل إن لم يبايع[7]، وجمع الحطب وأعوانه ليحرق بيت فاطمة على من فيه وفيه سيدة نساء العالمين وسيدا شباب أهل

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٢١٩ و٣/ ٢٠٦ ونظام الحكم للقاسمي ص١٢٦، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٣٠١ ـ ٣٠٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ و٣/ ٢٠٣ و٢٠٥ و٢٠٦، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٠ وتحليلنا لحقيقة اجتماع سقيفة بني ساعدة في ص٣١٦ وما فوق من كتابنا نظرية عدالة الصحابة.

(٣) كتابينا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٤٠ ونظرية عدالة الصحابة ٣٠٠ وما فوق.

(٤) تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٨ وقول عمر «ما أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر» وفي رواية ابن الأثير فجاءت أسلم فبايعت، وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية ابن أبي الحديد ٦/ ٢٨٧ «فقوي بهم أبو بكر»، كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٤١.

(٥) الإمامة والسياسة ١/ ٥ ـ كيف بايع بنو أمية ـ، وراجع دور أسلم في المراجع التي ذكرتها في الفقرة السابقة، والموفقيات للزبير بن بكار ص٥٧٨، والرياض النضرة ١/ ١٦٤، وتاريخ الخميس ١/ ١٨٨ تجد مراسم الزفة.

(٦) الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٤ ـ آخر سيرة عمر ـ، وشرح النهج ١٢/ ٥٢، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٨٩، ٤/ ٢٢٣، مروج الذهب ٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة.

(٧) الإمامة والسياسة ١/ ١٨، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ١٣٤ و١٥٧، ٢/ ١٩، وتاريخ الطبري ١/ ١٦٧ و١٩٧، ٣/ ٢٠٢، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥٧ وهامش الفصل في الملل لابن حزم ١/ ٧٣ والغدير للأميني ٧/ ١٢٦، والسقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/ ٥٨٦، وكنز العمال: ٣/ ١٠٥، وتاريخ الخميس ١/ ١٧٨، ومروج الذهب ٢/ ١٠٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥، وكتابنا الخطط السياسية ص٤٦٤.

الجنة الحسن والحسين[١]. كان وراء القرارات الاقتصادية التي اتخذتها السلطة لتركيع أهل بيت محمد[٢] وهو الذي عيّن أبا بكر أول خليفة، وليتحمل ظاهرياً مسؤولية مواجهة أهل بيت النبوة ولو شاء عمر لكان هو الخليفة الأول[٣] وكان وراء وحدة بطون قريش حول النظام الجديد ووراء تعيين يزيد بن أبي سفيان قائداً لجيش الشام ومعاوية خليفة ليزيد، وهو الذي مكن لمعاوية في الأرض، وأعده ليكون الحارس الاحتياطي للترتيبات الجديدة[٤].

ولمّا مات أبو بكر رضي الله عنه عهد بالخلافة لعمر، فورث دولة مستقرة، وأوجد كافة الترتيبات الضرورية للنظام الذي أراد[٥].

ولمّا طُعن عمر، وجلس على فراش الموت كما جلس رسول الله أوصى، وهو بهذه الحالة، بأن الخليفة من بعده أحد ستة مات الرسول وهو راضٍ عنهم[٦]، وعملياً عهد بالخلافة لعثمان؛ لأن عثمان موضع ثقة أبي بكر وعمر والثلاثة حلف واحد، ولا فرق بينهم فلو كتب عثمان لأبي بكر: أنْ قد وليت عليكم عثمان، لما اعترض أبو بكر[٧]، ولأن عثمان كان يُعرف بالرديف أي

---

(١) صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧ وأحمد بن حنبل ٣/ ٣ و٦٢ و٨٢ وصحيح ابن ماجد ٣/ ١٦٧، وفضائل الخمسة للفيروز أبادي ٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٤ تجد مجموعة كبيرة من المراجع التي تؤكد يقينية هذا الحديث.

(٢) شرح النهج ٤/ ٨٧ ـ ٨٩ وبلاغات النساء ص١٢ ـ ١٥، ومسند أحمد ١/ ١٠ ح٦٠ وسنن الترمذي ٧/ ١٠٩ و١١١ وكنز العمال ١٤/ ١٣٠ وطبقات ابن سعد ٢/ ٣١٥ وكتابنا الخطط السياسية في الإسلام ص٤٦٧ ـ ٤٧٦ تجد تفصيل ذلك.

(٣) كتابينا الخطط السياسية ص٤٢٠ وما فوق ونظرية عدالة الصحابة ص٣٠٠، وشرح النهج تحقيق حسن تميم ٣/ ٧٨٩ ـ ٧٩٠.

(٤) فتح الباري ٧/ ٣٢٣ والغدير للأميني ١٠/ ٣٨٥ حتى ٣٩٠.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٣٣، والإمامة والسياسة ١/ ١٢ و٢٢، وأعلام النساء ٢/ ٧٨، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ١٦، وكنز العمال ٦/ ٣٩١، وشرح النهج ٢/ ٥ و١٨ و٢٠ و١١٥، وملحق ذلك كله في كتابنا الخطط السياسية ص٤٢٤ ـ ٥٢٦.

(٦) الإمامة والسياسة ١/ ٢٢ واعلام النساء برواية ابن أبي الحديد ٢/ ٧٨٦ من شرح النهج.

(٧) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٥٩ ـ ١٦٢، تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٩ وسيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧ وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٥.

الرجل الذي يأتي بعد الرجل وليس في الدنيا من هو أحب إلى الخليفتين من عثمان[1]، فهو عميد بني أمية المعروفة بقوتها وحاجة النظام لها، والمعروفة بعداوتها لبني هاشم[2]، ولكن الإعلان عن الستة هو من باب رسم مدى الصراع مستقبلاً، فعندما ينادي أهل البيت بحقهم بالقيادة في غياب عمر يتصدى لهم خمسة يمثلون بطون قريش، ويحولون بينهم وبين تحقيق حلمهم بالجمع بين النبوة والخلافة[3] عندئذٍ تطمئن روح عمر الطاهرة ويؤمّن الناس ضد اجحاف بني هاشم[4].

وهكذا عهد عمر بالخلافة عملياً لعثمان بن عفان رضي الله عنه[5]، وبمدة يسيرة استطاع عثمان أن يجمع حوله كل أعداء رسول الله، فعمه الحكم بن العاص (طريد رسول الله) أعاده إلى المدينة معززاً مكرماً، وأعطاه مائة ألف[6]، واتخذ ابنه مروان رئيساً لوزرائه، وزوج ابنته لابنه الآخر[7]، ولما مات عدو الله الحكم بن العاص ضرب عثمان فسطاطاً على قبره امعاناً بحزنه عليه. واتخذ عبد الله بن أبي سرح وزيراً له، وولاه مصر أعظم ولايات الدولة مع أن الرسول قد أباح دم عبد الله بن أبي سرح ولو تعلق بأستار الكعبة، حيث ارتد عن دينه، وافترى على الله الكذب، ونزلت فيه آية: **﴿ومن أظلم ممّن افترى على الله الكذب﴾**[8] ووسع ولاية معاوية وأطلق يده، وقد لعن رسول الله معاوية ولعن أباه

---

(1) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٤٧، ونظام الحكم للقاسمي ص٤١٩ كما نقلها عن تاريخ الطبري ابتداءً من معركة القادسية.

(2) طبقات ابن سعد ١/ ٧٦ و٢٠٨ و٢٠٩، والسيرة الحلبية ١/ ٣٣٦.

(3) الكامل لابن الأثير ٣/ ٢٤، آخر سيرة عمر وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٣/ ١٠٧.

(4) المراجع الواردة في البند السابق، وامعن النظر في حواره مع ابن عباس تجد أنه كان مقتنعاً بأن الطريقة المثلى هي ابعاد الهاشميين عن الحكم وحصره في بطون قريش.

(5) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ١٥٩ ـ ١٦٢.

(6) الغدير للأميني ٨/ ٨٨.

(7) المرجع السابق.

(8) سنن أبي داود ٢/ ٢٢٠، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٤٦ ومستدرك الحاكم ٣/ ١٠٠ والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٢٨١ وأسد الغابة لابن الأثير ٣/ ١٧٣ والإصابة لابن حجر ٢/ ٣١٧ وتفسير الشوكاني ٢/ ١٣٤ والغدير للعلامة الأميني ٨/ ٣٢٧.

وأخاه[١] واتخذ الوليد بن عقبة بن معيط العدو اللدود لرسول الله وزيراً وهو الفاسق بنص القرآن[٢] وقرب الأمويين ومن والاهم وأغدق عليهم من العطايا ما يفوق التصوُّر والتصديق، حتى صاروا طبقة متميزة بجاهها ومالها[٣] وصارت مقاليد الأمور في أيديهم عملياً وليس لعثمان من الخلافة غير الإسم[٤]. وصارت الدولة أموية بما للكلمة من معنى، فلا تجد مصراً إلا وواليه أموياً أو موالي لبني أمية، وضج الناس وثاروا على عثمان وقتلوه[٥].

المرحلة الخامسة:

وبدأت هذه المرحلة بعد قتل عثمان وتولى الإمام علي بعد أن بايعه المهاجرون والأنصار، ودانت له بلاد الإسلام إلا أن معاوية ابن أبي سفيان والي بلاد الشام رفض مبايعة الإمام علي، وادعى أنه مخول بالمطالبة بدم عثمان الأموي، ولكن السبب الحقيقي هو طلب الملك، واعمالاً للمبدأ الذي أوجده المؤسسون بعدم جواز جمع الهاشميين للنبوة والملك[٦]. ووقف معه كل الطلقاء، وجمع حوله كل قوى النفاق وطلاب الدنيا، وسخر موارد بلاد الشام التي ادخرها طوال عشرين عاماً لهذه الغاية. وروّع معاوية الناس، وخرج على

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١١٧ وص٢٢٠ وراجع آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي ص٧٤ وما فوق.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ١٠٣ والغدير للعلامة الأميني ٨/ ١٥٢ ـ ١٥٦ و٣١٨ ـ وما فوق وراجع أسد الغابة لابن الأثير ٥/ ٩٠.

(٣) الغدير للعلامة الأميني ٨/ ٢٨٢ وما فوق.

(٤) تاريخ بن الأثير جـ٣ مقتل عثمان وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ٢٦٣.

(٥) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٣٤ ـ ٣٨ وراجع تاريخ ابن الأثير جـ٣ مقتل عثمان وراجع مسند أحمد ١/ ٦٢ وقول عثمان «لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم» وراجع صحيح بخاري كتاب الفتن ١٠/ ١٤٦ وقول الرسول «فساد أمتي على يدي غلمة سفهاء من قريش».

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث ٢٣ وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ١٠٧ ومن أحوال عمر وأخرجه الإمام أحمد ابن أبي الطاهر من تاريخ بغداد وراجع كتابنا الخطط السياسية ص٤١١ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٤١ ـ ١٤٢.

الإمام وحاربه ونشر الارهاب[1] وبعد مقتل الإمام علي بويع الحسن، وبغدر قادة جيشه به[2] وبتخلي وجوه العراق عنه، ولقلة الناصر[3]، وابقاء على ما تبقى من الصحابة، وحقناً للدماء تنازل الحسن لمعاوية على أن تعود الخلافة بعد موته شورى أو تعود للحسن[4]، إلا أن معاوية دس السم للإمام الحسن، ونقل الملك لابنه يزيد حتى لا تبقى أمة محمد كالظأن على حد تعبيره[5] ويزيد فاسق جاهر بكفره، استباح مدينة الرسول وقتل فيها عشرة آلاف شخص بيومٍ واحد هو يوم «الحرة»[6]، وختم أعناق وأيدي ما تبقى من الصحابة امعاناً باذلالهم، وأرسل جيشاً كبيراً لملاقاة الإمام الحسين في كربلاء مع أن عدد من كان مع الحسين لا يتجاوز ٧٣ رجلاً، إلا أنه أمر بقتل الحسين، وبقتل شباب الذرية المباركة، وهندس مجزرة كربلاء، وأباد أهل بيت النبوة، ولم ينج منهم إلا غلام مريض، وأخذ نساء أهل البيت سبايا حفايا[7]. وعندما وضعت بين يديه رؤوس الضحايا أعلن بصراحة أنه ينتقم من محمد ومن علي لما فعاه بالأمويين يوم بدر، وبالتالي تلك ثارات لهم[8]، وجلل أعماله المخزية بهدم الكعبة المشرّفة، ولم يطل به الأمر فهلك، وجاء من بعده ابنه معاوية الثاني، وكان فتىً صالحاً اعترف بذنوب

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) سيرة الرسول وأهل بيته لمؤسسة البلاغ ص٥٠ وما فوق والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١٦٣ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٩١ وتاريخ ابن كثير ٣/ ٤١٤ و٤٧٢ وابن أبي الحديد ٢/ ٨٦ و١١/ ١٠، ٤٠ وما فوق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الغدير للعلامة الأميني ١١/ ٢٧ وما فوق والاستيعاب.

(٥) لابن عبد البر ١/ ١٤١ والسبط الجوزي في تذكرة الخواص ص١٢١ هذا ما يتعلق بالسم أما قوله «كرهت أن أترك أمة محمد بعدي كالظأن» راجع تاريخ الطبري ٦/ ١٧٠ والإمامة والسياسة ص١٥١.

(٦) يوم الحرة من أسوء أيام تاريخ الإسلام، وهو محفور بالذاكرة راجع على سبيل المثال تاريخ ابن كثير ٦/ ٢٣٤ وتاريخ اليعقوبي ٦/ ٢٥١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٩ وتاريخ المنسي ٢/ ٣٠٢ وتاريخ الطبري ٧/ ١١ وابن كثير ٨/ ٢٢٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٣٥٧ وفتوح ابن الحكم ٥/ ٣٠٠ الخ.

(٧) مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي على سبيل المثال وتاريخ الطبري ٧/ ٢٠٦ حوادث ٧٤.

(٨) سيرة ابن هشام ٣/ ٩٧ وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٢/ ٣٨٢ وفتوح ابن أعثم ٥/ ٢٤١.

أبيه وجده واعتزل الأمر[1]. وانقض مروان بن الحكم بن العاص عدو الله ورسوله على الخلافة، وتغلب عليها بالقوة، ثم تناقلها أولاده من بعده. وخلال فترة الحكم الأموي أوجدوا سنة لعن علي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة على المنابر، وعمّموا هذه على كافة بلاد المسلمين، فكان الخطباء يلعنون علياً وأهل البيت في كل خطبة ومستهل كل درس، وعمّم الأمويين على كافة حكامهم ورعاياهم: أن انظروا، فمن ثبتت موالاته لأهل بيت محمد فامحوا اسمه من ديوان العطاء، ولا تقبلوا له شهادة، وإن استمر فاهدموا داره، واقتلوه[2]. ولوحق الذين يوالون أهل بيت النبوة، وذبحوا بغير رحمة[3]، وظلت هذه السنة متبعة حتى جاء عمر بن عبد العزيز فألغاها.

ونادى العباسيون بعدالة قضية أهل بيت النبوة، وعرضوا للناس ما لحق بأهل البيت فاستقطبوا حولهم الناس، وتمكن العباسيون من القضاء على الحكم الأموي بالقوة، ومن التملك على رقاب الناس بالقوة تماماً، كما فعل الذين من قبلهم، وبعد أن تحقق لهم ذلك، تنكروا لأهل بيت النبوة، ونكلوا بهم تنكيلاً يفوق التنكيل الأموي[4]، ونكلوا بمن يواليهم أو ينادي بحقهم بالحكم. وضعف العباسيون، وانفرد كل والي بولايته، وظهر العثمانيون وبالقوة والتغلّب قبضوا على مقاليد الأمور، وحكموا لأنهم غلبوا، وتابع العثمانيون سيرة الذين من قبلهم فنكلوا بمن يذكّر بحق أهل بيت النبوة بالقيادة، وتوارث العثمانيون الخلافة كما توارثها الذين قبلهم حتى سقط آخر سلاطين بني عثمان بالغزو الغربي، وبسقوطه سقط نظام الخلافة التاريخي.

لقد انقرض الصحابة، والتابعون، وسقط نظام الخلافة، وتداعى أهل النخوة من العلماء لإعادة نظام الخلافة التاريخي، والطريقة المثلى برأيهم أن يستقطب هذا العالم أو ذاك الناس حوله، حتى إذا أنس من نفسه القوة انقض على

---

(١) خطبة معاوية بن يزيد في فضائل الخمسة الفيروز أبادي ٣/ ٣٩٢.

(٢) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

(٣) ٣/ ٥٩٧ كما نقله عن المدائني في كتاب الأحداث.

(٤) سيرة الرسول وأهل بيته مؤسسة البلاغ ٢/ ٢٨٣ وما فوق.

الحكم القائم، وأقام حكماً بديلاً له كما فعل الذين من قبله.

وظهر الوهابيون، وظهر الاخوان المسلمون، وظهر التحرير.. الخ. ونسجوا على منوال اللذين قبلهم بتجاهل أهل بيت النبوة وتجاهل حديث الثقلين، والنصوص الشرعية التي تعطي أهل البيت الحق بقيادة الأمة وتوجيهها، ولأن هذه الجماعات لا تملك السلطة، ولا القدرة على التنكيل بمن يوالي أهل البيت اكتفت تلك الأحزاب بحملات التشهير، واختلاق الأكاذيب والقول بأن شيعة أهل بيت النبوة كفرة... الخ.

الفصل السادس:

أشكال مواجهة بطون قريش للنبي وعترته وأتباعه

أخذت مواجهة بطون قريش العدائية للنبي ودينه وعترته وأتباعه أشكالاً متعددة: بدأت بالسخرية والاستهزاء، وتكذيب النبي، ثم محاولة اغرائه، ثم ايذائه والطعن بشخصيته، واختلاق الأكاذيب عليه، ونشرها بين العرب، والتهديد بقتله، وفرض الحصار والمقاطعة على بني هاشم الذين احتضنوه، والطعن بالقرآن الكريم وزعمهم بأنه أساطير الأولين، وأن عناصر أجنبية تلقنه هذا القرآن، والطعن بمضامين الدعوة الاسلامية والتشكيك بها، والشروع بقتله لمنعه من الهجرة، وتخصيص الجوائز لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً، والتضييق على أتباعه، ومنعهم من الهجرة، ومحاولة اعادة الذين هاجروا منهم ليردوهم عن دينهم، وسومهم سوء العذاب لمن لا عشيرة له، حتى مات بعضهم تحت التعذيب.

وأخيراً جيّشت بطون قريش الجيوش، وحاربت النبي ودينه في بدر وأُحُد والخندق. . وعندما هزمت البطون واضطرت إلى الدخول في الإسلام كارهة، اندسّت بين الصفوف وشكّلت مركز تأثير، وبعد موت النبي قبضت على مقاليد الأمور بدعوى أن محمداً رجل من قريش، وأن البطون القريشية أولى به لأنه منها، وايضاحاً للأمور وتمهيداً لبسط الحقائق، سنفرد فقرة خاصة بكل شكل من أشكال مواجهة بطون قريش العدائية للنبي وعترته وأتباعه المخلصين.

الهزء والسخرية:

في المرحلة السرية من الدعوة الاسلامية، وقبل أن يؤمر النبي باعلان دعوته انتشرت في أوساط مكة شائعات عن أنباء النبوة والرسالة والكتاب، فكان النبي إذا

مر بملأ من قريش قالوا: «إن فتى عبد المطلب ليكلم من السماء»[1] حتى إذا ما أعلن النبي دعوته أفصحوا عن سخريتهم وأعلنوا هزءهم بصورة واضحة. ولقد سجّل القرآن الكريم هذا الشكل من مواجهة بطون قريش حيث قال تعالى: ﴿وإذَا رءَاكَ الَّذِين كَفَرُوا إن يَتَّخِذُونَكَ إلاّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وإذَا رَأَوْكَ إنْ يتَّخِذُونَك إلاّ هُزُواً أَهَذَا الَّذي بَعَثَ الله رَسُولاً﴾[3].

وقد قررت بطون قريش أن تُكَوِّنَ فرقة خاصة مهمتها الاستهزاء بالرسول، وجعلت أقطابها الوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد، وعقبة بن أبي معيط، والحكم بن العاص بن أمية، جد ملوك بني أمية ووالد مروان بن الحكم باني المملكة الأموية، وعم عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث، وأبو جهل[4].. وقد أشار القرآن الكريم لوجود هذه الفرقة بقوله تعالى ﴿إنّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهزِئين﴾[5].

وما يؤكد واقعه الاستهزاء قوله تعالى: ﴿ولقدِ اسْتُهزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾[6] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتُهزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[7]. وبالإيجاز فقد كانت بطون قريش تسخر من النبي، وتستهزىء به وترى أنه غير آهل للرسالة؛ لأنه ليس عظيماً بمقاييسهم الفاسدة للعظمة، انظر الى قوله تعالى مسجلاً الظواهر التي كانت بطون قريش تبني عليها مواقفها: ﴿وقَالُوا لَولا نُزِّلَ هذا القرآنُ علىٰ رَجُلٍ من القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٌ»[8].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤.
(٢) سورة الأنبياء آية ٣٦.
(٣) سورة الفرقان آية ٤١.
(٤) السيرة الحلبية ١/ ٣١٨ ـ ٣١٩، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٢٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤، والكامل لابن الأثير ٢/ ٧٠ ـ ٧٥.
(٥) سورة الحجر آية ٩٥.
(٦) سورة الرعد آية ٣٢ وسورة الأنبياء ٤١.
(٧) سورة الأنعام آية ١٠.
(٨) سورة الزخرف آية ٣١.

تكذيب البطون للنبي:

لم تكتف بطون قريش بالسخرية والإستهزاء بالنبي، إنما أشاعت بين سكّان مكة وقبائل العرب بأن النبي (حاشاه) كاذب فيما زعم من أمر النبوة والرسالة، وزعمت أنه مفتر، وقد سجل القرآن الكريم واقعة تكذيب البطون لرسول الله حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[1].. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾[2].. وقوله تعالى: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُم فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوفَ يَكُونُ لِزاماً﴾[3]. وكان تأثير هذه الإشاعات ساحقاً على قبائل العرب، لأن بطون قريش لها مكانة أدبية خاصة عند العرب بوصف هذه البطون حماة البيت الحرام وجيرانه وسدنته، وبالتالي فإن قبائل العرب تعتبر رأي البطون بالنبي ثقة، واقتنعت أكثر هذه القبائل بأن رسول الله (حاشاه) كاذب في أمر النبوة والرسالة بدليل أنه عرض نفسه على قبائل كثيرة فكانت تلك القبائل تقول له: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك[4]... وظل على هذه الحالة حتى ساقه الله لحي من أهل يثرب.

محاولات الإغراء:

في اطار الحرب النفسية، ومحاولات بطون قريش، لتطويق الداعية، واجهاض الدعوة، توجهت زعامة تلك البطون الى أبي طالب، حامي الداعية والدعوة، وعميد البيت الهاشمي وقالوا له: «ان ابن أخيك قد عاب آلهتنا، وسفّه أحلامنا وضلّلَ أسلافنا، فليمسك عن ذلك؛ وليحكم في أموالنا بما يشاء»، وأطلع أبو طالب النبي على عرض قريش، ومن الطبيعي أن يرفض هذا العرض،

---

(١) سورة فاطر آية ٢٥.
(٢) سورة الأنعام آية ٥٧.
(٣) سورة الفرقان آية ٧٧.
(٤) الطبقات لابن سعد ١/ ١٧ و١٨ و٢١٦.

وأجاب عمه قائلاً: «إن الله لم يبعثني لجمع الدنيا والرغبة فيها، وإنما بعثني لأبلغ عنه، وأدل عليه»[1].

واستفاضت الروايات بأن زعامة قريش جاءت إلى أبي طالب وشكت له أمر رسول الله وقالت له: فإن كان مريضاً داويناه، وإن أراد مالاً جمعنا له من أموالنا حتى يكون أكثرنا مالاً.. فقال رسول الله: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أموت دونه[2].

فكفت قريش عن محاولاتها الفاشلة لاغراء النبي.

الطعن بشخصية الرسول وايذائه:

إن محمداً كشخص لم يكن خافياً على زعامة قريش، فهو ابن أنهد وأشرف فتيانها عبد الله بن عبد المطلب[3]، وهو حفيد عبد المطلب[4]، السيد الصالح الذي نادى بأخلاق الحنيفية السمحاء في المجتمع الجاهلي، الحكيم المجاب الدعوة وهو من بني هاشم[5]، ذؤابة البطون وتاجها المتألق، ولقد لفتت سيرة النبي قبل النبوة وأخلاقه العالية أنظار سكان مكة فسموه الأمين، ولقد شاعت هذه الصفة بين سكان مكة كلها فعندما اختلفت بطون قريش على من يضع الحجر الأسود مكانه في الكعبة المشرفة، وكادت هذه البطون أن تقتتل، واتفقوا على أن يحكّموا بالأمر أول داخل عليهم، فدخل محمد بن عبد الله ففرحت بطون قريش وقالت بلسان واحد: «هذا الأمين قد رضينا به، هذا محمد»[6]. فوضع الحجر في ردائه وطلب من كل قبيلة من القبائل المتنازعة أن تمسك بطرف الرداء وترفعه،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤.

(٢) الغدير للأميني ٧/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ نقلاً عن ابن اسحاق.

(٣) الطبقات ابن سعد ١/ ٨٨ و٩٦، وتاريخ الطبري ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٥.

(٤) السيرة الحلبية ١/ ٤ و٥ و٨٥، وطبقات ابن سعد ١/ ٨٣ و٨٤ و٨٥، وتاريخ الطبري ٢/ ١٧٩.

(٥) السيرة الحلبية ١/ ٤ ـ ١٠، وطبقات ابن سعد ١/ ٧٨ و٨٠ و٨١ و٨٤، وصحيح الترمذي ٢/ ٢٦٩، وكنز العمال ٦/ ١٠٨، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٨٠، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٩٣ ـ ١٠١.

(٦) تاريخ الطبري ١/ ٣٧ ـ ٤١.

وهكذا فعلت القبائل فتناوله بيده الشريفة ووضع الحجر الأسود مكانه في البناء، فرضيت البطون، واكتشفت أن محمداً مع الأمانة حكيم. ولقد شاعت هذه الصفات مع غيرها من صفاته الكريمة، فكل بطون قريش تعلم علم اليقين أن محمداً أمين وصادق وحكيم، ولكنها تجاهلت يقينها، وكيداً منها زعمت أنه (حاشاه) كاذب، وساحر، وكاهن، ومجنون، ومفتر على الله تعالى، وجنّدت بطون قريش كل امكانياتها لنشر أكاذيبها على رسول الله، لتصد الناس عن دينه، ولتفشّل دعوته ونبوته إن استطاعت، حتى لا يؤمن به أحد، فقلبت بطون قريش الحقائق وأغرقتها في بحار من أكاذيبها الى حين، وتعمّدت الكذب مع سبق الاصرار، ولقد سجّل القرآن الكريم الكثير من مطاعن هذه البطون بالنبي الأعظم: **﴿فَذَكِّر فَمَا أَنتَ بِنِعمتِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ ولا مَجْنُونٍ أمْ يقولونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾**[1]، **﴿وَقالوا يَا أَيُّها الَّذي نُزِّلَ عَلَيهِ الذِّكْرُ إنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾**[2].

لم تكتف بطون قريش بقلب الحقائق وبطعونها الظالمة بشخصية الرسول إنّما آذته أيضاً بأفعال مادية تمجها الفطرة السليمة، فعلى سبيل المثال:

بينما كان النبي واقفاً بين يدي الله مصلياً، ومعلناً عبوديته له في بيت الله الحرام الذي يأمن فيه الخائف، رأته زعامة قريش على هذه الحالة فجمح بها طغيانها وأمرت غلاماً أن يلقى فرثاً وسلى قد استخرجوه من جزور مذبوح على ظهر النبي، فنهض رسول الله من صلاته كسير الحال، وأخبر عمه أبا طالب بما جرى، فغضب أبو طالب وتوشح بسيفه وأقبل على زعامة البطون الجالسة حول الكعبة، وقال مهدداً: «والله لا يتكلم منكم رجل إلا ضربته ثم أمر غلامه فألقى الفرث والسلى على وجوه زعامة البطون رداً على ما فعلته بمحمد»[3]. وقال القرطبي في تفسيره: إنّ أبا طالب لطخ بالفرث وجه عبد الله بن الزبعري، وهو الذي لطّخ رسول الله.

---

(١) سورة الطور آية ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) سورة الحجر آية ٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤، وتفسير القرطبي ص٤٠٦ والغدير للأميني ٧/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

الطعن بالقرآن الكريم:

في معرض مواجهة بطون قريش لمحمد ولآل محمد ولمن والاهم، واصراراً منها على إلحاق الهزيمة بمحمد وآله، وصرفاً لشرف النبوة عنهم، طعنت بطون قريش في القرآن الكريم، على اعتبار أنه أعظم براهين النبوة، فزعمت أن هذا القرآن أساطير الأولين، وأن محمداً تقوّله على الله، وأنه مفتري، ولو شاءت تلك البطون لقالت مثله، وعندما تحداها محمد بأمر من ربه أن تأتي بعشر سور مفتريات من مثله كما تزعم عجزت، وسلمت عملياً، وتحداها أن تأتي بسورة فعجزت، ثم أعلن النبي بأمر من ربه بأن الجنس والإنس لو اجتمعا لن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو تظاهروا. ومضت بطون قريش في أكاذيبها، فقالت: إن القرآن عمل ساحر، وفن شاعر، وتراتيل كاهن، ولكن البطون كانت مقتنعة أن اتهاماتها مختلقة، وغير مقنعة وأن دعاياتها فاشلة، وعاجزة عن اقناع العقل البشري مهما انحط مستواه، ولكنها قدرت أن هذه الدعايات على هزالتها، ستشغل العامة وتصدّهم عن الإصغاء لمحمد.

وشككت بطون قريش بصحة الأخبار والأنباء التي جاء بها القرآن، وأبدت عجبها من جعل الآلهة إلهاً واحداً، ويجيبها القرآن بأنه على فرض وجود آلهة، فإن بعض الآلهة سيعلو على بعض وستكون الكلمة العليا لإله واحد، وبغير ذلك يتعذّر تدبير الكون، وتبدي بطون قريش شكها المطلق بامكانية اعادة تركيب الإنسان بعدم موته، ويجيبهم القرآن الكريم، كونوا أي شيء مما يكبر في صدوركم، فإن الذي خلق هذا الشيء أول مرة بقادر على اعادته بعد تلفه.

وكان واضحاً أن بطون قريش قد هزمت منطقياً وهزمت عقلياً، وأن النبي بهدى من ربه قد أجابها على كافة تساؤلاتها وطعونها اجابات مقنعة، وأن الحجة قد أقيمت على بطون قريش تماماً[1] ثم إن قريش تعرف محمداً ولم تعهد عليه

(١) لقد ساق الله سبحانه وتعالى في كتابه مطاعن بطون قريش بالنبي، وبين اعتراضاتهم عليه، ومطاعنهم في القرآن الكريم، ثم فندها، مطعناً بعد مطعن، واعتراضاً تلو اعتراض، وأقام الحجة على أعلائه وبقيت الطعون والاعتراضات والردود الإلهية خالدة، ليستوعب الجنس البشري عامة والذين آمنوا =

الكذب على الناس، وكانت بطون قريش مجتمعة تلقبه بالأمين لصدقه وأمانته ورجاحة عقله[1]، وقد عاش النبي بين البطون، وأيقنت بنبله وشرفه وتميزه، ثم إن محمداً سليل عبد الله، وعبد الله سليل عبد المطلب، وعبد المطلب سليل هاشم، وهاشم سليل عبد مناف، وهؤلاء سادات قريش وأشرافها وحكماؤها، فهل يعقل أن يكذب من كانت هذه صفاته على الكبر بعد أن بلغ أربعين عاماً!! وهل يعقل أن يكون كذبه على الله تعالى!! إن بطون قريش مقتنعة باستحالة ذلك وهي ترى أن محمداً سوياً ليس به جِنّة، ويزداد كل يوماً تألقاً ورجاحة وبهاء.

لكن بطون قريش تكره أن يكون النبي من بني هاشم، وأن يختص الهاشميون بشرف النبوة من دون بطون قريش، ودافع البطون الحقيقي هو الحسد لبني هاشم والخوف على مصالحها[2].

وللتعبير عن حقيقة دافعها هذا وضعت البطون أصابعها في آذانها، وتجاهلت صوت العقل والمنطق، وأصرت على متابعة دعاياتها المختلفة الفاشلة، وشكلت فرقة من المستهزئين بمبلِّغ الرسالة منهم الوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد، والعاص بن وائل والد عمرو بن العاص، وعقبة بن أبي معيط والد الوليد بن عقبة، والحكم بن العاص جد ملوك بني أمية ووالد مروان بن الحكم باني المملكة الأموية، وعم عثمان بن عفان[3] واستعانت هذه الفرقة بمحدِّثين كالنضر بن الحرث الذي كان يُحدِّث قريش عن أخبار ملوك فارس وهو عليم بها[4] وذلك لغايات صد الناس عن محمد، وصدهم عن السماع له أو الإنصات

= خاصة، الأساليب الملتوية لأئمة الكفر.

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٤١ وسيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٣٥.

(٢) ولقد كشف الخليفة عمر بن الخطاب حقيقة هذا الدافع بعد وفاة الرسول وعبَّر عنه أصدق تعبير تاريخ ابن الأثير ٣/ ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ١٠٧، ٣/ ٩٧، وأورده في أحوال عمر آخر جـ٣، وأخرج المحاورة الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد وكتبنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤١١ والنظام السياسي في الإسلام ص١٢٢، ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام الفصل الأخير «الإنقلاب».

(٣) السيرة الحلبية ١/ ٣١٦ ـ ٣٢٢ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٢٠.

(٤) السيرة الحلبية ١/ ٣٢٢.

الى القرآن الكريم، ولإلهاء الناس عن الدين الجديد.

التعذيب والتقتيل والإيذاء:

قلنا: إنّ عدداً من سكان مكة قد دخل في دين الإسلام، وكان المطلوب من المسلم أن يشهد بوحدانية الله تعالى، وبأن محمداً نبي الله ورسوله وأن يطيع النبي، ويسمع منه، لم يطلب منهم النبي أن يواجهوا بطون قريش، أو أن يحموه أو يحموا دعوته، فقد كانت المواجهة الفعلية محصورة بالنبي وبني هاشم من جهة، وبين بطون قريش الـ٢٣ من جهة ثانية، وتصدى الهاشميون ومعهم بنو المطلب لحماية النبي وحماية دعوته[1] بمعنى أن دور الذين أسلموا محصور بالثبات على إسلامهم واعتقادهم بوحدانية الله وبنبوة محمد ورسالته. ومع هذا كانت تعتبرهم بطون قريش من موالي محمد، وجزءاً من جبهة المواجهة التي يقودها النبي بالتعاون والتعاضد مع البطن الهاشمي.

ومن هنا فقد صبت بطون قريش جام غضبها على الموالي أو الأحابيش أو العبيد ـ الذين لا قبائل لهم تحميهم ـ فنكلت بهم تنكيلاً تقشعرّ من هوله الأبدان، وكشفت هذه البطون عن طبيعة الشرك بتعامله مع من يظفر بهم من أعدائه، وأبرز التاريخ مجموعة من الصور المرعبة لهذا التنكيل، فقد كان أمية بن خلف أحد سادة البطون يخرج عبده المملوك بلال بن رباح الحبشي إذا حميت الشمس وقت الظهيرة ويلقيه في الرمضاء على وجهه وعلى ظهره، ثم يأمر بوضع صخرة كبيرة على صدره[2].

وياسر، وابنه عمار، وزوجته سمية، تلك الأسرة الضعيفة أخرجها أبو جهل

---

(١) تفسير القرطبي، والغدير للأميني ٧/٣٩٩ ـ ٤٠٠، وتاريخ الطبري ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٤، وطبقات ابن سعد ١/٢٠٣، والسيرة الحلبية ١/٣٢٢، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢١٩، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٧ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٢٤. وتاريخ ابن كثير ٣/٤٢ وتاريخ أبي الفداء ١/١٢٠ والإصابة لابن حجر ٤/١١٦ تجد شعر أبي طالب «والله لن يصلوا اليك بجمعهم»... وقد ثبتنا ذلك في مستهل البحث تحت عنوان اعلان النبوة والرسالة أمام البطن الهاشمي فارجع إليه إن شئت.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٦٦، وسيرة الرسول وأهل بيته ص١/ ٧٢.

أحد سادات البطون وعذبها عذاباً أليماً، فتوجعت الأم سمية فأغضبت أبا جهل فطعنها بحربة في فرجها فماتت، ومات ياسر من التعذيب، وتحمل عمار العذاب[1]. وعاش عمّار بعد ذلك، حتى قتله معاوية في معركة صفين وهو يقاتل الى جانب الإمام علي.

وخبّاب بن الارت التميمي أحد السبايا الذي عذب بالرضن ـ حجارة محماة بالنار ـ ولووا عنقه، وثبت على دينه حتى شهد انتصار الإسلام[2].

وصهيب بن سنان الرومي وعامر بن فهير الذين عذبوا حتى دلعت ألسنتهم[3].

ولبيبة جارية بني مؤمل بن حبيب بن عدي التي أنزل بها عمر بن الخطاب أشد ألوان العذاب ثم تركها سآمة[4].

وزنيرة المرأة التي عذبها عمر بن الخطاب حتى فقدت بصرها ولكن رد بصرها.

أما الذين آمنوا ممن لهم قبائل تحميهم، فقد تعرضوا للمضايقات النفسية، ولقارص القول، ولصنوف الهزؤ والسخرية، ولأنواع من الضغوط، لأن القبيلة كانت بمثابة كيان سياسي ملتزم بخلع حمايته على أفراده، ومن هنا تعرّض الذين أسلموا من بطون قريش للمضايقات والضغوط ليتخلوا عن اعتقادهم بنبوة محمد ورسالته بالدرجة الأولى.

فرض الإقامة الجبرية على المسلمين:

بعد أن نجحت قيادة بطون قريش بتطويق الدعوة، وتشكيك قبائل العرب

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٦٧.
(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٦٨.
(٣) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٦٩، وسيرة الرسول وأهل بيته (لمؤسسة البلاغ ١/ ٧٢ ـ ٧٣)، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢١٩.
(٤) المراجع السابقة.

بصدق النبي، وعقله، وكجزء من مخططات قيادة هذه البطون لإفشال مشروع النبوة والرسالة والقضاء عليه، تابعت ضغوطها النفسية على الذين إتَّبعوا محمداً من أبناء البطون، اذ يتعذّر عليها أن تتجاوز معهم التضييق والضغوط النفسية حتى لا تثير حفيظة البطون التي ينتمون اليها فيتداعى التحالف ضد النبي وضد آله وضد الإسلام.

وبنفس الوقت استمرت قيادة تلك البطون بانزال أبشع أنواع التعذيب الوحشي ضد الذين اتبعوا محمداً من الموالي والعبيد الذين لا بطون لهم تحميهم...

وحتى لا يغيب أتباع محمد عن عيون تلك البطون وطمعاً بخنق الدعوة المحمدية، فرضت قيادة تلك البطون لوناً من ألوان الإقامة الجبرية فمنعت اتباع محمد من الهجرة، وأجبرتهم على البقاء في مكة، ليسهل على البطون السيطرة على حركة النبوة والرسالة وأتباعها.

فقد حاولت أن تمنع المهاجرة الأولى الى الحبشة[1] وحاولت أن تمنع موجة المهاجرين الثانية الى الحبشة، وعندما نجح المهاجرون بالوصول إلى الحبشة شكلت قيادة بطون قريش وفداً إلى النجاشي برئاسة عمرو بن العاص ومعه الهدايا وكلفته باقناع النجاشي ليرد المهاجرين إلى مكة[2].

وبعد موت أبي طالب، قويت عيون بطون قريش على النبي فذهب الى الطائف، وجرت اتصالات بين زعامة البطون وزعامة الشرك في الطائف، ورتبوا أسوأ استقبال لرسول الله في الطائف وهكذا أجهضوا مشروع هجرته إلى الطائف[3].

وعندما هم النبي بالهجرة الى المدينة المنوّرة تآمرت قيادة بطون قريش على

---

(١) السيرة الحلبية ١/ ٣٠١ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٧٥ وما فوق.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٧ ـ ٣٦٢ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٥٥ وما فوق.
(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٩١ ـ ٩٣.

قتله وشرعت بهذا القتل فعلاً، ولكن الله نجى نبيه[1]، ولما نجح النبي بالهجرة الى المدينة المنوّرة خصصت بطون قريش الجوائز لمن يقبض على النبي حياً أو ميتاً ويرده الى مكة، ليمضي بقية عمره تحت الإقامة الجبرية[2].

الحصار والمقاطعة:

المعسكـــــران:

عندما أُمر النبي أن يصدع بأمر ربه، دعا البطن الهاشمي لاجتماع في داره، ثم أعلن رسول الله (ص) أمام المجتمعين أنباء النبوة والرسالة، وبأمر من ربه عين علي بن أبي طالب ولياً لعهده واماماً من بعده، وما أن انتشرت وقائع هذا الاجتماع حتى انقسم المجتمع المكي الى معسكرين متواجهين.

أ ـ المعسكر الأول: ويتألف من الهاشميين بقيادة أبي طالب، ويتعاطف معهم بطن بني المطلب بن عبد مناف، والمسلمون من البطون الأخرى، والموالي، والعبيد وهم معسكر الإسلام.

ب ـ المعسكر الثاني: ويتألف من بطون قريش الـ٢٣ بقيادة البطن الأموي وبني مخزوم، وبالتحديد أبي سفيان وبنيه وبني عمومته، وأبي جهل وسادات البطون الـ٢٣، ومن والاهم من الموالي، والأحابيش، والعبيد وهم معسكر الشرك.

أسس وحدة معسكر الشرك:

قامت وحدة معسكر الشرك على أسس منها:

١ ـــ إن بطون قريش ال٢٣ تعتبر النبوة شرفاً ومفخرة، وترفض بشدة أن ينال الهاشميون هذا الشرف دون البطون، فإذا اختص الهاشميون بشرف النبوة ونالوا فخرها، عندئذٍ يتعذّر على البطون أن تحصل على مفخرة مشابهة لمفخرة النبوة، فتقع الطامة الكبرى، ويتكرّس التميز الهاشمي وتختل الصيغة السياسية

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٠ ـ ١٣٠ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٦ـ ٤٠.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/ ١٠٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٠، ومعجم البلدان لياقوت الحموي جـ٥ مكة.

الجاهلية، القائمة على التوازن بين البطون[1].

٢ ـ ثم إن قيادة معسكر الشرك اعتبرت النبوة طريقاً للملك، ليس ملك قريش فقط إنما ملك العرب، فإذا اعترفت بطون قريش بنبوة محمد الهاشمي فسيصبح سيد قريش وتتبعه العرب، فيمسى سيداً للعرب كلها عندئذٍ يجمع الهاشميون شرف وفخر النبوة مع شرف وفخر الملك، ويتحقق التميز الهاشمي الى الأبد، وعلى الرغم من أن بطون قريش الـ٢٣ قد دخلت الإسلام فيما بعد إلا أنها بقيت مسكونة بهذه التصورات المريضة[2].

٣ ـ كانت بطون قريش الـ٢٣ تشترك بحسد بني هاشم، وتكره أن يأتيها الهدى عن طريق هاشمي، فالظلام أحب اليها من نور يأتيها عن طريق هاشمي. تلك حقيقة يصل اليها حتماً وبالضرورة كل من وقف على مفاصل الحادثات التاريخية.

هدف معسكر الشِّرك:

ينصب هدف معسكر الشرك المكوَّن من بطون قريش الـ٢٣ على الرفض التام والمطلق للنبوة الهاشمية، وتبعاً لذلك رفض الرسالة، ورفض الكتاب الإلهي «القرآن الكريم» لأنها وصلتهم عن طريق الهاشميين، وتعميم فكرة الرفض المطلق هذه على سكان مكة خاصة، وعلى قبائل العرب ومواليها وعبيدها عامة، وذلك باخفاء الدافع الحقيقي لرفضها، وإشاعة أكاذيب مفادها: أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شاعر، أو كاهن، أو مسحور أو مجنون، أو كاذب «حاشاه»، أو هذه الصفات مجتمعة قد توفرت فيه، ثم إنه رجل نكرة وليس عظيماً من عظماء القرشيين، ثم إن هذا الذي جاء به محمد ما هو في الحق والحقيقة إلا أساطير

---

(١) كتابينا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٣٠١ وما فوق، والخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ١٠٥ و١٠٧، نقلاً عن تاريخ بغداد، وتاريخ الطبري ٢/ ٨٩، ٤/ ٢٢٣، وعبد الله بن سبأ لمرتضى العسكري ١/ ١١٤، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٤٠ وما فوق.

الأولين، ومضامينه غير معقولة!! فقد جعل الآلهة الهاً واحداً!!! ويدَّعي أن الإنسان إذا مات وتحول الى تراب يبعثه الله من جديد ويحاسبه على كافة أعماله.. الخ من أكاذيب بطون قريش وتصوراتها المريضة.

أسهل خطة لتحقيق هدف معسكر الشِّرك:

أسهل خطة لتحقيق هدف معسكر الشرك تكمن بقتل محمد، وبقتله تقتل النبوة والرسالة ويسدل الستار عليها قبل أن يفهمها الناس.

أو أن تتسلم قيادة معسكر الشرك محمداً وتتصرّف به كما يتصرف السيد بعبده، فتنزل به أشد أنواع العذاب حتى يموت أو تنتزع منه بالقوة اعترافات بعدم صحة أنباء النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد، وأن هذه الأنباء برمّتها مختلقفة، عندئذٍ تقدم قيادة معسكر الشرك هذه الاعترافات الزائفة لعامتها على أساس أنها حقائق، ويُسدل الستار نهائياً على تلك الأنباء العظيمة!!! وتنتصر بطون قريش!! وترقص على أنقاض المشروع الإلهي لإنقاذ الجنس البشري.

من الذي منع معسكر الشِّرك من تنفيذ خطته السهلة؟

منذ اليوم الأول لإعلان النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد أعلن الهاشميون بلسان عميدهم عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب بأن أي اعتداء على محمد هو اعتداء على كل الهاشميين باستثناء أبي لهب، وأن الهاشميين ملتزمون بحماية النبي، وحماية حقه بالدعوة إلى الله، وأن الهاشميين لن يمكنوا أحداً من الوصول الى محمد حتى يوسدوا في التراب[1]، وأن أي ايذاء يلحق بمحمد سيرد الهاشميون فوراً بمثله[2]، وخاطب أبو طالب النبي بحضور الهاشميين: «يا ابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح»[3] وطمأنه نيابة عن الهاشميين قائلاً: «والله لا أزال أحوطك

---

(١) تاريخ ابن كثير ٣/ ٤٢، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٢٠، وفتح الباري ٣/ ١٥٣ و١٥٥، والإصابة لابن حجر ٤/ ١١٦، والسيرة الحلبية ١/ ٥ ـ ٣.

(٢) الغدير للعلامة الاميني ٧/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ نقلاً عن القرطبي في تفسيره، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧.

وأمنعك»[1]، وقد أشاعت قيادة معسكر الشرك بأن محمداً قد قتل لتختبر جدية الهاشميين بالدفاع عن محمد، وعلى أثر الإشاعة جمع أبو طالب رجالات بني هاشم وأعطى لكل واحد منهم حديدة صارمة، وأمر كل واحد منهم أن يقف فوق رأس عظيم من عظماء البطون الذين تحلقوا حول الكعبة، وأن ينتظر كل هاشمي اشارة من أبي طالب ليقتل زعماء بطون قريش كلهم إن صح موت محمد، وبهذه الأثناء وصل الخبر بأن محمداً لم يقتل، فخاطب أبو طالب زعماء بطون قريش وأخبرهم بحقيقة ما همّ بفعله لو أن محمداً قد قتل، فصعقت زعامة البطون من هول رد الفعل الهاشمي[2].

وتوعد أبو طالب زعامة بطون قريش قائلاً: «والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم»[3]، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف لقد كدت تأتي على قومك؟ قال أبو طالب: هو ذلك، وخاطب النبي أمامهم شعراً:

اذهـب بنـي فمـا عليـك غضـاضـة ... اذهـب وقـر بـذاك منـك عيـونـاً

والله لـن يصلـوا إليـك بجمعهـم ... حتـى أوسـد فـي التـراب دفينـا[4]

لقد اقتنعت زعامة معسكر الشرك إن اقدامها على قتل محمد بهذه الظروف يعني اشعال حرب أهلية بين البطن الهاشمي وبطن بني المطلب ـ الذي تضامن مع الهاشميين ـ وبين بقية بطون قريش الـ٢٣، وإذا اشتعلت هذه الحرب فستأتي على قريش كلها، ويبقى الفخر والشرف مع الدمار والأشلاء فأحجمت عن القتل الى حين.

ومن هنا انصبت مطالبها على تسليم محمد، أو أن يخلى الهاشميون بين

(١) الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٤ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧.
(٢) الغدير للعلامة الأميني ٧/ ٣٨٨ ـ ٣٩٩ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢١٩.
(٣) المصدر السابق قد وثقنا ذلك أكثر من مرة في هذا الكتاب.
(٤) تاريخ ابن كثير ٣/ ٤٢ وشرح النهج ٣/ ٣٠٦ وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٢٠ والسيرة الحلبية ١/ ٩١ و٢١١.

البطون وبين محمد، ورفض الهاشميون بلسان عميدهم أبي طالب هذين المطلبين جملةً وتفصيلاً.

الهاشميون هم العدو وليس محمداً:

أدركت زعامة معسكر الشرك أن عدوها اللدود هو البطن الهاشمي، فلولا هذا البطن لحققت زعامة الشِّرك الانتصار السريع على محمد ودعوته، لذلك فكرت هذه الزعامة بطريقة حاسمة تجنّب قريش اراقة الدماء وتركّع نهائياً البطن الهاشمي، وتجبره على التخلّي عن محمد لتتمكن قريش من تصفية حسابها معه.

فكرة الحصار والمقاطعة:

فكرة الحصار والمقاطعة، فكرة جديدة على العرب عامة وعلى بطون قريش خاصة، ورغم تنقيبي المتواصل عن الفكرة إلا أنني لم أجد في تاريخ العرب وقريش خاصة حالة مشابهة لها، ولست أدري كيف نشأ تصوّر الحصار والمقاطعة في ذهن زعامة الشرك، ولا من الذي أوحى لها بهذا التصور وحدد معالمه ومداه، لكن الأقرب الى المنطق أن بطون قريش أدركت أن قتل محمد مكلف، وأن الهاشميين جادون في موقفهم، وأنه ليس بامكان قريش أن تدع محمداً وشأنه، فالناس يدخلون في دينه، ومن يدخل بهذا الدين لا يخرج منه، وإذا تركوا محمداً وشأنه فستنموا دعوته وسيتكاثر أتباعه، فإذا أصبح قتل محمد مستحيلاً بسبب الموقف الهاشمي، فيجب أن تَتَّحدَ البطون على مقاطعة بني هاشم، ومواليهم، وعبيدهم وحصرهم في شِعب أبي طالب حتى يركعوا فيسلموا محمداً للبطون فتقتله، وعلى هذا أجمعت بطون قريش الـ٢٣ بقيادة البطن الأموي الذي يلتقي مع البطن الهاشمي بالجد الثالث «عبد مناف».

صحيفة الحصار والمقاطعة:

اجتمع زعماء معسكر الشِّرك «قادة بطون قريش الـ٢٣» واتفقوا على أن يحصروا محمداً وبني هاشم وبني المطلب، ومواليهم في شعب أبي طالب، وتعاهدوا أن يقاطعوا النبي، وأبا طالب، وبني هاشم، وبني المطلب، مقاطعة اقتصادية واجتماعية كاملة، وأن لا يبايعوا أحداً من بني هاشم، ولا يناكحوهم،

ولا يعاملوهم أبداً حتى يقوم الهاشميون بتسليم محمد لبطون قريش فتقتله، واعتبروا ذلك عقداً وعهداً، وكتبوا به صحيفة مُهرت بتواقيع ثمانين من زعماء بطون قريش الـ٢٣، ولإضفاء القداسة والجدية على هذا التعاقد والتعاهد، علقوا الصحيفة في جوف الكعبة في السنة السابعة من النبوة خلال شهر محرم[١].

الهاشميون يعانون في الشعب وبطون قريش تتفرج:

إنحاز الهاشميون باستثناء أبي لهب، وبنو المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب ودخلوا في شعبه أو شعب بني هاشم، ولم يكن يصل اليهم أي شيء من الطعام إلا ما يتسرّب اليهم سراً من بعض المتعاطفين معهم، واستمر الحصار ثلاث سنوات، أنفقت خلال هذه المدة خديجة بنت خويلد زوجة الرسول كافة أموالها، وأنفق أبو طالب وبنوه كل ما عندهم، واشتد الأمر على الهاشميين، وعلى المطّلبيين، وعانوا الحرمان والجوع، وأكلوا نباتات الأرض، واضطر أطفالهم أن يمصّوا الرمال من العطش، وكانت بطون قريش تشاهد معاناة الهاشميين وتتلذّذ بها، وتتفرج دون أي احساس بالحرج، وكان على رأس المتفرجين بنو أمية، وبنو تيم وبنو عدي، وبنو مخزوم، وبنو نوفل... الخ.

كان مطلب بطون قريش من بني هاشم ينحصر في تسليم محمد لهذه البطون لتقتله، وتضع حداً لدعوته ولدين الإسلام.

ولكن الهاشميين لم يركعوا، ولم يستسلموا، ولم يعطوا الدنية، إنما تحملوا ما لم تتحمله أية قبيلة من القبائل في سبيل محمد وفي سبيل دينه.

فلولاهم لقَتلت البطون محمداً كما قُتل غيره من الأنبياء، ولولاهم لما قامت للإسلام قائمة، ولكان شأن الإسلام كشأن غيره من دعوات الحق التي جاء بها النبيون والتي أجهضت من قبله، ولكن الله تعالى أراد أن يظهر دينه، وأن يتحمّل البطن الهاشمي أعباء مرحلة التأسيس الحاسمة.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٩ ـ ٣٧٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٠ ـ ٤٢ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٨٤ وما فوق.

فشل الحصار والمقاطعة:

استمر الحصار ثلاث سنوات عانى فيها الهاشميون الأمرّين، وتحملوا ما لم يتحمله بشر، وكان يكفيهم أن يخلوا بين محمد وبين بطون قريش، أو أن يُسلِّموا محمداً لقيادة تلك البطون، عندئذٍ يتجنبون مواجهة بطون قريش التي رمتهم بقوس واحدة، وينجون من العذاب الأليم الذي مسّهم أثناء فترة الحصار والمقاطعة.

لكن تسليم الهاشميين لمحمد أو تركه للبطون لتقضى فيه بأمرها، أمر لا يتفق مع طبيعة أبي طالب عميد البطن الهاشمي آنذاك، ولا يتفق مع الطبيعة الهاشمية، من هنا فقد صبروا وصابروا واحتسبوا وجاء الفرج.

فأوحى الله تعالى لنبيه أن الله قد أرسل حشرة على صحيفة الحصار والمقاطعة فأكلت تلك الحشرة كل ما كتب فيها عدا ما كان فيها من اسم الله، وما أن انتهى جبريل من إلقاء تلك البشارة العظيمة حتى نهض رسول الله فأخبر عمه بتفاصيل خبر السماء هذا.

عندئذٍ توجه أبو طالب ومحمد ومعهما الهاشميون الى البيت الحرام، وسمعت بطون قريش بعودة أبي طالب ومحمد والهاشميون وبتجميعهم حول الكعبة، فأقبلت قريش لتقف على حقيقة الأمر، ولما اكتمل جمعها قالت زعامة الشرك لأبي طالب: «قد آن لك يا أبا طالب أن تذكر العهد، وأن تشتاق إلى قومك وتدع اللجاج في أمر ابن أخيك»[1].

كانت زعامة الكفر تتصور أن أبا طالب جاء ليعلن استسلامه واستسلام بني هاشم، وأنه لا يدري كيف يعلن هذا الإستسلام، فابتدأت زعامة البطون بالقول لتسهّل اعلانه!!

وطلب أبو طالب من زعماء معسكر الشرك احضار الصحيفة، وتصوّرت زعامة البطون أنه لم يبق بينها وبين اعلان الاستسلام إلا قاب قوسين، ولما أُحضرت الصحيفة أشار اليها أبو طالب وقال: أليست هذه صحيفتكم على العهد

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣١ـ٣٣.

الذي تركتموها فيه؟ فقالت زعامة البطون: نعم. قال أبو طالب: فهل أحدثتم فيها حدثاً؟ قالت زعامة البطون: اللهم لا.

المعجزة ونهاية الحصار والمقاطعة:

قال أبو طالب: لقد أعلمني محمد عن ربه أن الله قد بعث الأرضة فأكلت كل ما فيها إلاّ ذكر الله، أفرأيتم إن كان صادقاً، ما تصنعون؟ قالت زعامة البطون: نكف ونمسك. قال أبو طالب: فإن كان كاذباً دفعته اليكم تقتلونه. فقالت زعامة البطون قد أنصفت وأجملت.

وفُضّت الصحيفة فإذا كل ما فيها قد محي إلا مواضع اسم الله عز وجل وبهتت زعامة الشرك، ولكنها جادلت بالباطل. وقالت إن هذا إلا سحر مبين[1].

وعلى أثر هذه المعجزة أسلم عدد من الناس، وأعلن أبو طالب أنه لن يبقىٰ محاصراً وهو على الحق، واهتزت شرعية الحصار والمقاطعة في النفوس، وعاد النبي وأبو طالب والهاشميون إلى مكة، وفشلت تماماً فكرة الحصار والمقاطعة، وتكرّست الرجولة الهاشمية، والتميز الهاشمي.

وبالرغم من التعتيم الإعلامي على تلك المعجزة، فقد انتشرت وسمع بها العرب. مثلما سمعوا بأنباء الحصار والمقاطعة.

فضل على كل مسلم:

لقد كان الموقف الهاشمي بزعامة أبي طالب نقطة تحول كبرى في تاريخ الإسلام، فلولا الموقف المشرِّف لبني هاشم، لقتلت بطون قريش محمداً، ولما قامت للإسلام قائمة، ولكنَّ الله تعالى أناط بالهاشميين تحمل أعباء مرحلة المواجهة الحاسمة والتأسيس، وشرف أبو طالب بعبء قيادة الهاشميين في هذه المرحلة، وساعدهم بعونه على حماية الدعوة والداعية، وجعل لبني هاشم عامة فضلاً على كل مسلم ومسلمة إلى يوم الدين، وأقام رباطاً عضوياً بين ماضي الدعوة وحاضرها ومستقبلها، ومد الفضل الهاشمي مداً عظيماً ولم يجعله راكداً،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٢.

فجعل الصلاة على محمد وعلى آل محمد جزءاً من الصلاة المفروضة على العباد، فمن لم يصلّ عليهم لا صلاة له، على حد تعبير الشافعي. وفي ذلك تتويج لصدارتهم، وتقدمهم في كل الأزمان. لقد شاءت حكمة الله أن يكون لأبي طالب الباع الأطول بهذه المرحلة، وأن يكون لأولاده وأحفاده مركز الصدارة في جميع المواجهات التي جرت في جميع المراحل.

من المهازل:

ومن المهازل التي تثير قرف النفس البشرية، أن القوى التي سيطرت على مقاليد أمور الأمة الإسلامية فيما بعد، صوّرت أبا طالب بصورة المشرك، ووضعته في ضحضاح من النار على حد تعبير المغيرة بن شعبة، وزوّرت، وأنكرت كفاحه، وأنكرت جهاد أولاده الذي لا يخفى على أحد، وفرضت مسبتهم على المنابر، ولم تقبل شهادة من يواليهم، فعادت وليهم، ووالت عدوهم، وألقت بأذهان العامة والغوغاء أن الهاشميين ماتوا بموت محمد، وأنهم لم يخلقوا للقيادة، إنما خلقوا ليكونوا أتباعاً لخلفاء بطون قريش، وأن الخلافة حق خالص للبطون لأنهم أقرباء محمد!! مثلما كانت النبوة حق خالص للهاشميين، وأن هذه القسمة هي القسمة العادلة، وكأن هذه البطون هي التي أعطت النبوة لبني هاشم،!! وكأنّها هي المخولة بتوزيع الفضل الإلهي!![1].

الاتفاق على قتل النبي:

لم تتوقف زعامة البطون عن مراقبة تحركات النبي، واتصالاته المستمرة بقبائل العرب، ونتائج هذه الإتصالات، وقد تأكدت زعامة البطون أن محمداً قد نجح أخيراً باقامة قاعدة له في يثرب، وأن عدداً من أهلها لا يقل عن سبعين رجلاً قد اتبعوا دينه، واتفقوا معه على أن يهاجر النبي اليهم، وعاهدوه على أن يحموه كما يحمون أنفسهم، وشاع أن عدداً كبيراً من أهل يثرب غير هؤلاء قد دخلوا

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٤ آخر سيرة عمر سنة ٢٣، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٣/ ١٠٧ و٣/ ١٠٥ و١٠٧، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٨٩، ٤/ ١٢٣، ومروج الذهب للمسعودي ٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٣٣٢.

الإسلام، وأن محمداً يتأهّب للهجرة، وتأكدت استخبارات البطون من صحة تلك الأنباء، وعرفت بالتحديد اليوم الذي سيهاجر به محمد. بعد أن اطلعت على تفاصيل بيعة العقبة[1].

عندئذٍ أدركت زعامة البطون أن محمداً قد تجاوز الخط المألوف وأنه قد بدأ مرحلة خطيرة. فإذا نجح محمد بالهجرة فسيستقطب حوله الأكثرية من سكان يثرب، ومن حولها من قبائل العرب، عندئذٍ ستصبح النبوة الهاشمية حقيقة واقعة، ويذهب الهاشميون بفخر النبوة بين العرب دون سائر البطون، وأكثر من ذلك فقد ينجح محمد بتكوين ملك لبني هاشم، وهكذا يتكرّس التميز الهاشمي، ليس على مستوى مكة، بل على مستوى العرب، وليس مستبعداً أن يجمع محمد جيشاً وأن يغزو به مكة، ويجعل سافل كل شيء عاليه، ويعيد ترتيب كل شيء تحت اشرافه.

عقدت زعامة بطون قريش الـ٢٣ اجتماعاً موسّعاً في دار الندوة وتداولوا فيما بينهم بأمر محمد، وطرحت ثلاثة آراء للبحث والمناقشة: ١ ـ فإما حبسه، ٢ ـ وإما نفيه، ٣ ـ وإما قتله[2]، ﴿وإذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أوْ يَقْتُلُوكَ أوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرينَ﴾[3].

واتفقوا على أن قتل النبي هو الحل ولا حل غيره، وقد قرروا اختيار عدد من الفتية يمثل كل فتى منهم عشيرة، ليشتركوا في شرف قتله، ولتكوين جبهة متراصّة ضد الهاشميين فلا يقوون على المطالبة بدمه أو الاقتصاص من قتلته، وبهذا التدبير يضيع دم محمد بين العشائر وينجون من رد الفعل الهاشمي. وعلى هذا أجمعوا أمرهم وتعاقدوا وتعاهدوا لتنفيذ مؤامرتهم.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٣ ـ ١١٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٨٢ ـ ١٠٣.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٥ وما فوق، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٨ وما فوق.
(٣) سورة الأنفال، آية ٣٠.

الشروع بالقتل ونجاة النبي:

زعامة بطون قريش لا تترك الأمور المتعلقة ببني هاشم وبالنبي للصدفة، في دار الندوة اتفقت زعامة البطون على قتل النبي، ووضعت خطة القتل، وتطرقت لأدق التفاصيل، ومهمة الفتية الذين تم اختيارهم من كل البطون تتلخّص بتنفيذ خطة الجريمة. وتقضي الخطة بمراقبة البيت المبارك الذي يقيم فيه النبي، حتى إذا ما خيّم الظلام وهجع السامر، زحف فتية البطون بعزم وهدوء، وطوقوا البيت المبارك، فإن خرج النبي خلال فترة التطويق انقضوا عليه بسيوفهم وضربوه ضربة رجل واحد، وإن لم يخرج خلال مدة معقولة، دخلوا عليه البيت جميعاً وضربوه وهو نائم ضربة رجل واحد. وقرار زعامة البطون واضح بأن تلك الليلة يتوجب أن تكون آخر ليالي محمد من الحياة. فالأمور مرتبة ترتيباً محكماً، ولا طاقة لبني هاشم على مواجهة البطون، خاصة بعد موت سيدهم وعميدهم وشيخ البطاح أبي طالب. كل شيء جهزته البطون لتنفيذ الجريمة وبأعصاب هادئة، مع أن محمداً من قريش، ومع أن الهاشميين بنو عمومتهم، ولكن عندما يتمكن الحقد من النفوس، فإنها تبور ولا شيء يصلحها.

هيّأ الرسول نفسه للهجرة والخروج من مكة، وكلّف ولي عهده والإمام من بعده علي بن أبي طالب، أن يتدثر ببرد النبي الحضرمي الأخضر، وأن ينام في فراش النبي ليوهم المتآمرين القتلة أن النائم هو النبي وليس علياً، فينشغلوا عنه، وكلف النبي ولي عهده أيضاً أن يتولى تأدية الأمانات الموجودة عند الرسول إلى أهلها وبعد أن يفعل ذلك، يحمل أهل النبي، ويتبعه مهاجراً إلى المدينة المنوّرة.

وبعد أن رتب النبي أموره، ودع ولي عهده وأهل بيته وخرج مهاجراً، شاهد النبي المتآمرين القتلة يحيطون بالبيت المبارك احاطة السوار بالمعصم، ويطوقونه تطويقاً كاملاً، بحيث يتعذّر الدخول أو الخروج من البيت، وقف النبي وقرأ: **﴿يس والقُرآنِ الحَكيمِ... وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾** ثم سار النبي بخطى ثابتة وبقلب مليء بالإيمان، وتخطى

القتلة، فلم يبصروه[1]، ثم تابع طريقه إلى المدينة يرافقه أبو بكر بن أبي قحافة، وعبد الله بن أُريقط.

وطال انتظار المتآمرون، ولم يخرج النبي، وبدأت الوساوس تعمل في صدورهم، لقد انبلج الفجر، ولاحت الدنيا، ومن المستحيل أن يتأخر خروج محمد إلى هذا الحد، واقتحموا بيت النبي، ودخلوا الحجرة المقدسة، واقتربوا من فراش النبي وكشفوا الغطاء، فإذا النائم بفراش النبي علي وليس محمداً فهاج القتلة، وسألوا علياً عن النبي فقال لهم علي بهدوء المؤمن ورباطة جأشه «قلتم له اخرج عنا فخرج عنكم».

أحيطت زعامة بطون قريش علماً بما حدث، فهاجت وماجت وجنّ جنونها، فأطلقت فرسانها ورجالها ليبحثوا عن محمد وليعودوا به حياً أو ميتاً، وخصصت جائزة كبرى مقدارها مائة ناقة لمن يقبض على محمد، وبذلت زعامة بطون قريش كل ومعها للقبض على محمد ولكنها فشلت ولم تُفلح، حيث دخل النبي الغار وقضى فيه ثلاثة أيام، حتى يئست زعامة البطون من العثور عليه وبعد ذلك شق طريقه بيمن الله ورعايته الى عاصمة دولته المباركة، ولتتيقن قريش أن ليس في الأمر سحراً، شاهد سراقة أحد الطامعين في الجائزة محمداً وهو يتابع رحلته المباركة، وحاول سراقة أن ينال الجائزة، ولكنه رأى من المعجزات، ما أجبره على الإقلاع عن محاولاته، وكان هلاكه مؤكداً لو لم ينزع من ذهنه أمر الحصول على الجائزة، وأخيراً قال رسول الله لسراقة: «كيف بك يا سراقة إذا سورت بسواري كسرى» رجل مشرد ومطارد يعد أحد مطارديه بسواري أعظم ملك من ملوك الأرض آنذاك!!! لكن الرجل لا ينطق عن الهوى، يعرف ما يريد ويسعى بخطى متلاحقة لتحقيق ما يريد.

وقبل أن يغادر النبي مكة وقف على مروة، وناجى مكة قائلاً: «اني لأعلم أنك أحب البلاد اليّ، وأنك أحب أرض الله إلى الله، ولولا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجت».

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩.

قتلة وإن لم يقتلوا:

لقد خططت زعامة بطون قريش لقتل النبي، وجهزت القتلة بأسلحة الجريمة، ووضعتهم بالمكان المخصص لإرتكاب الجريمة، وأعطتهم الأوامر، ليضربوا النبي جميعاً ضربة رجل واحد عندما تقع أبصارهم عليه، فيقتلوه، ولكن النبي نجا من المؤامرة بسبب لا يد للقتلة فيه، وهكذا تمت جريمة الشروع في القتل وبقيت صفحة سوداء بتاريخ زعامة بطون قريش.

وعندما نجا النبي استنفرت بطون قريش خيلها ورجِلها وخصصت جائزة كبرى لمن يقبض على النبي حياً أو ميتاً، وأباحت دم النبي، وفوضت أي قرشي أو حبشي أو أي عبد من عبيدها أو مولى من مواليها أن يقتل محمداً بعد أن استنفرت كل سكان مكة ولكن الله نجّى نبيه من القتل لسبب لا يد لزعامة بطون قريش فيه، وهكذا تمت جريمة الشروع بقتل النبي ثانية، وبقيت صفحة سوداء في تاريخ زعامة البطون.

ومن المفارقات المفجعة أن زعامة البطون هذه فيما بعد زعمت أنها أولى بالخلافة من آل محمد لأن محمداً من بطون قريش!! وخططت تلك الزعامة بليل، واستولت على السلطة الإسلامية بالغصب والتغلُّب، وأقنعت الناس بالقوة بأنها الأولى بالحكم لأن محمداً منها، وافتخرت على العرب بذلك في الوقت الذي قتلت فيه آل محمد تقتيلاً ونكّلت بهم تنكيلاً وهم وحدهم الذين حموا محمداً من شر البطون، وحاربوا البطون تسعة عشر عاماً دفاعاً عن محمد!! إن هذا لأمر عجاب.

صحيح أن بطون قريش لم تقتل النبي لسبب لا يد لها فيه، لكنهم قتلة وإن لم يقتلوا، وسنرى فيما بعد كيف تذبح زعامة البطون أبناء محمد بأعصاب باردة وبلا رحمة.



الباب الثاني

المواجهة بعد الهجرة



الفصل الأول:

الوصول الى يثرب واقامة الدولة

الوصول الى يثرب:

نجا النبي من مؤامرة القتل التي خططت لها زعامة بطون قريش، ونجا أيضاً من مطاردة خيل البطون ورجلها بعد فشل مؤامرة القتل، وتابع رحلته المباركة إلى يثرب، وسبقت وصوله إليها أنباء هجرته، ونجاته من القتل والمطاردة.

لقد سمع سكان يثرب ومن حولها الكثير الكثير عن رسول الله واختلفوا بشأنه اختلافاً كبيراً حتى قبل أن يهاجر إليهم، فمنهم من آمن به وأحبه حباً شديداً، وترقب بشوق بالغ قدومه، واعتبر هذا القدوم فاتحة خير وبركة على الجميع. ومنهم من فوجىء بدخول الإسلام إلى يثرب، ومن سرعة انتشاره، فكره النبي كرهاً شديداً دون أن يراه، وحكم عليه مزاجياً قبل أن يستمع اليه، وتمنى من كل قلبه لو أن بطون قريش قد تمكنت منه فقتلته شر قتلة، ووضعت له ولدينه حداً وبالتالي فقد كره قدومه، واعتبر هذا القدوم شراً مستطيراً.

وبالرغم من اختلاف يثرب ومن حولها بشأن النبي وبشأن دينه، إلا أن الجميع اعتبروه شخصاً مميزاً، وبطلاً صمد أمام ضغوط بطون قريش ال٢٣ طوال ١٣ سنة، ونجا من محاولة قتله، ومن عملية مطاردة البطون له، ويبدو أن الذين بايعوه في العقبة الكبرى قد نجحوا نجاحاً باهراً بالإعداد لقدومه، فتولّدت حالة من الإنبهار العام، جعلت الجميع يتلهّفون على مشاهدة الرجل النبي، وأخفى الكارهون له ولدينه ولقدومه مشاعرهم بالكره، وأظهروا له غير ما أبطنوا، وأبدوا كياسة بالغة، وحسن ضيافة، بعد أن أخذوا بحالة الإنبهار العام.

وهكذا خرجت يثرب ومن حولها عن بكرة أبيها، ولأول مرة في تاريخها، لتستقبل النبي مظهرة له كل مشاعز الإعجاب والإحترام، والفرح بقدومه، وعرض عليه العديد من وجهاء يثرب أن يحل ضيفاً عليهم، ومن جملة الذين عرضوا عليه ذلك عبد الله بن أُبي (زعيم المنافقين)، وتنافسوا لينالوا شرف ضيافته، وخرج النبي بحل أدهش المتنافسين على استضافته، وقطع تنافسهم، حيث قرر أن يحل بالمكان الذي تبرك فيه ناقته المأمورة.

القوى الفاعلة في يثرب عند قدوم النبي اليها:

١ ـ الأوس والخزرج:

كانت تسكن يثرب وما حولها قبائل عربية، أكثرها وأهمها على الإطلاق الأوس، والخزرج، وكل قبيلة من هاتين القبيلتين ترى أن السيادة إذا آلت للقبيلة الأخرى منهما فإنه حط من قدرها، وانتقاص من كبريائها، ولم تتوصلا مع الزمن الى قاسم مشترك، مما جرَّ عليهما المتاعب والويلات، وغرس في نفوس المنتسبين اليهما بذور الحسد والتنافس والكراهية والحقد، فإذا تبنى الأوس موقفاً، فالخزرج يتبنون بالضرورة الموقف المناقض له، وإذا اندفعت الخزرج نحو خير، اندفع الأوس لينالوا أوفره، وانقسمت كل قبيلة من هاتين القبيلتين الى بطون متعددة، وجرى تنافس صامت بين هذه البطون لا يقل حدة وأثراً عن التنافس الذي كان يجري بين القبيلتين الأم. كل هذا أوجد حالة من التآكل الداخلي في المجتمع اليثربي الذي تشكل القبيلتان أسسه وقوامه، وشعوراً عميقاً بالحاجة إلى حل يأتي من خارج يثرب، وسعت كل قبيلة منهما لتتبنى هذا الحل، ولتكون لها اليد الطولى بايجاده، وهذا يفسر السرعة الهائلة التي انتشر بها الإسلام في يثرب ومن حولها. والخلاصة أن أهم القوى الفاعلة في يثرب يكمن في الأوس والخزرج.

٢ ـ القبائل اليهودية:

ويسكن المدينة وما حولها مع الأوس والخزرج قبائل يهودية ارتبطت مع

هاتين القبيلتين بأحلاف عشائرية، وتعاطت التجارة، واحتكرتها، وتمركزت بها رؤوس الأموال، وتعاملت بالربا، ومارست إذكاء نار الفتنة بين بطون هاتين القبيلتين، وكونت لنفسها نفوذاً هائلاً، ولكنها لم تفكر بالسيادة على يثرب لإحساسها العميق بأنها عنصر أجنبي لا يقبل اليثاربة حكمه، ومن أهم القبائل اليهودية في يثرب بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

وعلى الرغم من أن الأوس والخزرج جميعاً عرب، أصلهم واحد إلا أن إحساسهم بهذا الرباط لا يكاد يُذكر بسبب ضراوة التآكل الداخلي، وعنف التنافس وأثرهما المدمّر. ومع أن القبائل اليهودية كانت تدين بالديانة اليهودية، وتشعر جميعاً بوطأة الغربة، إلاَّ أن الرابطة العامة بين هذه القبائل تكاد أن تكون معدومة عملياً بسبب عمق التنافس المادي بين هذه القبائل، بدليل أن رسول الله(ص) قد هرسها فيما بعد قبيلة بعد قبيلة وهي تتفرج على بعضها دون أن تحرك ساكناً أو تحتج احتجاجاً يذكر.

٣ ـ المسلمون الأنصار:

وهم الذين أسلموا من بطون الأوس والخزرج أو تظاهروا بالإسلام، وقد عرفوا جميعاً بالأنصار، وطبيعة العلاقة بين القبيلتين القائمة على التنافس الحاد والسعي الحثيث الى السبق والفوز والتقدم عجلت بدخول منتسبي القبيلتين معاً في دين الإسلام، حتى لا تسبق قبيلة قبيلة، أو تختص قبيلة بالفضل دون الأخرى، ففي فترة يسيرة دخل أفراد القبيلتين، أو تظاهروا بالدخول فلم يعد بامكان أي فرد من أفراد هاتين القبيلتين أن يعلن اعتناقه لغير دين الإسلام، وهكذا عم الإسلام اسمياً المدينة وما حولها، ولم يبق من هؤلاء السكان على دينه القديم غير اليهود، ومع هذا أسلمت مجموعة منهم، بمعنى أن سكان يثرب وما حولها دخلوا في الإسلام أو تظاهروا بدخوله طوعاً وبدون اكراه. وكان للصادقين منهم دور بارز في نشر الإسلام في يثرب وفي تهيئة المجتمع اليثربي نفسياً لقبول قيادة النبي، وفي خلق حالة الإنبهار العام التي دفعت الجميع لإستقباله، وعجلت بانتشار الإسلام، وتكوّن من هؤلاء الصادقين في ما بعد مع من هاجر جيش النبي الذي دانت له

العرب، والصادقون موزعون على مختلف بطون قبيلتي الأوس والخزرج. والخلاصة أن مسلمي الأنصار شكلوا قوة كبرى فاعلة ومؤثرة ومتميزة عن غيرها من القوى الفاعلة في يثرب.

٤ ـ المسلمون المهاجرون:

وهم الذين أسلموا من سكان مكة، وهاجروا قبل النبي أو بعده واستمر تدفقهم على يثرب حتى فتح مكة، وبعد الفتح أدرك الأذكياء من أهل مكة أن الإسلام هو طريق الدنيا وطريق الآخرة معاً، وأن مفتاح ذلك هو موالاة محمد أو التظاهر بموالاته وتصديقه، والخلاصة لقد تجمعت في يثرب قوة فاعلة ومتميزة عن غيرها عرفت «بالمهاجرين» وكانت أكثريتها من بطون قريش وبعضهم من الموالي الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان.

٥ ـ المنافقون:

فوجئت الأغلبية الساحقة من رجالات يثرب بانتشار الإسلام، وسرعة توغّله في النفوس، مثلما فوجئت بحالة الإنبهار العام بشخصية الرسول، وبقدرة الدين الجديد، وقدرة نبيه على استقطاب الناس وخلق آلية الاستقطاب. واكتشفت أن معارضة النبي أو معارضة دينه مجابهة هي بمثابة انتحار سياسي يجر على صاحبه سخط العامة، والعزل التام عن أي دور في القيادة أو التوجيه ويخرجه من دائرة الضوء. وتفتقت ذهنيتهم المريضة عن مبدأ خطير قدّروا أنه الحل الوحيد وهو مبدأ: (الإسلام التام في الظاهر والكفر التام في الباطن).

فالمنافق ينطق بالشهادتين، ويعلن بلسانه أن القرآن كلام الله، ويسبّح، ويُصلي، ويصوم ويزكي، وينفق ويتصدق، ويعتمر، ويحج، ويخرج للجهاد مع الرسول، أو يعتذر عن الخروج، ويبالغ بالاعتذار إذا تخلف حتى يقبل الرسول عذره، فمن حيث الظاهر هو مسلم من جميع الوجوه.

لكنه في قرارة نفسه كافر بكل ما جاء به محمد، يكره النبي، ويكره قيادته للمجتمع، يحقد على النبي وعلى أهل بيته، وعلى من يحبهم ويواليهم، ويحب

الذين عادوا النبي وأهل بيته فيتخذه وليجة له ووليا، ويتربّص الفرص لنقض كلمة الإسلام من أصولها.

لقد ترسخت فكرة النفاق، وصارت مشكلة النفاق من أعظم المشكلات التي واجهت النبي ومن والاه، حيث عمت هذه الظاهرة، المدينة وما حولها، فعبد الله بن أُبي يسكن مع ابنه في بيت واحد، ومع هذا فالوالد زعيم المنافقين، والابن عبد صالح يوالي الله ورسوله، ولقد عبَّر القرآن عن ذلك خير تعبير قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعراب مُنافِقُونَ، ومِنْ أهلِ المدينةِ مَرَدُوا على النفاق لا تَعْلَمُهُمْ نحن نَعْلَمُهُمْ﴾[1].. لقد تحوّل المنافقون إلى قوة رهيبة، فقد كثر عددهم حيث شكلوا الأكثرية الساحقة من مجتمع المدينة، ولكن فاعليتهم كانت ملجومة بقيادة النبي الحكيمة، وبوجوده المبارك. وقبول المسلمين لهذه القيادة وكم حاول النبي أن يصلحهم، وأن يهديهم سواء السبيل، ولكنهم اختاروا العمى على الهداية، وذهبت كل المحاولات أدراج الرياح.

رقصوا طرباً وأصلحوا أنفسهم!!!

عندما انتقل النبي الى جوار ربه، رقص المنافقون طرباً وفرحوا بموته، وفرحوا عندما دب الخلاف بين أتباعه، وكانت سعادتهم لا توصف عندما خرج أهل بيت النبوة من دائرة الحدث والتأثير وأقصوا عن قيادة الأمة. هنالك اختفت كلمة النفاق وتبخر المنافقون تماماً، وكأنهم كانوا ينتظرون موته ليصلحوا أنفسهم قبل أن يرتد اليك طرفك، وليعلنوا ولاءهم المطلق للسلطة التي خلفت النبي!! إنّ هذا لشيء عجاب.

وبعد أن استعرضنا القوى الفاعلة في يثرب عند قدوم النبي، سنُبيِّن بما أمكن من الايجاز كيف تعامل النبي مع هذه القوى؟

الإعلان عن قيام الدولة الإسلامية:

بعد نجاة النبي من مؤامرة قتله التي خططت لها زعامة بطون قريش، وافلاته

---

(١) سورة التوبة، آية ١٠١.

من مطاردة خيل البطون ورجلها له، تابع رحلته المباركة إلى يثرب، ووصلها ووجد سكان يثرب ومن حولها من الأعراب قد خرجوا عن بكرة أبيهم ليستقبلوه، وليظهروا أو يتظاهروا باظهار فرحتهم بقدومه، بغض النظر عن حقيقة نواياهم، ودوافعهم لهذا الاستقبال والخروج، وبغض النظر عن اختلافهم الكبير بشأن النبي كما أسلفنا.

ومن المؤكد أن سكان يثرب ومن حولها، كانوا بواقع الحال أحد ثلاثة:

١ ـ فإما مؤمن صادق يعتبر موالاة النبي وطاعته جزءاً من دينه وهذا حال الذين امتحن الله قلوبهم للايمان من المهاجرين والأنصار، كسعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، والمقداد، وعمار بن ياسر.

٢ ـ وإما منافق يتظاهر بالإسلام وبموالاة النبي رغبة أو رهبة، ويبطن الكفر بالإسلام والحقد على النبي وآله وأوليائه، ويقيم أوثق العلاقات مع أعدائهم كحال عبد الله بن أُبَي، وأصحاب مسجد الضرار، والذين تآمروا على قتل النبي.

٣ ـ وإما من اليهود الذين انبهروا بالسرعة التي التف بها أهل المدينة من العرب حول محمد، وأدركوا أن محمداً صار سيد المدينة وما حولها، وأن لأتباعه الكلمة العليا، وأن مصالحهم ونفوذهم تحت رحمة الرجل وأتباعه، ومن الحكمة أن يتظاهروا بموالاة محمد الى حين، حرصاً على مصالحهم، وتجنباً للسباحة بمعاكسة التيار العام.

تقييم الموقف والبروز العملي لأركان دولة المواجهة:

انتهت فترة مراسم الاستقبال، واستقر النبي في وطنه الجديد (المدينة المنوّرة وما حولها) وبرزت عملياً أركان دولة المواجهة، وتولى النبي زمام المبادرة لتوجيه هذا البروز، وقاد عملياً وبدون ضجة اعلامية بلورة أركان دولة المواجهة المستقبلية.

الركن الأول: السلطة أو القيادة السياسية:

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالضرورة هو أس السلطة، وهو القائد

وهو المرجع، فهو الرسول الذي اختاره الله تعالى لتبليغ رسالات ربه وعينه ولياً واماماً وجعل طاعته والقبول بشرعية قيادته ومرجعيته جزءاً لا يتجزأ من دين الإسلام، وبالتالي فهو المكلّف ببيان القرآن وهو الأعلم، والأفهم، والأتقى، والأفضل بشهادة الله تعالى فمن الطبيعي جداً أن يكون هو القائد وهو الإمام، وهو المرجع.

وقد أُحيط سكان يثرب علماً بالخطوط العريضة للمواجهة التي جرت بين محمد، وبين زعامة بطون قريش خلال مدة الـ١٣ عاماً التي قضاها النبي في مكة قبل هجرته، وفهموا بأن النبي قد أعلن علي بن أبي طالب ولياً لعهده واماماً من بعده كما وثقنا. فالإمام أو رئيس السلطة معروف، ونائبه معروف.

ومن الطبيعي أن يتولى الإمام أو القائد توزيع الأدوار وأن يستعين بمن يراه مناسباً لتحقيق الغاية الشرعية من ظاهرة السلطة. وقد بيّنا أن كل سكان المدينة المنوّرة وما حولها قبلوا بقيادة محمد قلبياً أو تظاهروا بالقبول، ومحمد ليس مخولاً أن يطلع على نوايا شعبه، بل تعامل مع الظاهر، وترك أمر البواطن لله. بمعنى أن سكان المدينة وما حولها قد قبلوا وبدون ضغط ولا إكراه بقيادة محمد، ومرجعيته.

الركن الثاني: الشعب:

تكون شعب الدولة الجديدة من سكان يثرب وما حولها وهم بالضرورة أحد أربعة أصناف:

١ ـ المسلمون الصادقون الذين هاجروا من مكة الى المدينة (المهاجرون).

٢ ـ المسلمون الصادقون الذين آمنوا من أهل يثرب ومهدوا لقدوم النبي، وأعدوا المجتمع اليثربي لتقبل النبي.

٣ ـ المسلمون الذين تظاهروا بالإسلام وموالاة النبي ـ رغبة أو رهبة ـ وأبطنوا الكفر والكراهية لمحمد ولآل محمد ولمن والاهم وهم (المنافقون).

٤ ـ أصحاب المصالح الذين كرهوا قيادة محمد، وكرهوا دينه، ولكن

حرصاً على مصالحهم وحتى لا يسبحوا بمواجهة التيار العام تظاهروا بقبولهم لقيادة محمد للمجتمع الجديد وهم اليهود.

الصنفان الأوليان (المهاجرون والأنصار) ظاهرهما كباطنهما مع النبي، ومع القرآن، ومع الدين بلا تردد ظاهراً وباطناً. وأمّا الصنفان الثالث والرابع: فظاهرهما مع النبي ومع قيادته للمجتمع وباطنهما كاره لذلك، حاقد عليه، يتربّص الفرص لنقضه، ولكنهما لا يظهران إلاّ وداً، بمعنى أن سكّان يثرب وما حولها قابلون بقيادة محمد، وراضون بها، وبمحض اختيارهم العلني رضوا أن يكونوا شعب السلطة الجديدة، وقبلوا أو تظاهروا بالقبول بكافة ترتيبات هذه السلطة. وهذا عين ما تمنّته كل دولة متحضرة طوال التاريخ.

الركن الثالث: المنظومة الحقوقية (القانون النافذ):

المهاجرون والأنصار بالمفهوم الذي وضحناه آنفاً، يؤمنون بأن الحل لما ينجم بينهم، وبينهم وبين غيرهم يكمن في كتاب الله وسنّة نبيهم. فكتاب الله، وبيان النبي لهذا الكتاب هما بمثابة المنظومة الحقوقية أو القانون النافذ الذي ينظم العلاقة بين السلطة والأمة، أو بين أفراد الأمة وجماعاتها، أو بين الكيان السياسي للأمة وغيره من الكيانات، ويرسم المسالك لبلوغ الغايات العامة والخاصة.

والمسلمون المنافقون يتظاهرون بذلك، وأصحاب المصالح يعلنون أنه لا مانع لديهم من ذلك، وأنهم يقبلون بكل الترتيبات التي يضعها محمد.

بمعنى أن كل أفراد الشعب قبلوا أو تظاهروا بقبول القيادة السياسية المتمثلة بمحمد، وبقبول القانون النافذ المتمثل بالقرآن الكريم، وبفهم النبي له، وبتوجيهات هذا النبي، والتي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من القانون ومن الإسلام معاً. وهذا أقصى ما تطمح الدول بتحقيقه.

الركن الرابع: الوطن أو الاقليم:

المدينة المنوّرة وما حولها هي اقليم الدولة من حيث المبدأ، وهو غير محدد، لأن الأرض كلها لله، ومحمد هو رسوله المكلّف بتبليغ رسالات ربه الى

نبي البشر، وكلما تبلّغ فوج من البشرية الرسالة، وصدّق بها، ووالى نبي الله أو الإمام الشرعي من بعده فيصبح هذا الفوج آلياً جزءاً من رعايا الدولة، والأرض التي يقيم عليه هذا الفوج تغدو جزءاً لا يتجزأ من اقليم الدولة الإسلامية. فالعبرة بالدخول في دين الله، وبموالاة نبيه أو القبول بقيادته أو قيادة الإمام الشرعي القائم مقامه، والعبرة أن يكون الدخول في الإسلام والموالاة أو التظاهر بهما بدون ضغط ولا إكراه، ومن هنا فإن الدولة الإسلامية معدّة أصولها لتكون دولة عالمية تسود العالم كله من حيث السلطة، وتضمّ جماعات الجنس البشري كلها لتكون شعباً لهذه الدولة، وتنقص الأرض من أطرافها لتكون الكرة الأرضية اقليماً لهذه الدولة.

ترتيب أوضاع الدولة وإعدادها للمواجهة:

المواجهة مع بطون قريش قدر محتوم:

النبي العظيم متيقن أن نجاته من مؤامرة القتل، وإفلاته من مطاردة خيل البطون ورجلها لم يضع حداً لحالة المواجهة بينه وبين زعامة بطون قريش. وأن هذه الزعامة الفاسدة لن تقبل بالتطورات الأخيرة والتي أسفرت عن ميلاد كيان سياسي جديد في المدينة المنوّرة وما حولها برئاسة محمد الذي تعتبره عدوها اللدود. وبالتالي فان زعامة البطون لن تعترف بهذا الكيان الجديد بأي وجه من الوجوه، ولن تخلّي بين محمد وبين العرب، بل ستتابع استغلال نفوذها الأدبي عند العرب لتصدّهم عن محمد وعن دينه، ولتحرّضهم عليه. وزيادة على ذلك فإن زعامة البطون ستتصدى بالذات لمقاومة محمد والصدام معه ومحاولة القضاء عليه وعلى دينه نيابة عن العرب الذين لم يوكلوها بذلك ممّا يعني أن استمرار المواجهة وتصعيدها بين النبي ومن والاه، وبين زعامة بطون قريش ومن والاها قدر محتوم، وأمر لا ريب فيه.

فمن الطبيعي والحالة على هذه الشاكلة أن يبدأ النبي مبكراً باستعداداته لهذه المواجهة، ولمواجهات أخرى محتملة جداً مع فئات أخرى تتعارض مصالحها مع الاسلام ومع نبيه. وقد رأى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أولى أولوياته هو

ترتيب الأوضاع الداخلية في الكيان السياسي الذي وجد نفسه رئيساً له.

طبيعة شعب المدينة المنوّرة وما حولها:

لكي نفهم التشريعات التي وضعها رسول الله لترتيب وتنظيم الأوضاع الداخلية لشعب المدينة المنوّرة وما حولها لا بد من فهم طبيعة تركيبة هذا الشعب الذي وجد النبي نفسه عملياً قائداً له، وهذه التركيبة في غاية التعقيد والتشابك، بحيث يتعذّر على أي رجل في العالم أن ينجح في قيادة هكذا شعب، أو أن يخلق بين أفراده وجماعاته حالة من الإنسجام والتوافق تؤهّلهم لئن يكونوا طرفاً موفقاً في أيّة مواجهة جدّية.

فشعب المدينة وما حولها يتكون من مجموعة من البطون القبلية المتميزة تماماً عن بعضها، الحريصة على وجودها واستقلالها القبلي بالرغم من ارتباطها برابطة الدم والقرابة باحدى القبيلتين الأعظم الأوس والخزرج، وهذه البطون مسكونة بهواجس التنافس والتحاسد والتكاره.

أما بقية شعب المدينة فهم بطون، أو عائلات يهودية استقرت في المدينة بعد طول ترحال، ولم يفارقها الإحساس بالغربة، ولا الشعور بأنها عنصر أجنبي رغم طول الإقامة، وكثرة الثروة وتشابك المصالح.

وقد نشأت بين هذه التجمعات القبلية المتنافرة تحالفات بين بعض البطون والبعض الآخر، أو بين بعض هذه البطون وبعض العائلات اليهودية فرضتها حاجات واقعية.

وجاء الإسلام إلى المدينة:

واعتنقت كل بطون قبيلتي الأوس والخزرج الإسلام أو تظاهرت باعتناقه، ووالت كل بطون الأوس والخزرج رسول الله بعد هجرته، أو تظاهرت بموالاته رغبة أو رهبة. وهكذا وظاهرياً جمعوا بين وحدة الدين، ووحدة الأصل، ووحدة الوطن، ووحدة القيادة.

لكن الأمور واقعياً كانت مختلفة جداً، فأكثرية الأوس والخزرج لم يعتنقوا

الإسلام انما تظاهروا باعتناقه، ولم يوالوا النبي حقاً، إنما تظاهروا بموالاته، وهذه الأكثرية هي التي عرفت شرعاً (بالمنافقين) حيث تعذر عليها أن تبقى على حالها، أو تسبح بمواجهة تيار قوي وجارف، فتظاهرت باعتناق الإسلام، وبموالاة النبي، وأضمرت الكفر بالإسلام والحقد على النبي. واندسّت مظهرة اسلامها وموالاتها للنبي ومبطنة كفرها وحقدها على النبي، تتربّص الفرص لنقض كلمة الإسلام من أصولها، وللقضاء على محمد وآله ومن صدق به. وليس من المستبعد أن هذه الأكثرية بقيت عاكفة على أصنامها تقدم لها فروض الطاعة، وليس بعيداً أن تكون هذه الفئة بلا دين وبلا خلاق.

أما بطون اليهود والعائلات اليهودية فقد كانت أقل مكراً وأبعد غوراً، فبعضهم اعتنق الإسلام وصدقوا وهم قلة، والأكثرية منهم بقيت على دينها، وبنفس الوقت أظهرت قبولها بقيادة النبي، وتعاملت بحذر مع الأكثرية المنافقة، وتعاطفت معها. وتمنّت الأكثرية اليهودية أن ينجح مخطط المنافقين الرامي الى نقض كلمة الإسلام من أصولها، والقضاء على محمد وآله والمخلصين له، وطبع الله على قلوب الفريقين.

أما الفريق الثالث فهم المؤمنون الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان من المهاجرين والأنصار فقد آمنوا بالله حقاً، وصدّقوا رسوله، وصدقوا بموالاتهم له. وكانت عقولهم وهواهم مع الله ورسوله.

وبالرغم من قلة الفئة المؤمنة، إلاّ أن الله تعالى قد ساعدها بفرض هيبتها، وخلق جواً من الإنبهار بوجودها.

التشابك المذهل:

وفوق هذا وذلك وجدت حالة من التشابك العجيب بين تشكيلات شعب المدينة وما حولها، فأفراد وبطون الأوس قلبياً مع الذين ينتمون للأوس، وأفراد وبطون الخزرج مع المنتسبين للخزرج. ومن الممكن تجاهل رابطة الدم، والتنافس بين القبيلتين حقيقة من حقائق الحياة ترسخت نهائياً، لقد خففها الإسلام، لكنه لم يقو على اقتلاعها نهائياً من النفوس. والتحالفات بقيت مصانة،

وبقيت آثارها. ثم إن هنالك ظاهرة عجيبة حقاً، فقد يكون الأب منافقاً ويكون الإبن مؤمناً. ومهما تمكن الإسلام من قلب الولد فعسير جداً عليه أن يترك أباه، فعندما كثر الحديث عن ضرورة قتل عبد الله بن أُبيّ عز ذلك على ابنه المؤمن واستأذن النبي بقتل أباه، حتى لا يقتله غيره ويكون مضطراً لمشاهدة قاتل أبيه، فيطمئنه النبي ويؤكد له بأنه سيحسن صحبته ولن يأذن لأحد بقتله.

تلك هي الخطوط العريضة:

هذه هي الخطوط العريضة لطبيعة المجتمع الذي وجد النبي نفسه قائداً له، وهو مجتمع يتعذّر على أي رجل فذ أن ينجح بقيادته وتوحيده لكن النبي مؤهّل إلهياً، وهو ذروة الوجود الإنساني. فقد كان، ببصيرته الثاقبة وبعون الله، على علم كامل بطبيعة التشكيلات البشرية التي يتكوّن منها شعبه، وهو لم يتوقع بأن يحكم شعباً من الملائكة، لذلك عمم أن يتعامل مع الواقع كما هو، وأن ينقله بحدود قدرته على الإحتمال، وتدريجياً مما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون أو لأقرب نقطة مما ينبغي أن يكون.

على طريق التنظيم: الدستور المكتوب:

لترتيب الأوضاع الداخلية لشعب المدينة وما حولها تمهيداً لإعداده للمواجهات، وضع النبي دستوراً مكتوباً عرف بالصحيفة، وهو بمثابة عهد من الرسول، وتَكوّن هذا الدستور النبوي من ٤٨ مادة مصاغة صياغة دستورية من جميع الوجوه. وعند الوقوف على المعاني اللغوية للكلمات والمصطلحات التي وردت في هذا الدستور، وبعد الإطلاع على التشريعات الإسلامية التي صدرت خلال حياة النبي فيما بعد، وبعد الإحاطة بتفاصيل النظام السياسي الإسلامي، يجد الباحث الموضوعي المتجرد أن هذه الصحيفة التي وضعها رسول الله لغايات تنظيم المجتمع المديني واعداده للمواجهة، هي دستور دولة من جميع الوجوه. وهي أفضل دستور يمكن أن يوضع لترشيد المجتمع المديني في هذه المرحلة؛ فقد اختيرت ألفاظه لتكون هينة على الأسماع، خفيفة الوقع، توقظ مجتمع المدينة، ولا تهيّجه.

المضمون العام للدستور:

يتضمن الدستور ترتيب الأوضاع الداخلية في مجتمع المدينة وما حولها في حالتي السلم والحرب، وبيان مجمل لحقوق الجماعات التي تكوّن المجتمع وواجباتها، وحدد طبيعة العلاقات بين الجماعات المكوّنة لشعب المدينة، وبين السلطة المتمثلة بشخصه الكريم. فحافظت كل جماعة على وجودها، وأعطيت قدراً كافياً لادارة شؤونها وحل اشكالاتها، وعندما يتعذّر عليها الحل فالمرجع هو رسول الله. وتضمّن الدستور إعلاناً ضمنياً ومكتوباً ولأول مرة بأن رسول الله هو أعلى سلطة في البلاد، وحكمه هو الفصل بحل الخلافات، ورسم الدستور أفقاً للعلاقات بين هذا الكيان السياسي وبين غيره من الكيانات السياسية المنتشرة في الجزيرة. وتضمن الدستور مواداً تنص بوضوح بأن زعامة بطون قريش هي عدوة الجميع ولا يجوز لأي فرد أو جماعة من جماعات شعب المدينة وما حولها أن تعقد صلحاً منفرداً معها، أو أن تتحالف مع أي بطن من البطون المنتمية لزعامة بطون قريش. واشتملت الصحيفة مواداً تتيح للجماعات حرية الحركة في عمومها والرجوع للنبي عند الإختلاف، وتضمنت مبادىء تبرز أهمية قيم معينة. ومع علم النبي بخطورة ظاهرة النفاق، وبكثرة المنافقين، إلا أنّه لم يشر لهذه الظاهرة، ولا لأتباعها، ولم يعترف بوجودها، إنما تعمد تجاهلها واغفالها تماماً، طمعاً بالإصلاح أو الاستطلاع وتعبيراً عن حسن نية السلطة الجديدة نحو شعبها وتفهماً منها لنوازع النفس البشرية.

نماذج من مواد هذا الدستور[1]:

المادة الأولى: «هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين

---

(١) مراجع الدستور النبوي: سيرة ابن هشام ١/ ٥٠١ وما فوق، ومجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص١٥ وما بعدها، والرسول العربي وفن الحرب عند العرب لقائد الجيش السوري اللواء مصطفى طلاس ـ كما نقلها عن سيرة ابن اسحاق ـ، ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ لظافر القاسمي ص٣١ وما فوق.

والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومَن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس».

فهذه المادة أعلنت عن ميلاد أمة جديدة تتكون من المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب وممن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم، وأن الذي أعلن عن ميلاد هذه الأمة الجديدة، هو محمد النبي رسول الله. وهذه الأمة الجديدة تشمل جميع السكان الذين والوا النبي أو تظاهروا بالموالاة والذين اعتنقوا الدين أو تظاهروا باعتناقه والذين لم يعتنقوا الدين، ولكنهم تظاهروا بقبولهم لقيادة النبي وهم اليهود. لاحظ المادة ٢٥ والمواد ٢٦ ـ ٣٦ التي عالجت طبيعة انتماء اليهود للمجتمع الإسلامي بمعنى أن الدستور وجد ليحكم المسلمين وأهل الكتاب وليعيش الفريقان في ظله. المواد من ٣ ـ ١١ تقر بالوجود الشرعي للتشكيلات القبلية وملحقاتها وترتيباتها، وتدخل مفهومي المعروف والقسط، كذلك فالمواد ٢٤ ـ ٣٦ تقر بالوجود السياسي ليهود بطون معينة.

المادة ٣٩: «يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة» **والمادة ٤٢**: «وأنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله..» **والمادة ٤٤** قد نصت: «وأن بينهم النصر على من دهم يثرب» ونصت **المادة ٣٨** على: «وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين» **مادة ٢٢**: «وأنكم مهما اختلفتم من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد».

بمعنى أن يثرب هي وطن الجميع، وأن محمداً هو مرجع الجميع، وأن النفقات مفروضة على الجميع.

المادة ٤٣: وقد نصت هذه المادة على ما يلي: «وأنه لا تُجار قريش ولا من نصرها» **المادة ٢٠ ب**: «وأن لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه مؤمن».

وببساطة صارت بطون قريش هي عدوة المجتمع.

المادة ٤٠: «وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم» **والمادة ١٢**: «وأن

المؤمنين لا يتركون مغرماً «أي مثقلاً بالديون» بينهم أن يعطوه بالمعروف في نداء أو عقل» **والمادة ١٧** : «وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن».

تلك نماذج من مواد الدستور النبوي.

تدابير أخرى:

وفي نطاق تنظيم الشعب وتهيئة المجتمع للمواجهة أوجد رسول الله نظام المؤاخاة حيث آخى بين المهاجرين في مكة قبل الهجرة، وآخى بينه وبين ولي عهده والإمام من بعده علي بن أبي طالب.

وبعد أن تمت الهجرة آخى بين المهاجرين من مكة، وبين أنصار المدينة، وآخى بينه وبين ولي عهده علي بن أبي طالب، واعمالاً لمبدأ المؤاخاة أوجد نظام المشاركة والمواساة، حيث قدم الأغنياء أجزاء من أموالهم إلى اخوانهم الفقراء، وحضّ على الإنفاق واعتبره أكبر مظاهر الإيمان، وشجع الفقراء على أخذ نصيبهم من أموال الأغنياء وذوي الفضل باعتباره حق شرعي لهم، وحض الأغنياء والفقراء على التكافل والتضامن، معلناً انهم شركاء في مال الله، ورسم صورة شرعية لمجتمع الإيمان حيث اعتبره بمثابة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى. وتبع هذه التدابير مجموعة كبيرة من التشريعات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية خلقت مجتمعة حالة فريدة من التماسك والتعاضد بين الجماعة المؤمنة، وميّزتها عن غيرها من الجماعات، وساعد على نجاحها أن رسول الله وهو قائد المجتمع كان مستوى معيشته لا يختلف عن مستوى أفقر أفراد الشعب.

المواجهة المسلحة

المواجهة مع زعامة بطون قريش:

طوال فترة البعثة النبوية التي سبقت الهجرة، والتي استمرت ١٣ عاماً، والنبي وأهله بحالة مواجهة مع بطون قريش، فبطون قريش الـ٢٣ باختصار شديد ترفض رفضاً مطلقاً أن يكون النبي من بني هاشم، وتبعاً لذلك فانها ترفض الدين الإسلامي لأنه قد جاء عن طريق هاشمي. وخلال تلك الفترة عارضت بطون قريش النبوة الهاشمية، والدين الذي جاء عن طريق هاشمي بكل أشكال المعارضة وقاومته بكل فنون المقاومة، وصدت عنه بكل أنواع الصد مستعملة نفوذها الأدبي عند العرب، ثم أفلست زعامة البطون، وتآمرت على قتل النبي قبل هجرته، واشتركت كل بطون قريش ال٢٣ بهذه المؤامرة القذرة، ولكن الله نجّى نبيه، وفشلت المؤامرة، وتابع النبي مسيرة هجرته الخالدة، فجنّ جنون بطون قريش، فطاردت النبي بخيلها ورجلها، وخصصت جائزة كبرى لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً قبل وصوله إلى يثرب، وفشلت المطاردة، ووصل النبي سالماً إلى عاصمة دولته، ورتّب أوضاعها المعقّدة بمدة لا تتجاوز الستة أشهر.

ملاحقة البطون للنبي ومنطقها الأعوج:

بطون قريش لا تقبل أن يكون النبي من بني هاشم، ولا تقبل أي دين عن طريق هاشمي، ولا تسمح بأي تميز للبطن الهاشمي لا في مكة، ولا بأي مكان في العالم. فحسدها للبطن الهاشمي يفوق التصوُّر والتصديق، وفي سبيل تحقيق ذلك، فإن البطون:

١ - لن تعترف مطلقاً بنبوة محمد، ولا بالكيان السياسي الذي يرأسه محمد.

٢ - ستستعمل نفوذها عند العرب وتتابع صدهم عن محمد وعن دينه، وتتابع دعاياتها الكاذبة، واختلافاتها الظالمة ضده وضد دينه. وكلمة زعامة بطون قريش مسموعة، فهم حماة البيت الحرام، وجيرانه، وسدنته ولا أحد من العرب لا يعرفهم، ثم إن محمداً من قريش، ولو وجدت قريش بمحمد خيراً ما أخرجته، ولا تآمرت على قتله، ولما استمرت بعداوته. وبطون قريش تتزعّم عداوة محمد خدمة للعرب ودفاعاً عنهم وعن معتقداتهم، تلك هي اسطوانة البطون التي تكررها أمام الحجيج وأمام العمّار دائماً.

٣ - إن محمداً مذنب، لأنه لم يمكن زعامة البطون من قتله، ومذنب لأنه قد نجا من مطاردة خيل البطون ورجلها؛ لذلك فإن البطون ستلاحقه نيابة عن العرب فتريح العرب منه وتستريح، وتُفشل النبوة الهاشمية.

هذا هو المنطق المعوج لزعامة بطون قريش.

اختلاف الأمور وتغيّر موازين القوى:

بالهجرة اختلفت الأمور تماماً، فمحمد(ص) يترأس كياناً سياسياً أكثر تنظيماً واستقراراً من الكيان السياسي الذي تتوزّع زعامة البطون رئاسته، وليس الهاشميون وحدهم هم الذين يحمون محمداً ودينه بل يحمي محمداً ودينه شعب المدينة وما حولها، فالمؤمنون الصادقون يبطنون الحماية ويعلنونها والكاذبون يتظاهرون بحماية الدعوة والداعية، ويحلفون أغلظ الأيمان بأنهم مع الله ومع رسوله، ولا يجرؤ أحد منهم أن يظهر غير ذلك. ولم يعد الذين اتبعوا محمداً ضعفاء يخافون أن يتخطفهم الناس انما صارت لهم دولة تحميهم ويحمونها، وصار لهم وطن يأويهم ويدافعون عنه.

وباختصار صارت للمسلمين دولة حقيقية برئاسة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتغيرت موازين القوى تماماً.

مطلب النبي من بطون قريش:

للنبي مطلب واحد وهو أن تخلّي بطون قريش بينه وبين العرب، وأن تتوقف عن استغلال نفوذها الأدبي عند العرب لصدهم عنه، وأن تتوقف عن دعاياتها الكاذبة ضده وضد دينه، وأن تعترف بوجوده وبحقه باستقطاب الناس حوله وحول دعوته. ولقد عبّر عن هذا المطلب عتبة بن ربيعة الأموي حيث خاطب زعامة البطون قبل نشوب القتال في بدر قائلاً: «... فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم»[1].

ومحمد لا يُكره أحداً على الدخول في دينه، ودين محمد لا يبيح الإكراه وهو قائم على القناعة، فجزء كبير من شعب المدينة وما حولها، ما زال على دين اليهودية، ومع هذا يعيشون بسلام مع المسلمين، وزعامة بطون قريش على علم بذلك، وعلى علم بما يطلبه النبي منها، وهي تعرف قلبه الكبير، ونفسه العالية، فلا خوف من عقابه لها على عذابها له ولآله ولمن اتبعه، قبل هجرتهم الى يثرب، وبالتالي فليس كثيراً عليها أن تجيب مطلبه هذا. فاليهود يستقطبون الناس لدينهم ولا تعترضهم بطون قريش، والنصارى يفعلون ذلك، وعبدة الأصنام يتمتعون بذات الحقوق، وبطون قريش لا تعترضهم، ولا تضع أمامهم أي عائق، وتخلى بينهم جميعاً وبين العرب، فلماذا لا تعامل ابنها محمداً كما تعامل غيره؟ ولماذا لا تخلى بينه وبين العرب، كما خلت بين أصحاب الديانات وبين العرب؟ ولكن قريشاً رفضت مطلب محمد رفضاً مطلقاً، وتصر على ملاحقتها له وعلى اجهاض دينه، وابطال نبوته والقضاء عليه إن استطاعت، لأنها مسكونة بالحسد لمحمد ولأهل بيت محمد!!!

---

(١) تاريخ الطبري، المجلد الأول ٢/ ٢٧٩ طبعة دار احياء التراث العربي بيروت ـ صرح بهذا المعنى ـ كما ذكر الواقدي في المغازي ١/ ٦٣ ـ طبعة مؤسسة الأعلمي.

أهون الطرق لتجنُّب المواجهة المسلحة:

يتوجّب على بطون قريش أن تخلي بين محمد وبين العرب، وأن تتوقف عن استغلال نفوذها للحيلولة بينه وبين العرب، وأن تمتنع عن دعاياتها الكاذبة واختلافاتها الظالمة ضده وضد دينه، مستغلة قدوم العرب لحج البيت أو لأداء العمرة، فمحمد مشفق وناصح لخلق الله، ويكره سفك الدم وقتل النفس التي حرّم الله، فما هي الطريقة المثلى التي تحقق مطلبه بدون سفك دم وبدون قتال؟

مكة التي تسكنها بطون قريش (وادٍ غير ذي زرع)، وحياة سكانها تعتمد بالدرجة الأولى على التجارة، فهي عصب الحياة في مكة، والتجارة تقوم على رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف الى بلاد الشام، فإذا اقتنعت زعامة بطون قريش أن رحلتها الصيفية الى بلاد الشام أصبحت في خطر وتحت رحمة محمد، فالعقل والمنطق يفرضان عليها أن تتفاوض مع محمد، لرفع الخطر عن طرق تجارتها إلى بلاد الشام، ومحمد لا يطمع بالكثير، فهو يريد أن تعترف به بطون قريش كما تعترف بغيره، وأن تخلي بينه وبين العرب كما خلت بين غيره وبين العرب. ومحمد أولى بذلك للرحم والقربى، وبالمقابل فإن محمداً لن يعترض طرق تجارتها إلى بلاد الشام. هذا هو أسهل الحلول لتجنُّب استمرار حالة المواجهة بينها وبين محمد، ولكن الحسد أعمى بصائر زعامة بطون قريش، وحقدها على محمد وبني هاشم عطّل عقلها تماماً، وسلبها القدرة على التخطيط السليم، فبطون قريش لا تريد أن تعترف بأن موازين القوى قد اختلت، وبوقت يطول أو يقصر، وسواء أشاءت قريش أم أبت سيصبح محمد سيد العرب وزعيمهم بغير منازع.

إشارات من النبي الى بطون قريش:

خلال ستة أشهر استطاع النبي أن يرتّب الأوضاع الداخلية في يثرب، وأن يحدد مسارب الأمور ومسالكها الشرعية، وأن ينتزع وبالرضا اقرار سكان يثرب وما حولها بمسارب الشرعية ومسالكها. فكل جماعة من الجماعات التي يتألف

منها المجتمع اليثربي ترى أن موالاة محمد والقبول به حكماً وحاكماً ومرجعاً هي الشرعية، وأن معاداته ورفض حكمه وتحكيمه ومرجعيته هي الخروج الصارخ على الشرعية، وهذا قمة ما يطلبه الحاكم من رعيته، والمجتمع اليثربي قد وافق بالإجماع على أن بطون قريش هي عدوة الجميع، لا تجار، ولا يجوز الصلح المنفرد معها، ولا يحال بين مؤمن وبين مال أو نفوس تلك البطون كما هو واضح من مواد الدستور النبوي الذي نوّهنا عنه آنفاً.

ومحمد كقائد وكرسول مهمته أن يرشّد المواجهة بين الكيان السياسي الذي يرأسه، وبين زعامة بطون قريش، بحيث تكون هذه المواجهة بحدود الشرعية الإلهية بلا بغي ولا عدوان.

وبالفعل فما أن رتّب النبي الأوضاع الداخلية لكيانه السياسي حتى بدأ بارسال الإشارات المتلاحقة الى زعامة بطون قريش لإشعارها أن الأمور قد تغيرت، وأن طريق تجارتها إلى بلاد الشام أصبحت تحت رحمته، فان شاء تركها تمر آمنة، وإن شاء منعها، ومن الخير لها أن تفاوضه، فهو لا يطمع بالكثير، وغاية ما يتمنّاه بهذه المرحلة هو أن تُخلّي بطون قريش بينه وبين العرب، وأن تتوقف عن استغلال البيت الحرام لبثّ أكاذيبها ودعاياتها الظالمة ضده وضد دينه.

سبع إشارات خلال أَحَدَ عشر شهراً:

في الشهر السابع من الهجرة أرسل الرسول سرية عسكرية برئاسة عمه حمزة بن عبد المطلب لاعتراض عير قريش، وفي الشهر الثامن أرسل سرية أخرى برئاسة ابن عمه عبيدة بن الحارث[١]. وفي الشهر التاسع أرسل سرية برئاسة سعد بن أبي وقاص، وفي الشهر الحادي عشر قاد بنفسه سرية لاعتراض عير قريش، وأثناء عودته وادع بني ضمرة[٢]. وفي الشهر الثالث عشر تمت غزوة بواط لذات الغاية، وفي الشهر السادس عشر تمت غزوة ذي العشيرة لذات الهدف[٣].

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ٩ و١٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ١١ و١٢.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٢ و١٣ و١٤

وفي الشهر السابع عشر تمت غزوة نخلة لذات الغاية، حيث قتل عمرو الحضرمي، وأسر صاحباه[1].

وأخيراً تم تجهيز قوة للاستيلاء على القافلة التي عادت من بلاد الشام، والتي أسفرت عن معركة بدر وهي أول مواجهة مسلّحة بين النبي، وبين زعامة البطون[2].

كانت زعامة البطون تسمع بخروج كل سرية، وتعرف الغاية من خروجها، وقد تيقنت أن طريق تجارتها تحت رحمة محمد، ولكنها مضت بتجاهلها للرسول، وتجاهلها للواقع متغطرسة، تأبى مفاوضته أو التحدث معه بأي شكل من الأشكال.

الرد بالقوة على اشارات النبي الودية، ودعوته للتفاوض:

في المرة الثامنة خرج النبي لاعتراض العير القادمة من الشام، وعلم أبو سفيان بخروج النبي، فغير خط سيره، وأرسل إلى بطون قريش يستنفرها لحماية عيرها وأموالها، فقررت بطون قريش أن تخرج كلها هذه المرة، وأن تشترك بالنفقات، فما تخلف أحد من قريش إلا بعث مكانه بعيثا[3].

وتولى حنظلة بن أبي سفيان، وعمرو بن أبي سفيان مهمة تحريض قريش على الخروج، مع أن مال العير لأبي سفيان[4]. وفي غياب أبي سفيان قاد أبو جهل جيش البطون.

وجهزت قريش ٩٥٠ مقاتلاً، ومئة فرس، وسبعمئة بعير وألبست كل فارس درعاً[5]. واستعدت لزحفها الآثم على رسول الله لغاية معلنة وهي حماية الأموال والعير.

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٣ و١٤

(٢) طبقات ابن سعد ٢/ ٨ و٩ و١٠ و١١ و٢٧ و٣٦ و٤٩، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٣٢.

(٣) المغازي للواقدي ١/ ٣٣.

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٢.

(٥) المصدر السابق ١/ ٣٩.

محاولات للحيلولة دون الزحف الآثم:

رأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤيا مفادها أن راكباً أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته يا آل غدر انفروا إلى مصارعكم ثلاثاً، ثم دخل الكعبة وعلاها وكرر صرخته ثلاثاً، وصعد الى أبي قُبَيْس وكررها ثلاثاً، ثم أخذ صخرة فرماها وهوت فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا داراً من دورها إلا دخلته منها فلذة، إلا بني هاشم وبني زهرة إذ لم يدخل بيوتهم من هذه الصخرة شيئاً. وانتشر خبر الرؤيا، وسمعت به زعامة البطون، فقال أبو جهل: «إن يكن ما قالته عاتكة حقاً فسيكون خلال ثلاثة أيام، وإن مضت الثلاثة ولم يكن نكتب أن الهاشميين أكذب بيت في العرب...»[1].

لما نجت القافلة أرسل أبو سفيان لقريش رسالة مفادها: «إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا»[2].

قبل أن يبدأ القتال وقف عتبة بن ربيعة، واقترح على بطون قريش قائلاً: «ارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب، فإن أصابوا فذاك الذي أردتم وإن كان غير ذلك ألفاكم»[3].

ومما قاله عتبة: «لا آمن أن تكون الدائرة عليكم، وأنتم لا تطلبون إلا دم الحضرمي والعير التي أصاب، وأنا أحمل ذلك وهو علي، يا قوم إن يك محمد كاذباً يكفيكموه ذؤبان العرب، وإن يك ملكاً أكلتم في ملك ابن أخيكم، وإن يك نبياً كنتم أسعد الناس به، يا قوم لا تردوا نصيحتي ولا تسفهوا رأيي»[4].

الهدف الحقيقي من الخروج:

لم يكن هدف بطون قريش من خروجها حماية العير، فالعير قد نجت، ولا

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري المجلد الأول ٢/ ٢٧٦.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٩، وبهذا المعنى ذكر الواقدي في مغازيه: ١/ ٦٣.

(٤) المغازي للواقدي ١/ ٦٣.

دم الحضرمي، لقد أفصحت بطون قريش عن هدفها الحقيقي من الخروج، فها هو قائد البطون أبو جهل يُعلن: «لا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد»[١]، «والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم، ولا نطلب أثراً بعد عين، ولا يعترض لعيرنا بعد هذه أبداً»[٢]. وفي لحظة من لحظات بطر قيادة البطون وغطرستها قال أبو جهل: «وايم الله لا نرجع اليوم حتى نقرن محمداً وأصحابه في الحبال فلا ألفين أحداً منكم قاتلاً أحداً منهم، ولكن خذوهم أخذاً، نعرفهم بالذي صنعوا لمفارقتهم دينكم، ورغبتهم عما كان يعبد آباؤهم»[٣]، وصرحت زعامة البطون بأن من أسباب خروجهم، أن تسمع العرب بهذا الخروج، ويشربون الخمر في بدر، وتعزف لهم القيان، وإلى هذا أشار الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِم بَطَراً وَرِئَآءَ النَّاسِ﴾[٤].

وهكذا زحفت بطون قريش لتحقيق هذه الأهداف، وألقت عصاها في منطقة بدر، لترد عملياً على الإشارات المتلاحقة من محمد لمفاوضتها.

محمد وأصحابه بالانتظار:

لقد نجت القافلة، وسمع النبي وأصحابه بخروج قريش بخيلها ورجلها، وتصميمها على الوصول الى بدر، فاتخذ النبي بمشورة أصحابه أفضل المواقع، وسيطر على الماء، وعبّأ أصحابه، وكانت راية المهاجرين مع علي بن أبي طالب، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة[٥].

وتترس بعضهم ببعض بصفوف متقاربة، وأعطى الرسول أمراً لأصحابه أن لا يسلّوا السيوف حتى يغشاهم المشركون، وأن لا يقاتلوا حتى يأمرهم الرسول بالقتال، وبيّن لهم أن رجالاً من بني هاشم قد أخرجوا كرهاً، وقال لهم: «فمن

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٦٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٦١.
(٣) المغازي للواقدي ١/ ٧٤.
(٤) سورة الأنفال آية ٤٧.
(٥) تاريخ الطبري ٢/ ٢٧٢.

لقى منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله»[1].

وكانت زعامة البطون على علم بحقيقة مشاعر الهاشميين في مكة عندما أكرهتهم على الخروج. أنظر الى قولها: والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هواكم مع محمد[2].

الدعاء قبل نشوب القتال:

وقفت بطون قريش بخيلها ورجلها مصطفة للقتال، وبرز أمام الصفوف قائدها أبو جهل، وبخشوع مصطنع، وبوقار كاذب رفع يديه إلى السماء ودعا ربه قائلاً: «اللهم اقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف فاحنه الغداة»[3].

وفي الجانب الآخر اصطف أصحاب محمد، وسوى النبي الصفوف، ورتب أمورهم بمساعدة الحمزة وعلي، ثم رفع يديه الى السماء ودعى ربه قائلاً: «اللهم إنك أنزلت علي الكتاب وأمرتني بالقتال، ووعدتني احدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة»[4].

اليقين والأوهام:

بعد أن هيأ النبي أصحابه للقتال قال لهم بيقين: سيروا على بركة الله، والله لكأني أنظر الى مصارع القوم. هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان... فما عدا كل رجل مصرعه.

وفي الجانب الآخر وبعد أن رتّب أبو جهل بطون قريش قال لأحد

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٦.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٨١.
(٤) المغازي للواقدي ١/ ٥٩ ـ ٦٠.

معارضيه: «سترى غداً خلاف ما ترى يقتل أشراف أصحاب محمد ويؤسرون»[1].

المبارزة وحكيم البطون أول جاهل:

وقفت كل فئة بمواجهة الأخرى، وصارت المواجهة المسلّحة بينهما أقرب من السواد الى البياض، وفجأة خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد للمبارزة ونادى مناديهم: يا محمد أخرج لنا الأكفاء من قومنا. فقال النبي: «يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، اذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله. وكلّف حمزة بن عبد المطلب عمه، وعلي بن أبي طالب ابن عمه، وعبيد الله بن الحارث قريبه أن يخرجوا للمبارزة. وقتل المشركون الثلاثة، وقطعت ساق عبيد الله وحمل لرسول الله. فقال عبيد الله يا رسول الله ألست شهيداً؟ قال: بلى، قال: أما والله لو كان أبو طالب حياً لعلم أني أحق بما قال حين قال:

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل[2]

صعقت بطون قريش بهذه النتيجة، واهتزت، وأدرك أبو جهل ذلك فخاطب جيشه قائلاً: «ألا لا يهولَنَّكُم مقتل عتبة، وشيبة، والوليد، فانهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا، وايم الله لا نرجع اليوم حتى نقرن محمداً وأصحابه في الحبال، فلا ألفين أحداً منكم قتل منهم أحداً ولكن خذوهم أخذاً، نعرفهم بالذي صنعوا لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد آباؤهم»[3] وشهر سيفه، وشهر المشركون سيوفهم ثم هجموا، والتحمت الفئتان التحاماً رهيباً، قلة مؤمنة، قليلة العدة والعدد، وكثرة مشركة كثيرة العدة والعدد.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٤٢.

(٢) المغازي للواقدي ١/ ٦٨ ـ ٧٠.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٧٢.

النجم المتألِّق:

حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، لا يخفى على أحد، لكن الرجل الذي قاتل بقدرة، وكفاءة تفوق الوصف والتصوُّر هو علي بن أبي طالب، حتى لفت أنظار أهل الأرض وأهل السماء، فنادى ملك من السماء: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»(١).

لقد تألق نجم ولي عهد النبي في بدر، وأدرك الكثير بأن الله أعلم حيث يضع رسالته، لقد أثخن الإمام علي، وقَتَل هو وحمزة نصف ما قُتل من المشركين، وصارت بطولة الإمام فيما بعد مسبة له، ووسيلة للتحريض عليه، ومبرراً لإبعاده عن حقه بالإمامة من بعد النبي، فبعد عشرين سنة يقول عمر بن الخطاب لسعيد بن العاص: «اني لأراك معرضاً تُظن أني قتلت أباك، والله ما قتلت أباك»(٢)، يريد عمر أن يذكر سعيداً أن الذي قتل أباه في بدر هو علي بن أبي طالب.

الهزيمـــــــة:

انجلت المعركة، وهزمت بطون قريش هزيمة منكرة، ومنيت بخسائر فادحة، وصدقت رؤيا عاتكة، فما من بيت إلا وسقطت فيه فلذة من تلك الصخرة، وصرع كل رجل من القتلى في المكان الذي حدده النبي سلفاً وقُتِلَ من قُتل، وأُسِرَ من أُسِرْ، وصدق الله وعده، فأعطى نبيه ذات الشوكة بعد أن نجت العير، وسمع العرب بنتائج المعركة، وأدركوا أن قوى خارقة تدعم محمداً، وأن محمداً أصبح حقيقة من حقائق الحياة في الجزيرة، وأن السير معه هو طريق النصر والمجد.

---

(١) الرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٧٢، والمرقاة لعلي بن سلطان ٥/ ٥٦٧، وكنز العمال للمتقي الهندي ٣/ ١٥٤، وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٧ ـ تجد بعض فنون حملاته الباهرة ـ.

(٢) المغازي للواقدي ١/ ٩٢.

وانضمَّ الحقد إلى الحسد:

انتهت المعركة بهزيمة البطون الساحقة، وبانتهائها حملت نفوس البطون بأسوء جنين عرفته الخليقة وهو الحقد، فامتلأت نفوس البطون بالحقد الأسود على محمد وعلى آل محمد، وظل هذا الحقد في نفوسها، ولم يفارقها لحظة قط. وهكذا جمعت بطون قريش مع الحسد لمحمد ولآله، الحقد الأسود عليهم، وأنّى لأي دين أن يقتلع هذا الثنائي القذر من النفس البشرية!! كيف يمكن لأبي سفيان أن يحب علياً وقد قتل ابنه وعمه؟! كيف يمكن لمعاوية أن يحب علياً وقد قتل شقيقه وجده وخاله وابن خاله وعمومته؟! كيف يمكن لخالد بن الوليد وعثمان بن عفان، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، أن يحبوا الحمزة وعلي وسيوفهما تقطر بدم الآباء والأعمام والأخوال!! يسهل التصوّر أن يحبوا النبي، ويصعب التصوّر بأن يحبوا آله!! لقد لاحقهم الوتر، وأورثوه لذرياتهم، وكُتب على أهل بيت محمد طوال التاريخ أن يدفعوا ضريبة عالية لانتمائهم الصادق لمحمد ولدين محمد سيقول بعضهم: «الإسلام يجبّ ما قبله»، انهم يحمّلون النص غير معناه. إن النفس البشرية ليست زراً كهربائياً تُطفأ وتُضاء بحركة. انها عالم من الإنفعالات يتعذّر عملياً على الإنسان أن يحب الذي قتل ابنه، أو أباه، أو جده، أو أخاه أو ابن أخيه، أو عمه أو ابن عمه، ان ذلك فوق طاقة النفس البشرية. صحيح إن الذي قتلهم قتلهم على الإيمان وجهاداً في سبيل الله، بل ودفاعاً مشروعاً عن النفس، وصحيح أيضاً إن عنوان الإيمان موالاة الله ورسوله، ومعاداة أعدائهما حتى ولو كانوا الآباء والأبناء والأخوة والذرية، لكن هذا كله لا يمنع انفعالات النفس البشرية، وثورة أشجانها من حين إلى حين.

فمحمد هو الآمر، وعلي ابن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب هما المنفذان اللذان نكّلا بالبطون، فما من بطن إلا وتعددت فيه النوائح على قتيل أو مقتولين في بدر، والهاشميون بمعيار بطون قريش يتحملون الجزء الأكبر من المسؤولية، فلو سلموا محمداً للبطون، أو خلوا بين البطون وبين محمد، لما قُتل الذين قتلوا، ولما تطورت الأمور إلى هذا الحد.

قتلى بطون قريش في بدر:

من البطن الأموي:

قتل من الأمويين في بدر أحد عشر قتيلاً، قتل أكثريتهم الساحقة علي، وبعضهم قتله حمزة، والبعض الآخر اشترك الاثنان بقتله. ومن هؤلاء القتلى حنظلة بن أبي سفيان، الإبن الكبير لأبي سفيان وشقيق معاوية، وعتبة بن أبي ربيعة جد معاوية، والوليد بن عتبة خال معاوية، وشيبة بن عتبة شقيق جد معاوية وعم أمه، والعاص بن سعيد، وابنه عبيدة بن سعيد بن العاص، وعقبة بن معيط وهم القرابة القريبة لعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس[١].

من بني تيم بن مرة:

قتل اثنان منهم: عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، قتله علي بن أبي طالب، وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان، وهما من القرابة القريبة لأبي بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، ومن القرابة القريبة لطلحة بن عبيد الله أحد الذين عرفوا بأنهم من المبشّرين في الجنة[٢].

من بني مخزوم:

قتل منهم عدد كبير، منهم أبو جهل، والعاص بن هشام بن المغيرة خال عمر بن الخطاب، والوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد، وقتلهما علي بن أبي طالب[٣].

من بني أسد:

قتلت مجموعة من بني أسد منهم ربيعة بن الأسود، والحارث بن ربيعة،

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٤٩.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠.

قتله علي بن أبي طالب، وعقيل بن الأسود بن عبد المطلب، قتله حمزة وعلي، ونوفل بن خويلد بن سعد، قتله علي. . . وهم من القرابة القريبة للزبير بن العوام أحد الذين عرفوا بأنهم من المبشرين في الجنة[1].

بنو عدي «لا في العير ولا في النفير»:

خرجت بنو عدي مع بطون قريش، «فلما كانوا في السحر عدلوا في الساحل منصرفين الى مكة، فصادفهم أبو سفيان فقال: يا بني عدي، كيف رجعتم لا في العير ولا في النفير؟»، وباختصار فإن بني عدي رجعوا من الطريق ولم يشتركوا في القتال، وحجة بني عدي الظاهرة إنهم رجعوا امتثالاً لأمر أبي سفيان حيث قالوا له عندما سألهم عن سبب رجوعهم: «أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع فرجع من رجع ومضى من مضى»[2].

بنو زهرة:

قال الأخنس بن شريق وكان حليفاً لبني زهرة: «يا بني زهرة قد نجَّى الله عيركم، وخلّص أموالكم، ونجى صاحبكم مخرمة بن نوفل، وإنما خرجتم لتمنعوه وماله، وإنما محمد رجل منكم، ابن أختكم، فارجعوا واجعلوا جبنها بي، فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير منفعة؛ لا ما يقول هذا الرجل، فإنه مهلك قومه، سريع في فسادهم» وبنو زهرة هم قوم عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة وسعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهما من العشرة الذين اشتهر بأنهم من المبشرين في الجنة، وهما من الستة الذين اختارهم عمر ليكون أحدهم خليفة[3].

من بني الحارث بن فهر:

وهم قوم أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وهو أحد الذين اشتهروا

---

(١) المصدر نفسه ١/١٤٨ ـ ١٥٤.

(٢) المصدر نفسه ١/٤٥.

(٣) المغازي للواقدي ١/ ٤٤ و١٥٥.

بأنهم من المبشرين في الجنة، وهو ثالث الثلاثة الذين دخلوا السقيفة في ما بعد ووطدوا الأمر لأبي بكر وعمر، لم يقتلوا ولم يُقتل منهم أحد في معركة بدر.

البطون الأكثر حقداً على محمد وآل محمد:

أكثر بطون قريش بغضاً للنبي وآله وحقداً عليهم هم: «بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم» هكذا رتبهم النبي[1].

وهذا النص علاوة على أنه صادر عمن لا ينطق عن الهوى، فهو قراءة متأنية وعميقة لوقائع الأمور، فأكثر القتلى في بدر كانوا من هذه البطون الثلاثة، والمتنافسون على زعامة بطون قريش هم سادات تلك البطون الثلاثة، وحسب حسابات هذه البطون الثلاثة فانها الأكثر تضرراً من النبوة الهاشمية والتميز الهاشمي، وهذه البطون أيضاً من أكثر بطون قريش حباً للوجاهة، وولعاً بالتسلُّط. ومع أن هذه البطون الثلاثة لا تطيب نفوس بعضها لبعض، لأنها تطلب ذات الغنيمة وتركض خلف نفس الطريدة، إلا أن كراهيتهم لمحمد ولآل محمد أظهرتهم دائماً بمظهر الفريق الواحد. فكم تهارش أبو جهل وعتبة، وكم قرع أحدهما الآخر حياً وميتاً لكنهما حاربا معاً تحت نفس الراية، لأنهم بالضرورة فريق واحد، ومع نشوب القتال وسقوط القتلى صارت بطون قريش تحقد على محمد وعلى آل محمد إلا أن هذه البطون الثلاثة كانت رمز حسد البطون وحقدها على محمد وعلى آل محمد.

حقد لا يزول وثار بعد ثار:

الأكثرية الساحقة من بطون قريش ومواليها ناصبت محمداً وآل محمد العداء، ورفضت النبوة الهاشمية والتميز الهاشمي رفضاً قاطعاً خلال المدة التي قضاها النبي في مكة قبل الهجرة، وكل البطون اشتركت بمؤامرة قتل النبي، وباثم مطاردته عندما نجا من القتل، وقد أسلم القليل من أفراد البطون ومواليها، وعندما هاجر الرسول لحقوا به مهاجرين، وتجمع في المدينة أكثر من مائة عنصر من

---

(١) المستدرك للحاكم، والحلية لأبي نعيم، وكنز العمال ١١/ ١٦٩ ح٣١٠٧٤.

عناصر البطون وشكلوا جماعة متميزة عن غيرها سميت بالمهاجرين.

وقد حاول الرسول مشفقاً وبكل قواه أن يتجنّب الصدام المسلّح مع بطون قريش خوفاً من آثاره، لكن البطون ركبت رأسها، وفرضت عليه هذا الصدام المسلّح فرضاً. فرتّب أصحابه وكانوا يتألفون من:

١ ـ المهاجرين وهم الذين أسلموا من بطون قريش ومواليها.

٢ ـ الأنصار وهم الذين خرجوا معه من الأوس والخزرج ومواليهما.

٣ ـ آل محمد وأبرزهم الحمزة وعلي وهم مع النبي بمثابة هيئة أركان، وفي الجانب الآخر وقفت بطون قريش بكل خيلائها وفخرها معلنة بأن هدفها هو القضاء على محمد وربط من ينجو من أتباعه بالحبالة، وسوقهم إلى مكة نكالاً لهم ولغيرهم.

وبدأت المعركة، واحتدم القتال، وفوجئت بطون قريش بعمود المسلمين، وبالعزم المميز لمحمد ولآل محمد، وانتهت المعركة بهزيمة البطون، وبقتل ٧٠ رجلاً من خيرة رجالات البطون وبأسر مثلهم. أذهلت هذه النتيجة كل الذين سمعوا بأنباء هذه المعركة، لقد كانت خروجاً واضحاً عن كل أطوار التوقعات المعتادة.

والذين قتلوا من بطون قريش تركوا فراغاً هائلاً، وصاروا جراحاً نازفة في قلوب ذويهم من بطون قريش التي بقيت على الشرك وتحول القتلى الى غصّات في حلوق أقاربهم من الذين اتبعوا محمداً.

فحذيفة أو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة كان من أصحاب محمد، وأبوه وأخوه وعمومته كانوا من أركان البطون، وقد شاهد بأم عينيه أباه، وأخاه، وعمه، وسادات بني أمية يتجرّعون كؤوس الموت أمامه. صحيح إنه على دين محمد، لكن من غير الممكن عقلاً أن لا يكون موتهم غصة في حلقه، قد يفارق الحياة قبل أن تفارقه تلك الغصة، وبحركة عفوية، وبتصرف لا شعوري يعبر عن حقيقة مشاعره فيقول للنبي، الذي طلب من أصحابه أن لا يتعرضوا لأحد من بني هاشم

لأنهم أكرهوا على الخروج: «أنقتل آباءنا وأبناءنا وأخواننا وعشيرتنا ونترك العباس عم النبي، والله لئن لقيته لألحمنه السيف»[1].

ومثل حذيفة «حذيفات» والفرق بين حذيفة وغيره أن حذيفة صادق وعفوي، ولا يخفي من مشاعره شيئاً، وغيره يتمتع بقدر من الدهاء، وضبط الأعصاب فيخفي مشاعره رغبة أو رهبة.

فهل يعقل أن يقتل خال عمر بن الخطاب، وأولاد عمومة أبي بكر وعمومة عثمان... الخ. ولا يترك قتلهم غصات في قلوب ذويهم!! يمكن للذين أن يرشّد هذه الغصات، ولكنها لن تختفي أبداً ومن الممكن وبكل المعايير الإنسانية أن تتهيّج هذه الغصات كلما رأوا علياً وحمزة أو النبي أو أحداً من بني هاشم. إن فكرة الثأر ضاربة الجذور في النفسية العربية، ولا ترتاح نفوس ذوي القتيل، إلا إذا قتل القاتل، أو أُبعد تماماً عن المسرح والأعين، وكيف يمكن ابعاد النبي، أو الحمزة أو علي ولي المؤمنين من بعد النبي؟! ثم لنفترض بأن القاتل قد مات فإن ذريته مطلوبة، صحيح إن الذين قُتلوا في بدر من البطون قد قتلوا على الشرك، وقتلهم واجب ديني، ومن قبيل الدفاع عن النفس لكن تلك هي طبائع النفوس التي خرّجتها مدارس الشرك عبر التاريخ، أنظر الى قول أبي سفيان: «وإني لأنا الموتور الثائر قُتل ابني حنظلة وسادة أهل الوادي...»[2]. وانظر الى قول هند بن عتبة زوجة أبي سفيان: «لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبي بكيت، ولكن لا يذهبه إلا أن أرى ثأري من قتلة الأحبة»[3] ومن هم الذين قتلوا أحبة هند؟ هم النبي وحمزة وعلي؟!! وهند لا تكتفي ذات يوم بقتل حمزة ولو بالغدر، انما تمثل به وتقطع أذنيه، وتشق بطنه، وتحاول أن تأكل كبده. هذه طبيعة حقد ذوي المقتولين على محمد وعلى آل محمد، ولا تهدأ الجراح بموت النبي ولا بقتل حمزة ولا بموت علي، ولا تزول الغصات من الحلوق، انها جراح دائمة، وغصات معترضة

---

(١) تاريخ الطبري المجلد الأول ٢/ ٢٨٢.

(٢) المغازي للواقدي ١/ ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٢٤.

في الحلوق يورثها الآباء للأبناء والأجداد للأحفاد، ويهيّجها أصحاب الأرب، فبعد عشرين سنة من وقعة بدر يقول عمر بن الخطاب لابن أحد قتلى بدر (سعيد بن العاص بن سعيد) الذي قتله علي: «إني لأراك معرضاً تظن أني قتلت أباك، والله ما قتلته...»[1] فعمر بن الخطاب يظن أن سبب اعراض سعيد هو ظنه بأن عمر قتل أباه في بدر؛ لذلك هو يذكِّر ابن المقتول بطريقة ذكية أنه لم يقتل أباه، إنما الذي قتل أباه هو علي. وهذا التعريض لا يصدر عن رجل من عامة الناس انما يصدر عن خليفة المسلمين بعد قرابة عشرين سنة على وقعة بدر!!

وعندما جيء برأس الحسين ورؤوس الطيبين من أهل بيت محمد بعد مذبحة كربلاء ووضعت الرؤوس بين يدي يزيد بن معاوية تمثَّل بقول ابن الزِّبَعْرى.

قد قتلنا القوم من ساداتهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل[2]

فبعد ٥٨ عاماً يعرب حفيد أبي سفيان وهند وابن معاوية عن حقيقة مشاعره، لم تغيّره الخلافة، ولم يغيّره اسلامه، ولم تهن مشاعره الحاقدة مع طول الأمد، انما عبر عن حقيقة مشاعره فجأة بعفوية وأظهر ما كان يتصنع باخفائه، وغمره الفرح والسرور الذي غمر أباه وأجداده عندما قُتِلَ حمزة وعلي والحسن.

ولم يقصر الحاقدون حقدهم على محمد وعلى آل محمد، بل حقدوا على كل الموالين لهم، فبعد ٥٨ عاماً على وقعة بدر، أرسل مسلم بن عقبة رؤوس المتمردين على يزيد بن معاوية من أهل المدينة، وعندما ألقيت الرؤوس بين يديه جعل يتمثل بشعر ابن الزُبعرى.

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٩٢.

(٢) معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري نقلها عن فتوح بن أعثم ٥/ ٢٤١، ومقتل الخوارزمي الحنفي ٢/ ٥٨.

لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحي نزل[1]

تلك هي طبيعة النفوس الكارهة لمحمد ولآل محمد ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾[2] كَبَّرَ معاوية في الخضراء فَكَبَّرَ أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها، فقالت لمعاوية: «سَرَّكَ الله يا أمير المؤمنين! ما هذا الذي بلغك فسررت به؟» قال: «معاوية موت الحسن بن علي»[3].

وبالإجمال فإن نجاح النبوة الهاشمية، وتكرس التميز الهاشمي، والجراح التي نتجت عن قتلى معركة بدر، والغصّات التي اعترضت حلوق الذين اتبعوا محمداً من بطون قريش تركت بصماتها على التاريخ الاسلامي كله، وظلت تعمل وتعتمل بالنفوس حتى كانت من أبرز الأسباب التي قوضت النظام السياسي الإسلامي الإلهي، وفرغته من مضمونه ومحتواه، وأخرجت المنظومة الحقوقية عملياً من الخدمة.

ردود الفعل على معركة بدر:

كانت النتائج المذهلة وغير المتوقعة لمعركة بدر صدمة هائلة، لبطون قريش، وليهود المدينة، وللمنافقين، وهزة عنيفة لقناعات القبائل العربية التي كانت تتربّص لمعرفة نتيجة المواجهة بين محمد، وبين بطون قريش. لقد ذهلت قبائل اليهود بنتائج المعركة، وحسدت محمداً والمسلمين هذا النصر الباهر، وذهل منافقوا المدينة، وحقدوا على محمد وأصحابه لأنهم انتصروا، وحزن اليهود والمنافقون لأن البطون قد هزمت، لا حباً بالبطون، ولكن كراهية لمحمد ولآل محمد ولمن اتبعهم.

أما بطون قريش فكلها ثائرة، وموتورة، ومنكوبة، وحاقدة إلاّ بني عدي

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤/ ٢٢٤.

(٢) سورة آل عمران آية ١٢٠.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٤٧٨ ـ دار المكتبة العلمية.

ـ لم يكونوا مع العير ولا مع النفير ـ كما وصفهم أبو سفيان، وبني زهرة الذين لم يشتركوا في القتال، ومع هذا تأثر هذان البطنان بما أصاب بطون قريش، وانضمّا في ما بعد الى قافلة البطون المطالبة بالثأر والقضاء على محمد، وقد صمّمت بطون قريش على الانتقام من محمد وآله وأصحابه، والثأر منهم، والقضاء عليهم إن استطاعوا. ولا نبالغ إذا قلنا أن ما حدث طوال التاريخ السياسي الاسلامي وثيق الصلة بمعركة بدر ونتائجها وآثارها.

محاولة للانتقام العاجل:

كان البيت الأموي عامة وأبو سفيان وأولاده خاصة من أعمق بطون قريش ثورة، وأكثرها احساساً بالنكبة والفجيعة، فقد قتل منهم في بدر أَحَدَ عشر سيداً من سادات الوادي على حد تعبير أبي سفيان، منهم: ولده حنظلة بن أبي سفيان، أما زوجته هند، فإن حقدها على النبي وآله يفوق التصور والتصديق، ولم لا، فهي تعتبرهم مسؤولين عن قتل ابنها وأبيها وأخيها وابن أخيها وسادات عمومتها وابنها معاوية ويزيد كانا يغليان بالحقد والكراهية على محمد وآل محمد. لقد توفرت في بيت أبي سفيان كل دواعي العجلة في الانتقام، وأمام ضغط الأسرة، وفيض مشاعر الحقد والإحباط، حرم أبو سفيان الدهن حتى يثأر من محمد، فخرج في أربعين فارساً أو مائتي فارس، ووصلوا الى المدينة ليلاً وحلوا ضيوفاً على سلام بن مشكم اليهودي، واستقصوا أخبار النبي، ومع الفجر خرجوا فقتلوا رجلاً من الأنصار، وأجيراً له، وأهلكوا حرثه، وحرقوا بيتين وأهلكوا حرثاً في العريض، ثم ولوا مدبرين، واعتقد أبو سفيان أنه قد تحلل من يمينه، وأنه قد أوصل بنفسه رسالة ضمنية لمحمد وآل محمد، بأن الثأر والانتقام لقتلى بدر قدر لا مفر. وسمع النبي بالخبر، وفهم مضمون الرسالة، فندب أصحابه لتعقب الغزاة، وتعقبهم بالفعل، ولكن الغزاة قد نجوا بالفرار. ووصل ركب أبي سفيان سالماً إلى مكة وأخذ يعد العدة للثأر والانتقام[1].

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ١٨١.

البحث عن طريق تجاري بديل:

التجارة عصب الحياة في مكة، وقوامها رحلتي الشتاء والصيف، وأسهل طرق رحلة الصيف الى بلاد الشام المرور من طريق المدينة المسلوكة والمختصرة، والمرور من هذا الطريق مستحيل إلا بموافقة محمد، ومحمد لن يوافق إلا بالمفاوضة، وبطون قريش لن تفاوضه، لأن مفاوضتها معه اعتراف ضمني بوجوده، وهي لا تريد أن تعترف به. وإلغاء رحلة الصيف كارثة، فالبديل الأوحد هو البحث عن طريق بديل، ودلهم فرات بن حيان العجلي على الطريق البديل، وهي طريق العراق، فجهزوا قافلة وأرسلوها عبر الطريق الجديد، وعلم النبي فأرسل زيد بن حارثة ومعه مائة راكب فأصابوا القافلة، وفرّ حرّاسها وأسر الدليل فرات بن حيان. وهكذا أرسل الرسول رسالة ضمنية إلى زعامة البطون مفادها، أن تجارة بطون قريش لن تمر إلى بلاد الشام إلاّ بموافقة محمد، وموافقة محمد لن تُدرك إلاّ بالمفاوضات، وغاية ما يطلبه محمد من هذه المفاوضات هو أن تخلّي البطون بينه وبين العرب، وأن تتوقف عن استغلال نفوذها ضده.

وفهمت بطون قريش مضمون الرسالة، فكلمات عتبة بن ربيعة ما زالت في أذهان البطون: «خلّوا بينه وبين العرب فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك الفاكم»، لكن أنى لبطون قريش أن تدرك الرشد بعد أن جمعت بين الحسد والحقد، لقد تيقنت زعامة البطون أنها قد خسرت رحلة الصيف إلى حين، وقررت أن تستبعد فكرة المفاوضات مع محمد، وأن تعتمد كلياً على القوة للثأر من محمد وآله ومن والوهم، والقضاء التام عليهم[1].

الاستعدادات الهائلة للثأر والقضاء على محمد:

رجعت البطون من بدر مهزومة وموتورة، ووجدت العير التي عاد بها أبو سفيان من الشام موقوفة في دار الندوة لم توزّع لغيبة البطون في بدر.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

هرعت زعامة البطون الى أبي سفيان، واجتمعوا في دار الندوة، وتداولوا الأمور وما جرى في بدر، والسبل التي سيسلكونها للثأر من محمد والقضاء عليه، واتفقوا على النقاط التالية:

١ ـ تعيين أبي سفيان قائداً عاماً لجيش البطون.

٢ ـ تخصيص كامل العير التي نجت لتجهيز هذا الجيش.

٣ ـ تشكيل أربعة وفود لتسير في العرب طالبين النصر منهم، وفد برئاسة عمرو بن العاص، ووفد برئاسة هبيرة بن أبي وهب، ووفد برئاسة ابن الزُبعرى، والوفد الرابع برئاسة أبي عزت الجمحي. وبالفعل تحركت الوفود الأربعة، ونجحت بتأليب العرب، وجمعهم ضد محمد.

٤ ـ ولتتذكر البطون قتلى بدر، فلا ترجع حتى تُدرك ثأرها أو تموت دونه، قرّروا اخراج الحريم معهم، ولقد عورض القرار لكن هند زوجة أبي سفيان تصدت للمعارضين وأصرّت على خروج الحريم ليشهدن القتال والثأر للأحبة الذين قتلهم محمد وآله، وهكذا خرجت البطون ومن والاها مع ظعنهم[١].

الخروج من مكة والمسير إلى أُحُد:

خرجت بطون قريش ومن معها من العرب والأحابيش الذين نجحت بحشدهم على شكل جيش منظّم ومدرَّب قوامه ثلاثة آلاف مقاتل يركبون مائتي فرس، وثلاثة آلاف بعير، وفيهم سبعمائة دارع، وعدة وسلاح كثير لقتال النبي والثأر منه ومن آله وأصحابه والقضاء عليهم إن أمكن، وقادتهم المقادير ليقفوا وجهاً لوجه أمام محمد وآله، ومن اتبعهم في منطقة جبل أُحُد قرب المدينة[٢].

وخرج النبي لملاقاة الغزاة:

لما أجمعت قريش على الخروج كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً إلى

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٩٩ ـ ٢٠٢.

(٢) المصدر نفسه ١/١٩٩ ـ ٢٠٢ وما فوق.

النبي أخبره فيه أن قريشاً قد أجمعت على المسير إليه، بثلاثة آلاف مقاتل منهم سبعمائة دارع، وثلاثة آلاف جمل، وقادوا مائتي فرس، وختم الكتاب، واستأجر رجلاً من بني غفار، واشترط عليه أن يسير ثلاث ليال. وقدم الغفاري، وسلم رسول الله الكتاب(١). وانتشر الخبر واجتمع النبي بأهله وأصحابه.

الرؤيـــــا:

قال النبي: أيها الناس اني قد رأيت في منامي رؤيا: رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته، ورأيت بقراً يذبح، ورأيت كأني مُرْدِفٌ كبشاً. قال الناس فما أولتها؟ قال أما الدرع الحصينة فالمدينة، فامكثوا فيها، وأما انقصام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي، وأما البقر المذبح فقتلى في أصحابي(٢)..

قرار الخروج:

واستشار النبي أصحابه، وكان رأى عبد الله بن أُبي البقاء في المدينة، ورأي النبي مع رأي ابن أُبي، وكان ذلك رأى كبراء المهاجرين والأنصار فقال النبي: أمكثوا في المدينة، واجعلوا النساء والذراري في الآطام، فإن دخلوا علينا قاتلناهم في الأزقّة، فنحن أعلم بها منهم، وارموا من فوق الصياصي والآطام... ورأت الأكثرية الخروج وملاقاة العدو، وخُشِيَ بأن يفسر العدو البقاء في المدينة جبناً، واستجاب النبي لرأي الأكثرية، وأمرهم بالاستعداد للخروج ولبس عدة الحرب، وشعرت الأكثرية أنها أكرهت الرسول على الخروج فندمت، وقالوا: «يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك؟» فقال: «دعوتكم فأبيتم، ولا ينبغي لنبي إن لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه». ودفع لواء المهاجرين الى علي بن أبي طالب، ولواء الخزرج إلى سعد بن عبادة، ولواء الأوس إلى سعد بن معاذ، وأرجع اليهود الذين خرجوا معه، وانصرف عبد الله بن

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) المغازي للواقدي ١/ ٢٠٩.

أبي ومن والاه، وسار النبي حتى وصل إلى جبل أُحُد، فجعل أُحُداً خلف ظهره، واستقبل المدينة، ورتب خمسين من الرماة على جبل أُحُد، وقال النبي للرماة: «احموا لنا ظهورنا، فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل معسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينوننا ولا تدافعوا عنا، وارشقوا خيلهم بالنبل، اللهم إني أشهدك عليهم، ثم وقف أمام أصحابه، ونهى أن يقاتل أحد حتى يأمره»[1].

واشعل الغزاة الحرب:

أقبل المشركون وقد اتخذ جيش الإسلام مواقعه، فاستدبروا المدينة، واستقبلوا أُحُداً، وصفوا صفوفهم، وأقاموا النساء خلف الرجال يضربن بالإكبار والدفوف، أما نساء علية بطون قريش بزعامة هند أم معاوية فكن يشجعن، ويحرّضن الرجال على القتال، ولم يطل الانتظار، فبرز من صفوف المشركين طلحة بن أبي طلحة، وصاح: من يبارز، فبرز له علي عليه السلام، واختلفا بضربتين، فضربه علي على رجل فقطعها وقتل، فلما قتل طلحة، سرَّ رسول الله وأظهر التكبير وكبّر المسلمون وشد أصحاب الرسول على المشركين[2]. وقَتلَ علي بن أبي طالب حملة اللواء من المشركين وكانوا ثمانية، ثم حمل اللواء عبد لهم فألحقه الإمام بهم وقتله[3].

وعلى أثر صولات عليّ وحمزة، وبعد أن قتل حملة اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم عن العسكر وأخذوا ينهبون، وشاهد الرماة ذلك، وتركوا أميرهم وانطلقوا إلى معسكر الشرك ينهبون وخلوا الجبل، ولم يبق مع الأمير إلا عشرة، وأخذ المسلمون ينهبون، ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلّة آهله فكَرَّ بالخيل ومعه عكرمة فقتلوا

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢١٠ و٢٢٤ و٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٦، ونور الأبصار ص٧٨.

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ١٧، وسيرة ابن هشام ٣/ ١٣٤، والرياض النضرة للطبري ٢/ ١٧٢، والهيثمي في مجمعه ٦/ ١١٤، وقال: رواه الطبراني والمتقي الهندي في كنز العمال، وقال: رواه الطبراني أيضاً.

من بقي من الرماة وقلبوا موازين المعركة. وفوجىء المسلمون بما حدث، وأخذ المسلمون يضربون بعضهم، وفر عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وغيرهما[1]...

وزاد الطين بلة أن الأمويين قدروا أن قتل علي مستحيل، وأن قتل الحمزة ممكن، فرتبوا مؤامرة للغدر بحمزة ونفذت المؤامرة وقتل حمزة، وأشيع بأن النبي قد قتل، فزلزل المسلمون زلزالاً شديداً، وقاتل علي بن أبي طالب قتالاً يفوق التصور والتصديق، وصبر علي وصابر، قال ابن اسحاق: «كان الفتح يوم أُحُد بصبر علي»[2]. وقاتل سعد بن عبادة، وقاتل المقداد، والحباب بن منذر، وقاتل كعب، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف وغيرهم من الأخيار، ومع هذا أصيب النبي في جبهته ورباعيته وشفته.

واحتاج المسلمون إلى وقت حتى أعادوا تنظيم أنفسهم، وعاد الذين فروا من القتال بعد أن أُشيع بأن النبي قد قتل، وأحس المشركون بأنهم قد ثأروا لقتلاهم في بدر، فقد قتلوا ٧٠ رجلاً من الأنصار، وأربعة من المهاجرين، منهم حمزة عم النبي وجناحه، ويده الطولى، وقدرت قيادة جيش البطون أنَّها قد ثأرت لقتلاها في بدر، وأنها قد انتصرت حقيقة، ومن حسن التدبير أن تحافظ على بريق نصرها، فانسحبت وأقبل المسلمون على قتلاهم، وأحضروهم الى رسول الله. وكان أول من أحضر حمزة فصلى عليه النبي، ثم جمع اليه الشهداء، وكلما أتي بشهيد وضع الى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهداء حتى صلى عليه ٧٠ مرة. ودفن الشهداء، وقال النبي: «أنا على هؤلاء شهيد»، فقال أبو بكر: يا رسول الله أليسوا اخواننا أسلموا كما أسلمنا، وجاهدوا كما جاهدنا»؟ قال الرسول: «بلى، ولكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ولا أدري ما تُحدثون بعدي»، فبكى أبو بكر وقال: «إنا لكائنون بعدك؟». وأقسم النبي: «والذي نفسي بيده لا يُسلِّم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه»، وأضاف: «فلا تدعوا السلام عليهم

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ٢٣٧.

(٢) فضائل الخمسة ٢/ ٣٥٦.

وزيارتهم. وعزّى رسول الله القوم بقتلاهم، وأكد أنهم في الجنة، وارتاح الناس لسلامة النبي رغم جراحه.

وأشاع اليهود بأن محمداً طالب ملك، وما أصيب هكذا نبي قط في بدنه وأصحابه، وجعل المنافقون يثبطون عزائم الناس، ويبثون الأراجيف. فأشار عليه بعض أصحابه بقتلهم، فقال النبي: «إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ولليهود ذمة فلا أقتلهم، فقيل: فهؤلاء المنافقين يا رسول الله، فقال رسول الله: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قيل: بلى يا رسول الله، إنما يفعلون ذلك تعوذاً من السيف، فقد بان أمرهم وأبدى الله أضغانهم عند هذه النكبة. فقال رسول الله نُهيتُ عن قتل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وجاءت نساء الأنصار فبكين على حمزة، لأن استشهاد حمزة كان جرحاً غائراً في قلبه، فقال النبي: «رضى الله عنكن وعن أولادكن» ومن ذلك التاريخ ما بكت امرأة من الأنصار إلا بدأت بحمزة[1]...

من المؤكد أن بطون قريش قد انتصرت في معركة أُحُد، وثأرت لقتلاها في بدر، وكبدت المسلمين ٧٠ أو ٧٤ قتيلاً أحدهم حمزة عم النبي، وجناحه القوي ويده المقتدرة، وكادت أن تقتل النبي نفسه لولا رحمة الله، ومن المؤكد أن البطون قد انسحبت من المعركة انسحاب المنتصر، وكان الجيش الإسلامي ساعتها مضعضعاً، ولا يقلل من حقيقة انتصار البطون في أُحُد فقدانها لـ ٢٥ قتيلاً من رجالها.

ولكن المؤكد أيضاً أن المسلمين لم يهزموا في أُحُد من قلة، فقد انتصروا في بدر وهم أذلة، إنما يكمن سبب هزيمتهم في مخالفتهم لرسول الله، فقد طلب منهم أن يبقوا في المدينة فأبوا إلا الخروج. وخرج ورتب أمور المعركة ترتيباً محكماً، وأمر الرماة أن لا يبرحوا مكانهم مهما كانت الأسباب وخالفته أكثرية الرماة، وعصت أمره وتركوا مواقعهم ليشاركوا في النهب، فجاء خالد بن الوليد

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ٣١٢ ـ ٣١٩.

ومن معه من فرسان قريش فانقضوا على المسلمين من الخلف في غياب الرماة وقلبوا موازين المعركة.

وطوال التاريخ الاسلامي كان مكمن كل النكبات والكوارث التي لحقت بالأمة الإسلامية في مخالفة الرسول واعتماد الرأي بدلاً من النص.

تعكير انتصار البطون وخطف بريقه:

هزت هزيمة المسلمين في أُحُد التركيبة الهشة لمجتمع المدينة وما حولها، عاد النبي جريحاً ومعه الجرحى، وقد سبقت عودته أنباء القتلى، وأشاع اليهود أن محمداً طالب ملك، وعلى حد علمهم فلم يُصب نبي كما أُصيب محمد، وتنمر المنافقون، وأظهروا شماتتهم وفجع المسلمون الصادقون بقتلاهم، وحزنوا حزناً شديداً، وكان النبي من أكثرهم حزناً على عمه الحمزة.

وفي الجانب الآخر كانت بطون قريش تتلذذ بنصرها بالوقت الذي اختلط فيه عليها أمرها، ففريق يرى أن محمداً قد انتهى بالفعل، فقد أُصيب بعدة جراح، وقتل عمه، و٧٣ رجلاً من أصحابه، وقد انتصرت البطون عليه بالفعل، وثارت لقتلاها، وما هي إلاّ فترة حتى ينفض أصحابه من حوله، وينهار الكيان السياسي الذي بناه، فمن الحكمة أن تعود البطون بنصرها المؤزّر، وأن تترقّب آثار انتصارها. وقد تكون ملاحقة محمد كارثة تسلبها بريق انتصارها العظيم فقد ينفر معه الأوس والخزرج إذا أحسوا أنهم قد هوجموا في قعور بيوتهم.

وفريق آخر يرى أن الفرصة سانحة للقضاء على محمد قبل أن يتمكن من التقاط نفسه، واعادة تنظيم رجاله.

أدرك النبي أن ترك الأمور على ما هي عليه دون اجراء عاجل. سيضاعف هزة المجتمع اليثربي، ويكون ضربة معنوية موجعة يصعب التنبؤ بآثارها.

فبعد أن ضمد جراحه، وضمد الذين جرحوا جراحهم، أصدر أوامره بالاستعداد للخروج لملاقاة بطون قريش أو ملاحقتها، وبعد صلاة الصبح نادى مناديه: «إن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال

بالأمس»[1]، ودعا رسول الله باللواء وهو معقود لم يحل ودفعه إلى عليّ عليه السلام، وخرجوا حتى وصلوا إلى حمراء الأسد فعسكروا هنالك، وأمرهم أن يجمعوا الحطب في النهار، وأن يوقدوه ليلاً. وكان معسكر بطون قريش بالروحاء، وهول معبد بن أبي معبد الخزاعي الأمر لبطون قريش فأخبرهم: «تركتُ محمداً وأصحابه خلفي يتحرّقون عليكم بمثل النيران، وقد أجمع معه مَن تخلَّف عنه بالأمس من الأوس والخزرج وتعاهدوا ألاّ يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم»[2].

ذهل أبو سفيان وأركان حربه من سرعة اعادة النبي لتنظيم صفوف أصحابه ومن رده العاجل، وأدركوا أن محمداً قد عكّر عليهم نصرهم وخطف منهم بريقه، وأنهم إن اصطدموا معه بهذه الحالة فسيهزمهم لا محالة وينقلب فرحهم إلى ترح. ومر بأبي سفيان نفر يريدون المدينة، فخصص لهم مكافأة إذا قالوا لمحمد أن بطون قريش قد أجمعت على الرجوع اليه. ليضمن توقف محمد عن الملاحقة. وأصدر أبو سفيان وأركان حربه أوامرهم بالرحيل والعودة إلى مكة فوراً. بعد أن نغّص النبي انتصارهم.

لقد كانت حركة النبي حركة بارعة بكل الموازين العسكرية، لقد أعادت الروح المعنوية للمسلمين، وعكرت صفو بطون قريش، وخطفت منها بريق انتصارها، ورجعت وكأنها مهزومة، وكانت هذه الحركة الرائعة أبلغ رسالة لليهود والمنافقين والقبائل المحيطة بالمدينة التي تنتظر من يقع حتى تنقض عليه وتأكله. ومن هنا أعلن تعالى رضاه عن **﴿الَّذين اسْتَجَابُوا لله وللرَّسول مِنْ بَعدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ﴾**[3]، وعفا عن الذين فروا من معركة أُحُد كعمر بن الخطاب، وعثمان وغيرهم من الصحابة الكرام، وأعطاهم فرصاً جديدة[4].

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ٣٣٤ ـ ٣٤٠.

(٢) المغازي للواقدي ١/ ٣٣٨.

(٣) سورة آل عمران/ آية ١٧٢ .

(٤) المغازي للواقدي ١/ ٣٤٠.

بَدْرِ المَوْعِد:

قبل أن ينصرف أبو سفيان من أُحُد نادى المسلمين وزهو النصر يملأ اهابه: «موعد بيننا وبينكم بدر الصَّفراء رأسَ الحول، نلتقي فيه فنقتتل»[1] فأمر الرسول من يقول لأبي سفيان: هو موعد بيننا وبينكم إن شاء الله. «وبدر الصفراء كانت مجمعاً وسوقاً سنوياً للعرب تجتمع وتتبادل السلع فيه من ١ ـ ٨ ذي القعدة ثم يعودون الى بلادهم»[2].

ولما عادت بطون قريش الى مكة عممت موعد اللقاء، وأخذت تستعدي على النبي، وتجمع الأموال استعداداً للخروج، وفرضت ضريبة على سكان مكة ولأول مرة في تاريخها، ولم يترك أحد إلا وينبغي أن يدفع مالاً لا يقل عن «أوقية» مساهمة بالمجهود الحربي، فجمعوا الأموال العظيمة ورصدوها لحرب محمد وآله ومن والاهم.

ومع اقتراب الموعد كره أبو سفيان قائد تحالف البطون هذا الخروج، وندم على قوله وتحديده الموعد، وتعرض لملامة الكثير من قومه، وتمنى عدم خروج الرسول للموعد، لأن العام جدب، والأرض مثل ظهر الترس ليس فيها لبعير شيء، ولكن البطون كرهت أن يخرج محمد ولا يخرجون فيجترىء عليها، فأحبت أن يكون الخلف من قبله. وفي غمرة حيرتها قدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة، فاتفقوا معه على أن يعطوه عشرين ناقة مقابل أن يخذّل أصحاب محمد، ورجع الرجل وأخذ يشيع بأن أبا سفيان قد جمع الجموع وأجلب معه العرب، وجاء محمد وأصحابه بما لا قبل لهم به وأشار على أهل المدينة أن يبقوا في المدينة ولا يخرجوا، لأنهم إن خرجوا فلن يفلت منهم أحد هذه المرة، ونجح الرجل بغرس كراهية الخروج في قلوب الكثير من أصحاب محمد، وفرح

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٨٤.

(٢) المصدر نفسه.

المنافقون واليهود، وتصوروا أن محمداً لن يفلت من هذه الجموع التي يصفها نُعَيم بن مسعود.

ونجح نُعَيم بتثبيط بعض الصحابة، والقاء الرعب في قلوبهم. قال عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يصف حالته وأمثاله ممن أصغوا لنعيم: «لقد رأيتنا وقد قُذف الرعب في قلوبنا فما أرى أحداً له نية في الخروج»[1].

كان الرسول يرصد آثار دعاية نعيم فجمع الناس وحثهم على الخروج ثم قال: «والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد»[2] عندئذٍ تشجّع من وهن من المسلمين وخرج مع النبي ١٥٠٠ مقاتل ومعهم عشرة أفراس فأعطى النبي رايته لعلي بن أبي طالب، وغاية المسلمين من الخروج كانت ملاقاة البطون على الموعد، ومع هذا تزودوا ببضائع، وأقاموا في بدر الصفراء ثمانية أيام ورجعوا بخير وفضل من الله وربح الدينار ديناراً.

أما أبو سفيان فقد أطلع بطون قريش على الخطة التي رسمها لنعيم، وبين لهم أن العام عام جدب، واقترح عليهم أن يسيروا يومين فيرجعوا، فخرجت البطون وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً وانتهوا الى مجنة، فشربوا السويق فسمّى أهل مكة ذلك الجيش جيش السويق، وعادوا بعد أن بلغهم خروج النبي، وقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: «قد والله نهيتك يومئذٍ أن تَعِدَ القوم، وقد اجترأوا علينا ورأوا أنا قد أخلفناهم، وإنما خلّفَنا الضعف عنهم. فأخذوا في الكيد والنفقة في قتال رسول الله»[3]، وأعدّوا العدة لغزو النبي في ما بعد.

تحالف الأحزاب وإجماعها على حرب النبي:

عندما تمكن النبي من السيطرة على طرق تجارة البطون الى بلاد الشام، فقدت رشدها، وعمت الكراهية نفوس قادتها وأفرادها، وبعد وقوع الصدامات المسلّحة، وسقوط القتلى في بدر جمعت البطون مع الحسد لمحمد وآله الكراهية

---

(1) المغازي للواقدي ١/ ٣٨٧.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه ١/ ٣٨٩.

والحقد على محمد وآله، إن الثأر للقتلى لا يعيدهم، ولكنه يعزى النفس الموتورة إلى حين، ولن تهدأ حتى يفنى القاتل وتفنى ذريته، وينقطع ذكره من الوجود تلك هي طبيعة النفس الموتورة الحاقدة، تلك هي طبيعة مشاعر بطون قريش ضد محمد وآل محمد، وجماع هذه المشاعر ومهيّجها هو البطن الأموي، وبالتحديد أبو سفيان وأولاده، وعلى الأخص معاوية وزوجته هند وبنو عمومتهم، فالطريقة التي قُتِل فيها حمزة، وأسلوب هند بالتمثيل به ترسم بأدق صورة وأوضحها المشاعر المخيفة التي يحملها أهل هذا البطن لمحمد وآل محمد، ويلي هذا البطن بنو مخزوم عامة، وبنو المغيرة خاصة، ثم تتساوى البطون دون ذلك بهذا الخليط من المشاعر.

أقل ما ترضى به بطون قريش أساساً للتحالف:

قريش لن ترجع عن عداوتها لمحمد ولآل محمد، وأقل ما ترضى به بطون قريش هو القضاء التام على محمد وآل محمد، واستئصالهم من الوجود تماماً، فمن يوالي محمداً وآل محمد هو عدو البطون، وإن كان من البطون نفسها، ومن يعادي محمداً وآل محمد هو حبيب البطون، وإن كان يهودياً. قال أبو سفيان مخاطباً وفد يهود بني النضير: «إن أحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد»[1]، وعداوة محمد ليس لها حد زمني، ولقد تعاهد أبو سفيان ومعه أبناؤه مع وجهاء بني النضير اليهود داخل الكعبة «أن تكون الكلمة واحدة على محمد، ما بقي من بطون قريش ومن اليهود رجل واحد»[2]، فعداوة محمد والمضي قدماً بعداوته أقل ما ترضى به بطون قريش ليكون أساساً للتحالف بينها وبين غيرها من الأحزاب.

كيف نشأ تحالف الأحزاب؟

كانت بنو النضير احدى الجماعات التي يتكون منها مجتمع المدينة وما

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٢.

حولها وهي ترتبط مع النبي بعهود ومواثيق، فقام النبي بزيارتهم يوماً من الأيام فرحبوا به وأصروا أن يأكل عندهم، وبنفس الوقت تآمروا على قتله. وعلم الرسول بالمؤامرة وعاد دون أن يشعروا، ثم أرسل اليهم انذاراً بأن يجلو من المدينة، فرفضوا، وحاصرهم النبي، ثم استسلموا على أن يجلوا من المدينة ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة، فذهبت أكثريتهم الى منطقة خيبر. ولما استقر بهم المقام، شكلوا وفداً من مشيخة يهود بني النضير برئاسة حيي بن أخطب للتفاهم والتنسيق مع زعامة بطون قريش باعتبارها العدو الأقوى والألد لمحمد وآله ومن والاهم، ولدعوتها بالإسراع بحرب محمد. واجتمع الوفد مع زعامة البطون وقال رئيسه حيي بن أخطب مخاطباً زعامة البطون: «جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله»[1] فمن الطبيعي أن يتكلم أبو سفيان نيابة عن زعامة البطون بوصفه هو القائد حسب تقسيمات الصيغة الجاهلية، ولأن بطون قريش قد رضيت به قائداً على اعتبار أنه وبنوه والبطن الأموي هم الأكثر حسداً لمحمد وآله، وحقداً عليهم، وأشد القوم وتراً وأعمقهم ثورة، ولأنه القائد الذي انتصر في أُحُد. فتكلم أبو سفيان وأجاب وفد يهود بني النضير قائلاً: «إن أحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد»[2]. واقترح وفد بني النضير أن تختار بطون قريش ٥٠ رجلاً ليتعاهدوا ويحلفوا بالله داخل الكعبة بأن تكون الكلمة واحدة على هذا الرجل ـ أي محمد ـ ما بقي من بطون قريش ومن اليهود رجل[3]، وهكذا فعلوا، وتم التحالف بين بطون قريش وبين وجهاء بني النضير بالأصالة عن أنفسهم، وبالنيابة عن يهود المدينة وخيبر، وكافة أنحاء الجزيرة. وعلى هامش الاجتماعات سأل أبو سفيان اليهود: «أينا أهدى، نحن أم محمد، وديننا خير أم دين محمد؟» فأجابه اليهود بالإجماع أمام بطون قريش: «أنتم أولى بالحق منه!!»[4].

وتحرك المتحالفون معاً، وسيرت زعامة قريش وفودها الى العرب تطلب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

النهر على محمد، وسار الوفد اليهودي الى قبيلة غطفان الكبيرة واجتمع مع شيوخها، وتم ضمهم إلى التحالف، ووعدهم اليهود بتمر خيبر لمدة سنة[1]. وتحالف معهم بنو سليم، وبنو أسد يقودهم طلحة الأسدي وبنو فزارة، وأشجع، وبنو مرة، وجمعت قريش ٤٠٠٠ مقاتل من أتباعها وأحابيشها، ومعها ٣٠٠ فرس، و١٥٠٠ بعير يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي الأعور الذي قاتل مع معاوية في ما بعد في معركة صفين[2]. وفي ما بعد تم الاتفاق مع بني قريضة التي كانت تقيم في المدينة لينضموا إلى هذا التحالف وعددهم ٧٥٠ مقاتلاً، ومهمتهم أن ينقضوا على المسلمين من الداخل ويطعنوهم من الخلف.

أكبر وأغرب التجمعات في التاريخ:

وهكذا جمعت بطون قريش عشرة آلاف وسبعمائة وخمسين مقاتلاً، وقبل هذا التجمع لم تشهد الجزيرة العربية في تاريخها الطويل تجمعاً بحجمه قط، والهدف المشترك لكل الأحزاب المكوّنة لهذا التجمُّع هو عداوة محمد، والعمل على القضاء عليه واستئصاله من الوجود، مع من والاه، ومن البديهي أن أول أوليائه وحماته هم آله الكرام.

وهذا التجمع من أغرب التجمعات التي عرفها التاريخ أيضاً، فقبائل العرب كانت تعبد أصناماً متعددة، وتدين بالولاء لشيوخها الذين لم يجتمعوا طوال التاريخ حتى يوم غزا أبرهة الحبشي الكعبة، وهي أقدس مقدساتهم، ولكنهم اجتمعوا هذه المرة على عداوة محمد وآله، والعمل على استئصالهم، وإذا لم يكن غريباً اجتماع العرب مع بعضها فإن الغريب حقاً أن تجتمع العرب مع اليهود، وأن يشكل الجميع جيشاً واحداً له قيادة واحدة!!!

لست أدري ماذا بقي من صلة الرحم التي كانت تتشدق بها زعامة بطون قريش عامة، وأبو سفيان وأولاده خاصة، عندما يتعاونون مع اليهود على ابن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٤٣.

عمهم وصهرهم محمد!!! فأبو سفيان وبنوه وبنو عمومته يلتقون مع النبي في عبد مناف: صخر بن حرب بن أمية بن بعد شمس بن عبد مناف، ومحمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، إن هذا لأمر عجاب!!!

القائد العام لهذا التجمع وأركان حربه:

كان أبو سفيان هو القائد العام لتجمع الأحزاب، فهو رأسهم ومدبر أمرهم، والذي جمعهم وحدد ساعة خروجهم، ووقت انسحابهم ولا خلاف بين أحد من أتباع الملة على هذه الحقيقة.

أركـــان حـــربــه:

ومن أركان حربه مشيخة البطن الأموي وعلى رأسهم ابنه يزيد، وابنه معاوية فكلاهما رجل، وكلاهما ذكي وذو حيلة، وكلاهما حاقد على محمد وعلى آل محمد خاصة، وعلى أوليائهم عامة، وكيف لا يحقدون وهم يذكرون أخاهما حنظلة، وجدّهما عتبة، وخالهما شيبة، وابن خالهما الوليد!! وسبعة آخرين من البطن الأموي أو من شيوخ الوادي على حد تعبير أبي سفيان!!.

ومن أركان حربه: عكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وكلهم موتور، وثائر، وحاقد على محمد وعلى آل محمد، وتتوفر بكل واحد منهم مقومات القيادة والمشورة. ومن أركان حربه: عمرو بن عبد بن أبي قيس بن عبد وَدّ، أشجع رجالات بطون قريش وأقواها، فقد كان يتحرّق شوقاً لملاقاة محمد ولاثبات قدرته بعد أن حرمته ظروف قاهرة من الاشتراك في معركة أُحُد، وخرج في ما بعد وتحدى كل المسلمين ولم يقوَ أحد على مبارزته غير علي بن أبي طالب، الذي قتله ـ كما سنرى ـ قولاً واحداً[1].

ومن أركان حرب أبي سفيان: سفيان بن عبد شمس، حليف حرب ابن

(١) المغازي للواقدي ١/ ٤٩٦ وقبلها.

أمية، وهو أبو الأعور الذي أسلم في ما بعد وقاتل مع معاوية في كل معاركه عندما خرج معاوية على الإمام علي[1].

ومن أركان حرب أبي سفيان: طلحة الأسدي، وعُيَيْنَة بن حِصن، الذي صار في ما بعد صحابياً رأيه مقبول حتى في علي الذي قاتله على الإسلام.

ومن أركان حربه أيضاً مشيخة اليهود مثل حُيَيّ بن أَخْطَب، وكنانة بن الحقيق، وأخوه هوده، وأبو عامر الراهب، وكعب بن أسَد عقيد بني قريظة[2].

المسيرة الآثمة:

زحفت الأحزاب بقيادة أبي سفيان ويممت شطر المدينة حتى وصلت إلى رومة[3] فعسكرت هنالك، ونزلت غطفان بمنطقة الرعاية قرب أحد، وتصوروا أن محمداً سيخرج اليهم، وأنهم هم الذين حددوا مكان المعركة وطبيعة الحرب وادارتها[4].

حلفاء بني هاشم يخبرون النبي:

كانت خزاعة حلفاً لبني هاشم «حلف أبينا وأبيك الأقلدا»، كما قال شاعرهم للنبي، فلما خرجت قريش من مكة إلى المدينة سار ركب من خزاعة من مكة إلى المدينة أربعاً، وأخبروا النبي بتحرك قريش والأحزاب معها. ولا يعقل أن يتم الإعداد لهذا التحالف الضخم، وأن تتحرك الأحزاب ورسول الله في غفلة عنها، خاصة وأن سراياه العسكرية لم يتوقف خروجها قط، وهو على علم بحقد بطون قريش واصرارها على استئصاله من الوجود، والأهم من ذلك الوحي الذي لم ينقطع عنه قط طيلة حياته، ولكن قدوم ركب خزاعة بالخبر مناسبة لإطلاع المسلمين على الوضع، واستطلاع رأيهم بمعالجته.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٤٤٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٤٥ وما فوق.

(٣) معجم البلدان ٤/ ٣٣٦، والواقدي ٢/ ٤٤٤.

(٤) المغازي للواقدي ١/ ٤٤٠ وما فوق.

المشورة وحفر الخندق:

أطلع النبي أصحابه على الخبر، ووعدهم بالنصر إن صبروا واتَّقَوا وأطاعوا الله ورسوله، وسألهم أنبرز لهم من المدينة، أم نكون فيها ونخندقها علينا، أم نكون قريباً ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل؟ فاختلفوا بالإجابة، ولكنهم تذكروا جميعاً معركة أُحُد ونتائج مخالفتهم لأمر الرسول، فلم يتشبثوا بالخروج إنما كان هواهم بالمدينة وحولها، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله. إنا إذا كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟[1] فكرة الخندق أصلاً من رسول الله ولكنها كانت مجملة، فجاء سلمان وفصّلها وارتاح المسلمون لذلك. ورتب النبي الخطة الدفاعية على هذا الأساس:

١ ـ أن يجعل جبل سلع خلف ظهره.

٢ ـ أن يخندق من أطم المداد الى جبل أطم ذباب، ومنه إلى جبل راتِج.

٣ ـ استحضار الحجارة من جبل سلع لتكون أحد الأسلحة فيرمون بها.

٤ ـ أن تدفع النساء والصبيان في الآطام.

٥ ـ أن يكون الخندق من أمام المسلمين.

٦ ـ النبي القائد يوزع أصحابه بالطريقة التي يراها لمواجهة الأحزاب من وراء الخندق بعد انجازه.

الشروع بتنفيذ الخطة:

قسم النبي حفر الخندق بين أصحابه، واشترك معهم بالحفر كأنه واحد منهم، وأنجزوا الخندق خلال ستة أيام، ثم جمع أصحابه وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل، ودفع اللواء الى ولي عهده علي بن أبي طالب، ورتّب الأدوار وانتظر قدوم الأحزاب.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٤٤٥.

أما اجتياز الخندق أو الوقوف أمامه:

يبدو أن الطريق لدخول المدينة تمر حتماً بالمنطقة التي قرّر الرسول حفر الخندق بها، ويبدو أيضاً أن المناطق التي تجاورها على اليمين واليسار حرّات مفروشة بحجارة يتعذّر على الإنسان أو الإبل أو الخيل السير فوقها، فمن أراد دخول المدينة يتوجّب عليه حتماً مقضياً أن يمر من الخندق، أو أن يكابد المستحيل ويحاول أن يسير في الحرّات. فعلى الأحزاب أن تجتاز الخندق إذا أرادت أن تدخل المدينة أو تقف دونه لتتفرّج عليه وعلى المدافعين، وعملية اجتياز الخندق بهذا المناخ مستحيلة من جميع الوجوه.

الأحزاب وجهاً لوجه مع النبي وأصحابه:

سارت الأحزاب خلف قائدها أبي سفيان متوجهة إلى المدينة ومعها من الخيل ألف فرس، وتصوّرت الأحزاب أنه لم يبق بينها وبين دخول المدينة واستئصال محمد ومن معه إلا قاب قوسين أو أدنى، ولما وصلت فوجئت بالخندق مفاجأة تامة، وقال أبو سفيان: تلك مكيدة لا تعرفها العرب!! وألقت الأحزاب عصاها على الجانب الآخر من الخندق، وأخذت تبحث عن منفذ تدخل منه. وجرت عدة محاولات لاجتياز الخندق، كالمحاولات التي قام بها خالد بن الوليد، وعِكرمة بن أبي جهل، وهبيرة، وعمرو بن العاص، ولكن محاولاتهم قد فشلت.

أقوى رجل في البطون يبارز أقوى رجال محمد:

عمرو بن ود أقوى رجالات البطون، بل هو أقوى رجل في تجمع الأحزاب قاطبة، برز أمام الخندق، وأخذ يدعو للمبارزة. لا أحد من العرب يقوى على مبارزة عمرو بن ود، فسكت المسلمون كأن على رؤوسهم الطير، كما يقول الواقدي، مما دعى عمرو بن ود ليقول:

ولقد بُححتُ من النداء لجمعكم هل من مُبارزْ

ولما سمعه علي استأذن النبي ثلاثاً، والرسول لا يأذن له، لأن مبارزة عمرو بن ود ليست نزهة، وأخيراً أذن الرسول لعلي، وأعطاه سيفه وعمّمه وقال: اللهم أعنه عليه. وكان عمرو بن ود فارساً وعلي راجلاً، والتقى الإثنان وجرى بينهما حوار ساقه الإمام علي بأعصاب هادئة، وبثقة بالنفس تفوق التصوُّر والتصديق. وترجّل عمرو والتقى مع أقوى رجل عرفه الإسلام قط، وثارت غبرة وسمع الناس التكبير فأيقنوا بأن علياً قد قتل عمرو، وصعقت الأحزاب من هول النبأ، وازدادت بطون قريش حقداً على النبي وآله، وتشاءموا، وفرح المسلمون وتفاءلوا خيراً. لقد كان قتل عمرو بن ود ضربة معنوية موجعة لتجمع الأحزاب.

وكانت هذه المبارزة نصراً مؤزّراً للمسلمين فقال النبي: «لَمُبَارزة علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»[1].

لقد كفت هذه المبارزة المؤمنين القتال حقاً، قال السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[2] قال: «وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب). وجاء في ميزان الاعتدال حديثاً مسنداً عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي)[3].

لقد حسمت مبارزة الموقف نهائياً لصالح المسلمين، ولكنها أُخرجت بصورة تستوعبها العقلية البشرية، وتصب في خانة عملية الابتلاء والامتحان الإلهي.

لقد كان المسلمون في حالة زلزلة كبرى: الجوع، والبرد، والعدو من

(١) مستدرك الصحيحين ٢/ ٣٢ برواية سفيان الثوري، وراجع تاريخ بغداد ١٣/ ١٩، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠.

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ١٧، وفضائل الخمسة ٢/ ٣٦٠.

فوقهم ومن تحتهم، والنفوس البشرية تتصور بتصوراتها المختلفة ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ. . .﴾[1] بهذا الوقت بالذات زف الله للمؤمنين بشرى انتصار أقوى رجل فيهم على أقوى رجل في الأحزاب، فاطمأنت نفوسهم، وأدركوا أن نصر الله قادم لا محالة.

ورحلت الأحزاب:

فوجئت الأحزاب بالخندق، وفشلت محاولاتها لاجتيازه، وأجرى النبي مفاوضات مع زعماء غطفان لينسحبوا من التجمُّع، وانهارت الثقة بين العناصر الرئيسة التي تكوَّن منها تجمع الأحزاب، فقد فقدت بطون قريش ثقتها باليهود، وكذلك غطفان التي أدركت أنه لا ناقة لها ولا جمل بهذه الحرب، وأن أملها بالمكاسب المادية أحلام، واكتشف اليهود أن البطون سترحل وستتركهم وجهاً لوجه ووحدهم أمام محمد لينكل بهم، فانهارت أهم أساسات تحالف الأحزاب، وأكثر النبي الدعاء: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، أهزم الأحزاب، اللهم أهزمهم» وتكرر دعاؤه الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، واستجيب له ما بين الظهر والعصر. وعصفت الريح، وزمجرت، وألقى القائد العام للأحزاب أبو سفيان كلمة حلل فيها الموقف فقال: «إنكم والله لستم بدار مقام، لقد هلك الخف والكراع، وأجدب الجناب، وأخلفنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقد لقينا من الريح ما ترون، والله ما يثبت لنا بناء، ولا تطمئن لنا قدر، فارتحلوا فإني مرتحل»، وجلس على بعيره فوثب البعير. فناداه عكرمة بن أبي جهل: «إنك رأس القوم وقائدهم، تقشع وتترك الناس»، فاستحى أبو سفيان فأناخ جمله، وأخذ بزمامه، وقال: «ارحلوا» فجعل الناس يرتحلون. ثم قال أبو سفيان لعمرو بن العاص: «يا أبا عبد الله لا بد لي ولك أن نقيم في جريدة من خيل بازاء محمد وأصحابه، فإنا لا نأمن أن نطلب». وهكذا كان، ثم لحقت الجريدة بالأحزاب وعادت بطون قريش ومن والاهم الى مكة، وعادت غطفان وقبائل بني

---

(١) سورة الأحزاب آية ١٠.

سليم، ومن حضر من اليهود الى محالهم»[1].

يعطي المؤرخون لنُعَيم بن مسعود دوراً بارزاً، ويصورونه كأنه هو الذي فكك تجمُّع الأحزاب وأوقع بينه ونعيم بن مسعود كان مشهوراً في مكة وفي المدينة بأنه صائد مكافآت، فطالما خذل المسلمين عن الخروج مع الرسول بعد أن مس القوم القرح بعد معركة أحد مقابل عشرين ناقة رصدتها له بطون قريش، وشاع الأمر وعرف المسلمون ذلك، فنفروا منه، وأخذوا ينظرون إليه شزرا، ويترفعون عن الاستماع اليه. ومن جهة ثانية ففي التجمُّع دهاة ودهاقنة، واليهود أهل حيلة، فمن المستحيل عقلاً أن يضحك صائد مكافآت معروف مثل نعيم على الجميع دون أن يكشف أمره.

ونجت المدينة:

لقد نجت المدينة، ونجى الذين آمنوا بنعمة الله الذي أرسل على الأحزاب ريحاً وجنوداً ﴿. . . اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾[2]. وبفضل القيادة الحكيمة لرسول الله حيث نجح نجاحاً باهراً بالأخذ بكل الأسباب.

وكان للشجاعة التي أبداها الإمام علي ـ عندما قتل عمرو بن ود ـ دوراً بارزاً في نجاة الذين آمنوا، فهي المعركة الحقيقية الوحيدة التي جرت في غزوة الخندق، فكانت نصراً معنوياً للمؤمنين، وفألاً حسناً وضربة معنوية موجهة لتجمع الأحزاب.

هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء هزيمة الأحزاب، ونجاة المسلمين والمدينة المنورّة من بطش أعظم تجمُّع، عرفه تاريخ المواجهة مع النبي[3].

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٤٩٠.
(٢) سورة الأحزاب آية ٩.
(٣) المغازي للواقدي ٢/ ٤٤١ ـ ٤٩٦.

الفصل الثالث:

وأفلست بطون قريش واحتارت ماذا تفعل

سمع العرب بتجمُّع الأحزاب، وبمسيرتها الى محمد، فهم بين مشارك بهذا التجمع، وبين مؤيد له متعاطف معه، وأيقنوا أن تجمع الأحزاب كان أكبر تجمع شهدته جزيرة العرب، ولم يخالجهم أدنى شك بأن الأحزاب ستستأصل محمداً ودينه وأولياءه من الوجود.

ثم أحيطوا علماً بقصة الخندق، وبمبارزة علي بن أبي طالب لأقوى العرب وأشجعها عمرو بن ود، وكيف قتله علي، وسمعوا باختلاف الأحزاب، وبما فعلته الريح بتلك الأحزاب، وبفشل الأحزاب وعودتها خائبة بعد حصار للمدينة دام بضع عشرة يوماً.

وتابع العرب أنباء المعارك التي جرت بين محمد وبين قبائل اليهود، وكيف خرج محمد منها منتصراً.

وتابعوا أنباء السرايا العسكرية التي كان يسيّرها محمد فتجوب أنحاء الجزيرة، وتؤدب القبائل المعادية له أو الطامعة به قبيلة تلو قبيلة.

وعرف العرب أن محمداً قد فرض حصاراً على الطرق التجارية التي تسلكها قوافل بطون قريش الى بلاد الشام سواء عن طريق المدينة أو عن طريق العراق، وهو مُصِرٌّ على ابقاء حالة الحصار هذه حتى تخلّي بطون قريش بينه وبين العرب.

إنَّ الرجل يفرض سلطانه، ويوسع هذا السلطان ويوطده يوماً بعد يوم، لقد أدركت العرب وعلى رأسها بطون قريش أن شعار (استئصال محمد من الوجود)

وهم وغير قابل للتحقيق، فمحمد لا يمكن استئصاله ولا يمكن القضاء عليه، فشعر العرب بالحيرة، وشعرت بطون قريش بالاحباط، واحتارت بأمر الرجل، وأحست بالألم والمرارة، ويئست منه تماماً.

لقد فشلت البطون عسكرياً بعد أن استنفدَت كل خططها، واستعملت كل قواها، ولم تقو على استئصال محمد أو القضاء عليه، بل على العكس من ذلك، فكلما صادمته خرج من صدامها معه وهو أكثر قوة، والعرب أكثر تفهماً له واعجاباً بأمره.

وفشلت البطون اعلامياً، فلم يعد يصدّق أحد أن محمداً مجنون أو شاعر أو كاهن أو كاذب أو ساحر كما أشاع أعلام البطون، لقد أظهر محمد عبقرية قيادية تفوق التصوُّر والتصديق.

الاعتراف بالوجود الواقعي لمحمد هو الحل:

لم يعد أمام بطون قريش سوى التسليم بالوجود الواقعي لمحمد، والاعتراف بسيطرته الكاملة على طريق تجارتها الى بلاد الشام، وباستحالة تنفيذ شعارها «استئصال محمد من الوجود والقضاء عليه» لكنها لا تعرف كيف تعبر عن قبولها بهذه الحقائق دون أن تخدش كبريائها المتغطرس. لقد أكلت الحرب مع محمد أموالها، مثلما أكلت خيرة أبنائها، ولم يعد لها القدرة على البقاء في حالة استنفار عسكري دائم، ولم تعد لها القدرة على مواجهة الحصار، فما من قافلة تجارية من قوافلها إلاّ ويعترضها محمد، فيغنمها هو وأصحابه ويأسرون رجالها أو يقتلون منهم، أو تنجو منهم بشق الأنفس، وآخر الأنباء استيلاء محمد على قافلة «أبي العاص بن الربيع»، الذي استجار بزوجته السابقة زينب بنت محمد، وأمر الرسول على أثر ذلك برد ما أخذ من القافلة، لحكمة رآها، فعاد أبو العاص بن الربيع وسلَّمَ الأموال لأصحابها، وأعلن اسلامه أمام قريش[1].

وباختصار لم يعد لبطون قريش أية مصلحة اطلاقاً باستمرار حالة التوتر بينها

---

(١) راجع المغازي للواقدي ٢/ ٥٥٣ وما فوق.

وبين محمد، ولم تعد لها القدرة بمعاداة محمد نيابة عن العرب. ومحمد لا يطلب منها الكثير، فغاية ما يطلبه منها أن تُخلي بينه وبين العرب، وأن تقف على الحياد، فإن أصابه العرب كفوها إياه، وإن لم يصيبوه فإن محمد لن يتعرض لهم، قريش كلها تفهم هذا، وقد جرى عرض مطلب محمد قبل معركة بدر، وأعلنه عتبة بن ربيعة ـ كما مرَّ بنا ـ والعافية كل العافية بسحب فتيل التوتر، والاعتراف عملياً بوجوده كقوة واقعية، وترك العرب له ليحددوا مواقفهم منه بالطريقة التي يرونها. إن زعامة البطون قد اشتهت هذا الحل وارتاحت له، ولكنها خجولة من اعلانه ومن التصريح به، ومن الاعتراف بأن هذا هو تفكيرها، وتحليلها النهائي للموقف. ولا تدري كيف تُعبِّر عنه وتُعلنه!! ولا كيف يمكنها أن تتفاوض مع محمد بعد الذي فعلته به، وفعله بها طوال ١٩ عاماً من المشاحنة والبغضاء والحملات الإعلامية التي لم تتوقف، والحملات العسكرية التي استمرت ستة سنوات!!!

رسول الله ينقذ البطون من حيرتها ويجرها إلى مائدة المفاوضات:

علاوة على أنَّ محمداً نبي، فهو عبقري، وقائد سياسي لا مثيل له. والجزء الأهم في العملية السياسية اطلاقاً أن توجه الفعل أو سلسلة الأفعال السياسية الى الخصم، وترقب بدقة ردود فعله عليها ومقدار قربه أو بعده مما تريده. لقد تيقن النبي أن بطون قريش قد أفلست تماماً، واقتنعت أن استئصاله مستحيل، وهزيمته عسكرياً مستحيلة، وأنه لم تعد لها القدرة على الاستمرار بحالة التأهُّب القصوى والاستنفار العام، ولم تعد لها القدرة على تحمل حالة الحصار المفروضة عليها، وأن العرب لن يقدموا لبطون قريش أكثر مما قدموا، وأنها قد أدركت بأن كفة محمد قد رجحت تماماً، وأن المستقبل له. وتيقن النبي أن بطون قريش حائرة في أمرها، وأنها تبحث جدياً عن مخرج من ورطتها، وعن سبيل يحفظ لها شرفها وما تبقى من كبريائها، ويرتب أمورها مع محمد بشكل يزيل حالة التوتر الدائم بينها وبينه. فصمم النبي على مساعدتها واخراجها من حيرتها، وجرها باللطف إلى

مائدة المفاوضات لإزالة التوتر الدائم بينه وبينها. واشاعة الأمن في ربوع بيت الله الحرام.

قرار العمرة:

بيت الله الحرام في مكة مثابة للناس جميعاً، وأمن لهم تقدسه كل قبائل العرب، وهي موقنة أنه بيت الله الحرام، وتزوره، وتحج البيت وهي على شركها، وقد لمعت بطون قريش واشتهرت لأنهم جيران بيت الله الحرام، وحماته وسدنته، ولأنهم يكرمون زوّار هذا البيت، فلم يصدف في تاريخ البيت الحرام، أن صُد حاج أو راغب بزيارة البيت الحرام، فحج البيت وزيارته حق مطلق لكل واحد من الناس، فما الذي يمنع محمداً كواحد من الناس على الأقل من أن يزور بيت الله الحرام؟! وما الذي يمنع المهاجرين والأوس والخزرج وهم من الناس على الأقل من زيارة بيت الله الحرام وأداء العمرة؟!

وعندما تعلم بطون قريش أن محمداً ومن معه قد جاءوا لأداء العمرة فستندهش حتماً، وستتخذ أحد موقفين:

١ ـ إما أن تأذن لهم بأداء العمرة بعد تردد ومفاوضات.

٢ ـ أو تمنعهم بعد تردد ومفاوضات، وفي ذلك احراج كبير لها أمام العرب، واخلال برسالتها نحو بيت الله الحرام المتمثلة بحماية البيت وتسهيل أمور حجّاجه وزوّاره.

وفي الحالتين فإن المفاوضات بين محمد وبين البطون قدر محتوم. والمفاوضات لها أصولها، فلا بد من وفد يمثل البطون مُخوّل بالتفاوض مع محمد، ولا بد من وثيقة خطية تشتمل على ما اتفق عليه الطرفان، ولا بد من جلسة تجمع بين الطرفين المتفاوضين، بهذا المناخ تبث بطون قريش ما في صدرها، وتعبر بشكل أو بآخر عن حقيقة تحليلها النهائي للموقف، وتبدي رغبة ضمنية بازالة حالة التوتر، ومحمد هو الرابح بهذه الحالة، حيث يحقق ضمنياً اعتراف البطون رسمياً بوجوده ككيان كفؤ لها.

واحتمال الصدام المسلّح صفر، بسبب المفاجأة، ولأن البطون تعرف محمداً وأصحابه، وقد عجمت عودهم في الحرب، ولأنها غير مستعدة لهذا الصدام، ولأنها لا تريد أن تحرج نفسها أمام العرب عندما تقاتل عُمّار بيت الله الحرام.

واطمأنت نفس النبي الكريمة، وارتاحت لفكرة أداء العمرة، ورأى الرسول في منامه أنه قد دخل البيت الحرام، وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت ووقف في عرفة مع الواقفين. عندئذٍ اتخذ النبي قراره لأداء العمرة، وأذاع القرار، وذاع خبر الرؤيا المباركة مع القرار، ولم يشك الصحابة بالفتح، بسبب هذه الرؤيا[١].

الإعداد للعمرة والمسيرة:

أمر النبي أصحابه بأن يتجهزوا للعمرة، على أن يخرجوا بغير سلاح إلاّ السيوف في القرب، وأعد سبعين بدنة، وأشعرها وقلّدها، وأشعر المسلمون بُدَنهم وقلّدوها، ثم صلى ركعتين في المسجد، وأحرم: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، وهكذا فعل المسلمون وأحرموا معه. وخرج من المدينة معتمراً ١٦٠٠ مسلم من أصحابه، وعدد من النساء. وفي الطريق الى مكة كان يمر بالأعراب، فيستنفرهم لأداء العمرة معه لكنهم كانوا يتشاغلون عنه، ويقولون في أنفسهم إن محمداً وأصحابه لن يرجعوا أبداً من هذه الرحلة، وأن قريشاً ستقضي عليهم، وتابع النبي وأصحابه مسيرتهم ومعهم الهدي حتى وصلوا الى الحديبية، فعسكر (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها[٢].

بطون قريش تقرر صد المعتمرين:

لقد بلغ قريش خروج محمد وصحبه إلى مكة معتمرين ومعهم الهدي، ففزعت، وراعها ذلك. منطقياً زيارة البيت الحرام حق لكل الناس فلا يصد زائر

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٥٧٢.

(٢) المغازي للواقدي ٢/ ٥٧٤.

كائناً من كان فرد أم جماعة، لكن محمد وأصحابه شيء آخر، لقد اجتمعت بطون قريش وتشاورت في ما ينبغي أن تفعله فقالت: «إن محمداً يريد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً، فتسمع به العرب، وقد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا، والله لا كان هذا أبداً ومنا عين تطرف»[1].

واتخذت قيادتهم الترتيبات اللازمة لصد محمد ومن معه ومنعهم من أداء العمرة، ومن هذه الترتيبات:

١ ـ وضع العيون على الجبال لرصد محمد.

٢ ـ تقديم مئتي فارس إلى كراع الغميم.

٣ ـ استنفار من يطيعها من الأحابيش.

٤ ـ الإستعانة بثقيف.

٥ ـ أن تخرج بطون قريش ومعها النساء والأطفال.

٦ ـ أن يعسكر الجميع بمنطقة بلدح حيث يضربون القباب والأبنية، وهكذا كان[2].

رسول الله يوجه الأحداث:

لقد أحيط الرسول علماً بقرار بطون قريش، وهو على علم به، فمعه الوحي، ومعه الإلهام وله عقل مميز، وقلب كبير معد لمواجهة أشد الأمور تعقيداً.

استقر بالحديبية فهو ليس بعجلة من أمره، وجاءه وفد من خزاعة حلفائه وحلفاء آبائه وأجداده، منهم المسلم، ومنه المتعاطف معه، ومعهم بديل بن ورقاء، ووضعوا النبي بالصورة وباستعدادات بطون قريش لصده ومن معه ومنعهم من أداء العمرة.

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٥٧٩.

(٢) المغازي للواقدي ٢/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠.

النبي يعلن عن الغاية من قدومه:

فقال الرسول لركب خزاعة: «إنا لم نأت لقتال أحد، انما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه. وقريش قوم قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة يأمنون فيها، ويخلون في ما بيننا وبين الناس، والناس أكثر منهم، فإن ظهر أمري على الناس، كانوا بين أن يدخلوا في ما دخل فيه الناس، أو يقاتلوا وقد جمعوا. والله لأجهدن على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو ينفذ الله أمره»[1].

سفـــــارات:

تحرك وفد خزاعة إلى زعامة البطون ـ وخزاعة متهمة عندهم، وتدخل عروة بن مسعود، وأقنع زعامة البطون أن تسمع من وفد خزاعة، وتكلم بديل بن ورقاء وزعامة البطون تصغي له، ونقل لهم بأمانة تامة ما قاله الرسول. واقترح عروة أن يبعثوه إلى محمد، ليتأكد من صحة ما قاله بديل بن ورقاء، ووافقت زعامة البطون، وذهب عروة وقابل الرسول، ووضعه بالصورة التي آلت اليها أمور البطون، وأطلعه النبي على حقيقة موقفه، وتأكد من صحة ما قاله بديل، والخزاعيون. ورجع عروة بن مسعود مبهوراً بشخصية النبي، وعمق العلاقة بين النبي وأصحابه، وأطلع البطون على حقيقة موقف النبي والغاية من قدومه، وأنه قد أتى البيت معظماً له، ومعه الهدي ينحره وينصرف.

وجاء سيد الأحابيش حُلَيْس بن علقمة، وشاهد الهدي عليه القلائد وقد أكلَ أوبارَه، والقوم قد تَفِلوا وشَعِثوا، وتأثر حُلَيْس بما رأى، وقبل أن يقابل الرسول رجع إلى قريش غاضباً، قال لهم: «اني قد رأيت ما لا يَحِلُ صَدَّهُ، رأيت الهدي في قلائده قد أكل أوبارَه معكوفاً عن مَحِلِّه، والرجال قد تَفِلُوا وقَمِلوا.. أما والله ما على هذا حالفناكم ولا عاقدناكم على أن تَصِدُّوا عن بيت الله من جاء مُعَظّماً لحرمتِه مؤدياً لحقِّه، وساقَ الهَدْيَ معكوفاً أن يبلغ مَحِلَّه، والذي نفسي

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٥٩٣.

بيده لَتُخَلُّنَّ بينه وبين ما جاء به، أو لأنفِرَنَّ بالأحابيش نفرةَ رجلٍ واحدٍ» فقالت له زعامة البطون: فاكفف عنا حتى نأخذَ لأنفسنا بعض ما نرضى به[1].

وبعث الرسول الى قريش خراش بن أمية الكعبي ليبلغ أشرافهم ما جاء به. وكلف النبي عمر بن الخطاب ليذهب الى قريش، فرفض عمر لأنه خاف قريشاً على نفسه كما قال[2].

عندئذٍ كلف الرسول عثمان بن عفان ليقول لقريش: «إن محمداً لم يأت لقتال أحد، انما جاء ومن معه زواراً لهذا البيت معظمين لحرمته ومعهم الهدي ينحرونه وينصرفون»[3]. ومن المؤكد أن عثمان قد بلغ ما أرسل به تماماً.

المبايعة ودورها بتسريع المفاوضات:

أشيع بأن عثمان قد قتل، وانتشرت الإشاعة في أوساط المسلمين، عندئذٍ قال النبي لأصحابه: إن الله أمرني بالبيعة، فبايعه من معه من المسلمين، وانتشر نبأ البيعة، وسمعت به بطون قريش، وأدركت أن محمداً جاد، وإنه سيقاتل إن لم يأذنوا له بدخول المسجد الحرام أو يجدوا للأمر مخرجاً، فرعبت بطون قريش، ووعت حقيقة أنها غير مستعدة للقتال، وأن استعدادها ينحصر في منع محمد ومن معه من أداء العمرة عنوة عنها وليس قتاله، وعلى هذا الأساس أجلبت ثقيف، وجمعت أحابيشها، وأخذ محمد البيعة من أصحابه على القتال نسف لكامل خطط البطون، وتحديد مجال المناورة أمامها، وقد هدد حُلَيس بن علقمة بسحب الأحابيش، وموقف ثقيف يتراخى، وبالنتيجة ستكون البطون الغير مستعدة للقتال وجهاً لوجه أمام محمد، وتنفتح على البطون أبواب لا تقوى على اغلاقها. ثم إن مطالب محمد واضحة ومحددة، وغاية ما يتمناه أن تخلى البطون بينه وبين العرب، لذلك رأت زعامة بطون قريش أن من الخير لها أن تصالح محمداً، وأن تعقد معه هدنة طويلة الأجل مقابل أن ينصرف عنها هذا العام ويعود في العام

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٠.

(٢) المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٠.

(٣) المصدر نفسه.

القابل حتى لا تفهم العرب بأن محمداً قد دخل مكة عنوة، واختارت البطون ثلاثة من رجالاتها ليقوموا بالمفاوضات مع محمد نيابة عنها، ويكتبوا وثيقة بما يتم الاتفاق عليه ويوقعها الطرفان، وتشكّل وفد البطون الى المفاوضات من سهيل بن عمرو، وحُويَطب بن عبد العُزَّى، ومِكْرَز بن حفص، وتوجه وفد البطون لمقابلة الرسول والشروع بالتفاوض تمهيداً لتحقيق المصالحة[١].

على مائدة المفاوضات:

جلست بطون قريش ممثلة بوفدها لتتفاوض مفاوضة مباشرة مع محمد الذي لم تعترف بوجوده طوال مدة ١٩ عاماً، وجلوسها على مائدة المفاوضات معه يعني اعترافها الضمني بوجوده ككيان كفؤ للتعاقد معها. استهل رئيس وفد البطون الجلسة الأولى بتقديم اعتذار البطون عن بعض المناوشات المحدودة التي جرت من بعض أتباعها قائلاً: «من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا، ولا ذوي الأحلام منا، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به، وكان من سفهائنا فأبعث الينا بأصحابنا الذين أسرتهم، فقال النبي: أبعثهم اليكم حين ترسلون أصحابي، فقال سهيل: أنصفتنا، وهكذا تمت الموافقة على تبادل الأسرى ونفذت فوراً»[٢].

الاتفاق وكتابة كتاب الصلح:

بعد مفاوضات مضنية بين الطرفين تم الاتفاق على كافة النقاط التي بحثت، ولم يبق إلا كتابة كتاب الصلح، وتم الإتفاق على أن يتولى كتابته علي بن أبي طالب يمليه عليه رسول الله، واعترض وفد البطون على عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم)، وعبارة (رسول الله) وطالبوا بتغييرهما الى (باسمك اللّهمَّ) و(محمد بن عبد الله)، فاستجاب لهم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلم)، وهكذا تغلَّب

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٢ وما فوق.

(٢) المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٤.

على مشكلتين شكليتين كادتا أن تنسفا المفاوضات كلها، وأن تضيّع الفرصة الذهبية التي ترقبها طوال ١٩ عاماً[١].

بنود الاتفاق:

هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله، وسُهَيْل بن عمرو، اصطلحا:

١ ـ على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكُف بعضُهم عن بعض.

٢ ـ لا إسلال ولا إغلال وأنَّ بيننا عَيْبَةً مكفوفة.

٣ ـ من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدِها فعل.

٤ ـ من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده، ومن أتى قريش من أصحاب محمد لم ترده.

٥ ـ يرجع محمد عَامَهُ هذا بأصحابه، ويدخل مكة العام القابل في أصحابه فيقيم ثلاثاً، ولا يحملون معهم إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب.

وأخذ الرسول نسخة من هذا الكتاب، وأخذ سهيل نسخة أخرى[٢].

وبعد تبادل نسخ الكتاب «المعاهدة»، قال من حضر من خزاعة: «نحن ندخل في عهد محمد وعَقْدِه، ونحن على مَن ورائنا من قومنا، ووثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل مع قريش في عهدها وعقدها، ونحن على من ورائنا من قومنا»[٣].

تقييم الاتفاق أو معاهدة الصلح:

لقد أعطى اتفاق الحديبية محمداً كل ما يريده: «من أحب أن يدخل في

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٦١٠ ـ ٦١١.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦١٠ ـ ٦١٢.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦١٢.

عهد محمد وعقده فعل» وهذا البند (الثالث) عام يشمل العرب والعجم، ومعناه أن قريش تترك الحرية لأي مجموعة بشرية لتدخل في عهد محمد وعقده. وهذا بحد ذاته انقلاب، لأن إعلام البطون كان يصوّر محمداً وكأنه ابن عاق من أبنائها خرج عليها، وكأن الصراع بينها وبينه هو صراع عائلي بين عشيرة كبرى وبين فرد خارج عليها، وبهذه الحالة فإن لم تقف العرب مع العشيرة الكبرى فإنها لن تقف مع ابن العشيرة الخارج عليها.

وجاء اعتراف البطون بحق محمد باستقطاب العرب حوله ليقلب كل المفاهيم، وليلغي دفعة واحدة آثار إعلام البطون، وليخلق مناخاً جديداً للدعوة، ومجالاً رحيباً للدولة الاسلامية. فدين محمد قائم على السلام، والكلمة الطيبة والاقناع، واحترام العقل، وتقديس الحوار الجدي الباحث عن الحقيقة المجرّدة، فإذا وجدت الحرية، ورفع الحرج، وسمع الناس حجة محمد، وقارنوها مع حجة البطون، وإعلامها فسيدخلون بالضرورة في عهد محمد وعقده، وبوقت يطول أو يقصر ستجد بطون قريش نفسها معزولة، فهي لا تدعي بدين جديد، وليس لديها ما تقدمه، ومع الأيام تصبح جزيرة ظلمات وسط نور باهر.

فلذلك كان هذا الإتفاق فتحاً حقيقياً لمكة، وهزيمة ساحقة لبطون قريش، وكان نصراً مؤزّراً لدبلوماسية الرسول التي حصدت ثمار المواجهة المسلّحة مع البطون أفضل حصاد، وبأقرب الطرق وأيسرها، وحققت كل ما كان يتمناه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وتحديد مدة الصلح بعشر سنين غير ملزم، فإذا أخلت البطون بهذا الاتفاق، فهي التي ينبغي أن تدفع الثمن، وأن تواجه قوة تقوى ولا تضعف، وبهذه الحالة فإن محمداً بحل منها. وحدث هذا بالفعل.

وحول رجوعه على أن يعود العام المقبل، فالعمرة سبب للمصالحة وطريق اليها، فقد اتخذ الرسول قرار العمرة لعل مسيرته إلى العمرة تؤدي الى المفاوضة، فالصلح، وقد أدت العمرة دورها وقادت الى المصالحة، وكانت سبباً لتخلي قريش بينه وبين العرب، وهو المطلب الذي قاتل من أجله ستة سنوات، وتمناه

طوال فترة البعثة التي سبقت المصالحة، والتي استمرت ١٩ عاماً. ورجوع محمد دون أداء العمرة احراج كبير لبطون قريش أمام العرب، واعتراف صريح منها بأنها تصد زوار بيت الله الحرام، وبالتالي ليست أهلاً لادارة البيت الحرام، ومحمد مأجور برجوعه، لأنه لو أصر على أداء العمرة، فالشر الذي سيحدث بأدائها أعظم من الخير الذي يرجى بتركها.

أما حول البند الذي ينص على التزام النبيّ بردِّ من يأتيه بدون اذن وليه، فهو يصب في مصلحة الإسلام، فمن يؤمن بالله ورسوله لا يمكنه أن يتخلى عن هذا الإيمان، سواء أكان مع محمد أو عند بطون قريش، وكثير من المسلمين كانوا يقيمون في مكة، فمن يرده النبي ينضم للمسلمين المقيمين في مكة ليشكّلوا معاً قوة يستفاد منها عاجلاً أم آجلاً.

ثم إن بنود الاتفاق متكاملة، فإذا أخلت بطون قريش ببند منها فإن محمداً بحلٍّ من هذا الاتفاق بعد أن شاع بين العرب، واعترفت البطون بحقه باستقطاب من يشاء. وستتاح له الفرصة لتصفية الحركة اليهودية في الجزيرة، واستقطاب القبائل التي كانت مترددة مراعاة لخاطر بطون قريش.

وبكل الموازين السياسية والعسكرية فإن صلح الحديبية كان من أعظم الانجازات والفتوحات التي حققها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أنا عبد الله ورسوله:

بهذه الكلمات الثلاث أجاب رسول الله من لم تعجبه هذه المعاهدة، بمعنى أن الله تعالى هو الذي أمره بالعمرة، ورتب له الأمور، فهو عبد الله يفعل ما يؤمر، ورسول الله يتقيّد بأوامر من أرسله، فمعه الوحي ومعه الإلهام، وهو لا ينطق عن الهوى. فمحمد يعلم علم اليقين بأن ما جرى سوف يجري، خطوة بعد خطوة حتى يكتمل بالصورة التي آل اليها.

لقد صرّح النبي علناً بأن الله قد أمره بالبيعة[1]، وأمر منادياً ينادي: «إن روح

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٣.

القدس قد نزل وأمر بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا»[١]، بمعنى أن الله يوجه نبيه خطوة خطوة، نحو الهدف العظيم. حتى تحقق الصلح المبارك، فرضى الله تعالى عنه، وبرضاه رضي رسول الله.

المزايدة والتشويش:

لم يرض عمر بن الخطاب بمعاهدة الصلح التي رضي الله عنها، واعتبرها فتحاً مبيناً، وأمر رسوله بقبولها والتوقيع عليها، ليختم مرحلة من المواجهة، لقد اعتبر عمر هذه المعاهدة «دنيّة»، وقال للرسول أمام المسلمين: «فعلام نعطي الدنية في ديننا»، وظهر الرجل بمظهر من يزايد على الرسول بالدين الذي علّمه الرسول اياه!!! وقبل يوم واحد فقط طلب رسول الله من عمر أن يذهب الى بطون قريش ليقول لها: «بأن رسول الله لم يأت لقتال أحد، انما جئنا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي ننحره وننصرف، فرفض وقال للرسول: يا رسول الله إني أخاف قريش على نفسي، وليس بها من بني عدي من يمنعني»[٢]!!

وهو نفس عمر الذي اشترك في معركة بدر ولم يثبت أنه قد قتل مشركاً أو جرحه، وهو نفسه الذي هرب من المعركة يوم أُحد، وقد ذكّره الرسول بذلك يوم أقبل عليه فقال له: «أنسيتم يوم أُحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم»[٣]..

وهو نفس الرجل الذي لم يكن له أي دور مميز في أي معركة من معارك الإسلام التي سبقت صلح الحديبية!!! وهو الذي يزايد على رسول الله، ووصف المعاهدة التي وقعها النبي ورضى «بأنها دنيّة في ديننا» وأعلن عمر أنه لو وجد أعواناً ما أعطى الدنية!! أي ما سمح بتوقيع هذا الصلح[٤]!!!

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٦٠٤.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٠٠.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٠٩.

(٤) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية، ص٦٤٠ ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٦٩، ترى قدرة الرجل على مواجهة النبي.

ولقد استخف نفراً من أسلم وغضب الكثير لغضبه[١].. لقد حاول أن يحول بين النبي وبين الصلح، وحاول أن يلغي المعاهدة، ولكنه لم ينجح، ومن ذلك التاريخ أدرك أهمية وجود الأعوان لفرض رأيه[٢].

وبالرغم من معارضة عمر الشديدة لصلح الحديبية وردّه على الله ورسوله إلاّ أن أولياءه يسجلونه شاهداً على هذا الصلح، ويؤكدون أنه قد وقع كشاهد[٣]!!!

لقد برع القوم باعطاء عمر (رضي الله عنه) دور البطولة في كل موقف، حتى وإن خالف الرسول أو اختلف معه، فمخالفته للرسول أو اختلافه معه كان لحكمة رآها عمر (رضي الله عنه)!!!

قال أبو سعيد الخدريّ: «جلستُ عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً، فذكر القضية، فقال: لقد دخلني يومئذٍ من الشك، وراجعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يومئذٍ مراجعةً ما راجعته مثلها قط، ولقد عتقتُ فيما دخلني يومئذٍ رقاباً، وصمتُ دهراً، وإني لأذكرُ ما صنعتُ خالياً فيكون أكبر همي»[٤].

على أي حال لقد تغلب النبي على المزايدة والتشويش، ويوم الفتح قال: «ادعوا لي عمر بن الخطاب، فقال أي عمر، هذا الذي قلت لكم! قال: أي رسول الله ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية!!»[٥]

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٦، ٦٠٨.

(٢) شرح النهج لعلامة المعتزلة ٣/ ٧٩٠ حسن تميم.

(٣) المغازي للواقدي ٢/ ٦١٢.

(٤) المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٧.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٠٩ ـ ٦١٠.

الفصل الرابع:

المواجهة مع اليهود

لقد أرسل الله رسوله محمداً إلى الناس كافة، بغض النظر عن الدين أو اللون أو العرق، فهو خالقهم جميعاً، أبوهم آدم وأمهم حواء.

ولأنه يتعذر على النبي أن يبلغ الناس جميعاً وبوقت ومكان واحد مضمون رسالته، فقد اختار تعالى مكة لتكون نقطة الانطلاق للنبوة والرسالة، لأن زوّار البيت يتقاطرون لزيلرته من مختلف الأنحاء، وأحرى بهم أن ينقلوا معهم ما يسمعون من أنباء عند عودتهم لأمصارهم، وكانت الغالبية العظمى من سكان مكة وما حولها تعبد الأصنام، وندرة منهم كانوا قد اعتنقوا اليهودية أو النصرانية، أو سمعوا الكثير عن هاتين الديانتين. وكان ما كان من تصدي بطون قريش للنبوة والرسالة، ومن مواجهتها للنبي حتى تآمرت على قتله وفشلت. وطاردته ففشلت، ووصل رسول الله سالماً إلى المدينة. وبالإجمال لم تحدث مواجهة بين النبي وبين اليهود خلال فترة وجوده في مكة التي استمرت ١٣ عاماً، بل على العكس من ذلك، فقد كانت ترد أنباء يرويها المشركون عن اليهود بأن نبياً من بني عبد مناف سيظهر، وأن أوان ظهوره قد إقترب!! فيرتاح النبي والذين أسلموا معه لمثل هذه الأنباء ويطمئنوا لها.

في المدينة المنوّرة:

لا بد من التذكير بأن بطون قبيلتي الأوس والخزرج يشكلون الأغلبية الساحقة من سكان بلدة يثرب وما حولها، بالإضافة إلى أقلية كبيرة من اليهود. ويبدو واضحاً أن أصحاب بيعتي العقبة الأولى والثانية قد نجحوا نجاحاً ساحقاً

بادخال دين الإسلام إلى كل بيت من بيوت بطون الأوس والخزرج، مثلما نجحوا بخلق رأي عام في يثرب وما حولها متشوق أو متظاهر بالتشوق لرؤية الرجل الرسول، ومُوالي أو متظاهر بموالاة هذا الرسول. ولا خلاف بين اثنين من سكان يثرب بأن الرجل الرسول سيأتي الى يثرب قائداً ومتبوعاً غير تابع، ولم يعلن أحد من السكان معارضته لقيادة الرسول. لقد نجح المسلمون الروّاد في يثرب بايجاد حالة عظمى من الإنبهار. لقد استقبل سكان يثرب وما حولها النبي استقبالاً حافلاً لم يستقبل به زعيم قبله قط، وما يزيد هذا الاستقبال روعه أنه وليد مشاعر مختلطة من الرضى والاقتناع والمجاملة والانبهار، وفي بعد قصي عن القوة والإكراه والتسلُّط. وقد اشتركت الأقلية الكبيرة من اليهود اشتراكاً مؤثراً في كل ذلك، فقد تسلق قسم منهم جذوع النخيل ليكون أول من يرى طلعة النبي!! ولما أشرقت طلعة النبي، صاح أحد اليهود: «يا أهل يثرب هذا حظكم قد أتى».

انتهت مراسم الإستقبال، ودخل النبي عاصمته الجديدة يغمره شعور عام بالرضى والإطمئنان، وصمم أن يجعل من وصوله إلى يثرب نقطة تحول كبرى في حياة كل سكانها، لا فرق باللون أو العرق أو الدين. لقد كانت نظرته للأمور حيادية ومجردة، وهمّه الأعظم منصبّ على انقاذ الجميع من الظلمات الى النور، واشعار الجميع أنهم أصحاب رسالة الى العالم.

ولعبت قوانين التنافس والتسابق بين بطون الأوس والخزرج دوراً كبيراً، فلا تجد من هذه البطون رجلاً إلاّ وقد أسلم أو تظاهر بالإسلام، أو والَى محمداً حقيقة أو تظاهر بموالاته، فبطون الأوس تريد أن تكون السابقة، وبطون الخزرج تطمع بذلك. لقد أدركت بطون الأوس والخزرج أن الإسلام صار هو درب الحياة الوحيد، وتذكرة المواطنة، وطريق المستقبل، والمفتاح الى كل دور من أدوار الحياة، فأرادت الأوس أن تسبق الخزرج، وأرادت الخزرج مثل ذلك، ووسيلة السبق هو الإسلام وموالاة النبي أو التظاهر بهما.

ولم يبق رجل من رجالات بطون هاتين القبيلتين، إلاّ وقد أسلم أو تظاهر

بالإسلام. وفي هذا المناخ التنافسي ظهرت ظاهرة النفاق على أوسع نطاق، حيث يظهر أهله الإسلام والموالاة، ويبطنون الكفر والحقد على محمد وآله.

أما اليهود فقد كانوا أكثر وضوحاً، حيث أعلن عدد قليل منهم اعتناقه للإسلام، وبقيت الأكثرية الساحقة منهم على دينها، ولم يكرههم النبي على ترك دينهم واعتناق دينه، ولم يغضب منهم أو يحقد عليهم، بل كان يأمل أن يكونوا أكثر تفهماً له، وتعاطفاً معه، فهم من نسل اسحاق النبي، ومحمد من نسل اسماعيل النبي، واسحاق واسماعيل أخوة فهما ابنا ابراهيم (عليهم السلام)، بمعنى أنهم أبناء عمومة، ومن جهة ثانية فهم أهل كتاب، وقد أحيطوا علماً بأخبار الرسل والأنبياء، وقبل اعلان النبوة المحمدية، كان اليهود يستفتحون على المشركين العرب ويؤكدون لهم أن نبياً سيظهر، وأن هذا النبي هو بشرى أنبياء بني اسرائيل الذين سبقوه. ولأن النبي حيادي وموضوعي، وليس عنده حكم مسبق، فقد كان يتوقع خيراً من اليهود، ويظن أنه بوقت يطول أو يقصر سيقتنع اليهود به ويدخلون في دينه، ويستفيد الإسلام من تجارب اليهود الإيمانية السابقة، ومما وسّع أفق هذا التفاؤل، ارتباط اليهود بسلسلة متماسكة من التحالفات مع بطون الأوس والخزرج، وظهر اليهود بمظهر الموالين لمحمد أو الراضين بقيادته، المستبشرين بعهده خيراً. كل هذه الأسباب الموضوعية دعت رسول الله لاعتبار سكان يثرب وما حولها بما فيهم اليهود مع من هاجروا من أهل مكة أمة واحدة متميزة عن غيرها من الناس، واعتبار المدينة وطناً للجميع بما فيهم اليهود وحماية هذا الوطن من مسؤولية الجميع، واعترف بالتحالفات القبلية السابقة لقدومه، وتركها على حالها، وأعطى كافة هذه التشكيلات الحرية بادارة شؤونها، وعند اختلافها فهو المرجع لحل هذه الخلافات. واعتبر النبي أعلى سلطة في البلاد، وقد وضع النبي هذه الترتيبات على شكل دستور، وافق عليه كل سكان المدينة بما فيهم اليهود، أو تظاهروا بالموافقة ولم يعترض عليها منهم أحد، وأخذت هذه الترتيبات صفة التعاقد. وقد جاء في هذه الترتيبات ما يلي وبالحرف: «وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل

هذه الصحيفة (الدستور)، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم»، وقد حللنا هذه الصحيفة فيما سبق[1].

ومن المؤكد أن اليهود قد فهموا مضمون الصحيفة، ووافقوا عليها، أو على الأقل لم يعترضوا. وليس هنالك ما يمنعهم من الإعتراض عليها، فتحالفاتهم مع البطون ما زالت قائمة، ومعهم كافة المنافقين، ومحمد لم تثبت أقدامه بعد في يثرب، واليهود أهل مال وقوة، ولهم نفوذ، ومع هذا لم يرو أحد بأن اليهود قد اعترضوا على هذه الترتيبات، وكلما رُوي يفيد بأنهم قد قبلوا بها أو تظاهروا بالقبول. وقد ذهب المؤرّخون والرواة وأصحاب السيرة مذهبين:

١ ـ فمنهم من يقول بأن اليهود قد عاهدوا النبي وتعاقدوا معه، بأن تكون حرب النبي حربهم، وسلمه سلمهم، وعدوه عدوهم، ونصوص الصحيفة أو الدستور الذي وضعه النبي لترتيب أوضاع يثرب وما حولها بعد قدومه اليها تؤكد ذلك، وسير الأحداث التاريخية يؤكد أيضاً هذا القول.

٢ ـ ومنهم من يرى بأن اليهود قد عاهدوا النبي وتعاقدوا معه على التعايش معه، وأن لا يعينوا عليه عدواً كائناً من كان.

وسيان أخذنا بهذا القول أو ذاك، فإن اليهود على أقل تقدير قد التزموا بعدم معاداة النبي وبالتعايش السلمي معه.

نقض العهد والخروج على النبي:

من المؤكد أن يهود المدينة وما حولها ذهلوا من سرعة التفاف بطون الأوس والخزرج حول الرسول، ومن قدرة الرسول على استقطابهم، ومن حالة الإنبهار العام التي دفعت هذه البطون لموالاة محمد أو التظاهر بموالاته. واكتشف اليهود بأنهم قد تميزوا أو عزلوا عن المجتمع، فرأوا أن من الحكمة أن لا يكشفوا أنفسهم، فأعلنوا أنهم باقون على دينهم، ولكنهم يوالون النبي ويقبلون بقيادته

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٠١، ومجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله، ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ لظافر القاسمي ص٣١.

وهم مع الأوس والخزرج، يوالون وليهما ويعادون عدوهما.

ومن الطبيعي أن النبي لا يحاكم على البواطن، فهو يعلم علم اليقين أن هنالك منافقين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والعصيان، ويتشدقون بموالاة النبي وهم عصاة، ولكن حسب مقتضيات العدل الإلهي فإنه لا سلطان له عليهم ما أظهروا الإسلام ونطقوا بالشهادتين، ولا سلطان له على اليهود الذين احتفظوا بدينهم، وأعلنوا قبولهم بقيادة النبي، وأبطنوا العداوة له، لقد كان النبي يطاولهم ما طاولوه، ويهادنهم ما هادنوه، ولا يبدأ بعداوة أي فرد أو جماعة، ولا يفتح على أي كان أبواب المواجهة والخصومة، تلك هي طبيعة النبي وطبيعة دينه وهذا منهج النبي في كل مواجهاته، فقد كان يترك الخصم حتى يبدأ بالعدوان، فإذا بدأ الخصم بالعدوان يعطى أوامره بالرد وبحجم العدوان. ومن هذا المنطلق، فإن أفراداً من اليهود، وجماعات منهم قد نقضوا العهد، وخرجوا على العقد، فجابه الذين نقضوا عهودهم، ولم يتعرض لغيرهم، فإذا خرج خارج جابهه، وإذا نقض عهده ناقض تصدى له. هذه السياسية الحكيمة جنّبته وحدة خصومه، وفتتت جبهة أولئك الخصوم، فمن فيض النعمة الإلهية على محمد، ومن عبقرية قيادته، أن خروج اليهود ومواجهتهم له لم يتم على دفعة واحدة، ولا بوقت واحد، وإلا لكان في ذلك حرج شديد، إنما حدثت مواجهة اليهود له على موجات، وبأوقات متعددة، وفي كل خروج كان الرسول يواجه من يخرج عليه من اليهود ومن ينقض عهده، ولا يتعرض لغيره لا من قريب ولا من بعيد. وكان يحرص كل الحرص، على أن يبين لمن يخرج عليه سوء عمله وحقيقته، وأن ينصحه بالنزوع عنه، فإن أبى استعان النبي عليه بالله وواجهه، مما أضفى على مواجهاته كلها طابع الشرعية.

نتائج معركة بدر:

النتائج المذهلة التي أسفرت عنها معركة بدر، صعقت كل أولئك الذين كانوا يبطنون الكراهية والحسد لمحمد ولآله وأتباعه، وأججت نيران حسدهم للنبي وحقدهم عليه، وأخرجتهم عن وقارهم المصطنع، وعن صمتهم الآثم.

ومن هؤلاء: اليهود، والمنافقين، ومع أنه لا علاقة خاصة لهم ببطون قريش، إلا أنهم أبدوا تأثرهم البالغ بما أصاب البطون وبكوا قتلى البطون، وشجعوها على الانتقام من محمد وآله.

المواجهة مع بني قينقاع:

بنو قينقاع احدى الجماعات اليهودية التي هزتها نتائج معركة بدر، وأخرجتها عن صمتها الآثم، ومع أنهم قد أعطوا الرسول العهود والمواثيق بأن يكونوا معه أو لا يظاهروا عليه عدواً، إلا أنهم نقضوا العهد، وجاهروا بعداوتهم للنبي، فجمعهم النبي، وذكرهم بعهده وعقده ودعاهم الى الإسلام، أو التوقف عن اعلان عداوتهم له، فلم يصغوا للنبي، فحذرهم النبي من أن يصيبهم ما أصاب البطون في بدر، فأجابوا النبي بصلف قائلين: «يا محمد لا يغرنك من لقيت، إنك قهرت قوماً أغماراً، وإنا والله أصحاب الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا»[1].

ومع هذا تركهم النبي ليقيم الحجة عليهم، وليحملهم مسؤولية بدء العدوان عليه، وجاءت امرأة مسلمة لتشتري مصاغاً من سوقهم، فغافلها يهودي فربط ردائها دون أن تشعر، ولما نهضت المرأة انكشفت عورتها، فضج اليهود بالضحك، فقام رجل مسلم فقتل الذي ربط ثوب المرأة. عندئذٍ، اجتمعت بنو قينقاع وقتلوا الرجل، وأعلنوا رسمياً نبذهم للعهد وتحصنوا في حصنهم، وأعلنوا الحرب ضمنياً على النبي، عندئذٍ سار اليهم النبي، وحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، وعرضوا على رسول الله أن يخرجوا من الحصن، ويجلوا من المدينة، فأبى الرسول إلا أن ينزلوا على حكمه، وهكذا كان، فربطهم رسول الله وأوثقهم بالحبال فحضر ابن أُبي، وتيقن أن النبي سيقتلهم فأدخل يده في جنب درع النبي، وطلب منه أن يحسن لمواليه وتغير وجه النبي، فقال له: «أرسلني»، فقال ابن أُبي: «لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة دارع وثلاثمئة حاسر، تريد أن تحصدهم في غداة واحدة»، فقال الرسول:

---

(١) المغازي للواقدي ١/ ١٧٦.

«خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم» وأمر بأن يجلوا من المدينة. وحاول ابن أُبي أن يقيهم في المدينة فأبوا، وتم اجلاؤهم الى أذرعات، بعد أن أخذ النبي أموالهم[1].

المواجهة مع بني النضير:

قتل رجل مسلم رجلين من بني عامر دون أن يعلم أن بينهم وبين رسول الله أمان وعهد، وطلب عامر بن الطفيل ديتهما، فسار رسول الله الى بني النضير ليستعين بهم على الدية، وكانوا حلفاء بني عامر، فقال اليهود: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت، اجلس حتى نطعمك.

ثم خلا بعضهم الى بعض فقال حيي بن أخطَب: «يا معشر اليهود، قد جاءكم محمد في نفر من أصحابه لا يبلغون العشرة، فاطرحوا عليه حجراً من فوق هذا البيت الذي هو تحته فاقتلوه، فلن تجدوا أخلى منه الساعة، فإن قتل تفرق أصحابه، فلحق من كان معه من قريش بحرمهم، وبقي من ها هنا من الأوس والخزرج». فقال عمرو بن جحاش: «أنا أظهر على البيت وأطرح عليه الصخرة!» فقال سلام بن مشكم: «أطيعوني هذه المرة وخالفوني الدهر، والله إن فعلتم ليخبرن بأنا قد غدرنا به، وإن هذا نقض العهد الذي بيننا». وجاء رسول الله الخبر من السماء، فنهض كأنه يريد حاجة، وترك أصحابه جلوس مع اليهود، واكتشف اليهود أن مؤامرتهم قد كشفت، ونصحهم ناصح منهم، اسلموا لتنجو من عاقبة مؤامرتكم عليه، فأبوا، فقال لهم حكيمهم، ««إذا فإن محمداً سيطلب منكم الخروج فاخرجوا».

ولما وصل رسول الله إلى مأمنه أرسل ليهود بني النضير رسولاً لينقل لهم انذاراً مختصراً: «أن اخرجوا من بلادي»، وتبلغوا الانذار فشجعهم ابن أُبي على رفض الانذار. وحاول ابن أُبي أن يشكل جبهة من اليهود والمنافقين، وسريعاً أمر النبي من أطاعه بالتهيؤ لمقاتلة بني النضير الذين نقضوا عهده، ورفضوا انذاره،

---

(١) المغازي للواقدي ٢/١٧٦ ـ ١٨٠.

ودخلوا حصونهم واستعدوا للقتال، وتخلى عنهم ابن أُبَي ويهود بني قريظة. وبدأ المسلمون في حصارهم، وأثناء الحصار نزلت قلة منهم، وأعلنت اسلامها، وبعد أن استحكم الحصار استسلم بنو النضير، ونزلوا على أن لهم ما حملت الابل الى الحلقة، فأجلاهم رسول الله عن المدينة، وحُملوا على ستمائة بعير، وهكذا ربح المواجهة مع بني النضير[١].

المواجهة مع بني قريظة:

بقيت بنو قريظة على عهدها وعقدها مع رسول الله، وكانت ترى أن خروج بني قينقاع وبني النضير على العهد والعقد عمل طائش وغير مصيب، ولم يصدر من بني قريظة ما يعكر حالة التعايش السلمي بينهم وبين رسول الله وأصحابه، واستمرت الأمور على ما يرام، ووصف عقيد بني قريظة كعب بن أسد العلاقات بين محمد وبين بني قريظة قائلاً: «إني عاقدت محمداً وعاهدته، فلم نرَ منه إلاّ صدقاً، والله ما أخفر لنا ذمة، ولا هتك لنا ستراً، ولقد أحسن جوارنا»[٢].

هذا ما قاله عقيد بني قريظة للوفد الذي جاء ليضم بني قريظة إلى تجمع الأحزاب، إلا أن حيي بن أخطب ومن معه نجحوا باغواء بني قريظة، واتفقت بنو قريظة أخيراً على أن تنظم لتجمع الأحزاب، وأن تهجم على المسلمين من الخلف عندما تبدأ بطون قريش ومن معها من الأحزاب بالهجوم على محمد، وهكذا يواجه الرسول هجومين معاً وبآن واحد، هجوم من داخل المدينة يشنه ٧٥٠ مقاتل من بني قريظة، وهجوم من خارج المدينة تشنّه الأحزاب المؤلفة من بطون قريش ومن تحالف معها من القبائل واليهود وعددهم عشرة آلاف مقاتل، وفوجئت الأحزاب بالخندق، وبقتل علي بن أبي طالب لعمرو بن ود أقوى مقاتلي الأحزاب، وهزمت الروح المعنوية لتلك الأحزاب وفشل حصارها للمدينة، فأرسل الله ريحاً وجنوداً لم تروها، عندئذٍ أصدر أبو سفيان بوصفه القائد العام للأحزاب أمراً بالانسحاب، فانسحبت الأحزاب دون علم بني قريظة. وبالوقت

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٦٣ ـ ٣٨٤.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٤٥٥.

الذي كانت تنتظر فيه بنو قريظة هجوم الأحزاب من الأمام لتبدأ هجومها من الخلف، أصدر النبي أوامره بالزحف على بني قريظة. وعلمت بنو قريظة بانسحاب الأحزاب، وبزحف النبي وأصحابه، فرعبت وأيقنت بالهلاك، ولكنهم تحصنوا في حصونهم، على أمل أن يحسنوا موقعهم التفاوضي مع النبي، ولما أحاط بهم النبي، قالوا: نكلمك قال الرسول: نعم. قالت بنو قريظة: «ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير لك الأموال والحلقة وتحقن دماءنا، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري، ولنا ما حملت الإبل إلا الحلقة». فرفض رسول الله هذا العرض، فعرضوا عليه قائلين: «تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية، ولا حاجة لنا في ما حملت الإبل»، ورفض النبي هذا العرض أيضاً، وقال لهم: تنزلون على حكمي، واضطروا بعد حصار شديد أن ينزلوا على حكم النبي، فأمر الرسول بربط المقاتلين منهم ووضعهم في جهة، ووضع النساء والذرية في جهة أخرى.
ودنت بطون الأوس وقالوا: يا رسول الله إن بني قريظة حلفاؤنا دون الخزرج، وقد وهبت بني قينقاع لابن أُبي، وقد ندم حلفاؤنا على ما صنعوا فهبهم لنا، فقال الرسول: «أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم؟» قالوا: «بلى»، فقال النبي: «فذلك إلى سعد بن معاذ». وقبلت اليهود سعداً كحكم، وذهبت الأوس وقالت لسعد: «يا أبا عمرو إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم فأحسن، فقد رأيت ابن أُبي وما صنع في حلفائه، مواليك، مواليك، قد منعوك في المواطن كلها، واختاروك على من سواك، ورجوا عياذك، ولهم جمال وعدد، وقد نصروك يوم البعاث والحدائق والمواطن، ولا تكن شراً من ابن أُبي». وكان سعد بن معاذ ساكتاً، ولما أكثروا عليه قال سعد: «قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم»، وقال سعد للأوس: «أترضون بحكمي لبني قريظة؟» قالت الأوس: «نعم قد رضينا حكمك وأنت غائب». فقال سعد: «لا آلوكم جهداً!» قالت الأوس: «ماذا تعني؟» قال سعد: «عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم ما حكمت؟» قالت الأوس: «نعم». قال سعد: «وعلى من ها هنا مثل ذلك؟» فقال الرسول ومن معه: «نعم».

قرار الحكم:

بعد أن رأى رسول الله أن الأوس كلها متعاطفة مع بني قريظة الذين اضطروا مكرهين أن ينزلوا على حكمه، رأى أن يعين سيد الأوس سعد بن معاذ ليحكم في بني قريظة، وقبلت الأوس ذلك وارتاحت له. فأخذ سعد بن معاذ من الأوس عهد الله وميثاقه أن يقبلوا بحكمه، وأخذ العهد والميثاق من الرسول ومن معه ليقبلوا بحكمه وبعد ذلك أصدر حكمه، وهو: «فإني أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه الموسى، وتسبى النساء والذرية، وتقسم الأموال». ونفذ الحكم، فسبق السبى إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية الى دار إبنة الحارث، وجمعت الأسلحة والأثاث والمتاع. ثم نفذ الحكم، وتم قتل المقاتلة، ورجته سلمى بنت قيس أن يعفو عن يهودي كان يترد ويتودد الى أخيها سليط، فوهبها رسول الله ذلك اليهودي وعفا عنه، وعندما رأى رسول الله كراهية الأوس لقتل بني قريظة، فرق الأوس، ليتولى رجال الأوس بأنفسهم مهمة تنفيذ حكم القتل بحلفائهم السابقين، فيكون القاضي منهم، ومن يتولى الأعدام منهم، وهكذا بالقضاء على بني قريظة زال الخطر اليهودي عن المدينة، وأصبحت مسكناً خالصاً للمسلمين والمنافقين معاً[1].

المواجهة مع يهود خيبر:

كانت خيبر من أعظم وأكبر التجمعات اليهودية في الجزيرة، حتى أنها أصبحت قلعة حقيقية، ففيها المال وفيها الرجال، وقد تابع يهود خيبر بقلق بالغ أنباء مواجهات الرسول مع يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة وتأثروا بما أصابهم، وتعاطفوا معهم حتى صارت خيبر ملجأ للكثير من اليهود، واستقطبت بخيراتها وأموالها عواطف الكثير من أبناء القبائل العربية المحتاجة الطامعة بأي شيء مما حولها، ومع الأيام تحولت الى قاعدة لمن يتربّصون الدوائر بالنبي وآله ومن والاه، وصارت أعظم خطر يهدد الإسلام. وقد أدرك يهود خيبر ومن لجأ

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٤٩٦ ـ ٥٢١.

اليهم وتحالف معهم أن المواجهة مع محمد ومن والاه قدر محتوم لا مفر منه، وقد أرعبتهم مواجهات محمد السابقة مع خصومه، لذلك فهم يخشون فكرة شن هجوم عليه، مما فرض عليه فرضاً أن يبقوا بحالة ترقُّب وقلق حتى يأتي محمد ومن والاه لحربهم فيحاربونه حرباً دفاعية، وهم في حصونهم، واستعداداً لتلك المواجهة الحاسمة رمموا حصونهم وأصلحوها، واستوردوا السلاح وصنعوه، ووسعوا دائرة تحالفاتهم مع القبائل، خاصة مع قبيلة غطفان، وزعيمها عيينة بن حصن، ويقال أنهم جندوا عشرة آلاف مقاتل يتم استعراضهم يومياً، وقدروا أنهم بهذه العدة والعدد سيكونون أول من يلحق هزيمة ساحقة بمحمد وآله ومن والاه، ومن هنا فقد أيقنوا بأن محمداً قادم اليهم لا محالة، وترقبوا كل يوم قدومه ليواجهوه بما لا قبل له به.

وبعد أن فتح الله على نبيه في صلح الحديبية ذلك الفتح المبين، وحقق انتصاره السياسي، وخلّت بطون قريش بينه وبين العرب، واعترفت به وهي عدوته اللدودة، واعترفت بحقه باستقطاب العرب حوله. عندئذٍ قدر النبي أن الفرصة ملائمة لمواجهة أخطر وأقوى ما تبقى من خصومه، وهم يهود خيبر، وبعد أقل من شهرين من رجوعه من الحديبية أصدر أوامره بالتهيؤ لغزو خيبر، وفضّل أن يغزو معه الذين خرجوا معه الى الحديبية، وأعلن أن الغاية من غزو خيبر هو الجهاد وليست الغنيمة وبعد اتمام الاستعدادات، وفي شهر صفر من السنة السابعة للهجرة زحف النبي نحو خيبر، وفي الطريق علم أن قبائل غطفان الكبيرة قد تحالفت مع اليهود على حرب محمد مقابل تمر خيبر لسنة. ولما استقر الرسول في معسكره قرب خيبر أمر أتباعه أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم النبي بالقتال ونظم أتباعه، وأعطى الرايات، فأعطى راية الى علي (عليه السلام)، وراية إلى الحُباب بن منذر، وراية إلى سعد بن عبادة، ثم أذن بالقتال، وأمر أن يركز على الحصن الذي فيه غطفان، فضغط المسلمون ضغطاً شديداً على هذا الحصن، وأُشيع في غطفان أن مضاربهم وبيوتهم وذرياتهم قد تعرضوا للغزو، فانسحبت غطفان من التحالف، وذهبت لتحمي ذراريها من الغزو الموهوم، وبانسحاب غطفان تهدمت الروح المعنوية لأهل خيبر، ولكنهم قاتلوا بكفاءة، وهجم الرسول

على الحصون حصناً حصناً فصمدت أمامه، ثم انسحب، واتخذ مقراً لقيادته، ثم أخذ يرسل المسلمين على موجات، موجة تذهب بالراية وموجة ترجع.

فأعطى رايته إلى أبي بكر، وخرج أبو بكر ولكنه رجع ولم يفعل شيئاً، ثم أعطى الراية إلى عمر، فخرج عمر ثم رجع ولم يفعل شيئاً[1].

وفي كنز العمال أن رسول الله بعث أبا بكر بالناس فانهزم حتى رجع. وبعث عمر فانهزم بالناس حتى رجع. وقال: أخرج هذا الحديث ابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، وابن ماجه، والبزار، وابن جرير وصححه، والطبراني في الأوسط، والحاكم، والبيهقي في الدلائل، والضياء المقدسي[2]. وإلى هذا أشار الهيثمي في مجمعه[3]، وذكره مختصراً وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

أما الواقدي رحمه الله فقد أشفق أن يقرن اسم أبي بكر وعمر مع الهزيمة والرجوع دون فعل شيء، لذلك روى الخبر: «دفع الرسول لواءه إلى رجل من أصحابه المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً، ثم دفعه إلى آخر فرجع ولم يصنع شيئاً»[4]. ولاح له أنه بعمله هذا برّأ أبا بكر وعمر من تهمة الهزيمة، وتقرّب الى الله باخفاء الحقيقة.

أمام تراجع المسلمين سالت كتائب اليهود، ورجحت الكفة لصالحهم، وحض رسول الله المؤمنين على القتال، وأقبل الليل وحجز بين المتقاتلين، واغتم المسلمون فقال النبي: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرّار...»[5].

وفي الصباح نادى على علي بن أبي طالب، وكان أرمداً لا يرى فتفل بعينه

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد ١/ ٩٩ والنسائي في خصائصه ص٥.
(٢) كنز العمال ٦/ ٣٩٤.
(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٢٤، وذكره مختصراً في ٩/ ١٢٣.
(٤) المغازي للواقدي ٢/ ٦٥٣.
(٥) المصدر نفسه.

وأعطاه الراية[١]. ولا ينكر أحد من أهل الملة قول الرسول هذا، ولا ينكر واقعة اعطاء النبي الراية لعلي. وبالرغم من كراهية القوم لعلي، وحقدهم عليه، وبراعتهم بتحريف الوقائع التاريخية إلاّ أنهم عجزوا عن اخفاء تلك الحقيقة أو تحريفها.

أخذ علي الراية واندفع كالإعصار بقوة ربانية، كما يقول الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أم حَسِبْتَ أنَّ أصحابَ الكهفِ﴾[٢].. فتلقاه الحارث أخو مرحب في ثلة من رجاله وهجموا على المسلمين، فانكشف المسلمون وثبت علي وحده، وتمكن من قتل الحارث فرجع أصحاب الحارث الى الحصن، وقهر يهود خيبر لأول مرة، ودنا الإمام من الحصن، فضربه يهودي فطرح ترسه من يده، فتناول الإمام باباً وتترس به. روى الإمام احمد بن حنبل في مسنده[٣] أن ثمانية نفر عجزوا عن قلب ذلك الباب، وروى الخطيب في تاريخ بغداد أن الباب الذي تترّس به الإمام، لم يقو أربعون رجلاً على حمله[٤].

وثبت الإمام علي، وقاتل بقوة لم يألف مثلها البشر، وحض النبي المسلمين على الجهاد، وسقطت حصون خيبر حصناً بعد حصن، وأيقن من تبقى من اليهود بالهلكة وقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزل ابن أبي الحقيق وصالح رسول الله على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله وما كان لهم من مال أو أرض وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة، وعلى البز إلا ثوباً على ظهر إنسان، وفتحت خيبر واستسلم اليهود وذلوا، وفكرت زينب بنت الحارث بالانتقام

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد ١/ ٩٩، وخصائص النسائي ص٥، وكنز العمال ٦/ ٣٩٤، كما نقله عن ابن شيبة وابن حنبل، وابن ماجة، والبزار، وابن جرير، وصححه، والطبراني في الأوسط، والحاكم، والبيهقي في الدلائل، ومستدرك الصحيحين ٣/ ٤٣٧.

(٢) سورة الكهف آية ٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦/ ٨ وابن جرير الطبري في تاريخه ٢/ ٣٠٠ وابن سلطان في مرقاته ٥/ ٥٦٦.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٤ وميزان الاعتدال ٢/ ٢١٨ وذكره العسقلاني في فتح الباري ٩/ ١٨ وقال أخرجه الحاكم والطبري في الرياض النضرة ٢/ ١٨٨.

من محمد، فجمعت المعلومات حول ما يحب ويشتهي، وأخيراً أخذت كتف شاة وذراعها وطبختها ثم حملتها الى النبي وقدمتها له كهدية، فقبل النبي الهدية كعادته وفتح الهدية ودعى من حضر من أصحابها فنهش منها ونهشوا، وبعد أن ازدردوا لقمة منها قال النبي لأصحابه: كفوا أيديكم، فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة، ومات الذين أكلوا منها، أما رسول الله فقد عاش بعدها ثلاث سنين، وجيىء بالمرأة فاعترفت فقيل أن الرسول عفا عنها، وقيل أنه قتلها. وجمعت الغنائم، وأخذ الرسول الخمس. وبعد فتح خيبر قدم الدوسيون وفيهم أبو هريرة والذي جعلته السلطة في ما بعد أعظم مرجع.

وعند تقسيم الأنفال واعطاء الخمس لذوي القربى من بني هاشم وبني المطلب مشى عثمان الى رسول الله، وقال له: «نحن وبني المطلب في منزلة واحدة ـ يعني أن هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل أخوة ـ أعطيتهم وتركتنا، فقال الرسول: إن بني المطلب لم يفارقوني في الجاهلية والإسلام، دخلوا معنا الشعب، انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، وشبك رسول الله بين أصابعه»[1]. وكان حصيلة القتلى من المسلمين ١٥ شهيداً وقتل من اليهود ٩٣ رجلاً[2].

يهود فدك:

أرسل النبي لهم محيصة بن مسعود، وفاوضهم حتى صالحوا على أن تكون لهم نصف الأرض بتربتها ولرسول الله نصفها، فأخرهم رسول الله عن ذلك، فلما كان عمر بن الخطاب أجلاهم مع بقية اليهود الى بلاد الشام. ولفدك قصة طويلة سنذكرها في باب الإنقلاب[3].

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٦٩٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٣٣ ـ ٦٩٢.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٠٦ ـ ٧٠٧.

المواجهة مع يهود وادي القرى:

أثناء عودة الرسول سلَكَ منطقة بُرمة حتى وصل الى وادي القرى يريد يهودها، وقد سمع اليهود بمسيره اليهم، وأجلبوا معهم بعض العرب ولما أقبل النبي استقبله اليهود بالرمي، فنظم الرسول أصحابه وأعطى الرايات. لسعد بن عبادة، والى الحُباب بن المنذر، وسهيل بن حنيف. وبعد ذلك دعى رسول الله اليهود الى الإسلام، ليحقنوا دماءَهم ويحفظوا أموالهم، فرفضوا عرض الرسول وخرج فرسانهم للمبارزة حتى قتل منهم أَحَدَ عشر رجلاً، ثم استسلموا في المساء وتم الفتح عنوة، وأقام الرسول في وادي القرى أربعة أيام وقسم الغنائم، وترك النخيل والأرض بأيديهم وعاملهم عليها[1].

تيمــــــاء:

لما علم يهود تيماء بما أصاب فدك وخيبر ووادي القرى صالحوا رسول الله على الجزية، وأقاموا بأيديهم وأموالهم[2].

مواجهات فردية:

الشعر له سلطان في نفوس العرب، والشاعر بمثابة محطة اذاعة ينتقل ما تبثه عبر أمواج الأثير. وقد ظهرت في هذا العهد مجموعة من الأشخاص أجادوا الشعر أيما إجادة وآذوا النبي، وأساءوا للإسلام، وحاولوا أن يؤلبوا العرب على محمد، وعلى الإسلام، مثلما فعلت عصماء بنت مروان، ومثل كعب ابن الأشرف اليهودي، وأبي عفك اليهودي، وسلام بن أبي الحقيق. وقد ساهم أولئك المجرمون مساهمة فعّالة بتأليب العرب وتوحيدهم على حرب النبي، وباشعال الحروب، وبذل النبي جهوده لهدايتهم فرفضوا ذلك رفضاً مطلقاً بالرغم من أن لرسول الله عندهم عهداً وميثاقاً، وبهذه الحالة من غير المعقول أن يدعهم

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٧٠٩ ـ ٧١٠.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧١١.

وشأنهم وهم يجهرون بعدائهم المؤثر، ويؤلبون الناس ضده وضد دينه، فأصدر أوامره بملاحقتهم وقتلهم أينما كانوا، وقتلوا بالفعل[1].

(١) الطبقات لابن سعد ٢/ ٢٧ و٢٨ و٣١ و٣٢ و٥٠ و٥١ و٩١ و٩٤ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٣٨، والمغازي للواقدي ١/ ١٥٤ و١٧٤ و١٨٤ و٣٩١.

الفصل الخامس:

المواجهة مع القبائل الطامعة بغزوه لمغنم

الجزء الأكبر من الجزيرة العربية صحارى، والموارد شحيحة لا تكفي سكانها حتى مع السلطة النافذة والعدالة بالتوزيع، مما جعل الكثير من القبائل تعتمد بسد الكثير من حاجاتها على الغزو، فيغزوا بعضها البعض. ولما نجح الرسول بتكوين كيانه السياسي في المدينة، وهزم خصومه وغنم أموالهم، ولأن المدينة واحة وسط صحراء، فقد فكرت الكثير من القبائل المحتاجة بغزوها، لا كراهية لمحمد أو لدينه، ولا انتقاماً منه ولكن طمعاً بالمغنم وما يسد بعض حاجاتها. ولقد راودت فكرة غزو المدينة أذهان العديد من القبائل والجماعات، وتهيأت بالفعل للغزو وشرعت به، ولكن النبي كان لها بالمرصاد واستعمل معها أسلوباً لم تعهده العرب وهو الحرب الوقائية، فعندما تتوفر لديه المعلومات بأن هذه القبيلة أو تلك تستعد لغزو المدينة كان النبي يسارع ويجهز حملة فيغزوها قبل أن تغزوه. وبهذا الأسلوب المميز استطاع الرسول أن يربح المواجهة مع القبائل الطامعة في غزوه، وأن ينزع من أذهانها التفكير بغزوه، وأن يشعرها بوجوده وبقدرته على أن ينال كل من تسول له نفسه الكيد به.

وهذا ما فعله في غزوة قرقرة الكدر بجمع ثعلبة ومحارب، ومثل حملته على تجمع بني سليم، وسريته على طليحة، ومسلم بن خويلد، ومثل غزوة ذات الرقاع التي قادها الرسول لإرهاب جموع أنمار وثعلبه، وغزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع على بني المصطلق من خزاعة، وحملته على القرطاء من بني بكر، وسريته الى الغمر بجمع بني محارب وثعلبة، وسرية زيد الى بني ثعلبة، وسرية علي بن أبي طالب إلى سعد بن بكر بفدك، وسرية عبد الله بن رواحة

لأسير بن زارم في غطفان، وسرية أبي بكر الى بني كلاب في نجد، وسرية الليثي الى بني عواد وبني عبد بن ثعلبة، وسرية بشير بن سعد الأنصاري الى عين أجبا لتشتيت جمع من غطفان، وسرية أبي العوجا إلى بني سليم، وسرية بني الملوح، وسرية هوازن، وغزوة ذات السلاسل إلى قضاعة، وسرية ابن أبي تقادة بن ربعي إلى غطفان بمنطقة نجد، وسرية عيينة بن حصن إلى بني تميم إذ فاجأهم وشتت شملهم، وسرية قطبة بن عامر إلى خثعم، وسرية علقمة بن مجزز إلى الأحباش في جدة، وسرية الضحّاك إلى كلاب[1].

ومثل مواجهته الأخيرة مع بطون قريش يوم نقضت عقده، ولم تف بعهده فجهز جيشاً وفتح مكة.

المواجهة مع الخائنين والناكثين لعهده:

هنالك قبائل وجماعات أعطت الرسول العهد والعقد، ثم نقضت عقدها ولم تفِ بعهدها، فتصدى لها رسول الله وواجهها جماعة جماعة، وألحق بها الهزيمة، كما فعل مع يهود بني قينقاع، وكما فعل مع يهود النضير، ومع يهود بني قريظة، ومع قبيلة لحيان الذين غدروا بأصحابه، وكما فعل مع الذين اعترضوا زيد بن حارثة أثناء سفره إلى الشام، ومع النفر الذين قدموا المدينة وأسلموا، ثم قتلوا مسلماً وفروا، ومثل سرية مؤتة لمعاقبة قتلة الحارث بن عمير وهم من بني غسان[2].

المواجهة مع الذّين يعتدون عليه:

هنالك فئات اعتدت على النبي، إما تشهياً، أو كردة فعل، فتصدى لهم النبي وواجههم، وجعلهم يدفعون ثمن عدوانهم عليه، مثل ذلك يوم قاد بنفسه حملة لمعاقبة كرز بن جابر الفهري الذي أغار على مسرح المدينة واستاقه، وتعقبه

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٥٧ ـ ٦٣، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام.

(٢) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٣٦ ـ ٢٣٧، ـ تجد التفصيل ـ، والطبقات لابن سعد ٢/ ٨ و٢٨ ـ ٢٩ و٥٧ ـ ٥٨ و٧٤ ـ ٧٥ و٧٨ ـ ٧٩ و٨٨ و٨٩ و٩٠ و٩٣ و١٢٨، المغازي للواقدي ج١ وج٢.

الرسول حتى وادي بدر، ولم يدرك كرز.

ومثل ذلك أبو سفيان الذي حلف أن يثأر من محمد قبل أن يغتسل، فجاء المدينة وأحرق تبناً وبيوتاً، وقتل أنصارياً وأجيراً له، فتعقبه النبي في غزوة السويق ولكنه لم يدرك أبا سفيان.

ومثلها غزوة الغابة التي قادها الرسول للانتقام من عيينة بن حصن، الذي هاجم ضاحية الغابة، وقتل ابن أبي ذر، وما زال الرسول يلاحقه حتى قتل منهم أناساً، منهم حبيب بن عيينة بن حصن، ومثل ذلك سرية غالب بن عبد الله التي أرسلها إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد فصبحهم(١).

الموادعـــــة:

كما عرف النبي المواجهة وعرفته فقد عرف الموادعة، فوادع القبائل الواقعة بين مكة والمدينة، وحاول بالحسنى هدايتها إلى الإسلام كما فعل مع بني ضمرة، إذ اتفق مع سيدهم محشي بن عمرو الضمري أن لا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عدواً، وتعهد الرسول بأن لا يغزوهم، ومثل سرية عبد الرحمن بن عوف إلى كلب بدومة الجندل إذ طلب منه موادعتهم وقال له: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فمكث عندهم وأسلم منهم عدد كبير، وسرية الخبط بقيادة أبي عبيدة إلى حي من جهينة مما يلي ساحل البحر(٢).

الانتصار الأعظم واستسلام بطون قريش:

في الجاهلية كانت خزاعة حليفة لعبد المطلب جد الرسول، أعطاها عقده وعهده، وبطون مكة كلها تعلم ذلك، ولما جاء الإسلام اعتنقه الكثير من أفراد قبيلة خزاعة، وتعاطف مسلمهم ومشركهم مع النبي أثناء صراعه مع بطون قريش،

---

(١) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٣٩ والطبقات لابن سعد ٢/٣ و٩ و٤٨ و٤٩ و٨٠ و٨٢، والمغازي للواقدي ج١ و٢.

(٢) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص٢٣٧ وطبقات ابن سعد ٢/٨ و٨٩ و١٣٢ والمغازي للواقدي ج٢.

وهم الذين أخبروه بمسيرة الأحزاب، وعندما تم صلح الحديبية وخلّت البطون بين محمد وبين العرب، فمن شاء دخل في عهد محمد وحلفه، ومن شاء دخل في عهد بطون قريش وحلفها، عندئذٍ قفز الحاضرون من خزاعة وأعلنوا دخولهم في عقد محمد وعهده، وقالوا انهم يفعلون ذلك نيابة عن خزاعة كلها، ودخل من حضر من بني بكر في حلف قريش وقالوا: انهم يفعلون ذلك نيابة عن بني بكر كلها. وكان بين خزاعة وبني بكر عداوات قديمة هدأت ولكنها لم تزل.

وجاءت الشرارة التي أججت العداوة من جديد يوم هجا أنس بن زنيم الديلي رسول الله، فسمعه غلام من خزاعة فضربه وشجه، وذهب أنس إلى قومه فآراهم شجته، فثاروا واعتقدوا أنها الفرصة الملائمة للإنتقام من خزاعة وللثأر منهم، وكلمت بنو نفاثة قادة البطون بذلك فاستخفوهم، وساعدت البطون بني بكر بالسلاح والكراع والرجال سراً، وفوجئت خزاعة بالهجوم عليها، وهي لاهية لا تعرف شيئاً، وقتل ٢٣ رجلاً من خزاعة كان ذلك على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية. وهكذا نقضت بطون قريش عملياً عهدها وعقدها مع النبي، وبالتالي ألغيت الهدنة، ورجعت حالة الحرب بين الطرفين، هكذا قيمت قريش الواقعة، وهكذا قيّمها النبي.

وسمع النبي بهذا القدر، ثم خرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة ليضعوا النبي بالصورة ويخبرونه بما حدث ويستنصرونه، وقدم عمرو والرسول بين أصحابه في المسجد وأنشده قصيدته المشهورة:

اللهـم إنـي نـاشـد محمـداً ... حلـف أبينـا وأبيـك الأقلـدا

إن قـريشـاً أخلفـوك المـوعـدا ... ونقضـوا ميثـاقـك المـؤكـدا[1]

غضب النبي غضباً شديداً مما فعلته البطون، ولكنه كتم غضبه، وقال لعمرو بن سالم وأصحابه: «ارجعوا وتفرقوا في الأودية»، وقام رسول الله ودخل

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٧٨٠، ٧٨٩ وما فوق.

بيته، وقد ذكرت السيدة عائشة أنها سمعته يقول: «لا نصرت إن لم أنصر بني كعب»[١].

ومن المؤكد أن النبي العظيم قد صمم نهائياً ليضع حداً لوجود بطون قريش، وصمم على اجبارها على الاستسلام، ولكن بدون اراقة دماء، لذلك كتم ما في نفسه، ليفاجئها. وأدركت بطون قريش انها قد نقضت العهد، وإن محمداً سيلغي الإتفاق وسيغتنم فرصة حالة الإسترخاء وعدم الاستعداد التي عاشتها البطون خلال فترة الهدنة التي استمرت ٢٣ شهراً، فيتقدم بجيش جرار ويفتح مكة، لذلك أوفدت أبا سفيان إلى رسول الله للاعتذار وللاستمرار بالهدنة، وفشل أبو سفيان بمهمته وأجابه الرسول باقتضاب شديد.

وأمر رسول الله أصحابه بالتجهيز للغزو دون أن يعلم أحداً الوجهة التي يريدها رسول الله، ولكن التوقعات اتجهت إلى أن رسول الله يريد المسيرة إلى مكة، وأرسل رسول الله إلى أوليائه من خارج المدينة طالباً منهم الاستعداد للمسيرة معه[٢].

ثم وزع الرايات فأعطى علياً راية، والزبير أخرى، وسعد بن أبي وقاص راية ثالثة، وراية مع أبي نائلة، وراية مع قتادة بن النعمان، وراية مع أبي بردة، وراية مع جبر بن عتيك، وراية مع أبي لبابة، وراية مع أسير الساعدي، وراية مع عبد الله بن زيد، وراية مع قطبة بن عامر، وراية مع عمارة بن حزم، وراية مع سليط بن قيس. وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ٣٠٠ فرس، وكانت مزينة ألفاً معهم ١٠٠ فرس ومائة درع وثلاثة ألوية، وكانت أسلم أربعمائة معهم ٣٠ فرساً، وكانت جهينة ٨٠٠ معهم ٥٠ فرساً، وكانت بنو كعب بن عمرو خمسمئة.

وبعد أن رتب الرسول أموره، وجهّز جيشه المؤلف من عشرة آلاف مقاتل خرج يوم الأربعاء الموافق العاشر من رمضان. كل ذلك والناس لا يدرون من سيغزو رسول الله، ولا يزيد على القول عندما يسأل. «حيث يشاء الله»، وكلما

(١) المصدر نفسه ٢/ ٧٩١.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٠.

سار انضم اليه جمع من الأعراب، ولما دنى من مكة رأى العباس أبا سفيان ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، فجاء بهم إلى رسول الله وأسلم حكيم وبديل، وشهد أبو سفيان بوحدانية الله، وأعلن أن في نفسه شيء من كون محمد رسول الله، ثم اضطر أبو سفيان أن يشهد بأن محمداً رسول الله، ورأى جيش الإسلام، ومكانة النبي بين أتباعه، فذهل وقال للعباس: «ما رأيت يا أبا الفضل ملكاً هكذا قط لا ملك كسرى ولا ملك بني الأصفر»!! وهكذا كيّف أبو سفيان النبوة على أنها ملك(١).

وسمعت بطون قريش بزحف النبي ورأت جيشاً ما رأت مثله قط يأتمر بأمره ويحيط بهم، ورأت البطون قائدها أبو سفيان يسير في ركاب النبي، فاستسلمت وسلمت فأخذ علي اللواء الأعظم ودخل به مكة فغرزه عند الركن، ودخل جيش الإسلام مكة من كل الجهات. وانتهى رسول الله الى الكعبة فرآها، واستلم الركن وكبر، فكبر المسلمون حتى ارتجت مكة بالتكبير، والمشركون فوق الجبال ينتظرون، ثم طاف حول الكعبة، وأمر بالأصنام فكسرت ثم جلس في ناحية، ثم نهض وأشرف على الناس، ثم قال: «الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ماذا تقولون وماذا تظنون؟ قالوا: نقول خيراً ونظن خيراً. أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت. فقال رسول الله: فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لا تثريب عليكم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ وألقى كلمة جامعة(٢).

وأعلن أن مكة قد أحلت ساعة من نهار ولا تحل لغيره، وصعد بلال على ظهر الكعبة وأذن الظهر. وعبَّرت جويرية بنت أبي جهل عن الوضع النفسي للبطون بقولها لما سمعت الآذان: «قد لعمري رفع لك ذِكْرَكَ أمّا الصلاة فسنُصلّي، والله لا نُحِبُّ مَن قَتَلَ الأحبّة أبداً»(٣).

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٨١٦ـ٨١٨.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٣٥.

(٣) المصدر نفسه ٢/٨٤٦.

وقال خالد بن أسيد: «الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا»، وقال الحارث بن هشام: «واثكلاه ليتني مت قبل هذا اليوم»، وقال الحكم بن العاص: «هذا والله الحدث العظيم أن يصيح عبد بني جمح على بنيه أبي طلحة» وقال أبو سفيان: «أما أنا فلا أقول شيئاً لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصباء»، فأتى جبريل فأخبر النبي بما قالوا[1].

وتوافدت زعامة البطون فنطقت بالشهادتين أمام رسول الله. وقال النبي مخاطباً مكة: «والله انك لخير أرض الله، وأحب أرض الله اليّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[2].

المواجهة مع هوازن وثقيف في حنين:

لما فتح النبي مكة اجتمعت هوازن كلها بقيادة مالك بن عوف، وقسم كبير من ثقيف، ومن أجلبوا معهم، وأيقنوا أن محمداً سيسير اليهم ليفتح الطائف كما فتح مكة، لذلك أجمعوا أمرهم واتفقوا على أن يسيروا لمواجهة محمد، ومعهم أموالهم ونساؤهم وذرياتهم ليقاتلوا دفاعاً عن كل شيء. وأخذوا معهم دريد بن الصمة تيمناً به. وسمع رسول الله بهذا التجمع وبمسيرته، وخرج من مكة ومعه إثنا عشر ألفاً من المسلمين، وهو أكبر تجمع في تاريخ الإسلام، ومعه في الجمع الطلقاء الذين تلفظوا بالشهادتين يوم الفتح، ومن المؤكد أن أعداداً كبيرة من هذا التجمع لم تخرج للجهاد، ولا طمعاً بالشهادة، أو لنصرة دين الله أو النبي، إنما خرجوا طمعاً بالغنيمة ممن تدور عليه الدائرة سواء أكان محمداً أو تجمع ثقيف وهوازن وحلفائهم. ومنهم أبو سفيان بن حرب الذي أخرج معه الأزلام وسار في أثر محمد يلتقط ما يسقط منهم من متاع حتى أوقر، والحارث بن هشام، وعبد الله بن ربيعة، ومعاوية ويزيد ابني أبي سفيان. وحمل الراية علي بن أبي طالب، وأعطيت رايات كثيرة لغيره، وأخذت هوازن مواقعها في الوادي، وتربصت حتى قدم جيش الإسلام، فانقضت عليه فانكشفت الخيل الاسلامية

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٨٤٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٨٠ ـ ٨٧٠.

وفرت، وكان يقودها خالد بن الوليد، وتبعهم أهل مكة، ثم انهزم الناس في أثرهم، وتركوا رسول الله ومعه أهل بيته علي والعباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعتبة ومعتباً ابن أبي لهب، ونفر قليل من الأنصار كسعد بن عبادة والحُباب بن منذر. فأمر النبي العباس أن يصرخ: «يا معشر الأنصار، يا أصحاب الشجرة»، واستمر النبي وعلي والهاشميون ومن ثبت معهم بالقتال وحدهم حتى آبَ الناس وعادوا بعد الهزيمة، ولما عاد الناس وحمي الوطيس والنبي على بغلته، يدعو ربه قائلاً: «اللهم اني أسألك وعدك، لا ينبغي لهم أن يظهروا»، وطلب من العباس أن يناوله حصيات، فناوله العباس حصيات من الأرض، فرمى بها رسول الله المشركين، وقال: «انهزموا ورب الكعبة».

فولى تجمع هوازن وثقيف الأدبار وانهزموا إلى حصونهم، تاركين أموالهم وذراريهم ونساءهم غنيمة لمحمد ومن معه، وتبعهم الرسول وحاصرهم خمسة عشر يوماً، ثم قدر أن المحاصرين كالثعلب إن انتظر استخرجه وإن تركه خرج بنفسه، فقرر تركهم، موقناً من استسلامهم.

سؤال للنبي وجواب النبي عليه:

سألت أم سلمى رسول الله فقالت: «أرأيت هؤلاء الذين أسلموك وفروا عنك وخذلوك لا تعف عنهم... إن أمكنك الله منهم فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!»

فقال النبي للسائلة: «يا أم سلمى قد كفى الله، عافية الله أوسع»[١].

ومن المؤكد أن ملائكة قد قاتلت مع النبي، وأن حالات من الرعب قد صوّرها الله للمشركين، إذ لو انتصروا لكانت كارثة حقيقية.

طبيعة بعض الذين كانوا في جيش النبي:

الجيش الذي قاده النبي إلى حنين هو أكثر الجيوش التي قادها عدداً حتى

---

(١) المغازي للواقدي ٣/ ٩٠٤.

ذلك التاريخ لكن الكثير من أفراد هذا الجيش وقوّاده قد خرجوا بالدرجة الأولى للغنيمة وبتعبير أدق لغنيمة المغلوب حتى ولو كان محمداً. فمن جملة هذا الجيش طلقاء الفتح كأبي سفيان ويزيد ومعاوية أبناه، وأمثالهم. صحيح أنهم نطقوا بالشهادتين قبل أسبوع من خروجهم، ولكن تلفظهم بالشهادة لا يكفي وحده ليقاتلوا مع النبي. لقد خرجوا مع النبي ينظرون لمن تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم، ولا يكرهون أن تكون الصدمة لمحمد وأصحابه، وخرج أبو سفيان بن حرب في أثر العسكر كلما مرَّ بتُرْسٍ ساقطٍ أو رمح أو متاع من متاع النبي (صلى الله عليه وسلم) وحمله الأزلام في كنانته حتى أوقر[1]، وخرج معه سادات البطون الذين نطقوا بالشهادتين. حتى أن بعض سادات البطون تعاهدوا أن يقتلوا محمداً إذا كانت الدائرة عليه. «فشيبة بن عثمان بن أبي طلحة تعاهد هو وصفوان بن أميَّة إذا رأيا على رسول الله دائرة أن يكونا عليه فيقتلانه!!!»[2].

وأنت فهمت طبيعة اسلام هؤلاء القوم يوم سمعوا بلالاً يؤذِّن على الكعبة لأول مرة بعد الانتصار وفتح مكة.

فجويرية بنت أبي جهل تيقنت أن ذكر النبي قد ارتفع حقاً، وعزمت على الصلاة، ولكنها عبَّرت عن حقيقة مشاعرها ومشاعر سادات البطون عندما قالت: «أمّا الصلاة فسَنُصلِّي والله لا نُحبُّ مَن قَتَلَ الأحبَّة أبداً... وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم! ـ أي أكرمه بالقتل على الشِّرك فلم يسمع الأذان ـ ... وقال الحَكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث العظيم أن يصيح عبد بني جُمَح على بَنِيَّة أبي طلحة،... وقال أبو سفيان: ـ وكان اكثر ذكاءً ـ أمّا أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرتْه هذهِ الحَصباء»[3].

ومع هذا فإنهم خرجوا مع جيش المسلمين، كمسلمين، وعُيَينة بن حصن أحد قادة الجيش الإسلامي يستأذن من الرسول حتى يأتي حصن الطائف لإقناعهم

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٨٩٥.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٩٠٩ ثأراً لأبويهما اللذان قتلا في بدر وأُحُد!!

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٤٦.

بالإستسلام ومع هذا يدخل الحصن، ويقول للمشركين: «فداكم أبي وأمي، والله لقد سرّني ما رأيتُ منكم، . . . والله ما لاقى محمد مثلكم قط، ولقد ملّ المُقام فاثبتوا في حِصنكم. . . »[1].

ويعود إلى الرسول ليزعم أنه حاول اقناع أهل الطائف بالاستسلام فأخفق والرسول ساكت ويعلم أن عُيَيْنَة كاذب ومنافق. وعيينة نفسه يعبر عن حقيقة وجوده فيقول: «والله ما جئت معكم أُقاتل ثقيفاً، ولكني أردتُ أن يفتح محمد الطائف فأصيبَ جاريةً من ثقيف فأطأها لعلّها تلِد لي رجلاً»[2].

ورجل من أسْلَم يقدم للنبي شيئاً قائلاً انه هدية فيسأله النبي: وممن أنت؟ قال الرجل: من أسْلَم، فيقول النبي: أنا لا أقبل هدية مُشرك، فيقول الرجل لرسول الله: اني مؤمن بالله وبرسوله، فيقول له الرسول: حتى نصل، وتبين أن هدف الرجل الحصول على قطيع من الغنم!![3].

وأثناء عودته الى الجِعِرَّانة أخذت الأعراب تسأله وأحاطت به لتوحي له بأنها مسلمة، ولتحصل على جزء من الغنيمة، وفكروا أن يأخذوا رداءه. فانسل الرسول وهو يقول: «اعطوني ردائي! اعطوني ردائي!، لو كان لي عدد هذه العِضاة نَعَماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً»[4].

الغنائم:

وصل النبي الى الجِعِرَّانة عائداً من الطائف، ليوزع الغنائم التي كانت محبوسة هنالك، وكانت الأغنام بالآلاف فلا يعلم عددها، فقد قيل أنها أربعون ألف وأكثر، وكانت الابل ٢٤ ألف، وفضة كثيرة حوالي أربعة آلاف أوقية. ووضعت الغنائم تحت تصرف الرسول ليقسمها فأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس حيث طلب أبو سفيان فأعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل، وقال أبو سفيان:

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٩٣٢.

(٢) المغازي للواقدي ٣/ ٩٣٧.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٩٤١ ـ ٩٤٢.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ٩٤٢.

أعطي ابني يزيد فأعطاه رسول الله مثل أبيه، ثم قال أبو سفيان: أعط ابني معاوية. فأعطاه الرسول مثل أبيه وأخيه فرضي أبو سفيان وقال للنبي: «إنك الكريم فداك أبي وأمي ولقد حاربتك فنِعمَ المُحارَبُ كنت، ثم سالمتُك فنِعمَ المسالَم أنت»[١].

وأعطي بقية زعماء البطون، كحكيم بن حِزام وصفوان بن أمية..

وبينما كان الرسول يوزع الغنائم أتاه ذو الخُوَيْصِرةِ وقال له: «أعدل يا رسول»، فقال له الرسول: «ويلك مَن يعدِل إذا لم أعدل»... وعاش ذو الخويصرة حتى قاتل علي بن أبي طالب[٢]...

وفد هوازن:

قدم وفد هوازن الى رسول الله وقد أوشك على الانتهاء من توزيع الغنائم ورجوه فقال النبي: «لقد استأنيتُ بكم حتى ظننت أنّكم لا تقدَمون وقد قُسِم السَّبْي. فقال أبو صُرَد زهير بن صُرَد: «يا رسول الله إنا أهلُك وعشيرتك، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك، انما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك، وحواضِنك... انهن حَضَنَّك في حجورهن وأرضعنك بثديِّهنَّ وأنت خير المكفولين»، وارتجل قصيدة[٣].

فقال النبي: «إن أحسن الحديث أصدقه وعندي مَن تَرَون من المسلمين، فأبناؤكم ونساؤكم أحبُّ اليكم أم أموالكم؟» قالوا: «يا رسول الله خيَّرتَنا بين أحسابنا وبين أموالنا، وما كنّا نَعدِل بالأحساب شيئاً، فرُدَّ علينا أبناءنا ونساءنا». فقال النبي: «أما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»، ولما صلى رسول الله استشفعوا به أمام الناس فكرر مقاله، وقال المهاجرون: «ما كان لنا فهو لرسول الله»، وقالت الأنصار: مثل ذلك[٤].

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٩٤٥.
(٢) المصدر نفسه ٣/ ٩٤٨.
(٣) المغازي للواقدي ٣/ ٩٥٠.
(٤) المصدر نفسه ٣/ ٩٥١.

وقال الأقرَع بن حابس: «أما أنا وبنو تميم فلا»، وقال عُيَيْنَة بن حِصْن: «أما أنا وفزارة فلا»، وقال عباس بن مِرداس: «أما أنا وبنو سَلَيم فلا»[1].

«واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة، وخَلَّفَ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري يُعلِّمان الناس القرآن والفقه في الدين»[2]، وعاد الرسول الى المدينة بعد أن حقق هذا الانتصار العظيم، وقد غمره السرور بنصر الله والفتح، وما أن استقر قليلاً، حتى بدأت الوفود تتقاطر عليه، معلنة استسلامها أو اسلامها على يديه أو متظاهرة بذلك، وخلال هذه الفترة كان النبي يتفقّد ما بقي من جيوب الشِّرك، ويرسل سراياه وبعوثه ورسله لتطهيرها وهداية أهلها.

وارتاحت نفسه الشريفة وهو يرى أن بلاد العرب قد توحّدت ولأول مرة في التاريخ، وبكلفة بشرية لا تتجاوز أربعمائة قتيل، وبمدة زمنية لم تتجاوز تسع سنين، واطمأن قلبه الطاهر وهو يرى دين الإسلام قد أصبح ديناً لكل سكان بلاد العرب وصرّح النبي علناً بأن الشيطان قد يئس من أن يُعْبَد في بلاد العرب.

خلق التماس مع الدولتين الأعظم:

لقد أقلقت هذه الانجازات الهائلة مضاجع قادة الدولتين الأعظم آنذاك خاصة الأباطرة، وأشيع بأن الروم قد حشدوا جيشاً كبيراً على حدود الجزيرة، فاستنفر النبي المسلمين وجهّز حملة كبرى قوامها ٣٠ ألف مقاتل معهم ١٥ ألف بعير وعشرة آلاف فرس في ظروف صعبة، وسار بهذا الجيش قرابة ستمائة كيلومتر ووصل الى تبوك، وأخضع دومة الجندل، ووطد سلطان الإسلام بهيبته وسمع الروم بخروجه ولكنهم أحجموا عن ملاقاته بعد أن قذف الله الرعب في قلوبهم. وحققت الغزوة أهدافها النفسية، وأحجم حتى قيصر عن ملاقاة النبي، وكانت الغزوة مليئة بالعبر والأسرار، فقد جمعت غزوة تبوك الأخيار والأشرار في

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٩٥١ ـ ٩٥٢.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٩٥٩.

جيش واحد، وثبت للأخيار بأن النبي وآله لو فتحوا أقطار الدنيا وملّكوها للمجرمين فلن يرضَوا عن محمد وآل محمد، بالوقت الذي يتلفظ فيه أولئك المجرمون بالشهادتين ويدَّعُون الإسلام، وأكبر دليل على ذلك الآيات القرآنية النازلة في غزوة تبوك والتي فضحتهم. والمثير للدهشة حقاً أنهم بنفس الوقت الذي كانوا يعدُّون فيه مؤامرة قتل النبي عند عودته من غزوة تبوك، كانوا يبنون مسجداً ويرجون من النبي أن يفتحه لهم تبركاً به!! ولما قيل للنبي: لما لم تقتلهم؟ فقال النبي: إني أكره أن يقول الناس أن محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين، وضع يده في قتل أصحابه!! فقيل: يا رسول الله فهؤلاء ليسوا بأصحاب!، قال الرسول للسائل: أليس يظهرون أن لا إله إلاّ الله؟ قال السائل: بلى ولا شهادة لهم، قال الرسول: أليس يظهرون أني رسول الله؟ قال السائل: بلى ولا شهادة لهم.

ولم يستوعب السائل. فقال النبي: قد نهيت عن قتل أولئك!! بمعنى أن هذا الصنف من المسلمين يتلفظ بالشهادتين ويمارس كل الأعمال الظاهرية التي تدل ظاهرياً على اسلامه، ولكنه بنواياه وقلبه كافر بكل ذلك، ويخرج عن صلاحية النبي أن يحاكم الناس على ما في نواياهم وما في قلوبهم، ولكن الرسول يكشف صفاتهم للمخلصين حتى يحذرهم المسلمون فلا يقعوا في أحابيلهم ولا ينخدعوا بمظاهرهم، لأنهم هم العدو الحقيقي.

ولم يتوقف النبي في هذه المرحلة عن ترسيخ العقيدة وبيان الطريقة المثلى لكشف المنافقين وعزلهم بعد أن أصبحوا خطراً يتهدد الإسلام ومستقبله.

نتائج فتح مكة:

بفتح مكة سقطت عاصمة الشرك، وتلقَّت عقيدة الشرك ضربة قصمت ظهرها تماماً، وهدَّمت أركانها، وباستسلام قادة البطون هُزم أنصار الشرك، وقُضي تماماً على وجوده، وتكرس نهائياً مبدأ التوحيد، فلم يعد بوسع أحد أن يعلن عن شركه، أو يجاهر بمعارضته لعقيدة التوحيد. لقد احترقت راية الشِّرك والمعارضة التي كانت تلجأ إليها العرب، فإذا سلَّم قادة البطون وأسلموا وأعطوا القيادة

لمحمد وهم ألدّ أعدائه، فما هي مصلحة الآخرين بمعارضة محمد!! ومن الذي يقف بوجه محمد الذي قضى على الحركة اليهودية بكل قوتها ومكرها، ودوخ القبائل العربية وأذهب ريحها مع كثرتها، ثم ركّع قادة بطون قريش بكل فخرها وشرفها، لقد كان فتح مكة إعلاناً ويخط عريض بأن محمداً سيد الجزيرة بغير منازع، والمالك الحقيقي لخيراتها، والمخول بتوزيع الأدوار كلها على سكانها، وأن الدين الذي جاء به محمد هو الدين الرسمي للسكان، فمن لم يوال محمداً أو يتظاهر بموالاته، ومن لم يعتنق دين محمد أو يتظاهر باعتناقه فقد أسقط ضمنياً حقه بالرزق، والملك، والجاه، والنفوذ، وبالمستقبل كله، ورضى أن يعيش خائفاً في مجتمع موعود بالأمن والاستقرار، وبفتح وباستسلام هوازن والطائف، سقطت آخر حصون المقاومة، للنبوة وللدين، وأخذت قبائل العرب تتوافد على النبي لتعلن قبولها بولايته واعتناقها للدين، حتى سمى عام الفتح بعام الوفود، كان محمداً يبحث عن الناس، والناس الآن يبحثون عن محمد، كان محمداً يركض خلفهم، وصار العرب يركضون الى محمد، وأخذ جباته يتحركون بين القبائل ويجبون الأموال، ليوزعها محمد على الوجه الشرعي.

وباختصار فإنك لا تجد إلاّ مسلماً أو متظاهراً بالاسلام، وموالياً للنبي أو متظاهراً بالولاء، لقد أصبحت الجزيرة دولة اسلامية واحدة، قامت لأول مرة في التاريخ، وحدَّها النبي خلال مدة لا تتجاوز العشر سنين، ونالت شرف رئاسة النبي لهذه الدولة. فأعظم مظاهر وحدتها كانت رئاسة النبي المباركة، فقد والته كل العرب أو تظاهرت بموالاته بدون إكراه، ودخلت في دينه أو تظاهرت بالدخول في دينه وبدون إكراه أيضاً. لقد أصبح محمد نظام وحدة العرب، ونظام وحدة الدولة، ونظام وحدة القانون لقد اختلط محمد بالدين، واختلط الدين بمحمد فهما وجهان لعملة واحدة. فلو قمت بكل واجباتك الدينية من صلاة وصيام وحج وقراءة قرآن وصدقة وقيام ليل، ولكنك لا توالي محمداً فأنت كافر بلا خلاف، بمعنى أن الرئاسة اختلطت بالدين، فإذا أمكن الفصل بين الرئيس وبين الدين، عندئذٍ تتحول الدولة الى دولة غير اسلامية وتصبح ملكاً، لقد صار الرئيس بمثابة خيط سبحة إذا قطع الخيط تبعثرت حبات السبحة.

الباب الثالث

البطون تواجه النبي بعد اسلامها

مفتاح النصر الأعظم وأساسه الأوحد

شخص محمد بالذات كإمام أو كقيادة سياسية، وما جاء به من عند الله كشريعة أو كقانون هما الأساس الأوحد الذي بنيت عليه الأمة الجديدة، وهما مفتاح كل الانتصارات التي تعاقبت طوال عهد النبوة الذي استمر ٢٣ عاماً. ودور الأمة منحصر بقبول محمد كقيادة سياسية ومرجعية، وبقبول ما جاء به كقانون نافذ، وقد اختار الله محمداً كإمام أو كمرجع أو كقائد، لأنه الأعلم والأفهم والأفضل والأتقى والأقدر حسب علم الله القائم على الجزم واليقين. وقد انزل عليه القرآن ليكون بمثابة قانون نافذ يسري عليه وعلى رعايا دولته، وقد اختار الله قواعد هذا القانون لأنها الأنسب والأصلح لتنظيم كافة العلاقات الناشئة عن وجود الدعوة والدولة معاً، بمعنى أن إمامة أو قيادة أو مرجعية محمد بالذات، وتطبيق القواعد والقوانين الإلهية تقود حتماً إلى الانتصار الأعظم، والى المثالية المطلقة، التي تجلب منافع الاجتماع والدولة، وتتجنب شر حالة الاجتماع والدولة، لأن الدولة أي دولة تقبض على مقاليد الأمور وتحوز الأرزاق وتنقلب الى قوة رهيبة لا طاقة للأفراد ولا للمجتمع بمواجهتها إن لم تكن بيد أمينة أو تكون هنالك ضمانات فعلية بأن تستعمل الدولة قواها الرهيبة استعمالاً سليماً.

عناصر النصر:

وإذا أردنا أن نجمل ونكشف للتوضيح عناصر النصر الأعظم وأساسه الأوحد، فإنا نجمعها بثلاثة عناصر:

العنصر الأول: قيادة سياسية أو مرجعية أو إمامة محمد صلى الله عليه وآله

بالذات، لأنه الأعلم والأفهم بما أنزل الله، الأفضل والأتقى والأقدر حسب علم الله تعالى القائم على الجزم واليقين، وهو الحالة المثلى للحكم، إذ يقود الجماعة أعلمها وأفهمها وأفضلها وأتقاها وأقدرها، فإذا لم تكن القيادة والمرجعية والإمامة لمحمد بالذات، خلال عهده الراشد فإن القيادة لن تكون اسلامية، ولن تكون مثالية، ولن تحقق الغاية من وجودها.

العنصر الثاني: أن تكون القواعد الإلهية التي أنزلها الله على محمد أو أوحاها له، أو ألهمه اياها هي القانون النافذ الساري على العلاقات الناتجة عن الدعوة الإلهية والدولة الإلهية، فإذا طُبق جزء من هذه القواعد، وأُهمل جزءاً آخر فعندئذٍ لا يصبح القانون قانوناً إلهياً، وتفوت المنفعة منه ويقصر عن بلوغ الغاية من وجوده.

العنصر الثالث: وهو قبول الجماعة المسلمة بقيادة محمد بالذات وبمرجعيته أو إمامته، وبقبول القواعد الإلهية كحاكم وحكم لتنظيم العلاقات المنبثقة عن مسيرتي الدعوة والدولة.

فإذا لم تقبل الجماعة بالإثنين معاً، فإنها ليست في الحق والحقيقة جماعة اسلامية، انما هي شيء آخر بين بين وأمره إلى الله، وبوقت يطول أو يقصر ستدفع هذه الجماعة ضريبة عدم قبولها هذا.

تلك هي مفاتيح النصر والهزيمة، والعز والذل، وهي أساس الشرعية والمشروعية، فإذا فقد عنصر من هذه العناصر، اهتزت الشرعية من أساساتها، وفقدت تواجدها تماماً.

الإمامة أو القيادة هي العنصر الأهم:

أهم عنصر من تلك العناصر الثلاثة هو عنصر القيادة أو الإمامة أو المرجعية، فالإمام هو أُس الدين كله، ومحور كل العناصر، فلا أحد يفهم المقصود الشرعي من كل نص فهماً قائماً على الجزم واليقين إلا الإمام أو القائد أو المرجع. فهو الملجأ الذي يلجأ إليه المؤمنون، وهو الثقة الذي يتلقون منه بيان

القواعد الإلهية، وهو المخول باجابة الأمة على كل سؤال، فإذا فقدت الأمة نبيها أو إمامها أو قائدها الشرعي أو مرجعها الذي ينبغي أن ترجع اليه عندئذٍ تصبح الأمة مثل جسد بغير رأس، أو كبدن من غير قلب، أو قطعان من غير راعٍ، ومن هنا صارت الإمامة ضرورة من الضرورات لا غنى عنها في كل العقائد الإلهية، وتوصلت التشريعات الوضعية الى هذا المطاف فأقرت بضرورة الإمامة أو القيادة أو المرجعية. والفرق أن الإمام في العقائد الإلهية هو الأعلم والأفهم والأفضل، بينما القائد أو الإمام في العقائد الوضعية هو الغالب.

محور اهتمام النبي بعد الفتح:

بعد أن فتح النبي مكة، واستسلمت زعامة بطون قريش، صارت القيادة أو الإمامة أو المرجعية من بعده هي محور كل اهتماماته، وانصب اهتمامه على ترتيب مؤسسة الإمامة أو القيادة وابراز أهميتها، وتحديد الإمام أو القائد الذي سيخلف النبي بعد موته، وتقديمه للأمة على أساس أنه وليها وقائدها ومرجعها بعد موت النبي، وبيان الحكمة من اختياره بالذات، وبيان طريقة انتقال منصب الإمامة أو القيادة أو المرجعية من إمام إلى إمام، لأن أخطر ما يواجه الأمة من بعد وفاة الرسول هو الصراع على الرئاسة. وانصب اهتمام النبي على اقناع الأمة بأن الإمام من بعده يجب أن يكون الأعلم والأفهم بالدين، والأفضل والأتقى، وأصلح الموجودين في زمانه، وتلك صفات لا يعلمها إلا الله تعالى.

ومن هنا فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يحدد هذا الإمام من تلقاء نفسه، ولم يقدمه للأمة لتعرفه من تلقاء نفسه، إنما الله تعالى هو الذي اختار الإمام من بعده، وأهله للإمامة، وأمر نبيه أن يقدمه للمسلمين كامام وكقائد وكمرجع لهم بعد وفاة نبيهم. وأكد لهم أن الأمور البسيطة ترقب أوامر الله فيها فكيف بأمر على مستوى خطورة الإمامة **﴿إن اتبع إلا ما يوحى الي﴾**. فالله سبحانه وتعالى هو الذي اختار الإمام وحدده وأهّله وبيّن طريقة انتقال الإمامة من إمام إلى إمام، على اعتبار أن الإمامة جزء لا يتجزء من الدين وبيانها واجب على النبي، إذن من غير المعقول أن يبين الرسول المهم ويترك الأهم.

قرار اختيار الإمام من بعد النبي أعلن يوم أعلنت النبوة:

بعد الانتصار الأعظم بفتح مكة وتصفية جيوش الشرك، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، بدأت الأمة باستعراض بطيء لسيرة محمد، الرجل العظيم الذي صنع المعجزات، فوحد العرب وحولهم من دين إلى دين بمدة فعلية لم تتجاوز العشر سنين، وتبين أن رسول الله يوم أعلن النبوة والرسالة والكتاب أعلن بنفس الوقت نبأ ولاية العهد أو الإمامة من بعده، فقد صرّح الرسول بنفس الجلسة التي أعلن فيها نبوته بأن ولي عهده والإمام من بعده هو علي بن أبي طالب حيث قال له: «أنت أخي وخليفتي ووصيي فيهم من بعدي» أو «إن هذا أخي وخليفتي ووصيي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا»، ومن الطبيعي أن الرسول لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه، إنما هو أمر الهي تلقاه من ربه، وأمره باعلانه بنفس الوقت الذي أعلن فيه أنباء النبوة والرسالة والكتاب.

ومن ذلك التاريخ لم يصدر أمر الهي بالغاء أو نسخ قرار تعيين الإمام علي ولياً للعهد، وخليفة من بعد النبي، حيث بقى هذا الأمر الإلهي ساري المفعول من بدء الدعوة الى ما بعد الفتح، واستمر سارياً مفعوله، لأنه لم يلغ ولم ينسخ، والمسلمون يعلمون ذلك، وبطون قريش تعلم ذلك علم اليقين، ومن دخل الإسلام أو تظاهر بدخوله يعلم ذلك أيضاً.

وعندما صدر الأمر الإلهي لم تحمله بطون قريش على محمل الجد، لأنها استبعدت أن ينجح محمد بدعوة أو بتأسيس ملك.

ولما أراد الرسول بعد نجاحه أن يذكر الناس بأنه ميت لا محالة وأنه قد نُعي الى نفسه، وأنه لا بد للناس من إمام وقائد ومرجع من بعده يأخذهم بالحق ويقودهم بالهدى، وأن هذا الإمام هو علي بن أبي طالب، اختاره الله وأهله للقيادة والإمامة والمرجعية من بعد النبي، وأمر نبيه أن يعلن ذلك بيوم وساعة اعلان نبأ النبوة والرسالة، حتى تكون الأمور واضحة بعد موت النبي ولا يختلف عليه اثنان.

الإمام من بعد النبي كان معروفاً للجميع:

والإمام الذي اختاره الله تعالى، للإمامة والقيادة من بعد النبي، وهو علي بن أبي طالب لم يكن نكرة، ولا خامل الذكر فهو ابن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، المكنّى بأبي طالب، تعرفه وتعرف أباه وجده العرب والعجم فهم شيوخ البطاح، وأبو طالب سيد مكة وحكيمها، يعرفه العرب والعجم أيضاً ويعرفون أنه هو الذي حمى الدعوة والداعية، وربى النبي في حجره، وبقى النبي في بيته حتى تزوج خديجة بنت خويلد، والأهم من ذلك أن علياً ابن عم رسول الله، وزوج البتول، فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وأنه هو والد سبطي الرسول، سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي النبي من هذه الأمة.

ثم إن علي بن أبي طالب هو فارس الإسلام، فهو الأشجع وهو الأقوى، وهو الأكثر جهاداً، فمن يدّعي أنه فاق علياً بهذه الأمور أو تقدم عليه فهو كاذب كائناً من كان، ومن كان في شك من هذا، فليدلني الثقلان على رجل أجاب عمرو بن ود يوم الخندق غيره، مع أن عمرو هذا قد بُحّ صوته من النداء: هل من مبارز؟! وليدلني الثقلان على واقعة هرب فيها علي، ولينفي الثقلان هروب غيره!!! ثم إن علياً هو الأعلم بالنص، وهو المخول ببيان ما تختلف فيه الأمة من بعد النبي بالنص، وهو الهادي بالنص، وهو المخول بأن يؤدي عن النبي بالنص، وهو الأعدل بالنص، وهو الأفضل بالضرورة والعقل والنص.

وباختصار فإن علي بن أبي طالب في العرب كالقمر في رابعة السماء، يستمد نوره وبهاءه من شمس دين الإسلام، وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وعندما يقدمه النبي للأمة كقائد وكمرجع وكإمام لها من بعد النبي، فإنه يقدم الذي اختاره الله تعالى لمهمة الإمامة والقيادة والمرجعية وأهله لذلك.

المعترضون على الإمامة هم المعترضون على النبوة:

عندما أعلن رسول الله النبوة والرسالة اعترّضت بطون قريش على نبوة

محمد، ولم تعترف بها وقاومت رسول الله ٢١ عاماً رافضة رفضاً مطلقاً النبوة والرسالة، فزعمت أن محمداً ليس مؤهلاً للنبوة فهو غلام يتيم ـ على حد تعبير أبي سفيان ـ والأفضل من النبي «رجل من القريتين عظيم». واختلقت على النبي الأكاذيب فقالت: انه ساحر، وشاعر، ومجنون، وكاهن، وكاذب... إلى آخر اسطوانتها التي سجلها القرآن الكريم للاعتبار. وبذلت كل جهودها لصرف النبوة عن محمد. وتصدت للنبي عشر سنوات في مكة، ذاق فيها هو والهاشميون من شر البطون الأمرّين، ولما عزم النبي على الهجرة تآمرت كل بطون قريش على قتله، فنجاه الله، ثم طاردته في طريقه الى يثرب فنجاه الله، ثم حاربته سبع سنين حرباً مسلحةً، ومع هذا رفضت الاعتراف به نبياً ورسولاً، ورفضت الدخول في دينه طوال تلك المدة. وعندما غزاها النبي ودخل مكة دخول الفاتحيين، اضطرت بطون قريش أن تعترف بأن محمداً رسول ونبي لتحقن دمها!! فهل يعقل من كان هذا موقفهم من رسول الله أن ينسوا ذلك بعد التلفظ بالشهادتين. ومن هنا فالذين اعترضوا على نبوة محمد هم أنفسهم الذين اعترضوا على إمامة علي، والذين اتحدوا لإجهاض نبوة محمد، هم أنفسهم الذين اتحدوا لإجهاض امامة علي وأهل بيت النبوة.

المنافقون هم ساعد بطون قريش الأيمن:

المنافقون فئة مسلمة محسوبة على المسلمين، تلفظت بالشهادتين، وأظهرت الإسلام والموالاة لمحمد وآله، وأبطنت الكفر والفسوق والعصيان والحقد الأسود على محمد وآله. وقد برزت ظاهرة النفاق بعد أن نجح الرسول بتكوين كيان سياسي في المدينة المنورة، وبعد أن أعز الله جانبه، فلم يقوَ أعداؤه من أهل المدينة ومن حولها على الجهر بمعاداته أو السير بعكس تيار القوة الغالبة في المجتمع، فانتشر النفاق في المدينة وما حولها من الأعراب قال تعالى: **﴿وممَّنْ حولَكُم من الأعرَابِ مُنَافِقُونَ، ومِنْ أهْلِ المدِينَةِ مَرَدُوا على النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نحنُ نَعْلَمُهُم سَنُعَذِّبُهُم مرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ الى عَذَاب عظِيم﴾**[1]. وقويت

---

(١) سورة التوبة آية ١٠١.

شوكة منافقي المدينة وما حولها بفتح مكة وانهيار آخر معاقل الشرك، فلم يعد بوسع أحد كائناً من كان الجهر بمعارضة دين الإسلام أو قيادة النبي فتوسعت ظاهرة النفاق، إذ اضطر قادة البطون أن يظهروا الإسلام والموالاة للنبي وآله رغبة أو رهبة وأن يخفوا غير ذلك.

ومن هنا حدث تقارب مذهل بين منافقي المدينة وما حولها، ومنافقي مكة، والمنافقين من الأعراب قال تعالى: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً ويَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوائِرَ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوءِ﴾[1].. هؤلاء الأعراب لا خلاق لهم ولا دين ولا همَّ لهم إلا المغنم والمكسب المادي، فهم جميعاً ضد من تدور عليه الدائرة ليغنموا، ووصل التقارب بين الفرقاء الثلاثة: «بطون قريش ومنافقي المدينة وما حولها، والأعراب» إلى حد التحالف.

الجامع المشترك:

بطون قريش تحسد محمداً وبني هاشم؛ لأن الله قد اختصهم بالنبوة وفضّلهم على البطون، ونتيجة للحرب التي دارت بين محمد وبين البطون فقد قتل محمد وحمزة وعلي سادات بطون قريش، فجمعت البطون مع الحسد لمحمد ولبني هاشم الحقد عليهم لأنهم قتلوا الأحبة.

فالحسد لمحمد ولآل محمد، والحقد على محمد وعلى آل محمد، هو أساس التقارب والتحالف بين بطون قريش، ومنافقي المدينة وما حولها، والأعراب، وأساس وحدة المصالح.

النص والرأي:

محمد وأهل بيته والذين آمنوا يلتزمون بالنصوص الشرعية والتوجيهات الإلهية لادراك المقاصد الشرعية، وبطون قريش والمنافقون والذين في قلوبهم مرض ينفرون من النص، ويعتقدون أن الذي يسميه محمد نصوصاً وتوجيهات الهية ما هي إلا آراء شخصية لمحمد تكلم بها بلحظة غضب، فيصبح رأيهم مقابل

---

(١) سورة التوبة آية ٩٨.

رأي محمد. ومن هنا فقد اعتقدوا أن آراءهم هي أكثر توفيقاً وتحقيقاً للمقاصد الشرعية من رأي محمد!! والعياذ بالله. ومن هنا هانت عليهم معصية الرسول، وهان عليهم موازنة آرائهم بالنصوص الشرعية، وترجيح آرائهم على النصوص الشرعية. وهان عليهم إعمال الرأي واهمال النص.

وليبقوا ظاهرياً ضمن اطار الشرعية سمّوا تقديم الرأي على النص اجتهاداً، ورتبوا أجراً على ذلك فقالوا: إن المجتهد مأجور أخطأ أم أصاب، وتجاهلوا بأنه لا اجتهاد في مورد النص.

وهكذا تركوا الجزم واليقين الآتي من الله ورسوله، واتبعوا الظن والتخمين المتأتي من إعمال آرائهم، واتباع ما تهوى الأنفس.

كيف انتهت ظاهرة النفاق ومتى؟

بقيت ظاهرة النفاق من أبرز الظواهر التي رافقت نشوء دولة النبي، واستمرت طوال حياته المباركة، وحتى بعيد وفاته بقليل، فلما نجحت بطون قريش بانقلابها الأسود على أهل بيت النبوة، وقف المنافقون وقفة رجل واحد مع بطون قريش التي كان يقودها عمر وأبو بكر وأبو عبيدة رضي الله عنهم، لم يقف المنافقون معهم حباً بالبطون ولا بقيادتها، ولكن كانت الغاية من وقفة المنافقين الحيلولة بين أهل بيت النبوة وبين حقهم بقيادة الأمة، وغاية المنافقين البعيدة المدى كانت تخريب النظام السياسي الاسلامي عن طريق الخطوة الكبرى المتمثلة باقصاء القيادة الشرعية.

وكانت وقفة المنافقين تلك نقطة تحوّل في تاريخ الأمة، وفي تاريخ ظاهرة النفاق، اذ من تاريخ تلك الوقفة أصلح الله المنافقين بيوم وليلة، واختفت كلمة النفاق نهائياً، ولم يرو أي راوٍ على الاطلاق أن أحداً من المنافقين قد عارض أبا بكر، أو عمر، أو عثمان، أو معاوية، أو أحد ملوك بني أمية، أو ملوك بني العباس! وكأنهم كانوا ينتظرون موت الرسول ليصلحوا أنفسهم بيوم وليلة، وليوالوا أي ولي يتولى أمورهم باستثناء أهل بيت النبوة، فعندما آلت الأمور الى علي اتحدوا ضده، ولكن بلباس المؤمن لا بلباس المنافق.

النبي على علم بموقف بطون قريش وموقف المنافقين:

كان النبي على علم يقيني بموقف بطون قريش وموقف المنافقين والمرتزقة من الأعراب، في قضية الخلافة والإمامة من بعده، وكان يعلم أن الذين اعترضوا على نبوته ورسالته وحاولوا أن يصرفوا فضل النبوة والرسالة عنه، سيعترضون على إمامة علي وسيحاولون أن يصرفوا عنه فضل الإمامة، وكان على علم بحجم التقارب بين بطون قريش ومنافقي المدينة وما حولها ومرتزقة الأعراب.

لكن مثل محمد لا ينحني أمام العواصف، ولا يثنيه شيء في الدنيا عن تبليغ رسالات ربه كاملة غير منقوصة، ومثله لا يصدر أحكاماً على ما في نوايا الناس وضمائرهم، فقد يعدلون، أو يحدث الله لهم ذكراً. لذلك فقد تابع تبليغ رسالات ربه، وبلغ الأمة مجتمعة ومنفردة: إنّ إمام الأمة ومرجعها وقائدها من بعده هو علي بن أبي طالب وأحد عشر إماماً من ولده، وركز تركيزاً خاصاً على علي بن أبي طالب لأنه أول الأئمة من بعده، وحتى لا ينسى المؤمنون ربط قضية الإمامة بأهل بيت النبوة، وربط أهل بيت النبوة بالقرآن الكريم، جعل القرآن هو الثقل الأكبر، وأهل بيت النبوة هم الثقل الأصغر، وأعلن استحالة الهدى بغير هذين الثقلين، واستحالة تجنب الضلالة بغير التمسك بهما، وأعلن أن أهل بيت النبوة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وأعلن أن أهل بيت النبوة أمان للأمة، وبين للناس بأن الله تعالى هو الذي أمره بهذه الاعلانات، لأنه يتبع ما يوحى اليه، وقد بلغهم هذه الاعلانات معذرة اليهم. ومضى رسول الله بتبليغ رسالات ربه، وبتقديم الإمام من بعده بمختلف وسائل التبليغ وطرق الكشف، وبكشف خدع المنافقين والبطون وأساليبهم الملتوية وبدون اثارة.

تحالف بطون قريش والمنافقين لإجهاض مؤسسة الإمامة بعد موت النبي:

بعد فتح مكة وتصفية جيوب الشرك أدركت بطون قريش، المهاجرون منها والطلقاء، بأن النبي قد بدأ بترتيب عصر ما بعد النبوة، وأن أجل النبي قد دنى،

وأدرك المنافقون ما أدركته البطون وأيقنوا جميعاً بأن محمداً يخطط ليكون الإمام من بعده ابن عمه وزوج ابنته ووالد سبطيه: علي بن أبي طالب. وأيقنت البطون بأنه إذا نجح النبي بتنصيب علي بن أبي طالب اماماً من بعده، فلن تخرج الإمامة من الهاشميين الى يوم الدين، وستجمع الأمة على قيادتهم. وهكذا يجمع الهاشميون النبوة والإمامة معاً أو النبوة والخلافة معاً أو النبوة والملك معاً على حد تعبير عمر بن الخطاب، فإذا فعلوا ذلك امتازوا على قومهم بجحا بجحاً على حد تعبير عمر بن الخطاب أيضاً.

لذلك لملمت البطون نفسها لمواجهة نوايا محمد، وحدث تقارب جدّي بين الذين أسلموا من البطون قبل فتح مكة وبين الطلقاء الذين أسلموا بعد الفتح. فصار عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو مهاجر، حليف حقيقي لأبي سفيان ومعاوية ويزيد والحكم بن العاص، وهم طلقاء، وتكونت وحدة حال بين التسعة المبشرين في الجنة، وبين قادة الطلقاء وأفرادهم، بمعنى أن الذين أسلموا من بطون قريش قبل الفتح شكلوا جبهة واحدة مع الذين أسلموا بعد الفتح، وصار لمنتسبي بطون قريش موقف موحّد أو مشابه من كل الأحداث.

كانت البطون تحكم بلدة مكة وفق صيغتها السياسية الجاهلية، وها هو محمد يصنع ملكاً عظيماً وهو حكم العرب، فلا مصلحة لبطون قريش أن تعترض على نبوة محمد فضلاً عن عدم جدوى هذا الاعتراض، والأفضل للبطون أن تتمسك بنبوة محمد، وأن تعترف بحق الهاشميين الشرعي بالنبوة، ومقابل اعترافها هذا يجب أن يعترف الهاشميون بحق البطون بالملك. وتلك هي القسمة العادلة، للهاشميين النبوة خالصة من دون البطون، وللبطون الملك تتداوله في ما بينها خالصاً من دون الهاشميين، وهذا هو وجه الصواب والتوفيق على حد تعبير منظر البطون عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولكن محمد غير قابل بهذه القسمة، وهو يخطط لإقامة إمامة يديرها اثنا عشر اماماً من أهل بيته يحكمون بالتتابع، والأفضل للبطون أن تترك محمداً وشأنه وأن تقيم تحالف حقيقي بينها وبين الجميع بما فيهم المنافقين، وهكذا اتحدت

البطون بعد الفتح ضد علي وبني هاشم لإجهاض الإمامة، كما اتحدت ضد محمد وبني هاشم لإجهاض النبوة.

وتحقيقاً لهذا الهدف مدت قيادات البطون أيديها الى المنافقين، ووضعتهم بما يلزم بالصورة، وتحالفت مع طلاب المصالح من الأنصار. لست أدري كيف نفسر قول عمر بن الخطاب: «فما أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر» فمن الذي أخبر عمر بأن أسلم ستحضر؟! وكيف عرف عمر أن قبيلة أسلم معه وأنها تؤيد نظامه الجديد؟! إنَّ الجواب المنطقي الوحيد هو أن قبيلة أسلم بالصورة كاملة، وأنها على موعد لتأييد النظام الجديد، «حيث ضاقت بهم السكك»، على حد تعبير عمر رضي الله عنه.

والمؤكد أن بطون قريش قد اتحدت بعد الفتح ضد علي وامامته وضد بني هاشم، تماماً كما اتحدت بطون قريش ضد محمد ونبوته وضد بني هاشم، ولكنهم هذه المرة قالوا بأن محمداً من قريش وأن عشيرته أولى به، وأن علياً والهاشميين طلاب زعامة، ولا ينبغي أن يتولى الإمارة طالبها!!

ومن المؤكد أيضاً بأن بطون قريش قد تحالفت مع المنافقين في المدينة وما حولها ومع المرتزقة من الأعراب.

ومن المؤكد أخيراً بأن قيادة بطون قريش قد اجتذبت اليها قطاعاً كبيراً من الأنصار، وأنهم جميعاً حلفاء!!

قيادة هذا التحالف:

من المؤكد أن القائد العام لهذا التحالف هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلو شاء عمر لكان هو الخليفة الأول، وأن نائب القائد العام هو أبو بكر رضي الله عنه، فهما معاً لا يفترقان في عمل ولا مسير ولا منزل، كما قال الواقدي[1]، وقد آخى الرسول بينهما قبل الهجرة وبعدها، وكلاهما نال شرف مصاهرة الرسول، فقد زوّج عمر ابنته حفصة لرسول الله وزوّج أبو بكر ابنته عائشة

(١) الواقدي، المغازي ٢/ ٤٤٩.

لرسول الله، ومن المدهش أن عائشة وصفية كانتا يداً واحدة كما يقول الواقدي في مغازيه، وكانتا معاً حتى على الرسول نفسه، انظر الى قوله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا، وإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1] فألف المثنى في كلمتي تتوبا، وتتظاهرا، تشمل السيدتين عائشة وحفصة. راجع على سبيل المثال تفسير ابن كثير[2].

ويلي أبا بكر وعمر بالأهمية أبو عبيدة، ويليه بالأهمية عثمان ويليهما طلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وكان الزبير خارج قيادة بطون قريش لأن هواه مع بني هاشم ثم غيّره ابنه عبد الله، وقد عرفوا بالنفر الذي مات رسول الله وهو راضٍ عنهم، على حد تعبير عمر، ثم عرفوا بالعشرة المبشرين بالجنة. وساعد هؤلاء القادة العظام بقيادة بطون قريش، خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبو سفيان، ومعاوية، ويزيد، وعبد الله بن أبي سرح، وغيرهم من عظماء البطون، كالحكم بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكلهم موتور وحاقد على علي وأهل بيت النبوة، فما من أحد منهم إلا وقتل علي أباه أو أخاه أو ابن عمه، وساعد هؤلاء القادة العظام من الأنصار أسيد بن حضير، وبشير بن سعد وغيرهم.

ويمكنك القول أن أقوى أركان قيادة هذا التحالف كان عمر بن الخطاب، وهو الأجرء فلو سكت لسكتوا، ولو رضي لرضوا لأن النبي قد خلق تياراً غلاباً من القبول بولاية علي، كما تدل على ذلك رسالة معاوية لمحمد بن أبي بكر.

أهداف قادة البطون من هذا التحالف:

هدف قادة البطون من تشكيل هذا التحالف هو منع الهاشميين من أن يجمعوا بين النبوة والخلافة، حتى لا يجحفوا على قومهم، وتثبيت مبدأ النبوة لبني هاشم والخلافة لبطون قريش تتداولها في ما بينها، والحيلولة بين الإمام علي بالذات وبين حقه بالإمامة، لأن علي قد قتل سادات قريش، ولا تقبل به البطون

---

(١) سورة التحريم آية ٤.

(٢) ابن كثير ٤/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦. طبعة احياء التراث العربي.

إماماً، حتى وإن اختاره الله نفسه!!، والحيلولة بين أي هاشمي وبين الإمارة، لأن أي هاشمي إذا تسلم الإمارة فسيدعوا لخلافة أو إمامة أهل بيت النبوة، وعلى هذا أجمعت قيادة بطون قريش ومن تحالف معها. وبطون قريش تعترف بالنبي وتدين بالإسلام، ولكنها ترفض أن يجمع الهاشميون مع النبوة الملك «الخلافة والنبوة معاً».

روح الفريق:

ساد هذا التحالف روح الفريق، والالتزام بالهدف، ففي سقيفة بني ساعدة وعندما قال الأنصار لا نبايع إلا علياً وعلي غائب، عندئذٍ قال أبو بكر: إني قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر وأبا عبيدة فبايعوا أيهما شئتم. عندئذٍ قال الاثنان: معاذ الله أن نتقدم عليك، فقفز بشير بن سعد فبايع أبا بكر وبايعه عمر وأبو عبيدة وعندما مرض أبو بكر مرضه الذي مات منه، دعا عثمان ليكتب له عهداً، فقال أبو بكر: «اني قد وليت عليكم. .» فأغمي عليه من شدة الوجع، فأتمها عثمان من تلقاء نفسه وكتب: «اني قد وليت عليكم عمر بن الخطاب»، فلما أفاق أبو بكر من غيبوبته طلب من عثمان أن يقرأ له ما كتب، ولما قرأ عثمان ارتاحت نفس أبي بكر، وقال لعثمان: «والله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها». فأنت تلاحظ أن عثمان قد كتب كلمة عمر من تلقاء نفسه، لأنه يعرف أن الخليفة حسب الاتفاق عمر، ثم انظر الى قول أبي بكر: «والله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها»، بمعنى أن الجميع يتصرفون بروح الفريق وضمن مخطط معلوم بغض النظر عن الديكور. وعندما مرض عمر مرضه الذي مات منه كان واضحاً أن الخليفة من بعده عثمان بكل المقاييس، فعثمان كان يُعرف بالرديف أي الرجل الذي يلي الرجل، ولكن عمر أراد أن يتولى عثمان الخلافة بديكور خاص، ويتولى الطاقم الذي اختاره عمر في ما بعد صد الإمام علي عن حقه بالإمامة، حيث يفتح شهية أكبر عدد من الطامعين بالخلافة فيكونون للإمام في ما بعد مجتمعين نداً!! ولم ينس عمر الذين ساعدوه على انشاء التحالف، فقال بحسرة: «لو كان أبو عبيدة حياً لوليته واستخلفته» وأبو عبيدة ثالث الثلاثة من المهاجرين الذين دخلوا سقيفة

بني ساعدة، وقال عمر: ولو كان خالد بن الوليد حياً لولّيته واستخلفته وكان لخالد دور عظيم بتثبيت أركان الحكم الجديد، فقد كان مع السرية التي كلّفت باحراق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه، وهو الذي قتل مالك بن نويرة الصحابي الذي ولاه رسول الله، ومع هذا تزوج امرأته بنفس الليلة بدون عدة. ولا فرق عند التحالف بين عربي وعجمي، والدليل أن عمر بن الخطاب قال في مرضه: «ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته واستخلفته»، وسالم هذا من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب. وقد كانت حجة المهاجرين في السقيفة أن عشيرة محمد أولى بميراثه، وأن العرب لا تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم، ومع هذا فإن عمر قال: «ولو كان معاذ بن جبل حياً لوليته واستخلفته»، ومعاذ من الأنصار، وحسب أقوال الثلاثة في السقيفة فإن الخلافة لم تكن جائزة للأنصار!!! بمعنى أن التحالف كان يتصرف كفريق واحد، والمهم عنده تحقيق الهدف بالحيلولة بين أن يجمع الهاشميون الملك والنبوة معاً، وأن تكون النبوة لبني هاشم والخلافة لغيرهم، ومن باب سد الذرائع الحيلولة بين أي هاشمي وبين الإمارة حتى ولو كانت على بلدة صغيرة لأن التحالف يخشى أن يستغل الهاشمي امارته للتوطيد للهاشميين!!

وسيلة هذا التحالف لتحقيق أهدافه:

ملخص هدف التحالف:

أدركت بطون قريش أن نبوة محمد قدر لا مفر منه، وأن الإسلام أصبح حقيقة من حقائق الحياة، ولا مطمع للبطون بصرف النبوة عن محمد، أو القضاء على دينه لأن هذا غير ممكن. وهدف البطون منصبّ على صرف الإمامة والقيادة والمرجعية عن علي بن أبي طالب من بعد النبي، والحيلولة دون اعطاء أهل بيت النبوة دوراً مميزاً في الأمة بعد وفاة الرسول، وذلك حتى لا يجمع الهاشميون بين النبوة والملك، أو النبوة والخلافة. فيصير النبي منهم والخلفاء منهم ويذهبوا بالشرف كله، وتحرم بقية البطون من هذا الشرف. وحيث أن المنافقين يكرهون محمداً وأهل بيت محمد فقد اتحدوا مع البطون لغايات صرف الإمامة من بعد

النبي عن علي بن أبي طالب، والحيلولة دون اعطاء أهل بيت النبي دوراً مميزاً بعد وفاة الرسول، والمرتزقة من الأعراب مع البطون ومع المنافقين، مما جعل من هذه العناصر الثلاثة حلفاً واقعياً حقيقياً له قيادته، وله أهدافه، وله مؤيدوه.

كيف تتحقق أهداف هذا الحلف؟

لا طاقة لهذا التحالف على مواجهة الرسول عن طريق الحرب، وربما كانت قيادة هذا التحالف عزوفة عن فكرة الحرب بسبب أواصر النسب بينها وبين الرسول، ولا طاقة لهذا التحالف بمواجهة الرسول عن طريق المنطق، لأن قيام هذا التحالف عمل ضد المنطق، وليس بامكان هذا التحالف أن يواجه الرسول عن طريق الشرع، لأن هذا التحالف ما قام إلا لهدم الجانب السياسي من الشرع!!! إنه تحالف نشأ في الظلام، ولكن ليس بامكان قادة التحالف أن يقفوا مكتوفي الأيدي، مشلولي الحركة، بالوقت الذي يوطد فيه محمد الأمر من بعده لعلي، ويبرز الدور المميز لأهل بيته من بعده!!

لقد أدرك قادة التحالف خطورة البيان النبوي، وهو لا يتوقف عن القول بأنه يتبع ما يوحى إليه، وأنه لا ينطق عن الهوى. فإذا استطاعت قيادة التحالف أن تشكك بقول الرسول وبشخصيته، فإنها ستبطل مفعول البيان النبوي المنحصر في حديث الرسول، وقادة التحالف وأفراد التحالف أقل وأذل من أن يواجهوا رسول الله بذلك.

ومن هنا لم يبق أمام قيادة التحالف إلا مواجهة النبي بحرب الشائعات، وذلك باطلاق سلسلة من الشائعات تتظافر للتشكيك في قول الرسول وشخصيته، واستحالة أن تكون كل أقوال الرسول من عند الله. فإذا نجحت هذه الشائعات بزعزعة الثقة ببيان الرسول المتعلق بالأمور السياسية، يكون أجله قد دنا، ولا تمهله المنية لبناء ما هدّمته قيادة التحالف، عندئذٍ يتم توزيع الأدوار بين كتائب التحالف، وأثناء انشغال العترة الطاهرة بتجهيز النبي، يُنصَّب خليفة من بطون قريش، حيث يجمع الخليفة بيده الجاه والمال وتأييد التحالف ويواجهوا علياً وأهل بيت النبوة وبني هاشم بأمر واقع. وبعد ذلك تقوم السلطة الجديدة بتحويل

تلك الشائعات الى قناعات، ثم يتناقلها العامة بالوراثة، وتصبح جزءاً من الدين!!! تلك هي خطة التحالف لتحقيق هدفه!!!

المواجهة عن طريق الشائعات:

الشائعة الأولى: رسول الله بشر ولا يحمل كل كلامه محمل الجد:

لقد أشاعت قيادة التحالف بأن رسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضى، ولا ينبغي أن يحمل كلامه على محمل الجد، وبالتالي لا ينبغي تنفيذ كل ما يقوله الرسول، فضلاً عن عبثية كتابة أقوال الرسول.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضى، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأومأ باصبعه إلى فمه وقال: اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقاً»[1].

من الذي يجرؤ على هذا النهي؟ وما هي مصلحته بعدم كتابة أحاديث رسول الله؟ وكيف يقوم بهذا العمل الخطير أثناء حياة الرسول سرّاً ودون علم الرسول؟

إن الشخص الوحيد القادر على هذا العمل الخطير، والقول الأشد خطورة هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهو قائد التحالف، وهو المعني الأول بتحقيق الهدف الذي قام التحالف لتحقيقه، وهو مبتدع نظرية «النبوة لبني هاشم والخلافة للبطون»، وهو المقتنع بصواب وعدالة هذا التوزيع، ثم انه ليس موضع شك، فهو مهاجر وهو صهر الرسول. والشخص الآخر القادر على فعل ذلك هو أبو بكر رضي الله عنه، فهو نائب قائد التحالف، ومن المؤيدين لنظرية عمر

---

(١) سنن أبي داوود ٢/١٢٦، وسنن الدارمي ١/ ١٢٥، ومسند أحمد ٢/ ١٦٢، ٢٠٧، ٢١٦، ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥، ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٨٥.

والمقتنعين بصوابها، ثم انه ليس موضع شك فهو مهاجر، وهو صهر الرسول، ومن المؤكد أن عثمان رضي الله عنه شريكهما بهذا النهي، فهو من رجال عمر، ومن المقتنعين بنظرياته، وهو أموي ونوّه الهاشميون بأقاربه شيوخ الوادي، وهو يعتقد أن التحالف قد ينجح، ومن الممكن أن يحصل على نصيبه وافراً، ومن جهة ثانية، فليس هو بمتهم فهو مهاجر وصهر الرسول أيضاً!!

دليلنا على أن هذا النهي صدر عن الثلاثة وأن الإشاعة قد انطلقت منهم

لما آلت الخلافة إلى أبي بكر الصديق كان أول مشروع فعله هو جمعه للأحاديث النبوية التي كتبها هو شخصياً وقيامه باحراقها، كما روت السيدة عائشة ابنته وأم المؤمنين.

وكان مشروعه الثاني أن جمع الناس وقال لهم: «إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديثاً تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله»[1].

فهذا الموقف المعلن من أبي بكر، وقناعته بأن التحديث عن رسول الله يورث الخلاف، وقيامه باحراق الأحاديث التي جمعها شخصياً يدل على حساسيته المفرطة من أحاديث رسول الله، وأنه أحد الذين نهوا ابن عمرو عن كتابة أحاديث الرسول، تحت شعار انه يتكلم في الغضب والرضى، ثم من هي قريش إن لم يكن أبو بكر وهو أحد شيوخها منها!!

وعندما آلت الخلافة، إلى عمر بن الخطاب بعد موت أبي بكر، كان أول مشاريعه أن طلب من الناس وناشدهم ليأتوه بأحاديث رسول الله التي كتبوها، وظن الناس أن عمر يريد أن يجمع أحاديث رسول الله فأتوه بها، فلما أتوه بأحاديث رسول الله المكتوبة أمر بحرقها جميعاً، وحرقت بالفعل[2].

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٣٠٢.
(٢) الطبقات لابن سعد ٥/ ١٤٠.

جاء في كنز العمال: حديث «أنه ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق: عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر وقال لهم: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق»؟ قالوا: أتنهانا؟ قال: لا، أقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ منكم ونرد عليكم»[1].

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمة أبي بكر، أن عمر حبس ثلاثة بتهمة «أنهم أكثروا الحديث عن رسول الله»[2].

ولقد نهى عمر جيوشه عن التحديث عن رسول الله[3]، وهذه السياسة الصارمة نحو رواية الأحاديث، ونحو حرق المكتوب منها، تدل على حساسيته المفرطة تجاه أحاديث رسول الله، حتى ولو كان شخصياً هو الذي سمعها، وموقفه بالحجرة المباركة ومواجهته للرسول وجهاً لوجه، وقوله للرسول: حسبنا كتاب الله يؤكد هذه الحساسية، وإن لم يكن أبو حفص مع قريش التي نهت عبد الله بن عمرو عن كتابة أحاديث الرسول، فمن هي قريش إذاً؟، صحيح أنه لم يكن واحداً من سادة قريش قبل الإسلام، وأنه كان شخصاً عادياً، ولكنه نال الشرف بالاسلام، ونال العلا بمصاهرته لرسول الله فأصبح من سادة قريش، فمن غير الممكن أن تنهى قريش في غياب عمر!!!

ولما آلت الخلافة الى عثمان بعد موت عمر كانت أول مشاريعه أن أصدر مرسوماً بعدم جواز رواية أي حديث لم يسمع به في عهدي أبي بكر وعمر[4]. تلك هي قريش التي نهت عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة أحاديث رسول الله، بحجة أن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى. والغاية الحقيقية من النهي كانت لغايات إبطال مفاعيل الأحاديث النبوية المتعلقة بمؤسسة الإمامة

---

(١) كنز العمال ٥/ ٢٣٩، حديث ٤٨٦٥ ومنتخب الكنز ٤/ ٦١.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢ـ٣.

(٣) بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ١٤٧، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٤ـ٥.

(٤) منتخب الكنز هامش مسند الإمام أحمد ٤/ ٦٤.

من بعد النبي وبالدور المميز لأهل بيت النبوة بعد وفاته!!

معاوية يبيّن الغاية من الإشاعة:

معاوية بن أبي سفيان أحد قادة التحالف، وقد أصدر مرسوماً ملكياً بعد عام الجماعة، وأرسل نسخاً من هذا المرسوم الى كل عماله، حيث أمر فيه بالحرف: «أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته»، روى ذلك المدائني في كتابه الأحداث كما في شرح النهج لعلامة المعتزلة، فمعاوية أبرز بيت القصيد والغاية من منع كتابة أحاديث رسول الله، حتى لا ينتشر فضل أبي تراب وأهل بيته في الأمة، وحتى لا يعرف المسلمون حقهم الثابت شرعاً بقيادة هذه الأمة!![1].

الشائعة الثانية: رسول الله كان يفقد السيطرة على أعصابه فيشتم ويلعن ويسب:

قلنا أن قيادة التحالف قد صممت نهائياً على اقصاء الإمام علي عن حقه بالقيادة والإمامة من بعد النبي، وعلى الغاء الدور المميز لأهل بيت النبوة وتجريدهم من كافة حقوقهم السياسية، وأنها عزمت على أن تتصدى للحملة المركّزة، التي كان يقودها رسول الله قبل وفاته لتثبيت الشرعية.

وتحقيقاً لهذه الأهداف، أطلقت قيادة التحالف اشاعتها الأولى التي مفادها أن رسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضى، ولا ينبغي أن يحمل كلامه على محمل الجد، ولا ينبغي أن يكتب كلام الرسول، وقد أثبتنا ذلك. ولتدعيم هذه الإشاعة أطلقت قيادة التحالف شائعتها الثانية:

روى البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب قول النبي من آذيته، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي ما يلي وبالحرف:

---

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

«إنّ رسول الله كان يغضب، فيلعن، ويسب، ويؤذي من لا يستحقها، ودعى الله أن تكون لمن بدرت منه زكاةً وطهوراً».

وهكذا صوّروا رسول الله صاحب الخلق العظيم الذي وصفه الله تعالى بآية محكمة ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] بصورة الرجل الذي يفقد السيطرة على أعصابه، فيتصرف مثل تلك التصرفات التي ألصقوها ظلماً برسول الله. لأن الشخص العادي الذي لا تتوفر فيه مؤهلات النبوة يترفّع عن سب ولعن وايذاء الناس بدون سبب فكيف بسيد الخلق وأعظمهم؟!!!

ما هو القصد من هذه الإشاعة؟

القصد منها دعم الإشاعة الأولى، والتشكيك بشخصية الرسول وبصحة حكمه على الرجال، والنيل من علي بن أبي طالب وأهل بيته، وابراز مظلومية أعداء الله، ورفع خامل ذكرهم، إذ من الثابت أن رسول الله قد لعن أعداء الله، وبالذات الكثير من قادة هذا التحالف كما يروي البخاري والسيوطي والترمذي، والنسائي، وأحمد، وابن جرير، والبيهقي، ونصر بن مزاحم، والحلبي. وراجع كتابنا الخطط السياسية[2]، تجد الذين لعنهم رسول الله، وراجع بعث أسامة في كل السير تجد أن رسول الله قد لعن الذين يتخلفون عن جيش أسامة.

ومن جملة الذين لعنهم رسول الله أبو سفيان، ومعاوية، ويزيد، والحكم بن العاص، و. . . الخ.

بموجب هذه الشائعة، فإن الذين لعنهم رسول الله صاروا مطهرين أو زاكين، وهكذا فاقوا منزلة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً!!

وإذا كان لقول الرسول بعلي وأهل بيته قيمة، فلماذا لا يكون لقوله هذا بقادة التحالف قيمة، وهذا يعزز الشائعة الأولى التي أطلقها قادة التحالف بضرورة

---

(١) سورة القلم آية ٢٤.

(٢) الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص١٠١.

عدم حمل كلام الرسول على محمل الجد، وبالتالي عدم جدوى كتابته!!

ومن جهة أخرى فلن يعترض معترض على مروان بن الحكم أو على معاوية بن أبي سفيان، إذا آلت اليهم الخلافة يوماً ما! فإذا قال لمعاوية قائل: لقد لعنك رسول الله فكيف تتآمر على أمة محمد الذي لعنك؟ عندئذٍ يجيبه معاوية بلسان فصيح: فظ الله فاك، لقد دعى لي رسول الله، أن تكون لعنته لي زكاة وطهوراً، ودعوات الأنبياء مستجابة؛ لذلك فاني زاكٍ بالنص ومطهر بالنص، وأصحابك أهل بيت النبوة مطهّرين فقط، فأنا أولى بالقيادة منك ومنهم!! وشر البلية ما يضحك!!

الشائعة الثالثة: النبي يُخيّل اليه أنه يفعل الشيء وما فعله:

ولدعم الشائعتين السابقتين، وامعاناً بالتشكيك بقول الرسول وشخصه، أطلقت قيادة التحالف شائعتها الثالثة.

النص الحرفي لهذه الشائعة:

روي البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة ابليس وجنوده، وفي كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، وكتاب الأدب، باب إن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات، باب تكريم الدعاء، وروى مسلم في صحيحه، باب السحر ما يلي وبالحرف:

«أن بعض اليهود سحروا رسول الله، حتى ليخيل اليه أنه يفعل الشيء وما فعله».

وهذا قمة الشكيك في كل ما يصدر عن رسول الله، وما يعني التحالف بالدرجة الأولى، ما صدر ويصدر عن رسول الله بالأمور المتعلقة برئاسة الدولة، وبالمكانة الخاصة التي تصوروا أن رسول الله قد خص بها أهل بيته الكرام.

الشائعة الرابعة: الرسول يُسقط من القرآن:

ولدعم الشائعات الثلاثة، وللتشكيك في ذاكرة الرسول حتى بالأمور

المتعلقة بالقرآن الكريم، فقد أطلق قادة التحالف اشاعتهم الرابعة:

روى البخاري في باب قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ وكتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى ونكاحه، وروى مسلم في كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعهد القرآن ما يلي وبالحرف:

«إن النبي سمع رجلاً يقرأ في المسجد فقال الرسول: رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا»!!!

فأنت ترى أنه لولا هذا القارىء، لما تذكر النبي بزعمهم الآية التي أسقطها من سورة كذا!!! وهذا تشكيك بقوة ذاكرة الرسول حتى بالأمور المتعلقة بالقرآن الكريم، فكيف بالأمور السياسية!!!

الشائعة الخامسة: الرسول يهجر، إن رسول الله قد هجر، ما شأنه أهجر!!؟:

ثم بلغت حملة قادة التحالف على رسول الله المدى، عندما قالوا له وجهاً لوجه وفي بيته: «رسول الله يهجر، إن رسول الله قد هجر، ما شأنه أهجر». والذين قالوا هذا لرسول الله هم حزب عمر بن الخطاب، وعمر نفسه هو أول من قال كما ذكر ذلك أبو حامد الغزالي في كتابه[1]، وكما ذكر ذلك السبط الجوزي في كتابه[2]. وبعد ذلك تجرأ حزب عمر وقالوا: «القول ما قاله عمر إن رسول الله يهجر، وإن رسول الله قد هجر، وما شأنه «أي الرسول» أهجر»!!! وأصح الصحاح عند شيعة قادة التحالف هما صحيح بخاري وصحيح مسلم، وقد روى البخاري هذه الواقعة الأليمة بست صيغ، ورواها مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده، والنووي بشرح صحيح مسلم، وابن أبي الحديد بشرح النهج، وإذا أراد القارىء الكريم أن يقف على تفاصيل هذه الحقيقة بدقة ويقف على كامل المراجع فعليه أن يراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام. ولا

---

(١) سر العالمين وكشف ما في الدارين ص٢١.

(٢) تذكرة الخواص ص٦٢.

يقوى أحد في الدنيا على انكار هذه الواقعة، أو الاعتذار عنها[1].

من أول من اتهم رسول الله بالهجر؟

أول من اتهم رسول الله بالهجر، ورفع بوجهه شعار: «حسبنا كتاب الله» هو عمر بن الخطاب، حيث حضر هو وثلة من حزبه ليطمئنوا على الوضع الصحي لرسول الله، ومن المؤكد أن شخصاً ما أخبر عمر بأن الرسول سوف يكتب وصية تلك الليلة، فأحضر عمر عدداً كبيراً من حزبه ليحول بين الرسول وبين كتابة وصيته كما أقر عمر بذلك[2].

وما أن قال الرسول: «قربوا اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»، حتى تصدى له عمر بن الخطاب فقال فوراً دون أن يسأل عن مضمون الكتاب: «حسبنا كتاب الله، إن رسول الله قد هجر» وبدون تروي صاح الحاضرون من حزب عمر فقالوا: القول ما قاله عمر!! إن رسول الله يهجر واستغرب الحاضرون من غير حزب عمر وصعقوا من هول ما سمعوا فقالوا عفوياً: قربوا يكتب لكم رسول الله، وكان الحاضرون من حزب عمر يشكلون الأكثرية لأنهم أعدوا للأمر عدته فصاح عمر وأعوانه: «حسبنا كتاب الله إن الرسول يهجر»، واختلف الفريقان وتنازعوا، وصدم عمر وحزبه خاطر النبي فقال النبي للجميع: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، وما أنا فيه خير مما تدعوني اليه»، ولقد أصاب ابن عباس عندما سمى ذلك اليوم بيوم الرزية!!!

تكييف هذه الحادثة:

الرسول مريض ومسجى في بيته لا في بيت عمر، ويبدو واضحاً أن عمر تلقى اشارة ما من بيت الرسول تفيد بأنه سيوصي تلك الليلة، فجمع عمر عدداً من

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ٩، ٤/ ٣١، ١/ ٣٧، ٥/ ١٣٧، ٢/ ١٣٢، ٤/ ٦٥ - ٦٦، وصحيح مسلم ٢/ ١٦، ٥/ ٧٥، ١١/ ٩٤ - ٩٥ بشرح النووي، ومسند أحمد ١/ ٩٥٥ وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٣، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣٢٠ وشرح النهج ٣/ ١١٤ سطر ٢٧، ١٢/ ٧٩ سطر ٣، ٣/ ١٦٧.. الخ.

(٢) شرح النهج ٣/ ١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى مصر وبيروت، و١٢/ ٧٩ سطر ٣ تحقيق أبي الفضل و٢/ ٨٠٣ طبعة مكتبة الحياة، و٣/ ٦٧ طبعة دار الفكر.

أفراد حزبه، أحدهم أبو بكر فهما لا يفترقان أبداً كما أثبتنا، وفوجىء الرسول بدخولهم، ولكنه مضى وقال: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده». وكأن عمر يعرف مضمون الكتاب، وتناسى عمر أنه وحزبه زوار في بيت الرسول، وأن من حق المريض أن يقول في بيته ما شاء، وقواعد الأدب تفرض على الزائر أن يلتزم حدوده، لقد تناسى عمر وصحبه ذلك وتصدوا للنبي في بيته، وحالوا بينه وبين ما يريد، تلك حادثة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية!! فعندما مرض أبو بكر قال: قربوا أكتب فقربوا بكل الاحترام، فقال لعثمان: اكتب اني قد وليت عليكم.. وأغمى عليه أُغمي وانتظروه حتى أفاق. كان عمر حاضراً وهو يقول للناس: «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله»[1].

وعمر نفسه أوصى ولم يعترضه أحد. لم يقل عمر: إن أبا بكر هجر، ولم يقل حزب عمر ذلك!! ولم يقولوا: لا حاجة لوصية أبي بكر حسبنا كتاب الله!! ما لهم كيف يصنعون ذلك برسول الله!! ماذا بقي من اسلام المسلم عندما يقول للرسول في بيته أنت تهجر!! ولسنا بحاجة لكتابك، لأن القرآن عندنا وهو يكفينا!! تلك حادثة غريبة لا مثيل لها في تاريخ البشرية. ومع هذا بقي أصحاب هذه الحادثة أبطالاً، ولم يتعرضوا للوم لائم!! إن هذا لأمر عجاب.

الشائعة السادسة: القرآن وحده يكفي ولا حاجة لحديث الرسول أو وصيته:

لقد تجاوز قادة التحالف حدود العقل والمنطق، عندما أطلقوا إشاعتهم السادسة فقالوا للرسول نفسه: عندنا القرآن ولا حاجة لنا بكتابك أو وصيتك، لأن القرآن وحده يكفينا.

أول من أطلق هذه الإشاعة:

لقد أطلق عمر بن الخطاب هذه الإشاعة في بيت الرسول، وأمام الرسول، ورددها الحاضرون من حزب عمر، وقد أطلقت مع الإشاعة الخامسة «إن

---

(١) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٦٧، وتاريخ الطبري ١/ ١٣٨ ط أوروبا.

رسول الله قد هجر» وتفصيل ذلك أن رسول الله أراد أن يلخص الموقف لأمته قبل وفاته، لأنه على علم بالفتن التي تتربص بالأمة وتنتظر وفاته لتنقض عليها فقال: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، وما أن أكمل الرسول جملته حتى تصدى له عمر بن الخطاب، وقال: إن الرسول قد هجر حسبنا كتاب الله. وعلى الفور ردد الحاضرون من حزب عمر ما قاله عمر فقالوا: إن الرسول يهجر وحسبنا كتاب الله[1].

وصعق من في بيت الرسول من غير حزب عمر فقالوا: قربوا يكتب لكم رسول الله، وعمر وحزبه يرددون قولهم الأول، فاختلفوا وتنازعوا وكثر اللغط فقال لهم رسول الله: قوموا عني ولا ينبغي عندي تنازع ونجح عمر وحزبه بالحيلولة بين رسول الله وبين كتابة ما أراد[2].

ايمان قادة التحالف بهذه الإشاعة:

إن إيمان أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بهذه الإشاعة ايمان لا يتزعزع، وهم مقتنعون أن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لحديث رسول الله، ولا لوصية الرسول شخصياً. أما أبو بكر وعمر فقالا هذا الكلام للرسول نفسه، وأكّداه أثناء توليهما للخلافة، وأما عثمان فقد أعطى مفاده للرجلين لأنه اقتنع بأنهما سينتصران يوماً، وإن سار في ركابهما سيستفيد فائدة عظيمة.

والدليل: أن أول عمل عمله أبو بكر بعد أن تسلم الخلافة أن «جمع الناس وقال: إنكم تحدثون أحاديثاً تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله»[3].

لقد تصوّر أبو بكر أن سبب الخلاف والاختلاف يكمن في أحاديث الرسول، لذلك أصدر أمره بعدم نشر أحاديث الرسول، وكان هو شخصياً يحتفظ

---

(١) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٨٧ وما فوق.
(٢) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٢٩٧ وما فوق.
(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢ ـ ٣.

بمجموعة مكتوبة من أحاديث الرسول فجمعها وأحرقها» لأن القرآن وحده يكفي حسب رأيه، ولا حاجة لأحاديث الرسول.

عمر بن الخطاب طلب من الناس أن يأتوه بما عندهم من أحاديث الرسول المكتوبة، وظن الناس أنه يريد أن يجمعها ويأمر بكتابتها من جديد فأتوه بها، فلما وضعت بين يديه أمر بحرقها، وحرقت فعلاً[١].

ولم يكتف بذلك انما نهى الناس عن الحديث، وفرض على المحدثين الإقامة الجبرية، وحبس بعضهم بجرم التحديث عن رسول الله!![٢]. وما ذلك إلا لأن عمر مقتنع أن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لما قاله الرسول أو ما سيقوله حتى وإن كان الرسول موجوداً!![٣].

وجاء عثمان فسار على مسيرة صاحبيه، حيث استهل عهده باصدار مرسوم مفاده أنه «لا يحل لمسلم يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر وعمر»[٤].

وكان معاوية بن أبي سفيان أكثر وضوحاً من الذين سبقوه، حيث دخل بالموضوع مباشرة، فأصدر مرسوماً ملكياً وجّه منه نسخة الى كل عماله: «أن برئت الذمة ممن يروي شيئاً بفضل أبي تراب وأهل بيته».

فغاية الجميع واحدة وهي منع رواية وكتابة أحاديث الرسول كلها حتى لا يروي الناس شيئاً من فضل علي وأهل بيت النبوة. وقدّر معاوية أنه لم يعد هنالك ما يبرر هذه التورية فدخل بالموضوع مباشرة، وحصر المنع بما يُعطى حقاً أو فضائلاً لعلي وأهل بيت النبوة. أما أبو بكر وعمر وعثمان فقد كانوا يراعون مشاعر المسلمين، ولم يفصحوا عن قصدهم ويوضّحوه كما أفصح عنه معاوية ووضّحه.

---

(١) طبقات بن سعد ٥/ ١٤٠ ترجمة محمد بن أبي بكر.

(٢) راجع كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٠٢ وما فوق.

(٣) راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٨٧ وما فوق، تجد توثيق تلك الواقعة وتفصيلها.

(٤) منتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٤/ ٦٤.

عدم منطقية الإشاعة:

كافة الإشاعات السابقة غير منطقية، وأكثرها بعداً عن المنطق هذه الشائعة، فالقرآن يحتاج إلى بيان، ومهمة النبي أن يبين للناس ما نزل اليهم من ربهم، وأن يوضح المقاصد الإلهية العامة والخاصة من كل نص توضيحاً قائماً على الجزم واليقين. ومن هنا كان بيان النبي ـ أي نبي ـ جزءاً لا يتجزء من المنظومة الإلهية التي أوحاها الله لذلك النبي. على اعتبار أن هذا النبي أو ذلك هو الأعلم والأفهم، وأن بيانه للقواعد الإلهية هو بالضبط عين المقصود الإلهي، فالكتاب لا يغني عن الرسول فكلاهما متمم للآخر، وطاعة النبي هي طاعة الله، ومعصية النبي هي معصية الله، فهما وجهان لعملة واحدة «ولله المثلى الأعلى»، فوضع قطعة العملة رسمياً بين المتداولين والاشتراط عليهم أن لا ينظروا إلاّ لجهة واحدة من العملة أمر غير معقول!!

ومن جهة ثانية هذا تفريق بين الله ورسوله، وبين الرسول ومعجزته؟! فبأي منطق نجعل الدين كتاب الله المنزّل فقط ونتجاهل كل ما صدر عن نبي الله المرسل؟!

وإذا أمكننا فهم أن شخصاً لا يريد حديث الرسول الذي ينقل عنه بالرواية!! فكيف تفهم بربك، الشخص الذي يقول للرسول أنت تهجر، ولا حاجة لنا بقولك أو وصيتك، لأن عندنا القرآن وهو يكفينا؟! كيف تفهم شخصاً كتب أحاديثاً عن رسول الله، ثم قام باحراقها تحت شعار أن القرآن وحده يكفي؟![1]

الشائعة السابعة: النبي مجتهد:

قصد قادة التحالف من اطلاق هذه الشائعة أن يلقوا بروع المسلمين أن الرسول ليس أكثر من مجتهد يقول برأيه في الأمور العامة، وأن رأي الرسول ليس ملزماً، ومن حق أي مجتهد آخر أن يتبنى اجتهاده الذي يخالف اجتهاد الرسول،

(١) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٢٩٨ وما فوق.

ولا حرج على هذا المجتهد الآخر، فهو مأجور بمخالفته لرسول الله سواء أخطأ أم أصاب.

وهذه الشائعة ثمرة طبيعية للإشاعات السابقة، ونتيجة ملطفة لها.

التطبيق العملي للشائعة:

الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يقسم المال بين الناس بالسوية، لا فضل في ذلك لمهاجري على أنصاري، ولا لعربي على عجمي، ولا صريح على موالي، لأن حاجات أبناء البشر الأساسية متشابهة، وتلك أمور تدرك بالعقل وبالفطرة السليمة، فجميع أبناء البشر يأكلون ويشربون وينامون ويتزاوجون. ثم إن الرسول لا ينطق عن الهوى، فهو يتبع ما يوحى اليه من ربه، فأمر بهذه الخطورة يتلقى فيه التوجيه الإلهي، وطوال عهده الشريف وهو يقسم بين المسلمين بالسوية لا يفضّل أحداً على أحد حتى أصبح عمل الرسول هذا سنّة فعليّة، وجزءاً من المنظومة الإلهية، على اعتبار أنها تشريع من أهم التشريعات المالية في الإسلام. وعندما قبضت قيادة التحالف على مقاليد الأمور لم تقو على مخالفة هذا التشريع، فطول عهد أبي بكر وهو ملتزم بهذه السنّة النبوية الفعلية. ولما تسلّم عمر مقاليد الخلافة رأى أن سنة الرسول هذه ليست مناسبة، فلا يعقل أن تكون قريش كالأنصار!! ولا يعقل أن يكون العرب كالعجم، وأن يكون الصريح كالمولى!!، ومن هنا فقد فضل المهاجرين كلهم على الأنصار كلها، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى، وأعطى زوجات الرسول عطاءً خاصاً يفوق التصوُّر والتصديق، وزائداً عن حاجة كل واحدة منهن!!! حتى أنه لم يساو بالعطاء بين زوجات الرسول نفسه!! فميّز بينهن، وأعطى بعضهن أكثر من بعض.

وتصوّر عمر أن أسلوبه بتوزيع العطاء هو أفضل من أسلوب النبي، ومع الأيام اكتشف عمر أنه قد غرس في المجتمع المسلم بذور الطبقية، وأنه قد أوجد بعمله هذا الغنى الفاحش والفقر المدقع جنباً الى جنب!! فطلحة والزبير وعثمان وابن عوف يملكون الملايين!! وعمار وبلال وعامة الناس يموتون من الجوع!!!

ونتيجة عمله هذا أشعل بيديه دون أن يدري نار الصراع القبلي بين ربيعة

ومضر، وبين الأوس والخزرج، وبين العرب والعجم، وبين الصريح والمولى[1].

وظلت نيرانه تلك تكبر وتكبر، حتى التهمت المجتمع الاسلامي وأفقدته صوابه!!

عمر يكتشف أن رسول الله أهدى منه:

نجح عمر بالغاء سنة الرسول التي تساوي بين الناس بالعطاء والمستندة إلى وحي إلهي. ونجح باحلال سنته الشخصية محل سنة الرسول. وبعد تسع سنين من تطبيق سنته الشخصية، اكتشف أن رسول الله أهدى من عمر، وأن سنة رسول الله خير من سنة عمر، بعد أن شاهد بعض الآثار المدمرة لسنته الشخصية، التي وضعها بالقوة محل سنة الرسول. وأعلن عزمه على الرجوع إلى سنة رسول الله!! فقال: «وإن عشت هذه السنة، ساويت بين الناس فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عربياً على عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر»[2].

عمر كان يعرف أنه ألغى سنة رسول الله!!

بمعنى أنَّ عمر عندما ألغى التسوية بالعطاء كان يعلم أنها سنة رسول الله، وأن صاحبه أبو بكر قد اتبعها، ومع هذا ألغى التسوية بالعطاء مع سبق العلم والإصرار، ثم عاد بعد تسع سنين ليفكر باعادة السنة التي عطّل أحكامها طول تلك المدة!!![3]

تعطيل أحكام آية محكمة:

الشارع الحكيم حرّم على آل محمد الصدقة، وجعل لهم حقاً في الخمس بوصفهم ذوي قربى النبي ﴿ولِذِي القُرْبى﴾ [الأنفال/ ٤١]، وبيّن الرسول الآية

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٦ و١٠٧ وشرح النهج لابن أبي الحديد ٨/ ١١١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٧، وابن أبي الحديد ١/ ١١١، وتاريخ الطبري ٥/ ٢٢.

(٣) تاريخ الطبري ص٢٢ سيرة عمر باب حملة الدرر!!

فجعل خمس الخمس لذوي القربى وهم بنو هاشم الذكر منهم والأنثى وبنو المطلب[1].

بالإضافة الى يتيم الهاشميين ومسكينهم وابن سبيلهم، والحكمة من هذا التشريع كانت ابراز التمييز لذوي القربى، وسد حاجاتهم بايجاد سبيل لحياة كريمة لهم، ولأن الصدقة محرّمة عليهم[2]. وبالرغم من وضوح الآية، ومن تواتر بيان النبي لهذه الآية، إلا أن عمر بن الخطاب أبى أن يعطي بني هاشم كل سهمهم[3] بحجة «أن قريش كلها ذو قربى»[4].

قال ابن عباس: «سهم ذوي القربى لقربى رسول الله، قسّمه لهم رسول الله، وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً فرأيناه دون حقنا فرددناه عليه، وأبينا أن نقبله»[5].

وباختصار شديد، ترك عمر نص الآية المحكمة، وبيان النبي لهذه الآية المتمثل بسنته الشريفة طوال عهده، واتبع رأيه لأنه اعتقد أنّ رأيه أقرب للعدل كما يراه، وأسهل لتحقيق ما يريده لبني هاشم.

ندم عمر:

من المؤكد أن عمر عندما كان على فراش الموت استعرض بمخيلته كل

---

(١) سنن أبي داود ٢/ ٥٠، والطبري في تفسيره ١/ ٥٠، وأحمد في مسنده ٤/ ٨١، والمغازي للواقدي، غزوة خيبر.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٢ باب قبول النبي الهدية، وصحيح البخاري ١/ ١٨١، وصحيح مسلم ٣/ ١١٧، وسنن أبي داود ١/ ٢١٢ باب الصدقة على بني هاشم، وسنن الدارمي ١/ ٣٨٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ٣/ ٨٩، والبحار ٦٦/ ٧٦ حرمة الزكاة على بني هاشم.

(٣) صحيح مسلم ٥/ ١٩٥، ومسند أحمد ١/ ٢٤٨، و٢٩٤ و٣٠٤ وسنن الدارمي ٢/ ٢٢٥ ومسند الشافعي ص١٨٣ وحلية أبي نعيم ٣/ ٢٠٥.

(٤) تفسير الطبري ١٠/ ٥ والأحوال لأبي عسير ص٢٣٣.

(٥) مسند أحمد ١/ ٢٤٤، ٣٢٠ وسنن أبي داود ٢/ ٥١ وسنن النسائي ١٧٧٢ وسنن البيهقي ٦/ ٣٤٤ و٣٤٥.

حماسه واندفاعه، وندم على ما كان منه، وقال: «ليت أم عمر لم تلده»[1].

ومن المؤكد أن عمر على الأقل اعترف بأنه قد أخطأ عندما رفع حكم الله، وألغى سنّة رسول الله التي ساوت بين الناس في العطاء، ووضع بدلاً منهما سنته الشخصية التي فضلت بالعطاء، وعبر عن هذا الندم بقوله: «إن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر».

العذر العجيب:

على الرغم من ندم الخليفة عمر على تعطيله لحكم الله، وعلى الغائه لسنة رسول الله، واعلانه لهذا الندم، واعترافه بخطأ ما فعل أو اجتهد برأيهم، فإنهم بعد مماته أخذوا يزدادون بحب الرجل، ويلتمسون له أعذاراً عجيبة لا يقرها العقل.

يقول القوشجي في معرض اعتذاره عن رفع سنة الله التي تأمر بالمساواة بين الناس في العطاء، واعطاء خمس الخمس لبني هاشم وبني المطلب، واحلال سنّة عمر التي تقضي بالمفاضلة بدلاً من المساواة بين الناس، ومنع الهاشميين حقهم - يقول:

«وأجيب عن هذه الوجوه بأن ذلك ليس مما يوجب قدحاً فيه، فإنه من مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية»[2].

تكييف مقالة القوشجي وشرح معناها:

معنى ذلك أن الرسول عندما أعطى الناس بالسوية خلال عهده الراشد كله، فعل ذلك كمجتهد، وأن مساواة الرسول للناس بالعطاء هي من قبيل الاجتهاد الشخصي من رسول الله كذلك فإنه عندما أعطى الخمس لذوي القربى لم يفعل ذلك تطبيقاً للآية القرآنية، انما فعل ذلك بوصفه مجتهداً!!

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١/ ١٥ وما فوق.

(٢) شرح التجريد للقوشجي ص٤٠٨.

وعندما آلت الخلافة الى عمر قرر العدول عن اجتهاد الرسول، وايجاد اجتهاد بديل منه، رأى عمر أنه أفضل!! وهذا العمل لا يشكل قدحاً في عمر بأي وجه من الوجوه؛ لأنه من قبيل مخالفة مجتهد وهو عمر لمجتهد آخر وهو رسول الله!! ولا حرج على عمر من مخالفته لرسول الله، لأن كلاهما مجتهد!!![1]

قال ابن أبي الحديد: «لم يخرج عمر بحكمه عن طريق الاجتهاد وما أدّى اليه اجتهاده»!! وقال في معرض اعتذاره عن تخلف أبي بكر وعمر عن جيش أسامة: «إن الرسول كان يبعث السرايا عن اجتهاد لا عن وحي يحرم مخالفته»[2].

وباختصار لقد تحولت تلك الإشاعة الى قناعة عامة، وصار الرسول مجرد مجتهد، ليس إلا، ومن حق الخليفة المتغلب في أي زمان، أن يأتي باجتهاد يغاير اجتهاد الرسول. ويبدو أن مزية التنافس بين النبي المجتهد وبين غيره محصورة بالخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر خاصة وعثمان بدرجة أقل، وبمستوى أدنى ملوك بني أمية بوصفهم صحابة كرام!!!

وأخيراً برأيهم أن النبي مجتهد، والقاعدة العامة: إن المجتهد مأجور أخطأ أم أصاب، والفرق أن المصيب له أجران وللمخطىء أجر واحد، ومن حق المجتهد، أي مجتهد أن يخالف مجتهداً آخر!![3]

والأهم من ذلك أن الاجتهاد وارد حتى في العبادات فزيادة الأذان الثالث يوم الجمعة من قبيل الاجتهاد[4]!! والاجتهاد قد يقع في حد من حدود الله ، قال القوشجي في معرض الاعتذار عن اسقاط عثمان القود عن عبيد الله بن عمر: «إنه

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ١٥٣ و٣/ ٨٠.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤/ ١٧٨.

(٣) شرح التجريد للقوشجي ص٤٠٨ وشرح النهج لابن أبي الحديد ٤/ ١٧٨ و٢/ ١٥٣ و٣/ ١٨٠ ومنهاج السنة لابي تيمية ٣/ ٢٠٣ وتاريخ ابن كثير ١٤/ ١٣٥ ومنهاج السنة ٣/ ١٩٣ والصواعق المحرقة لابن حجر ص١١٢.

(٤) منهاج السنة ٣/ ٢٠٤.

اجتهد ورأى أنه لا يلزمه حكم هذا القتل؛ لأنه وقع قبل عقد الإمامة له»[1].

والاجتهاد قد يستفيد منه أعداء الله، فالحكم بن العاص عدوٌ لله كان يؤذي رسول الله في الجاهلية والإسلام، لعنه الرسول، ولعن أولاده[2].

وأصدر الرسول أوامره بتغريب الحكم وولده، وقال: «لا يساكنني ولا ولده»، وعندما تولى أبو بكر الخلافة راجعه عثمان للسماح بعودة الحكم بن العاص فرفض أبو بكر، وبعد تولية عمر راجعه عثمان لنفس الغاية فرفض عمر، وعندما تولى عثمان الخلافة أدخله معززاً مكرماً، وألبسه جبة من طيلسان[3] وأعطاه صدقات المسلمين البالغة ٣٠٠ ألف درهم[4].

ولما مات الحكم ضرب عثمان على قبره فسطاطاً[5]. حزناً عليه، ولما قيل لشيعة عثمان: لم فعل عثمان ذلك؟ قالوا: «أداه اجتهاده الى ذلك لأن الأحوال تتغير»[6].

روى الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف قال: «كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال الرسول: «هذا الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون»[7].

ومع هذا أصبح هذا الولد بالاجتهاد رئيساً لوزراء المسلمين!!! وأعطى هذا الولد فدكاً، وهي التي أخذت من بنت رسول الله!![8]

كل هذه التناقضات قد جرت بدعوى الاجتهاد!!! وكثمرة من ثمرات

---

(١) شرح التجريد ٤٩ وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٢٤٣.
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٢٧ و٢٨ ومستدرك الحاكم ٤/ ٤٧٩ ـ ٤٨١.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ص١٦٤.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٦٨.
(٥) أنساب الأشراف ٥/ ٢٧.
(٦) شرح النهج لعلامة المعتزلة ١/ ٢٣٣.
(٧) مستدرك الحاكم ٤/ ٤٧٩ ـ ٤٨١.
(٨) شرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٦٧ والمعارف لابن قتيبة ص٨٤.

الشائعات التي أطلقها قادة التحالف، والتي تظافرت معاً وخلقت وضعاً حقوقياً لا مثيل له!!

وعلى فرض أن الرسول قد قال للناس: «إنّ علي بن أبي طالب هو وليكم من بعدي و... الخ»، فأقوال الرسول هذه ليست ملزمة للأسباب الواردة وبالشائعات الآنفة الذكر، وأن أقوال الرسول من قبيل الاجتهاد، وليست وحياً يحرم مخالفته!!! وهذه هي المرامي البعيدة لتلك الشائعة المشؤومة.

اشاعتان معاً:

١ ـ الرسول لم يستخلف أحداً إنما خلى على الناس أمرهم.

٢ ـ الرسول لم يجمع القرآن والخلفاء الثلاثة هم الذين جمعوه.

معنى هاتين الشائعتين:

أطلقت هاتان الإشاعتان معاً ومفادهما الترك، فعلى المستوى القيادي فإن رسول الله قد خلّى للناس أمرهم، ولم يستخلف أحداً من بعده لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل ترك أمته بلا راع ولا قائد، ولا بين لها كيف تختار ولا من تختار. فجاء الخلفاء الثلاثة ورتبوا أمر القيادة من بعد النبي وتلافوا بعبقريتهم الفذة ما أغفله النبي!! هذا على الصعيد القيادي.

أما على الصعيد القانوني فإن الرسول قد انتقل إلى جوار ربه، وترك القرآن في صدور الرجال ولم يجمعه، وخشي الخلفاء الثلاثة أن يضيع القرآن بعد أن يقتل حفظته أو يموتوا، لذلك شمّروا عن سواعدهم وجمعوا القرآن، ولولا بعد نظر أولئك الخلفاء لضاع القرآن واندثر، وهكذا تلافى الخلفاء العباقرة ما أغفله النبي، وبخطوتهم المباركة حفظوا القرآن من الضياع!!

اثبات الشائعتين:

١ ـ إثبات شائعة ترك الرسول للأمة دون راع كقول أبي بكر: «إن الله بعث محمداً نبياً، وللمؤمنين ولياً، فَمنَّ الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتى اختار الله له

ما عنده، فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم ما فيه مصلحتهم متفقين لا مختلفين، فاختاروني عليهم ولياً ولأمورهم راعياً. .»[1].

فأبو بكر هو أول من أشاع بأن الرسول قد خلى على الناس أمرهم، أي ترك أمته بعده بغير راعٍ وترك للأمة حرية اختيار هذا الراعي في ما بعد، وبيان كيفية اختيارهم له!!

وجاء في تاريخ الطبري أن أبا بكر قال في مرضه الذي توفى منه: «ووددت أني سألت رسول الله لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد؟!! ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟!»[2]

فأبو بكر يؤكد هنا صحة هذه الشائعة.

وعمر هو ثاني من أشاع شائعة ترك الأمة بدون راعي:

أخرج أبو نعيم في حليته، ومسلم في صحيحه، والبخاري في صحيحه، والبيهقي في سننه، وابن الجوزي في سيرة عمر ما يلي:

«إن ابن عمر قال لأبيه: إن الناس يتحدثون أنك غير مستخلف، ولو كان لك راعي ابل أو راعي غنم، ثم جاء وترك رعيته، رأيت أنه قد فرط، ورعية الناس أشد من رعاية الابل والغنم!! ماذا تقول لله عز وجل إذا لقيته ولم تستخلف على عباده؟ قال ابن عمر: فأصابته كآبة، ثم نكس رأسه طويلاً ثم رفع رأسه وقال: وأي ذلك أفعل فقد سُنّ لي «إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف، وإن استخلف فقد استخلف أبو بكر»!![3]

وأنت تلاحظ أن عمر قد جعل فعل أبي بكر سنة، وجعل فعل النبي سنة، وأعطى نفسه صلاحية اتباع أي السنتين ولم يفرق بينهما!! وقد توصل الى هذه النتيجة بعد تفكير طويل، والحديث مروي عن ابنه، ورواه الثقات من شيعة

---

(١) ابن قتيبة الدنيوري في الإمامة والسياسة ١/ ١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٣ وفي العقد الفريد ٢/ ٢٥٤.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٤٤.

الخليفتين!! وعمر يؤكد في هذا الحديث بأن الرسول لم يستخلف!!

وروى المسعودي في مروج الذهب أن عبد الله بن عمر دخل على عمر بن الخطاب وهو يجود بأنفاسه، فقال له: «يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد، فإنه لو جاءك راعي ابلك أو غنمك، وترك ابله أو غنمه لا راعي لها للمته، وقلت له: كيف تركت أمانتك ضائعة؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟» فأجابه عمر: «إن ادع فقد ودع من هو خير مني ـ يعني الرسول ـ وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ـ يعني أبا بكر ـ»[1].

فعمر يصرِّح بأن الرسول لم يستخلف، ويساوي بتصريحه هذا بين فعل أبي بكر وفعل الرسول!!

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص٢٢ أن عمر لما أحس بالموت قال لابنه عبد الله: «اذهب الى عائشة واقرئها السلام، واستأذنها أن أقبر مع رسول الله ومع أبي بكر. فأتاها عبد الله، فأعلمها فقالت: حباً وكرامة، ثم قالت: يا بني ابلغ عمر سلامي وقل له لا تدع أمة محمد بلا راعٍ.. استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً، فاني أخشى عليهم الفتنة!! فأتى عبد الله عمر فأعلمه فقال عمر: ومن تأمرني أن أستخلف لو أدركت.. الخ»[2].

وأخرج البلاذري في أنساب الأشراف عن ابن عباس قال: «قال: عمر لا أدري ما أصنع بأمة محمد وذلك قبل أن يطعن؟ فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه؟...»[3].

تكييف هذه الشائعة:

راجت الشائعة التي روّجها قادة التخالف، وقد اتضح أن أول من أطلقها هو أبو بكر وعمر وبفضل وسائل اعلام التحالف التي كانت تحت سيطرة قيادات

---

(١) مروج الذهب ٢/ ٢٥٣.
(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٢٢ واعلام النساء ٢/ ٧٨٦.
(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ١٦.

التحالف طوال التاريخ، تحولت هذه الشائعة إلى قناعة آمنت بها الأكثرية الساحقة، لأنها صدرت عن أبي بكر وعمر وهما فوق الشبهات.

وقد رأينا أن عبد الله بن عمر وصف حالة ترك الأمة بدون راعٍ بأنها تضييع للأمانة، وأنها تفريط، وأنها محل لوم يترفع عن الوقوع فيها راعي الإبل أو راعي الغنم، وأن ترك الأمة بدون راعٍ يعني تركهم هملاً على حد تعبير عائشة، ويؤدي إلى الفتنة حسب توقُّع أم المؤمنين!!!.

فهل يعقل بربكم أن يكون راعي الغنم أو الإبل أو عبد الله ابن عمر أو أم المؤمنين أبعد نظراً، وأدرك لعواقب الأمور من رسول الله وهو صفوة الجنس البشري؟!! وهل يعقل أن يكون ابن عمر أو أبوه أو أم المؤمنين أو ابن أبي قحافة أكثر رحمة من النبي بأمته!!!

ثم فكرة ترك الرسول للأمة دون أن يعين خليفة من بعده، أو يبين على الأقل طريقة تعيينه، فكرة تتعارض مع كمال الدين وتمام النعمة!! وهل يعقل أن يبين الرسول المهم ويترك الأهم!!![1]

لأردّنها للذي دفعها إليّ أول مرة:

أخرج الطبري في الرياض النضرة[2] كما أخرج أبو ذر عن ابن عمر أنه قال: «لما طعن عمر قلت: يا أمير المؤمنين لو أجهدت نفسك وأمرت عليهم رجلاً؟.. فقال عمر: «والذي نفسي بيده لأردنّها للذي دفعها إليّ أول مرة» ويقصد به عثمان حيث كلفه أبو بكر بكتابة عهده فقال لعثمان: اكتب «اني قد وليت عليكم... ثم أغمى على أبي بكر من شدة الوجع فكتب عثمان «عمر»، أي أكملها عثمان من تلقاء نفسه، ولما أفاق أبو بكر طلب من عثمان أن يقرأ له ما كتب، فسر الخليفة وقال لعثمان: «لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها»، بمعنى أن

---

(١) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٧١ وما فوق تجد التنظير المنطقي لهذه الشائعة.
(٢) ٢/ ٧٤.

الذي ردّها اليه هو عثمان وبالفعل فقد برّ الخليفة بقسمه فولى عثمان عملياً بالرغم من «الديكور» أو طريقة الإخراج.

العجب العجاب:

المدهش أنه إذا كان رسول الله قد ترك الناس ولا راعي، أو بتعبيرهم خلى على الناس أمرهم، فلماذا لم يقتد الخليفتان بمحمد؟! ولماذا لم يخليا على الناس أمرهم!! فقد استخلف أبو بكر عمر، واستخلف عمر عثمان عملياً والستة نظرياً؟!!! ومن العجب العجاب أن عملية استخلاف أبي بكر لعمر، واستخلاف عمر لعثمان تمت بأمر الرجلين وهما على فراش الموت، فأبو بكر يأمر والرعية تنفذ، وعمر يأمر، والرعية تجري وتنفذ وصيته كأنها نص الهي. وبالمناسبة لست أدري لماذا لم يعامل الرسول بمثل هذه المعاملة، ولم يحترم مثل هذا الاحترام!! فما أن قال الرسول: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، حتى تصدى له عمر وحزبه فقال: إن الرسول قد هجر حسبنا كتاب الله!!! إنه من العجب العجاب حقاً أن تعلو مكانة الخليفة على مكانة النبي، وأن يكرم الصحابي أكثر مما يكرم النبي، ومع هذا لا أحد يعتذر!! ولا أحد يقف عند هذه القاصمة، ولا أحد يوجه أي لوم لفاعليها!!

عظمة الخلفاء وجمع القرآن:

وقد أشاعوا أن النبي لم يكتف بترك أمته ولا راعي لها فحسب؛ إنما ترك معجزته العظمى وهي القرآن دون جمع ولا كتابة، ولولا الخلفاء الثلاثة لضاع القرآن واندثر، فاضطروا أن يشمروا عن سواعدهم وأن يجمعوا القرآن، وقد أثبتنا عدم صحة هذه الإشاعة بكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٥.

الفصل الثاني:

الشائعات مقاطع في نظرية جديدة متداعية

الشائعات التسع التي أطلقها قادة التحالف تشكل في حقيقتها ومرماها تقاطيع نظرية جديدة متداعية، تكشف طبيعة قاعدة التحالف وأسلوب عملهم، وتصورهم لمستقبل الإسلام، وكل شائعة من هذه الشائعات ترمي هدفاً قصده قادة التحالف.

المقطع العقائدي:

فقادة التحالف يعتقدون أن محمداً نبيٌ ورسول، ولا يُجدي إنكار هذا الاعتقاد فقد حاربته بطون قريش ٢٣ عاماً لصرف شرف النبوة عن محمد الهاشمي، وكلما قاومت البطون هذا الشرف كلما ترسّخ أكثر، ولا مصلحة لقادة التحالف الآن إلا بنبوة محمد القرشي الذي نجح بتأسيس ملك، وما عليهم إلا أن يحسنوا اقتناص الفرص ليرثوا ابن البطون محمد بهذا الملك.

وقادة التحالف أيضاً يعتقدون أن القرآن الكريم من عند الله، إذ لا جدوى من انكار هذه الحقيقة، ولا مصلحة لهم بانكارها. فإذا أنكر قادة التحالف نبوة محمد، وأنكروا القرآن، انفض العرب من حولهم بعد موت النبي، وتبخرت أحلامهم بوراثة ملك العرب عن محمد!!! هذه طبيعة دين قيادة تجمع التحالف، وهو دين قائم على المصلحة، ومختلط بأحلام ملك قريش. وهذا هو الأساس الأول للوحدة العجيبة التي جمعت أبا بكر وعمر ومعاوية وأبا سفيان وطلحة وعمرو بن العاص وخالد وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وعثمان، فصار أعداء الأمس أحباب اليوم!!!

المقطع السياسي:

البطن الهاشمي ليس غريباً على بطون قريش، فهاشم وعبد المطلب، وأبو طالب، كلهم أسياد ومن خيرة شيوخ الوادي على حد تعبير أبي سفيان، وبكل الموازين فإن البطن الهاشمي هو أحد بطون قريش، والبطون أخوة لا فرق بينهم، وقد بدأ الهاشميون الخصام والقطيعة فلم يقبلوا أن يسيروا مع اخوانهم بطون قريش ال٢٤ إنما انفردوا وشذوا عن البطون ورغبوا بالتميز عنهم، وادعى أحدهم النبوة وهو محمد، فاضطرت بطون قريش مجتمعة أن تقف ضده، وأن تقاومه وتحاربه طوال ٢٣ عاماً، ولكن الهاشميين انتصروا وتميزوا عن البطون بالنبوة، وها هي البطون أخيراً مجتمعة تعترف بمحمد الهاشمي كنبي، فمن الحكمة أن تقف مطامع الهاشميين عند حد معين، وأن يكتفوا بتميزهم بالنبوة!!

ولكن قادة التحالف يلاحظون أن محمداً والهاشميين لا يقفون عند حد معين، فمحمد يقدّم ابن عمه علي بن أبي طالب للأمة ليكون الإمام والقائد والمرجع من بعده، ويقول محمد: إن الله هو الذي أمره باختيار علي للقيادة والإمامة والمرجعية من بعده!! وهذا أمر لا تقبله البطون، فمن غير المعقول أن النبي من بني هاشم وأن يكون خليفته من بني هاشم!! هذا أمر يفوق التصوُّر والتصديق!! ولا يكتفي محمد بذلك، انما يعطى أهل بيته دوراً مميزاً وأبدياً. وها هو محمد يقول: بأن الهداية لا تدركها الأمة إلا بالقرآن وبعترته أهل بيته معاً، وليس بامكان الأمة أن تتجنّب الضلالة إلا بالقرآن وبأهل بيته معاً!!، والكارثة أن محمداً يقول: بأن الله قد أمره باعلان ذلك. فإذا نجح محمد بمخططه هذا فإن الهاشميين سيحصلون على الملك والنبوة معاً وينالون الشرفين، ويحرمون البطون من هذين الشرفين معاً!!! فمن غير الممكن أن يأمر الله بذلك وأن يخص الهاشميين بالنبوة والملك معاً!! ومن غير الممكن أن يعطى أهل بيت محمد من دون البيوت دوراً مميزاً في الأمة!!! إنّ هذا هو الإجحاف بعينه.

الحل العادل:

وقد اتفقت بطون قريش، المهاجر منها والطليق، على أن توجهات محمد ليست معقولة، وليست ودية، وفيها شيء من الإجحاف إذ ليس من العدل والإنصاف أن ينال الهاشميون شرف النبوة والملك وحدهم، ولكن الإنصاف والصواب والعدل يتحقق بترك النبوة خالصة لبني هاشم، لا ينازعهم فيها أحد من البطون، وأن يترك الهاشميون الملك أو الخلافة للبطون لتتداولها بينها، وعلى هذا أجمعت بطون قريش، المهاجر منها والطليق، وسلمت أمرها لعمر بن الخطاب ولأخيه أبي بكر، فهما صهرا الرسول، وهما مهاجران، وليسا موضع شبهة، وكان عمر بن الخطاب مهندس هذا الحل، ومنظّر النظرية برمتها، وأحد الّذين فُتنوا بعبقرية هذا الحل وأعظم المخلصين له.

ما هي علاقة المنافقين بأحلام بطون قريش؟ ولماذا انضموا الى هذا التحالف؟

منافقوا المدينة وما حولها من الأعراب ومنافقوا مكة ـ لعنهم الله جميعاً ـ كافرون بنبوة محمد، وكافرون بكل ما جاء به محمد، وقد أظهروا الإسلام نفاقاً أما قلوبهم فهي تغلي بالكراهية والحقد على محمد وعلى آل محمد، وفكرة القضاء على محمد مستحيلة، وفكرة القضاء على دين الإسلام أكثر استحالة، وحيث إن بطون قريش قد قررت بالإجماع الاتحاد ضد آل محمد، ورفض ترتيبات محمد لعصر ما بعد النبوة، فتلك فرصة المنافقين الذهبية للانتقام من آل محمد، ودحرهم عن مركز القيادة، وللقضاء على دين محمد، وذلك بتخريب الجانب السياسي منه، هذا هو السبب بالتفاف كل المنافقين حول قيادة التحالف، وإخلاصهم لقضية قادة التحالف، وهذا هو السبب الذي أدى لذوبان النفاق بالتحالف، وتستره به، واختفاء كلمة النفاق من المسرح السياسي بعد موت النبي!!

مقطع التشكيك بذات الرسول وعقله وقوله ورؤيته للمستقبل:

علاوة على الحركة التنظيمية للتحالف، وعلاوة على وحدة الهدف، فقد اتفق قادة التحالف على التشكيك بذات الرسول، وبعقله، وبقوله، وبرؤيته للمستقبل، فزعموا أن كل أقوال الرسول لا ينبغي أن تُحمل على محمل الجد، لأنه بشر معرّض للخطأ للصواب ويتكلم بالغضب والرضى. وقد وثقنا هذا الزعم عند معالجة الشائعة الأولى، والدليل أنه يفقد السيطرة على أعصابه فيشتم الناس ويسبهم ويلعنهم بدون ذنب ولا سبب، وقد وثقنا هذا الزعم عند معالجة الشائعة الثانية، ومما يزيد المخاوف أن النبي أحياناً يخيل اليه أنه يفعل الشيء وما فعله!!! وقد وثقنا هذا الزعم عند استعراض الشائعة الثالثة، والأدهى أن السن قد أثّر عليه حتى أنه يسقط أحياناً من القرآن الكريم، وقد وثقنا ذلك عند طرح الإشاعة الرابعة، والمخيف بالرسول أنه يهجر، فيطلق ألفاظه وأقواله دون أن يكون مالكاً لقواه العقلية!! وأجمعت الأمة على واقعة صدور هذا اللفظ من عمر بن الخطاب، والرسول لا يهتم بمصلحة الأمة، حتى أنه مات وترك أمته بدون راعٍ، والقرآن وهو برهان نبوته تركه بدون جمع!!!

كل هذه العيوب التي تضمنتها الشائعات الفاسدة تلقي ظلالاً كثيفة من الشك بكل ما قاله النبي، وبكل ما وصّى به، وكل ما صدر منه خاصة في الجانب المتعلق بالقيادة من بعده، وتهيب بأصحاب الهمة لينقذوا الإسلام من هذا الرجل، ويخططوا لمستقبل الإسلام نيابة عنه!!! فالنبي في أحسن الأحوال ليس أكثر من مجتهد قد يصيب قوله وقد يخطىء، وقد منّ الله على الأمة بمئات المجتهدين كعمر وأبي بكر رضي الله عنهما، حيث ينظران فما وافق الصواب من كلام الرسول أقره المجتهدون، وما خالف الصواب تركاه واجتهدا غيره، ولحسن حظ الإسلام أن القرآن موجود فالقرآن وحده يكفي، ولا حاجة لتوجيهات أو أقوال شخص كالرسول مشكوك بكل أقواله!!! وقد حقق هذا أهدافه كاملة، وسهّل لقادة التحالف في ما بعد أن يحولوا اشاعاتهم الى قناعات، وأن يحرقوا المكتوب من أحاديث الرسول، وأن يمنعوا تداول هذه الأحاديث منعاً باتاً، وقد أجمعوا

على ذلك حتى وصل الأمر بأحد قادة التحالف أن أصدر مرسوماً يقضي بإباحة دم من يروي شيئاً من فضل علي بن أبي طالب أو أهل بيته؟

مقطع القرآن والقيادة الموازية:

وهكذا أُخرج النبي بذاته وقوله وفعله من ساحة التأثير على مسرح الأحداث، وليبقى التحالف داخل دائرة الاسلام الكبرى، رافعاً شعار: «حسبنا كتاب الله»، أي أن كتاب الله وحده يكفي ولا حاجة لأي قول آخر. ولقد أدرك التحالف أنه لا بد من قيادة تسوس التحالف، وتقوده الى تحقيق أهدافه، رافعة بوجه النبي شعار «حسبنا كتاب الله». وساقت العناية الإلهية أبا بكر وعمر وعثمان ويزيد ومعاوية أبناء أبي سفيان وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهم ليقودوا ويوجهوا سفينة الإسلام كقيادة موازية لقيادة الرسول أثناء حياته، وكقيادة مستقبلية لعصر ما بعد النبوة بالتعاون والتكاتف مع منافقي المدينة، وما حولها من الأعراب، ومع بطون قريش مهاجرها وطليقها الذين أصلحهم الله بيوم وليلة، وجمعهم على هدف واحد وهو الحيلولة بين آل محمد وحقهم الشرعي بالقيادة والتميّز. وهكذا صار القرآن نظرياً هو الدستور الوحيد لهذا التحالف، وأُبعد قول الرسول وفعله وتقريره وبالنهاية استبعد الرسول نفسه وقالوا انه (حاشا له): يهجر. ولضمان وحدة التحالف وُجدت قيادة موازية لقيادة الرسول أثناء حياته ولتنفرد بالحكم بعد وفاته.

مقطع أمة المستقبل بعد وفاة النبي:

واستقطب قادة التحالف حول شائعاتهم جمهوراً كبير يتعاطف مع تلك الشائعات ويؤمن بها، ويسعى لتطبيقها، ومقتنع أن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لا لحديث الرسول ولا لفعله ولا لتقريره، ومقتنع إنه ليس من العدل والانصاف أن يجمع الهاشميون النبوة والملك معاً، وعلى هذا أجمعت قيادة التحالف وقاعدته المكوّنة من بطون قريش، مهاجرها وطليقها، مسلمها ومنافقها، وعلى هذا أجمعت قاعدة التحالف وجمهورها المكوّن من أبناء بطون قريش جميعاً إلا الهاشميين، وبني المطلب ومن عصم الله، ومن منافقي المدينة ومن حولها من

الأعراب، ومن المرتزقة من الأعراب الذين لا همَّ لهم إلا المغنم.

تكييف التحالف:

صار التحالف دولة داخل دولة، له عيونه والمتعاطفون معه حتى في داخل دار النبي نفسه، وصارت قيادة ظل مع وجود القيادة الشرعية، فإذا انتقل النبي إلى جوار ربه يتسلم التحالف السلطة بيسر وسهولة.

شعارات الدولة الجديدة:

محمد رسول الله بلغ الرسالة، وهي القرآن الكريم، هذا القرآن وحده يكفي الأمة؛ لأنه كلام الله الذي بيّن كل شيء، ولا حاجة لحديث الرسول لأنه يورث الخلاف، ولا لفعل الرسول ولا لتقريره، فهو بشر!! فمن يترك رب البشر ويتمسك بالبشر!! والنبوة تكفي الهاشميين!!، ولا حاجة لتميز أهل بيت النبوة بحجة أنهم أقارب الرسول، فبطون قريش كلها ذوو قرباه ومشيخة بطون قريش أولى بمحمد!!، والأمر شورى.

مقطع عزل المؤمنين:

واقعياً عُزل المؤمنون الصادقون وصاروا أقلية، وفوجؤوا بما يجري، فإما أن يسيروا بمعاكسة التيار العام فيخسروا مصالحهم، ويقفوا وجهاً لوجه أمام سلطة حقيقية تملك المال والدور والقوة، وقد يخسرون حياتهم ودينهم، وإما أن يسلِّموا ما سلم الإسلام، وما سلمت أمور الناس ما داموا ضمن دائرة التوحيد، ورأوا أن الحل الأخير أنسب وأسلم، حتى يجعل الله للأمر مخرجاً، ويزول الالتباس بين الحق والباطل. وقد فهم المؤمنون الصادقون أن الحقد على آل محمد وكراهيتهم هو محور التحالف وقاعدته، وأن إقصاء أهل بيت محمد عن حقهم بقيادة الأمة هو الهدف المشترك للتحالف. وقد لاحظ المؤمنون الصادقون أن بطون قريش ومن خلفها أكثرية العرب قد اتحدت ضد علي وأهل بيت النبوة لتصرف عنهم القيادة، كما اتحدت ضد النبي وبني هاشم لتصرف عنهم النبوة، فسالت نفوس

المؤمنين الصادقين حسرات، وأدركوا أن جرح الإسلام خطير، وأن المعالجة أشد خطورة.

التحالف لم يتشكل عفوياً:

لو أن قيادة التحالف رضيت بالله ورسوله، وقبلت ما اختاره الله ورسوله ما اختلف على علي بن أبي طالب ولا على أهل بيته اثنان، ولما تجرأ أحد على نقض الترتيبات الإلهية، ولرافق تنصيب علي موت النبي، وصارا بمثابة خطوة تلي خطوة بلا رجة ولا هزة، ولكن قيادة البطون جرأت الناس على الترتيبات الإلهية، وجهرت بالطعن فيها، وكتلت الناس لإلغائها، وشككت برسول الله نفسه، وبقوله وفعله وتقريره، واستبعدت أن تكون كل أقوال الرسول من الله تعالى، ثم واجهته شخصياً وقالوا للرسول: أنت تهجر، فاستخف الناس بالترتيبات الإلهية، واغتنم المنافقون وأعداء الإسلام الفرصة وهم كثر، فالتفوا حول قيادة التحالف وشجعوهم ليمضوا قدماً بالتفريق بين الرسول وبين القرآن، وبين الأمة وبين قيادتها الشرعية، وبين الترتيبات الإلهية وحظها من التطبيق، وأعلن الجميع أنهم مجتهدون ضمن دائرة التوحيد والاسلام الكبرى!! وهكذا كان.



الفصل الثالث:

مزايدات قادة التحالف على رسول الله
ودورهم في معارك الإسلام

من هم قادة التحالف؟

أكثرية قادة التحالف من بطون قريش، فقد اتفقت بطون قريش كلها باستثناء البطن الهاشمي وبطن بني المطلب على الحيلولة بين الهاشميين وبين قيادة الأمة بعد وفاة النبي، وعلى الاتحاد ضد علي وضد توجهات النبي، ولكن هذه المرة تحت مظلة الإسلام. ومن هنا وقف الذين أسلموا وهاجروا من بطون قريش مع الذين أسلموا من البطون يوم الفتح وقفة رجل واحد، للمحافظة على بنية البطون القريشية وشرفها وحقها المهظوم!! واختار تحالف البطون قيادة جديدة تتألف من مهاجري البطون وطلقائها، وتم الاتفاق على تسليم قيادة التحالف الى مهاجري البطون وتقديم المهاجرين إلى الصف الأول، ويبقى الطلقاء في الصف الثاني، حتى لا يثيروا انتباه العامة، وسواد الأمة!! وهكذا تكونت قيادة البطون من خليتين.

الخلية الأولى: من قيادة البطون في الإسلام:

وتتألف من عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد، وكلاهما من بني عدي، ومن أبي بكر الصدِّيق وطلحة بن عبيد الله، وكلاهما من بني تيم، ومن أبي عبيدة عامر بن الجراح، وهو من بني الحارث بن فهر، ومن الزبير بن العوام وهو من بني أسد بن عبد العزّى. ومن عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وكلاهما

من بني زهرة بن كلاب، ومن عثمان بن عفان وعمرو بن العاص، وكلاهما من بني أمية، ومن خالد بن الوليد وهو من بني مخزوم.

قال عمر بن الخطاب في ما بعد: إن رسول الله قد انتقل الى جوار ربه وهو راضٍ عن هؤلاء جميعاً، وقد اشتهرت هذه الخلية في ما بعد بأن رجالاتها جميعاً باستثناء خالد بن الوليد وعمرو بن العاص من المبشرين بالجنّة[1].

وتم التركيز على أن هؤلاء هم المبشرون بالجنة من دون الناس، وأهملت مئات النصوص التي بشرت غيرهم بالجنة، وأهملت وسائل الاعلام في ما بعد سادات أهل الجنة: «النبي، وعلي، وجعفر، وحمزة، والحسن، والحسين»[2].

على أي حال لقد برزت هذه الخلية، وفرضت رأيها فرضاً من اللحظة التي مرض فيها رسول الله، وواجهت الرسول نفسه، وحالت بينه وبين كتابة ما يريد، وقالت له وجهاً لوجه: أنت تهجر!![3]، وبعد ذلك عينت حاكمها الجديد وسمته خليفة النبي، فكان الخليفة منهم، والنائبان منهم. وعندما مرض أبو بكر عهد بالخلافة لعمر بن الخطاب، وعندما مرض عمر عهد بالخلافة لعثمان عملياً وسمى ستة قدّر أن الخلافة لا تصلح إلا لواحد منهم، وحقيقة مقصده أنه أراد أن يكثّر منافسي علي وأهل بيت النبوة على رئاسة الأمة، ليبقى دائماً طالب للخلافة ومنافس لأهل بيت النبوة، وقد عالجنا هذا الموضوع في كتبنا النظام السياسي في الإسلام، ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية، ووثقنا كل كلمة قلناها.

هذه الخلية تمثل وحدة بطون قريش، وقد بايعت بالاجماع عمر بن الخطاب وأبا بكر ليكونا رئيساها.

---

(١) الترمذي في جامعه ١٣/ ١٨٣و١٨٦ وابن الربيع في تيسير الفصول ٣/ ٢٦٠ والرياض النضرة للطبري ١/ ٢٠ والغدير للأميني ١/ ١٤٨ و١٤٩ وما فوق.

(٢) مستدرك الصحيحين ٣/ ٢١١ و٢/ ٢٠٩، والرياض النضرة ٢/ ٢٠٩، وسنن ابن ماجه ص٣٠٩ باب خروج المهدي، وتاريخ بغداد ٣/ ٤٣٤.

(٣) التوثيق في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٨٧ وما فوق.

ولا بد من الإشارة بأن الخلية لم تضم الزبير أولاً لأنه كان يتعاطف مع أخواله بني هاشم وكان في صفهم، ولما برز ابنه عبد الله وناصب أهل بيت النبوة العداء، تمكن من جرّ أبيه إلى الصف المعادي لأهل بيت النبوة.

ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كانا همزة الوصل بين المهاجرين من بطون قريش وبين الطلقاء، وقد هندسوا بالتعاون مع يزيد ومعاوية أركان التحالف والوفاق بين هذين الفريقين حتى اتحدت قريش ضد الولي وبني هاشم تماماً كما اتحدت ضد النبي وبني هاشم، والفرق أنهم في المرة الأولى اتحدوا تحت مظللة الشرك، وهم يتحدون الآن تحت مظلة الإسلام.

الخلية الثانية: من قيادة البطون في الإسلام:

يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، والحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس، ومروان بن الحكم بن العاص، والوليد بن عقبة بن معيط، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، وعبد الله بن عامر بن كريز الأموي، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وغيرهم من سادات بطون قريش وأبناء ساداتهم الذين قادوا جبهة الشرك وقاوموا النبي وحاربوه بكل وسائل المقاومة وفنون الحرب، حتى أحيط بهم وأسلموا يوم الفتح مكرهين.

الخليتان فريق واحد:

وهكذا اتحدت بطون قريش في الإسلام ضد الولي علي بن أبي طالب وضد الهاشميين تماماً كما اتحدت بطون قريش في الجاهلية ضد النبي وضد بني هاشم، والفرق بين الحالتين أنهم عندما اتحدوا ضد النبي اتحدوا تحت مظلة وخيمة الشرك وعندما اتحدوا ضد الولي اتحدوا تحت مظلة وخيمة الإسلام.

أشار الإمام علي إلى واقعة الاتحاد هذه بقوله: «اللهم اني أستعينك على

قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي»[1].

هذا الفريق هو العمود الفقري لقيادة التحالف:

بمعنى أن سادات البطون الذين حاربوا النبي، ثم أسلموا يوم الفتح، والمهاجرون من أبناء البطون الذين أسلموا قبل الفتح، وحاربوا مع النبي صاروا فريقاً واحداً وصاروا هم العمود الفقري ومركز التدبير والتخطيط للتحالف الذي قام بين بطون قريش وبين المنافقين والمرتزقة من الأعراب وطلاّب الجاه والدنيا من الأنصار، وساعد سادات البطون أشخاص متنفذون من المنافقين والأعراب.

هل لهذا الفريق دور بارز في معارك الإيمان التي جرت في عهد النبوة؟

يتساءل الإنسان المحايد عن مصلحة هذا الفريق الواحد من انحراف مسيرة الإسلام، ومن الإهتمام برسم معالم القيادة بعد وفاة النبي، فيخطر على البال: ربما كان لهذا الفريق الواحد دور مميز في معارك الإيمان التي جرت في عهد النبوة المجيد؟ لقد قلنا أن قيادة هذا الفريق قد تكونت من خليتين: الخلية الأولى تتكون من التسعة الذين عرفوا بأنهم مبشرون في الجنة، والخلية الثانية تتكون من سادات قريش الذين أسلموا يوم الفتح، وقلنا أن الأساس الذي قام عليه الاتفاق بين الخليتين هو الإجماع على صرف مركز القيادة عن أهل بيت النبوة!! وللإجابة على السؤال الذي طرحناه نتناول الخلية الأولى المكوّنة من التسعة المبشرين بالجنة، ونبحث عن أدوار مميزة لهم في المعارك التي جرت في عهد النبوة.

كانت معركة بدر أعظم معركة وأول معركة، ومع أن التاريخ قد كتبه قوم يتشيّعون لرجالات الخلية الأولى، إلا أننا لا نرى لأي رجل من رجالات هذه الخلية دوراً مميزاً في هذه المعركة، فرئيس هذه المجموعة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لم يرو أحد بأنه قد قتل رجلاً واحداً من المشركين، صحيح أن

---

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٣/ ٣٥١ شرح حسن تميم.

الواقدي قد روى أن عمر قد قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وبالتتابع قال الواقدي: أن عمار بن ياسر هو الذي قتل العاص، ثم قال: ويقال أن الذي قتله هو علي (عليه السلام)[1].

مما يعني أن رواية أن عمر قد قتل خاله غير صحيحة لأنها تتعارض مع مسيرة عمر، ومع نسيجه النفسي، ومع طبيعة بني عدي التي لم تألف القتال، ومع أن بني عدي قد خرجوا مع بطون قريش تحت الضغط الشعبي لملاقاة محمد في بدر إلا أن بني عدي رجعوا من الطريق، فقال لهم أبو سفيان كلمته الشهيرة: «لا مع العير ولا مع النفير» كما أثبتنا ذلك ووثقناه، ولنفترض أن عمر قد قتل خاله، فليس كثيراً على رجل له أحلام عمر ومظاهره أن يقتل أحد المشركين في معركة لها أهمية معركة بدر، وتلت معركة بدر معركة أُحُد ففر عمر من المعركة وترك الرسول. وفي غزوة الخندق لم يكن له أي دور بارز، وسمع عمرو بن ود ولم يجبه، وفر في حنين، تلك أمور لا خلاف عليها. بمعنى أنه ليس لعمر ـ رضي الله عنه ـ دور بارز يتناسب مع عظيم أحلامه وطمعه بالملك!! وفر في خيبر، وقد وثقنا ذلك.

كذلك سيدنا أبو بكر فلم يروِ أي مؤرِّخ على الاطلاق أن أبا بكر قتل مشركاً أو جرحه أو سلبه في معركة بدر أو أي معركة من معارك الإيمان، ولا خلاف بأن الرجل فر في معركتي أُحُد وحنين، انه رجل مسالم يميل الى السفارة، ويعشق العلية، وفر في خيبر وقد وثقنا ذلك.

أما عثمان وطلحة فلم يشهدا معركة بدر[2]. وفر عثمان في معركة أُحُد، ولم يكن له دور في معركة الخندق، وفر في حنين. وأما أبو عبيدة، فتقول إحدى الروايات أنه قد قتل مشركاً في بدر، وتقول رواية أن الزبير قتل مشركين.

على أي حال فإن هؤلاء الصحابة الكرام قد بذلوا جهدهم بدون سرف ولا تقتيل وناصحوا لله ولرسوله في حدود طاقتهم واستعدادهم، ولكن الجهد الذي

(١) مغازي الواقدي ١/ ١٥.

(٢) مغازي الواقدي ١/١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

بذلوه في الاسلام لا يتناسب وأحلامهم بالملك، واستعدادهم واعدادهم لتحمل تبعاته، ولا يتطاول إلى مستوى الجهد الخارق الذي بذله علي بن أبي طالب خاصة وآل البيت وبنو هاشم عامة!!!

أما الخلية الثانية التي تُعد نفسها للتصدر، ولرسم مستقبل الإسلام بعد وفاة النبي، فهم قادة الشرك وأبناء قادته الذين حاربوا النبي وقاوموه بكل فنون الحرب، وبكل وسائل المقاومة حتى أُحيط بهم فأسلموا وهم كارهون.

فهل يحق لهؤلاء أن يحلموا بالملك على المسلمين، وهل يحق لهم أن يرسموا مستقبل الإسلام والمسلمين بعد موت النبي، وهم قدامى المحاربين الذين حاربوا النبي، وهل يحق للطليق أن يقود المهاجرين، وللجاهل بدين الله أن يعلم العالم، ولنفترض أن الملك قد وصل اليهم، فكيف يحكمون بكتاب الله وهم لا يعرفونه، وبسنة رسول الله وهم يجهلونها!!!

ولكن هذا حدث فالذين حاربوا النبي وهم بطون قريش اتحدوا مع الذين هاجروا مع النبي من بطون قريش إبعاد أهل بيت النبوة عن مركز قيادة الأمة بعد موت النبي، ونجح هذان الفريقان باقصاء أهل بيت النبوة عن مركز قيادة الأمة بعد وفاة النبي، مثلما نجحوا بالاستيلاء على السلطة بالقوة بمساعدة منافقي المدينة وما حولها والمرتزقة من الأعراب، ثم أظهرتهم وسائل اعلامهم كأنهم الورثة الشرعيون للنبي، وحاولت تلك الوسائل أن تحول اشاعاتهم التي أطلقوها ضد رسول الله الى قناعات، وأظهرتهم وسائل الاعلام بمظهر قادة الاسلام الذين رضي الله عنهم ورسوله!!

وجه المقارنة بين دور بني هاشم ودور البطون؟

لا وجه للمقارنة بين الدور المميز الذي لعبه الإمام علي وبنو هاشم في نصرة الإسلام، وبين الدور الذي لعبه كل واحد من التسعة الذين عرفوا بأنهم مبشرون في الجنة.

فكل بطون قريش ال٢٣ كانت في جهة، وكان النبي محمد وبنو هاشم وبنو

المطلب في جهة ثانية. والبطون ال٢٣ تآمرت على قتل النبي واشتركت بمطاردته، والبطون ال٢٣ تآمرت على حصار النبي وبني هاشم واشتركت بالحصار والمقاطعة بما فيهم بني عدي وبني تيم وكافة البطون التي ينتمي لها التسعة اشتركوا بحصار الهاشميين في شعب أبي طالب ومقاطعتهم.

والبطون ال٢٣ كانت بمجموعها هي الجيش الذي حارب النبي في بدر وأُحُد والخندق، وهم الذين صدوه عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محله، والبطون ال٢٣ هم الذين لاحقوا النبي قبل الهجرة وقاوموه وحاربوه، بينما البطن الهاشمي هو الذي وقف مع النبي، وهو الذي حماه وحمى دعوته فلولا الهاشميين وبني المطلب لقتلت البطون محمداً دون أن ترعى فيه إلاً ولا ذمة.

وبالتالي فإنه لا مجال للمقارنة بين البطن الهاشمي، وبين بني عدي وبني تيم وبني أمية أو أي بطن من بطون قريش، فالهاشميون والمطلبيون كانوا مع النبي وحموه خلال الدعوة، وكانوا ساعده الأيمن خلال مرحلة الدولة.

بينما الأمويون، وبنو عدي، وبنو تيم، وبطون قريش ال٢٣ كانوا ضد النبي وهم الذي قاوموه وآذوه، وحاصروه وبني هاشم في شعب أبي طالب وقاطعوهم ثلاث سنين، ثم تآمروا جميعاً على قتله، وطاردوه جميعاً، ثم حاربوه حرباً لا هوادة فيها حتى أحاط بهم فسلموا وأسلموا وهم كارهون.

فمن هو الأولى بمحمد، هل هم بنو هاشم الذين وقفوا معه طوال سني الدعوة والدولة؟ أم بني عدي وبني تيم وبطون قريش الذين قاوموه وحاربوه طوال سني الدعوة والدولة؟

لقد حكم الله سبحانه وتعالى ورسوله بأن الهاشميين هم الأولى وهم ذو القربى الذين أمر الله بمودتهم في الكتاب، وهم الأفضل بنص الشرع الحنيف، ولا تجوز صلاة عبد إن لم يُصَلِّ عليهم، وهم الأولى بقيادة الأمة إذ جعل الله القرآن الكريم ثقلاً، وجعل أهل بيت النبوة ثقلاً آخر، وبيّن الله لعباده من خلال نبيه أن الأمة لن تهتدي بعده إلا بالاثنين معاً، ولن تتجنّب الضلالة إلا بالاثنين معاً.

ومع هذا يُصرّ قادة التحالف أن بني عدي وبني تيم وبطون قريش ال٢٣ هم الأولى بالنبي والأحق بميراثه!! وبالفعل استولوا على القيادة، وفرضوا اصرارهم الذي يتعارض مع الشرع والعقل.

وجه المقارنة بين دور علي بن أبي طالب في نصرة الإسلام ودور التسعة المبشرين بالجنة!!

لا مجال للمقارنة بين دور علي ودور عمر أو أبي بكر أو أي واحد من التسعة في مجال نصرة الإسلام أثناء حياة النبي، فعمر وأبو بكر لم يقتلا أو يجرحا أي مشرك طوال تاريخ المعارك التي جرت بين الكفر والإيمان، ولم يكن لهما دور مميز في أي معركة على الاطلاق، وفرا في أُحُد بالإجماع وفرا في حنين وفر معهما في المعركتين عثمان، لقد بذل التسعة جهودهم لكنها لا ترقى الى معشار جهد الإمام علي. وقد وثقنا ذلك.

لقد صنع علي والحمزة الأعاجيب في بدر، وأظهرا جهداً مميزاً وطاقة خارقة، قال الواقدي في مغازيه[1] لقد أُحصي من القتلى ٤٩ منهم ٢٢ قتيلاً قتلهم أمير المؤمنين علي - عليه السلام - أو شرك بقتله، وكان علي يحمل لواء الرسول[2]. لقد أظهر علي من القدرة الخارقة في بدر ما يفوق الوصف، والطريقة التي قتل فيها حمزة، ومنهج المشركين بالتمثيل به تبين حجم الضرر الذي ألحقه بالمشركين. صحيح أن الحمزة قد استشهد، ولكن علياً سد مسده، ومسد الجموع في كل وقعة[3].

(١) المغازي للواقدي ١/ ١٥٢.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٩١، ٩٤، ومستدرك الصحيحين، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٥.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٩/ ١٤٥، والرياض النضرة ٢/ ٢٢٥، وتاريخ ابن جرير ٢/ ١٩٧، وكنز العمال ٣/ ١٤٥ وذخائر العقبى للطبري ص٧٤، والفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى ﴿فلم تقتلوهم﴾. تجد أنواراً ساطعة من منهج الإمام في قتال المشركين.

أما في أُحُد فقد هرب أكثرية التسعة ووصف بعض شيعة التسعة أسلوب الإمام في القتال يوم أُحُد[1].

وفي الخندق سمع التسعة نداء عمرو بن ود فلم يجبه أحد منهم، فتصدى له الإمام علي فقتله، وبقتله قتل الروح المعنوية لتجمع الأحزاب، ومن هنا قيّم النبي هذا العمل الرائع بأنه أفضل من عمل الأمة إلى يوم القيامة[2].

وبطولاته في خيبر تفوق بطولات بدر وأُحُد[3]. وانهزم الناس في حنين بما فيهم التسعة وثبت علي[4]. وكان معروف بشجاعته حتى سمي بأسد الله وسيفه في أرضه[5]. وكان يحمل لواء النبي في كل زحف[6].

فهل لأحد من التسعة أو لهم مجتمعين مثل هذا الماضي العسكري المجيد؟ وهل يدّعي أحد منهم أنه الأعلم أو الأفهم من علي؟ أو أنه الأقرب من النبي؟ أو أن آباءه وأجداده أفضل وأشرف من آباء وأجداد الإمام علي؟ هم أعقل من أن يفعلوا ذلك!!

ومع هذا يصر قادة التحالف على أنهم الأولى بالحكم والقيادة!!

قال الإمام علي: «أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً

---

(١) أسد الغابة ٤/ ٢٠ لابن الأثير والرياض النضرة ٢/ ١٧٢ ونور الأربعاء ص٧٩، ٧٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٢وتاريخ بغداد ١٣/ ١٩، والفخر الرازي في ذيل تفسير سورة القدر، والدر المنثور في ذيل تفسير ﴿ورد الله الذي كفروا بغيظهم﴾، وميزان الاعتدال ٢/ ١٧.

(٣) مسند الإمام أحمد ٦/ ٨ وتاريخ الطبري ٢/ ٣٠٠، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٢٤، وكنز العمال ٦/ ٣٩٨، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٧٨، وتفسير الفخر الرازي (تفسير قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف﴾) وفضائل الخمس ٢/ ٣٤٥ وما فوق.

(٤) الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٨٠، ٦/ ١٨٢، ورواه البزار والخطيب البغدادي في تاريخه ٤/ ٣٣٤.

(٥) ذخائر العقبى ص٩٢، والإمامة والسياسة ص٩٧، والرياض النضرة ٢/ ٢٢٥، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٤٥٧، والإصابة لابن حجر ٥/ ٣/ ٢٨٧.

(٦) مستدرك الصحيحين ٣/ ١١١، ١٣٧، وابن سعد في طبقاته ٣/ ١٥، ٣/ ١/ ١٤ ومسند أحمد ١/ ٣٦٨، ٣/ ١٦، وأسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٢٠، وكنز العمال ٥/ ٢٩٥، والرياض النضرة ٢/ ١٩١، والهيثمي في مجمعه ٣/ ١١١، والصواعق المحرقة ص٧٦، وفضائل الخمسة.

والأشهرون برسول الله تولهاً، فإنها كانت أثرة»[1].

سبب نقمة قادة التحالف على علي وأهل بيت النبوة:

اتّحدت بطون قريش المهاجر منها والطليق على أن تقف ضد علي وضد توجه النبي وقفة رجل واحد، وتحول بكل ما أوتيت من قوة بين جمع الهاشميين للنبوة والملك معاً، وعلى ذلك اتفق المهاجر والطليق، يقول الإمام علي معبّراً عن هذه الناحية: «والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا وقال:

ونحـــن وهبنـــاك العلـــى ولـــم تكـــن
عليـــاً وحطنـــا حـــولـــك الجـــرد والسمـــرا[2]

ويقول مشيراً الى قادة التحالف: «حتى إذا قُبض رسول الله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على غير الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه». ويتابع الإمام حملته الشعواء على قادة التحالف فيصفهم بأنهم: «معاون كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ساروا في الحيرة، ودخلوا في السكرة على سنة من آل فرعون، من منقطع الى الدنيا ساكن، أو مفارق للدين مباين. . »[3].

وقال مرة: «اللهم اني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فانهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري»[4].

مزايدات قادة التحالف على رسول الله!!

لقد تحققت الوحدة بين مهاجري بطون قريش وطلقائها، وشيدوا أركان

---

(١) شرح النهج ٣/ ٣٠٣ حسن تميم.
(٢) شرح النهج ٣/ ٣٠٣ حسن تميم.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٠٢.
(٤) شرح النهج ٣/ ٦٩.

التحالف الذي استطاع أن يقبض على مقاليد الأمور حتى والنبي على فراش الموت بعد سلسلة مرعبة من الشائعات، ولم يكتف قادة التحالف بالشائعات التي أشرنا إلى بعضها، بل أخذوا يزايدون على الرسول ليُعرفوا، وليلقوا في روع الغافلين بأنهم أكثر حرصاً على الدين من رسول الله، وتلك حلقة في مخطط. وكان أكثر الناس مزايدة على رسول الله هو عمر؛ لذلك نكتفي بذكر بعض مزايداته التي جاوزت المدى بالمزايدة الكبرى والرسول على فراش الموت.

من هو عمر بن الخطاب:

كان عمر (رضي الله عنه) قبل الإسلام رجل مغمور من بني عدي، يمتهن «البرطشة»، أي كان يكتري للناس الإبل والحمير ويأخذ عليه جعلاً[1].

وإلى هذا أشار سعد بن عبادة عندما قال مخاطباً عمر في السقيفة: «لأعيدنك إلى قوم كنت فيهم ذليلاً غير عزيز وتابعاً غير متبوع»[2].

وعمر نفسه لا ينكر ذلك، ولكن الله أعزه بالإسلام وحوّله من تابع إلى متبوع، وتألق نجم الرجل عندما نال شرف مصاهرة رسول الله فصار يتردد على بيت الرسول بحكم المصاهرة، وبحكم نبل النبي وسعة قلبه. وعمر هذا لا شأن له بالحرب، فلم يثبت أنّه قد قتل أو جرح أو أسر أحداً من المشركين طوال تاريخ دولة النبي، والروايات التي تصوره كرجل سيف انما هي ضرب من الأساطير لا تتفق مع شخصيته، ولا مع نسيجه النفسي ولا مع طبيعة قومه بني عدي الذين وصفهم أبو سفيان بوصفه الذي ذهب مثلاً: «لا مع العير ولا مع النفير»[3].

ولقد تحققت وتبين لي أنه لم يقتل من بني عدي أحد لا مع المشركين ولا مع المؤمنين، ولقد جد عمر في الإسلام واجتهد واستطاع خلال ١٢ سنة أن يتعلّم سورة البقرة كما أخرج ذلك الخطيب في رواية مالك، والبيهقي في شعب

---

(١) تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي مجلد٤ مادة برطش.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٥ وما فوق.

(٣) مغازي الواقدي ـ معركة بدر.

الإيمان، والقرطبي في تفسيره باسناد صحيح عن عبد الله بن عمر[1].

وبالرغم من تعلمه لسورة البقرة فقد كان يشكو من قلة الفقه فطالما قال: «كل الناس أفقه من عمر»[2]. وقال مرة: «امرأة أصابت وأخطأ رجل» ويقصد بالرجل نفسه[3]. ثم اعترف مرتين أو ثلاثة: «كل أحد أفقه من عمر»[4]. واعترافاته بهذا المجال بلا حصر[5].

المزايدة على رسول الله:

ومع هذا كان عمر يزايد على رسول الله، ويتصور الغافلون أن عمر أحرص على الدين من الرسول نفسه، وأفهم بالدين من الرسول نفسه، ونادراً ما ضاق الرسول ذرعاً بصهره بل كان يسعه بخلقه العظيم، وبحلمه الفذ، ويُعَلِّمَهُ.

نماذج من مزايدات عمر على رسول الله:

صلح الحديبية:

الله سبحانه وتعالى هو الذي أخرج محمداً للعمرة، واختار الحديبية محطاً لرحاله، ومركزاً لمفاوضاته مع بطون قريش، وأعلمه أن المفاوضات معها ستنتهي بصلح الحديبية، وهذا الصلح هو الفتح الحقيقي المبين، ويحقق الغاية التي سعى اليها محمد طوال مناوشاته وحربه مع بطون قريش، وكفى بالله شهيداً على ذلك فهو الذي أمر نبيه بتوقيع الصلح.

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٣٤، وسيرة عمر لابن الجوزي ص١٦٥، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ١١١، والدر المنثور للسيوطي ١/ ٢١، والغدير للعلامة الأميني ٦/ ٢٣٥.

(٢) شرح النهج لعلامة المعتزلة ١/ ٦١.

(٣) أخرجه الزبير بن البكار في الموفقيات وابن عبد البر في جامع العلم ص٦٦، وابن الجوزي في سيرة عمر والقرطبي في تفسيره ٥/٩٩، وابن كثير في تفسيره ١/٤٦٧، والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ١٣٣. الغدير للعلامة الأميني ٦/ ١٢٤.

(٤) السيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ٨/ ٢٩٨ نقلاً عن سنن سعيد بن منصور والبيهقي، ورواه السندي في حاشية السنن لابن ماجة ١/ ٥٨٣.

(٥) الغدير للعلامة الأميني ج٦.

مزايدة عمر:

وصف عمر الصلح الذي رضيه الله، ووقعه رسوله بأنه «دنيّة» حيث قال عمر لرسول الله: «فعلام نُعطي الدنيّة في ديننا»[1].

فقال الرسول: «أنا رسول الله ولن يضيعني»، وجعل عمر يرد الكلام على رسول الله، ويصف الصلح بأنه «دنيّة».

وقاد حملة رهيبة من التشكيك بصحة عمل رسول الله، وأخذ ينفرد بأصحاب الرسول ويقول لهم: إنّ محمداً وعدنا أن ندخل الكعبة. وحاول أن يستقطب الصحابة، لعله ينجح بافشال الصلح الذي عقده النبي مع قريش، ومع أن حملته بالتشكيك قد تركت آثاراً مدمرة، وهزت الثقة برسول الله الى حين إلا أنه فشل بتكوين قوة من الصحابة قادرة على اجهاض الصلح.

وقد اعترف عمر في ما بعد أثناء خلافته فقال: «ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذٍ، ولو وجدت شيعة تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت»[2].

ولم يتوقف عمر عن حملته بالتشكيك إلا بعد أن أقبل عليه رسول الله فقال: أنسيتم يوم أُحُد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم...[3]

فكأن الرسول الأعظم يعيد بهذه التذكيرات الحجم الحقيقي لعمر، ويقول له: أنت الذي تدعو للحرب وقد فررت في معركة وتركتني!!!

مزايدة أخرى في صلح الحديبية:

جاء*أبو جندل بن سهيل بعد توقيع الاتفاق، وعملاً بالاتفاق يتوجّب اعادته الى قريش، واحتج عمر بأنه لا ينبغي اعادته. ولكن الاتفاق واضح فقال الرسول

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٦٠٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/٦٠٧.

(٣) المصدرنفسه ٢/٦٠٩.

لأبي جندل: «اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً وإنا لا نغدر»، واقتنع أبو جندل[1].

وبعد أن أُغلقت دائرة البحث في هذا الموضوع قال عمر لأبي جندل: «أبوك رجل وأنت رجل ومعك السيف فاقتل أباك» وكان هدف عمر أن ينقض أبو جندل على سهيل بن عمرو ويقتله وهو في حضرة الرسول وجواره، وهو سفير البطون، وليضفي عمر على هذا التحريض طابعاً دينياً وبطولياً قال عمر لأبي جندل: «إن الرجل يقتل أباه في الله» وفطن أبو جندل لأسلوب عمر بالمزايدة، فقال لعمر: «مالك لا تقتله أنت يا عمر»؟ فقال عمر: «نهاني رسول الله عن قتله وعن قتل غيره!!»[2].

ولعل هذا هو السر الذي لم يقتل فيه عمر أحداً من المشركين طوال تاريخ دولة النبي!!!

وهدأت العاصفة التي أثارها عمر

تدخل أبو بكر صديقه الحميم، وتدخل أبو عبيدة، وطلبا من عمر أن يمارس ضبط النفس، وبعد أن أخفق بجمع الأعوان ليلغي ما أوجده الرسول، وليحل ما ربطه، وبعد أن وزّع الشك بالرسول وشكك به قال الرسول لأم سلمة: «عجباً يا أم سلمة! إني قلت للناس انحروا واحلقوا وحلوا مراراً، فلم يجبني أحد من الناس وهم يسمعون»!!! إن عدم اجابة الناس للرسول أثر طبيعي من آثار حملة تشكيك عمر[3].

وبعد أن أخفق عمر بتحريض أبي جندل على قتل أبيه وبعد أن ذكّره الرسول بفراره من أُحُد. . هنالك سكن الرجل وهدأت العاصفة التي صنعها.

---

(١) المصدر نفسه ٢/٦٠٨.

(٢) المغازي للواقدي ٢/٦٠٩.

(٣) المصدر نفسه ٢/٦١٣.

داعية الحرب والغاء الصلح:

في مرحلة المفاوضات التي سبقت ابرام معاهدة الصلح طلب رسول الله من عمر أن يذهب الى قريش ويبلغها أن الرسول ليست لديه نوايا ضدها، وأن غايته: «نذبح الهدي وننصرف»، فرفض عمر طلب الرسول وقال له: «اني أخاف قريش على نفسي، قد عرفت قريش عداوتي لها وليس بها من بني عدي من يمنعني»... الخ[1]..

ومع هذا فإن الرجل الذي لا يقوى أن يكون سفيراً لتبليغ جملة واحدة يدعو للحرب!!

احتمالات:

لو نجحت حملة عمر بالتشكيك بالنبي، ولو نجح باستقطاب العدد الذي يراه من الصحابة لاجبار الرسول على الغاء الاتفاقية بالقوة، وجرّ من معه الى حرب مع قريش لم يخطط لها لدمر حالة التماسك بين الرسول وأصحابه، ولكن المؤكد بأن عمر لا يحسن الحرب، ولا يحبها إنما كان يزايد.

ولو نجح عمر باقناع أبي جندل بقتل أبيه سهيل بن عمرو في حضرة الرسول أو في معسكره لكان في ذلك احراجاً هائلاً لرسول الله، ولتقولت قريش بأن الرسول قد قتل كبير مفاوضيها وغدر به وهو في رحابه، ولأدت هذه التقولات الى نتائج خطيرة.

ولكن عمر قد لا يقصد ذلك وإنّما يريد أن يقتنع الصحابة بأنه أحرص على الاسلام من الرسول نفسه!! وأن يشكك بكلام الرسول!! وقد فصلنا صلح الحديبية تفصيلاً كاملاً تحت عنوان (وأفلست بطون قريش) فارجع اليه.

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٦٠٠.

احجب نساءك يا محمد!!؟

روى البخاري في صحيحه، باب خروج النساء الى البراز ما يلي وبالحرف: «حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث، حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن أزواج النبي (ص) كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصح، وهو صعيد أفيح، فكان عمر يقول للنبي: احجب نساءك. فلم يكن رسول الله يفعل، خرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً أن ينزل الحجاب، عندئذٍ أنزل الله آية الحجاب!!!»[1]

المشكلة الحقيقية أن الرواة يتصرفون بالوقائع والأحداث ليعطوا الرجل دائماً دور البطولة في كل مزايدة، ولا يجدون غضاضة ولا حرج لو أعطوه هذا الدور حتى على رسول الله. فما هي علاقة عمر بزوجة رسول الله؟ وهل هو أكثر غيرة من الرسول أو معرفة للصواب من الخطأ منه؟ وهل يترقّب الوحي اشارة من عمر!! أو توجيهاً منه لمواقع الخطأ في المجتمع!!! شهد الله أن هذه التصورات لا تُطاق!!

بشرى للموحّدين:

لما أتم رسول الله تصفية أوكار الشرك، وتشجيعاً للناس على الدخول في دائرة التوحيد والإطمئنان فيها أمر النبي أبا هريرة أن يبشر من لقيه مستيقناً قلبه بشهادة لا إله إلا الله بالجنة، فكان أول من لقيه عمر. فلما بشره أبو هريرة ضربه عمر بيده بين ثدييه فأسقطه على الأرض، وقال له: «ارجع»، فرجع أبو هريرة الى رسول الله فقال له الرسول: «مالك يا أبا هريرة؟». فقال أبو هريرة: «لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة فخررت لاستي». فقال النبي: «ارجع» ودخل عمر فقال له الرسول: «ما حملك على ما فعلت؟».. فقال عمر:

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٦٩ كتاب الوضوء حديث ١٤٦ ط بيروت.

«لا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها؟»[1]

والكارثة حقيقة أن النووي والقاضي عياش يرون أن الصواب كان في جانب عمر. قال النووي: إن الإمام الكبير مطلقاً إذا رأى شيئاً ورأى بعض أتباعه خلافه، ينبغي للتابع أن يعرضه على المتبوع، فإذا ظهر له أن ما قاله التابع هو الصواب رجع المتبوع اليه (أي يرجع الرسول لعمر بهذه الحالة)[2]..

وهنا تكمن الكارثة فقد فعلت اشاعات قادة التحالف فعلها فهم يعتقدون أن الرسول لا يتلقى الوحي إلا بالقرآن وحده، وما عدا القرآن فهو يتصرف به من تلقاء نفسه وعلى «ذراعه»، ولقد أكّد الرسول مراراً وتكراراً لعمر ولحزبه بأنه لا يخرج من فمه إلا حقاً وأقسم على ذلك، لكن لا عمر ولا حزبه ولا شيعتهم يصدقون رسول الله في هذه الناحية!! لأنها تتعارض مع اشاعاتهم، ولأن الناس إذا صدقوها ستخرب كل خطط التحالف المستقبلية!!

عندما ذكر عبد الله بن عمرو بن العاص نهي قريش «قادة التحالف» عن كتابة ما يسمعه من رسول الله، بدعوى أنه يتكلم في الغضب والرضى، أومأ الرسول باصبعه الى فمه، وقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقاً»[3].

ومن الطبيعي أن يحاط عمر علماً بما قاله الرسول، ولكن مثل عمر لا يصدق ذلك!!! لأن ذلك يتعارض مع الإشاعات التي أطلقها هو وحزبه للتشكيك بقول رسول الله تمهيداً لاجهاض الترتيبات الإلهية لعصر ما بعد النبوة، حيث كان يرى أن هذه الترتيبات ليست لمصلحة الإسلام. تماماً كما كان يرى أن صلح الحديبية الذي أمر الله به ورضى عنه رسوله دنية في الدين!! انه رجل مؤمن محتاط لدينه، وايمانه واحتياطه يخرج عن دائرة التصور والمعقول!!!

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٤٤ والغدير للأميني ٦/ ١٧٦ وسيرة عمر لابن الجوزي ص٣٨، وشرح ابن أبي الحديد ٣/ ١١٦ وفتح الباري ١/ ١٨٤ والطرائف لابن طاووس ٢/ ٤٣٧ عن الجمع بين الصحيحين والنص والاجتهاد للإمام العاملي ص١٩١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١/ ٤٠٤.

(٣) سنن الدارمي ١/ ١٢٥ وسنن أبي داود ٢/ ١٢٦ ومسند الإمام أحمد ٢/ ١٦٢ و٢٠٧ و٢١٦ ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥ و١٠٦ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٨٥.

المزايدة العظمى:

الرسول على فراش المرض، وقد خيّر فاختار ما عند الله، وأطلع الأمة بأنه سيموت في مرضه هذا، فأراد أن يلخّص الموقف لأمته، ويبدو أن الرسول الكريم قد حدد وقتاً لكتابة وصيته، ويبدو أيضاً أن عمر بن الخطاب قد أحيط علماً بالوقت الذي حدده الرسول لكتابة وصيته، وهذا هو الذي دفع عمر لحشد أعوانه الذين يرون رأيه ليتواجدوا في بيت الرسول بالوقت المحدد لكتابة الوصية، ويبدو أن عمر قد أحيط علماً بمضمون الوصية من المصدر الذي أعلمه بموعد عزم الرسول على كتابتها.

فجمع عمر ثلة من حزبه وذهبوا الى بيت الرسول كعوّاد وكأنهم لا علم لهم بموعد كتابة الوصية، ولا بمضمونها، فجلسوا، فقال الرسول: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» وعلى الفور تصدى له عمر وقال: إن الرسول قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله، حسبنا كتاب الله. هذا هو القول الملطف أما في الحقيقة كما يروى أبو حامد الغزالي وابن الجوزي: «أنه ما أن أتم رسول الله كلامه حتى تصدى له عمر وقال: إن الرسول يهجر وعندنا كتاب الله! حسبنا كتاب الله»، وعلى الفور قال الحاضرون من حزب عمر: «القول ما قاله عمر! إن الرسول يهجر حسبنا كتاب الله». صعق الحاضرون من غير حزب عمر لهول ما سمعوا ولما يصدقوا آذانهم وطلبوا احضار الكتف والدواة. ولكن عمر وحزبه أصرّوا وأكثروا اللغط والتنازع وكرروا أقوالهم السابقة، فقدر الرسول إن الكتابة بهذا المناخ ليست مناسبة، وغضب، فقال: «لا ينبغي عندي تنازع، ما أنا فيه خير مما تدعوني إليه، قوموا عني». وهكذا نجح عمر وحزبه بالحيلولة دون رسول الله وكتابة ما أراد. وقد تناولنا هذه الحادثة المفجعة في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام من ص٢٨٧، وحللناها تحليلاً وافياً، ووثقناها توثيقاً كافياً بحيث يتعذر انكارها فضلاً عن الاعتذار عنها، وتناولناها في كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية.

حادثة لا مثيل لها في التاريخ البشري:

الرسول على اتصال دائم مع الوحي، وهو رئيس الدولة، ما زال رئيساً، وما زال نبياً رسولا، وهو يجلس في بيته لا في بيت عمر ولا في بيت أحد من حزب عمر، وهو مريض ويريد أن يكتب وصية قبل أن يتوفى. تماماً كما فعل أبو بكر وكما فعل عمر نفسه، وكما يفعل أي مسلم أو أي انسان. من الذي أقام عمر وصياً على الرسول ونائباً عن المسلمين حتى يكسر هو وحزبه خاطر النبي الشريف فيقول له: «أنت تهجر وعندنا القرآن»، وهو يكفينا ويردد حزبه هذه المقولة في مقام النبي الأعظم؟! هل هو مسلم حقاً من يقول مثل هذه الألفاظ النابية لرسول الله؟! كيف يعتذرون عن هذه الحادثة، كيف يبررونها؟! وهل عمر أحب اليهم من رسول الله؟! بئس للظالمين بدلاً!!



الفصل الرابع:

نماذج من المواجهة
بين النظام الذي أقامه عمر بن الخطاب
وبين الشرعية الإلهية

معنى الشرعية الإلهية وأركانها:

الشرعية الإلهية، تعني الإطار العام ومضمون هذا الاطار الذي يشمل: (١) ذات النبي «شخصه». (٢) القرآن الكريم. (٣) سنة النبي بفروعها الثلاثة القول والفعل والتقرير. (٤) الالتزام بالأركان الثلاثة الآنفة.

معنى الالتزام بالشرعية الإلهية:

يعني الالتزام بالشرعية الإلهية:

١ ـ أن يؤمن الفرد أو الجماعة ايماناً مطلقاً لا يعتريه أدنى شك بأن محمد بالذات رسول الله، الصادق، المصدق، الذي لا ينطق عن الهوى، وأنه المؤتمن على الوحي الإلهي بكل صوره وأشكاله، وأنه الأعلم بالدين، والأفهم، وأنه الأفضل، والأصوب على الاطلاق، وأن كل ما يقوله النبي، أصوب وأنسب مما يقوله بشر سواه.

ويعني أيضاً أن القرآن الكريم لفظاً ومعنىً هو من عند الله، وأن بيان النبي لهذا القرآن هو القول الفصل، وهو جزء لا يتجزء من الدين، وأن كل ما يبينه الرسول حقائق مطلقة، تقبل الحوار والاستفهام وتترفّع عن الجدل.

هل حدثت مواجهة بين النظام الذي أقامه عمر وبين الشرعية الإلهية؟

بعد أن بينا معنى الشرعية الإلهية، وأركانها ومعنى الالتزام بها بما أمكن من الدقة والاختصار، نتسائل هل حدثت مواجهة بين الشرعية الإلهية بمفهومها الذي بيناه وبين النظام السياسي الذي أقامه عمر بن الخطاب والمتحالفين معه؟ ونجيب وبكل الأسف أن مواجهة حقيقية وصارخة قد جرت بين الشرعية الإلهية وبين عمر والمتحالفين معه.

القرآن الكريم والبيان النبوي حال حياة النبي:

قادة التحالف وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، رفعوا شعار حسبنا كتاب الله في كل مناسبة من المناسبات، وقد رفعوا هذا الشعار بمواجهة النبي نفسه، وفي بيت النبي، ليحولوا بين النبي وبين كتابة توجيهاته النهائية، ولم يكن القصد من رفع شعار «حسبنا كتاب الله» أمام النبي الإصرار على التمسك بالقرآن الكريم، انما كانت غاية الذين رفعوا هذا الشعار في تلك المناسبة، هي التفريق بين النبي المرسل الذي بلغ القرآن وبيّنه، وبين القرآن ككتاب منزل من عند الله، وقطع الصلة العضوية بين الاثنين، وكانت غايتهم المباشرة هي الحيلولة بين الرسول وبين كتابة توجيهاته النهائية، أو كتابة ما أراد، وهذه حقيقة مطلقة ساطعة كسطوع الشمس، وقد أجمعت الأمة على صحتها وصدورها من عمر بن الخطاب وحزبه[1].

ولما استهجن الحاضرون من غير حزب عمر هذا القول الشنيع وهذه التفرقة

---

(١) صحيح البخاري كتاب المرض باب قول المريض قوموا عني ١/ ٣٧، ٢/ ١٣٢، ٤/ ٣١ و٦٥ و٦٦، ٥/ ١٣٧، ٧/ ٩، ٨/ ١٦١، صحيح مسلم آخر كتاب الوصية ٢/ ١٦، ٥/ ٧٥، ١١/ ٩٤ـ ٩٥ صحيح مسلم بشرح النووي، وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٣، وتاريخ بن الأثير ٢/ ٣٢٠، ومسند أحمد ١/ ٣٥٥، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

الواضحة بين الرسول وبين الكتاب الإلهي تجاهل عمر بن الخطاب وجود النبي وقال للحضور: «إن النبي يهجر، وعندنا كتاب الله»، ولسنا بحاجة لكتابة محمد!![1]

عندئذ قال الحاضرون من حزب عمر: «القول ما قاله عمر»، وأكثر عمر وحزبه اللغط والاختلاف، وتنازعوا مع الذين وقفوا في صف النبي، وعندما قال النبي: لا ينبغي عندي تنازع، قوموا عني، أصغى عمر وحزبه لقول النبي، وسعدوا لأن النبي قد عدل عن كتابة ما أراد[2].

واعترف عمر بالغاية من صد الرسول عن كتابة ما أراد كتابته:

بعد أن جلس عمر على كرسي الخلافة اعترف، وقال بكل جرأة: «بأنه قد صد النبي عن الكتابة حتى لا يجعل الأمر لعلي»[3].

وبهذه الحالة يغدو واضحاً أن رفع شعار حسبنا كتاب الله حال حياة النبي، لم يقصد به التمسك بالقرآن إنما كان القصد منه التفريق بين الرسول وبين كتاب الله، ورفع هذا الشعار لتحقيق باطل، ولاستبعاد النبي عن التأثير على مسرح الأحداث ليخلو الجو لعمر وحزبه يرتبون ما يريدون.

القرآن الكريم والبيان النبوي بعد وفاة النبي:

الذين رفعوا شعار «حسبنا كتاب الله» بمواجهة النبي للغاية التي أشرنا اليها، رفعوا نفس الشعار بعد وفاة النبي أيضاً، فأول عمل عمله أبو بكر بعد أن تسلم الخلافة أن خطب الناس فقال لهم: «إنكم تحدثون أحاديثاً تختلفون فيها والناس

---

(١) تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٦٤، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لابي حامد الغزالي ص٢١.

(٢) المراجع السابقة تجد كل ما قلناه واضحاً.

(٣) شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد ٣/ ١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى مصر وبيروت، ١٢/ ٧٩ تحقيق أبو الفضل ٣/ ٨٠٣ مكتبة الحياة، ٣/ ١٦٧ دار الفكر.

بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله»[1].

لقد تصوّر أبو بكر أن سبب الخلاف والإختلاف يكمن في حديث رسول الله، وتذكر أبو بكر أنه قد كتب قرابة ٥٠٠ حديث عن رسول الله، وقام ليلته يتقلب، ولما أصبح قام بحرق الأحاديث التي كتبها بنفسه عن رسول الله[2].

وهكذا اطمأنت نفس أبي بكر واعتقد أنه قد قطع دابر الخلاف لأنه أحرق ما عنده من الأحاديث، وأمر الناس أن يتمسكوا بالقرآن وحده وأن لا يحدثوا عن رسول الله.

وجاء عمر بن الخطاب وهو أول من رفع شعار «حسبنا كتاب الله» فشن حملة قوية ليلتزم الناس بهذا الشعار، ولا يضيعوا وقتهم ويصدوا الناس عن القرآن بالحديث عن رسول الله[3].

وجمع عمر المحدثين من الصحابة من كافة الآفاق، وقال لهم: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟[4].

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ أن عمر حبس ثلاثة من الصحابة هم: ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري قائلاً لهم: أكثرتم الحديث عن رسول الله!!

جاوز المدى:

لقد جاوز عمر بن الخطاب المدى، إذ ناشد الناس أن يأتوه بكل الأحاديث المكتوبة عن رسول الله، فلما أتوه بها أمر بتحريقها كلها[5].

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢ ـ ٣.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣ ـ ٤.
(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ١٤٧، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٤ ـ ٥.
(٤) كنز العمال للمتقي الهندي ٥/ ٢٣٩ الحديث رقم ٤٨٦٥.
(٥) الطبقات لابن سعد ٥/ ١٤٠.

وجاء عثمان بن عفان فسار على سيرة صاحبيه فكان أول مرسوم أصدره: «بأنه لا يحل لمسلم يروي حديثاً لم يسمع به في زمن أبي بكر وعمر»[1].

ما هو القصد من هذه الحملة المركزة؟

أنت تلاحظ أن الخليفتين قد ركزا على القرآن الكريم تركيزاً تاماً بعد وفاة النبي، واستبعدا الحديث النبوي استبعاداً تاماً، فأحرق أبو بكر ما كان مكتوباً عنده، وجمع عمر ما بأيدي الناس من الأحاديث المكتوبة عن رسول الله وقام بحرقها!! وركزا معاً على شعار «حسبنا كتاب الله» أو «بيننا وبينكم كتاب الله» كما قال أبو بكر، واعتبر أبو بكر أن رواية الأحاديث عن رسول الله تورث الإختلاف، وإن اقتناء أحاديث الرسول المكتوبة ليس مناسباً ويسبب الأرق والقلق كما رددت عائشة، مما دعى أبوها أن يحرق الأحاديث ال٥٠٠ التي كتبها بنفسه عن رسول الله!! مما دعى عمر أيضاً أن يناشد الناس ليأتوه بكل الأحاديث المكتوبة عندهم عن رسول الله، فلما جاءوه بها أمر بتمزيقها. وسار عثمان على سياسة صاحبيه بهذا المجال، فما هو القصد من هذه الحملة المركّزة؟

القصد من هذه الحملة المركّزة هو التفريق بين الكتاب المنزّل والنبي المرسل الذي بلغ هذا الكتاب وبيّنه، واستبعاد الرسول من التأثير على الحدث السياسي أو الأحداث السياسية!!.

فعندما يتمسك الناس بالقرآن الكريم وحده، ويتجاهلون ويحرقون بيان النبي لهذا القرآن، فانهم بعملهم هذا يلغون كافة النصوص النبوية التي بينت هذا القرآن، فالقرآن الكريم أشار للصلاة مجملاً ولكنه لم يبين كيفية هذه الصلاة، وجاء النبي فبيّنها بياناً تفصيلياً، كذلك فإن القرآن الكريم أشار اشارات مجملة للأمور المتعلقة بالإمامة والقيادة خلال حياة النبي وبعد وفاته، فجاء الرسول وبيّن هذه الأمور بياناً تفصيلياً.

كذلك فإن القرآن الكريم تناول النواحي المالية فأجملها اجمالاً، فقام

---

(١) منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٤/ ٦٤.

الرسول وبيّن هذه الأمور بياناً تفصيلياً، وهكذا في كل أمر من الأمور وكل ناحية من النواحي، فبيان النبي مرتبط بالقرآن، والقرآن مرتبط ببيان النبي ارتباطاً عضوياً لا يقبل التجزئة.

سبب الإصرار على التفريق بين الكتاب المنزل والنبي المرسل:

أثبتنا أنه خلال حياة النبي جرت محاولة ناجحة للتفريق بين الكتاب المنزل والنبي المرسل، وبين القرآن وبين بيان النبي لهذا القرآن، وأفصح أصحاب المحاولة عن غايتهم المتمثلة بالحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد، حتى لا يجعل الأمر لعلي بن أبي طالب، كما وثقنا وقد نجحت محاولتهم لأن النبي كان على فراش المرض، ولأن النبي خشي من عواقب اصراره على كتابة ما أراد، فلو أصر على الكتاب لأصر عمر وحزبه على زعمهم بأن الرسول قد هجر، وذلك يترك مفاعيل مدمرة على الدين.

وحتى والرسول كان يتمتع بالصحة والعافية كان قادة التحالف يحضّون الناس سراً على عدم كتابة أحاديث الرسول بحجة أن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى ولا ينبغي أن يحمل كل كلامه على محمل الجد، ولما ذكر عبد الله بن عمرو لرسول الله ما قاله قادة التحالف، قال له الرسول: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقاً» وأومأ باصبعه إلى فيه[1].

ومع أن الرسول قد أقسم بالله على أن كل ما يخرج من فمه حقاً إلا أن قادة التحالف أصرّوا عملياً على شائعاتهم، وعلى دعوة الناس للاعتماد على القرآن وحده.

ولم يبين قادة التحالف سبب اصرارهم بالاعتماد على القرآن الكريم وحده، واصرارهم على استبعاد النبي وبيان النبي لهذا القرآن؟! قد اعترف عمر بن الخطاب في ما بعد بغايته من الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد بالوقت الذي-

---

(١) سنن أبي داود ٢/١٢٦، وسنن الدارمي ١/١٢٥، ومسند أحمد ٢/ ١٦٢، ٢٠٧، ٢١٦، ومستدرك الحاكم ١/١٠٥ ـ ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٨٥.

رفع فيه شعار «حسبنا كتاب الله»، وذلك حتى لا يجعل رسول الله الأمر لعلي بن أبي طالب. وقد وثقنا ذلك.

ولكن قادة التحالف لم يعترفوا بالغاية الحقيقية التي يتوخونها من التفريق بين النبي المرسل وبين الكتاب المنزّل، وبين بيان النبي لهذا الكتاب بالرغم من حالة التكامل والترابط العضوي بين النبي والكتاب وبيان النبي لهذا الكتاب.

معاوية بن أبي سفيان أكثر قادة التحالف وضوحاً:

لقد أفصح معاوية بن أبي سفيان ضمنياً عن الغاية التي يتوخاها قادة التحالف من تفريقهم بين النبي المرسل والكتاب المنزل، وبيان النبي لهذا الكتاب يوم أصدر مراسيمه الملكية في ما بعد:

مرسوم معاوية الملكي:

«روى أبو الحسن المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن: برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيت النبوة. فقامت الخطباء في كل كوره، وعلى كل منبر، يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته.

وكتب معاوية الى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة، وكتب اليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته الذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا اليّ بما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصلات والكساء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر.. فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب معاوية إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والأولين. وكتب أيضاً: ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين

في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إليّ وأقرّ لعيني وادحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا غلمانهم وصبيانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم.

فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله، ثم كتب الى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: «انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه». وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم «أهل بيت النبوة» فنكلوا به واهدموا داره.. الخ»[1].

لقد غلب معاوية الأمة بالقوة، وركّعها بالعصا، وتملك ملكها بدون ارادتها ولم يعد يخشى شيئاً من المعارضة أو البلبلة فكشف علناً عن مقاصده وحصر منع بيان النبي في الجانب السياسي المحظور المتعلق بقيادة علي وبالدور المميز لأهل بيت النبوة، فأباح دم كل من يروي شيئاً من فضل أبي تراب «علي بن أبي طالب» وأهل بيته «أهل بيت النبوة»[2].

وهكذا حسم الموضوع، وحدد الغاية من المنع وأعلنها أمام الأمة، لأنه ليس فيها من يقوى على اعتراضه، أو هز وحدة رعاياه أو التشكيك بشرعية حكمه القائم على القوة والتغلب. وابطالاً للبيان النبوي المتعلق بالقيادة من بعد النبي لعلي ولأهل بيت النبوة أصدر معاوية مرسوماً خاصاً بذلك، جاء فيه:

«ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إليّ وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته».

---

(١) شرح النهج تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٥٩٥ تحقيق حسن تميم.

بمعنى أن معاوية يطلب من عماله وحكّام أقاليمه أن يشرفوا على وضع أحاديث تناقض كل ما ينفع علي بن أبي طالب وأهل بيته من البيان النبوي.

ولتمييع النصوص النبوية المتعلقة بالقيادة وبدور أهل بيت النبوة أمر معاوية عمّاله وحكّام أقاليم مملكته بوضع أحاديث بفضائل الصحابة حتى يضيع فضل علي وأهل بيته، ويتحولون إلى مجرد صحابة من جملة مائتي ألف صحابي وأكثر!!

وهذا معنى قول المدائني: «ثم كتب معاوية إلى عماله أن الحديث عن عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والأولين»[1].

فكانت ضربات معاوية فنية وتحت الحزام وأكثر وضوحاً وتأثيراً من ضربات عمر وأبي بكر.

وهكذا أخرجوا النبي عملياً وأخرجوا بيانه النبوي من ساحة التأثير على مسرح الأحداث، وضيعوا البيان النبوي وهو أكبر ثروة وأعظم ثروة عرفها البشر، وبعد ٩٥ عاماً عاد تلاميذ قادة التحالف ليجمعوا البيان النبوي الذي خربه أسيادهم وضيعوه من أجل ملك زائل!!، فإنّا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة الكبرى فلا تجد حديثاً إلا ويناقضه حديث.

المواجهة مع ذات النبي:

لم يكتف قادة التحالف بمواجهة البيان النبوي، ومنع الناس رسمياً من روايته وكتابته، وحرق المكتوب منه، وابطال مفاعيل المعلوم منه، واخراجه من ساحة التأثير على الأحداث السياسية التي هزت الأمة، ولم يكتفوا بالتفريق بين كتاب الله المنزل وبين نبيه المرسل، وبين بيان النبي لهذا الكتاب وصولاً إلى الغاء قيادة علي من بعد النبي، والغاء الدور الشرعي المميز لأهل بيت النبوة..

---

(١) المصدر نفسه ٣/٥٩٦.

لم يكتفوا بذلك انما واجهوا ذات النبي وشخصه للتشكيك ببيانه المتعلق بالقيادة من بعد النبي، وبدور أهل بيت النبوة المميز فزعموا خلال فترة صحة النبي وحياته:

إن النبي يتكلم في الغضب والرضا، وانه كان يغضب فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحق ذلك. وإمعاناً في التشكيك في كل ما يصدر عن النبي زعم قادة التحالف أن اليهود قد سحروه حتى ليخيّل اليه انه يفعل الشيء وما فعله، ولدعم الشائعات الثلاث السابقة شككو في ذاكرة الرسول، فزعموا انه يسقط أحياناً من آيات القرآن الكريم. ثم جاوز قادة التحالف المدى بقولهم للرسول وجهاً لوجه: أنت تهجر ولسنا بحاجة لوصيتك!!.

وقدّر قادة التحالف أن هذه الشائعات قد لا تنجح بالتشكيك بأقوال النبي المتعلقة بالقيادة، فزعم قادة التحالف وأولياؤهم أن الرسول ليس أكثر من مجتهد في ما يقول وما يفعل ومن حق أي مجتهد آخر أن يخالف قول الرسول وفعله، وهكذا قوضوا الشرعية الإلهية من أساسها.

أعذار لا تُطاق:

بدلاً من أن يكتشف الناس أن عمر رفع سنة رسول الله، ووضع رأيه الشخصي بدلاً منها، وبدلاً من أن يلحظوا الآثار المدمرة التي نتجت عن احلال الرأي الشخصي محل الحكم الشرعي، وبدلاً من أن يعرفوا الأمور على حقيقتها أخذوا يختلقون الأعذار التي لا يقبلها عقل، فقالوا: إن تبديل عمر لسنة الرسول، وهي حكم شرعي برأي عمر، هو من قبيل الاجتهاد فالرسول مجتهد!! وعمر مجتهد!! ومن حق مجتهد وهو عمر!! أن يخالف مجتهداً آخر وهو رسول الله[1].

والأهمّ أن عمر مأجور أيضاً على ذلك!!. وقد بحثنا هذا الموضوع مفصلاً ووثقناه فيما سبق.

---

(١) شرح التجريد للقوشجي ص٤٠٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١٧٨/٤، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١١٢.

النبي لم يهتم بأمر الأمة من بعده!!

بعد أن استبعدوا النصوص النبوية التي عالجت موضوع القيادة من بعد النبي، وبعد أن زحزحوا الإمام علي عن حقه بالقيادة، وحرموا أهل بيت النبوة من دورهم المميز، زعموا بأن رسول الله خلى على الناس أمرهم وترك أمته ولا راعي لها[1].

وانظر الى قول أبي بكر «.. حتى اختار الله لرسوله ما عنده، فخلى على الناس أمرهم»، فأبو بكر هو أول من أشاع بأن الرسول ترك الأمة ولا راعي لها «أو خلى على الناس أمرهم» وجاء في تاريخ الطبري[2] أن أبا بكر قال في مرضه الذي توفي منه: «... وددت أني سألت رسول الله لمن هذا الأمر من بعده فلا ينازعه أحد»، وجاء في الحلية لأبي نعيم[3] وصحيح مسلم والبخاري والبيهقي في سننه، وابن الجوزي في سيرة عمر: أن عمر قال في مرضه: «إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف». وروى المسعودي في مروج الذهب[4] أن عمر قال في مرضه: «إن ادع فقد ودع من هو خير مني - يعَني الرسول - وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر -.

وصف فعل الرسول بعدم الاستخلاف!!

قالت عائشة لابن عمر: «يا بني ابلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع. استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة»[5].

فأم المؤمنين عائشة وهي امرأة أدركت أن ترك الأمة ولا راعي لها عمل غير

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٥.
(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٥.
(٣) حلية الأولياء ١/ ٤٤.
(٤) مروج الذهب ٢/ ٢٥٣.
(٥) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٢٢، واعلام النساء ٢/ ٧٨.

حكيم ويؤدي للفتنة! قال ابن عمر لأبيه: «ماذا تقول لله عز وجل إذا لقيته ولم تستخلف على عباده، ولو كان لك راعي ابل أو راعي غنم ثم جاء وترك رعيته رأيت انه قد فرط»[1].

وقال المسعودي في مروج الذهب[2] أن عبد الله بن عمر قال لأبيه: «لو جاءك راعي ابلك أو غنمك وترك ابله أو غنمه ولا راعي لها للمته، وقلت له: كيف تركت أمانتك ضائعة؟. فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد».

ومع أن عبد الله بن عمر مجرد شخص عادي وليس نبياً إلا أنه أدرك بأن ترك الأمة دون راع عمل يوجب اللوم، وهو تفريط وتضييع للأمانة! ألا يستطيع الرسول أن يفكر بمستوى تفكير امرأة أو تفكير رجل عادي كعبد الله بن عمر ويدرك ما أدركته عائشة وعبد الله بن عمر؟!! ومع هذا زعموا أن رسول الله ترك أمته ولا راعي لها، فجاءوا وسدوا الخلل الذي أغفله رسول الله بزعمهم وأوجدوا منصب ولاية العهد، إذ لم يصدف طوال التاريخ أن ترك أي خليفة الأمة بدون راعٍ يرعاها من بعده إلا رسول الله!!!

وجاء ابن خلدون ليوسع صلاحية الخلفاء ويضفي عليها الشرعية، ويبارك عبقريتهم باختراع ولاية العهد فقال في مقدمته[3]: «إن الإمام (الخليفة) يتولى أمور الناس حال حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى أمورهم من بعده» وقد فصّلت ذلك في الأبواب السابقة ووثقته. وقصد قادة التحالف ضرب جدار النسيان على النصوص النبوية التي عالجت موضوع القيادة والإمامة من بعد النبي، وبنفس الوقت ابراز ناحية من شخصية النبي بالصورة التي أرادوها هم!!

---

(1) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٤٤. والبيهقي في سننه وابن الجوزي في سيرة عمر.

(2) مروج الذهب ٢/ ٢٥٣.

(3) مقدمة ابن خلدون ص١٧٧.

حتى أن النبي لم يجمع القرآن بزعمهم:

وقد أشاعوا أن النبي لم يكتف بترك أمته بدون راع عرضة للفتنة والاختلاف انما ترك معجزته الوحيدة وهي القرآن دون جمع ولا كتابة، فاضطر قادة التحالف أن يشمروا عن سواعدهم وأن يجمعوا القرآن ويكتبوه، ولولاهم لضاع القرآن واندثر!![1]

وقد عالجنا هذا الموضوع باستفاضة تامة في كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية[2] وأثبتنا فساد تلك الشائعة[3].

وبالايجاز فانهم ما تركوا شاردة ولا واردة ظنوا أنها تضفي الفضل عليهم إلا وتمسكوا بها حتى ولو كانت حطاً من قدر سيد ولد آدم!!

مواجهة قادة التحالف للسنة النبوية العملية:

لم يكتف قادة التحالف بصرف قيادة الأمة عن قائدها الشرعي، علي بن أبي طالب، وابتزاز حقه[4]!

ولم يكتفوا بمحاصرة البيان النبوي المتعلق بمنصب الإمامة أو القيادة من بعد النبي وتحريم روايته وحرق المكتوب منه[5]!

ولم يكتفوا بحملة الشائعات التي شنوها على النبي للتشكيك بقوله وشخصه وصولاً إلى الغاء البيان النبوي المتعلق بالقيادة من بعد النبي[6]!

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٤٨ باب جمع القرآن، وكنز العمال ٢/ ٥٧٣، ٥٧٤، ٢/ ٨١، وجامع الأصول ٢/ ٥٠٣، والترمذي كتاب التفسير ح٣١٠٣، وابن الأنباري في المصاحف ٢/ ٤٧٦٧، ح٤٧٧٦ من الكنز كما نقله عن الخطيب وابن أبي داود والأنباري، ٢/ ٥٨٧ ح٤٧٩٦ كما نقله عن بن سعد.

(٢) الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٥.

(٣) المصدر نفسه ص٤٢ وما فوق.

(٤) رسالة معاوية لابن أبي بكر ٣/ ١١ من مروج الذهب للمسعودي، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١١٨ ـ ١١٩.

(٥) طبقات بن سعد ٥/ ١٤٠، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢ ـ ٣.

(٦) سنن أبي داود ٢/ ١٢٦، وسنن الدارمي ١/ ١٢٥، وصحيح البخاري كتاب الدعوات باب قول النبي =

ولم يكتفوا بأن قالوا للرسول وجهاً لوجه: أنت تهجر، ولا حاجة لنا بوصيتك[1]!

ولم يكتفوا بالقول بأن الرسول مجرد مجتهد، ومن حق الخليفة كمجتهد أن يتبنى رأياً معاكساً للحكم الشرعي الذي نفذه الرسول[2]!

ولم يكتفوا بأن أباحوا دم من يروي شيئاً في فضل ولي الأمر وأهل بيت النبوة، وقادوا حملة وضع الحديث على رسول الله[3]!

لم يكتفوا باخراج النبي، واخراج سنته القولية عملياً من التأثير على مسرح الأحداث عندما حاصروها ومنعوا روايتها وكتابتها وحرّفوا المكتوب منها[4]!

تبديل سنة النبي الفعلية في الأمور المالية!!

التسوية في العطاء والتفاضل فيه:

الرسول عبد مأمور يتبع ما يوحى اليه من ربه، وقد أمره ربه تعالى أن يقسم المال بين الناس بالسوية لا فضل في ذلك لعربي على عجمي، ولا لمهاجر على انصاري، ولا لسيد على مولى، لأن حاجات الناس البشرية الأساسية متشابهة، وتلك أمور علاوة على انها أمر الهي إلا أن الإنسان يدركها بالعقل الذي جعله الله حجة على خلقه وبالفطرة السليمة، فجميع أبناء الجنس البشري يأكلون ويشربون ويلبسون وينامون ويتزوجون، لذلك كان رسول الله طوال عهده الخالد يقسم المال بين الناس بالسوية، حتى أصبح عمل الرسول هذا سنة فعلية واجبة الإتباع، وجاء

= من آذيته، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة باب من لعنه النبي، وكتاب بدء الخلق باب صفة ابليس، وصحيح مسلم باب السحر.

(١) البخاري ٧/ ٩، ٤/ ٣٤ وصحيح مسلم ٢/ ١٦، ١١/ ٩٤ ـ ٩٥، وتذكرة الخواص للسبط الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي.

(٢) شرح التجريد للقوشجي ص٤٠٨،، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٦، ١٠٧، وشرح النهج ٨/ ١١١، ٤/ ١٧٨.

(٣) شرح النهج تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

(٤) الطبقات لابن سعد ٥/ ١٤٠، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢ ـ ٤.

أبو بكر واتبع سنة الرسول الفعلية هذه، فكان يقسم المال بالسوية بين الناس كما كان يفعل رسول الله.

سنة الرسول ليست مناسبة ورأى عمر بن الخطاب خير منها!!

لما تسلّم عمر بن الخطاب الخلافة من بعد أبي بكر، رأى أن سنة الرسول ليست مناسبة ولا عادلة ولا معقولة! فهل يعقل أن يُعطى القرشي مثل الأنصاري؟ وهل يعقل أن يُعطى العجمي مثل العربي؟ وهل يعقل أن يُعطى المولى مثل السيد؟ وهل يعقل أن يُعطى الطليق مثل المهاجر؟! وهل يعقل أن تُعطى أم المؤمنين عائشة مثل أم المؤمنين أم سلمة؟ . . . لقد رأى عمر أن ذلك ليس انصافاً ولا عدلاً بالرغم من أنها سنة فعلية مؤكدة من سنن الرسول.

رفع سنة النبي الفعلية وابدالها برأي عمر بن الخطاب الشخصي!!

أمام هذه «العيوب» التي تصوّر عمر أنه قد اكتشفها بسنة الرسول الفعلية قرر رفع سنة الرسول من التطبيق والغائها، وايجاد سنة جديدة أوحى له بها عقله، فقسم بين الناس على مراتبهم في نفسه ووفق الموازين التي أوحى له بها عقله، ومن ثم قسّم المال بين الناس حسب مراتبهم عنده، فأعطى زوجات الرسول مبالغ طائلة تفوق التصوُّر والتصديق وزائدة عن حاجاتهم، ولم يساوِ بين زوجات الرسول بالعطاء، فأعطى عائشة اثني عشر ألف، وحفصه مثلها، وأعطى لكل واحدة من أمهات المؤمنين الأخريات عشرة آلاف!! وأغدق عطاياه على كبار رجالاته كعثمان وطلحة والزبير، ورؤساء المرتزقة من الأعراب، واستمر على ذلك تسع سنين من عهده الرائد مخالفاً لسنة رسول الله وعاملاً برأيه الشخصي، ولم ينكر عليه أحد ذلك لا بقول ولا يد، حتى نسى الناس سنة الرسول، واتبعوا رأي عمر بن الخطاب الذي تحول مع التكرار الى سنة حقيقية لها أهمية أكثر من سنة الرسول نفسه.

النتائج المدمرة لابدال سنّة النبي برأي عمر:

طبق عمر بن الخطاب كخليفة رأيه الشخصي بعد أن ألغى سنة رسول الله، ومع الأيام وبقدرة قادر صار رأي عمر الشخصي سنة واجبة الاتباع فطبّقها تسع

سنين ثم اكتشف آثارها المدمرة وبقي سائراً عليها حتى مات، وجاء الخلفاء فنسجوا على منواله تاركين سنة الرسول ومتّبعين سنة عمر حتى سقط آخر سلاطين بني عثمان!!

بعد تسع سنين من تطبيق رأي عمر بن الخطاب الذي تحول إلى سنة بدأت الآثار المدمرة لسنة عمر تظهر فظهرت الطبقية والغنى المترف جنباً إلى جنب مع الفقر المدقع، وظهر الموت من التخمة والموت من الجوع معاً، فطلحة والزبير وعثمان ابن عفان وعمرو بن العاص كانوا يملكون الذهب الذي يكسّر بالفؤوس، وعمار وبلال وعامة الناس كانوا يموتون من الجوع.

ونمت بذور الصراع القبلي بين ربيعة ومضر، وبين الأوس الذين والوه والخزرج الذين عارضوه، وبين العرب والعجم وبين الموالي والصرحاء، وتحولت البذور إلى نار في ما بعد كبرت وكبرت حتى التهمت المجتمع الإسلامي كله[1].

عمر يكتشف بعد تسع سنين سوء رأيه:

بعد تسع سنين من الغاء عمر لسنّة الرسول واحلال رأيه الشخصي محلها اكتشف عمر أن رأيه الشخصي لم يكن أهدى ولا أكثر انصافاً من سنّة الرسول كما تصورّ قبل تسع سنين، لذلك أعلن عن عزمه على الرجوع إلى سنة الرسول فقال: «إن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عربياً على عجمياً، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر»[2].

ولكن عمر مات ولم يعش السنة، وبقيت سنَّة النبي مهجورة وسنَّة عمر نافذة، طبقها جميع الخلفاء، وصار لكل خليفة موازينه الخاصة بترتيب الناس، وتصرفوا بأموال الله وفق هذه الموازين التي لم تدم على حال، ولم يستقر لها قرار.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٠٦ ـ ١٠٧، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٨/ ١١١.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٠٧، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٨/ ١١، وتاريخ الطبري ٥/ ٢٢.

الغاء سنة الرسول الفعلية المتعلقة بخمس الخمس!!

قال تعالى ﴿واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيءٍ فإنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتَامى والمَسَاكينِ وابْنِ السبيلِ إنْ كُنْتُمْ آمنتُم باللهِ وما أنزلنا على عَبدِنا يَومَ الفُرقانِ يوَمَ التقى الجَمعانِ واللهُ على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ﴾[1].

وقوله تعالى ﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْه أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبى﴾.

بيّن الرسول هذه الآية بسنته العملية التي طبقها طوال عهده الخالد، فجعل خمس الخمس لذوي قرباه وهم بنو عبد المطلب الذكر منهم والأنثى، وبني المطلب[2]، بالإضافة الى يتيم الهاشميين ومسكينهم وابن سبيلهم... قال ابن عباس: «سهم ذوي القربى لقربى رسول الله قسمه لهم رسول الله»[3]. والحكمة من هذا التشريع إن الله تعالى قد حرّم الصدقة على محمد وعلى آل محمد[4]، فجعل هذا السهم ليسد به حاجاتهم.

عمر بن الخطاب يهمل أية محكمة ويبطل سنة النبي الفعلية:

أدرك عمر بن الخطاب أن هذه الآية وبيانها يكرسان التميز الهاشمي الذي يدعيه علي، وفي معرض حملة قادة التحالف لتركيع أهل بيت النبوة، جرّدوهم من حقهم في الخمس الوارد في آية محكمة، والثابت بالسنة الفعلية لرسول الله، بحجة أن قريش كلها ذوي قربى[5].

---

(١) سورة الأنفال آية ٤١.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٥٠، وتفسير الطبري ١/ ٥٠، ومسند أحمد بن حنبل ٤/ ٨١ والمغازي للواقدي غزوة خيبر.

(٣) مسند أحمد ١/ ٢٢٤، وسنن أبي داود ٢/ ٥١، وسنن النسائي ٢/ ١٧٧، وسنن البيهقي ١/ ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٢١، ١١٧، باب قبول النبي الهدية، وصحيح البخاري ١/ ١٨١، وسنن أبي داود ١/ ٢١٢ باب الصدقة على بني هاشم، وسنن الدارمي ١/ ٣٨٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ٣/ ٨٩، والبحار ٦٦/ ٧٦ حرمة الزكاة على بني هاشم.

(٥) تفسير الطبري ١/ ٥٠، والأحوال لأبي عبيد ص٢٣٣.

وبهذه المناسبة نتساءل طالما أن قريش ذوي قربى فلماذا تآمروا على قتل النبي!! ولماذا حاصروا الهاشميين وبني المطلب في شعب أبي طالب ثلاث سنين!! لماذا لم يتذكر أبناء البطون القربى يوم فعلوا ذلك!!، وهل حوصر بنو عدي وبنو تيم مع الهاشميين وبني المطلب أم أن بني عدي وبني تيم اشتركوا مع قريش بحصار الهاشميين والمطلبيين الذين ألغى عمر حقهم المخصص لهم بسهم ذوي القربى!!

لقد أبى عمر بن الخطاب أن يعطي بني هاشم حقهم[1] بحجة أن قريش كلها ذوي قربى كما قال[2].

وهكذا وبكل بساطة أبطل عمر بن الخطاب مفعول آية محكمة، وأهمل السنة النبوية الفعلية، وعمل برأيه الشخصي، ولم ينكر عليه أحد بقول أو بفعل، فإن كان مخطئاً فله أجر واحد، وإن كان مصيباً فله أجران حسب القواعد التي وضعها محبوه!!.

لقد اعتقد عمر أن رأيه أقرب للعدل من سنة الرسول وأسهل لتحقيق ما يريده بني هاشم الذين حرمهم من تركة النبي[3].

ولما سأل الهاشميون كيف نأكل اذن ومن أين نأكل، قال لهم الخليفة سأقدم لكم الطعام فقط ولا تزيدون عليه[4].

عمر يلغي سهم المؤلفة قلوبهم ويبطل سنة النبي الفعلية:

حدد الله تعالى للمؤلفة قلوبهم سهماً من الزكاة في الآية المحكمة ﴿إنَّما الصَّدَقاتُ للفُقَراءِ والمساكينِ والعاملينَ عَليها، والمؤلفةِ قُلُوبَهم وفي الرِّقابِ

(١) صحيح مسلم ٥/ ١٩٥، ومسند أحمد ١/ ٢٤٨، ٢٩٤، ٣٠٤، وسنن الدارمي ٢/ ٢٢٥، ومسند الشافعي ص١٨٣، وحلية أبي نعيم ٣/ ٢٠٥. بحجة أن قريش كلها ذوو قربى كما قال.

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ٥، والأحوال لأبي عبيد ص٢٣٣.

(٣) الترمذي ١/ ١١١، وطبقات بنس سعد ٥/ ٧٧، ٢/ ٣١٥.

(٤) صحيح الترمذي ٧/ ١١، وصحيح البخاري ٢/ ٢٠٠، وسنن أبي داود ٣/ ٤٩.

﴿والغارمينَ وفي سبيلِ اللهِ وابن السبيل فريضةً مِن اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾[1]، وبين الرسول الكريم هذه الآية بسنته الفعلية، فطوال عهده المبارك وهو يعطي المؤلفة قلوبهم سهمهم الوارد في هذه الآية المحكمة، ولما تولى أبو بكر الخلافة جاءوا إليه ليأخذوا سهمهم جرياً على عادتهم مع الرسول، فكتب لهم أبو بكر بذلك وذهبوا بكتابه إلى عمر، فتناول عمر كتاب أبي بكر ومزقه وقال لأصحاب السهم: لا حاجة لنا بكم، فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم، فعادوا إلى أبي بكر وقالوا له: آأنت الخليفة أم هو؟ فقال: أبو بكر بل هو إن شاء الله[2].

ولا بد من التنويه بأن رسول الله عندما أعطى للمؤلفة قلوبهم سهمهم الوارد في الآية المحكمة كان ينفذ أمراً إلهياً، ومخصصاً أعطاه الله لفئة معينة وهم المؤلفة قلوبهم، وكان الإسلام عزيزاً، ولم يكن بحاجة للمؤلفة قلوبهم وفق موازين عمر وتفكيره، فالإسلام كان عزيزاً قبل أن يتولى أبو بكر وعمر الخلافة، فقد جاء نصر الله وجاء الفتح والرسول على قيد الحياة ومع هذا كان الرسول يعطيهم، لأن هذه ترتيبات «العليم الحكيم» ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم عبد مأمور يتبع ما يوحى اليه وما يؤمر به، ثم إن توزيع السهام بالطريقة الواردة في الآية المحكمة لا يُعطي الخيرة للحاكم، فكل فئة من الفئات الثمانية تأخذ حقها شاء الحاكم أم أبى، لأن الحاكم يحكم بما أنزل الله وقد حدد تعالى على سبيل الحصر المستحقين للصدقات، فليس من حق عمر ولا غير عمر أن يحذف أي فئة أو يحرمها من حقها وسهمها الذي خصها الله تعالى به!! ثم إن الإسلام لم يأت ليدخل العرب وجيران العرب فيه، إنما جاء إلى الجنس البشري كله ومهمة الإمام أن يعمل خلال عهده على هداية الجنس البشري كله، فسهم المؤلفة قلوبهم لا يتعلق بذات الأشخاص الذي عناهم عمر، والذي لم يعد بحاجة اليهم انما هو متعلق بالصفة ذاتها، فحالة التأليف بالمال لفئات معينة باقية الى يوم القيامة وليست متعلقة بزمن من الأزمان من جهة، ومن جهة ثانية فإن الرسول قد بيّن

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠.

(٢) الجوهرة المنيرة على مختصر القندوزي الحنفي ص١٦٤، والنص والاجتهاد للإمام العاملي ص٤٢ وما فوق.

الآية وأعطى المؤلفة قلوبهم خلال عهده فصارت عملية اعطاؤهم سنة فعليّة وليس من حق عمر ولا غير عمر أن يلغى سنة فعلية قد استقرت واضطرد العمل بها!! ولو عاش عمر لسنة قابلة واكتشف الآثار المدمرة المترتبة على الغاء سنن الرسول الفعلية واستبدالها بآرائه الشخصية لقال مثلما قال يوم ألغى سنة التسوية في العطاء: لفعلت كما فعل رسول الله[1].

مصادرة تركة النبي وحرمان الورثة منها:

تملك النبي قبل البعثة وبعدها، وكانت له ممتلكاته الخاصة كأي انسان، وله أرحام يصلهم في حياته ويرثونه بعد وفاته كسائر المسلمين.

وفجأة وبدون مقدمات يقدر عمر بن الخطاب مصادرة تركة النبي كلها بعد موته، وحرمان ورثته الشرعيين من هذه التركة!! ذهلت فاطمة، وذهل علي والحسن والحسين من هذا القرار العجيب فراجعته فاطمة، وراجعه علي لمعرفة أسباب قرار المصادرة وحرمان الورثة من تركة مورثهم!!، فقال لها أبو بكر بوصفه الواجهة الرسمية لعمر: «أنه سمع الرسول يقول بأن الأنبياء لا يورثون»[2].

ومع أن علياً مستودع علم النبوة، ومع أن فاطمة هي سيدة نساء العالمين إلا أنهم لم يسمعوا بهذا القول اطلاقاً، وقد عاشوا مع الرسول قبل البعثة وبعدها تحت سقف واحد، وهم أولى من يجب أن يعلم بمثل هذه الأحكام. واستغربت فاطمة قول أبي بكر فقالت له: من يرثك إذا مت؟ فقال أبو بكر: ولدي وأهلي؟ فقالت له: فما لنا لا نرث النبي فرد أبو بكر بمقولته السابقة[3].

فتدخل علي بن أبي طالب وقال لأبي بكر: قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ فكيف نوفق بين قولك

---

(١) مراجع التسوية!! تفسير القرطبي ٨/ ١٧٩ ـ ١٨٠، وفتح القدير للشوكاني، ٢/ ٣٥٥، والدر المنثور للسيوطي ٣/ ٢٥١.

(٢) صحيح الترمذي ٧/ ١١١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١/ ١٠ ح٦٠، وسنن الترمذي ٧/ ١٠٩، وطبقات بن سعد ٥/ ٧٧. وتاريخ ابن الأثير ٥/ ٢٨٦.

الأنبياء لا يورثون وبين هاتين الآيتين!! هذا كتاب الله ينطق. فسكت أبو بكر وانصرف مصرّاً على قوله[1].

لم تكتف الزهراء بذلك بل بسطت خصومتها مع أبي بكر.وعمر أمام المهاجرين والأنصار، وارتجلت أمامهم خطبة من عيون كلام العرب، ومما قالته حول هذا الموضوع: «أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وورث سليمان داود﴾ وقال عز وجل في ما قص من خبر يحيى بن زكريا: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾، وقال عز وجل: ﴿وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله﴾ وقال: ﴿يُوْصِيكُم الله فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً الوصيةُ لِلوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ بِالمَعْرُوفِ حَقاً على المُتقِين﴾، وزعمتم أن لا حق ولا إرث لي من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها نبيه، أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون!! أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة!! لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي أفحكم الجاهلية تبغون!!»[2]

وأصر أبو بكر على رأيه، وقال: انه الوريث الوحيد للنبي[3].

ونجى الحذاء من قرار المصادرة:

ولأسباب انسانية تفضل عمر فقال لأبي بكر: «أعطهم آلة الرسول ودابته وحذاءه، فأعطوها لعلي»[4].

وأنت ترى أن ولي الله علي، وسيدة نساء العالمين نطقاً بالحق المبين، ولكن لو سلم أبو بكر وعمر بحق علي وفاطمة بإرث النبي لنزعوا منهما الخلافة في ما بعد، ولكنهما صادرا التركة وأنكرا حق أهل بيت النبوة بتركة النبي.

---

(١) كنز العمال ٥/ ٣٦٥، وطبقات بن سعد ٢/ ٣١٢.

(٢) بلاغات النساء ص١٦ ـ ١٧.

(٣) مسند أحمد ١/ ٤ ح١٤، وسنن أبي داود ٣/ ٥٠، وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٨٩، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٤٦ والجوهري في كتابه السقيفة كما ذكر بن أبي الحديد في شرح النهج ٤/ ٨١.

(٤) شرح النهج ٤/ ٨٧، ٨٩، وبلاغات النساء ص١٢ ـ ١٥.

ومن جهة ثانية، فإن تركة النبي لو آلت إلى ورثته لاستمالوا بها الناس نحوهم، وكان المال سلاحاً رهيباً، لذلك رأى عمر وأبو بكر أن يحرما أهل بيت النبوة من تركة الرسول حتى لا يستغلها أهل البيت في القضايا السياسية، فصادرا التركة والمنح، وتعهدا مشكورين بتقديم الطعام لآل محمد مقابل تجريدهم من كافة حقوقهم المالية[1].

الغاء سنة الرسول العملية في العبادات واستبدالها برأي عمر الشخصي:

صلاة التراويح:

كان الرسول يقوم ليالي رمضان ويؤدي سننها بغير جماعة، والناس يفعلون كما كان الرسول يفعل، وجاء عهد أبي بكر وكل واحد من المسلمين يقوم شهر رمضان ويصلّي منفرداً، وبعد أن مات أبو بكر وآلت مقاليد الأمور الى عمر بن الخطاب وفي سنة ١٤ هجرية، أي بعد سنة من وفاة أبي بكر، دخل المسجد فرأى الناس بين قائم وراكع وساجد وقارىء ومسبح ومحرم بالتكبير، فاستاء من هذا المنظر ورأى أنه غير مناسب وفيه خلل كبير؛ لذلك أصدر أوامره أن يصلي الناس التراويح جماعة وليس كما كانوا يصلونها في زمن رسول الله وأبي بكر وعين اماماً للرجال وآخر للنساء[2].

ولما شاهد عمر الناس على هذه الحال ارتاحت نفسه وقال: «نعمت البدعة»[3].

---

(١) البحث في الفصول السابقة، وصحيح البخاري ٢/ ٢٠٠ مناقب الرسول، وسنن أبي داود ٣/ ٤٩ كتاب الخراج، وسنن النسائي ٢/ ١٧٩ قسم الفيء، ومسند أحمد ١/ ٦ ـ ٩.

(٢) الكامل لابن الأثير ٣/ ٣١، والطبقات لابن سعد ٣/ ٨١، وصحيح مسلم باب الترغيب في قيام رمضان ٢/ ١٧٧، وصحيح البخاري ٢/ ٢٥١، وموطأ مالك ١/ ١١٤.

(٣) ٥/ ٤ من ارشاد الساري في صحيح البخاري، وروضة الناظرين لابن شحنة بهامش الكامل حيث قال أن عمر أول من جمع الناس على امام يصلي بهم التراويح، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٨، والكامل لابن الأثير ٣/ ٣١.

وهكذا تدخل عمر في العبادات أيضاً ورأى أن سنة رسول الله التي قضت بأن يصلي كل واحد من المسلمين منفرداً، ويقوم رمضان بدون جماعة أمر لم يعد مقبولاً ولا مناسباً، لذلك حمل الناس على ترك سنة الرسول الفعلية التي كلفت المسلم بأن يقوم رمضان منفرداً، وإلى اتباع رأيه الشخصي الذي يرى أن جمع التراويح أنسب، وبالفعل ترك الناس سنة رسول الله، وأطاعوا عمر بن الخطاب واتبعوا رأيه الشخصي لأنه رأى الدولة الحاكمة.

إنقاص تكبيرات صلاة الجنازة:

استقرت سنة رسول الله الفعلية بأن يُكبّر على الجنازة خمس تكبيرات، وانتقل الرسول الى جوار ربه والناس على هذه الحالة، ولما تسلم عمر بن الخطاب خلافة المسلمين رأى أن الخمس تكبيرات التي سنّها رسول الله ليست مناسبة، وأن الأفضل أن يكبّر الناس أربع تكبيرات على الجنازة بدلاً من الخمس تكبيرات التي كان يكبرها الرسول[1].

وهكذا ألغيت سنة رسول الله الفعلية في صلاة الجنازة وحل محلها رأي عمر بن الخطاب الشخصي.

نقل مقام ابراهيم من الموضع الذي وضعه الرسول فيه:

كان مقام ابراهيم ملصقاً بالكعبة المشرّفة، لكن العرب أخرجوه إلى مكانه اليوم، فلما بعث رسول الله وفتح مكة ألصقه بالبيت كما كان على عهد ابراهيم واسماعيل فلما تولى عمر بن الخطاب الخلافة نقله من الموضع الذي وضعه رسول الله فيه الى الموضع الذي وضعته العرب في الجاهلية فيه!![2]

---

(١) روضة الناظر لابن شحنة بهامش الكامل ١/٢٠٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/٣١ والغدير للأميني ٦/٤٥، والإصابة لابن حجر ٢/٢٢، ومسند أحمد بن حنبل ٥/٤٠٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ـ أحوال عمر ص٥٣ ـ ص١٣٧، وابن أبي الحديد في أحوال عمر ٣/١٣، والطبقات لابن سعد ٣/٨٤، ٢٠٤.

إسقاط جملة «حي على خير العمل» من الأذان:

الثابت عن أئمة أهل بيت النبوة أن جبريل هبط على رسول الله بالأذان، وأن جبريل قد أذّن وأقام، وعندها أمر رسول الله علياً بأن يدعو له بلالاً فعلّمه رسول الله الأذان وأمره به كما جاء به جبريل[1]. والخلاصة أن جملة «حي على خير العمل» جزء لا يتجزء من الأذان الذي تلقاه الرسول من ربه، وطوال عهد الرسول كانت هذه الجملة، هذا ما تعلمه أولياء أهل بيت النبوة من الأئمة الكرام، وقد اعترف الكثير من شيعة الحكام بأن هذه الجملة كانت من الأذان[2].

ولما تسلم عمر بن الخطاب الخلافة حذف هذه الجملة لأنها غير مناسبة.

---

(١) سنن البيهقي ١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥، والسيرة الحلبية ٢/ ١٠٥، ومقاتل الطالبيين ص٢٩٧، وميزان الاعتدال للذهبي ١/ ١٣٩، ولسان الميزان ١/ ١٦٨، ونيل الأوطار للشوكاني ٢/ ٣٢، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٧٦، وكنز العمال ٤/ ٦٦.

(٢) القوشجي آخر بحث الإمامة من شرح التجريد ص٤٨٤، وكنزالعرفان ٢/ ١٥٨، والغدير للأميني ٦/ ٢١٣، والنص والاجتهاد للإمام العاملي ص١٩٩.

موقف الرسول الأعظم من التحالف وقيادته

من المؤكد أن رسول الله كان على علم كامل بما يجري، فهو يعلم بقيام التحالف الجديد، ويعرف العناصر المنخرطة بهذا التحالف، ويعرف قياداته، ويعرف الأهداف التي جمعت المتحالفين. ومعرفة كل هذا لا تحتاج إلى كبير العناء، فوجود أعداد كبيرة من المنافقين في المدينة وما حولها حقيقة من حقائق المجتمع الإسلامي الذي كان يقوده الرسول قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَولَكُمْ مِنَ الأعرابِ منافقونَ ومِن أهلِ المدينةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُم نحنُ نَعْلَمُهُمْ سنُعَذِّبُهُمْ مرّتَينِ﴾[1]. فكل مسلم كان يعلم أنَّ أعداداً كبيرة من أفراد المجتمع الذي يعيش فيه منافقون، وأنَّ أعداداً كبيرة من الأعراب التي تقطن حول المدينة منافقون أيضاً، كان الناس يرسلون هذه الحقائق ارسال المسلّمات. مع علمهم بأنَّ المنافقين يتلفظون بالشهادتين.

وبعد الفتح كان الناس يعلمون علم اليقين أن قسماً كبيراً من الطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح منافقون بالرغم من تلفظهم بالشهادتين.

وكان الناس يعلمون أنَّ قسماً كبيراً من القبائل العربية قد دخل في الإسلام وتلفظ بالشهادتين طمعاً بالمغنم فهم بمثابة مرتزقة يأكلون من يقع ويغنمون منه حتى ولو كان رسول الله. كما قال تعالى: ﴿يتربصون بكم الدوائر﴾.

وكل الناس يعلمون أن الذين أسلموا قبل الفتح وأسلموا بعد الفتح أبناء بلدة واحدة وهي مكة وينتسبون لعشيرة كبيرة واحدة وهي قريش.

---

(١) سورة البراءة آية ١٠١.

وكل الناس يعلمون أن بطون قريش الـ٢٣ قد وقفت ضد النبوة وقاومت النبي وحاربته لا كراهية في الدين، ولكن حسداً لبني هاشم فهي تكره أن يكون النبي من بني هاشم فيتميز البطن الهاشمي عن بقية البطون وتختل الصيغة السياسية الجاهلية القائمة على اقتسام مناصب الشرف، فاذا اختص الهاشميون بالنبوة، فما هو المقابل الذي تأخذه البطون!؟

وكل الناس يعلمون أن بطون قريش الـ٢٣ قاومت محمد طوال ١٣ سنة وحاربته ٨ سنين، ولم تعترف بنبوته وبرسالته إلا بعد أن أحاطت جيوشه بمكة احاطة السّوار بالمعصم، ودخلتها تلك الجيوش دخول الفاتحين وأغلقت بوجه أهلها كل الأبواب، ولم يبق إلاّ باب الإسلام، عندئذٍ أسلمت أو تظاهرت بالإسلام وهي كارهة، واعترفت بالنبوة الهاشمية كحالة واقعية لا بد من الإعتراف بها.

عامة الناس كانوا يعرفون كل هذه المعلومات، فمن باب أولى أن يعرفها النبي.

ما هو الجديد الذي جاء به التحالف؟!

إتحاد المهاجرين مع الطلقاء كان جديداً، واتحاد بطون قريش مهاجرها وطليقها مع المنافقين كان جديداً، وتحالف البطون مع المرتزقة من الأعراب كان جديداً، واجماع هذا التحالف على عدم جواز أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة أو الملك، كان جديداً، واجماع هذا التحالف على عدم جواز اعطاء بيت النبوة أي دور مميز بعد وفاة النبي كان جديداً واجماع هذا التحالف على الحيلولة بين الإمام علي وبين قيادة الأمة من بعد النبي كان جديداً. هذه هي البلايا التي جاءت كثمرة لتحالف البطون مع المنافقين والمرتزقة من الأعراب.

الدليل على أنّ المنافقين قد إتَّحدوا مع بطون قريش؟

طالما أن ظاهرة النفاق حقيقة من الحقائق الثابتة في القرآن والسنّة، ومن الحقائق التي أجمعت عليها الأمة بما فيهم قادة التحالف، وطالما أن المنافقين

كانوا موجودين كحقيقة من حقائق المجتمع، لهم قيادة معروفة في المدينة وما حولها وهو عبد الله بن أُبَي، وللمنافقين في مكة قيادة معروفة، الرسول يعرفهم والمجتمع كله يعرفهم بلحن القول.

فمن يخبرني أين ذهب المنافقون بعد موت النبي؟ هل كانوا ممن ينتظرون موته حتى يصلحوا أنفسهم بيوم وليلة؟، وهل كانوا ينتظرون موته حتى يتبخروا من الوجود؟

من يدلني على منافق واحد قد اعترض على أبي بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو مروان بن الحكم أو امتنع عن بيعته!!؟ ومع أن التاريخ قد كتب تحت إشراف هؤلاء السادة وأولياؤهم، إلاّ أن أي مؤرخ لم يرو قط أنَّ منافقاً واحداً قد اعترض عليهم. فالبديل الوحيد أن المنافقين كانوا معهم!! بالظاهر والباطن، بالسر والعلانية!! وبالمقابل حصل المنافقون على المنافع وعلى صك بالغاء ظاهرة النفاق!! وبالاعتراف بأن المنافقين صاروا مؤمنين، مع أنَّ الله يشهد بأن المنافقين لكاذبون.

الذين اعترضوا على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ومروان.. الخ، هم علي بن أبي طالب، وبنو هاشم، وسعد بن عبادة، والحُباب بن المنذر، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأُبَي بن كعب، والبراء بن عازب، وخالد بن سعيد الأموي، وجماعة من المهاجرين والأنصار[1].

هؤلاء هم الذين اعترضوا، أما المنافقون فقد وقفوا مع السلطة، وتبنوا مواقفها ودافعوا عنها بحرارة، وبالمقابل فانهم اقتسموا الغنائم، وولتهم الدولة التاريخية على رقاب الناس. وعادة يقف المنافقون بالضرورة بالصف الذي يعارض الله ورسوله.

قد تشيع وسائل اعلام قادة التاريخ أن الذين عارضوا السلطة التاريخية كانوا

---

(١) تاريخ الخميس ١/ ١٨٨، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ٦٤، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦، وابن شحنة بهامش تاريخ ابن الأثير ص١١٢، والسيرة الحلبية ٣/ ٣٦٤، ٣٦٧، وشرح النهج نقلاً عن الجوهري ٢/ ١٣٠ ـ ١٣٤، والنص والاجتهاد للإمام العاملي ص١٢٤ ـ ١٢٥.

هم المنافقين، لكن مثل هذه الإشاعة غير صحيحة وواقع الحال يكذبها، فعدد المنافقين أكثر بكثير من الذين عارضوا وللمنافقين موقف واحد، ثم إنَّ الله ورسوله والمؤمنين يشهدون بأنَّ الدعوة الاسلامية والدولة الاسلامية قد قامتا على أكتاف الذين عارضوا، ويشهدون بحسن اسلامهم وعظيم جهادهم وبلائهم، وبصدق ولائهم لله ولرسوله، وهذا أمر يسلم به قادة التحالف أنفسهم.

ما هو موقف الرسول من التحالف، ومن كل جديد جاء به؟

صحيح أن الرسول بشر، لكن له قلب رسول، وعقل رسول، ومنهج رسول بالتفكير، لأنه معد الهياً ليكون نبياً ورسولاً واماماً وولياً للمؤمنين، ومن جهة ثانية فإن الرسول كان يجمع بين النبوة والرسالة ورئاسة الدولة الإسلامية.

والانطلاق من هذه القواعد يجنِّبنا القياس الخاطىء، فلم يعد مناسباً أن يقول أحد من الناس لو كنت مكان الرسول لفعلت كذا وكذا بهذا التحالف، بسبب الاختلاف بالتركيب النفسي والإعداد بين الرسول وغيره، ويبقى المنهج الوحيد لمعرفة موقف الرسول من هذا التحالف باستقراء السيرة النبوية الطاهرة، من مصادر أهل بيت النبوة على اعتبار أنهم وحدهم الثقة والجهة المؤتمنة على البيان النبوي.

طبيعة دولة النبي:

لقد شيّد النبي أركان الدولة الإسلامية، ودولته ليست دولة بوليسية تحشر نفسها في ضمير الإنسان وقلبه إنما هي دولة مثلى قامت لرد الاعتبار لكرامة الإنسان التي داسها الطغاة، ولمساعدة الإنسان على استعادة حريته، وتوجيهه في اطار عملية الابتلاء الإلهي، فترسم له الأهداف الإلهية السامية التي خص الله الإنسان بها، وترشد إلى أيسر الطرق لبلوغها.

تبيِّن له الخير أو تبيِّن له الشر بياناً قائماً على الجزم واليقين وتساعده على سلوك طريق الخير، والسكن إليها، وتُعينه على تجنب طريق الشر وتنفره منها وتتكاتف معه لتنفيذ الأحكام الشرعية، لتبقى الدولة والإنسان المسلم معاً في اطار

الشرعية والمشروعية. لكن دولة النبي لا تضع رقيباً على الانسان يرافقه حيثما حل أو ارتحل، ولا تجبره اجباراً على فعل الخير، ولا تفرض عليه بالقوة أن يتجنّب الشر، لأنها إن فعلت ذلك، ألغت مبررات الثواب والعقاب، وعطلت عملية الابتلاء الإلهي.

الانجازات العظمى:

أعظم انجاز حققه النبي الكريم هو اخراجه للعرب من دائرة الشرك الى دائرة التوحيد، لم يعد بوسع أحد أن يجهر بالشرك فكلهم موحِّد بالله أو متظاهر بالتوحيد، لقد نجح الرسول الأعظم بتمويل العرب من دين الشرك إلى دين التوحيد. واستطاع أن يوحد مئات القبائل والبطون في دولة واحدة لأول مرة في تاريخ العرب بفترة زمنية قياسية لا تتجاوز عملياً سبع سنين، وبكلفة بشرية لا تكاد تذكر.

وفوق ذلك دلّ العرب على الطريق الصحيح والصراط المستقيم، وشجّعهم ورغَّبهم بسلوك هذا الطريق، وبيَّن لهم الطريق المعوج أيضاً، وكشف لهم عن مآلات الطريقين.

لقد سعد النبي بهذه الانجازات العظمى، وسعدت دولته وتيقن بأنه قد أدى رسالته تماماً فارتاحت نفسه الشريفة.

لا سلطان للنبي على التحالف:

بطون قريش مهاجرها وطليقها، ومنافقوا المدينة وما حولها من الأعراب، والمرتزقة من الإعراب يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله، ويظهرون أن محمداً رسول الله، طالما أنهم يظهرون هاتين الشهادتين فلا سلطان لرسول الله عليهم، ويخرج عن صلاحية النبي أن يقول لأي واحد منهم أنت تُظهر الشهادتين وتُبطن الكفر بهما؟ لأن باطن الإنسان منطقة محظورة على النبي وعلى غيره.

والله سبحانه وتعالى هو المختص بمحاكمة الإنسان على ما في باطنه، لأنه تعالى وحده يعرف هذا الباطن على وجه الجزم واليقين، وغيره لا يعرف إلا على

سبيل الظن والتخمين، والظن والتخمين لا يصلحان أساساً للأحكام التي تنشأ مراكزاً حقوقية للإنسان أو عليه. ومع أن الله سبحانه وتعالى يعلم حقائق وخفايا هذا الباطن إلاَّ أنه ألزم نفسه العادلة باقامة الحجة المناسبة على المكلف يوم القيامة، قد ينكر الإنسان أنه قد اقترف هذا الفعل أو ذاك يوم القيامة، ويحلف بأغلظ الإيمان عندئذٍ يكلف الله يد الإنسان ورجله ليشهدا بواقع الحال، فينطقهم الله تعالى ويشهدوا على الإنسان بما فعل، وبالفعل فإنه لا يعلم حقيقةً ما في النفس البشرية إلاَّ الله وصاحبها. ومن هنا فحسب موازين العدل الإلهي التي يأخذ بها النبي ودولته فلا سلطان لمحمد على التحالف ما داموا مظهرين لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والتحالف بالإجماع مظهر لهاتين الشهادتين. هذه أمور تدرك بروح الدين الحنيف، وبالفارق الجوهري بين الدولة النبوية والدولة الوضعية ومع هذا وضَّح النبي هذه الناحية عندما رجع من غزوة تبوك وكشف له الوحى عن مؤامرة المنافقين على قتله، ومع هذا لم يعاقب المنافقين المتآمرين على قتله لأنه لا يملك الدليل(١).

قيام التحالف بين مجموعات تُظهر الشهادتين، واشاعة الاتفاق والائتلاف بينها لا يكفي لادانة هذا التحالف، فظاهرياً التحالف والائتلاف واشاعة المحبة والاتفاق مظاهر شريفة ومحمودة ولا يملك النبي وكونه رئيس للدولة أن يدخل الى منطقة الباطن المحرَّم عليه دخولها حتى لا يخدش قيمة العدل الإلهي الذي أمر النبي وأُمر المؤمنون باشاعته في المجتمع، فإذا عدى النبي على هذه القيمة المطلقة يهون على أي كان في ما بعد أن يستخف بها.

حصول الاتفاق الجرمي، أنا وأنت، وغيرنا مقتنعون أن الاتفاق الجرمي نفسياً حاصل عند التحالف، فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يُنَصِّب علي بن أبي طالب إماماً للأمة من بعد النبي، واختص ذرية النبي بالإمامة، وأعطاهم مركزاً مميزاً ليقودوها ضمن اطار الشرعية والمشروعية وهذا التنصيب والاختصاص تكليف بالدرجة الأولى، فلا أحد بالكون كله يحسن قيادة الأمة بكفاءة أئمة أهلَ

---

(١) المغازي للواقدي ٣/ ١٠٤٣، ١٠٤٤ تجد تفصيل هذا النص، وقد أشرنا اليه بالبحوث السابقة.

البيت، وليس في الكون مجموعة جديرة بالدور المميز كأهل بيت النبوة، وهذا الترتيب الإلهي لمصلحة العباد بالدرجة الأولى. التحالف يرفض ذلك كله داخل نفوس المنخرطين في صفوفه، وبالتالي فهو يعمل بالسر على الحيلولة بين الإمام وحقه الإلهي بالقيادة، وبين أهل بيت النبوة وحقهم الإلهي بالدور المميز، الإتفاق الجرمي حاصل وثابت في نفس كل واحد من أفراد التحالف، ولكن لم يُظهر يقيناً خطوات عملية تدل عليه دلالة جازمة، إلا بقرينة معاكسة، فعمر يقول أنه ليس من العدل أن يأخذ الهاشميون النبوة والملك معاً، والعدل الإلهي يوجب اعطاء النبوة للهاشميين، واعطاء الملك للبطون، ويجيبه النبي: أن هذا الترتيب ليس من عنده انما هو ترتيب الهي، ولكن عمر يمط شفتيه، وهو غير مقتنع فالخلل في ايمان عمر، ومهمة المجتمع والمؤمنون أن يحْذَروا هذا الخلل. لأن ترتيب الأئمة واعطاء الدور المميز لأهل بيت النبوة، هو ترتيب الهي لمصلحة العباد لا لمصلحة النبي ولا لمصلحة أهل البيت، فطالما أن المجتمع والمؤمنون لم يحذروا هذا الخلل، فهم المفرطون بحق أنفسهم، وهم الذين أدخلوها في تيه الشك وأخرجوها من نعمة اليقين، وبوقت يطول أو يقصر سيدركون ذلك وسيكتوون بناره ويدفعون ثمن المعصية، عندها لن ينفعهم عمر ولا قادة التحالف ولا جمع التحالف وسيندمون، ولات حين مندم، خاصة وأن كل هذا يجري والتحالف يظهر الشهادتين!!

القناعة هي التي تُحصِّن الجماعة ضد الانحراف:

قيام التحالف حالة من الانحراف عن الدين الحنيف، ينبغي أن تكون حافزاً للصادقين من المؤمنين ليقفوا بحالة يقظة تامة وليفوتوا على التحالف وقادته فرصة تحقيق أهداف التحالف، والاستعداد لمواجهته من خلال تكوين وحدة حقيقية بين المؤمنين الصادقين، والالتفاف حول الإمام المعيَّن ليخلف النبي، وهذا ما لم يحدث فقد وجد الإمام علي نفسه وحيداً مع أهل بيته. ويصف الإمام علي حالته بعد وفاة النبي، واستيلاء التحالف على السلطة بالقوة: «فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا مساعد إلا أهل بيتي، فظننت بهم عن المنيّة، فأغضيت على القذى، ورجعت

ريقي على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من وخز الشفار»[1].

فالذين آمنوا أخذوا بالمفاجأة وبدقة التخطيط وفوجئوا بأنهم أمام تنظيم مسلَّح وضع يده على مواقع السلطة، وواجه الذين آمنوا الوضع الجديد كأفراد لا كجماعة، وذهلوا عن رأس الجماعة المؤمنة، فقدروا أن التسليم أولى، وأن قوتهم لا تكاد تذكر مع جموع التحالف، والحقيقة أن الكثرة والقلة لا دور لهما في موازين الاسلام، فطوال حياة النبوة المباركة كان المؤمنون قِلَّة، وكان المنافقون والمرتزقة والمنحرفة واليهود هم أكثرية المجتمع، ومع هذا قادت القلة المؤمنة هذا المجتمع لأنها سلمت للنبي واقتنعت به وأطاعته، فلو أن القلة المؤمنة محصنة بالقناعة الكافية، ومطيعة للولاية الراشدة، لما تمكن التحالف من النجاح، فالانحراف يواجه بالقناعة المضادة وتصميمها.

قرار رئيس الدولة لا يلغي الانحراف:

لو أن رسول الله بوصفه رئيساً أصدر قراراً بلزوم القاء أعضاء التحالف لسلاحهم، وبضرورة تسليم قيادة التحالف أنفسهم لرسول الله، وبلزوم رجوع المتحالفين عن انحرافهم، وضرورة اطاعة ولي الله والإمام من بعده ـ لما قدَّم قرار الرسول هذا ولا أخَّر أمام تجمع التحالف المقتنع بأهدافه، والمطمئن لها، لأن قرار الرسول بوصفه رئيس دولة ليست له قوة بشرية أو جماعة متكاتفة ومقتنعة به تضعه موضع التنفيذ، التحالف يدرك ذلك جيداً، لذلك استغل قادته سماحة الإسلام وحريته ليبنوا رويداً رويداً قاعدة شعبية تتبنّى موقفاً معارضاً لحكم الله ورسوله، ولتوجه الجماعة المؤمنة الصادقة، وظلت الجماعة المؤمنة مجرد مجموعة كبيرة من الأفراد ينقصها التنظيم، ووحدة الموقف، ووحدة الحركة، والقدرة على تحقيق ذلك بأي لحظة.

كان رسول الله هو نظام الجماعة المؤمنة الصادقة، أو خيط سبحتها فلما

---

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة ٣/ ٦٩، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٩٧.

مات رسول الله انقطع خيط السبحة، وانفرط العقد، وفقدت كل حبة من حبات السبحة ارتباطها مع الحبات الأخرى.

بينما كان التحالف على العكس من ذلك، كوّنوا قيادتهم والرسول على قيد الحياة، وحددوا أهدافهم، وجمعوا أنفسهم، صفاً واحداً حتى بمواجهة النبي نفسه، قال الرسول في بيته: أريد أن أكتب للأمة، كتاباً فتصدى له عمر وقال: لا حاجة لنا بكتابك فأنت تهجر، والقرآن يكفينا! وعلى الفور ردد حزب عمر: القول ما قال عمر، إنَّ الرسول يهجر!!!.

لماذا لم ينظم الرسول الفئة المؤمنة لمواجهة عصر ما بعد النبوة؟، يتعذّر على النبي عملياً أن يفعل ذلك. أعلن يوماً أنه سيذهب لأداء العمرة، فخرج معه ١٥٠٠ رجل يشهدون الشهادتين، وعسكر بهم في الحديبية وكان من جملة أصحابه رأس النفاق وزعيمه عبد الله بن أُبَيّ!!! طلب النبي من أصحابه أن يبايعونه على الموت، فتقدم المؤمنون والمنافقون فبايعوا الرسول على ذلك وبايع معهم عبد الله بن أبي!!.

عرضت قيادة البطون على ابن أُبي أن يطوف بالكعبة فرفض قائلاً: لن أطوف وقد منعتم رسول الله! قُل لي بربك كيف يمكن للنبي أن يقول للصادقين انني أدعوكم إلى اجتماع خاص وأنتم أيها المنافقون ابقوا في أمكنتكم!!! هذا عسير وغير منطقي لكن المؤمن الصادق يكون حيث أراده الرسول أن يكون، فكلام الرسول بيِّن كالشمس، وعليٌّ رايته وهي مرفوعة، ما ضر المؤمنين لو انضووا تحتها، عندئذٍ يوجههم الإمام ويهزم بهم المنحرفين بعد أن يلقى الله في قلوبهم الإنحراف!! التحالف يدعوهم الى المعصية والى السير في طريق مظلم، ورسول الله يدعوهم الى الطاعة والسير على الصراط الواضح، فلم يلبُّوا دعوة الرسول، وتركوا الإمام من بعده وحيداً، وأفسحوا المجال لخيل التحالف لتمر وتدوس بسنابكها أهل بيت النبوة!!! علي وفاطمة والحسن والحسين يذهبون إلى بيوت الأنصار ويطلبون منهم النصرة ومع هذا لا يجيبون، فاطمة بنت محمد تدخل على القوم وتعرض قضيتها العادلة عليهم، وتقيم الحجة على القوم، ومع

هذا لا يُصغي لها أحد!! الحطب يُجمَع ويوضع حول البيت الذي يسكنه علي وفاطمة والحسن والحسين ويهددهم التحالف بحرقه وتخرج فاطمة فتبكي وتنادي: يا أبت، يا رسول الله ومع هذا لا يجيبها أحد!!

لماذا لم يقتلهم النبي قبل أن يستفحل خطرهم؟

أسيد بن حضير أحد قادة التحالف، وأحد أفراد السرية التي كانت مهمتها حرق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه[1].

نَنقل للقارىء الكريم تفاصيل الحديث الذي جرى بين الرسول وبين أسيد هذا!! أثناء العودة من غزوة تبوك!!

«قال أسيد بن حضير: يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل من العقبة؟ قال الرسول: يا أبا يحيى أتدري ما أراد البارحة المنافقون وما هموا به؟ قالوا: نتبعه في العقبة، فإذا أظلم الليل عليه، قطعوا انساع راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني من راحلتي. فقال أسيد: يا رسول الله لقد اجتمع الناس ونزلوا، فمُرْ كل بطن أن يقتل الرجل الذي همّ بهذا، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله، وإن أحببت، والذي بعثك بالحق، فنبئني بهم فلا تبرح حتى آتيك برؤوسهم، وأمرت سيد الخزرج فكفاك من في ناحيته، فإن مثل هؤلاء مشركون يا رسول الله!! حتى متى نداهنهم وقد صاروا اليوم في القلة والذلة، وضرب الإسلام بجرانه، فما يستبقي من هؤلاء؟ قال الرسول لأسيد: اني أكره أن يقول الناس أن محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه! فقال أسيد: يا رسول الله فهؤلاء ليسوا بأصحاب!! قال رسول الله: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال أسيد: بلى، ولا شهادة لهم، قال الرسول: أليس يُظهرون أنّي رسول الله؟ قال أسيد: بلى، ولا شهادة لهم، قال الرسول: أني قد نهيت عن قتل أولئك»، فأسيد لم يفهم التنظير الشرعي والعلة في عدم قتلهم

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤، وأبو بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١/ ١٣٠، ١٣٤، ٢/ ١٩.

لذلك ختم رسول الله الحديث مع أسيد بهذه الجملة: اني قد نهيت.. انتهى النص الحرفي لهذه الواقعة[1].

ألا يستطيع أُسيد بن حضير أن يعتذر عن الذهاب بالسرية التي كلفها عمر باحراق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه، وفيه علي والحسن والحسين!! ألا يستطيع أسيد أن يتفرج على الأقل دون أن يشارك!! ألا يستطيع أسيد أن يذكر هذا الحوار مع رسول الله!! ألا يستطيع أسيد لما حضرت فاطمة بنت محمد وأقامت الحجة على القوم وطالبتهم بتركتها من أبيها وبفدك وبحقها في الخمس أن يقول لأبي بكر وعمر وعثمان وبقية قادة التحالف: لا تكسروا بخاطر بنت محمد، فقد مات أبوها قبل يومين فقط.. أعطوها فدك فهي أولى بفدك من مروان الذي طرده رسول الله ولعنه. لو قال أسيد بن حضير ذلك فلن يقطع قادة التحالف رأسه!!! تلك طبيعة القوم الذين قادهم النبي!!! لقد دفع الأنصار الضريبة كاملة في ما بعد وسقطوا في مخالب الظالمين، لم يضروا النبي إنما ضروا أنفسهم، وكلما جاء ظالم ضيق الخناق عليهم، حتى جاء ابن معاوية يزيد فاستباح المدينة وقتل عشرة آلاف بيوم واحد، وحملت ألف بكر من دون زوج، وختم أعناق من بقي الصحابة وأيديهم امعاناً باذلالهم، وبايعوا على أنهم خول وعبيد لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية!!، هل يفعل علي ذلك؟ هل يفعل أهل بيت النبوة ذلك؟! لقد استدرج الظالمون أهل المدينة حتى إذا ركن أهل المدينة اليهم قتلوهم، حينذاك بحثوا عن علي وعن أهل بيت النبوة، وكان الوقت قد فات.

ونجمل الموقف فنقول أن قتل النبي للمتحالفين غير ممكن وغير وارد للأسباب التي أوردناها في هذا الفصل، والنبي ليس بوكيل على الناس ومهمته أن يبيِّن لهم الطريق السوي وأن يحذِّرهم من سلوك الطريق الأخرى، ويخرج عن اختصاصه أن يجرّهم الى الحق جراً. لقد بذل جهده وأخرج الناس من دائرة الشرك إلى دائرة التوحيد ووحَّدهُم ولأول مرة، وبنى لهم ملكاً عريضاً، وهو يرى

---

(١) المغازي للواقدي ٣/ ١٠٤٣ ـ ١٠٤٤ طبعة مؤسسة الأعلمي.

رداً لا يتفق مع هذا الجميل. إنّ عليه أن يبلغ رسالة ربهم كاملة، ولكنه ليس عليهم بوكيل.

حكم القرآن الكريم في اشاعات التحالف ومزايداتهم على النبي

فصَّلْنا في فصل سابق نماذج من الإشاعات التي اختلقها قادة التحالف وشيعتهم على النبي الكريم لغايات التشكيك بالسنة النبوية المتعلقة بقيادة الأمة بعد وفاة النبي، تمهيداً لإبطال مفاعيلها، والغاء الترتيبات الإلهية المتعلقة بالإمامة والقيادة والمرجعية من بعد النبي، ونريد الآن ان نعرف ما هو حكم القرآن في اشاعاتهم تلك؟

إن إشاعات قادة التحالف التي تشكك بأحاديث الرسول، واتزانه، وعقله وخلقه غير صحيحة، وهي محض اختلاق، بالعقل والضرورة لأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم صفوة الجنس البشري، ويكفيه شرفاً أنه رسول الله، ولكن لأن قادة التحالف يرون أن القرآن وحده يكفي!! ولا داعي لأحاديث الرسول ولا لتوجيهاته، فمعنى ذلك أن قادة التحالف يعترفون بالقرآن الكريم ويعتقدون أنه من عند الله!! وبالتالي يصلح أن يكون حجة عليهم لمواجهة الاشاعات التي أطلقوها، وحملة التشكيك التي قادوها ضد رسول الله. ومحمد نفسه يؤمن بالقرآن، فهو الذي تلقاه من ربه، وأُمر أن يقرأه على الناس، وأن يُبَيِّنَه لهم، فمن باب أولى أن يقبل حكمه!! فهل يقبل قادة التحالف حكم القرآن بشخص محمد وقوله؟

قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، والنَّجْمِ إذا هَوَى، ما ضَلَّ صاحِبُكُم ومَا غَوَى، وما يَنْطِقُ عن الهوى، إنْ هُوَ إلاّ وحْيٌ يُوحَى، علَّمَهُ شدِيدُ القُوى﴾[1].

(١) سورة النجم الآيات ١ ـ ٥.

ولا خلاف بين قادة التحالف أن هذه آيات من القرآن الكريم الذي يؤمنون به حسب زعمهم، والذي قبلوا حكمه فيصلاً بيننا وبينهم، ولا خلاف أيضاً بأن كلمة «صاحبكم» تعني النبي بشخصه وقوله، ولا خلاف بأن هذه الآيات عامة، ويجب أن يُحمل حكمها على العموم، وأن جملة ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ جاءت عامة. فهو عبد مملوك لله، فما ينطق به النبي ليس هوى إنما هو وحي يوحى!! وقد تواترت الآيات القرآنية على صحة هذا الفهم، انظر الى قوله تعالى مخاطباً النبي في قوله تعالى: ﴿إنْ أتّبعُ إلاّ ما يوحى إليَّ﴾[1] وقوله تعالى للنبي ﴿قُلْ إنَّما أتّبعُ ما يُوحى إليّ مِنْ ربِّي﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إنْ أتّبعُ إلاّ ما يوحى إليَّ﴾[3]، وأمْرُ الله تعالى للنبي ﴿واتَّبعْ ما يوحى إليك﴾[4]، وقوله تعالى مخاطباً النبي: ﴿واتَّبعْ ما يوحى اليكَ من ربّكَ﴾[5].

الإطلاق يؤكد الإطلاق:

قال تعالى في سورة الحشر[6]: ﴿وما آتاكُمُ الرَّسولُ فخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عنهُ فانْتَهُوا واتَّقُوا الله إنّ الله شديدُ العقابِ﴾ فقد جاء الأمر الإلهي بهذه الآية مطلقاً فيتوجب على المسلم الصادق أن يأخذ كل ما يأتي به الرسول ويأمره به اطلاقاً، وأن ينتهي عن كل ما نهى عنه الرسول اطلاقاً، ولا خلاف على وضوح هذه الآية، وعلى استحالة تأويل الإيتاء النبوي، والنهي النبوي!! فكيف يمكن التوفيق بين زمن هذه الآية وبين اشاعة قادة التحالف «بأن الرسول يتكلم في الغضب والرضى ولا ينبغي أن يكتب كل ما يقوله»!! كما زعموا[7].

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٠.
(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٣.
(٣) سورة يونس آية ١٥.
(٤) سورة يونس آية ١٠٩.
(٥) سورة الأحزاب آية ٢.
(٦) سورة الحشر آية ٧.
(٧) سنن الدارمي ١/ ١٢٥ باب من رخص في الكتابة في المقدمة، وسنن أبي داود ٢/ ١٢٦ باب كتابة

العبادات والمعاملات تكذِّب مزاعمهم:

من المتفق عليه بأن الصلاة هي عماد الدين، ومن المتفق عليه أن القرآن الكريم ذكر مصطلح الصلاة مجملاً لا مفصّلاً، وأن الرسول العظيم هو الذي علَّمَ الناس كيف يصلُّون، فإذا أخذنا بمقولة التحالف بأن القرآن وحده يكفي، وبأنه لا حاجة لحديث الرسول ولا لتوجيهاته، فمعنى ذلك أنهم أسقطوا الصلاة، وأُسقطوا الزكاة، وأسقطوا الحج وأسقطوا معظم العبادات، ومعظم المعاملات تماماً كما أسقطوا الأحكام الشرعية النبوية المتعلقة بالقيادة والإمامة والمرجعية.

طاعة الرسول كطاعة الله ومعصية الرسول كمعصية الله، والرد على الرسول رد على الله:

الذين زعموا أن القرآن وحده يكفيهم وليسوا بحاجة لحديث رسول الله أو توجيهاته وأشاعوا ذلك بين الناس خالفوا القرآن نفسه، وفرَّقوا بين الله ورسوله وعصوا الله بمعصيتهم للرسول، وردوا على الله بردهم على رسوله.

فالقرآن الكريم جاء واضحاً بما جاء به **﴿وما آتاكُمُ الرسولُ فخذوه.. وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[1] لأن القرآن الكريم قد صرّح بأن اطاعة الرسول هي اطاعة الله، ومعصية الرسول هي معصية لله بدليل قوله تعالى **﴿ومَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فقد أطاعَ الله﴾**[2] فالله سبحانه وتعالى قد فرض على المسلمين اطاعة الرسول كما فرض عليهم التوحيد، ومن هنا قرن الله سبحانه وتعالى طاعته بطاعة الرسول حيث كرر تعالى **﴿وأطِيعُوا الله والرَّسولَ﴾**[3]. فالقرآن الكريم الذي زعموا تمسكهم به يأمرهم أن يطيعوا الرسول تماماً كما يطيعون الله، وأن يتجنبوا معصية الرسول

= العلم، ومسند أحمد ٢/ ١٦٢، ٢٠٧، ٢١٦، ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٨٥.

(١) سورة الحشر آية ٧.

(٢) سورة النساء آية ٨٠.

(٣) سورة آل عمران آية ١٣٢، وانظر أيضاً الآيات الواردة في آل عمران آية ٣٢، والنساء آية ٥٩، والمائدة آية ٩٢، والنور آية ٥٤، محمد آية ٣٣، والأنفال آية ١ و٢٠ و٤٦.

تماماً كما يتجنبون معصية الله، وشعارهم «حسبنا كتاب الله». ما هو في الحق والحقيقة إلاّ شعار يراد به باطل، تماماً كخدعة معاوية وعمرو بن العاص في صفين «هذا كتاب الله بيننا وبينكم» فإذا اكتشفت الناس بعد ألف عام ونيف خدعة شعار معاوية، ومع هذا فإن المسلمين لم يكتشفوا بعد خدعة شعار «حسبنا كتاب الله».

ما هي الحكمة من قرن طاعة الله مع طاعة الرسول؟

لأن الرسول ـ أي رسول ـ وليس محمد فحسب يحمل رسالة، يجب أن يطاع، لأن عدم اطاعة الرسول، تفوّت الحكمة من رسالته، لذلك فرض الله تعالى اطاعة الرسل عامة، ومحمد خاصة كما فرض التوحيد قال تعالى في سورة النساء[1] ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ ليُطاعَ﴾.. لأنه بدون اطاعة الرسول يتعذّر على الرسول أن يؤدي مهمته، وأن يبلغ مضامين الرسالة الإلهية. فالرسول هو همزة الوصل المتعلقة بالرسالة بين الله وبين الناس، فهو يتلقى من الله، ويبلغ المكلفين، فالله سبحانه وتعالى كلّف المكلفين بواسطة الرسول، والرسول هذا مُعدّ، ومهيّأ، إلهياً، ليبلغ الرسالة الإلهية على وجهها بدون زيادة حرف أو نقص حرف، أو نسيان حرف. وبالتالي فإن هذا الرسول هو الأعرف بما يرضي الله، وما يغضبه، فهو المكلّف من الجناب الإلهي، لأنه ثقة، أو لأنه معصوم عن السقوط بما يسقط به عامة الناس وخاصتهم.

ومن هنا فلا يكتمل ايمان الإنسان بالله إلاّ إذا آمن برسله وبخاتمهم محمد، فلو أن عَمْراً من الناس قال: إنني أصدِّق محمداً بأن القرآن كله من عند الله، وأصدق بأن محمداً رسولٌ من عند الله، ولكني لا أصدِّق محمداً في غير ذلك، لكان عمرو هذا كافراً بكل الموازين، ومتناقضاً منطقياً مع نفسه، لأن القرآن أوجب طاعة النبي كما أوجب طاعة الله، واعتبر معصية النبي تماماً كمعصية الله، واعتبر الإيمان بالنبي متمماً بل ومفتاحاً للإيمان بالله، ومن هنا تتبين عبثية قول قادة التحالف أمام النبي، أنت تهجر، ولسنا بحاجة لكتابك حسبنا كتاب الله!!! لأن

---

(١) سورة النساء آية ٦٤.

النبي عندما أراد أن يكتب الكتاب كان وما زال نبياً ورسولاً ورئيساً للدولة، ومعصوماً ومؤتمناً على تبليغ رسالات ربه!! ومن هنا أيضاً تتبين عبثية قادة التحالف الذين نهوا عن كتابه أحاديث الرسول بدعوى أنه ليس كل ما يقول الرسول صحيحا!! أو أن قول الرسول يسبب الخلاف بين المسلمين.

المعيار الغامض، والكشف عن أهداف قادة التحالف:

قبل أن ينتقل الرسول الى جوار ربه، نهى قادة التحالف سرِّياً عن كتابة أحاديث الرسول بحجة أنَّ الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى، وليست كل أحاديث الرسول جديرة بأن تكتب[1].

والسؤال كيف نعرف أن هذا القول أو ذاك صدر من الرسول وهو في حالة رضا حتى نكتبه، وأنَّ هذا القول أو ذاك صدر من الرسول وهو في حالة غضب حتى لا نكتبه؟ وأي آية، وأي حديث نبوي، بل وأي شريعة إلهية نصَّت على هذا المعيار!!؟ من الذي يشهد لنا أن هذا القول أو ذاك صدر في حالة الرضى أو الغضب وما هو دليله على كل حالة!! وكيف نصدقه بدون دليل!! وهل يمكننا احصاء وفرز ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير أنَّه قد صدر عن الرسول، وهو في حالة غضب أو رضى!!!

القضية ليست قضية الغضب أو الرضى!!

ينصبُّ هدف قادة التحالف على إبطال مفاعيل الأحاديث النبوية المتعلقة بالإمامة أو القيادة والمرجعية بعد وفاة النبي، لأنَّ هذه الأحاديث تهدم أحلامهم ومطامعهم بقيادة الأمة بعد وفاة النبي، ويتعذّر عليهم أن يفصحوا عن غايتهم وأن يكشفوا عن حقيقة أهدافهم من هذا الغموض والتشكيك، لذلك شنّ قادة التحالف حملة تشكيك بكل الأحاديث الصادرة عن الرسول، واخترعوا فكرة الغضب والرضا اختراعاً، ولما استولى التحالف على القيادة بعد وفاة النبي قام أول الخلفاء

---

(١) تجد هذا الزعم في سنن الدارمي ١/ ١٢٥، وسنن أبي داود ١٢٦٢، ومسند أحمد ٢/ ١٦٢، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٦، ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٨٥.

أبو بكر باحراق الأحاديث التي كتبها عن رسول الله، ثم خطب الناس وقال: «إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله»[1].

وهكذا صدر القرار بمنع حديث رسول الله!!.

ولما مات أبو بكر وآلت الخلافة الى عمر، كانت أول مشاريعه أن طلب من الناس كحاكم أن يأتوه بكل أحاديث الرسول التي كتبوها، وظن الناس أن عمر يريد أن يجمع هذه الأحاديث فأتوه بها، فلما اكتملت بين يديه أمر بتحريقها وحرقت فعلاً[2].

وحمل الخليفة حملة شديدة لمنع الناس من رواية وكتابة أحاديث رسول الله وقد وثقنا ذلك تحت عنوان «الشائعة الأولى»[3].

وهكذا تعامل مع أحاديث الرسول بصراحة أشد من تعامله مع آثار الفرس ومكتبة الاسكندرية، لقد محى كتب الفرس، وكتب اليونان، وأحرق كتب أحاديث الرسول!!

وجاء عثمان وكان أول مشروع له أن أصدر مرسوماً بعدم جواز رواية أي حديث لم يسمع به في عهدي أبي بكر وعمر[4].

لماذا أجمع الخلفاء الثلاثة على ذلك؟

ليس بالإمكان فهم هذه السياسة عند الخلفاء الثلاثة، فشعار حسبنا كتاب الله لم يعد كافياً!! وتصورَّ الخليفة أبو بكر أنَّ أحاديث الرسول تسبب الإختلاف لم يعد مقنعاً، قد اهترأت الاشاعات التي أطلقها قادة التحالف، ومجتها الأذواق السليمة فما هو القصد من سياسة منع كتابة ورواية أحاديث الرسول؟

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢، ٣.
(٢) الطبقات لابن سعد ١/ ٨٥.
(٣) فهرست ابن النديم ص٣٣٤، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٠٧.
(٤) منتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٤/ ٦٤.

معاوية يكشف أهداف قادة التحالف، ويُخصِّص المنع ويُعَمِّم نقمته على المؤمنين:

روى المدائني في كتابه (الأحاديث) كما في شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد، وكما في معالم المدرستين للعلامة العسكري[1] أن معاوية كتب نسخة واحدة الى كل عماله بعد عام الجماعة أن «برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته»[2].

فمعاوية أحد قادة التحالف، وعلى علم بالأسباب الحقيقية لمنع أحاديث الرسول، وطالما أنَّ معاوية بالتعاون مع المنافقين والمرتزقة، والغافلين عن الدين استطاع أن يقهر المؤمنين وأن يحكم أمة محمد بالقوة فما هو الداعي للمواربة واللَّف والدوران والتستُّر ليعلنها صريحة «بأنه لا يجوز أن يُروى أو يُكتب أي حديث يتضمن فضلاً أو ذكراً لعلي بن أبي طالب، أو لأهل بيت النبوة، ممن يخشى معاوية إذا أعلن الحقيقة، وكشف عن الغاية من منع حديث الرسول، فشعار حسبنا كتاب الله لم يعد كافياً، ولا قادراً على حل الإشكالات في مملكته الإسلامية الكبرى!!

وزيادة في الوضوح عمم معاوية نقمته على كل الذين يوالون علي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة، فأصدر مرسوماً ملكياً ثانياً وعمَّمه على عماله في الآفاق «أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي بن أبي طالب وأهل بيته شهادة»[3].

وأصدر مرسوماً ثالثاً وعمَّمه على الآفاق هذا نصه: «ولا تتركوا خبراً برواية أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحب اليّ وأقر لعيني، وادحض لحجة أبي تراب وشيعته»[4].

---

(١) معالم المدرستين ٢/ ٤٨.

(٢) شرح النهج تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وأصدر مرسوماً رابعاً وعمّمه على جميع البلدان هذا نصه: «أن انظروا من قامت عليه البيِّنة أنّه يحب علياً وأهل بيت النبوة فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه»[1].

وأصدر معاوية مرسومه الملكي الخامس وعمّمه على البلدان، وهذا نص المرسوم: «من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم ـ يَعني علياً وأهل بيت النبوة ـ فنكِّلُوا به وأهدموا داره»[2]

وهكذا صارت تهمة الكفر أخف من تهمة محبة أهل بيت النبوة، وهكذا وضَّحَ معاوية الأسباب الحقيقة لمنع رواية وكتابة أحاديث الرسول، وصبَّ كامل نقمته ونقمة الدولة التي يرأسها على أهل بيت النبوة، وعلى كل من يذكر بحبهم!!

وهكذا كشف معاوية عن غاية قادة التحالف من منع رواية الأحاديث النبوية وكتابتها، وحدد هذه الغاية تحديداً واضحاً «ودخل البيوت من أبوابها» أما قادة التحالف الذين سبقوه، فقد اضطروا أن يخفوا غايتهم الحقيقية، وأن يسلكوا طريقين إلى هذه الغاية ففي حياة الرسول أطلقوا فيه شائعاتهم السرّية للتشكيك بقول الرسول، وخلقه، وعقله حتى يبطلوا مفاعيل أحاديث الرسول المتعلقة بولاية وقيادة الأمة بعد وفاة الرسول، والمتعلقة بالدور المميز لأهل النبوة، ولتحقيق نفس الغاية وبعد موت الرسول وبعد أن استولى قادة التحالف على السلطة صدرت مراسيمهم بحرق أحاديث الرسول المكتوبة، ومنع رواية وكتابة أحاديث الرسول بدعوى أن القرآن وحده يكفي، وأنّ رواية وكتابة أحاديث الرسول تصد الناس عن القرآن، على حد تعبير عمر بن الخطاب، وتسبب الإختلاف، على حد تعبير أبي بكر، وقد استظل الإثنان بخيمة شعارهم العتيد «حسبنا كتاب الله»، وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة.

---

(١) شرح النهج ـ تحقيق حسن تميم ـ ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

(٢) شرح النهج ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٦٧ ـ ١٦٨.

الباب الرابع

الإمامة أو القيادة في الإسلام



الفصل الأول:

التأصيل الشرعي للإمامة
بعد وفاة النبي (ص)

الانجازات الكبرى ونصر الله والفتح:

بفترة زمنية قياسية، وبكلفة بشرية لا تُكاد تُذكر، استطاع الرسول الأعظم (ص) أن يحوّل العرب من الشرك إلى دين التوحيد، فلم يعد بوسع أحد أن يظهر غير دين التوحيد، كما استطاع الرسول الأعظم أن يوحد قبائل العرب وبطونها، وأن يبني لهم دولة لأول مرة في التاريخ البشري كله، وأحاط الناس علماً بالتعاليم الإلهية المتعلقة بالعبادات، والمعاملات والسياسات. وأدرك الذين آمنوا إنَّ الله قد أوفى بوعده لرسوله، واتضح الطريق وأنه قد جاء حقاً نصر الله والفتح، وأن الرسالة الإلهية قد بُلِّغت إلا قليلاً، وأن الفراق بين القائد والأتباع قد اقترب بعد أن أُحيط الذين آمنوا علماً بأن الله قد خيَّر رسوله بين الملك في الدنيا أو ما عند الله، فاختار ما عند الله، لأن الملك وما في الدنيا كلها هزيل إذا ما قورن بما عند الله.

القائد على علم بالتحالف المنحرف:

علم النبي ـ القائد ـ بقيام التحالف، وبالمجموعات التي تكوّنه، وعرف قياداته وفهم أهدافه، ومجملها: رفض الاختيار الإلهي لعلي بن أبي طالب (ع) ليكون إماماً وقائداً ومرجعاً للأمة بعد وفاة النبي (ص)، ورفض الاختيار الإلهي لأهل بيت النبوة ليقوموا بدور مميز بقيادة الأمة بعد وفاته، وكان النبي على علم بالشائعات التي أطلقتها قيادة التحالف للتشكيك بشخصه، وذاكرته، وعقله وصولاً

إلى إبطال مفاعيل الأوامر الإلهية التي بلغها الرسول للأمة. وقد أسف النبي لذلك أشد الأسف وشلت حركتهم ضدّه قيمة الأمر الإلهي، بالتفصيل الذي تناولناه في الفصل السابق.

وما على الرسول إلا البلاغ:

لقد اختار الله محمداً رسولاً كما اختار غيره من الرسل، ليبلغ آخر رسالة الهية الى بني البشر، ومهمة الرسول أن يبلغ الرسالة التي عهد الله اليه تبليغها بدون زيادة ولا نقصان، ويتبع ما يوحى اليه بكل خطوة، فالرسول عبد مأمور لله، ليس له من الأمر شيئاً إلا ما خوله الله تعالى، لقد بلغ كل رسول سبق النبي رسالة الله الى قومه، ورفضت على الغالب أقوام الرسل كافة الرسالات الإلهية، لم يعاقب الله الرسول بجرم قومه وعدم تصديقهم له انما أخذ الأقوام التي كذبت الرسل، ونجى الله رسله، لأن مهمة الرسول أي رسول هي البلاغ.

لقد نجح النبي حيث أخفق غيره، وتحمل من الأذى والبلاء، ما لم يتحمله غيره، وصبر على قومه، حتى أنقذهم من الشرك الى التوحيد، وأقام دولتهم لأول مرة في التاريخ، وبين لهم صراط الله المستقيم، وتابع عملية تعميق مفهوم التوحيد في النفوس، ومفهوم الوحدة، ووضع الناس في أدق تفاصيل صراط الله المستقيم، فاستقامت أمورهم وعرفوا درب الفلاح.

في بداية الفرحة بنصر الله والفتح، انحرفت شرائح من أمة محمد، وطعنت باختيار الله سبحانه وتعالى لعلي ليكون إمام الأمة من بعد النبي، مثلما طعنت باختيار أهل بيت النبوة لدور تاريخي مميز بعد وفاة النبي، بمعنى أن هذه الشرائح التي كونت تحالفاً قبلت الرسالة الالهية أو تظاهرت بقبولها، ولكنها رفضت الجانب المتعلق بقيادة الأمة من بعد النبي ورفضت اعطاء أهل بيت النبوة دوراً مميزاً في قيادة الأمة!!! وباختصار شديد فإن التحالف يقبل بكل إحترام الرسالة الإلهية إلا ذلك الجانب منها المتعلق بقيادة الأمة ومرجعيتها وامامتها، والذي يعطي دوراً بارزاً لأهل بيت النبوة، تماماً كما رفضوا هم وأسلافهم ومن شايعهم نبوة محمد (ص) في بداية الأمر لنفس الأسباب والحجج الواهية. إنَّ رفض

التحالف (للاختيار الإلهي) يهز اسلام كل فرد منخرط في هذا التحالف، ويعرض للخطر مستقبل الأمة التي بناها محمد (ص) وأهل بيته بالعرق والدم، وينحرف بهذه الأمة عن صراط الله المستقيم الذي تعذب محمد (ص) طوال ٢٣ عاماً حتى بينه، فماذا يفعل النبي بهذه الحالة؟ هب أن الأمة رفضت الرسالة الإلهية كلها فماذا يمكنه أن يفعل؟ إنما هو رسول ومهمته تنحصر بالتبليغ وباتباع ما يوحى اليه: ﴿فَهَلْ على الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ﴾[١] ﴿فإن تَوَلَّوا فإنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾[٢] ﴿وما على الرَّسُولِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ﴾[٣] ﴿فإنْ أعْرَضُوا فَما أرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إنَّ عَلَيْكَ إلاَّ الْبلاغُ﴾[٤] ﴿ومَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظا وما أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكيلٍ﴾[٥] ﴿إنْ يَشأْ يَرْحَمْكُمْ أوْ إنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَما أرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكيلاً﴾[٦].

وبالايجاز: فإن مهمة النبي منحصرة بتبليغ الرسالة الإلهية كاملة إلى العرب خاصة، والجنس البشري عامة واتباع ما يوحى إليه أثناء عملية التبليغ، فإذا أعرض العرب كلهم أو بعضهم، وإذا أعرض الناس كلهم أو بعضهم عن مضامين الرسالة الإلهية كلها أو بعضها، فمحمد (ص) ليس حفيظاً على العرب أو على الناس ولا وكيلاً عنهم إنما عليه أن يبلغ رسالة ربه، وما أوحى إليه كاملاً سواء تقبل منه الناس ذلك أو أعرضوا عنه. فهو في حالة تقبل الناس لما جاء به لا يوقف البلاغ إنما يعممه ويعمقه، وفي حالة الإعراض عنه لا يوقف عملية البلاغ، إنما يكررها ويعممها ما دام موجوداً، لأن مهمته الأساسية محصورة بابلاغ رسالات ربه ما دام حياً.

تركيز الرسول على قيادة الأمة ومرجعيتها بعد وفاته:

الأمة الإسلامية نشأت حديثاً، وولدت رسمياً بواقعة الهجرة المباركة،

---

(١) سورة النحل آية ٣٥.

(٢) سورة النحل آية ٨٢.

(٣) سورة النور آية ٥٤، العنكبوت آية ١٨.

(٤) سورة الشورى آية ٤٨.

(٥) سورة الأنعام آية ١٠٧.

(٦) سورة الأسراء آية ٥٤.

وتعودت على الارتباط بنبيها ورسولها، وقائدها، ومرجعها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهو: الرسول وهو القائد، وهو المرجع، وهو القاضي، وهو المعيل، وهو الحاكم وهو الحكم بنفس الوقت، بمعنى: أن قائد الأمة الاسلامية كنظام السبحة «خيط المسبحة» إذ انقطع الخيط فجأة ـ وبوقت غير مناسب ـ تتفرق كل حبات السبحة، وقد تضيع، وقد تدملها الأرجل. ثم إن الأمة حديثة العهد بالإسلام، فأعداد ساحقة منها لا تعرف من الإسلام إلاّ اسمه ولا تجيد إلا التلفظ بالشهادتين، بمعنى أنهم يجهلون الإسلام ويجهلون بيان القرآن، وقد قضى الأمر، وبعد نصر الله والفتح، اختار الرسول ما عند الله فما هي إلا سنة وبعض السنة حتى تغيب شمس الإسلام بغياب محمد، ويرحل البدر التام، ويشغر منصب القيادة والإمامة والمرجعية بموت النبي. هذه بعض الأسباب الواقعية التي تدعو الرجل العادي للتفكير بمنصب الإمامة والمرجعية بعد وفاة الرسول العظيم، فكيف يكون حجم تفكير الرسول نفسه بهذه الناحية وهو المدعوم بالوحي الإلهي، والذي يرى المستقبل بالوضوح الذي يرى فيه الحاضر والماضي!!. لذلك ركّز النبي تركيزاً خاصاً على منصب قيادة الأمة ومرجعيتها بعد وفاته.

من هو المؤهل لقيادة الأمة ومرجعيتها بعد وفاة النبي؟

المؤهل لقيادة الأمة بعد النبي يجب أن يكون الأعلم والأفهم بكتاب الله تعالى، والأقدر على بيانه بياناً قائماً على الجزم واليقين، والأفهم بسنة رسول الله «قوله وفعله وتقريره» والأكثر جهاداً وبلاءً في سبيل الله، والأكثر اخلاصاً لله، والأتقى، والأفضل، بحيث يكون هذا الشخص بعد وفاة النبي، هو أعلم أهل زمانه بالقرآن والسنة علماً قائماً على الجزم واليقين، وهو الأكثر اخلاصاً لله، والأتقى، والأصلح. هذا الرجل بالذات هو المؤهّل لقيادة الأمة بعد وفاة النبي؛ لأنه سيتولى بيان القرآن للذين لا يعرفون بيانه من المسلمين، ومن الأمم الجديدة التي تدخل في الإسلام، وبيان سنة الرسول وبيان الحكم الشرعي في كل مسألة تعرض. ولم لا! فهو مرجع الأمة، وقائدها، وملاذها، وهو القائم مقام النّبي، فهو رباني الأمة الأوحد بعد وفاة النبي، إلا أنه ليس بنبي.

الصفات الخفية والاختصاص الإلهي:

لا يوجد مخلوق في الأرض، ولا في السماء، يعلم أن هذا أو ذاك هو الأعلم بالقرآن وهو الأقدر على بيانه، بياناً قائماً على الجزم واليقين لا على الفرض والتخمين، وأنه الأكثر جهاداً وبلاءً، والأكثر اخلاصاً لله، والأتقى والأفضل؛ لأن هذه صفات خفية لا يعلمها مخلوق قط.

الوحيد الذي يعلم أن هذه الصفات متوفرة بهذا الشخص أو ذاك هو الله سبحانه وتعالى. فهو وحده المختص بمعرفة هذا الشخص وتقديمه للناس.

التأهيل الإلهي:

الرسل، والأئمة، والقادة، ومراجع الدول التي أُقيمت بأمر الله، يؤهلهم الله تعالى لذلك، فما من رسول ولا نبي إلا أهّله الله سبحانه وتعالى، وأعدّه وهيّأه ليقوم بأعباء الرسالة، فعلى سبيل المثال: الرسول موسى عليه السلام، اختاره الله للرسالة وهيأه وأعدّه ورعاه، منذ أن ولدته أمه وحتى ذلك اليوم الذي كلفه فيه بحمل الرسالة، وكذلك داود وكذلك سليمان، وكذلك خاتم الرسل محمد، فما من رسول إلا وأهّله الله تعالى لأداء رسالته ولاتباع ما يوحى اليه بدون زيادة ولا نقصان.

كذلك فإنه أعد الأئمة وأهلهم وهيأهم ليقوموا مقام الأنبياء، وليتبعوا ما أوحي الى الأنبياء بدقة بدون زيادة ولا نقصان. أو بتعبير أدق عصمهم، (والعصمة هي التوفيق الإلهي) «وهي ضرورية لأنه لو كان غير ذلك، لم يؤمن من اتباع الهوى، خاصة وأنه معلم الأمة ما يجهلونه من أحكام الشرع، وصدور الذنب منه يؤدي لعدم الوثوق بأقواله فالدليل الدال على عصمة الرسول دال على عصمة خليفته المنصوص عليه شرعاً، لأنه القائم مقام النبي في حفظ الشرع، وتأديته للأمة»[1]. فالعصمة تقريباً للذهن بمثابة مصل إلهي يمنع من الوقوع بالخطأ مهما

(١) الحلي من النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، وعقيدة الأمامية للسيد حسين يوسف مكي ص١٢ و٢٣.

كانت صوره، تماماً كما يمنع التطعيم ضد السل من الإصابة بهذا المرض.

والخلاصة: أن الرسل والأئمة معدّون، ومهيؤون، ومؤهلون الهياً للقيام بالمهام التي أناطها الله سبحانه وتعالى بهم.

الرسل والأئمة، والشورى والانتخاب:

لم يصدف طوال التاريخ البشري أن اختير نبي من الأنبياء أو رسولاً من الرسل أو اماماً من الأئمة عن طريق الشورى أو الانتخاب! لأن الرسول بالضرورة هو أعلم بني البشر في قومه بمضامين الرسالة التي أرسله الله بها، وهو المؤهّل الهياً والوحيد القادر على ابلاغ الرسالة وما يوحى إليه، وهو الأقرب لله، وهو الأتقى، وهو الأصلح، وهو الأفضل، وتلك صفات خفية لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الله تعالى؛ ومن هنا فإن الشورى، التي يقوم بها الناس، والانتخاب الذي يمارسونه، لا يصلح لاختيار الرسل؛ لأنهما يقصران عن بلوغ المطلوب، ولا قدرة للناس على معرفة الأعلم، والأفضل، والأتقى، والأقرب إلى الله. وتكليف الناس بهذه الأمور عبث، والشارع الحكيم منزّه عن العبث.

والإمام القائم مقام الرسول كذلك يجب بالضرورة أن يكون الأعلم، والأفهم بالدين، والأقرب الى الله، والأتقى، والأفضل، حتى يكون مؤهلاً ليقوم مقام الرسول، ويبين القرآن بياناً قائماً على الجزم واليقين، وليقدم للناس سنة النبي بدون زيادة ولا نقصان، وليقود الناس الى المقصود الشرعي من كل نص، وبهذه الحالة، فإن فكرة الشورى، ووظيفة الانتخاب يعجزان عن ادراك الإمام المطلوب لأن الناس لا يعرفون من هو الأعلم.. والخ، فلو عرفوا ما كانت هناك حاجة الى شورى، ولا داعي لعملية الانتخابات.

اللطف الإلهي واختيار الرسل والأئمة:

لا خلاف على أن اختيار الرسل مهمة الهية ولا علاقة للبشر بها، لكن الخلاف منحصر باختيار الأئمة. الله سبحانه وتعالى يختار الإمام لقيادة المجتمع الذي كان يقوده الرسول، ولتعليم المجتمع الذي كان يعلمه الرسول، ولتعميق

مفاهيم ومضامين الرسالة التي جاء بها الرسول، بمعنى أن هذا الإمام لا يقوى على القيام بهذه الأعمال على الوجه الأكمل إلا إذا كان هو الأعلم والأفهم بالدين، والأقدر على بيانه، والأتقى، والأقرب إلى الله وإلى الرسول الذي سبقه، وأفضل الموجودين، وهذه صفات لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الله سبحانه وتعالى، ومن هنا تشابهت موجبات اختيار الرسول وموجبات اختيار الإمام.

ثم إن كل فرد في المجتمع المؤمن يتمنى ويدعو الله أن يدلّه على الأعلم والأفهم بالدين، والأقدر على بيانه، والأتقى والأقرب إلى الله وإلى الرسول وإلى أفضل الموجودين، ودعاء المؤمنين «اللهم ولي أمورنا خيارنا» فتلطف الله اللطيف، وقدم للناس الرجل الذي تتوفر فيه كل الصفات اللازمة للقيام مقام النبي، وأمرهم بطاعته، لأن الله اختاره لهم حيث توفرت فيه كل الصفات.

والخلاصة: إن اختيار الرسل والأئمة عملية تستند الى صفات خفية لا يعلمها إلا الله، لذلك خص نفسه بصلاحية اختيارهم.

فمن شاء فليكفر ومن شاء فليؤمن:

الأمة المؤمنة تبحث عن: الأفضل، والأعلم، والأفهم، والأتقى، والأقرب الى الله والى رسوله، والله سبحانه وتعالى لطف بها فدلها على الرجل المطلوب ليكوّن إمامها وقائدها من بعد النبي، فإذا قبلت الأمة الاختيار الإلهي، وبايعت هذا الرجل الإمام على السير معاً على صراط الله المستقيم فقد اهتدت وآمنت وسعدت في دنياها، وعاشت في ظلال العدل الإلهي.

وإن رفضت الأمة المؤمنة الاختيار الإلهي، واتكلت على نفسها وهواها ونصبت غيره، وبايعت سواه، فإن لها معيشة ضنكاً لأنها أعرضت عن ذكر الله أو كما قالت سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «بأي عروة تمسكوا، لبئس المولى وبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، **﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾**، ويحهم **﴿أَفَمَنْ يَهدي إلى الحَقِ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يهدِّي إلاَّ أنْ يُهْدى فما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**، أما

لعمري لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوها ملء القعب دماً عبيطاً، وذعاقاً مقراً هنالك يخسر المبطلون، ويعرف اللاحقون غب ما أسسه الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم نفساً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرتا لكم! وأني بكم وقد عُمِّيت عليكم، أَنُلْزِمُكُمُوها وأَنْتُمْ لَها كارِهُون»[1]. هذه بعض النتائج المدمرة إذا رفضت الأمة اختيار الله للإمام، واتكلت على نفسها واختارت بدلاً منه على هواها.

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ١٦/٢٣٤، وبلاغات النساء ص١١٩، والاحتجاج للطبرسي، ١/٩٨ ـ ١٠٩، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية، ص٤٨٦ ـ ٤٨٧.

الفصل الثاني:

من هو الإمام الذي اختاره الله تعالى لقيادة الأمة بعد وفاة النبي

تاريخ الإعلان:

بنفس اليوم الذي أمر الله فيه نبيه أن يعلن أنباء النبوة والرسالة والكتاب، أمره باعلان نبأ ولاية العهد والإمامة من بعد النبي فسارت أنباء النبوة، وأبناء ولاية العهد والإمامة من بعد النبي معاً. ولكن أنباء النبوة والرسالة والكتاب طغت على نبأ ولاية العهد والإمامة من بعد النبي، واستهان المشركون بهذا النبأ ولم يحملوه على محمل الجد، اذ استبعدوا تماماً أن ينجح محمد بنشر دينه واقناع الناس به فضلاً عن بناء ملك! لذلك اعتبروا نبأ ولاية العهد والإمامة من بعد النبي ضرباً من الخيال المفرط.

من هو ولي عهد النبي وامام الأمة من بعده؟

أعلن النبي أن ولي عهده وإمام الأمة وقائدها ومرجعها ووصيها وإمامها من بعده هو: علي بن أبي طالب، أعلن ذلك بنفس الساعة التي أعلن فيها رسمياً نبأ النبوة، وأمام بني هاشم في الاجتماع الذي عقده لغايات هذه الاعلانات الكبرى. إذ أخذ النبي برقبة علي وقال أمام الجمع كله: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» وهذا الحديث صحيح وقد صححه أبو جعفر الإسكافي، وابن جرير الطبري كما ذكر ذلك السيوطي[1]، ورجاله كلهم ثقات

(١) جامع الجوامع ٦/٣٩٦.

باستثناء، أبو مريم «عبد الغفار بن قاسم» المتهم بموالاة أهل بيت النبوة، وحسب موازين السلطة التاريخية وأشياعها فإن من يوالي أهل البيت ليس بثقة، ومع هذا فقد أثنى ابن عقدة على أبي مريم وأطراه وبالغ بمدحه كما في لسان الميزان(١) وقد أرسل أئمة الحديث هذا الحديث ارسال المسلمات(٢). «ثم ضرب النبي بيده على يد علي كناية عن المبايعة»(٣) وبايعه الرسول على ذلك فعلاً(٤)، هنالك أعلن الرسول أمام الحاضرين وقال لعلي: «فأنت أخي ووزيري ووصيي وخليفتي من بعدي»(٥)، ثم قال: «أدن مني فدنا علي ففتح النبي فاه، ومج فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه»(٦).

هل أعلن الرسول علياً اماماً من بعده من تلقاء نفسه أو بأمر من الله؟

لقد تلقى النبي أمراً الهياً بأن يصدع بما يؤمر، عندئذٍ جمع النبي بني هاشم، وأعلن أنباء النبوة والرسالة والكتاب وولاية العهد والإمامة من بعده، فإذا كان النبي لا ينوي على تزويج ابنته إلا بأمر من الله فهل يعقل أن يعلن أمراً بهذه الخطورة بدون أمر من الله!! والقرآن الكريم أكد هذه الحقيقة مرات متعددة إذ أمر

---

(١) ٤/ ٤٣.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٠٢ ح١٣٨، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٤٣، وشرح النهج ٣/ ٢٥١.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ومقتل الخوارزمي ١٠/ ٤٣، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة لابن حجر ٣/ ٣٨، والميزان للذهبي، والجامع المفيد للسيوطي، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٥٠/ ٣٠، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٧/ ٢١٩، ونظرية عدالة الصحابة ص٢٣٣، والنظام السياسي في الإسلام ص٥١ للمؤلف.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ١/ ٨٦، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٣.

(٥) منتخب الكنز ٦/ ٩٥٣، ح٢٥٣٩، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٤.

(٦) صحيح الترمذي جـ١ ص٣٠١ ح٣٨٠٧ وحلية الأولياء ج١ ص٦٣، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢٠، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٠٣/ ١٣٩، والمناقب لابن المغازلي الشافعي ص٨٦ تفصيلنا لهذه النصوص في الباب الأول.

الله رسوله بأن يعلن ﴿إنْ أتَّبعُ إلاّ ما يُوحَى إليَّ﴾[1] ﴿قُل إنَّما أتَّبعُ مَا يُوحَى إليَّ من ربِّي﴾[2] وقوله تعالى: ﴿واتَّبِعْ ما يُوحى إليْكَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿واتَّبِعْ ما يُوحى إليْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[4]..

وإذا أصغينا الى أراجيف بطون قريش وقادة التحالف فعلينا أن نسأل عن عدد ركعات كل صلاة هل هي من النبي (ص) وضعها من تلقاء نفسه أم هي من الله!! فعدد الركعات لم يرد في القرآن الكريم!!! ومن هنا أوجب الله على عباده أن يؤمنوا بأن محمد (ص) لا ينطق عن الهوى، اطلاقاً وما يقوله ثمرة وحي يوحى كما هو ثابت في سورة النجم، وأوجب الله على عباده المؤمنين أن يأخذوا كل ما أتاهم به الرسول، وأن ينتهوا عن كل ما نهاهم عنه كما هو ثابت بسورة الحشر آية ٧.

ومن هنا فإننا نتجاهل اشاعات قادة التحالف وبطون قريش ونجزم بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمر نبيه بأن يعلن بأن ولى عهده والإمام من بعده هو علي بن أبي طالب، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلن ذلك من تلقاء نفسه إنما بناء على وحي من ربه.

تكييف قرار تعيين ولي العهد والإمام من بعد النبي:

القرار الإلهي بتعيين الإمام علي بن أبي طالب، ولياً لعهد الرسول واماماً من بعده هو أمر الهي واجب الإتباع، تماماً كالصلاة، وتماماً كالتسبيح وكالزكاة، ومثل أي أمر إلهي آخر، ويبقى هذا الأمر الإلهي نافذاً وواجب التطبيق حتى ينسخ أو يلغى بقرار أو أمر إلهي لاحق.

---

(١) سورة يونس آية ١٥.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٣.

(٣) سورة يونس آية ١٠٩.

(٤) سورة الأحزاب آية ٢.

هل نُسخ أو ألغي قرار التعيين هذا؟

لقد ثبت أن رسول الله بأمر من ربه قد عين علي بن أبي طالب ولياً لعهده واماماً من بعده، وأن هذا التعيين بمثابة أمر الهي واجب التطبيق ما لم ينسخ أو يلغى، فهل نسخ قرار التعيين هذا أو ألغي؟ هل نسخه الله تعالى، وهلَ ألغاه؟ على الرغم من إن التاريخ قد كتب تحت اشراف قادة التحالف وأن الأحاديث النبوية في ما بعد قد رويت تحت اشراف وبعلم وعن طريق علماء شيعة قادة التحالف، فإنه لم يروَ ويذكر أن أمر التعيين الإلهي هذا قد نسخ أو أُلغي بآية أو بحديث، وكل ما روى يؤكد ثبات هذا النص. قرأنا في تاريخ الطبري أن الرسول قد قال لعلي: «إن هذا أخي وخليفتي ووصيي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»، ثم قرأنا في تفسير الطبري قول الرسول «إن هذا أخي وكذا وكذا»، لقد ثقلت على ألسنتهم كلمة «خليفة» وكلمة «وصي» فاستبدلوها بكذا وكذا حتى يقووا على لفظها، ومع هذا لم يرووا أن قرار التعيين هذا قد نُسخ أو أُلغي. بل على العكس توطدت أركان هذا النص وجاءت مئات النصوص الشرعية لتدعمه وتقويه وتثبت مركزه بحيث يكون كالجبل الشامخ لا يقوى مكر وأعاصير قادة التحالف على اقتلاعه من وجوده الثابت.

لماذا اختار الله علياً للإمامة ولم يختر غيره؟

لماذا اختار الله محمداً للنبوة ولم يختر أبا سفيان أو عمراً أو زيداً من الناس؟ هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا يُسأل عما يفعل. هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية؛ فإن الله أعلم حيث يضع رسالته، ومن جهة ثالثة لأن الله سبحانه وتعالى قد أعدّ علياً وهيّأه وأهّله لولاية العهد وللإمامة من بعد النبي.

اعتراض قيادة التحالف وبطون قريش:

في البداية لم تكترث بطون قريش بولاية العهد، ولا بخلافة النبي، لأنها استبعدت أن يتمكن محمد (ص)، من نشر دينه فضلاً عن بناء ملك، وبالتالي اعتبرت فكرة ولاية عهده والخلافة من بعده ضرباً من ضروب الأوهام، ولكن لما نجح، وحدث الفتح والنصر العظيم، أخذت بطون قريش تحمل ولاية عهد النبي

والخلافة من بعده على محمل الجد، وأخذ الحسد ينهش قلوب سادات البطون، فأسسوا التحالف لغاية الحيلولة بين علي وبين قيادة الأمة من بعد النبي، وبين أهل بيت النبوة وبين أي دور مميز لهم في قيادة الأمة من بعد النبي، ويكمن أساس اعتراض بطون قريش وقيادة التحالف في أن الهاشميين أخذوا النبوة، وليس من الإصابة ولا من الصواب أن يأخذ الهاشميون الملك أو الخلافة أيضاً ويحرموا بطون قريش والعرب من هذين الشرفين!! لذلك فإن بطون قريش وقيادة التحالف تعترض على ذلك.

والأصوب، والأوفق، والأفضل، برأي عمر بن الخطاب خاصة، وسادات بطون قريش وقادة التحالف عامة أن تكون النبوة لبني هاشم لا يشاركهم فيها أحد من البطون، وأن تكون الخلافة أو الملك للبطون لا يشاركهم فيه أي هاشمي[(١)]. وهذا هو الأساس الذي استقطب التحالف، وهذا هو الموج الذي ركبه عمر بن الخطاب حتى قاده لزعامة البطون.

ولا يخفى أن هذه القسمة التي قسمها قادة البطون ساقطة دينياً؛ لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، ولأن الرسالة والإمامة من بعد النبي وظيفة دينية، والله أعلم حيث يضع رسالته، ومن جهة ثانية فإن الله سبحانه وتعالى قد أعطى آل ابراهيم الكتاب والحكمة والملك **﴿فَقَدْ آتَيْنا آلَ ابْراهِيمَ الكِتابَ والْحِكْمَةَ وآتَيْناهُمْ مُلكاً عَظِيماً﴾**[(٢)]، **﴿وَلَقَدْ أرْسَلْنا نُوحاً وابراهِيمَ وَجعَلْنا في ذرِّيتِهما النُبوَّةَ والكتابَ﴾**[(٣)].

فلماذا تعترض البطون وقيادة التحالف على ذلك، وتصب اعتراضها على محمد!! وآل محمد!!

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ١٠٧ وأورده من أحوال عمر، وقد أخرجه الإمام أحمد بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد بسنده عن ابن عباس، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٤١ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٩٠.

(٢) سورة النساء آية ٥٤.

(٣) سورة الحديد آية ٢٦.

ثم كيف تستغرب قيادة التحالف أن يخلف علي بن أبي طالب ابن عم النبي، وزوج ابنته، ووالد سبطيه وتعترض عليه، ولا تستغرب أن يخلف يزيد ابن معاوية أباه معاوية، وأن يخلف مروان بن الحكم أولاده من بعده!! مالكم كيف تحكمون!! وباختصار فإن اعتراض البطون ساقط دينياً لأنهم لا يردّون على النبي وحده، انما يردّون على الله تعالى.

صحيح إن قيادة التحالف قد خططت في الظلام، ونجحت بالحيلولة بين الإمام علي وبين حقه الشرعي بقيادة الأمة بعد وفاة النبي، لكنها لم تنجح بالغاء هذا الحق، ولا برفع الإمام من قائمة الأئمة، فقط نجحت البطون بانقلابها الأسود وباستيلائها على السلطة بالنفوذ، وبردها على الله ورسوله، ومعصيتها لهما.

الفصل الثالث:

الإمام من بعد النبي هو الأقرب فعلاً للنبي

بعد أن جاء نصر الله والفتح، صارت سيرة النبي محط اهتمام الجميع، وفهم المسلمون مغزى تلميحات النبي بأنه قد خُيّر فاختار ما عند الله، وبدأ اهتمام الناس ينصب على من يقود الأمة بعد وفاة النبي، وتصادف اهتمامهم مع تركيز النبي الخاص على عصر ما بعد النبوة، وانتشر حديث الدار، والقرار الإلهي بتعيين علي بن أبي طالب ولياً لعهد النبي واماماً من بعده، وانتشرت تأكيدات النبي لهذا النبأ، وبدأ الناس ينقصون طبيعة العلاقات، وحجم القرب والبعد بين الرسول القائد وبين ولي عهده والإمام من بعده، وأدركوا بعض الأسرار الكامنة في الاختيار الإلهي لعلي.

أبو طالب كافل النبي وحاميه:

بعد موت عبد المطلب كفل عبد مناف المكنى بأبي طالب ابن شقيقه محمداً رسول الله، وضمه لعياله، يرعاه كما يرعاهم، ويعيله كما يعيلهم، وكان عمر النبي آنذاك ثماني سنين، وخلال هذه الفترة التي امتدت سبع عشر عاماً كان أبو طالب بمثابة الوالد للرسول، وكانت زوجته فاطمة بنت أسد بمثابة أم الرسول حقيقة، وكان أولاد أبي طالب بمثابة أخوة الرسول، عاشوا جميعاً تحت سقف واحد، وأكلوا من قصعة واحدة، وتقاسموا مر الحياة وحلوها سبعة عشر عاماً، فأحبهم الرسول وأحبوا الرسول حباً جماً.

ولقد عبر الرسول عن عمق هذه العلاقة الوطيدة يوم ماتت فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب وأم علي فقال: «اليوم ماتت أمي، انها كانت أمي، إن كانت

لتجيع أطفالها وتشبعني، وتشعثهم وتدهنني»[1] وبعد موت الأم الحنونة بقي الى جانب ابن أخيه يغمره حباً يفوق حب الوالد لبنيه، ورعاية تفوق حد التصور والتصديق، حتى إذا بلغ الخامسة والعشرين من عمره زوجه عمه خديجة بنت خويلد، فاستقل النبي في بيت خاص به، وبقيت علاقته الحميمة مع بيت عمه أبي طالب، ولما شرَّف الله نبيه بالرسالة، وقف أبو طالب مع ابن أخيه الرسول وقفة الرجال كما أسلفنا وجمع الهاشميين تحت قيادته، وحولهم إلى ذراع عسكري، ألقى الرعب في قلوب سادات بطون قريش، وتمكن أبو طالب من حماية الدعوة وحماية الداعية، وقد تناولنا ذلك بالتفصيل في الباب الأول من هذا البحث.
ومرض العم الشيخ، وفارقته الحياة، ومسح النبي على جبين عمه قائلاً: «يا عم ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله خيراً»[2]، وبعد أن دفن أبو طالب، شعر النبي بعمق المصيبة فقال والأسى يملأ قلبه الشريف: «اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً»[3]. وعبر النبي بدقة عن هول المصيبة بفقدان عمه عندما قال «ما نالت مني قريش حتى مات أبو طالب»[4]، ومن المحزن أن وسائل اعلام قادة التحالف حولت الرجل الذي حمى الدعوة والداعية إلى مشرك!!

النبي يضم علياً ويتولى تربيته:

لما بلغ النبي الخامسة والعشرين خطب له عمه وزوّجه خديجة بنت خويلد المرأة الغنية الفاضلة، وكوّن النبي لنفسه أسرة، ولم ينقطع عن بيت عمه، وفي احدى الأيام اشتكت فاطمة بنت أسد المخاض فأخذ النبي بيدها وقادها الى الكعبة، فطلقت طلقة واحدة، فولدت عليّ بن أبي طالب، وعاد به النبي إلى بيت عمه فرحاً مسروراً، وكان علي بن أبي طالب أول مولود يولد في الكعبة طوال

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥، وسيرة الرسول وأهل بيته، مؤسسة البلاغ ١/ ٨٤ ـ ٨٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٩١.

التاريخ[1]، وقد ألقى الله محبة علي الخاصة في قلب النبي، فكان النبي يتردد على بيت عمه بصورة مستمرة، ليطمئن على علي وليشرف على تربيته، وفي سنة جدباء، اقترح النبي على عمه العباس أن يساعدوا أبا طالب فيكفلون بعض بنيه، فأخذ العباس جعفراً وأخذ الرسول علياً لينفق عليه، ويضمه الى أسرته، وكان عمر علي يوم ذاك ست سنين[2]، وعندما أخذ الرسول علياً قال صلى الله عليه وآله وسلم: «قد اخترت من اختاره الله عليكم علياً»[3]، وهذا التصريح يؤكد، بأن ضم الرسول لعلي ترتيب رباني، فقد أراد الله أن ينشأ ولي عهد النبي والإمام من بعده في كنف النبي، ليتربى الولي تربية خاصة، وليعد إعداداً كافياً لتولي الإمامة بعد موت النبي، وليتثبت فؤاد علي بما يرى من المعجزات. وهكذا عاش الإمام علي مع النبي في بيت واحد طوال الفترة التي سبقت النبوة وخلال فترة النبوة التي سبقت الهجرة، وما بعدها أيضاً.

ارتباط من نوع خاص:

لقد كشف الإمام علي عن عمق ارتباطه بالنبي خلال تلك المرحلة، والمراحل التي تلتها فقال: «وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكتنفني فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه.. وما وجد لي كذبة في قول، أو حظلة في فعل، وكنت أتبعه اتباع الفصيل لأثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، وكنت في حراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الاسلام غير رسول الله، وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، وأشم ريح النبوة»[4].

وسئل قثم بن العباس، كيف ورث علي رسول الله دونكم؟ فقال قثم: «كان

---

(١) المناقب لابن المغازلي الشافعي ص٧، والفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص٣٠، وكشف الغمة للأربلي ١/ ٦٠.

(٢) شرح النهج ١/ ١٥.

(٣) النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد نقلاً عن البلاذري والأصفهاني.

(٤) التصوّف والتشيّع هاشم معروف الحسني نقلاً عن شرح النهج، وكتابينا نظرية عدالة الصحابة باب القيادة السياسية ص٢٢٣، والنظام السياسي في الاسلام ص٧٥ ـ ٧٦.

أولنا لحوقاً به وأكثرنا لصوقاً به»[1]، وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن علي، كما نقل الأربلي في كشف الغمة[2] خرج الرسول في بعض نواحي مكة فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له: «السلام عليك يا رسول الله»، وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كان علي عليه السلام، يرى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الضوء ويسمع الصوت»[3]، وقال النبي يوماً لعلي: «إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلى خير» راجع شرح النهج كما ورد في سيرة الرسول وأهل بيته[4].

ولي عهد النبي والإمام من بعده كان أول المؤمنين:

نبيء النبي يوم الاثنين، واسلم علي يوم الثلاثاء، قال الإمام زين العابدين «ولقد آمن علي بالله تبارك وتعالى وبرسوله وسبق الناس كلهم الى الإيمان بالله وبرسوله والى الصلاة ثلاث سنين». وكون علي بن أبي طالب أول المؤمنين؛ حقيقة لا يماري فيها إلا قادة التحالف وشيعتهم الذين فصلوا الدين على قدر التاريخ وقد أشار الى حقيقة أن علياً أول المسلمين[5].

وقال الإمام الحسن في خطبة له في مجلس معاوية: «أنشدكم الله أيها الرهط! أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كلتيهما وأنت يا معاوية بهما كافر، تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى غواية، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه

---

(١) كنز العمال ٦/ ٤٠٨، وأخرجه النسائي في خصائصه، وشرح النهج ٣/ ٢٥٥، ومسند أحمد ١/ ١٥٩، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الاسلام ص٢٢٣.

(٢) ١/ ٨٦.

(٣) شرح النهج ٤/ ٣١٥.

(٤) ١/ ٤٧٩ مؤسسة البلاغ.

(٥) الحاكم في مستدركه ٣/ ١٣٦ وصحّحه، والخطيب في تاريخه ٢/ ٨١، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢/ ٤٥٧، وشرح النهج ١/ ٥٠٣ و٣/ ٢٥٨، والسيرة الحلبية ١/ ٢٨٥، والسيرة الدحلانية ١/ ١٨٨ هامش الحلبية، وفرائط السمطين باب ٤٧، وحلية الأولياء ١/ ٦٦، والطبري في تاريخه ٢/ ٢١٣، وخصائص النسائي ج٣، وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص٣٥٥، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢، والصواعق المحرقة ص٧٢، وتاريخ الخلفاء ص١١٢، كما ذكر ذلك كله العلاّمة الأميني في غديره ٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٨.

بايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان وأنت يا معاوية باحداهما كافر وبالأخرى ناكث، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس ايماناً، وأنك يا معاوية من المؤلفة قلوبهم»[١].. قال أنس بن مالك: بعث النبي يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء، أخرجه الترمذي[٢] والحاكم في المستدرك[٣] وابن الأثير في جامع الأصول كما في تلخيصه تيسير الوصول[٤]. قال زيد بن أرقم أول من أسلم مع رسول الله علي بن أبي طالب[٥]. قال تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾[٦] فمحمد هو الذي جاء بالصدق، وعلي هو الذي صدق به[٧].

لم يفارق النبي قط، كانا معاً في مكة، وكانا معاً في المدينة، وسكنا في بيت واحد طوال حياة النبي التي أدركها علي، لم يجادل النبي، ولم يعانده، ولم يعصه طرفة عين، انما كان الصديق لكل أقواله، مثلما كان فارسه الأوحد في كل حروبه، ومن هنا وصفه الرسول: «بأنه الصديق الأكبر والفاروق الأعظم»[٨].

وما الذي يمنع من أن يكون علي هو أول من آمن، وقد عاش في كنف

---

(١) شرح النهج (لابن أبي الحديد) ٢/ ١٠١.
(٢) ٢/ ٢١٤.
(٣) ٣/ ١١٢.
(٤) ٣/ ٢٧١.
(٥) ذكره الطبري في تاريخه وأحمد في مسنده ٤/ ٣٦٨ وابن الأثير في تاريخه ٢/ ٢٢.
(٦) سورة الزمر آية ٣٣.
(٧) شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ٢/ ١٢٠ ح٨١٠، مناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٣٦٩ ح٣١٧، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٢٣٣، والدر المنثور للسيوطي ٥/ ٣٢٨، وتفسير القرطبي ٥/ ٢٥١، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٥٠ ح٧٣، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.
(٨) توثيق هذين الوصفين من ترجمة الإمام علي في تأريخ دمشق لابن عساكر، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٠٢، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص١٨٧، والاصابة لابن حجر ٤/ ١٧١، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٤/ ١٧٠، وأُسد الغابة لابن الأثير ٥/ ٢٨٧، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٣، والسيرة الحلبية ٣٨٠، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٢٦١، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٢٣، وميزان الاعتدال ٢/ ٤١٧، وفرائد السمطين ١/ ٢٩ و١٤٠.

النبي منذ كان وليداً في السادسة من عمره، وكان يرافق النبي أينما حل وارتحل، يتبعه اتباع الفصيل لأثر أمه، وقد شاهد خلال رفقته لرسول الله من آيات ربه الكبرى ما لم يشاهد غيره!!

السبب الوحيد الذي يحول دون ذلك:

أثبتنا في الفصول السابقة أن قادة التحالف!، أطلقوا سلسلة من الشائعات ضد الرسول نفسه!، فشككوا بخلق الرسول!، وشككوا بتوازنه!، ووصلت بهم الأمور حداً أن شككوا بعقله!! فقالوا: هجر رسول الله، وزايدوا على الرسول نفسه، وحاولوا أن يلقوا في روع العامة أنهم أحرص على الدين من الرسول، وأرحم بالأمة منه، وصولاً لغايتهم الكبرى وهي الاستيلاء على السلطة، ونسف الترتيبات الإلهية لعصر ما بعد النبوة، ونجحوا في ذلك، وصارت قيادة الأمة من بعد النبي لمن غلب. وعملت وسائل اعلام السلطة الغالبة كل جهدها لتحويل اشاعاتها ضد النبي وآله إلى قناعات. وآلت الأمور إلى أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فسموه صاحب النبي وصديقه، وقالوا: إنه أول من أسلم، وعهد أبو بكر بالخلافة لعمر، فسمي فاروقاً، ومع الأيام وضغط وسائل الإعلام تحولت الشائعات الى قناعات، وبعد زمن ظهرت الحقائق فإذا علي بن أبي طالب هو أول من أسلم، وإذا بالنبي قد وصفه: بأنه الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، فعزّ على شيعة الخليفتين ذلك فوقفوا بالمرصاد ليحولوا بين الناس وبين معرفة الحقائق الشرعية، ولكشف حقيقة فعلهم بأنهم قد تبعوا الدين للتاريخ، وقاسوا الدين على التاريخ وكان الأولى بهم أن يتبعوا التاريخ للدين، وأن يقيسوا التاريخ على هذا الدين، فما وافق الدين فحق هو، وما خالفه فهو رجس من عمل الشيطان، والتبري منه أولى بالعاقل.

ولي عهد النبي والإمام من بعده هو أخ النبي:

تجسيداً لمنزلة علي عند النبي، وابرازاً لقربه منه، وأنه لا يوجد من هو أقرب من علي اليه، أعلن النبي بأمر من ربه، ان علي بن أبي طالب هو أخوه حقاً، وأنه تعالى قد آخى بينهما، قبل الهجرة وبعدها، وأمره أن يُعلن عن هذه

الأخوة أمام المسلمين ليزداد يقينهم بولي عهد نبيهم، ويقائدهم من بعده[1].

وحتى لا ينسى المسلمون رابطة الأخوة بين النبي وعلي ذكرهم النبي بهذه الأخوة في مناسبات متعددة فقال «بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوَّج علياً فاطمة»[2].

وانظر إلى قول النبي مخاطباً علياً: «أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة»[3] ومثل قوله لعلي: «وأما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي ومني وإليّ..»[4] وظل النبي يردد ويعلن هذه الأخوة طوال حياته، ولما حضرته الوفاة قال النبي «ادعوا لي أخي»[5]، فلما جاء علي قال له النبي: ادن مني فدنا منه، وأسند اليه ولم يزل يكلمه حتى فاضت روحه الزكية. ومن هنا كثيراً ما قال علي «أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم لا يقولها بعدي إلا كاذب»[6].

وكان معروفاً عند العامة والخاصة أخوة النبي لعلي، مثلما كانت معروفة تاريخياً أخوة أبي بكر لعمر. وكان الناس يرسلون هذا ارسال المسلمات وقد عهد أبو بكر لأخيه عمر ونفذ عهده، بينما عهد الرسول لأخيه علي ولم ينفذ لأن قيادة التحالف رأت أن عهد النبي ليس في مصلحة المسلمين!! وأن الترتيبات الإلهية

---

(١) تذكرة الخواص للسبط الجوزي ص٢٣، وكنز العمال ٦/ ٢٩٠ ح٥٩٧، والمناقب للخوارزمي ص٧، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٢١، والمستدرك للحاكم ٣/ ١٠٩، وصحيح الترمذي ٥/ ٣٠، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٢٢١ و٣/ ١٣٧، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٣/ ٣٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٢٠.

(٢) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٢٤٦، ومقتل الحسين للخوارزمي ١/ ٦٠، وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ٢٠٦، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٧١.

(٣) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص١١٥.

(٤) مناقب الخوارزمي ص٢٧.

(٥) الطبقات لابن سعد ٢/ ٢٦٣.

(٦) سنن ابن ماجة ١/ ٤٤، وتاريخ الطبري ٢/ ٣١٠، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٣/ ٣٩، والكامل لابن الأثير ٢/ ٥٧، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.

لعصر ما بعد النبوة ستفرق بطون قريش عن الإسلام لذلك أوجدوا بديلاً للترتيبات الإلهية!!

ذريّة النبي من صُلب علي:

الإنسان بالفطرة يجب أن تكون له ذرية تمتد بعد وفاته، وتنمو لتعبِّر عن وجوده، ومروره بالحياة وارتباطه بها، ومحمد انسان بالدرجة الأولى يحب ما يحب الإنسان بفطرته، وكل نبي من الأنبياء كانت له ذرية من بعده في قومه، تذكرهم به، وبالمبادىء والمثل العليا التي نادى بها هذا النبي أو ذاك ومن الطبيعي أن تكون ذرية كل نبي من صلبه. ليكون أبوهم، وعقبهم ينتمون اليه. ولأن محمداً آخر الأنبياء، ولأن علياً آخر الأوصياء، واحكاماً لحلقة التكامل والترابط بين رسول الله وبين ولي عهده والإمام من بعده، واقناعاً للمسلمين شاءت حكمة الله وارادته أن تكون ذرية النبي من صلب علي وأن تكون فاطمة بنت محمد هي رمز استمرار هذه الذرية، لقد مات أولاد الرسول الذكور، وانقطعت ذرية النبي من بناته الأخريات، وبقيت ذرية النبي محصورة بنسل فاطمة من علي وتلك حكمة ربانية، واحكام للحجة على العباد وقد أعلن عن هذه الحقائق قبل وقوعها ويوم أعلنها النبي كان احدى بناته تحت ابن أبي العاص، والأخرى تحت عثمان، وكانت سيدة نساء العالمين مع علي ومع هذا فان النبي يؤكد بأن ذريته ستكون من فاطمة وعلي، حيث تنتمي ذريتها له، فيكون أبوهم إن في ذلك لآية لقوم يعقلون.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه، وجعل ذريتي من صلب علي»(١)، وهذا معنى قول النبي: «كل بني أنثى ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم» أخرجه الطبراني وهو الحديث رقم ٢٢ من الأحاديث التي أوردها ابن حجر(٢) حيث قال: انه حديث صحيح، وطالما قال النبي لعلي: «وأما أنت يا علي فأخي وأبو

---

(١) كنز العمال ٦/ ١٥٢ ح٥٢١٠.

(٢) في الفصل الثاني من الصواعق المحرقة ص١١٢، و٣/ ١٦٤ من المستدرك للحاكم.

ولدي»[1].. وقال مشيراً لعلي: «هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي»[2]..

فليست صدفة أن تنحصر ذرية النبي بولد فاطمة، وقد أحيطت الأمة علماً بذلك قبل وقوعه، وعلمت الأمة في ما بعد علم اليقين، أنه ليس للنبي ولد إلا ولد فاطمة، وطالما ردد النبي بحب طافح وفخر ساحق، هذا ابني الحسن، وهذا ابني الحسين، وأن الله سماهما باسميهما هذين، وأنهما سيدا شباب أهل الجنة، وريحانتاه من هذه الأمة.

وبالرغم من محاولات قادة التحالف المستميتة لابادة نسل النبي حتى يحلو لهم وجه الاستيلاء على السلطة، وبالرغم من أن معاوية قد سم الإمام الحسن، وأن ابنه يزيد قتل الحسين، وأباد الذرية المباركة في كربلاء، وبالرغم من مطاردة الأئمة وملاحقتهم طوال التاريخ إلا أن السماء بقيت متألقة بنجومها.

الزواج المبارك:

كان النبي على علم بأن لا يكون له ذرية من صلبه، ولا يكون له أولاد ذكور تلك حكمة الله، وكان يعلم أن ابنته فاطمة الزهراء صدِّيقة، اجتباها الله واصطفاها كما اصطفى البتول مريم، وأن الله يعدها لأمر عظيم، وأنه تعالى سيختار لسيدة نساء العالمين سيداً يليق بمقامها، وكانت سيدة نساء العالمين تتألق في بيت أبيها بالعز كأنها كوكب دري، تطمع لعليائها الأنظار وتهوى فخرها ومكانتها قلوب الرجال، خطبها أبو بكر بن أبي قحافة فرفض النبي أن يزوجها له، وخطبها عمر ورفض النبي، كان جواب النبي واحداً «انه ينتظر أمر ربه»[3].

---

(١) المناقب للخوارزمي ص٢٧.

(٢) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤١.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص١١٤ والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢٩، وأسد الغابة لابن الأثير ٣٨/١، والإصابة لابن حجر ٣٤٧/١، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٢٦١.

وجاء أمر الله:

وفي احدى الأيام جاءت البشارة التي طالما انتظرها النبي، وزفّ الرسول البشارة الى الأمة الاسلامية فقال لأصحابه: «بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج علياً فاطمة»[١].

ويزف النبي الخبر لسيدة نساء العالمين فيقول لفاطمة مذكرها بنعمة الله «أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك»[٢]. وقالت فاطمة: يا رسول الله زوجتني عائلاً لا مال له، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أوما ترضين أن يكون الله اطلع الى أهل الأرض فاختار منهم رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك»[٣]. واشتكت فاطمة من فاقتها يوماً فذكرها النبي بنعمة الله عليهم حيث قال لها: «أما ترضين أني زوجتك، أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»[٤].

الأئمة سادات الأمة من بعد النبي:

لقد جاء أمر الله بعد طول انتظار، وصدر القرار الإلهي بأن تتزوج سيدة نساء العالمين الصدِّيقة البتول فاطمة بنت محمد رسول الله ومصطفاه وخيرته من أهل الأرض، عليَّ بن أبي طالب، ولي الله والإمام من بعد النبي وخيرة الله ومصطفاه من أهل الأرض بعد محمد، وهكذا التقت الصفوة فاطمة، بعلي

---

(١) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٣٠٤، وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ٢٠٦، والصواعق المحرقة.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٢٧٠ ح٣١٧، وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٣٠٨، وكنز العمال ١٥/ ٩٥، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٤، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤٠.

(٣) المستدرك للحاكم ٣/ ١٢٩، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٢٧٠ ح٣١٦، وتذكر الخواص للسبط بن الجوزي ص٣٠٩، وكنز العمال ٦/ ٣٩١ و٥/ ٩٥، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤/ ١٦٥ ـ ١٦٦، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤٠.

(٤) درر السمطين ص١٨٨، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٣/ ٢٦١، ومنتخب الكنز هامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣١، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٥٥، ونظرية عدالة الصحابة ص٢٤.

الصفوة، تحت اشراف صفوة الصفوة، وتزوج السيد من السيدة ضمن ترتيب الهي ليخرج من تلاقح الصفوتين الأئمة الكرام الذين سيتتابعون على قيادة الأمة بعد وفاة جدهم محمد وأبيهم علي. ومن هذا التلاقح والتزاوج والتقارب تتكون مؤسسة أهل بيت النبوة، لتكون أحد الثقلين، بحيث يكون القرآن ثقل، وأهل بيت النبوة وأئمتهم الثقل الآخر، وقضى الحق جلت قدرته على الأمة أنها لن تدرك الهداية إلا بالاثنين معاً، ولن تتجنّب الضلالة إلا بالاثنين معاً، مثلما قضى الله عليها أن يكون أهل بيت النبوة فيهم مثل سفينة نوح، فكلما أوشكت الأمة على الغرق تهرع للسفينة الجاهزة، ثم قضى الله أيضاً أن يكون الأئمة نجوم وأعلام الأمة تهتدي بهم، كلما حلّت الظلمات، واختلطت عليها المنهاج والطرق وخلال حياة النبي أنعم الله على الصفوة بالحسن والحسين، فتولى الله تسميتهما، وأعلن النبي إمامتهما قاما أو قعدا، ومن الحسين في ما بعد انحدر الأئمة التسعة وعملية تزويج الله لعلي من فاطمة، والنسل المبارك جزء لا يتجزء من الترتيبات الإلهية لعصر ما بعد النبوة فقد سمى الله اثنى عشر اماماً. وأمر نبيه أن يعلنهم على الأمة ليقودها بالتتابع كل امام يسلم الراية لمن يليه حيث يكون كل واحد منهم امام الأمة وقائدها ومرجعها، وقد سماهم الرسول قبل أن يولدوا، وأخبر الأمة بعددهم قبل أن يولدوا أيضاً، أول الأئمة علي بن أبي طالب، ٢ ـ الحسن بن علي، ٣ ـ الحسين بن علي، ٤ ـ زين العابدين علي بن الحسين، ٥ ـ محمد بن علي الباقر، ٦ ـ جعفر بن محمد الصادق، ٧ ـ موسى بن جعفر الكاظم، ٨ ـ علي بن موسى الرضا، ٩ ـ محمد بن علي الجواد، ١٠ ـ علي بن محمد الهادي، ١١ ـ حسن بن علي العسكري، ١٢ ـ محمد بن الحسن المهدي. وسنعالج هذا الموضوع في حينه.

الرسول وأهل بيته يسكنون معاً:

رتبت العناية الإلهية حتى طريقة سكن النبي وولي عهده والإمام من بعده حيث سكنا معاً قبل النبوة في بيت واحد، وبعد النبوة بقيا معاً، وقبل أن يتزوج علي، كان يسكن مع النبي، وبعد زواجه بقي ساكناً مع النبي، ولِمَ لا، فعلي ولي

عهده والإمام من بعده، وهو ابن عمه وأخوه وأبو ولده، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل من موضوع سكن علي مع النبي جانباً وباباً تطل منه الشرعية وتثبت ولاية عهد علي للنبي وامامته من بعده، فأمر الله نبيه أن يقف خطيباً ليقول:

«إن رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً، أن أسكنتُ علياً في المسجد وأخرجتهم، والله ما أخرجتهم وأسكنته بل الله أخرجهم وأسكنه. إن الله عز وجل قد أوحى الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلةً وأقيموا الصلاة، وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي ولا يحل لأحد منكم أن ينكح فيه النساء إلا هو»[1].

وأخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد فقال العباس: تخرجنا وتسكن علياً؟ فقال الرسول: «ما أخرجتكم وأسكنته ولكن الله أخرجكم وأسكنه»[2].

وخطب النبي يوماً فقال: «أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب علي، فقال فيه قائلكم، واني ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكني أمرت بشيء فاتبعته»[3]، وقال: «والله ما أخرجتكم من قبل نفسي، ولا أنا تركته، إنما أنا عبد مأمور ما أُمرت به فعلت، إن اتبع إلا ما يوحى الي» أخرجه الطبراني، راجع منتخب الكنز[4].

ثم قال النبي موضحاً: «إن الله أوحى الى نبيه موسى أن ابن لي مسجداً

---

(١) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤١، والمراجعات للعاملي ص١٦١ ـ ١٦٥، وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي من كتاب فضائل أهل البيت باب ١٧، ١/ ٨٥ طبعة استانبول..

(٢) أخرجه ابن ماجة ١/ ٩٢ في سننه، والترمذي والنسائي في صحيحهما وهو الحديث ٢٥٣١ من الكنز ٦/ ١٥٣، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٦٤، و١/ ١٥١.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/٣٦٩، ومنتخب الكنز ٥/ ٢٩ من هامش المسند، ونظرية عدالة الصحابة ص٢٤٢.

(٤) ٥/ ٢٩ من مسند الإمام أحمد.

طاهراً لا يسكنه إلا أنت وهارون، وإن الله أوحى اليّ أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وأخي علي»[1].

منزلة علي بن أبي طالب من النبي:

أعلن النبي بأمر من ربه وأمام المسلمين حيث خاطب علياً قائلاً: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» مما يعنى: أن لعلي كافة المنازل التي كانت لهارون، ولم يستثن إلا النبوة، ومن المعروف أن المنازل التي كانت يتمتع بها هارون مع موسىً هي الوزارة، وشد الأزر والمشاركة في الأمر، وخلافة موسى عند غيابه، بالإضافة الى نبوة هارون فعلي بن أبي طالب بموجب هذا النص يتمتع بكافة اختصاصات وصلاحيات هارون كلها سوى أنه ليس نبياً.

وقد أجمعت الأمة على صحة حديث المنزلة، وعلى صدوره من رسول الله، وقد اعترف بصحته حتى معاوية بن أبي سفيان، المشهور بكراهيته للإمام علي وأهل بيت النبوة وبحقده عليهم[2].

أليس عليّ بن أبي طالب هو الأقرب للنبي والأحق بميراثه؟!!

على ضوء هذه النصوص التي سقناها، والتي وصلت اليها بالرغم من الخطر الشديد الذي فرضه قادة التحالف على كافة أحاديث رسول الله، ـ رواية وكتابة ـ وعلى الرغم من أن الخليفتين أبو بكر وعمر قد حرّقا بالنار كافة الأحاديث النبوية التي طالتها أيديهما.

وقد وصلتنا هذه النصوص على الرغم من أن سبة علي بن أبي طالب وأهل

---

(١) الصواعق المحرقة ص١٠٦ لابن حجر ـ المقصد الخامس من مقاصد الآية٤، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤٢.

(٢) صحيح الترمذي ٥/ ٣٠٤، وصحيح البخاري ٥/ ١٢٩ وصحيح مسلم ٢/ ٢٦٠ ومسند الإمام أحمد ٣/ ٥٠، والمستدرك للحاكم ٣/ ١٠٩، وتاريخ الطبري ٣/ ١٠٤، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٣٠.

بيت النبوة كانت ورداً يومياً، وواجباً مفروضاً بقوة الدولة وجبروتها على كل مواطني الدولة الأموية.

لكن هذه النصوص فرضت نفسها باحكام النبي، وقدرته العجيبة على تلقين الجموع بما يريده اقامة لحجة البيان على العباد، وقياماً بواجبها.

على ضوئها يبدو واضحاً بشكل قاطع بأن: علي بن أبي طالب وذرية النبي الطاهرة هم أولى بالنبي، وأقرب اليه من قادة التحالف، ومن بطون قريش عامة، ومن بني تيم وبني عدي وبني خاصة.

وإننا أمام سلطان أعطاه الله لمحمد وآل محمد، وأقام الحجة على العباد بأحقيتهم به.

وأمام قوى أخرى تحالفت وأخذت الحق من أصحابه الشرعيين، واستولت على السلطة بالقوة.

الفصل الرابع:

النبي يعلن بأن علياً ولياً لعهده وإماماً من بعده بكل مصطلح معروف

علة توضيح الواضحات:

النبي يعلم بأن قادة التحالف ماضون قدماً بمخططهم الرامي الى الحيلولة بين علي والإمامة من بعد النبي، وبين أهل بيت النبوة، وبين أي دور مميز لهم بقيادة الأمة، حسداً من عند أنفسهم، وحقداً على آل محمد، وبدعوى أن الهاشميين قد أخذوا النبوة وهي تكفيهم، ومن العدل أن تُعطى بطون قريش الخلافة أو الملك، وامام اصرار النبي على تبليغ رسالة ربه المتعلقة بقيادة الأمة من بعد النبي، شن قادة التحالف حملة سرّية على النبي للتشكيك بقوله، وخلقه، وعقله وصدقه، وقد قدّر النبي أن حملة قادة التحالف تلك محكوم عليها بالفشل، وأن منفذهم الوحيد هو الغموض، لذلك أصرّ النبي على توضيح الأمر الإلهي باختيار علي بن أبي طالب لقيادة الأمة من بعده بكل وسائل التوضيح، وتقديمه بكل مصطلح معروف، ليضع الأمة بالصورة كاملة، وليرسخ الأمر الإلهي بالأذهان، وليغطيه تغطية اعلامية كافية، فيكون بهذه الحالة قد بلغ رسالات ربه كاملة غير منقوصة.

الاصطلاحات المعروفة للإمام أو القائد أو المرجع أو رئيس الدولة:

لو درسنا تاريخ الدولة الإسلامية التي استولت على السلطة عن طريق القوة والتغلّب من بعد وفاة الرسول حتى سقوط آخر سلاطين الدولة العثمانية، لوجدنا

أن المسلمين قد أطلقوا على رئيس هذه الدولة سلسلة من النعوت والألقاب والاصطلاحات لا تعدو أن تكون نعتاً أو لقباً من الألقاب التالية: ١ ـ خليفة، ٢ ـ وصي، ٣ ـ ولي، ٤ ـ ولي الأمر، ٥ ـ أمير المؤمنين، ٦ ـ سيد المسلمين، ٧ ـ سيد العرب، ٨ ـ وريث، ٩ ـ القائد، ١٠ ـ إمام، ١١ ـ المبيّن، ١٢ ـ المنذر، ١٣ ـ الهادي، ١٤ ـ الحجة، ١٥ ـ السلطان، ١٦ ـ الملك «والسلطان والملك كناية عن حوزة المنصب والتمكن منه، وطالما تحاشى الخلفاء التلقُّب بهذين المصطلحين».

خطة الرسول الكريم:

تأديةً لرسالة البلاغ، واحكاماً بايصالها للأمة، وتحصيناً لها من الغموض قدم النبي ولي عهده اماماً للأمة، وقائداً لها، ومرجعاً من بعده بكل الاصطلاحات المتعلقة برئيس الدولة الاسلامية والتي عرفت أو ستعرف في ما بعد كما سأثبت ذلك في البحوث التي تلي بما أمكن من التركيز والايجاز.

علي بن أبي طالب هو الخليفة من بعد النبي:

يوم أعلن الرسول أنباء النبوة والرسالة والكتاب أعلن نبأ الخلافة من بعده، أمام نفس الجمع وقال: «إن هذا أخي وخليفتي ووصيي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا» وكان آخذاً برقبة علي بن أبي طالب [وهذا الحديث صحيح]، وقد ذكر أبو جعفر الاسكافي، وابن جرير الطبري، كما ذكر ذلك السيوطي في (جامع الجوامع)[1]، ورجاله كلهم ثقات، وقد أرسل أئمة الحديث هذا الحديث ارسال المسلمات وقد وثقنا ذلك في البحوث السابقة[2].

وفي نفس الاجتماع الذي تم فيه اعلان النبوة، ضرب النبي بيده على يد

---

(١) ٦/٣٩٦.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٢٠١ ح١٣٨، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٤٣، وشرح النهج ٣/ ٢٥١.

علي كناية عن المبايعة[١]، وبايعه الرسول على ذلك فعلاً[٢]، هنالك قال الرسول أمام الحاضرين لعلي بن أبي طالب: «أنت أخي، ووصيي وخليفتي من بعدي»[٣]. حتى يتذكر الجميع قرار التعيين ولا يمحى من الذاكرة: هنالك قال النبي لعلي: «ادن مني، فدنا علي، ففتح النبي فاه ومج فيه من ريقه، وتفل بين كتفيه وثدييه»[٤].

هل يجهل قادة التحالف معنى هذا القرار؟

قال الرسول لعلي: أنت خليفتي.. هل من الممكن أن قادة التحالف لا يعرفون المعنى الإصطلاحي لكلمة خليفة؟! الواقع يؤكد بأن قادة التحالف يعرفون معنى خليفة، ومعنى الاستخلاف بدليل ان عمر قال لابنه عند موته: «إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف، وإن استخلف فقد استخلف أبو بكر». هذا ما أخرجه أبو نعيم في حليته[٥]، ومسلم في صحيحه، والبيهقي في سننه وابن الجوزي في سيرة عمر.

وأخرج البلاذري في أنساب الأشراف[٦]، عن ابن عباس أن عمر قد قال: لا أدري ما أصنع بأمة محمد؟ فقال له ابن عباس: «ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه»؟ وهذا يعني أن عمر كان يعرف معنى كلمة «خليفة»، ومعنى الاستخلاف الذي نصه رسول الله.

ثم إن أم المؤمنين عائشة أوصت لعمر: «ان استخلف عليهم ولا تدعهم

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ومقتل الحسين للخوارزمي ١/ ٤٣٠، والإصابة لابن حجر العسقلاني ٣/ ٣٨.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ٨٦/١، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٣.

(٣) منتخب الكنز الحديث ٢٥٣٩ ج٦، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٤.

(٤) صحيح الترمذي ١/ ٣٠١ ح٣٨٠٧، وحلية الأولياء ١/ ٦٣، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢٠، والمناقب لابن المغازلي الشافعي ص٨٦، وتفصيلنا لهذه النصوص في الباب الأول.

(٥) ١/ ٤٤.

(٦) ٥/ ١٦.

بعدك هملاً، ففهم عمر معنى رسالتها فقال عمر: ومن تأمرني أن استخلف»[1].

ثم إن رواية عمر شهيرة ومستفيضة فطالما روى الرواة قول عمر: «لو كان أبو عبيدة حياً وليته واستخلفته، ولو كان خالد بن الوليد حياً وليته واستخلفته، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً وليته واستخلفته، ولو كان معاذ بن جبل حياً... الخ.

فعمر: يعبر عن منصب رئاسة الدولة الإسلامية بمصطلح (خليفة)، ويعبر عن التنصيب بـ (الاستخلاف). فليس في كلمة خليفة أي غموض وتؤدي للمعنى المقصود، ولا يمكن تأويلها.

مما يفيد: أن عمر بن الخطاب وقادة التحالف فهموا مغزى قول الرسول لعلي: «وخليفتي من بعدي..» ولكنهم قدروا أن القرار الإلهي بتعيين علي بن أبي طالب خليفة للنبي، واعلان الرسول لهذا القرار غير مناسبين، لأن القرار يعطي الرئاسة للهاشميين مع النبوة ويحرم بقية بطون قريش من هذين الشرفين!! كما وثقنا أكثر من مرة.

علي هو الإمام من بعد النبي بالنص:

لتفهم الأمة أمور دينها المتعلقة برئاسة الدولة الاسلامية من بعد النبي، وحتى لا تنسى الأمة هذه الأمور، وأداء لواجب البيان المفروض على رسول الله، وكشفاً لمؤامرة التحالف التي كانت تُحاك أثناء حياته المباركة، وتوعية للمسلمين، لم يترك رسول الله (ص) لقباً أو مصطلحاً يدل على رئاسة الدولة من بعده إلا وقدم للأمة عليّ بن أبي طالب، على أساس أنه الخليفة من بعده، وأنه ولي المسلمين من بعده، وها هو صلى الله عليه وآله وسلم يقدمه للأمة على أساس أنه الإمام من بعده.

النص الأول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما عرج بي الى السماء انتهى

---

(١) الإمامة والسياسة ص٢٢.

بي الى قصر من لؤلؤ منه فراش من ذهب يتلألأ، فأوحي الي أو أمر بي [كذا] في علي بثلاث خصال: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين»[1].

النص الثاني:

أتى علي بن أبي طالب يوماً على الرسول وهو جالس بين أصحابه فقال الرسول لعلي: «مرحباً بسيد المسلمين، وإمام المتقين»[2].

النص الثالث:

عن أنس بن مالك قال: ... ثم قال: «يا أنس أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين [و] سيد المؤمنين علي»[3]، ولا أحد يعرف من سيكون أول الداخلين من ذلك الباب وبعد فترة دخل علي بن أبي طالب، فنهض رسول الله وعانقه تلك والله آية، ودليل قاطع بأن الرسول لا يُلقي الكلام على عواهنه كما يزعمون، انما يتبع ما يوحى اليه.

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ٢/ ٨٨، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٦٥ ـ ح٩٣، وص١٠٤ ـ ح١٤٦ و١٤٧، والمناقب للخوارزمي ص٢٣٥، ودرر السمطين للزرندي الحنفي ص١١٤، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١٠٧، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٢١، وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ٦٩ و٣/ ١١٦، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٥٨ ح٧٨١، وفضائل الخمسة ٢/ ١٠٠، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٨١، وفرائد السمطين ١/ ١٤٣، وملحق المراجعات ص١٤١ ـ ١٤٢، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣١.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٦٦، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٤٠ ح٩٥٦، وكنز العمال ١٥/ ١٥٧ ح٤٤٣، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٩/ ١٧٠، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص١١٥، ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ١/ ٤٦، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص١٨١ و٢١٣، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥/ ٥٥، وفرائد السمطين ١/ ١٤١، ونظرية عدالة الصحابة ص٢٣١.

(٣) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٩/ ١٦٩، وحلية الأولياء ١/ ١٣، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٤٢، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٥٩ ح٧٨٣، ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ١/ ٦٠، والميزان للذهبي ص٦٤، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٢١٢، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣١٢، وفرائد السمطين ١/ ١٤٥، وفضائل الخمسة ١/ ٢٥٣.

النص الرابع:

قال الرسول يوماً لأصحابه: «إن الله تعالى عهد إليّ في علي عهداً، قلت ربِّ بينه لي، قال اسمع يا محمد. قال: [قلت: سمعت. قال:] إن علياً راية الهدى بعدي وإمام أوليائي ونور من أطاعني»[1].

علي سيد المسلمين:

لقد أعلن رسول الله بخمس مناسبات بأن علياً بن أبي طالب هو سيد المسلمين بعده، وأن الرسول لم يقل ذلك من تلقاء نفسه انما هو وحي الله اليه، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى، وأنه يتبع ما يوحى، وما هو إلا عبد مأمور يؤمر فيتبع.

مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم «أوحى الله إليّ في علي ثلاثاً إنه سيد المسلمين»[2]. ومثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم «أوحي اليّ في علي أنه سيد المسلمين»[3]. وكقوله لعلي أمام الصحابة «مرحباً بسيد المسلمين»[4]. وكان الرسول جالساً بين أصحابه فقال لهم أول من يدخل علينا هذا الباب هو إمام

---

(1) حلية الأولياء ١/ ٦٧، وشرح النهج ٩/ ٦٧، والمناقب للخوارزمي ص٢١٥ و٢٢٠، ونظم درر السمطيين للزرندي الحنفي ص١١٤، وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ١٨٩ ح٦٨٠، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٤٦، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٧٣، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣١٢، ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ١/ ٤٦، وفرائد السمطين ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(2) المعجم الكبير للطبراني ٢/ ٨٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٢١، وأسد الغابة لابن الأثير والنص الكامل مع طائفة من مراجعه عند بحثنا السابق «علي هو الإمام من بعد النبي».

(3) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٥٧. والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٣٤، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٤.

(4) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٦٦، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٤٠ ح٩٥٦، وكنز العمال ١٥/ ١٥٧ ح٤٤٣، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٩/ ١٧٠، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٥٥.

المتقين وسيد المسلمين.. وبعد فترة دخل علي بن أبي طالب فنهض الرسول وعانقه[1].

علي قائد الأمة من بعد النبي:

لقد أعلن رسول الله (ص) بمناسبات متعددة أن علي بن أبي طالب هو السيد، وهو الإمام وهو القائد، وركّز على هذه المصطلحات الثلاثة وعلى الرغم من أن التاريخ قد كتب بجو معادٍ تماماً لعلي ولأهل بيت النبوة وموالٍ لقادة التحالف، وعلى الرغم من أن الكذب على رسول الله صار أمراً ميسوراً إلا أنه لم يرد أن الرسول قال لأي واحد من قادة التحالف «أنت الإمام، والسيد، والقائد من بعدي» بينما الثابت وبهذا المناخ أن الرسول قد قال كل هذا لعلي بن أبي طالب، فبين أنه سيد المسلمين وإمام المتقين، وأنه القائد.

مثل قوله (ص): «أوحى الله اليّ في عليّ ثلاثة.. وقائد الغر المحجلين»[2]. وكقوله (ص): «أوحى الله اليّ في عليّ أنه... وقائد الغرّ المحجّلين»[3].

علي هو وصيّ النبي:

مع اعلان النبي لنبأ النبوة والرسالة والكتاب أعلن نبأ ولاية عهده والخلافة والوصاية من بعده، وأمام سادات بني هاشم وبني عبد المطلب أعلن النبي، أن خليفته من بعده ووصيه على أمره وأمته هو علي بن أبي طالب، فأخذ برقبة علي وقال أمام الجمع كله: «إن هذا أخي وحبيبي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» وهذا الحديث صحيح وقد صححه أبو جعفر الإسكافي وابن جرير الطبري كما

---

(١) شرح النهج ٩/ ١٦٩، وحلية الأولياء ١/ ١٣، والمناقب للخوارزمي ص٤٤، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٨٧، والميزان للذهبي ص٦٤، وفضائل الخمسة ١/ ٤٥٣.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢/ ٨٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٢١، وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ٦٩.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٥٧، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٣٤، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٤.

ذكر ذلك السيوطي في جامع الجوامع[1]، ورجاله كلهم ثقاة، وقد أرسل ـ أئمة الحديث ـ هذا الحديث ارسال المسلمات[2].

وبعد ذلك ضرب النبي بيده على يد علي كناية عن المبايعة على الخلافة والوصية[3]، وبايعه الرسول على الخلافة والوصية فعلاً[4]، هنالك أعلن الرسول أمام الحاضرين وأبلغ علياً رسمياً بهذا القرار فقال لعلي «فأنت أخي ووزيري ووصيي وخليفتي من بعدي»[5].

مراسم الخلافة والوصاية حتى لا تنسى:

بعد هذا الإعلان وتبليغ علي بن أبي طالب رسمياً باختيار الله سبحانه وتعالى له ليكون خليفة ووصياً للنبي ووزيره على أمره، قال الرسول لعلي بن أبي طالب: «ادن مني، فدنا علي، ففتح الرسول فاه، ومج فيه من ريقه، وتفل بين كتفيه وثدييه»[6].

وتلك حالة لم تحدث لأي مسلم قط، ومن الطبيعي أن الرسول لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه، انما هو عبد مأمور لله، أُمِرَ فأطاع، وأوحي اليه فأتبع، وهذا القرار الإلهي القاضي باختيار علي بن أبي طالب خليفة للنبي، ووحياً له لم ينسخ، ولم يلغ انما بقى ساري المفعول.

لم يكتف النبي الكريم بذلك، انما أعلن وصاية علي، بصيغٍ مختلفة

---

(١) ٦/ ٣٩٦.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٠٢ ح١٣٨.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ومقتل الخوارزمي ١/ ٤٣، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٣/ ٣٨، والميزان للذهبي، والجامع الصغير للسيوطي، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٠، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٧/ ٢١٩.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ١/ ٨٦، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٣.

(٥) منتخب الكنز ٦/ ٩٥٣ ح٢٥٣٩، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٤.

(٦) صحيح الترمذي ١/ ٣٠١ ح٣٨٠٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢٠، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر، والمناقب لابن المغازلي الشافعي ص٨٦.

وبأوقات متعددة فقال مرة أمام أصحابه: «لكل نبي وصي ووارث وإن علياً وصيي ووارثي»[1].

الوصي والوارث والوزير:

وأعلن أمام أصحابه مرة بقوله: «لكل نبي وصي ووارث، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب»[2].

الوصيّ وموضع السرّ والصفوة:

وقال النبي لأصحابه يوماً: «إن وصيي موضع سري وخير من أترك بعدي ينجز عدتي، ويقضي ديني علي بن أبي طالب»[3].

خاتم الوصيين:

وكان النبي يجلس مع نفر من أصحابه فقال لخادمه أنس بن مالك: «يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين.. فدخل علي»[4].

اختيار الله للوصي:

وقال النبي يوماً لفاطمة الزهراء: «يا فاطمة أما علمت أن الله عز وجل اطلع

---

(١) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ٥ ح١٠٣٠ ـ ١٠٣١، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٢٠٠، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٤٢، وذخائر العقبى للطبري، والميزان للذهبي ٢/ ٢٧٣، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٣٢ و٢٤٨.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ٥، والمناقب للخوارزمي ص٤٢، والمناقب لابن المغازلي ص٢٠٠ والميزان للذهبي ٢/ ٢٧٣.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١١٣، وكنز العمال ٦/ ١٥٤، ومسند الإمام أحمد ٥/ ٣٢ على الهامش.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٦٣، وشرح النهج ٩/ ١٦٩، والمناقب للخوارزمي ص٤٢، وكفاية الطالب للكنجي ص٢١٤، وميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٦٤، وفضائل الخمسة ٢/ ٢٥٤، ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ص٢١.

على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع ثانية فاختار بعلك فأوصى اليّ فأنكحته واتخذته وصياً»[1].

ابن الوصي:

وبعد استشهاد علي بن أبي طالب، وانتقال الخلافة لابنه الحسن وقف الحسن خطيباً أمام وجوه العرب وبقية الصحابة فقال: «أنا ابن النبي أنا ابن الوصي»[2] ولم ينكر على الإمام الحسن أي واحد من الناس، وقد شاعت الوصية في الأدب العربي شعره ونثره[3]، وانظر إلى قول جابر بن عبد الله حدثني وصي الأوصياء «يعني علياً»[4].

انكار الوصية والتناقض:

أنكر البخاري ومسلم أن يكون الرسول قد أوصى، وقد استندوا الى الحديث المنسوب لأم المؤمنين عائشة ومفاده «أن الرسول مات بين سحرها ونحرها وعلى فخذها ولم يوصي».

مع أن البخاري نفسه قد روى عن ابن عباس بأن الرسول قد أوصاهم حيث قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه، وقلت عن الثالثة: وقال نسيتها» كتاب النبي إلى كسرى وقيصر باب مرض النبي ووفاته[5].

---

(١) كفاية الطالب ص٢٩٦، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٥٣، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٢٨١، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص١٠١، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٩٢، والغدير للعلامة الأميني ٣/ ٢٣، وملحق المراجعات ص٢٤٤.

(٢) ذخائر العقبى الطبري ص١٣٨، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤٣.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص٢٢٧ و٣٨٢ و٤٣٦، والمناقب للخوارزمي ص٣٨ و٦٥ و١٢٤ و٢٨٨، ومروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٣٨، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٤/ ٤١١، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، وملحق المراجعات.

(٤) ميزان الاعتدال ١/ ٨٣، وملحق المراجعات ص٢٨٤.

(٥) صحيح البخاري ٥/ ١٣٧ دار الفكر.

ولعل البخاري ومسلم بانكارهما للوصية قد استندا على ثبوت الواقعة التي رواها البخاري ست مرات، ورواها مسلم والتي تتلخّص بأن عمر بن الخطاب وحزبه قد حالا بين رسول الله وكتابه ما أراد وهو على فراش المرض وقالوا للرسول ـ حاشا له ـ أنت تهجر[1].

ومع هذا فإن البخاري نفسه قد روى بأن الرسول قد أوصى، ونصوص الوصية التي سقناها تدل دلالة قاطعة، بأن رسول الله أوصى وذكر بوصيته مرات متعددة.

والطريقة التي مات بها رسول الله ورواها البخاري ليست مقبولة ولا معقولة ولا تليق بسيد المرسلين، فموت الرسول بين سحر ونحر عائشة وعلى فخذها لا يتناسب اطلاقاً مع جلال الرسول ومكانته عند الله، ولعل القصد من رواية هذه الطريقة بالموت هو اثبات قرب عائشة من النبي، واثبات بطلان ادعاء الإمام بأنه الوصي.

والحقيقة التي أقرّها الخليفة عمر بن الخطاب تناقض رواية البخاري عن السيدة عائشة، ففي زمان عمر كان الصحابة يجلسون في احدى الأيام فسأل كعب، ما كان آخر ما تكلم به رسول الله؟ فقال عمر: سل علياً، فروى علي كيف مات رسول الله وماذا قال. ولو أن الأمور كما روى البخاري عن عائشة لكان من دواعي سرور عمر أن لا يسلّم بهذا الشرف لعلي، ولأحال الناس يومها لنسأل أم المؤمنين.

والثابت أن رسول الله لما دنا أجله، وأوشكت أن تحضره الوفاة قال: ادعو لي أخي، فدعو علياً، فقال ادن مني، فدنا منه علي ولم يزل يكلمه حتى فاضت نفس الرسول الزكية، فأصابه بعض ريقه[2].

وقد روى هذا الحديث علي وابن عباس، وأم سلمة، وعبد الله بن عمر، وعلي بن الحسين وسائر أئمة أهل البيت الكرام[3].

---

(١) صحيح البخاري ٩/٧ وصحيح مسلم ٥/ ٧٥، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٨٧ وما فوق.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤. وشرح النهج ٢/ ٢٠٧ و٢٠٩ و٥٦١.

(٣) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤٣ ـ ٢٤٥.



الفصل الخامس:

علي بن أبي طالب هو المؤهّل الهياً لخلافة النبي

كما أهّل الله تعالى نبيه للنبوة والرسالة، أهل الإمام من بعده للإمامة، لأن الإمام من بعد النبي هو قائد الأمة ومرجعها، والقائم مقام رسولها، وبالتالي يجب أن يكون مؤهلاً ومعداً اعداداً الهياً، ليتولى بيان القرآن الكريم من بعد النبي بياناً متفقاً مع المقصود الإلهي من كل نص وقائماً على الجزم واليقين، بحيث يكون هذا البيان هو عين ما أراد الله لا زيادة ولا نقصان، ويجب أن يكون الإمام من بعد النبي محيطاً احاطة كاملة بالسنّة النبويّة بفروعها الثلاثة: (القول، والفعل، والتقرير). لأن الدعوة إلى دين الإسلام لا ينبغي أن تتوقف بوفاة النبي، لأن الدين الإسلامي آخر الأديان، ورسوله خاتم الرسل، وهذا رسول إلى الجنس البشري كله والغاية هي دخول هذا الجنس كله في دين الله، وطالما أن الدعوة إلى الإسلام لا تتوقف بوفاة النبي، ودخول الناس في دين الله مستمر، فلا بد من وجود الإمام المؤهّل الهياً لينوب عن النبي في بيان القرآن لهؤلاء الناس، وتقديم سنة الرسول لهم كما هي دون زيادة ولا نقصان، وتوضيح الأحكام الشرعية، والقدرة على تطبيق هذه الأحكام تطبيقاً دقيقاً بحيث تكيّف هذه الحادثة على هذا النص أو ذاك تكييفاً دقيقاً. ثم إن الرسول خلال حياته كان مثلاً أعلى وقدوة للمسلمين، وكذلك بعد مماته، فلا بد من وجود قدوة ومثلاً أعلى حياً للمسلمين ليقتدوا به، والإمام من بعد النبي ينبغي أن يكون القدوة.

التاهيل الإلهي:

كان الرسول بالضرورة هو الأعلم، والأفهم بالدين، فليس في زمان النبي

من هو أعلم ولا أفهم منه، وكان الرسول هو الأقرب لله، والأتقى له، فليس في زمانه من هو أقرب لله ولا أتقى منه، وكان أصلح وأفضل أبناء الجنس البشري في زمانه، فليس في الكون الإنساني من هو أصلح ولا أفضل منه، تلك حقائق دينية وعقلية لا يجادل فيها عاقل، والصفات التي أُلصقت بالنبي محمد من كونه الأعلم والأفهم بالدين، والأتقى والأقرب إلى الله وأفضل الموجودين هي ثمرة تأهيل واعداد الهي ليبلغ الرسالة وليقود الدعوة والدولة معاً فيكون قائداً للجماعة المسلمة، واماماً ومرجعاً للناس. وتلك صفات خفية لا يعلمها علماً يقينياً إلا الله، ومن هنا اختص تعالى نفسه باختيار الرسل وتعيينهم بعد أن أهّلهم وأعدّهم لذلك.

الأئمة أو الخلفاء الشرعيين للرسول:

اقتضت حكمة الله أن يبلغ الرسل أماناتهم ورسالات الله الى نبي البشر، وبعد ذلك يحكم على الرسل بالموت، ويختار لهم ما عنده، ومحمد كخاتم للرسل لم يستثن من الموت، فبعد أن بلغ الرسول رسالات ربه، وقاد الدعوة وبنى الدولة، وبين ما طلب منه بيانه، أعلن للناس، أنه قد خيِّر فاختار ما عند الله، وأنه تعالى قد أوصى اليه بأن يرتب عصر ما بعد النبوة حسب المشيئة الإلهية، وانه قد رتب هذا العصر بالصورة التي أوصاها الله تعالى له. وكما اختار الله محمداً للنبوة والرسالة وأعده وأهّله لذلك فإنه تعالى قد اختار عليَّ بن أبي طالب ليكون ولياً لعهد النبي خلال حياته، وخليفة وإماماً للأمة بعد وفاته وقد أهّل الله علياً لهذا المنصب الرفيع، فألهم نبيه محمداً أن يكفله صغيراً ليتربّى في كنف النبي، وليصنع على عينه، وبعد أن كلّف النبي بالرسالة أعلن رسول الله نبأ الرسالة مع نبأ الخلافة أو الإمامة من بعده ليربط النبئين معاً برباط عقائدي، ثم أوصى الله إلى نبيه أن يزوِّج علياً سيدة نساء العالمين فاطمة، ليخرج الأئمة من بعد النبي من هذه الشجرة المباركة محمد وعلي وفاطمة، ثم أعلن النبي بأمر من ربه بأن أولئك هم أهل بيته الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهم الأبناء والنساء والأنفس كما أوضحت ذلك آية المباهلة مثلما أعلن النبي أن التمسك بهم،

وبالقرآن معاً هو درب الهداية، وأن تجاهلهم وتجاهل القرآن معاً هو جرف الضلالة، وطوال حياة النبي المباركة وهو يعد علياً ليتولى الإمامة من بعده، ويزقه بالعلم زقاً، ويغرس فيه وفي ذريته أفضل الصفات والأخلاق ليكونوا مؤهّلين لقيادة الأمة ولينقلوا علم النبوة الموثوق من جيل الى جيل.

وما انتقل الرسول الى جوار ربه، إلا بعد أن تيقَّن من العلم الإلهي بأن عليَّ بن أبي طالب هو الأعلم والأفهم بعده بالدين، وهو الأقرب الى الله ورسوله، وهو الأتقى، وأنه أفضل وأصلح أهل زمانه. وتلك صفات خفية لا يعلمها علم اليقين إلا الله.

ومن هنا اختص الله تعالى نفسه باختيار الرسل، واختيار الأئمة من بعده.

إما الحق أو الدمار:

لو جارينا الذين قدموا وقائع التاريخ على نصوص الشرع، وقدموا التابعين لمحمد على محمد المتبوع لتوصلنا إلى النتيجة المدمّرة التي توصلوا اليها وهي أن محمداً ترك الأمة بدون راع، وترك الدولة التي بناها بالعرق والدم نهباً لأطماع الطامعين، أو تركها لقمة سائغة لمن غلب، يأكلها من يتغلب ويقهر، وترك الأمة بدون قيادة ولا مرجعية ولا إمامة!!، فإذا سألتهم من هو قائد الأمة ومرجعها وامامها المؤهّل ليقوم مقام الرسول؟ أجابوك بلسان طلق الخليفة؟! هذا الخليفة قد وصل الى منصبه بالقوة والتغلُّب وهو غير مؤهّل لقيادة الأمة وامامتها ومرجعيتها، وهو أعمى من جميع الوجوه، فكيف يقود الأعمى عمياناً أو مبصرين!! فيتفلسفون ويقولون هكذا قال أبو بكر وقال عمر!! فإذا قلت لهم يا قوم إن للمسلمين برسول الله أُسوة حسنة لا بأبي بكر ولا بعمر، ولا يعدو الرجلان أن يكونا صحابيان جليلان وحاكمان عادلان، ولا يملكا صلاحية التشريع وهما لا يضفيان على نفسيهما هذه الهالة المقدسة التي تضفى عليهما!! عندئذٍ يتهمونك بالتشيُّع لأهل البيت الكرام وبالتشنيع على الصحابة، هذا شأنهم!!

الاعداد الإلهي للإمام من بعد النبي:

نظّرنا عقلياً وشرعياً فكرة الاعداد الإلهي للرسل والأئمة عموماً، وبينا أن الله تعالى قد اختار عليّ بن أبي طالب ليكون إمام الأمة وقائدها ومرجعها من بعد النبي، وأعدّه وأهّله لذلك: وبأدناه طائفة من النصوص الشرعية التي تؤكد تنظيرنا العقلي والشرعي:

علي باب دار الحكمة:

قال النبي (ص) لأصحابه: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»[1].

وعن أحمد في مناقبه، وفي رواية أن الرسول قال: «أنا مدينة الحكمة وعلي بابها».

علي باب مدينة العلم اللدني:

أعلن النبي أمام أصحابه عن علم علي فقال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». روى الحاكم بسنده عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»، قال الحاكم: [هذا حديث صحيح الإسناد][2]. والخطيب البغدادي في تاريخه، قال: قال القاسم: سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث فقال: [هو صحيح][3].

---

(١) صحيح الترمذي ٢/ ٢٩٩، ورواه أبو نعيم في حليته ١/ ٦٤، وذكره المناوي في فيض القدير، وفضائل الخمسة ٢/ ٢٧٩، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/ ٢٠٤، وكنز العمال ٦/ ١٥٤ (نقلاً عن أبي نعيم في حليته، وأبي علي الحسين في معجمه) و٦/ ٤٠١ «نقلاً عن الترمذي وابن جرير الطبري»، وفي الرياض النضرة ٢/ ٢٠٠ عن ابن النجار وابن الجوزي.

(٢) مستدرك الصحيحين ٣/ ١٢٦.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٤٨ و١١/ ٤٩ و٢/ ٣٧٧، وأسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٢٢، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٦/ ٣٢٠ و٧/ ٤٢٧، وكنز العمال ٦/ ١٥٢، ١٥٦، ٤٠١، والمناوي في فيض القدير ٣/ ٤٦ (وقالا: أخرجه العقيلي، وابن عدي، والطبراني، والحاكم عن ابن عباس، وابن عدي، والحاكم عن جابر، وقال المناوي، وأخرجه أبو الشيخ من السنة)، وذكره الهيثمي في مجمعه ٩/ ١١٤، والرياض النضرة للطبري ٢/ ١٩٣، وكنوز الحقائق للمناوي ص٤٣، والصواعق المحرقة لابن حجر ص٢٧٣، وفضائل الخمسة ٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢.

علي هو المبيِّن للأمة من بعد النبي:

قال الرسول (ص) لعلي أمام أصحابه: «أنت تبيِّن لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»[1]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

قال الرسول لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء: «أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً»[2].

علي هو الأكثر علماً:

جاء النبي إلى فاطمة فوجدها تبكي فقال لها مالك تبكين لقد أنكحتك أكثرهم علماً، وأفضلهم حلماً[3]..

علي أعلم الأمة:

قال الرسول (ص) لأصحابه: «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب»[4].

علي أعلم الناس:

قال الرسول (ص) لأصحابه: «علي بن أبي طالب أعلم الناس بالله وبالناس»[5].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/١٢٢، وذكره المناوي في كنوز الحقائق ص١٨٨، وكنز العمال ٦/١٥٦، وحلية الأولياء، ومقتل الحسين للخوارزمي ١/٦٦، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٥/٣٣، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٤٨٨ ح١٠١٨ ـ ١٠١٩.

(٢) كنز العمال ٦/١٠٣ نقلاً عن أحمد بن حنبل والطبراني، وذكره الهيثمي في مجمعه ٩/١٠١، ١١٤، وقال: رواه أحمد والطبراني برجال وثقوا.

(٣) كنز العمال ٦/٣٩٢ وقال: أخرجه ابن جرير وصححه، والدولابي في الذرية الطاهرة.

(٤) كنز العمال ٦/١٥٦ وقال: أخرجه الديلمي، وذكره المناوي في كنوز الحقائق ص١٨.

(٥) المصدر نفسه وقال: أخرجه أبو نعيم.

وعن سلمان الفارسي قال: قلت يا رسول الله، إن لكل نبي وصياً فمن وصيك؟ فسكت عني، فلما كان بعد رآني فقال: يا سلمان فأسرعت اليه فقلت لبيك قال: تعلم من وصي موسى؟ قلت نعم: يوشع بن نون قال لِمَ؟ قلت لأنه كان أعلمهم يومئذٍ، قال النبي: «إن وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي، ينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب»[1].

علي باب علم النبي والمبين لأمته:

قال النبي أمام أصحابه يوماً «علي باب علمي، ومبين من بعدي لأمتي ما أرسلت به، حبه ايمان وبغضه نفاق»[2].

علي هو الأقضى:

قال النبي (ص): «وأقضاهم علي بن أبي طالب»[3] وقال (ص): «وأقضاها علي»[4] أي وأقضى الأمة علي بن أبي طالب. وروى أن الرسول قال «علي أقضى أمتي»، وقال (ص) لأصحابه: «كفي وكف علي في العدل سواء»[5].

علي هو الأبصر والأعدل:

قال الرسول لعلي أمام الصحابة: «يا علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع لا يحاجك فيها أحد من قريش.. أنت أولهم ايماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم في القضية».

---

(١) الهيثمي ٩/ ١١٣ وقال رواه الطبراني.

(٢) فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ص١٨، والغدير للأميني ٣/ ٩٦.

(٣) صحيح ابن ماجة، باب فضائل أصحاب الرسول ص١٤.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٨ وروى أن الرسول قال: «علي أقضى أمتي».

(٥) كنز العمال ٦/ ١٥٣.

بِعَليّ يهتدي المهتدون:

قال الرسول أمام أصحابه: «أنا المنذر وهذا ـ يعني علياً ـ هو الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي»[1].

علم علي بالقرآن الكريم:

خطب علي بن أبي طالب فقال في خطبته: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل»[2].

كان علي بن أبي طالب يقول: «إني وأطايب وأبرار عترتي أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، بنا ينفي الله الكذب»[3].

قال علي بن أبي طالب لأحدهم: «يا أخا بني عامر، سلني عما قال الله ورسوله فإنما نحن أهل البيت أعلم بما قال الله ورسوله»[4].

بعد وفاة الإمام علي خطب الإمام الحسن بن علي فقال: «لقد فارقكم رجل بالأمس، لم يسبقه الأولون بعلم، ولا يدركه الآخرون، وكان رسول الله يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح الله عليه»[5].

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤١٧، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١٠٧، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٤، وتفسير الطبري ١٣/ ١٠٨، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٠٢، وتفسير الشوكاني ٣/ ٧٠، وتفسير الرازي ٥/ ٢٧١، والمستدرك للحاكم ٣/ ١٢٩ ـ ١٣٠، والدر المنثور للسيوطي ٤/ ٤٥، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٣٠٧، وملحق المراجعات ص٥١.

(٢) كنز العمال ١/ ٢٢٨ قال: أخرجه ابن الأنباري في المصاحف، وابن عبد البر في العلم، وذكره العسقلاني في فتح الباري ١٠/ ٢٢١ وقال: أخرجه عبد الرزاق.

(٣) المصدر نفسه ٦/ ٣٩٦.

(٤) الطبقات لابن سعد ٦/ ١٦٧.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ١٩٩، وحلية الأولياء ١/ ٦٥، وكنز العمال ٦/ ٤١٢ وأخرجه ابن أبي شيبة.

قال علي بن أبي طالب: «إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً صادقاً ناطقاً»[1].

آراء بعض الصحابة في علم علي:

قال عمر بن الخطاب: «ولقد فاز علي بصهر رسول الله.. وعلماً بالتنزيل، وفقهاً للتأويل»[2].

قال سعد بن أبي وقاص: «يا هذا على ما تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلّى؟، ألم يكن أعلم الناس؟..»[3].

روى يحيى بن معين، قال: «قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا والله لا أعلم»[4].

قالت عائشة أم المؤمنين: «من أفتاكم بصوم عاشوراء؟ قالوا علي عليه السلام، قالت عائشة: إنه لأعلم الناس بالسنة»[5].

وأخرج ابن عبد البر في ج٢ ص٤٦٢ عن عبد الله قوله: «أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب»[6].

«لما رأى عمر بن الخطاب عبد الله بن جعفر يلبس ثوبين مضرجين خال أن هذا اللباس حرام فقال عمر ما هذه الثياب؟ فقال له علي بن أبي طالب: ما أخال أحداً يعلمنا السنة، فسكت عمر»[7].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٨٥، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة.

(٢) كنز العمال ٦/ ٣٩٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣/ ٤٩٩، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٤) أسد الغابة لابن الأثير ٦/ ٢٢، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢/ ٤٦٢، والمناوي في فيض القدير ٣/ ٤٦، والطبري في الرياض النضرة ٢/ ١٩٤.

(٥) الاستيعاب ٢/ ٤٦٢، وكنز العمال ٤/ ٣٤٣، وقال: أخرجه ابن جرير في التهذيب

(٦) الرياض النضرة للطبري ٢/ ١٩٤.

(٧) سنن البيهقي ٥/ ٥٩.

كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة[1].

قال عمر بن الخطاب: «أقضانا علي بن أبي طالب»[2]. حتى الحجاج بن يوسف الثقفي قال: «إننا لم ننغم على علي قضاءه فقد علمنا أن علياً كان أقضاهم»[3].

قال عمر بن الخطاب «علي أقضانا»[4].

عن ابن مسعود قال «كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب»[5].

في رجوع أبي بكر وعمر إلى علي:

كان أبو بكر يرجع إلى علي في الأمور التي لا يعرفها، أو المشتبهة عليه، ولطالما ردد عمر: «لولا علي لهلك عمر»، ورجوعه إلى علي أمر مسلَّم مشهور[6].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، وأخرجه ابن حجر في الصواعق المحرقة ص٧٦، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٤.

(٢) الرياض النضرة للطبري ٢/ ٩٨.

(٣) سنن البيهقي ١٠/ ٢٦٩.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢، وفتح الباري للعسقلاني ٩/ ٢٣٣ وأخرجه البغوي.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٣٥ (وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين)، ورواه ابن سعد في طبقاته ٢/ القسم الثاني/ ١٠٢، وابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٢٢، وابن حجر في صواعقه ص٧٦.

(٦) فضائل الخمسة ٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٩.



علي بن أبي طالب هو المجاهد الأعظم

الجهاد في سبيل الله:

لقد رتبت العناية الإلهية أوضاع علي بن أبي طالب ليكون الأول في كل ميدان، ففي ميدان الجهاد في سبيل الله كان علي بن أبي طالب هو الأول أيضاً، فكل جهاد يقصر عن جهاده، وكل تضحية تهون وتقل أمام تضحيته، وكل بطولة تتضاءل وتقف هزيلة أمام بطولة علي، ويمكنك أن تقول ويكل ارتياح، بأنه لم يسبق الإمام علي بجهاده المميز، أي مهاجر، أو انصاري، أو مسلم قط، لقد تقدم الإمام علي بجهاده وبطولاته وشجاعته على الجميع فهو المجاهد الأعظم حقاً.

ضمن ترتيب الهي، كفل النبي ابن عمه عليَّ بن أبي طالب وضمه اليه ليعيش في بيته وليصنع على عينه، وكان علي في السادسة من عمره ويقي علي مع النبي حتى اختار النبي ما عند الله[1].

ومن تاريخ كفالة النبي لعلي وحتى انتقل رسول الله الى جوار ربه، وعلي يتبع الرسول اتباع الفصيل لأثر أمه [على حد تعبير الإمام]، فهو ابن عمه، وهو أخوه وهو ناصره، وهو ولي عهده، وهو خادمه، فما تحرك الرسول خطوة إلا وعلي عن يمينه، وما أمر الرسول أمراً إلا وتلقى الطاعة من علي قبل أن يرتد الى الرسول طرفه.

ولما شرّف الله نبيه بالوحي والرسالة، كان علي بن أبي طالب أول من

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة (ابن أبي الحديد) ١/ ١٥.

صدقه فأسلم وآمن، تلك حقيقة لا يماري فيها إلا شيعة قادة التاريخ، وقد سقنا عشرات المراجع التي تؤكد بأن علياً هو أول المؤمنين[١].

فمحمد هو الذي جاء بالصدق، وعلي هو الذي صدق به[٢]. ومن هنا وصفه الرسول الأعظم بأنه هو الصديق الأكبر والفاروق الأعظم وقد وثقنا ذلك في البحوث السابقة[٣].

ولما صمم النبي على الهجرة أمر عليَّ بن أبي طالب أن ينام في فراشه ليوهم المتآمرين على قتل النبي أن النائم هو محمد وليس علياً، حتى يتمكن النبي من شق طريقه نحو المدينة[٤]، وبهذه المناسبة نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ الله واللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبادِ﴾[٥].

وبعد أن أدى الأمانات التي كانت عند رسول الله لأصحابها جهز علي أهل النبي والفواطم والعواتك، وحركهم علناً مهاجراً إلى المدينة دون أن يجرؤ أحد على التعرُّض له، أو لمن معه، ومن يجرؤ على الاقتراب من حمى سيف الله وأسد الله وأسد رسوله بالنص الشرعي كما وثقنا.

وبوصول النبي إلى المدينة، وترتيب أوضاعها الداخلية بدأ النبي تحركاته العسكرية؛ تلك التحركات التي قادت إلى مرحلة المواجهة المسلحة بينه وبين خصمه اللدود قادة بطون قريش. وكانت بدر أولى معارك تلك المرحلة وفي بدر تألق نجم الإمام عسكرياً، فعرفه القريب والبعيد، واعترف بقدراته الخارقة العدو

---

(١) على سبيل المثال خصائص النسائي ص٣، والحاكم في مستدركه ٣/١٣٦، وتاريخ بغداد ٢/٨١، والصواعق المحرقة ص٧٢.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٥/٣٢٨، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٤١٨.

(٣) على سبيل المثال تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٧٦، والإصابة لابن حجر ٤/١٧١، وأسد الغابة لابن الأثير ٥/٢٨٧، وميزان الاعتدال للذهبي ٢/٤١٧، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/٣٣ (ولا يقولها بعد علي إلا كاذب) والطبقات لابن سعد ٢/٢٣.

(٤) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي ص٣٥ و٢٠٠، وتفسير الفخر الرازي ٥/٢٢٣، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ١/٩٦ ح١٣٣، ١٤١.

(٥) سورة البقرة آية ٢٠٧.

قبل الصديق، هذه القدرات التي لفتت أنظار أهل الأرض وأهل السماء إذ نادى منادي من السماء: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»(١). تجد بعض فن علي بالقتال، لقد قتل علي وحمزة نصف ما قتل من المشركين يوم بدر، وقتل المسلمون كلهم النصف الآخر. وكان علي وحمزة وعبيد الله أو لثلاثة خرجوا لمبارزة صناديد الشرك لما يروي البيهقي في سننه(٢)، وابن ماجه في صحيحه باب الجهاد، والبخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق، وقد أجمع على ذلك المفسرون والمؤرّخون وأصحاب السير..

ويوم أُحُد فر المسلمون، وفرّ أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم وثبت علي وقاتل قتال الأبطال، فقتل أصحاب ألوية الشرك(٣)، وأصيب علي في ستة عشر ضربة، ومع هذا بقي يقاتل حتى أمر الرسول بوقف القتال(٤).

ويوم الخندق لما برز عمرو بن عبد ود وهو أقوى محارب في جيش الأحزاب وأخذ يتبجح من يبارز، ومن الطبيعي أن لا يجيبه أحد من الصحابة، فقام علي وهو مقنع في الحديد فقال: أنا له يا نبي الله، فقال النبي انه عمرو بن عبد ود اجلس فنادى عمرو ألا رجل؟ وتبجح عمرو بن عبد ود قائلاً:

ولقد بححت من الندا ء لجمعكم هل من مبارز
ووقفت اذ وقف الشجا ع مواقف القرن المناجز

لم يجبه أبو بكر ولم يجبه عمر، ولم يجبه أي مسلم قط، أمام هذا الصمت قرر علي أن يواجه عمرو بن عبد ود، وأن يحطم الروح المعنوية لتجمع الأحزاب بقتل عمرو، فاستأذن علي رسول الله فأذن له الرسول، فمشى علي عليه السلام ليبارزه وهو يقول:

---

(١) الرياض النضرة للطبري ٢/ ١٧٢، والمرقاة لعلي بن سلطان ٥/ ٥٦٧، وكنز العمال ٣/ ١٥٤، وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٧.

(٢) ٣/ ٢٧٦.

(٣) الرياض النضرة للطبري ٢/ ١٧٢، وعلي بن سلطان في المرقاة ٥/ ٥٦٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١١٤، وكنز العمال ٦/ ٤ (وقال رواه الطبراني).

(٤) نور الأبصار للشبلنجي ص٧٩.

لا تعجلـــن فقـــد أتـــاك مجيب صـوتـك غيـر عـاجـز
ذو نبهــــة وبصيـــرة والصـدق منجـي كـل فـائـز
إنـــي لأرجـــو أن أقيـم عليـك نـائحـة الجنـائـز
مـــن ضـــربـــة نجـــلاء يبقـى ذكـرهـا عنـد الهـزاهـز

لقد كان عمرو بن عبد ود جبلاً حقيقياً لا قدرة لأحد به، ولكن هذا الجبل تصدع أمام عظمة علي، وقدرته الخارقة التي منّ الله تعالى بها عليه، لقد تمكن الإمام علي من قتل عمرو بسهولة، لأن قوة عمرو وشجاعته لا تكاد تذكر أمام قوة علي وشجاعته[1].

وقد فهمت هذه الحقيقة أخت عمرو يوم رثته فقالت:

لـو كـان قـاتـل عمـرو غيـر قـاتلـه بكيتـه مـا أقـام الـروح فـي جسـدي
لكـن قـاتلـه مـن لا يعـاب بـه وكـان يـدعـى قـديمـاً بيضـة البلـد

راجع المستدرك على الصحيحين:

وبعد أن قتل علي عمرو بن عبد ود وعاد منتصراً سأله الرسول الأعظم كيف وجدت نفسك يا علي؟ قال: «وجدتها لو كان كل أهل المدينة في جانب لقدرت عليهم»[2].

وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب:

صعق المشركون من نتيجة المبارزة، فعمرو بن ود هو أقوى رجل في تجمع الأحزاب، وبدقائق معدودة، جندله علي بن أبي طالب!! وقدرت الأحزاب بأن هذا أمر عجاب فتحطمت روحها المعنوية، وكان مقتل عمرو بن عبد ود من أهم الأسباب التي عجلت برحيلها، وغيرت موازين المعركة نهائياً لصالح الذين آمنوا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذينَ كفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ ينالُوا خَيْراً وكفَى

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٢ ـ ٣٣، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣/ ١٩.
(٢) تفسير الفخر الرازي ـ الآية ـ ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلْنا بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ﴾.

الله المؤمنينَ القِتال﴾[1] وفي تفسير هذه الآية قال السيوطي «وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ هذا بالحرف ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بعلي بن أبي طالب.

وفي ميزان الاعتدال للذهبي[2] ذكر حديثاً مسنداً عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بعلي[3].

تثمين هذا العمل البطولي:

قال الرسول أمام أصحابه: «المبارزة علي بن أبي طالب عليه السلام لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي الى يوم القيامة»[4]. فلو لم يقتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود لبقيت الروح المعنوية في الأحزاب ولسهل عليها اجتياز الخندق، لكن الله تعالى رتب الأمور في كل وقعة ليكون علي بن أبي طالب هو البطل تعميماً لذكره الشريف، وتثبيتاً لمنصبه، واعلاءً لشأنه.

أين كان التسعة المبشَّرون بالجنة عند التحدّي؟

نعم، كان التسعة الذين أشيع بأنهم مبشرون بالجنة هنالك، وقد سمعوا نداء ع[illegible]ود مراراً ولكن لم يجبه أحد منهم، كان عمر بن الخطاب وكان أبو بكر وكان عثمان، وكان طلحة، وكان الزبير..

وفي خيبر:

أعطى رسول الله الراية الى أبي بكر فخرج أبو بكر ورجع ولم يفعل شيئاً،

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٥.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ١٧.

(٣) فضائل الخمسة ص٣٥٧، ٣٦٠ وما فوق.

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ٣٢، وتفسير الفخر الرازي في ذيل تفسير سورة القدر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣/ ١٩.

ثم أعطى الراية لعمر فخرج عمر ورجع ولم يفعل شيئاً[1].

وفي كنز العمال[2] أن رسول الله بعث أبا بكر في الناس فانهزم حتى رجع، ثم بعث عمر فانهزم بالناس حتى رجع، وقال المتقي الهندي أخرج هذا الحديث ابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، وابن ماجة، والبزار وابن جرير، وصححه والطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي في الدلائل، والضياء المقدسي في المختار، والى هذا أشار الهيثمي في مجمعه[3].

أما الواقدي فقد أشفق أن يقرن اسم أبي بكر وعمر بالهزيمة والرجوع دون فعل شيء لذلك روى الخبر على الصورة التالية «دفع رسول الله لواءه الى رجل من أصحابه المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً ثم دفعه الى رجل آخر فرجع ولم يصنع شيئاً»[4].. ولاح للواقدي أنه بهذا العمل قد برأ أبو بكر وعمر من تهمة الهزيمة، وأنه قد تقرب الى الله باخفاء الحقيقة!!

أمام تراجع المسلمين سالت كتائب اليهود ورجحت كفتهم، وأقبل الليل وحجز بين المتقاتلين، وعرف المسلمون أنفسهم على حقيقتها بدون محمد وآل محمد، بهذا المناخ قال النبي «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار ليس بفرار»[5].. وفي الصباح نادى عليّ بن أبي طالب وكان أرمداً لا يرى فتفل بعينيه وأعطاه الراية[6]، كما نقله عن ابن شبَّة وابن حنبل وابن ماجة والبزار وابن جرير وصححه والطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل، ومستدرك الصحيحين[7]، ولا ينكر أحد من أهل الملة قول الرسول هذا، ولا ينكر أحد واقعة اعطاء الراية لعلي وبالرغم من كراهية القوم وحقدهم على علي،

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/ ٩٩، وخصائص النسائي ص٥.
(٢) ٦/ ٣٩٤.
(٣) مجمع الزوائد ٩/ ١٢٤ وذكره في (٩/ ١٢٣) مختصراً، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط.
(٤) المغازي للواقدي ٢/ ٦٥٣.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) مسند الإمام أحمد ١/ ٩٩، وخصائص النسائي ص٥، وكنز العمال ٦/ ٣٩٤.
(٧) ٣/ ٤٣٧.

وبراعتهم بتحريف الواقعات التاريخية وتظهيرها مجاناً لصالح قادة التاريخ إلا أنهم عجزوا عن اخفاء تلك الحقيقة أو تحريفها.

أخذ علي الراية واندفع كالإعصار بقوة ربانية كما يقول الفخر الرازي، وتلقاهم اليهود، فانكشف المسلمون وثبت علي وحده، وتمكن من قتل الحارث قائد اليهود، فرجع أصحاب الحارث إلى الحصن، وتمكن علي من قهر يهود خيبر لأول مرة، ودنا الإمام من الحصن فضربه يهودي فطرح ترس الإمام من يده، فتناول الإمام باباً وتترّس به، وبقي الإمام علي يقاتل بقوة لم تألفها البشر حتى سقطت حصون خيبر حصناً بعد حصن، وأيقن من تبقى من اليهود بالهلكة فنزل ابن أبي الحقيق وأعلن استسلامه بالتفصيل الذي ذكرناه في الفصول السابقة، ان ثمانية نفر عجزوا عن قلب الباب الذي تترّس به الإمام[1].

في حنين:

قال الهيثمي في مجمعه[2] عن أنس: «لما كان يوم حنين انهزم الناس عن رسول الله إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث ابن عم النبي وعلي بن أبي طالب، وكان علي يومئذٍ أشد الناس قتالاً بين يديه»، وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط.

وكان علي هو الذي ناول رسول الله التراب فرمى به وجوه المشركين يوم حنين وقال: رواه البزار[3].

هل من قادة التاريخ من فعل مثل هذا؟

بهدوء وبدون ضجة لا، وهم لا يمارون في ذلك؟ فإن كان موقفهم كذلك فما لهم كيف يحكمون!! ألهم الغنم وعلى آل محمد الغرم!!

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/٨، وابن جرير الطبري في تاريخه ٢/ ٣٠٠، وابن سلطان في مرقاته ٥/٥٦٦، (وقد وثقنا هذه الواقعة في البحوث السابقة).

(٢) مجمع الزوائد ٦/ ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٨٢، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٣٤.

ابن المجاهد:

لم يكن علي بن أبي طالب هو المجاهد الأعظم في سبيل الله فحسب، إنما كان ابن مجاهد عظيم، ونُعني به والد الإمام علي وهو عبد مناف بن عبد المطلب المكنّى بأبي طالب، وعلى الرغم من إن اعلام قادة التاريخ قد شوّه سمعة أبي طالب، ووصمه بالشرك، وزجّه في ضحضاح من النار على حد تعبير المغيرة بن شعبة، إلا أن اعلام قادة التاريخ أقل من أن يطمس الحقيقة في موازين العدل الإلهي، وحتى في موازين العقل البشري المحايد الذي يحترم نفسه.

كفالة النبي وتربيته:

يكفي أبو طالب شرفاً أنه قد كفل النبي وعمره ثماني سنين، وبقي النبي في بيت عمه أبي طالب وتحت اشرافه حتى بلغ الخامسة والعشرين، حيث تزوج النبي واستقل في بيته الخاص، خلال هذه المدة التي امتدت سبع عشرة سنة كان الرسول بمثابة الابن لأبي طالب وزوجته، وكان أولاد أبي طالب بمثابة أخوة الرسول، ولما شرف الله نبيه بالرسالة كان أبو طالب من أول المؤمنين به، والمدافعين عنه، وقد عبر رسول الله عن امتنانه لأبي طالب، ورضاه عن مواقفه النبيلة عندما وقف أمام جثمانه الطاهر فقال الرسول والحزن يملأ قلبه: «يا عم، ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً فجزاك الله خيراً»[1]، واعتبر الرسول فقدان أبي طالب مصيبة على الأمة فقال: «لقد اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً»[2]، وعبّر النبي بدقة عن هول المصيبة بفقدان عمه، وعن الفراغ الهائل الذي تركه بوفاته فقال: «ما نالت مني قريش حتى مات أبو طالب»[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢/ ٩١.

صفحات من جهاد أبي طالب:

كان أبو طالب شيخ البطاح بلا كلام، وكان سيد قريش وحكيمها تدين له بطون قريش بالطاعة، وتكنّ له أعمق التقدير والاحترام، وأبو طالب من القلة القليلة التي سادت رغم ضيق ذات اليد، لقد استغل أبو طالب موقعه ومكانته في مكة، وحاول جاهداً أن يكون همزة الوصل بين ابن أخيه الرسول وبين بطون قريش ليسحب فتيل التوتر ما أمكنه، وليخفف حدة الصراع، ويجعله دائماً تحت السيطرة، فقد فاوضته بطون قريش، واشتكت له من ابن أخيه، ونقل وجهة نظر البطون إلى ابن أخيه الرسول، وجمع بينه وبين سادات البطون، وفاوضهم النبي في بيت أبي طالب وتحت اشرافه، ثم وصلت المفاوضات بين الطرفين الى طريق مسدود[1]، وليتمكن أبو طالب من حماية ابن أخيه الرسول ودعمه، وحد البطن الهاشمي خلف قيادته، وضم اليهم بطن بني المطلب وجعل من البطنين قوة واحدة، تأتمر بأمره، ومهمتها الأولى والأخيرة المحافظة على حياة الداعية محمد ودعوته الإسلام.

أبو طالب يرد على بطون قريش رداً حاسماً:

لما وصلت المفاوضات بين محمد وبين بطون قريش إلى طريق مسدود، ورأى سادات البطون أن الناس بدأوا بالدخول في الإسلام، رأى سادات البطون أن الحل الأمثل لخلاصهم من محمد ودعوته يتمثل بقتل محمد، ولكن سادات البطون خشوا من ردة فعل أبي طالب، فأشاعت البطون أن محمداً قد قتل وكان محمد غائباً، فجمع أبو طالب فتية بني هاشم وبني المطلب في منزله، وأعطى لكل واحد منهم حديدة صارمة، وقال لهم إذا دخلت المسجد اتبعوني، فلينظر كل فتى منكم فليجلس الى عظيم من عظمائهم وكانت خطة أبي طالب أن يقتل كل عظماء بطون قريش، وفي هذه الأثناء حضر الرسول، فأخذ بيده ومعه الفتية الهاشميون والمطلبيون ودار به على أندية قريش فقال: يا معشر قريش هل تدرون

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٨٦، والسيرة الحلبية ١/ ٣٠٤، وسيرة ابن اسحاق الأميني ٧/ ٤٠٠.

ما هممت به؟ قالوا لا، فأخبرهم وقال للفتيان اكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة فقال أبو طالب والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى واياكم، عندئذٍ أدرك سادات البطون مخاطر التفكير في قتل النبي، وأقلعوا عن فكرة قتله[١].

الدعم المطلق:

عندما أعلن النبي رسالته في الاجتماع الذي عقد في بيته قال أبو طالب: «والله لننصرنه ثم لنعيننه»[٢]، وخاطب النبي قائلاً «يا ابن أخي إذا أردت أن تدعو الى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح»[٣]، وحث أبو طالب أولاده ليكونوا الى جانب ابن عمهم الرسول فقال لعلي: الزم ابن عمك[٤]، وروى بن أبي الحديد عن علي قال: قال أبي: يا بني الزم ابن عمك، فإنك تسلم به من كل بأس عاجل أم آجل ثم قال لي: «إن الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته على يديكا»[٥]. وقال يوماً لأولاده:

إن علياً وجعفراً ثقتي	عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما	أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا	يخذله من بني ذو حسب[٦]

وشاهد أبو طالب النبي وعلي يصليان معاً، فقال لابنه جعفر اذهب وصل الى جانب ابن عمك[٧].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٨٩، والغدير للعلامة الأميني ٧/ ٣٨٩.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٥، وتاريخ الطبري ٢/ ٢١٤، والإصابة ٤/ ١١٦.
(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٢١٤.
(٦) ديوان أبي طالب ص٣٦، والغدير للعلامة الأميني ٧/ ٣٩٧.
(٧) الغدير ٧/ ٣٩٧.

الدعم بالقول والفعل:

كان الرسول واقفاً يصلي، وسادات البطون يتفرجون عليه، ويعجبون منه فعزّ عليهم ذلك، فأمروا غلاماً أن يلقي الفرث والسلى على ظهر محمد وعندما سجد النبي ألقى الغلام الفرث والسلى على ظهره، فذهب النبي الى عمه وشاهد أبو طالب الفرث والسلى فقال مستغرباً: «ما ذاك يا بن أخي» فأخبره النبي الخبر فاستشاط غيظاً فتقلّد سيفه وخرج ومعه غلام له، ولما رأى سادات البطون مجتمعين خاطبهم قائلاً: «والله لا تكلم منكم رجل إلا ضربته» ثم أمر غلامه بأن يفعل بسادات البطون ما أمروا بفعله بمحمد وهكذا كان[١].

ومرةً أخرى ألقى ابن الزبعري الفرث على النبي، وعلم أبو طالب فمشى إلى القوم ومعه النبي حتى إذا وصلهم قال: «يا بني محمد الفاعل بك هذا؟ فقال: عبد الله بن الزبعري، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطّخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم»[٢]. وهذا يفسّر معنى قول الرسول «ما نالت مني قريش حتى مات أبو طالب»[٣].

البطن المجاهد:

لقد عمم أبو طالب فكرة الجهاد لحماية النبي ودينه على البطن الهاشمي، الذي وقف مع بطن بني عبد المطلب متحدين خلف أبي طالب، مستعدين للدفاع عن محمد ودينه وحتى آخر رمق، وللانتقام ممن يمس شعرة واحدة من محمد، وهذا ما دفع البطون لتأجيل التفكير بقتل محمد خوفاً من ردة فعل هذين البطنين واتخاذ قرار بمحاصرة بني هاشم ومقاطعتهم في شعب أبي طالب، وتمت المحاصرة والمقاطعة التي استمرت ـ ثلاث سنين ـ ثم فشلت فشلاً ذريعاً بفضل

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤، وسيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٦٤.
(٢) الغدير للعلامة الأميني ٧/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ نقلاً عن تفسير القرطبي.
(٣) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٩١.

الله وحكمة نبيه، ووفاء أبي طالب وقد عالجنا هذا الموضوع بالتفصيل في بحثونا السابقة.

وصية أبي طالب لقريش:

لما حضرت أبو طالب الوفاة جمع وجوه قريش وأوصاهم وصية طويلة جاء فيها: «أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به.. والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يؤخذ أحد بهديه إلا سعد»[1]..

وصية أبي طالب إلى رهطه:

أخرج ابن سعد في طبقاته، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب وقال لهم: «لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا».

وفي لفظ يا معشر بني هاشم: «أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا»[2].

ايمان أبي طالب:

أي شخص حيادي ويحترم عقله ويلم بمواقف وأشعار أبي طالب يخرج بنتيجة حتمية مفادها: أن أبا طالب لم يكن مسلماً فحسب، انما كان مؤمناً وصديقاً، ونموذج للمؤمن الصادق يقتدى به[3]. قال الطبرسي في مجمع البيان[4]: قد ثبت اجماع أهل البيت على ايمان أبي طالب واجماعهم حجة لأنهم أحد الثقلين، وقال ابن معد الفخار في كتابه[5]: [يكفينا من الاستدلال على ايمان

---

(١) تاريخ الخميس ١/ ٣٣٩، والسيرة الحلبية ١/ ٣٧٥.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٥، والسيرة الحلبية ١/ ٣٧٢ و٣٧٥.

(٣) الغدير للعلامة الأميني ٧/ ٣٦٩ حتى نهاية المجلد.

(٤) ٢/ ٢٨٧.

(٥) ص١٣.

أبي طالب اجماع أهل بيت رسول الله أجميعن وعلماء شيعتهم على اسلامه واتفاقهم علی ايمانه]، وقال ابن طاووس في الطرائف[1]: «اني وجدت علماء العزة مجمعين على ايمان أبي طالب وقال: ولا ريب أن العترة أعلم بباطن أبي طالب من الأجانب وشيعة أهل البيت مجمعون على ذلك».

وقال ابن أبي الحديد في شرحه[2]: «قالت الأمامية وأكثر الزيدية: ما مات إلا مسلماً، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم: أبو القاسم البلخي، وأبو جعفر الاسكافي، وغيرهما»[3].

الحسد والحقد:

نفس القوى التي تصدت للرسول والرسالة طوال ٢١ عاماً وقامت بكل وسائل المقاومة وحاربت بكل وسائل الحرب، لتصرف النبوة عن محمد الهاشمي، وعندما أحيط بها وأغلقت بوجهها كل الأبواب أسلمت مكرهة، وأظهرت الاعتراف بالنبوة باعتبارها أساساً للملك التي أضمرت الانقضاض عليه ذات يوم وأخذه بالقوة والتغلب ونفس القوى التي وقفت ضد النبي هي عينها التي وقفت ضد علي وأهل بيت النبوة، وفرضت مسبتهم ولعنهم على الرعية، ومحت أسماء محبيهم من ديوان العطاء، ولم تقبل لأحد منهم شهادة، ومن تمسك بحبهم وموالاتهم هدموا داره وأباحوا دمه.

هي نفسها القوى التي أشاعت الأباطيل عن رسول الله، كما أثبتنا ثم مدت اشاعاتها الكاذبة الى أبي طالب، لتصرف عن بني هاشم وعن النبي وآله كل فضل طمعاً بتمكين ملكها وحسداً من عند أنفسهم أن رفع الله الهاشميين ووضعهم، وأعطى الله الهاشميين ومنعهم كما قال الإمام علي عليه السلام، وإشاعات هذه القوى عن النبي، وعن أبي طالب ساقطة، ولا تعادل قيمة الورق الذي كُتبت عليه، ولا تستقيم أمام أي بحث موضوعي مجرد.

---

(١) ص٨٤.

(٢) ٣/٢١١.

(٣) الغدير للعلامة الأميني ٧/٤٢٦ ـ ٤٢٧.



المزايا الخاصة للإمام من بعد النبي

إمام المسلمين في الحق والحقيقة هو قدوتهم، ومثلهم الأعلى، ويكفي مفهوم الإمامة شرفاً أن أول امام للأمة كان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ومحمد هو المثل الأعلى للمسلمين، وقدوتهم، وبأمر من الله سبحانه وتعالى أعلن رسول الله: أن عليَّ بن أبي طالب هو: الخليفة والولي والسيد والقائد، وهو الإمام من بعده، وأعلن الرسول ذلك لعلم الله بأن علياً هو الوارث الحقيقي لعلم النبوة، وأصلح أهل زمانه، وأعلم أهل زمانه، وأقرب أهل زمانه لرسوله مما يجعله قدوة، ومما يرتفع به عن الزلل لأن من مهام الرسول أن يبين للناس ما نزل اليهم من ربهم، ومن مهام خليفته والإمام من بعده أن يقوم بوظيفة البيان أيضاً لأن الدعوة الى دين الله لا تتوقف، وبيان أحكام الدين، ومعاني القرآن الكريم مستمر الى يوم القيامة وبالتالي يتوجب أن يكون رئيس الدولة الاسلامية قدوة ومرجعاً دينياً بذاته وعلومه[1].

ومن هنا أبرز رسول الله بعض المزايا والهبات الإلهية التي يتمتع بها الإمام على من دون المسلمين، ويتفرّد بها عن سواه من أهل زمانه.

النظر الى علي عبادة:

قال النبي لعلي في جمع من أصحابه: «النظر الى وجهك يا علي عبادة، أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، من أحبك أحبني، وحبيبي حبيب الله،

---

(١) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٥ ـ١٦.

وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك»[1].

وقال الرسول يوماً لعلي أمام أصحابه: «أنت تُبيِّن لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»[2].

كفه ككف الرسول في العدل:

وقال الرسول يوماً لأصحابه «كفي وكف علي في العدل سواء»[3].

علي مع القرآن:

وقال الرسول لأصحابه: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض»[4].

منزلة علي:

وقال الرسول يوماً لأصحابه: «علي مني بمنزلتي من ربي»[5].

الهادي والمنذر والحجة وباب حطة:

وأعلن النبي أمام أصحابه قائلاً: «أنا المنذر وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي»[6].

---

(١) رواه أحمد في مسنده ونقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣/ ٢٥٣.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٨٨ ح١٠١٨ و١٠١٩، مؤسسة المحمودي للطباعة ـ بيروت ١٩٨٠ م، ومقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ١/ ٨٦، والمناقب للخوارزمي ص٢٣٦، وينابيع المودة للقندوزي ص١٨٢، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٣، وملحق المراجعات ص١٤٦.

(٣) كنز العمال ٦/ ١٥٣ ح٢٥٣٩.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧٣ وقد أخرجه الطبراني في الأوسط كتابنا نظرية عدالة الصحابة.

(٥) ذخائر العقبى للطبري ص٦٤، والرياض النضرة للطبري، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٠٦، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٤.

(٦) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤١٧ ح٩٢٣/ مؤسسة المحمودي للطباعة بيروت ١٩٨٠ م، والفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص١٠٧، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٤، وتفسير الطبري ١٣/ ١٠٨، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٠٢، وتفسير الشوكاني =

وقال: «أنا وهذا ـ يعنى علياً ـ حجة على أمتي يوم القيامة»[1].

وقال: «علي بن أبي طالب باب حطة من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً»[2].

علي المؤدي عن النبي:

أعلن النبي أمام أصحابه: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[3].

مفارقة علي مفارقة لله ولرسوله:

أخبر النبي علياً أمام الصحابة قائلاً: «يا علي من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك فقد فارقني»[4].

= ٣/ ٧٠، وتفسير الفخر الرازي ٥/ ٢٧١، والمستدرك للحاكم ٣/ ١٢٩ ـ ١٣٠، والدر المنثور للسيوطي ٤/ ٤٥، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٣٠٧، وروح المعاني للألوسي ١٣/ ٩٧، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص١٣٥، وملحق المراجعات ص٥١.

(١) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ح٨٠١ و٨٠٢ و٨٠٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٩٤، ومناقب علي لابن المغازلي، والميزان للذهبي ٤/ ١٢٨، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٥.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص١٨٥ و٢٤٧ و٢٨٤، والجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٥٦، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٠ والصواعق المحرقة لابن حجر ص٧٥ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٥.

(٣) سنن ابن ماجة ١/ ٤٤ ح١١٩، وصحيح الترمذي ٥/ ٣٠٠ ح٣٨٠٣، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٢٠، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٣٧٦ ح٨٧٨ ـ ٨٩٢، والمناقب للخوارزمي، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢٠، والجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٥٦، ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٢٧٥، والأصول لابن الأثير ٩/ ٤٧١، والمشكاة للعمري ٣/ ٢٤٣.

(٤) المستدرك للحاكم ٣/ ١٤٦، وذخائر العقبى للطبري ص٦٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٣٥، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ح٧٩٦، والميزان للذهبي ٢/ ١٨، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٣٥.

أيدته بعلي ونصرته بعلي:

أعلن الرسول أمام الصحابة بقوله: «مكتوب على ساق العرش: لا إله إلا الله، محمد رسول الله أيدته بعلي، ونصرته بعلي»[1].

سيد العرب:

في يوم من الأيام قال النبي لمن حوله: «ادعو لي سيد العرب علياً، فقالت عائشة ألست سيد العرب؟ فقال النبي: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب»، فلما جاء علي أرسل الى الأنصار فأتوه فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: «هذا علي فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم، عن الله عز وجل»[2].

راية الهدى ونور الطاعة:

أعلن النبي أمام أصحابه بقوله: «إن الله عهد الي في علي عهداً فقلت يا رب بينه لي، فقال الله عز وجل اسمع إن علياً راية الهدى، وامام أوليائي، ونور من أطاعني»[3].

---

(١) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٧ ح٨٦٤ و٨٦٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٢١، وحلية الأولياء ٣/ ٢٦، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٥، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٢٧، وفرائد السمطين للحمويني ١/ ٢٣٦.

(٢) ذكره أبو نعيم في حليته ونقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/ ٢٥١.
أما المقطع الثاني من الحديث فمراجعه: شرح النهج لابن أبي الحديد ٩/ ١٧٠، وحلية الأولياء ١/ ٦٣، ومجمع الزوائد ٩/ ١٣٢، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٢١٠، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣١٣، وكنز العمال ١٥/ ١٢٦، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٣٢، وفضائل الخمسة ٢/ ٩٨، ومطالب السؤول لابن طلحة ١/ ٦٠، وفرائد السمطين للحمويني ١/ ١٩٧ ح١٥٤.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩/ ٦٧، والمناقب للخوارزمي ص٢١٥، ٢٢٠، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص١١٤، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ح٧٤٢، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٤٦، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٧٣، وينابيع المودة =

ولاية علي:

أعلن الرسول أمام الصحابة بقوله: «من أراد أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتولى علي بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة»[1].

وخاطبهم قائلاً: «أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل»[2].

وقال: «من آمن بي وصدقني، فليتول علي بن أبي طالب فإن ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله»[3].

تخصم الناس بسبع:

قال النبي لعلي في محضر من أصحابه: «يا علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يحاجّك فيه أحد من قريش».

= للقندوزي الحنفي ص٣١٢، ومطالب السئول لابن طلحة الشافعي ١/ ٤٦، وفرائد السمطين للحمويني ١/ ١٤٤ و١٥١.

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٤٩٤ ـ ٣٥٠، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٨، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٩٨ ـ ١٠٠ ح٦٠٣ ـ ٦٠٥، وفضائل الخمسة ٢/ ٢١٣، وفرائد السمطين للحمويني ١/ ٥٥.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٩١ ـ ٩٤ ح٥٩٤ ـ ٥٩٨، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٢٣٠ ح٢٧٧ و٢٧٩، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٠٨، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٨٢، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٢، وفضائل الخمسة ١/ ٢٠٢، وفرائد السمطين ١/ ٢٩١، وملحق المراجعات ص٢٩، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٢٩.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٩١ ح٥٩٤، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٢٩.

اللهم أنت أولهم ايماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزيّة»[1].

علي مع الحق والحق مع علي:

قال النبي لأصحابه يوماً «علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»[2].

سبّ علي وايذاؤه وبغضه:

أعلن الرسول أمام أصحابه بأن: «من سب علياً فقد سبني»[3]. ووضح النبي ذلك لأصحابه فقال: «من سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه على منخريه في النار»[4].

وقال الرسول لأصحابه: «من آذى علياً فقد آذاني»[5]. ولم ينسَ النبي بأن

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٦٥ ـ ٦٦، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٦٢، ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ١/ ٩٥، وشرح النهج ٩/ ١٧٣، والمناقب للخوارزمي ص٧١، وميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٣١٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٤، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٣٢ ح١٦٠.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤/ ٣٢١، وغاية المرام ص٥٣٩، والإمامة والسياسة ١/ ٧٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٥/ ٣٠، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ١٥٣ ح١١٧٢.

(٣) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٢٤، والمناقب للخوارزمي ص٨٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٣٠، وذخائر العقبى للطبري ص٦٦، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٨٢ ـ ١٨٥ ح ٦٦٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٧٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٠.

(٤) ذخائر العقبى للطبري ص٦٦، والمناقب للخوارزمي ص٨١ ـ ٨٢، ومناقب علي لابن المغازلي ص٨٣، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١١١، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢١٩.

(٥) المستدرك للحاكم ٣/ ١٢٢، وتلخيص المستدرك للذهبي ٣/ ٤٨٣، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٤٢٠ ـ ٤٢٦ ح٤٩٤ ـ ٥٠٢.

يعلن أمام أصحابه أيضاً بأن: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني»[1].

(١) الاستيعاب بهامش الإجابة ٣/ ٣٧، والميزان للذهبي ٢/ ١٢٨ ومناقب علي لابن المغازلي ص١٠٩، والرياض النضرة للطبري ٢/ ١٢٥ ومسند أحمد ٥/ ٣٠.

الفصل الثامن:

ولاية علي بن أبي طالب من بعد النبي

معنى الولاية:

عُرف رئيس الدولة الاسلامية طوال التاريخ بأنه خليفة الرسول أو الخليفة اطلاقاً، وأنه ولي أمر المسلمين، أو الولي اطلاقاً، وهذا الاصطلاح الشرعي فرض نفسه، مع أن الخلفاء أو أولياء أمور المسلمين لم يصلوا الى هذا المنصب بالطرق الشرعية إنما أخذوه بالقوة والغلبة.

وكان رسول الله يُعرف بأنه ولي أمر المسلمين للدلالة على رئاسته للجماعة المسلمة قبل الدولة، وعلى رئاسته للدولة بعد قيامها، وكدلالة على اختصاصه بتصريف شؤون المسلمين المتعلقة بالدين والدنيا معاً وادارتها.

وهذا الاصطلاح من الوضوح بحيث أنه لا يحتاج الى ايضاح لولا المكابرة وربط الدين الحنيف بعجلة قادة التاريخ، فولي القاصر أبوه أوجده لأبيه، أو الحاكم الشرعي، ومعنى هذا أن هؤلاء هم الذين يلون أمره، ويتصرفون بشؤونه، ويديرون أموره وولي أمر المسلمين هو الذي يتصرف بشؤونهم، ويدير أمورهم وهو أولى بها من غيره[١].

النصوص الشرعية التي تثبت ولاية علي للأمة من بعد النبي:

النص الأول:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والَّذينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ

(١) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١١ ـ ١٢.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ راكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ الله ورَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الغَالِبُونَ﴾[1].

وسبب نزول هذه الآية: أن رسول الله دعا ربه بالدعاء الذي دعا فيه موسى ربه: «واجعل لي وزيراً من أهلي عليّ أخي..» وذلك بعد أن تصدق علي بن أبي طالب بخاتمه وهو راكع، وما أن أتم رسول الله دعاءه حتى هبط عليه جبريل ومعه آية الولاية. وعلي بن أبي طالب هو الشخص الوحيد الذي تواترت الروايات بأنه قد تصدق وهو في حالة ركوع، وبالرغم من سيطرة قادة التاريخ على وسائل الاعلام، وغيرتهم من الإمام علي، وكراهيتهم له، وفرض مسبته وأهل بيت النبوة على رعايا دولتهم إلا أن الروايات قد تواترت بنزولها في علي لا في سواه وتشكيك شيعتهم بهذه الروايات أمر طبيعي، لأنهم تبّعوا الدين للتاريخ، وكان ينبغي أن يتبعوا التاريخ للدين[2]!!.

النص الشرعي الثاني:

قال رسول الله (ص) لعلي أمام كبار أصحابه: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»[3].

وهذا النص من العموم والشمول بحيث انه يتسع بولاية علي لأمر

---

(1) سورة المائدة الآية ٥٥ و٥٦.

(2) شرح تفسير الطبري ٢٨٨ و٢٨٩، والكشاف للزمخشري ١/٦٤٩، وزاد المسير من علم التفسير لابن الجوزي ٢/٣٨٣، وتفسير القرطبي ٢/٢١٩، (وقد ذكرت في كتابنا نظرية عدالة الصحابة حوالي ستين مرجعاً من مراجع أهل السنة المعتمدة فارجع اليها في كتابنا هذا ص٢٣٠، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ١٣/٢٧٧ (تحقيق محمد أبو الفضل) والصواعق المحرقة لابن حجر ٢٤، وأنساب الأشراف للبلاذري ٢/١٥٠، وجامع الأصول ٩/١٤٦، وملحق المراجعات (تحقيق حسين راضي) ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(3) أورده الذهبي في تلخيص المستدرك وصححه، وابن عبد البر في استيعابه (في أحوال علي)، وذكره ابن حجر في صواعقه باب ١١ ص١٠٧ وقال: إن الإمام أحمد أخرجه وصححه، وفي باب ١٢ ص١٦، والحاكم في مستدركه ص١٠٩، وذكره الطبراني، وأخرجه البزار في مسنده، والترمذي في صحيحه، ومسلم في صحيحه ٢/٢٣ ـ ٢٤، والبخاري في صحيحه ٢/٥٨، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال ٦/٢٥٠٤، وأحمد في مسنده ٢/١٠٩.

المسلمين، ويلقي أضواء على بيان النبي لآية الولاية، ولو ورد مثل هذا النص في أي واحد من قادة التحالف لطاروا به كل مطار، ولقطعوا به ظهر كل معارض!!

النص الشرعي الثالث:

قال الرسول لعلي مرة أمام أصحابه: «أنت ولي كل مؤمن بعدي»[1].

النص الشرعي الرابع:

في احدى المرات بعث رسول الله (ص) سرية، واستعمل على هذه السرية علي بن أبي طالب، فاصطفى علي لنفسه من الخمس جارية، فأنكر عليه ذلك منتسبوا هذه السرية وشكوه لرسول الله، وكانت مناسبة استقطبت الصحابة ليسمعوا حكم رسول الله بفعل علي فقال الرسول أمام الصحابة: «إن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ، إنه وليكم من بعدي»[2].

النص الخامس:

قال الرسول عن علي أمام أصحابه: «علي مني، وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي»[3].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٥ بسند صحيح، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٣/ ٢٨، والإصابة لابن حجر ٢/ ٥٠٩، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٥٥ و١٨٢، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٦٤، والمستدرك للحاكم ٣/ ٣٤، وتلخيص المستدرك (بذيل المستدرك) للذهبي، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٤١٦ ـ ٤١٧ ح٤٩٠، وكتابينا نظرية عدالة الصحابة ص٢٢٨، والنظام السياسي في الاسلام ص١١ ـ ١٢.

(٢) صحيح الترمذي ٥/ ٢٩٦ ح٣٧٩٦، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٩٧، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٩٢، والإصابة لابن حجر ٢/ ٥٠٩، وحلية الأولياء ٦/ ٢٩٤، وأسد الغابة ٤/ ٢٧، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٤٠٠ ـ ٤٠١ ح٤٦٦ ـ ٤٦٨، ومصابيح السُنة للبغوي ٢/ ٢٧٥، وجامع الأصول ٢/ ٤٧٠، وكنز العمال ١٥/ ١٢٤.. وكتابينا نظرية عدالة الصحابة ص٢٢٨ والنظام السياسي في الإسلام ص١١ ـ ١٢، وملحق المراجعات (تحقيق السيد علي راضي) ص١٣٤.

(٣) مسند أحمد ٢/ ٤٨٣ و٣/ ١١ و٥/ ٣٤٧ و٣٥٦، وأخرجه الطبراني، والمستدرك للحاكم ٣، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٠٣، وكنز العمال ٦/ ٢٩٨ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام.

النص السادس:

قال الرسول لرجل وقع في علي أمام الصحابة: «لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي»[1].

النص السابع: الحدث الأعظم وتتويج الإمام علي في غدير خم:

الصيغة الأولى:

تدرج الرسول باعلانه لولاية علي بن أبي طالب من بعده، فأعلنها أمام الأفراد، وأعلنها أمام الجماعات، ثم أعلنها أمام الأمة عندما اجتمعت في حجة الوداع واليك النص برواية حذيفة بن أسيد الغفاري خطب رسول الله في الجمع العائد من حجة الوداع... وأعلن في مقطع من خطبته: «يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا ولي المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا يعني «علياً» مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه»[2].

الصيغة الثانية:

برواية زيد بن أرقم خطب الرسول في غدير خم فقال: «كأني دعيت فأجبت..» ثم قال «إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا علي وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[3].

الصيغة الثالثة:

برواية البراء بن مازن: خطب النبي في غدير خم فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى. قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن

---

(١) كنز العمال ٦/ ١٥٥ و٣٩٧ ح٢٥٧٥، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٢.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٦٤، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٥ ح٥٤٧، وكنز العمال ١/ ١٦٨، ح٩٥٨، وينابيع المودة للقندوزي ص٣٧.

(٣) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٩٣، ص٢١، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٩٣، وينابيع المودة للقندوزي ص٣٢، وكنز العمال ١٥/ ٩١ ح٢٥٥ وعبقات الأنوار حديث الثقلين ١/ ١١٧، ١٢١، ١٤٤، ١٥٢، ٦١.

من نفسه؟ قالوا بلى، فأخذ بيد علي فقال «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[1].

الصيغة الرابعة:

برواية سعد بن أبي وقاص: أخذ رسول الله (ص) بيد علي بن أبي طالب وخطب في غدير خم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال «أيها الناس اني وليكم قالوا صدقت، ثم رفع يد علي فقال، هذا وليي ويؤدي عني ديني وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه»[2].

الصيغة الخامسة:

وبرواية ثانية لسعد بن أبي وقاص، كنا مع رسول الله، فلما بلغ غدير خم، وقف الناس، ثم رد من تبعه، ولحق من تخلّف فلما اجتمع الناس اليه قال: «أيها الناس من وليكم؟ قالوا الله ورسوله ثلاثاً ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال: من كان الله ورسوله وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»[3].

التتويج والتهنئة بحضور مئة ألف مسلم:

بعد ذلك، تناول رسول الله عمامته، وألبسها علي أمام الجمع وتوجه بها، وفهم الناس مضمون الإعلان النبوي، وأن علياً قد أصبح رسمياً ولي المؤمنين وامامهم بعد النبي، وتوافد الناس الحاضرون ليقدموا التهاني إلى أمير المؤمنين

---

(١) ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص٦٧، وفضائل الخمسة ١/ ٣٥٠، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٣، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٢٤ والحاوي للفتاوى للسيوطي ١/ ١٢٢، وكنز العمال ١١٧/٥، وملحق المراجعات ص١٧٦، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٥ ح٥٤٧ ـ ٥٥٢، وأنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٢١٥، والمناقب للخوارزمي وملحق المراجعات ١٧٦، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٥١.

(٢) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص١٠١، وفضائل الخمسة ١/ ٣٦٥، والبداية والنهاية لابن الأثير ٥/ ٢١٢، والغدير للأميني ١/ ٣٨، ٤١، رملحق المراجعات ص١٧٦.

(٣) خصائص أمير المؤمنين ص١٠١، وفضائل الخمسة ١/ ٣٦٥، واسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص١٤٩، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٨٢، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٥٢.

علي بن أبي طالب، وكان من أبرز المهنئين، عمر بن الخطاب، وأبو بكر وعثمان، وبقية التسعة الذين انتشر خبر أنهم مبشرون بالجنة، وعبّر بعضهم عن تهانيه بجمل مختصرة شاعت وتناقلها الناس من يومئذٍ مثل الجملة التي هنّأ فيها عمر بن الخطاب الإمام علي بقوله: «بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم»[1].

وكقول عمر بن الخطاب الذي ذهب مثلاً: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»[2].

آية الإكمال:

بعد أن تم تنصيب الإمام علي بن أبي طالب خليفة للنبي، واماماً أو ولياً للمسلمين من بعده أنزل الله سبحانه وتعالى آية الإكمال وأعلن رسول الله كمال الدين، وتمام النعمة، والرضى بالإسلام يوم تلى ما أوحى اليه[3].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٧٥ ح٥٧٥ و٥٧٧ و٥٧٨، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص١٨ وص٢٤، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٩٤، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/ ٢٩٠، وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ١/ ١٥٨ ح٢١٣، وسر العالمين لأبي حامد الغزالي ص٢١ وفرائد السمطين للحمويني ١/ ٧٧، والغدير للأميني ١/ ١٣٢.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٥٠ ح٥٤٨ ـ ٥٤٩ و٥٥٠، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٩٤، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ٢٨١، والفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص٢٤، والحاوي للفتاوي للسيوطي ١/ ١٢٢ وذخائر العقبى للطبري ص٦٧، وفضائل الخمسة ١/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ١٩٧، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص١٠٩، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣٠ و٣١ و٤٩، وتفسير الفخر الرازي ٣/ ٦٣ وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٢٩، ومشكاة المصابيح ٣/ ٢٤٦، وعبقات الأنوار حديث الثقلين ١/ ٢٨٥، وفرائد السمطين للحمويني، والغدير للأميني ١/ ٢٧٢ نقلاً عن المصنف لابن أبي شيبة والمسند الكبير لابن العباس الشيباني، والمسند لأبي يعلى الموصلي وتفسير بن مردويه، والكشف والبيان للثعلبي، وراجع الرياض النضرة للطبري ٢/ ١٦٩، والمناقب لابن الجوزي الحنبلي، والبداية والنهاية لابن كثير ٥/ ١١٢، والخطط للمقريزي ص٢٢٣، وبديع المعاني للأذرعي الشافعي ص٧٥.. الخ.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٧٥ ح٥٧٥ ـ ٥٧٨ و٥٨٥، وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ١/ ١٥٧ ح٢١١ ـ ٢١٥، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص١٩ ح٢٤، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ص٢٩٠، والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٥٩، والاتقان للسيوطي =

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي، وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسلامَ دِيناً﴾ [المائدة/ ٣].

هل يفهم قادة التحالف معنى التولية والولاية، وولي الأمر؟

القرار الإلهي القاضي بتنصيب الإمام علي بن أبي طالب إماماً من بعد النبي والذي أعلنه الرسول في غدير خم أمام مائة ألف مسلم أو يزيدون واضح لا يحتاج الى ايضاح، فقد سأل الرسول الحضور «ألست وليكم؟ فقالوا: بلى»، وسألهم، (ألست مولاكم)، فرد الحضور: أنت مولانا، فأخذ بيد علي وقال: «من كنت وليه فهذا علي وليه، ومن كنت مولاه فهذا علي مولاه»، وفهم الجميع أن الولي هو الحاكم، وهو الإمام، وأن المولى هو الحاكم أو الإمام!! ولكن، الرسول استعمل كلمة الولي والمولى ليفيد بأن لعلي حقوقاً على الأمة أكبر وأكثر من حقوق أي حاكم على رعيته. فأي حاكم لا يطلب من رعيته سوى ظاهر الولاء، أما علي فله على الأمة حق الموالاة الظاهرة والباطنة، فالرسول أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه وليهم ومولاهم، وحيث أن علي هو ولي ومولى من كان الرسول وليه ومولاه، فعلي بعد رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأن ولايته على نسق ولاية الرسول. هذا ما جعل البعض يُعبر عن دهشته من هذه المكانة والقداسة والصلاحية التي أعطيت لعلي، فيقول مندهشاً، «بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت..» و«هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة..» وأداء لواجب البيان، وايضاحاً للمعنى، وحملاً عليه، واحاطة بالمقصود توج الرسول علياً بعمامته وطلب من الحضور أن يقدموا التهاني لإمامهم من بعد النبي وهكذا كان.

= ٢١/١، والمناقب للخوارزمي ص٨٠، وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٣٠، وتفسير بن كثير ١٤/٢، ومقتل الحسين للخوارزمي ص١١٥، وفرائد السمطين للحمويني ٧٢/١ و٧٤ و٣١٥، وتاريخ اليعقوبي ٣/٢، وكتاب الولاية لابن جرير الطبري، وما نزل من القرآن في علي لأبي نعيم الأصفهاني، وكتاب الولاية لأبي سعيد السجستاني، وتاريخ بن كثير ٢١٠/٥، وبروح المعاني للألوسي ٥٥/٦، والبداية والنهاية لابن كثير ٢١٣/٥، ٣٤٩/٧، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٥٧.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل يُعقل مع ذلك أن قادة التحالف لم يفهموا المعنى المقصود من «ولي، ومن مولى» حتى سهل عليهم في ما بعد أن يخالفوا رسول الله دون قصد، وأن يتبنوا رأياً معاكساً للأمر الإلهي والحكم الشرعي؟ ليت هذا صحيحاً، إذاً لكان بامكاننا أن نلتمس لقادة التحالف عذراً!!

فوصية أبي بكر لعمر محفورة بالأذهان، وخالدة ولا يخفى نصها على أحد: «إني قد وليت عليكم عمر ولم آلكم جهداً.. ويقول مبرراً توليته لعمر: «اني ما وليت ذي قرابة»[1].

فأنت ترى أن أبا بكر يعبر عن عملية تنصيبه لعمر بن الخطاب خليفة له وحاكماً على المسلمين من بعده بكلمة «التولية» «اني قد وليت» «اني ما وليت» وهي نفس الكلمة التي استعملها رسول الله. وهذا ما يؤكد لنا أن أبا بكر فهم حق الفهم ما قصده رسول الله يوم (غدير خم)، وأنه فهم أن رسول الله نصب علياً بن أبي طالب اماماً وقائداً من بعده!!!

كذلك عمر بن الخطاب فكثيراً ما ردد كلمة التولية وهو على فراش الموت، فتراه يقول: «لو كان أبو عبيدة حياً «لوليته واستخلفته» ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً وليته واستخلفته، ولو كان خالد بن الوليد حياً لوليته، وأحياناً.

وقد استعملت كلمة (التولية) من أبي بكر وعمر مرات ومرات للدلالة على عملية تنصيب رئيس الدولة، وليس أوضح من كلمة أبي بكر في أول خطبة سياسية له: «اني قد وليت عليكم ولست بخيركم»، ويجدر بالذكر أن أبا بكر وعمر لم يجدا كلمة تُغني عن كلمة (التولية) على الرغم من التصاق هذه الكلمة بعلي، فكلمة التولية مشتقة من الولي، والرسول كان ولي أمر المؤمنين حتى قبل أن تنشأ الدولة بوجههم ويصرف أمورهم، ويرتبطون به برابطة التبعية، ويطيعون

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٩، وسيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧، والطبقات لابن سعد ٣/ ٣٦٤، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٢٣ وما فوق.

أوامره، حتى إذا ما قامت الدولة أعلن الرسول ذلك، وشمل هذا الاعلان رعايا الدولة الاسلامية غير المسلمين[1].

وطوال التاريخ السياسي الاسلامي الذي امتد من عهد أبي بكر وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان كان الخليفة أو الملك يعرف بأنه ولي أمر المسلمين.

ولما توفي رسول الله وقبض أبو بكر على مقاليد السلطة: قال أبو بكر: «أنا ولي رسول الله».

ولما توفي أبو بكر وقبض عمر على مقاليد السلطة قال عمر: «أنا ولي رسول الله وولي أبي بكر»[2].

وباختصار شديد فإن قادة التحالف عرفوا المعنى الذي قصده رسول الله يوم (غدير خم) من كلمة التولية، والولي والمولى على أنها رئاسة الدولة من بعد النبي، وعلى هذا الأساس قدموا تهانيهم وتظاهروا بالرضى وتابعوا وباصرار عملية التخطيط والتدبير للاستيلاء على السلطة بعد وفاة النبي، حتى لا يجمع الهاشميون النبوة والملك معاً، فيجحفوا على بطون قريش على حد تعبير عمر.

التأويل الذي لا يقبله عقل:

لما قبض قادة التحالف على مقاليد السلطة بالقوة والغلبة، قيل لهم إن عليّ بن أبي طالب هو وليكم ومولاكم من بعد نبيكم، فكيف تأخذون الأمر منه، وقد قدمتم له التهاني بإمرة المؤمنين يوم غدير خم أمام الله ورسوله وأمام مائة ألف مسلم؟ فقال قادة التحالف: إن الرسول لم يقصد إمرة المؤمنين إنما قصد: أن علي بن أبي طالب، محب، وناصر فقط، ولا علاقة لما قاله رسول الله بالإمامة أو الإمارة أو القيادة من بعد النبي، وقيل لهم مالكم تستعملون نفس الإصطلاح؟،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٠١، ومجموعة الوثائق السياسية ص١٥، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٢ ـ ١٤.

(٢) كنز العمال ٨/ ٢٤١ الحديث ١٨٧٦٨.

للدلالة على الإمارة أو القيادة أو الإمامة أو الحكم؟ فسكت قادة التحالف، ولوحوا بالقوة.

لا يؤدي عن النبي إلاّ علي:

إقامة للحجة، وقياماً بواجب البيان، وتوضيحاً للحكم الشرعي، وتثبيتاً لإمامة الإمام علي من بعد النبي أعلن الرسول أمام الصحابة بأنه لا يؤدي عنه إلا علي بن أبي طالب فقال: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[1].

وتعميماً لهذا الحكم الشرعي وتجذيراً له في النفوس أرسل رسول الله أبا بكر أميراً على الحج ومعه سورة براءة ولما سار أبو بكر هبط جبريل بأمر من ربه وأمر رسول الله أن يُلحق علياً بأبي بكر ليأخذ منه سورة براءة، لأنه لا يؤدي عن النبي إلا هو أو علي!!

طاعة الولي كطاعة النبي:

وليحكم الرسول طوق الشرعية، وحتى لا يكون أمام قادة التحالف أي منفذ للتلاعب بعواطف المسلمين بيّن الرسول لأصحابه وأعلن أمامهم بشكل منجز وقاطع، بأن طاعة الرسول هي طاعة لله، ومعصية الرسول هي معصية لله، وأن طاعة علي هي طاعة للرسول، ومعصية علي هي معصية للرسول نفسه وأعلن الأمر الإلهي أمام أصحابه حيث قال:

---

(١) سنن ابن ماجة ١/ ٤٤ ح١١٩، وصحيح الترمذي ٥/ ٣٠٠ ح٣٨٠٣، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٢٠ و٣٣ ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٣٧٨ ح٨٨٢ ـ ٨٨٧، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص٧٩، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢، وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٣٣٦، ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٢٧٥ وجامع الأصول لابن الأثير ٩/ ٤٧١ ح٦٤٨١، والجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٥٦، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٢٩، والمشكاة للعمري ٣/ ٢٤٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٠، وملحق المراجعات ص١٤٧ ـ ١٤٨.

«من أطاعني أطاع الله، ومن عصاني عصى الله، ومن أطاع علياً أطاعني، ومن عصى علياً عصاني»[1].

وراجع اعلان الرسول أمام أصحابه عندما قال لعلي أمامهم: «يا علي من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك يا علي فارقني»[2].

علي مع الحق:

وامعاناً بالتضييق على الذين كرهوا ما أنزل الله، وأبطنوا التعميم على الغاء الترتيبات الإلهية بعد موت النبي، وايجاد ترتيبات بديلة منها أعلن النبي أمام أصحابه ومنهم قادة التحالف قائلاً: «علي مع الحق فمن تبعه فهو على الحق، ومن تركه ترك الحق، عهداً معهوداً»[3].

وهكذا حشر رسول الله أعداء الشرعية بزاوية ضيقة، فكانت معصيتهم لله وللرسول مع سبق الإصرار، وبدون عذر ولا شبهة.

---

(١) المستدرك للحاكم ٣/١٢١، ١٢٨، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ٢/٢٦٨ ح٧٩٥، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٢٠.

(٢) المستدرك للحاكم ٣/١٤٦، وذخائر العقبى للطبري ص٦٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/١٣٥، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٢٦٨ ح٧٩٦، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٢٠، والميزان للذهبي ٢/١٨، وملحق المراجعات ص١٤٩ ـ ١٥٠.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٣٤، والميزان للذهبي ٤/٢١٧، وملحق المراجعات ص١٠٠، ووردت أحاديث بمعاني متفقة مع هذا المعنى في الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢٢ وص١٢٤ والجامع الصغير للسيوطي ٢/٥٦، والمعجم الكبير للطبراني ١/ ٥٥، والمناقب للخوارزمي ص١١٠، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٧٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ص٣٠٥، راجع ملحق المراجعات ص١٦٩ ـ ١٧٠.



الفصل التاسع:

الدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة

الأصل الشريف:

عِلْمُنا كبشر قائم على الظن والتخمين، وعلم الله تعالى قائم على الجزم واليقين، والنبي الكريم لا ينطق عن الهوى، وهو متبع لما أوحي اليه من ربه، ويبلغ الناس بما أوحي اليه، بغض النظر عن رضاهم أو عدم رضاهم بما يبلغه لهم الرسول، على اعتبار أن الهدى أصلاً هو هدى الله، ومهمة الرسول أن ينشر معالم الهداية، وأن يبين الحكم الشرعي لكل أمر من الأمور. وموضوع من هو الأفضل، ومن هو الأصح في كل مجال من أهم الموضوعات التي تحتاجها الأمة الاسلامية لملء الوظائف العامة، بدءاً من رئاسة الدولة وانتهاءً بأقل الوظائف أهمية. والشرع الحنيف يملك الجواب القائم على الجزم واليقين لكل سؤال تطرحه الأمة، أو يطرحه بنو البشر أو يخطر ببالهم، حتى لا يكل الناس الى أنفسهم وأهوائهم طرفة عين فيهلكوا، ولتبقى الأمة دائماً ضمن اطار الشرع والمشروعية القائمة على الجزم واليقين.

انحدار النبي من أفضل الفرق والقبائل والبطون والبيوت وهو خير الناس حسباً ونسباً:

الله سبحانه وتعالى خلق آدم، وخلق منه زوجته، وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء، وتكاثر أبناء آدم وانقسموا الى شعوب وفرق وقبائل وبطون وبيوت، ليتزيلوا، ويتعارفوا، وهو العالم علماً يقينياً بأفضل فرق أبناء الجنس ـ البشري، وأفضل قبيلة من قبائلهم، وبأفضل بطن من بطون تلك القبائل، وأفضل بيت من

بيوت تلك البطون، وهو يعلم من هو أشرفهم، حسباً ونسباً، وقد أوحى الله الى نبيه بأن خير قبيلة من قبائل الناس هي قبيلة قريش، وأفضل بطن من بطون قريش هو البطن الهاشمي، وأفضل بيت من بيوت البطن الهاشمي هو بيت عبد المطلب بن هاشم، وهم أحسن الناس حسباً وأشرفهم نسباً وقد بيّن رسول الله هذه الحقائق الشرعية.

النصوص الشرعية التي تثبت أن الرسول وآله هم خيرة الناس:

النص الأول:

جاء في صحيح الترمذي[1] أن رسول الله وقف على المنبر وقال أمام المسلمين: من أنا؟ فقال له من حوله: أنت رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نسباً».

النص الثاني:

جاء في المستدرك على الصحيحين[2] عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس بفناء رسول الله إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم هذه ابنة محمد، فقال أبو سفيان إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التبن، فانطلقت المرأة فأخبرت النبي، فخرج رسول الله يُعرف الغضب في وجهه فقال «ما بال أقوام تبلغني عن قوم، إن الله تبارك وتعالى خلق السموات فاختار العليا فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريش، واختار من

---

(١) صحيح الترمذي ٢/ ٢٦٩.

(٢) المستدرك ٤/ ٧٣.

قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من بني هاشم من خبار إلى خيار. . ».

النص الثالث:

جاء في ذخائر العقبى للطبري عن واثلة بن الأسلم قال: قال رسول الله (ص) «إن الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم، واتخذه خليلاً، واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل، ثم اصطفى من ولد اسماعيل نزاراً، ثم اصطفى من ولد نزار مضراً، ثم اصطفى من مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريش، ثم اصطفى من قريش بني هاشم، ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب، ثم اصطفاني من بني عبد المطلب»، وقال الطبري: أخرجه بهذا السياق أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، وأخرجه مسلم والترمذي وأبو حاتم مختصراً[1].

النص الرابع:

جاء في كنز العمال[2] نقلاً عن الديلمي عن جابر أن رسول الله (ص) قال: «أنا أشرف الناس حسباً ولا فخر، وأكرم الناس قدراً ولا فخر، أيها الناس من أتانا آتيناه، ومن أكرمنا أكرمناه، ومن كاتبنا كاتبناه، ومن شيّع موتانا شيّعنا موتاه، ومن قام بحقنا قمنا بحقه، أيها الناس حاسبوا الناس على قدر أحسابهم وخالطوا الناس على قدر أديانهم، وانزلوا الناس على قدر مروءاتهم وداروا الناس يغفر لكم».

النص الخامس:

ذكر السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير آية التطهير في سورة الأحزاب قال: وأخرج الحكيم الترمذي، والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): «إن الله قسم الخلق الى قسمين فجعلني في خيرهما قسماً فذلك قوله تعالى: ﴿**وأصحاب اليمين**﴾ و﴿**أصحاب الشمال**﴾ فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً، فجعلني

---

(١) ذخائر العقبى للطبري ص١٠.

(٢) كنز العمال ٦/١٠٨.

في خيرها ثلثاً، فذلك قوله **﴿وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون﴾**[1] فأنا من السابقين وأنا خير السابقين، ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله **﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[2] وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر.

ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**[3] فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب»[4].

النص السادس:

قال (ص): «خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني عبد مناف بنو هاشم»، وقال (ص): «والله ما افترقت فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما»، وقال: «إن الله قسم الأرض إلى قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، ثم قسم النصف الى أثلاث فكنت في خيرها ثلثاً، ثم اختار العرب من هذا الثلث، ثم اختار قريش من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم بني عبد المطلب من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبد المطلب»[5].

هاشم سيد قريش:

سيادة هاشم على قريش بكل أمر من الأمور حقيقة لا يجادل بها مطلع عاقل، وساد بعده عبد المطلب فهو سيد قريش بعد أبيه وحكيمها.

واختصاراً للموضوع يمكن القارىء مراجعة كتابنا النظام السياسي في

---

(١) سورة الواقعة الآيات ٨، ٩، ١٠.
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٤) الدر المنثور ٦/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦، وانظر أيضاً: فضائل الخمسة، الفيروز آبادي ١/ ١١ ـ ١٣.
(٥) السيرة الحلبية ١/ ٤، ١١ وبهامشها السيرة الدحلانية، وطبقات ابن سعد ١/ ٢٠، وفتح القدير للوشكاني.

الإسلام[1]. فالهاشميون هم أكرم قريش، وأحكمها، وأعقلها، وأفهمها وأشرفها، وأرجلها.

ولقد صدق أبو طالب بشعره إذ قال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تدعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديماً لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة ... ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الدواء وانما ... بأكنافنا تُندي وتنمي أرومها[2]

ذرية النبي من صلب علي:

رسول الله مبارك وسيد ولد آدم بالنص، وقد شاءت حكمة الله أن لا يكون للنبي ذرية من صلبه، وقد أعلن الرسول ذلك أمام المسلمين وتوج الحادثة فقال لهم: «إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذريتي من صلب علي»[3]. وهذا نوع من التكامل العجيب بين الشخصيتين.

وأعلن الرسول أمام أصحابه: «أن كل بني أنثى ينتمون الى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم»[4].

والمدهش أن هذه الإعلانات سبقت زواج علي من فاطمة!!

---

(١) النظام السياسي في الإسلام ص٨٥ وما فوق وتاريخ الطبري ٢/ ٧٩، ١٨٠، والسيرة الحلبية ١/ ٥، ٧٨، وطبقات ابن سعد ١/ ٧٦، ١/ ٧٩ ـ ٨٠، ٢/ ٧٦، ١٧٩.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٥ و٢٨٣، وطبقات ابن سعد ١/ ١٨٦، وتاريخ الطبري ٢/ ٢١٨، ٢٢١، وتاريخ ابي الفداء ١/ ١١٧، والغدير للعلامة الاميني ٧/ ٤٠٣

(٣) كنز العمال ٦/ ١٥٢، ح٥٢١٠.

(٤) اخرجه الطبراني وهو الحديث ٢٢ من الأحاديث التي أوردها ابن حجر في الفصل الثاني من الصواعق المحرقة ص١١٢، والمستدرك للحاكم ٣/ ١٦٤ وقال انه حديث صحيح.

وقال الرسول لعلي أمام أصحابه: «هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي»[1].

وليس صدفة أن تنحصر ذرية الرسول بولد فاطمة، وقد أحيطت الأمة علماً بذلك وعلمت علم اليقين أنه ليس للنبي ولد إلا ولد فاطمة!!

وطالما ردد الرسول بنشوة عارمة أمام جموع الصحابة: «هذا ابني الحسن»، أو «هذا ابني الحسين»، وأفتخر بأن الله تعالى هو الذي تولّى تسميتهما ـ بالحسن والحسين ـ، وطالما أعلن أن ابناه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وريحانتاه من هذه الأمة.

أهل بيت النبوة هم خيرة الخيرة:

محمد خيرة الله من خلقه، وعلي خيرة الخلق بعد النبي تلك حقيقة قد وثقناها، لقد اطلع الله الى أهل الأرض فاختار منهم رجلين أحدهما النبي والآخر علي[2].

والخلافة أن محمد خيرة الله من خلقه وعلي هو خيرة الخلق بعد النبي وقد توّج رسول الله فاطمة بنت محمد كسيدة نساء العالمين قاطبة بأمر من ربه، وأعلن رسول الله أن عليَّ بن أبي طالب هو سيد المسلمين وسيد العرب كما أثبتنا في البحوث السابقة.

وتلقى الرسول أمراً بأن يزوج سيد المسلمين وسيد العرب وخيرة الله من خلقه بعد النبي بسيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد خاتم الرسل وخيرة الله من خلقه.

وأحيط المسلمون علماً أن الذرية الناتجة من هذين الزوجين هم ذرية النبي،

---

(١) الغدير للأميني ٤/ ١١٩.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٢٤٩، وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٣٠٨، وكنز العمال ١٥/ ٩٥، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٤٠، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٢٩، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤/ ١٩٥ ـ ١٩٦، وكتابنا عدالة الصحابة ص٢٤٠.

وهم بنوه، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فكان أهل بيت النبوة هم خيرة الخيرة لأنهم اختيارات الهية متلاحقة، فالله قد اطلع الى أهل الأرض فاختار محمداً وجعله رسولاً واختار علياً ليكون زوج فاطمة وليكون ولياً للمسلمين من بعد النبي.

والله سبحانه وتعالى اختار محمداً سيداً لولد آدم، واختار علياً سيداً للمسلمين وللعرب، وهو أيضاً الذي اختار الزهراء لتكون سيدة نساء العالمين، وقد وثقنا كل حرف قلناه في المباحث السابقة فارجع اليها إن شئت، مما يُعنى أن أهل بيت النبوة هم خيرة الخيرة.

اجماع الأمة الاسلامية:

لا خلاف بين اثنين من أبناء الأمة الإسلامية بأن آية المباهلة نزلت في «النبي وفاطمة وعلي والحسن والحسين».

نص آية المباهلة:

قال تعالى **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾**[1].

بيان الرسول لهذه الآية:

من المعروف أن المهمة الأولى للرسول تنصبّ على بيان ما أنزل إلى الناس من ربهم يوم المباهلة المشهور وأمام كافة سكان المدينة المنوّرة أخذ رسول الله بيد علي والحسن والحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال: «هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا، فهلموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[2].

---

(١) سورة آل عمران آية ٦١.

(٢) تلخيص المستدرك بذيل المستدرك للذهبي، ومسند أحمد ١/ ١٨٥، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي ٢/ ٣٦٠، وصحيح الترمذي ٤/ ٢٩٣ ح٣٠٨٥، ٥/ ٣٠١ ح٣٨٠٨، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ١٥٠ وصححه، ملحق المراجعات ص٤٤ وما فوق.

هل مَن يجيب؟

لماذا لم يدع الرسول بقية بناته!!، لماذا لم يدع أبا بكر وعمر وعثمان؟ لقد اقتضت حكمة الله أن تكون هذه الحادثة مشهودة من الجميع، ليتميز أهل بيت النبوة عن سواهم، لتتميز الصفوة عن سواها!! ليتميز المتبوعين عن الأتباع.

الأئمة الطاهرون:

محمد سيد ولد آدم ورسول الله المختار بأمر من ربه؛ زوّج ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة البتول الزهراء من ابن عمها المختار علي بن أبي طالب سيد العرب بالنص، وسيد المسلمين بالنص، ليخرج من هذين الزوجين الطاهرين أعلام الهدى الأئمة المكرّمون، فمن هذا الزواج المميز تخرج قيادة مميزة، ففي كل زمان إمام من هذه الشجرة المباركة مؤهّل إلهياً لقيادة الأمة، وبيان القرآن، والإحاطة بالسنة النبوية، ومعرفة الشرع معرفة قائمة على الجزم واليقين، ويعبر عنهم بـ(أهل بيت النبوة).

أهل البيت شرعاً:

هم: علي وفاطمة والحسن والحسين[(١)]، هذا حسب اعتراف زوج الرسول أم سلمة أم المؤمنين وأهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين حسب اعتراف عائشة أم المؤمنين[(٢)].

قال الرسول مشيراً إلى علي وفاطمة والحسن والحسين: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[(٣)].

---

(١) صحيح الترمذي ٥/ ٣١ ح٣٢٥٨، ٣٢٨ ح٣٨٧٥، ٣٦١ ح٣٩٦٣.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٣٦٨، ١٥/ ١٩٤ بشرح النووي، والمستدرك للحاكم ٣/ ١٤٧ وصححه.

(٣) صحيح الترمذي ٥/ ٣١ ح٣٢٥٨، ٣٢٨ ح٣٨٧٥، ٣٦١ ح٣٩٦٣، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي ٢/ ٣٦٠، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٧٦، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ١٥٠، ٤١٦، ٣/ ١٠٨، ١٤٦، ١٤٧.

المطهرون:

نزلت آية التطهير في خمسة وهم: «محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين»[1].

المودة في القربى:

آية المودة في القربى نزلت في: «علي وفاطمة والحسن والحسين»[2].

أولي الأمر:

أهل البيت هم أولي الأمر قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[3] فأولي الأمر هم: «علي والأئمة من أهل بيت النبوة»[4].

هم أهل الذكر:

قال تعالى: **﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**[5] هذه الآية نزلت في أهل البيت وهم: «علي وفاطمة والحسن والحسين»[6].

---

(١) صحيح مسلم فضائل اهل البيت ٢/٣٦٨، و١٥/١٩٤ بشرح النووي، وصحيح الترمذي ٥/٣٠ ح٣٢٥٨، ٥/٣٢٨ ح٣٨٧٥، ومسند احمد ١/٣٣، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/١٣٣، ١٤٦، ١٤٧، ٢/٤١٦.

(٢) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ٢/ ١٣٠، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٠١، ١٣٥، ١٣٦، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١١، ومقتل الحسين للخوارزمي ١/ ١، ٥٧، ملحق المراجعات ص٣٤ وما فوق.

(٣) سورة النساء آية ٥٩.

(٤) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص١٣٤، ١٣٧، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ١/١٤٨ ح٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، وتفسير الطبري ٣/٣٥٧، وفرائد السمطين للحمويني ١/ ٣١٤ ح٢٥٠.

(٥) سورة النحل آية ٤٣.

(٦) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ١/ ٣٣٤ حديث ٤٥٩ و٤٦٠ و٤٦٣ و٤٦٤ و٤٦٥ و٤٦٦، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٥١ و١٤٠، وتفسير القرطبي ١١/ ٢٧٢، وتفسير الطبري ١٤/١٠٩، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٠، وروح المعاني للالوسي ٤/ ١٣٤.

الربط بين إمامة علي (ع) وبين الدور المميز لأهل البيت:

في غدير خم، وبأمر من الله تعالى، توّج رسول الله علي بن أبي طالب رسمياً أميراً للمؤمنين واماماً لهم من بعده كما أسلفنا، وقرأ قرار تنصيب الإمام علي، مع الإعلان رسمياً عن الدور المميز لأهل بيت النبوة من بعد النبي، فالنبي أعلن أن من كان رسول الله وليه فعلي بن أبي طالب وليه، فمن يوالي علياً فقد والى رسول الله، ومن والى رسول الله، فقد والى الله، ومعاداة أي قطب من هذه الأقطاب هي عداوة للثلاثة، وخروج صارخ من اطار الشرعية والمشروعية التي رسمها وأرسى قواعدها الله ورسوله.

وبعد أن تُوِّجَ الإمام علي رسمياً أميراً للمؤمنين ووليآً وإماماً لهم من بعد النبي، حسم موضوع الإمامة في العصر الذي يلي موت الرسول مباشرة، وشاءت حكمة الله أن تحسم موضوع الإمامة والقيادة من بعد النبي اطلاقاً وفي كل عصرٍ بنفس المكان، ونفس الزمان الذي توَّج فيه الإمام علي قائداً للأمة ومرجعاً لها من بعد النبي.

الربط بين عناصر الشرعية وأركانها:

في (غدير خم) ربط رسول الله عناصر الشرعية وأركانها ربطاً محكماً، حيث قرن الولاية لله، مع الولاية لرسول الله، مع الولاية لعلي بن أبي طالب معاً فمن يوالي الله، يوالي رسوله، ومن يوالي رسول الله يوالي الإمام من بعده علي بن أبي طالب. وأعلن النبي استحالة التجزئة بالولاية، بمعنى أن من لا يوالي عليَّ بن أبي طالب، لا يوالي النبي ضمناً بدون تصريح، ومن لا يوالي النبي، لا يوالي الله بالضرورة، وبنفس قرار الربط هذا، ربط رسول الله بين القرآن الكريم وبين عترته أهل بيته ربطاً محكماً لا يقبل التجزئة، واعتبرهما ثقلين من بعد النبي، فالقرآن الثقل الأكبر وأهل البيت الكرام هم الثقل الأصغر، وبنفس يوم التتويج أعلن النبي استحالة الفصل بين الثقلين، فالهداية لا تُدرك إلا بالاثنين معاً والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالاثنين معاً.

بمعنى آخر أن الرسول ربط بين القيادة أو الامامة أو المرجعية من بعده وهم أهل بيت النبوة وعلى رأسهم عميدهم علي بن أبي طالب أول الأئمة أو أول القادة أو أول المراجع، وبين القرآن الكريم بوصفه هو المنظومة الحقوقية النافذة.

أو بمعنى آخر أن الرسول ربط بين القيادة وبين القوانين النافذة في المجتمع الاسلامي، فلا يكون الفرد ضمن اطار الشرعية إلا إذا كان، ملتزماً بالقانون، ومطيعاً أو موالياً للقيادة التي عينت حسب قواعد هذا القانون.

فأهل البيت الكرام هم القيادة لأنهم هم المؤهّلون الهياً لبيان القرآن الكريم بياناً قائماً على الجزم واليقين في كل زمان، وهم المحيطون بسنة النبي احاطة تامة وقائمة على الجزم واليقين وأول أئمتهم هو علي بن أبي طالب لأنه هو الأعلم والأفهم بالدين وهو الأقرب الى الله وهو أفضل الموجودين، وقد شهد الله بذلك لأنه اختاره وأمر نبيه أن يعلنه اماماً من بعده.

والقرآن الكريم والسنّة بمثابة القوانين السارية المفعول في المجتمع وهي تمثل أرقى التصوّرات القانونية وأدقّها وأعدلها.

كل من عند الله:

إنَّ الله تعالى هو الذي اختار محمداً رسولاً واماماً للناس وأهله لبيان القرآن الذي أنزله عليه، وأوجب الله على نبيه أن يبين كل ما أوحى اليه والله سبحانه وتعالى هو الذي اختار عليَّ بن أبي طالب ليكون ولياً لعهد النبي واماماً من بعده، وأمر رسوله أن يعلن ذلك فأعلنه، والله سبحانه هو الذي أعطى أهل بيت النبوة دوراً مميزاً في قيادة الأمة من بعد النبي والله سبحانه وتعالى هو الذي جعل من كل هذه الأركان عناصراً للشرعية والمشروعية.

بمعنى أن الله عين القادة أو الأئمة أو المراجع، لعلمه اليقيني بأنه الأعلم، والأفهم، والأصلح، والأفضل.

وهو نفسه الذي وضع قواعد المنظومة الحقوقية «القانون النافذ» فمهمة القيادة هي تنفيذ القانون، وقيادة الأمة حسب أحكام هذا القانون الإلهي.

رفع العتب والعجب:

أليست الأمة تبحث عن الأعلم والأفهم بالدين، والأصلح والأفضل؟ لا تستطيع الأمة أن تهتدي اليه، فجاءت رحمة الله ووفرت على الأمة عناء البحث عن هذا الرجل ودلتهم عليه وقالت لهم انه هو المطلوب كذلك، فإن الأمة لا تعرف على وجه الجزم واليقين ما هو القانون الأنسب الذي ينظم أمورها، وحياتها، فجاءت عناية الله ووضعت تحت تصرف البشر هذا القانون، فالقائد مرتبط بهذا القانون برباط صميمي، والقانون مرتبط بالقائد برباط صميمي أيضاً فكلاهما متمم للآخر.

وهكذا حسمت رحمة الله وعنايته أكبر مشكلتين تواجهان البشر وهما مشكلة القيادة ومشكلة القانون.

الفصل العاشر:

أهل البيت والأئمة الاثنى عشر

النصوص على إمامة علي، وعلى الدور المميز لأهل بيت النبوة:

النص الأول:

قال حذيفة بين أسيد الغفاري: قال رسول الله في غدير خم للمسلمين: «يا أيها الناس اني قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله، واني لأظن أني يوشك أن أُدعى فأجيب، واني مسؤول وانكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلّغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً.

فقال النبي: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث بعد الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد، فقال النبي: اللهم اشهد».

ثم قال رسول الله: «يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا «يعنى علياً» مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه. ثم قال؛ يا أيها الناس اني فرط، وأنتم واردون علي الحوض، حوض ما بين بصرى الى صنعاء فيه عدد النجوم قد حان من فضة واني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به، ولا تضلّوا ولا تبدلوا، وعترتي

أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[1] انتهى النص حرفياً كما رواه الطبراني، في الكبير.

النص الثاني:

قال زيد بن أرقم: لما رجع رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن، وبعد أن اجتمع المسلمون وقف الرسول خطيباً وقال: «كأني قد دعيت فأجبت، واني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

ثم قال رسول الله: «إنّ الله عز وجل مولاي، وأنا مولي كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»[2].

النص الثالث:

قال البراء بن عازب: «كنا مع رسول الله، فنزلنا بغدير خم، فنودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله تحت شجرتين، فصلى الظهر وأخذ بيد علي فقال: ألستم ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال (ص): ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى، فأخذ صلى الله عليه وآله

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر، ومجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ٩/ ١٦٤، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٥ ح ٥٤٧، وكنز العمال للمتقي الهندي ١/ ١٦٨ ح٩٥٩، وعبقات الأنوار ١٢/ ٣١٢، ١/ ١٥٦، والغدير للأميني ١/ ٢٦ ـ ٢٧، ونوادر الأصول للترمذي ص٢٨٩، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٧، وبلفظ آخر في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٢٩، ومناقب علي لابن المغازلي ص١٦ ح٢٣، وكنز العمال ١/ ١٦٨ ح٩٥٨ برواية زيد وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٥٠.

(٢) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٩٣ وص٢١، والمناقب للخوارزمي ص٩٣، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣٢، والغدير للأميني ١/ ٣٠، وكنز العمال للمتقي الهندي ١٥/ ٩١ ح٢٥٥، وعبقات الأنوار حديث الثقلين ١/ ١١٧، ١٢١، ١٤٤، ١٥٢، ١٦٢، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٥١.

وسلم بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال زيد: فبلغه عمر بعد ذلك، فقال له: «هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»[1].

النص الرابع:

قال سعد بن أبي وقاص: سمعت رسول الله (ص) يوم الجحفة فأخذ بيد علي وخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس اني وليكم. قالوا: نعم يا رسول الله ثم رفع يد علي فقال: «هذا وليي ويؤدي عني ديني، وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه»[2].

النص الخامس:

قال سعد بن أبي وقاص: «كنا مع رسول الله فلما بلغ غديرخم وقف الناس ثم رد من تبعه، ولحق من تخلّف، فلما اجتمع الناس اليه، قال رسول الله «أيها الناس من وليكم؟ قالوا: الله ورسوله ثلاثاً ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[3].

---

(١) ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص٦٧، وفضائل الخمسة ١/ ٣٥٠ والرياض النضرة للطبري الشافعي ٢/ ٢٣ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٢٤، والحاوي للفتاوي للسيوطي ١/ ١٢٢، وكنز العمل ١٥/ ١١٧، وملحق المراجعات ص١٧٦، وقريب من ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٥٠ ـ ٥١ ح٥٥٠، ٥٥١، وأنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٢١٥، والمناقب للخوارزمي ص٩٤، والغدير للأميني ١/ ١٨ ـ ٢٠، وفرائد السمطين للحمويني ١/ ٦٤ و٦٥ و٧١، وملحق المراجعات ص١٧٦ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٥١.

(٢) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص١٠١، وفضائل الخمسة ١/ ٣٦٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢١٢، والغدير للأميني ١/ ٣٨ و٤١، وملحق المراجعات ص٢٥٢، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٣) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص١٠١، وفضائل الخمسة ١/ ٣٦٥، واسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص١٤٩، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٨٢، وملحق المراجعات، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٥٢.

سبب بتر النصوص وتجزئتها:

تبين لنا من النص الأول والثاني أن رسول الله (ص) قد أعلن في غدير خم وأمام جموع المسلمين العائدة من حجة الوداع عن عدة أمور:

الأمر الأول: توّج علي بن أبي طالب ولياً للمؤمنين من بعده، وبهذا التتويج حسم موضوع الخلافة من بعده أي بالعصر الذي يلي موت النبي مباشرة.

الأمر الثاني: أعلن مباشرة عن الدور المميز لأهل بيت النبوة ووضحه توضيحاً كاملاً وبهذا الإعلان حسم موضوع القيادة لعصر ما بعد النبوة وحتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: ربطه المتين ما بين ولاية الله وولاية الرسول وولاية علي، اذ جعل الولايات الثلاثة على نسق واحد هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد ربط أهل بيت النبي والقرآن الكريم برباط واحد، فجعل القرآن الثقل الأكبر وأهل البيت هم الثقل الأصغر وأكد استحالة الفصل بين الولاءات الثلاثة واستحالة الفصل بين الثقلين.

أما النص الثالث، والرابع، والخامس فقد كشفت عن الأمر الأول وجانب من الأمر الثالث، ولم تتطرق هذه النصوص لدور أهل بيت النبوة مع أن الأمور الثلاثة قد أعلنت في مكان واحد، وزمان واحد، والسبب أن البراء وسعد بن أبي وقاص قد ذكرا هذه النصوص أثناء فترة موجة العداء الصارخ لعلي التي قادها معاوية، وعندما فرض معاوية على الناس مسبة علي فقام سعد اعتراضاً منه على مسبة علي، ولم يكن أمام جموع الدنيا وقت لسماع بقية الحديث، ولا مع سعد وقت أيضاً لاتمام الحديث، فكان المجتمع الإسلامي يومئذٍ مشعوط وكأنه على كف عفريت، لا يسمع ولا يريد أن يسمع، واذا سمع لا يعقل وإلا فإن النص الثالث والرابع والخامس إنما هي أجزاء لا تتجزء من الأمور الثلاثة التي أعلنها النبي في غدير خم، وأي عاقل، وأي حيادي يلحظ الارتباط الوثيق بين النصوص الخمسة.

النص السادس:

قال الرسول لأصحابه: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[1].

وعندما يذكر أهل بيت النبوة يقفز الى ذهنك عميدهم بعد النبي وهو علي.

النص السابع:

قال الرسول لأصحابه: «اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[2].

ومن الطبيعي أن يقفز الإمام علي الى الذهن عندما نذكر هذا النص بوصف الإمام هو عميد أهل بيت النبوة بلا خلاف بعد موت النبي.

النص الثامن:

قال رسول الله لأصحابه: «اني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[3].

النص التاسع:

---

(١) صحيح الترمذي ٥/ ٣٢٨ ح٣٨٧٤، ١٣/ ١٩٩، وكنز العمال ٥/ ١٥٣، وجامع الأصول لابن الأثير ١/ ١٨٧، والمعجم الكبير للطبراني ص١٣٧، واحياء الميت للسيوطي بهامش الاتحاف ص١١٤. وملحق المراجعات ص١٢ و١٣ تجد عشرات المراجع.

(٢) صحيح الترمذي ٥/ ٣٢٩ ح٣٨٧٦، والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٧ و٣٠٦ وذخائر العقبى للطبري ص١٦، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٤٧ و٢٢٦ والمعجم الصغير للطبراني ١/ ١٣٥، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ١٢، وكنز العمال ١/ ١٥٤، ومنتخب تاريخ ابن عساكر ٥/ ٤٣٦، ومشكاة المصابيح للعمري ٣/ ٢٥٨، وراجع ملحق المراجعات ص١٣ و١٤.

(٣) الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٠، واحياء الميت بهامش الاتحاف بحب الأشراف للسيوطي أيضاً ص١١٦، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣٨ و١٨٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٦٢، والجامع الصغير للسيوطي ١/ ٣٥٣، وكنز العمال ١/ ١٥٤ ح٨٧٣ و٩٤٨.

قال الرسول لأصحابه: «اني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1].

النص العاشر:

قال الرسول لأصحابه: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، فينطلق بي، وقد قدمت اليكم القول معذرة اليكم، ألا اني مخلّف فيكم كتاب الله ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»[2].

ابن حجر الشافعي يتحدث عن هذه النصوص:

قال ابن حجر الشافعي: «ثم اعلم ان لحديث التمسك بالثقلين طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً»[3]..

النص الحادي عشر:

قال زيد بن أرقم: قام رسول الله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووَعظَ، وذكر ثم قال أما بعد:

«ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[4].

---

(١) مناقب علي لابن المغازلي ص٢٣٤ ح٢٨١، والمناقب للخوارزمي ص٢٢٣ وفرائد السمطين للحمويني الشافعي ٢/ ١٤٣ باب ٣٣.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢٤، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٨٥، وعبقات الأنوار حديث الثقلين (١/ ٢٧٧).

(٣) الصواعق المحرقة ص١٤٨، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٩٦.

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب ٢/ ٣٦٢، وصحيح مسلم ١٥/ ١٧٩ ـ ١٨٠ بشرح النووي، ومصابيح السنة للبغوي الشافعي ٢/ ٢٧٨، ومشكاة المصابيح ٣/ ٢٥٥ وذخائر العقبى للطبري الشافعي ص١٦.

النص الثاني عشر:

قال زيد بن أرقم: قال رسول الله (ص): «ألا واني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي».. الى أن قال الراوي ـ عن زيد فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، وايم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى بيت أبيها.. الخ[1].

النص الثالث عشر:

تذكيراً للأمة بعمق الترابط بين القرآن الكريم، وعترة النبي أهل بيته قال الرسول لأصحابه: «فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم»[2].

النص الرابع عشر:

قياماً بواجب البيان، واقامةً للحجة، وابطالاً لكيد قادة التحالف قال الرسول لأصحابه: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[3].

النص الخامس عشر:

قال الرسول لأصحابه: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب ٢/ ٣٦٢، ١٥/ ١٨١ بشرح النووي، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٤٨، وفرائد السمطين للحمويني ٢/ ٢٥٠ ح٥٢٠، وعبقات الأنوار حديث الثقلين ١/ ٦، و١٠٤ و٢٤٢ و٢٦١ و٢٦٧.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص١٤٨ و٢٢٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٦٣، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٤١ و٣٥٥، والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٠، والغدير للأميني ١/ ٣٤، ٣/ ٨٠، وكنز العمال ١/ ١٦٨ ح٩٥٨ وأسد الغابة ٣/ ١٣٧، وعبقات الأنوار حديث الثقلين ١/ ١٨٤، ٢/ ٤٩.

(٣) تلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢٣٥، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣٠ و٣٧٠، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٨٤ و٢٣٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، واسعاف الراغبين للصبان الشافعي ص١٠٩ وملحق المراجعات ص٢٣.

أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا فصاروا حزب ابليس»[1].

النص السادس عشر:

قال الرسول لأصحابه: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي»[2].

رأى ابن حجر بمعنى مصطلح الأمان للأمة:

قال ابن حجر الشافعي حول حديث «أهل بيتي أمان لأمتي» يحتمل: أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان، علمائهم لأنهم هم الذين يهتدى بهم كالنجوم[3].

النص السابع عشر:

أمام حملة الرسول المركزة لترتيب عصر ما بعد النبوة، سأل الصحابة رسول الله: ما بقاء الناس بعد أهل البيت؟، فقال الرسول لأصحابه: «بقاء الحمار إذا كُسر صُلبه»[4].

النص الثامن عشر:

خطب الرسول يوماً فقال لأصحابه: «يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة لرسول الله وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل»[5].

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ص٩١، وصححه، واحياء الميت للسيوطي بهامش الاتحان ص١١٤، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٥/ ٩٣، وينابيع المودة للقندوزي ص٢٩٨.

(٢) ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص١٧، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢٣٤، واحياء الميت للسيوطي بهامش الاتحاف ص١١٢، والجامع الصغير للسيوطي ٢/ ١٦١، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد بن حنبل، ٥/ ٩٢ والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٨٥ و٣٣٣.

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٥٠.

(٤) المصدر نفسه ص٢٣٧، ١٤٣.

(٥) الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص١٧٤، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص١٦٩ و٣٠٧، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢٠٧ و٢٠٨.

النص التاسع عشر:

قال الرسول لأصحابه: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من تفدون»[1].

النص العشرون:

قال الرسول لأصحابه: «واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين»[2].

النص الحادي والعشرون:

قال النبي لأصحابه يوماً: «لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي»[3].

النص الثاني والعشرون:

أقسم الرسول أمام أصحابه قائلاً: «والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار»[4].

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٤٨، وينابيع المودة للقندوزي ص٢٢٦ و٣٢٦ ـ ٣٢٧، وذخائر العقبى للطبري ص١٧.

(٢) اسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص١١٠، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٧٢.

(٣) ذخائر العقبى للطبري ص١٨، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٢٧ و٣٦٥ و٤٧٦، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٠٣ و١٠٩ واحقاق الحق للتستري ٩/ ٤٥٤.

(٤) المستدرك للحاكم ٣/ ١٥٠ وصححه، وتلخيص المستدرك بذيل المستدرك للذهبي، واحياء الميت بهامش الاتحاف ص١١١ للسيوطي، واسعاف الراغبين للصبان الشافعي ص١٠٤، والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص١٧٢ و٢٣٧ وصححه، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص١٠٤، ونظمه درر السمطين للزرندي الحنفي ص١٠٦، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٩٤، والسيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ٣/ ٣٣٣، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص١٣٨ ح١٨١.

الولاء لأهل بيت النبوة قضية دينية من جميع الوجوه:

من أجل هذا جعل الله الصلاة على آل محمد جزءاً لا يتجزأ من الصلاة المفروضة على العباد فيتوجب حتى تتم الصلاة أن يصلي المصلي على محمد وعلى آل محمد وهكذا فسَّر رسول الله آية **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾**[1].

قال الشافعي مشيراً إلى هذه الناحية:

يا أهل بيت رسول الله حبكمُ فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أنكمُ من لم يصل عليكم لا صلاة له[2]

النبي يحدد الأئمة من بعد عصر عليّ:

قياماً بواجب البيان الملقى على عاتق الرسول، وقطعاً لدابر الخلاف والاختلاف وإبطالاً لكيد قادة التحالف وأشياعهم وأمثالهم من الطامعين بالسلطة، لم يكتف النبي باعلام الأمة بكل وسائل الاعلام بأن الإمام من بعده هو علي بن أبي طالب، ولم يكتف بتحديد وتوضيح الدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة وتوجيهها من بعده، ولم يكتف بالرباط الوثيق الذي شد عراه بين الإمام

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦، راجع صحيح البخاري كتاب التفسير ٦/ ٢٧، وكتاب الدعوات باب الصلاة على النبي ٧/ ١٥٦، وصحيح مسلم باب الصلاة على النبي ٢/ ١٦، وصحيح الترمذي ١/ ٣٠١ ح٤٨١، ٥/ ٣٨، وسنن النسائي ٣/ ٤٥ ـ ٤٩، وسنن ابن ماجه ١/ ٢٩٢ ح٩٠٣ و٩٠٤ و٩٠٦، وسنن أبي داود ١/ ٢٥٧ ح٩٧٦ ـ ٩٧٨ و٩٨١، ومسند أحمد ٢/ ٤٧، ٥/ ٣٥٣، وموطأ مالك مع شرحه تنوير الحوالك ١/ ١٧٩، وذخائر العقبى للطبري ص١٩ وتفسير الطبري ٢/ ٤٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٣٣، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٠٧، وتفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢٦، وأحكام القرآن لابن عربي ٣/ ١٥٧٠، والدرّ المنثور للسيوطي ٥/ ٢١٥، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٤٤، وفتح الغدير للشوكاني ٤/ ٣٣، والمعجم الصغير للطبراني ١/ ٧٤ و٨٦، ومسند الإمام الشافعي ص١٥.. الخ، وملحق المراجعات ص٧١ ـ ٧٢.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٤٦، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣٥٤، واسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار ص١١٨، والاتحاف بحب الاشراف ص٢٩، والسيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ٣/ ٣٣٢، والغدير للأميني ٣/ ١٧٣.

والقرآن وبين القرآن وأهل البيت، ولم يكتف بأن بيّن للأمة استحالة ادراك الهدى دون التمسُّك بالثقلين، كتاب الله وعترة نبيه، واستحالة تجنُّب الضلالة بغير التمسُّك بهما.

لم يكتف النبي بكل ما قدم وإنما سمى اثني عشر اماماً يلونه أولهم: علي، وثانيهم الحسن، وثالثهم الحسين، وسمى كل واحد من هؤلاء بالإمام اطلاقاً بدون قيد وهذا الإصطلاح معروف شرعاً. وبالرغم من تكميم الأفواه، وسيطرة قادة التاريخ على الاعلام «فقد عرف الرازي كلمة «الإمام» بأنه كل شيء يقتدى به في الدين، فالإمام أبو حنيفة هو القدوة بالفقه، والبخاري هو القدوة في الحديث، والغزالي هو القدوة في التوحيد[1]، «وقيادة الأمة تسمى الإمامة الكبرى أو العظمى، وإمامة الصلاة تسمى الإمامة الصغرى، واطلاق لفظ الإمام يعني صاحب الإمامة الكبرى، والخلاصة أن كلمة امام استقرت اصطلاحاً ونهائياً على أنها تعني رئيس الدولة الذي يخلف النبي، والمعين وفق الشرع الحنيف»[2].

وعلى أي حال، فإن الرسول بأمر من ربه قدم علي بن أبي طالب للأمة، كإمام أو كقائد أو كمرجع، أو كولي لها من بعده، أو كخليفة له وكل هذه المصطلحات تدل على ذلك الشخص المكلّف شرعاً بقيادة دعوة الإسلام ودولته معاً. ولكن أفضل هذه الألفاظ وأكثرها انطباقاً على الشرعية وانسجاماً معها هو مصطلح الإمام، ومن هنا كرر رسول الله بأن علي هو الإمام من بعده، وكرر بأن الحسن إمام، وكرر بأن الحسين إمام، وسمى من ذريته اثنى عشر إماماً.

جاء في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي[3] في المادة العاشرة عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي عند النبي فسمعته يقول: «بعدي اثنى عشر خليفة، ثم أخفى صوته، فقلت لأبي ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال كلهم من بني هاشم».

وعن جابر قال رسول الله (ص): «أنا سيد النبيين، وعلي سيد الوصيين وأن

---

(١) تفسير الرازي ١/ ٧١٠.

(٢) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٥.

(٣) ينابيع المودة ٣/ ١٠٤.

أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم المهدي».

وجاء في كفاية الأثر لأبي قاسم الخزار بالاسناد الى عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله (ص) يقول: «الأئمة من بعدي اثنى عشر اماماً كلهم من قريش».

وفي كفاية الأثر أيضاً بالاسناد الى أبي سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله الصلاة الأولى ثم أقبل علينا فقال: «معاشر أصحابي إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، وباب حطة في اسرائيل، فتمسكوا بأهل بيتي، والأئمة الراشدين من ذريتي فإنكم لن تضلوا أبداً فقيل يا رسول الله كم عدد الأئمة بعدك؟ قال الرسول (ص): اثنى عشر من أهل بيتي أو قال من عترتي».

وفي كفاية الأثر بالاسناد إلى واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله: «إن الأئمة من بعدي اثنى عشر، فمن أحبهم واقتدى بهم فاز ونجى، ومن تخلّف عنهم ضل وغوى».

وبالاسناد الى علي قال رسول الله (ص): «اثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي، وخلقهم من طينتي، فويل للمتكبرين عليهم من بعدي القاطعين فيهم صلتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي»[1].

عدد الأئمة في أحاديث أئمة أهل البيت الكرام:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الأئمة اثنى عشر» وقال: «نحن اثنا عشر مهدياً» عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: سُئل الإمام الصادق عن الإمامة في من تجب، وعلى من تجب له الإمامة؟ فقال عليه السلام:

«إن الدليل على ذلك، والحجة على المؤمنين، والقائم بأمور المسلمين، والناطق بالقرآن، والعالم بالأحكام، أخو نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته على أمته، ووصيه عليهم ووليه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى

---

(١) منتخب الأثر ص١٣، ٢٨، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٢، ٣٦ كما نقله العلاّمة عبد الله الغريفي في كتابه التشيع ص٣٣٢ـ٣٣٣.

المفروض الطاعة بقول الله عز وجل **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** من سورة النساء آية ٥٩، الموصوفة بقوله عز وجل **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** المدعو اليه بالولاية، المثبت له الإمامة يوم غدير خم بقول (ص) عن الله عز وجل: «ألست أولى منكم بأنفسكم؟ قالوا بلى، قال فمن كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأعن من أعانه ذلك علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين وأفضل الوصيين، وخير الخلق أجمعين بعد رسول الله (ص).

ثم الحسنان سبطا رسول الله، وابنا خيرة النساء، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم ابن الحسن عليه السلام المهدي.

وهم عترة الرسول (ص)، المعروفون بالوصية والإمامة، لا تخلو الأرض من حجة، والحجة على أهل الدنيا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكل من خالفهم ضال، تارك للحق والهدى، وهم المعبّرون عن القرآن، والناطقون عن الرسول (ص) بالبيان، وأن من مات ولا يعرفهم مات ميتة جاهلية ودينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهاد»[١].

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «الأئمة بعد رسول الله (ص) كعدد نقباء بني اسرائيل، وكانوا اثنى عشر الفائز من والاهم، والهالك من عاداهم».

وقال أيضاً: «نحن اثنا عشر اماماً منهم حسن وحسين ثم الأئمة من ولد الحسين عليه السلام».

وقال أيضاً: «الأئمة بعد الرسول (ص) اثنا عشر، الثاني عشر هو القائم عليه السلام».

---

(١) العوالم ١٥/ ٣/ ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧٢، وراجع كتاب العلامة عبد الله الغريفي ص٤٧ ـ ٤٨.

وقال أيضاً: «تكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي تاسعهم قائمه».

وقال أيضاً: «إن الله عز وجل أرسل محمداً إلى الجن والإنس وجعل من بعده اثنى عشر وصياً»[1].

الاتفاق على العدد:

شيعة الحكام أجمعوا بأن الأئمة من بعد النبي اثنا عشر إماماً، وقالوا بأن أولئك الأئمة هم الصفوة، وإلى هذا العدد أشار البخاري في صحيحه[2]، ومسلم في صحيحه[3]، والترمذي في صحيحه[4]، وأبو داود في مسنده[5]، وأحمد في مسنده[6]، والمتقي الهندي في كنزه[7].

وإلى هذا العدد أشارت النصوص الشرعية، وأحاديث الأئمة الأطهار.

الاختلاف على العدد بعد الائتلاف:

بعد أن أجمعوا على أن الأئمة من بعد النبي اثنا عشر اماماً اختلفوا، فالحكام وشيعتهم قالوا:

إن الأئمة الاثنى عشر من بعد النبي هم الحكام الذين قبضوا على مقاليد الأمور بالقوة بعد النبي حسب تسلسلهم الزمني.

وفريق آخر منهم انتقى اثنى عشر حاكماً رأى أنهم أصلح من حكم وقال:

---

(١) العوالم ١٥/ ٣/ ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٤ نقلاً عن عيون أخبار الرضا ١/ ٥٦ ح٢١، ونقلاً عن كفاية الأثر للخراز القمي ص٢٤٨، ٢٦٢، وعن الخصال للصدوق ص٤١٩، كما نقلها العلامة عبد الله الغريفي ص٤٧ ـ ٤٨.

(٢) صحيح البخاري ٩/ ٧٢٩ ح٢٠٣٤.

(٣) صحيح مسلم كتاب الامارة ج٣ ح١٤٥٢.

(٤) صحيح الترمذي ٤/ ٥٠١.

(٥) مسند أبي داود كتاب الحصري ٢/ ٢٠٧.

(٦) مسند أحمد ١/ ٣٩٨.

(٧) كنز العمال ٦/ ٢٠١، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٥٤.

انهم الاثنا عشر الذين نص عليهم النبي، ونفوا نفياً قاطعاً أن يكون أحد آخر سواهم، فهم ملتصقون بالواقع التاريخي، يتشبّثون بكل شيء، ويحرفون كل شيء حتى يضفوا الشرعية والمشروعية على ذلك الواقع التاريخي، لأنهم لو سلموا بالشرعية لانهار الكهف على من فيه.

أما الشرعية وأئمة أهل بيت النبوة فيرون أن رسول الله هو الإمام القدوة، وهو الأعلم والأفهم بالدين، والأقرب الى الله، وأصلح الخلق، وأفضل الموجودين، وهو المؤتمن على الدين والدنيا، ومن هنا كان اماماً لعلم الله اليقيني بامتلاك النبي لهذه الصفات، وخليفته والامام من بعده يجب أن يكون من هذا الطراز الرفيع، وممتلك لهذه الصفات، حتى يكون مؤتمناً على مصالح المعاد والعباد.

ومن المهازل حقاً أن يكون يزيد بن معاوية أحد الأئمة وهو المشهور بعهره وفجوره، على الأقل إن لم يكن بكفره!!

ومن المهازل حقاً أن يكون الإمام من يغلب كائناً من كان، أو من يعهد اليه الغالب بغض النظر عن دينه وخلقه، وعلمه!!

الرسول يقدم الأئمة الاثنى عشر للأمة:

قدم رسول الله أول الأئمة من بعده علي بن أبي طالب، ثم قدم ابنه الحسن، وابنه الحسين ووصفهما بأنهما إمامان قاما أو قعدا، وأنهما سيدا شباب أهل الجنة[1]، وفوق ذلك فإن كل واحد من الأئمة الثلاثة تبوء عمادة أهل بيت النبوة في زمنه، وقد عرفنا الدور المميز لأهل بيت النبوة، ويكفي السبطين شرفاً أنهما ذرية رسول الله.

قال الحسين بن علي عليه السلام: «دخلت على جدي رسول الله، فأجلسني على فخذه، وقال لي: إن الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة

---

(١) فضائل الخمسة ٣/ ٢٠٤، وما فوق.

تاسعهم قائمهم وكلهم في الفضل عند الله سواء»[1].

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»[2].

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: لما أنزل الله على نبيه **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن هم أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال الرسول: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن، ثم الحسين ثم علي بن الحسين»[3].. الخ حتى يكتملوا اثنى عشر.

في حديث طويل جاء فيه أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «يا رسول الله ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب؟ فقال الرسول: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم سيد العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر.. » الخ[4]، حتى يكتمل العدد اثنى عشر.

وعن عبد الله بن جعفر الطيار قال: سمعت رسول الله يقول: «إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»[5].

وصية الإمام علي للحسن السبط (ع):

حين حضرت الوفاة أمير المؤمنين كانت وصيته للحسن السبط بالنص

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي ٢/ ٤٤٥، وكمال الدين للصدوق ص١٥٧، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٨٩.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢/ ٤٤٥، والقمي الرازي كفاية الأثر ص١٩، والصدوق كمال الدين ص١٦٣، وعيون الأخبار ص٣٨، وسيرة الرسول وأهل بيته مؤسسة البلاغ ٢/ ١٨٩.

(٣) القمي الرازي كفاية الأثر ص٧ وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٩٠ لمؤسسة البلاغ.

(٤) الطبرسي في اعلام الورى بأعلام الهدى ص٢٧، وسيرة الرسول وأهل بيته مؤسسة البلاغ، ٢/ ١٩١.

(٥) إعلام الورى بأعلام الهدى ص٢٧ للطبرسي، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢٠/ ١٩١.

التالي: «.. يا بني انه أمرني رسول الله، أن أُوصي اليك وأدفع اليك كتبي وسلاحي كما أوصى الي ودفع اليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين فقال وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك محمد بن علي، فاقرئه من رسول الله ومني السلام».

نماذج من آراء بعض علماء شيعة الحكام بالأئمة الكرام:

الأصل بالأئمة الكرام أن يكونوا اعلاماً للأمة، ومصابيح هداها، وسفن نجاتها، وفراق ليلها تطيعهم وتقتدى بهم، لأنهم أئمة الأمة وقادتها ومراجعها الشرعية، بالنصوص القاطعة، ولكن الناس مع من غلب ولأن قادة التاريخ غلبوا، أدار الناس لأئمة أهل البيت ظهورهم، وصفقوا للغالب، وتجاهلوا الشرعية التي يمثلها الأئمة، والأصل أيضاً أن يبدي الأئمة حكمهم بالناس وبالعلماء بوصف الأئمة هم السادة والقادة ولكن الزمان انقلب فنسأل التابع عن رأيه بالمتبوع، ونسأل المقتدى عن رأيه بالقدوة.

علي والحسن والحسين:

بعد أن هلك معاوية، وانهارت الدولة الأموية واستشهد علي والحسن والحسين اكتشف علماء شيعة الحكام بأن الثلاثة أئمة وأنهم سادة أهل الجنة، وقادة الأمة، فهم نفس العلماء الذين سبوا الثلاثة، وتبرأوا منهم ومن أهل البيت استجابة لقرار معاوية بن أبي سفيان، وهم نفس العلماء الذين شهدوا مقتل الثلاثة ظلماً دون أن ينصروا أو يقفوا على الحياد على الأقل ومكانة الثلاثة في الدين أعظم من أن يستدل عليها بآراء علماء شيعة الحكّام، فقد تسربت كامل النصوص الشرعية الى العامة، وبوقت يطول أو يقصر سيكتشفون كم ضيعوا بجنب الله ثم خذلوا أئمة الهدى.

زين العابدين:

قال الزهري: «لم أدرك أحداً من أهل هذا البيت ـ يعني أهل بيت النبوة ـ أفضل من علي بن الحسين».

قال سعيد بن المسيب: «هذا سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام».

قال ابن حجر في صواعقه «زين العابدين هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة».

وعن أبي حازم وسفيان بن عيينة كان كل منهما يقول: «ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين».

قال أبو حازم: «ما رأيت أفقه منه».

وقال الإمام مالك: «سمي زين العابدين لكثرة عبادته»[1].

الإمام محمد الباقر عليه السلام «محمد بن علي»:

قال عبد الله بن عطاء المكي: «ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام» وقال النووي: «هو تابعي جليل، امام بارع مجمع على جلالته، معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم، سمع جابراً وأنساً، وروى عنه ابن اسحاق، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار الأعرج، وهو أسنّ منه والزهري وربيعة وخلائق كثيرون، وروى له البخاري ومسلم.

وقال ابن العماد الحنبلي: «أبو جعفر محمد الباقر كان من فقهاء أهل

---

(١) سيرة الرسول وأهل بيته / مؤسسة البلاغ/ نقلاً عن الارشاد للمفيد ص٢٥٧، وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٣٣١، ونور الأبصار للشبلنجي ص٢٠٠، وحلية الأولياء لأبي نعيم «راجع السيرة ٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣».

المدينة وقيل له الباقر لأنه بقر العلم أي شقه، وعرف أصله وتوسع فيه»[1].

وقال محمد بن طلحة الشافعي: «محمد بن علي الباقر هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه، ورافعه.. صفا قلبه، وزكا عمله، وطهرت نفسه وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته»[2]..

وقال أبو الفداء بن كثير: «أبو جعفر الباقر تابعي جليل كبير القدر، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة، وسمى الباقر لبقره العلوم، كان ذاكراً خاشعاً صابراً وكان من سلالة النبوة»[3]..

الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر:

نقل المحقق العلامة السيد محسن الأمين أن الحافظ بن عقدة جمع في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمد، فضلاً عن غيرهم وذكر مصنفاتهم[4].

وروى النجاشي في رجاله بسنده عن الحسن بن علي الوشا في حديث أنه قال: «أدركت في هذا المسجد ـ مسجد الكوفة ـ تسعماية شيخ كلٌّ يقول حدثني جعفر بن محمد، وكان جعفر عليه السلام يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل»[5]..

جاء في حلية الأولياء: «أن جعفر الصادق حدث عنه من الأئمة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريج.. وأخرج عنه

---

(١) سيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٢٤٩ نقلاً عن المفيد / الارشاد، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة نقلاً عن تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٣/ ٤٣٦، و٢/ ٤٣٦ نقلاً عن شذرات الذهب.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢/ ٤٣٧ نقلاً عن مطالب السؤول.

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢/ ٤٣٧ نقلاً عن البداية والنهاية، راجع سيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٤) أعيان الشيعة السيد محسن الأمين ١/ ٦٦١.

(٥) المصدر نفسه.

مسلم في صحيحه، وروى عنه مالك والشافعي والحسن بن صالح وأيوب السجستاني وأحمد بن حنبل»[١].

وقال مالك بن أنس: «ما رأت عين ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً»[٢].

قال المؤرخ اليعقوبي عنه: «وكان أفضل الناس، وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا: «أخبرنا العالم»[٣].

قال محمد فريد وجدي صاحب دائرة المعارف عن الإمام جعفر: «... كان من سادات أهل البيت لقب بالصادق لصدقه في كلامه، كان من أفاضل الناس»[٤].

قال أبو فتح الشهرستاني عن الإمام: «... وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات.

قال أبو حنيفة: «جعفر بن محمد أفقه من رأيت، وقال ما كنت تاركاً قولاً قلته أو قضاء قضيته لقول أحد إلا رجلاً واحداً هو جعفر بن محمد»[٥].

قال أنس امام المالكية: «.. وما رأيته يحدث عن رسول الله إلا عن طهارة»[٦].

قال إمام خراسان:

أنــت يـــا جعفـــر فـــوق ... المـــدح والمـــدح عنـــاء
انمـــا الأشـــراف أرض ... ولهـــم أنـــت سمـــاء[٧]

---

(١) المناقب لابن شهر أشوب ٤/ ٢٤٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٨١.
(٤) دائرة معارف القرن العشرين ٣/ ١٠٩.
(٥) أعيان الشيعة ١/ ٦٦٤.
(٦) الإمام جعفر الصادق للمستشار عبد الحميد الجندي ص١٥٩.
(٧) المرجع السابق.

قال شيخ الأزهر محمد أبو زهرة عن الإمام جعفر: «وله على الأكابر منهم فضل خاص، فقد كان أبو حنيفة يروي عنه، ويراه أعلم الناس، وأوسع الفقهاء احاطة، وكان الإمام مالك يختلف اليه دارساً، وكان له فضل الأستاذية على أبي حنيفة ومالك، فحسبه ذلك فضلاً..»[1].

(١) الإمام الصادق لمحمد أبو زهرة ص٣، وسيرة الرسول وأهل بيته ج٢ لمؤسسة البلاغ، والأئمة الاثنى عشر لعادل الأديب، والتشيع للسيد عبد الله الغريفي، والأئمة الاثنى عشر للعلامة جعفر سجاني.

الفصل الحادي عشر:

نجاح البيان النبوي الشامل للقرآن والقيادة معاً

تصوّر قادة التحالف أنهم إذا نهوا الناس سراً عن كتابة أحاديث رسول الله وشككوا، بشخص الرسول، وأشاعوا اشاعاتهم الباطلة، سيحولون بين الأمة وبين معرفة الحكم الشرعي والبيان النبوي المتعلق بمنصب القيادة أو الإمامة أو المرجعية من بعد النبي، مما يسهل عليهم في ما بعد الانقضاض على قيادة الأمة، والاستيلاء عليها بالقوة والغلبة، وفرض الأمر الواقع على الناس، ولكن الله خيّب ظنهم، وفوت رسول الله الفرصة عليهم.

فقد بين رسول الله القرآن الكريم كله بياناً كاملاً وقائماً على الجزم واليقين، وسمع المسلمون هذا البيان وفهموه أو تظاهروا بسماعه وفهمه.

وركز الرسول تركيزاً خاصاً على منصب الإمامة أو القيادة أو المرجعية من بعده، فوضحه توضيحاً كاملاً، وبينه بياناً شاملاً، ورتب أمور الناس الى يوم القيامة.

وقد رأينا بيان الرسول المتعلق بالإمامة من بعده، وكيف أن الله تعالى قد اختار عليَّ بن أبي طالب ليكون ولي عهد النبي حال حياته، وقائد الأمة وامامها ومرجعها بعد وفاته، وقد بيّن الرسول هذا الأمر بياناً لا يختلف عليه اثنان، وفي غدير خم أعلن الرسول رسمياً ولاية علي أمام مائة ألف مسلم أو يزيدون، وبايعه المسلمون وهنّأه المهنؤون وكان أولهم عمر بن الخطاب.

وانَّ الله تعالى قد اختار أهل بيت النبوة، فأعطاهم دوراً خاصاً ومميزاً بقيادة الأمة.

وبأمرٍ من الله قد بيَّن الرسول استحالة ادراك الأمة للهدى إلا بالتمسك باثنين وهما كتاب الله باعتباره «القانون النافذ في مجتمع الأمة الاسلامية» وبأهل بيت النبوة باعتبار عميدهم في كل زمان هو قائد الأمة وامامها ومرجعها، مثلما بيَّن الرسول استحالة تجنب الضلالة بغير التمسك بالاثنين.

ولم يكتف الرسول بذلك انما حدد الأئمة من بعده وسمى اثنى عشر إماماً بأسمائهم وكلهم من ذريته الطاهرة، وكلهم عمداء لأهل بيت النبوة، فعلي وحسن، وحسين، وزين العابدين علي بن الحسين، والباقر.. سماهم الرسول، وتسعة منهم لم يلدوا بعد كما بينا.

كيفية انتقال منصب الإمامة من إمام إلى آخر:

رسول الله قد تلقى أمراً من ربه بأن يعلن عليَّ بن أبي طالب ولياً لعهده واماماً من بعده، وكلّف الله رسوله أن يعد الإمام علي اعداداً خاصاً للإمامة من بعده، وقبل أن ينتقل النبي الى جوار ربه أكد عهده لعلي وتوجّه أمام مائة ألف، والمفترض حسب قواعد الشرعية أن تتقدم الأمة وتبايع امامها الجديد.

لم يكتف رسول الله بذلك. انما طلب من علي أن يعهد الى الحسن وطلب من الحسن أن يعهد الى الحسين، ومن الحسين أن يعهد الى ابنه علي وطلب من علي أن يعهد الى ابنه محمد الباقر.. الخ، بمعنى أن الرسول قد رتب الأمور بحيث يتعين كل امام بنص ممن سبقه.

وحيث أن الأمة قد دلها الله ورسوله على الشخص المتّصف بصفات الإمامة، أو القيادة، أو المرجعية، فإنها بهذه الحالة تقبل على امامها الجديد فتبايعه، بيسر وسهولة بدون هزة ولا رجة، فيسير الجميع ضمن اطار الشرعية والمشروعية الإلهية، تحت قيادة الرجل الذي ارتضاه الله ورسوله لقيادة الأمة[1].

---

(١) فصلنا ذلك في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، باب القيادة السياسية.

قبول الأمة الاسلامية بالترتيبات الإلهية التي بينها الرسول:

قبلت الأمة الاسلامية بالترتيبات الإلهية المتعلقة بالقيادة، أو الإمامة، أو المرجعية من بعد النبي، والتي بينها الرسول بياناً كاملاً واقتنعت الأمة أو تظاهرت بالاقتناع بأن أهل البيت وآل محمد أحق بميراث محمد من غيرهم، ولم يندهش الناس من جمع الهاشميين للنبوة والملك معاً، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ، ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾[1] ﴿وما كانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضى اللهُ ورَسُولَهُ أمراً أنْ يكونَ لَهُمُ الخيرَةُ من أمْرِهِمْ﴾[2] ثم إن الله أعطى آل ابراهيم النبوة والملك والكتاب، كما ورد بالتنزيل.

ولم يثر هذا الجمع حفيظة أحد، خاصة وأن المسلمين قد سمعوا بأن رسول الله خير من ابراهيم عليهما وآلهما الصلاة والسلام، وأحيطوا علماً بالدور المميز لبني هاشم عامة ولأهل بيت النبوة خاصة في نصرة قضية الاسلام طوال عهدي النبوة في الدعوة والدولة، وبالمكانة الدينية التي يتمتّع بها علي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة، ومن هنا تقبل الجميع الترتيبات الإلهية أو تظاهروا بقبولها، صحيح أن بطون قريش لم تقبل قلبياً بهذه الترتيبات، فهي تحسد الهاشميين، وتحقد على الإمام علي لأنه قتل ساداتها، ومن هذا المنطلق عارضت بطون قريش النبوة الهاشمية وقاومتها بكل وسائل المقاومة، ثم فشلت وظهر أمر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فلبدت بطون قريش أمام حالة القناعة العامة بالترتيبات الإلهية التي أعلنها الرسول، وتظاهرت بقبولها، لأن البطون موقنة بتعذر تغييرها أو تبديلها بذلك الوقت، ولأنها مهزومة نفسياً ويائسة من الانتصار على محمد في أي مواجهة، ثم انها لم تعرف من يعلق الجرس!!! وهي كغيرها تفهم أو تتفهم بأن محمد رجل وأقارب الرجل أولى به.

---

(١) سورة القصص آية ٦٨.

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦.

شهادة من رسالة معاوية بن أبي سفيان:

في مروج الذهب[1] للمسعودي، وفي وقعة صفين[2] لنصر بن مزاحم تجد النص الحرفي للرسالة التي أرسلها معاوية بن أبي سفيان لمحمد بن أبي بكر وجاء فيها بالحرف مخاطباً محمد بن أبي بكر الصديق «وقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجته، قبضه الله اليه فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه، على ذلك اتفقا واتسقا.. الخ».

فإذا كان معاوية الطليق ابن الطليق الذي قاد وأبوه الشرك والمواجهة ضد النبي طوال ٢١ عاماً، والذي قتل علي أخوه وجده وخاله وابن خاله وسادات بني أمية يرى حق ابن أبي طالب لازماً له، وفضله مبرزاً عليه، فالأولى بغيره أن يرى هذا الحق وهذا الفضل مما يعني أن الترتيبات الإلهية التي أعلنها النبي والمتعلقة بالإمامة أو القيادة من بعده صارت قناعة عامة لدى الناس، وقبلوا بها، ولا تنزع هذه القناعة إلا بتدبير وجهد جبّار وقوة خاصة.

شهادة من اعترافات عمر بن الخطاب:

مع أن عمر هو الذي قادَ الانقلاب على الشرعية، ونفذ نسف الترتيبات الإلهية المتعلقة بالقيادة والتي أعلنها الرسول وبينها بياناً كاملاً، وعلى الرغم من أنه قد نصب أبا بكر خليفة، ثم وصل الى سدة الخلافة الا انه قد صدرت منه مجموعة من الاعترافات تفيد، بأن آل محمد هم الأولى بميراثه، وأن علي بن أبي طالب هو أولى الناس بخلافة النبي ليضمن عمر وقوف الأنصار الى جانبه أو حيادهم، فقد خاطبهم في سقيفة بني ساعدة قائلاً «انه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم،.. لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان

---

(١) ٣/١١.

(٢) ص١١٨ ـ ١١٩.

المبين، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدلٍ بباطل..»[1].

أنت تلاحظ أن حجة عمر هي حجة أهل بيت النبوة وقد وظفها عمر لصالحه، مع أنه من بني عدي ومحمد من بني هاشم ولكن عمر يقرّ صراحة بأن أهل محمد أولى بميراثه، وقد نقلت اقرار عمر بصيغته هذه الأكثرية من المؤرخين!!!

وعمر يجلس على كرسي الخلافة قال يوماً لابن عباس «... أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي بن أبي طالب فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر»[2].. وقال يوماً لابن عباس «يا ابن عباس والله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله ولكننا خفنا...»[3]، وقال يوماً لابن عباس: «.. ما أظن صاحبك إلا مظلوماً»[4]، ثم أعلن عمر بصراحة تامة: «بأن الأمر كان لعلي بن أبي طالب فزحزحوه عنه لحداثة سنه، والدماء التي عليه»[5]، فهذا اقرار واضح بأن عمر بن الخطاب يعلم علم اليقين بأن الأمر لعلي، وكيف ينسى ذلك، وهو أول من قدم التهاني لعلي بن أبي طالب في غدير خم!!؟ ولكنه مقتنع بأن اختيار الرسول لعلي بن أبي طالب ليس مناسباً، لحداثة سن علي!!، هذا أولاً.

ويُذكر أن ابن عباس قال له: «والله ما استصغره رسول الله عندما أمره أن يأخذ سورة براءة من صاحبك أبي بكر»[6] والسبب الثاني، الدماء التي على علي بن أبي طالب، فأنت ترى أن عمر يعتبر تميز علي بن أبي طالب بالجهاد سبب يحول دون حقه بالخلافة،!! فعمر يكره سفك الدماء حتى ولو كانت في سبيل

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٦.
(٢) الراغب في محاضراته ٧/ ١٣، وكنز العمال ٦/ ٣٩١.
(٣) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ٢٠.
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ١٨.
(٥) الطبقات لابن سعد ٣/ ١٣٠.
(٦) شرح النهج ٢/ ١٨.

الله، وهذا هو السر في أنه لم يثبت أن عمر بن الخطاب قتل أو جرح مشركاً قط!!!

والخلاصة: أن عمر كان يعلم علم اليقين بأن الولي من بعد النبي هو علي بن أبي طالب، وكان من أوائل الذين تقدموا بالتهاني لأمير المؤمنين في غدير خم ولما لا يعلم عُمر، طالما أن الطلقاء كمعاوية والأعراب كانوا يعلمون، فقد قال الحسين بن علي لعمر يوماً: «أنزل عن منبر أبي فقال عمر: «هذا منبر أبيك لا منبر أبي من أمرك بهذا!!»[1]. قيل لعمر أنك تفعل أموراً لعلي بن أبي طالب لا تفعلها لسواه؟، فقال عمر انه مولاي، وقول عمر بن الخطاب: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» [قول مشهور] وقد وثقناه وهذا مما يجعلنا أن نجزم أن عمر كغيره من أفراد المجتمع المسلم كان يعلم علم اليقين أن الأمر من بعد النبي لعلي، حسب البيان النبوي، ولكن عمر بن الخطاب كان يعتقد بأن بيان الرسول ليس وحياً من الله، وأن الرسول يتكلم في الغضب والرضى، فلا ينبغي أن يحمل كل كلامه على محمل الجد!! وقد وثقنا ذلك في فصل الشائعات، ولعل هذا هو السر الذي حمل عمر في ما بعد على جمع الأحاديث المكتوبة عن رسول الله وحرقها، ومنعه الناس من كتابة أحاديث الرسول وروايتها بدعوى: أن القرآن وحده يكفي!! وقد وثقنا ذلك في البحوث السابقة.

ومن جهة ثانية فإن عمر كان يعتقد أن قرار الرسول باختيار علي بن أبي طالب خليفة له ليس مناسباً لحداثة سن علي، ولأن علي أثخن بقتل سادات بطون قريش وهم على الشرك.

ومن جهة ثالثة فإن عمر كان يعتقد أنه ليس من الإنصاف أن يكون النبي من بني هاشم وأن يكون الملك في بني هاشم!! قد لا يصدق القارىء ذلك!! وحتى يقطع الشك باليقين فليراجع الكامل لابن الأثير[2].

---

(١) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٣٢١.

(٢) ٣/ ٦٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٩٧ و١٠٧ ....=

وحسبك قول علامة المعتزلة ابن أبي الحديد نقلاً عن ابن اسحاق: «كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون بأن عليّ بن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله»[1].

قيس بن سعد بن عبادة:

وعبر قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج عن عمق هذه القناعة فقال في ما بعد عن علي: «أيها الناس إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا»[2].

المقداد بن عمرو:

قال المقداد بن عمرو متعجباً من فعلة قريش: «واعجباً لقريش، ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم، وفيهم أول المؤمنين، وابن عم رسول الله وأعلم الناس وأفقههم في دين الله، وأعظمهم عناء في الإسلام، وأبصرهم في الطريق، وأهداهم إلى الصراط المستقيم».

والله، لقد زوروها عن الهادي المهتدي، الطاهر النقي، والله ما أرادوا اصلاحاً للأمة، ولا صواباً في المذاهب، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين[3]!!.

نصيحة عبد الرحمن بن عوف للمقداد:

لما قال المقداد: «ما رأيت مثل ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبيهم ولا أقضى منهم بالعدل ولا أعرف بالحق.. ـ تأثر عبد الرحمن بن عوف ـ فقال للمقداد: «يا مقداد اتق الله!! فإني أخشى عليك الفتنة»!!![4].

= و١٤١ و١٢/ ٢٠ و٥٣، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣.

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٢٢٨، والكامل لابن الأثير ١/ ١١٥، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٢/ ٢٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤٠.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٦٠، والطبري ٥/ ٣٧، وابن الأثير ٣/ ٢٩ ـ ٣٠.

وقال المقداد يوماً: ما رأيت مثل ما أوذي أهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن: وما أنت وذلك يا مقداد بن عمر؟!! فقال المقداد: إني والله لأحبهم بحب رسول الله، وإن الحق معهم وفيهم يا عبد الرحمن، أعجب من قريش.. قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله بعده من أيديهم، أما والله، يا عبد الرحمن، أو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي اياهم مع رسول الله يوم بدر»[1].

الأنصار باسرها:

الأنصار بأسرها قد تخلّفت عن بيعة أبي بكر وقالت: لا نبايع إلا علياً، أو قالت: منا أمير ومنكم أمير[2].

ورجال من المهاجرين:

وتقاعس عن بيعة أبي بكر: طلحة، والزبير، والمقداد، وسلمان، وعمار بن ياسر، وأبو ذر، وخالد بن سعيد، ورجال من المهاجرين وأبَوْ إلا علياً[3].

لو اجتمعت الجن مع الإنس:

كان سعد بن عبادة يقول لأبي بكر: «وايم الله، لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي»، وكان لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع معهم، ولا يفيض بافاضتهم[4].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ١/ ٤٤٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/ ١٢٨.

(٣) الرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٧.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ١٩٨ و٢٠٠ و١٠٧ و٢١٠.

أبو بكر يقول: أقيلوني:

بعد أن أقيمت الحجة على أبي بكر قال: «أقيلوني، أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم»[1].

وآل محمد لم يبايعوا:

لم يبايع الوليَ ولا عم النبي، ولا بنو هاشم، حيث كانوا مشغولين بمصيبتهم؛ والرسول مسجى بين أيديهم، وقد أغلق عليهم الباب[2].

مفاعيل البيان النبوي:

عندما جلس النبي على فراش الموت، كانت الأمة كلها على علم بالبيان النبوي لعصر ما بعد النبوة وحتى قيام الساعة، كانت على علم بأن علياً هو الإمام من بعد النبي، وأن الحسن هو الإمام من بعد علي، وأن الحسين هو الإمام من بعد الحسن. . الخ، كانت على علم بالدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة من بعد النبي. وعلى علم بعمق الارتباط والتصوُّر الشرعي بين الله ورسوله والقرآن الكريم من جهة، وبين الولي من بعد النبي وأهل بيت النبوة من جهة أخرى.

وكان من غير المتصور نجاح أي قوة بتقطيع شبكة الترابط أو تعكير شاشة هذا التصوُّر، ولم تكن تدري أن الانقلابين وخصوم الأمس قد دبروا أمرهم بليل بهيم!!

---

(١) علي والحاكمون ص١٠٩، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٤٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٣٦/٤، والرياض النضرة للطبري ١٦٣/١، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١١/١ - ١٤.



النبي يحذر من وقوع انقلاب ومن الانقلابيين!!

بعد أن بيَّن الرسول بكل وسائل البيان كافة الترتيبات الإلهية المتعلقة بقيادة الأمة من بعد النبي، وبعد أن نصب عليَّ بن أبي طالب أميراً على المؤمنين من بعده، وإماماً للمتقين، وطلب من الأمة أن تبايعه على ذلك، فبايعته فعلاً، وقدمت له التهاني، وكان أول المهنّئين عمر بن الخطاب، وبعد أن بين رسول الله الدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة من بعد النبي، وبعد أن بين عدد وأسماء الذين اختارهم الله لقيادة الأمة حتى يوم القيامة!!

بعدما سمعت الأمة كل ذلك، أو تظاهرت بسماعه، بعدما فهمت كل ذلك، أو تظاهرت بفهمه، حذرها النبي من وقوع انقلاب، يقلب كل شيء رأساً على عقب، ويوجد المفارقة التامة بين الانقلابيين ومن والاهم وبين رسول الله، فيقول لعلي أمام أصحابه: «يا علي من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك يا علي فقد فارقني»[1].

وحذر الرسول من أن الانقلابيين سيغضبون ويسبّون ويؤذون علياً ويحملون الناس على ذلك، فقال لأصحابه «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني»[2].

---

(١) المستدرك للحاكم ٣/١٤٦، وذخائر العقبى للطبري ص٦٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٣٥، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٦٨ ح٧٩٦، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٢٤١، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٢٠، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٩١، والميزان للذهبي ٢/ ١٨.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٣٧، والميزان للذهبي ٢/ ١٢٨، ومناقب علي لابن المغازلي ص١٠٩، =

وقال: «من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله أكبه الله على منخريه في النار»[1].

وقال: «من آذى علياً فقد آذاني»[2].

وحذّر الرسول من وقوع جهد للإمام من بعده فقال لعلي أمام أصحابه: «أما أنت ستلقى بعدي جهداً»[3]..

وأبعد من ذلك فقد حذّر الرسول من وقوع قتال وغدر، فقال لعلي أمام أصحابه: «يا علي ستقاتلك الفئة الباغية، وأنت على الحق فمن لم ينصرك فليس مني»[4].

وقال لأبي رافع أحد أصحابه أمام الصحابة: «يا أبا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً، حق على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده، فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه»[5].

= والرياض النضرة للطبري ٢/ ١٦٥، وملحق المراجعات ص١٥٣.

(١) ذخائر العقبى للطبري ص٦٦، والمناقب للخوارزمي ص٨١ ـ ٨٢ ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص٨٣، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١١١ والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢١٩.

(٢) المستدرك للحاكم ٣/ ١٢٢، وتلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذيل المستدرك، ومسند أحمد بن حنبل ٣/ ٤٨٣، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٤٢٠ ـ ٤٢٦ ح٤٩٤ ـ ٥٠٢، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢/ ٩٨، ومناقب علي لابن المغازلي ص٥٢، والاستيعاب بهامش الإصابة ٣/ ٣٧، وذخائر العقبى للطبري ص٦٥ والصواعق المحرقة لابن حجر ص٧٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ١٤٦، وملحق المراجعات ص١٥١ ـ ١٥٢، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٤٦.

(٣) المستدرك للحاكم ٣/ ١٤٠، وتلخيص المستدرك بذيل المستدرك ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص١١٨، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٥/ ٣٤، وفضائل الخمسة ٥/ ٥٣، وملحق المراجعات ص١٦١.

(٤) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣ ص٢١٥ ح١٢٢٠، والغدير للأميني ٣/ ١٩٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد.

(٥) مجمع الزوائد ٣/ ١٣٤، وملحق المراجعات ص١٦٤، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٦٦.

وقال الرسول لعلي أمام أصحابه «إن الأمة ستغدر بك بعدي»[1].

وحذر النبي من الانقلابيين سينكلون بأهل بيت النبوة من بعد وسيشردونهم.

وقال عبد الله بن مسعود: أتينا رسول الله فخرج الينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه فما سألناه عن شيء إلا أخبرنا.. حتى مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين عليهما السلام، فلما رآهم رسول الله، التزمهم وانهملت عيناه، فقلنا يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد»..

رواه ابن ماجه في صحيحه[2]، وحذر النبي فوضح الصورة لأصحابه فقال لهم يوماً: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً وأن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم»[3].

والأهم من ذلك قد حذر بأن علياً سيقتل، وأن الحسن سيقتل وأن الحسين سيقتل، وسيقتل معه الطيبون من أهل بيت النبوة في كربلاء[4].

سيل المآسي والنكبات سيتدفق إذا نجح الانقلابيون!!

ثم حذر الرسول أصحابه بأن نجاح الانقلابيين، سيفجر السد الذي يحجز المآسي والنكبات عن هذه الأمة، ومفتاح نجاح الانقلابيين يتمثل باقصاء علي بن أبي طالب عن حقه بقيادة الأمة، وبحرمان أهل بيت النبوة من ممارسة دورهم

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٦/ ٤٥ تحقيق محمد أبو الفضل، والبداية والنهاية لابن كثير ٢١٨/١، وفضائل الخمسة ٣/ ٥١، وتلخيص الشافي للطوسي ٣/ ٥١، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ١٤٨ ـ ١٤٩ ح١١٦٦ ـ ١١٦٨.

(٢) ص ٣٠٩ في باب خروج المهدي.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٤٨٧، وكنز العمال ٦/ ٤٠ وقال أخرجه نعيم بن حماد من الفتن، وفضائل الخمسة ٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٤.

(٤) فضائل الخمسة ٣/ ٣٥٢ وما فوق.

الذي كلفهم الله تعالى به، وحذر أصحابه من أن يتخلوا عن علي وليهم الشرعي من بعد النبي، فتفتح عليهم أبواب مغلقة، وتشتعل النار في كل مقدس، وتأكل في النهاية الأخضر واليابس.

ها هنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان:

وأبلغ من ذلك كله أن النبي قد قام خطيباً في أصحابه وأشار نحو مسكن عائشة فقال لهم:

«ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة.. من حيث يطلع قرن الشيطان»[1]!!

رأس الكفر من ها هنا حيث يطلع قرن الشيطان:

وفي لفظ آخر: أن رسول الله خرج من بيت عائشة فقال: «رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان»[2].

وسنثبت إن شاء الله في الفصول اللاحقة اكمال المواقع لهذين الحديثين الشريفين وعلاقتهما بكشف الانقلاب والانقلابيين.

الأهداف الحقيقية للانقلاب والانقلابيين:

أم المؤمنين عائشة زوج النبي، أشاعت بعد وفاة الرسول، أن النبي لم يستخلف عليَّ ابن أبي طالب، ولم يتطرّق الرسول للإمامة من بعده وأضافت: «ولو أن رسول الله أراد أن يستخلف لاستخلف أبا بكر، ثم عمر»[3]!!.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ٢/ ١٢٧ و١٢٧ و١٣٢ و١٨٩ ـ ط١ مطبعة محمد علي صبيح/ القاهرة ـ و٤/ ٤٦ ـ افست دار الفكر / ط١ استانبول ـ و٤/ ١٠٠ ـ مطابع الشعب ـ برواية عبد الله بن عمر بن الخطاب و٤/ ٦٥، وملحق المراجعات ص٢٥١.

(٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة ١/ ٦٣ ـ المطبعة الميمنية ـ و١/ ١٤٥ ـ مطبعة المباهلة و١/ ١٥١ ـ المطبعة الشرقية ـ و١/ ٢٠٩ ـ دار احياء الكتب ـ و٢/ ٥٧ ـ مطبعة الفجالة و٢/ ٦١ ـ دار الفكر و٢/ ٧٧ ـ مطبعة محمد علي صبيح ـ و٢/ ٨١ ـ مطابع الشعب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، والطبري في الرياض النضرة ١/ ٢٦، والحاكم في مستدركه ٣/ ٧٨.

وسُئلت أم المؤمنين مرة «لو أن الرسول استخلف، من يستخلف؟ فقالت: لو أن الرسول استخلف لاستخلف أبا بكر ومن بعده عمر، ومن بعده أبي عبيدة»[1]!!

بمعنى: أن أم المؤمنين أنكرت أن يكون الرسول قد استخلف علي بن أبي طالب أو أحداً من أهل بيت النبوة، وبمعنى أن أم المؤمنين تعلم علم اليقين ما خفي في نفس رسول الله، وتعرف ماذا ينوي أن يفعل الرسول قبل أن يصدر منه الفعل.

ويلاحظ أن الأمور واقعياً قد جرت وفق هذا الافتراض فأبو بكر هو الخليفة الأول واتخذ عمر ولياً لعهده وسماه خليفة من بعده، وقد صرح عمر مراراً وتكراراً وبأسف بالغ بأنه لو كان أبو عبيدة حياً لولاّه واستخلفه من بعده!!! ولكن لسوء الحظ مات أبو عبيدة. أنظر لقول عمر: «لو كان أبو عبيدة حياً وليته واستخلفته»[2].

وهكذا انحصرت أهداف الانقلابيين، أو قادة التحالف على ما يلي:

١ ـ صرف الأمر عن علي بن أبي طالب صرفاً كاملاً.

٢ ـ الغاء الدور المميز الذي خص الله به أهل بيت النبوة لقيادة الأمة.

٣ ـ الحيلولة بين أي شخص من أهل بيت النبوة وبين الخلافة، بحيث تبقى النبوة للهاشميين وحدهم لا يشاركهم فيها أحد، وتختص بطون قريش بالخلافة وحدها لا يشاركهم فيها أي هاشمي[3].

٤ ـ أن ينصب في البداية أبو بكر، وأن يخلفه عمر، ثم يخلفه أبو عبيدة

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٢٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨١ و٢٤٨، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٥٦١، وأسد الغابة ٢/ ٢٤٦، وكنز العمال ٥/ ٦٤٤ ح١٤١٣٢، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٣، وكتابنا النظام السياسي في الاسلام ص٢٩.

(٣) على سبيل المثال تنظير عمر بن الخطاب لهذه القسمة في الكامل لابن الأثير ٣/ ٦٣، وشرح النهج ١٢/ ٥٣ ـ ٥٤، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣.

ولما مات أبو عبيدة وقع اختيار قادة التحالف على عثمان ليكون الخليفة من بعد عمر فهو موضع سرهما، وكان يعرف بالرديف في عهد عمر والرديف الرجل الذي يرجوه الناس قائداً لهم بعد وفاة قائدهم.

٥ - ليس هنالك ما يمنع بعد هذا من أن يتولى الخلافة أي رجل سواء أكان من الأنصار أم من الموالي، أنظر إلى قول عمر: «لو أدركت سالم مولى أبي حذيفة لوليته واستخلفته» وسالم هذا مولى لا نسب له في العرب، ومؤهلاته الحقيقية هي ولاؤه المطلق لعمر ولقادة التحالف «راجع قول عمر لو أدركت سالم مولى أبي حذيفة وليته واستخلفته»[1].

ثم إن عمر يتمنى لو كان معاذ بن جبل حياً لولاه واستخلفه والمدهش أن معاذ من الأنصار وكانت تولية الأنصار غير جائزة شرعاً في سقيفة بني ساعدة بحجة أن عشيرة الرسول أولى بميراثه!! وأن أبا بكر وعمر وأبو عبيدة هم من عشيرة الرسول وأهله الأقربون[2].

٦ - وما يعني قادة التحالف الانقلابيين هو الحيلولة بين علي وحقه بالإمامة من بعد النبي، وبين أهل بيت النبوة وحقهم بممارسة الدور المميز الذي خصهم الله به لقيادة الأمة. أو بتعبير أدق هدف قادة التحالف ينصبّ على الغاء الترتيبات الإلهية المتعلقة بالقيادة والذي بينها الرسول وأعلنها أمام الأمة مراراً وتكراراً كما فصلنا ذلك في الأبواب السابقة تلك هي الأهداف الحقيقية لقادة التحالف أو لقادة الانقلاب الذي حذر رسول الله من وقوعه!!

---

(١) الإمامة والسياسة ص٢٣، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٣، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٨١ و٢٤٨، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ١٦١، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٢٤٦.

(٢) خطب الثلاثة في السقيفة تجد حقيقة قولنا. راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٤ وما فوق.

الباب الخامس

الانقلاب الأسود
على الشرعية الالهية

الفصل الأول:

التنظير الفكري للانقلاب

ظاهره فيه الرحمة!!

لقد أخفى الانقلابيون أو قادة التحالف مشاعرهم الحاسدة والحاقدة على آل محمد، وتناسوا جراحات الماضي كلها، فلم يذكروا قتلاهم في بدر وأُحُد والخندق، ولم يظهروا مشاعرهم وغصات حلوقهم، ولم يشعروا علياً بأنه قاتل الأحبة، ولم يشعروا الرسول بأنه المتسبب بل اعترفوا بالرسول وصار من مصلحتهم أن يعترفوا به، لأنهم أدركوا أن الرسول ضمناً قد بنى ملكاً عريضاً فصار هدفهم الاستيلاء على هذا الملك، ودوامه، وهذا الدوام مرتبط بالاعتراف برسالة محمد، وبالدين الذي جاء به محمد حتى يحكموا العرب بهذين الشعارين، ويضمنوا طاعة الرعايا بهذين السببين، فمحمد من هذه الناحية خدمهم فقد رقاهم من حكم بلدة مكة الى حكم العرب كلها، وفتح أمامهم أبواب الخيرات التي ستتدفق عليهم عن طريق الجهاد.

وعلى العكس من ذلك فقد قالت بطون قريش «مهاجروها وطلقاؤها»: أن الإسلام يجب ما قبله، وأن الله تعالى قد أباح دماء الذين ماتوا من البطون على الشرك، وقالت البطون: أن الخلاف بينها وبين الهاشميين في حقيقته كان خلافاً عائلياً من جميع الوجوه، وأن اختلافها مع محمد كان من قبيل سوء الفهم، وأن المقاومة والحرب التي نشبت بين البطون وبين محمد والهاشميين كانت من قبيل تسارع الأحداث ومن عمل الشيطان، وتحمد البطون ربها الذي أعزها بالإسلام، وأكرمها بابنها البار محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمحمد ما كان

ولن يكون إلا ابن قريش البار، الكريم الواصل لأرحامه!!! وما كان الهاشميون إلا العترة الطاهرة التي احتضنت النبي، واحتضنت الإسلام، وجاهدت أحسن الجهاد، وأبلت البلاء الحسن!! وأن أبا الحسن فارس قريش وابن عم النبي، وزوج ابنته.

الإشاعات الخفية:

لما رأت بطون قريش اصرار محمد على ولاية علي بن أبي طالب من بعده، واصراره على اعطاء دور مميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة من بعد النبي، وسمعوا اعلانات النبي المتكررة حول هذا الموضوع، وشاهدوا حرصه العميق على توضيح أدق التفاصيل المتعلقة بالقيادة والإمامة من بعده وسمعوا تأكيداته المتلاحقة بأن كافة الأمور المتعلقة بقيادة الأمة والتي بينها الرسول لهم والمتعلقة بولاية علي وبالدور المميز لأهل البيت ما هي إلا أوامر الهية، **﴿واتَّبِعْ ما يُوحَى اليكَ﴾**[(١)] **﴿إنْ اتَّبعُ إلاّ ما يُوحى اليّ﴾**[(٢)].

لما رأت بطون قريش كل هذا أخذت تبث الشائعات بين الناس، كأن تقول: بأن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى، ولا ينبغي أن يحمل كل كلامه على محمل الجد، فلا ينبغي أن يكتب[(٣)] ومثل اشاعتها: بأن الرسول يفقد أحياناً السيطرة على أعصابه فيسب ويلعن ويشتم من لا يستحق ذلك[(٤)]. وقصد البطون من هذه الإشاعة هو ابطال النص الشرعي اللاعن لأعداء الله. ومثل شائعة البطون: بأن الرسول يسقط من القرآن[(٥)]، وأخيراً واجهت بطون قريش النبي وهو

---

(١) سورة يونس آية ١٠٩، الأحزاب/ ٢.

(٢) سورة الأنعام آية ٥٠، يونس/ ١٥، الأحقاف/ ٩.

(٣) سنن الدارمي ١/ ١٢٥، وسنن أبي داود ٢/ ١٢٦، ومسند أحمد ٢/ ١٦٢، ٢٠٧، ٢١٦، ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥، ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٨٥.

(٤) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب قول النبي من آذيته، وصحيح مسلم كتاب البر والعق باب من لعنه النبي.

(٥) صحيح البخاري في باب قوله وصلّ عليهم، وكتاب الشهادات باب شهادة الأعمى ونكاحه، وصحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب تعهد القرآن.

على فراش الموت وقالت له: أنت تهجر[١]. ومثل شائعة البطون بأن بعض اليهود سحروا الرسول حتى ليخيل اليه أنه يفعل الشيء وما فعله[٢]. والهدف من هذه الإشاعات التشكيك بشخصية الرسول وأقواله، وصولاً إلى ابطال مفاعيل البيان النبوي المتعلقة بالإمامة أو القيادة من بعد النبي، والذي انصب بكليته على اختيار الإمام علي إماماً للأمة من بعد النبي، وعلى اعطاء الدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة. ومن غير المستبعد أن البطون قد تصوّرت بأن هذه الترتيبات من عند محمد وليس من عند الله، فهان عليها انتهاكها ومحاولة تبديلها وافراغها من مضمونها الحقيقي.

تكوين جبهة من كل العناصر التي تكره آل محمد:

فمدت البطون يدها للمنافقين، والمنافقون كانوا حقيقة من حقائق الحياة في المدينة المنوّرة وما حولها من الأعراب، وفي مكة بعد الفتح وكانت مشكلة النفاق من أعظم المشكلات التي واجهت الإسلام وواجهت رسول الله، وكم بذل رسول الله من جهد مميز لردع المنافقين عن غيهم، وهدايتهم الى الإسلام، ولكنهم بقوا على حالهم ظاهرهم مسلم يُرى فيه النفاق، وباطنهم كافر بالله وبرسوله وحاقد على محمد وعلى آل محمد، فكم عارضوا النبي، وكم ثبطوا العزائم، وكم شككوا.

وفجأة وبدون مقدمات أعلن المنافقون: أنهم مع دولة البطون، وليس من العدل أن يكون النبي من بني هاشم وأن يكون الخليفة منهم، ووقفوا مع دولة البطون مؤيدين مناصرين لها. ولهذا لم نجد مؤرخاً أو باحثاً قط ذكر أن منافقاً قد اعترض على تولية أبي بكر أو عمر. لقد كان المنافقون مع بطون قريش عامة في صراعها مع أهل بيت النبوة، ومع أبي بكر وعمر خاصة في صراعهما مع الإمام علي، وهكذا اختفت ظاهرة النفاق تماماً وأصلح الله المنافقين بيوم وليلة.

---

(١) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٨٧ وما فوق تجد المراجع.

(٢) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده، وكتاب الطب باب هل يستخرج السحر، وراجع صحيح مسلم باب السحر.

ومدت بطون قريش يدها لطلاب الدنيا يقول المؤرّخون: «وقد أقبلت قبيلة أسلم بجماعتها حتى تضايق بهم السكك، فكان عمر بن الخطاب يقول: «ما هو أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر»[1].

فما الذي أخبر عمر أن أسلم ستقف معه، هل هو يعلم الغيب أم أن هنالك اتفاق مسبق بين قيادة التحالف وقبيلة أسلم؟ ومن الذي أخبر أسلم بخبر الاجتماع طالما أن كبار الصحابة لا يعرفون عنه؟ ومن الذي دعا أسلم لتحضر وتبايع وتحقق لعمر ما سماه نصراً[2]؟!!

استفادت بطون قريش وقيادة التحالف من التنافس الفطري بين الأوس والخزرج، ومن الخصومة القديمة بين هاتين القبيلتين، فإذا اتخذ الخزرج موقفاً فالأوس يتخذون موقفاً مناقضاً له تماماً، نعم كان للأوس والخزرج موقفاً ظاهرياً واحداً فقدموا سعد بن عبادة لكبر سنه وشرفه، ولأنه مريض، وعندما لمع سعد والمقداد، والحباب بن منذر عز ذلك على الأوس، وفي اللحظة الحاسمة نهض بشير بن سعد وقال: «أن محمد رسول الله رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه»[3].. ولم يكتف بشير بذلك إنما قفز وبايع أبا بكر فكان بشير أول من بايع[4]، وهذا لم يكن صدفة إنما هو وليد اتفاق وتدبير.

فبنفس اليوم الذي بويع فيه أبو بكر ذهبت سرية فيها أسيد بن حضير سيد الأوس ـ أو هكذا أظهر ـ لاستحضار علي للبيعة وحرق بيت فاطمة بنت رسول الله على من فيه!! فهل يعقل أن هذا وليد لحظته، أم أنه ثمرة اتفاق وتدبير مسبق؟! وضغائن تغلي في الصدور؟!

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٢، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٣١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٢٠٥، ٢٢٢.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٨، وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٨، ٢/ ٢٦٦ من شرح النهج.

(٤) كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٢٧، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٣٢١.

وصدق رسول الله ضغائن في صدور أقوام:

قال الرسول يوماً: «ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها إلا بعدي»[1].

شعارات الانقلاب الأسود:

رفع الانقلابيون مجموعة من الشعارات في أوقات متعددة، وفي مراحل مختلفة فكل مرحلة لها شعارها أو شعاراتها.

فبمرحلة الاعداد للانقلاب، رفع قادة البطون أو قادة التحالف شعار: «منع الاجحاف يتحقق بالحيلولة دون جمع الهاشميين للنبوة والخلافة» وشعار الصواب والتوفيق باختصاص الهاشميين بالنبوة لا يشاركهم فيها أحد من البطون، واختصاص بطون قريش بالخلافة لا يشاركهم فيها هاشمي!

حوار عمر بن الخطاب مع ابن عباس، يفصح عن هذين الشعارين:

قال عمر لابن عباس أثناء خلافته: «يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أُجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتجفخوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت. قال ابن عباس: فقلت يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتحط عني الغضب تكلمت، قال عمر: تكلم، قال ابن عباس: فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك انهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ذلكَ

---

(١) الرياض النضرة للطبري ٢/ ٢١٠ نقلاً عن مسند أحمد في المناقب، وعد الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص١٤٢، وعن مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ١/ ٣٦.

بأنَّهم كَرِهُوا ما أنْزَلَ الله فأحْبَطَ أعْمالَهُمْ﴾[1]، فقال عمر: هيهات يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك عندي، قال ابن عباس فقلت: يا أمير المؤمنين فإن كان حقاً فما ينبغي أن تُزيل منزلتك مني، وإن كان باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه. فقال عمر: بلغني أنك تقول: صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً. قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً فإن آدم حسد، ونحن ولده المحسدون. فقال عمر: هيهات، هيهات أبت قلوبكم والله يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول. قال ابن عباس: فقلت: يا أمير المؤمنين، مهلاً لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[2].

عمق هذان الشعاران في قلوب قادة التحالف:

ذكر عبد الله بن عباس: أن عمر أرسل اليه فقال: «يا ابن عباس إن عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون فيهم وفي نفسي منك شيء لم أره منك، وأعياني ذلك فما رأيك في العمل؟ قال ابن عباس: قلت لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال عمر: وما تريد الى ذلك؟ قال ابن عباس فقلت: أريده فإن كان شيئاً أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها، الذي خشيت، وإن كنت بريئاً من مثله علمت اني لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإني قلما رأيتك طلبت مني شيء إلا عاجلته.

فقال عمر يا ابن عباس: «إني خشيت أن يأتي عَليَّ الذي هو آت ـ يُعنى موته ـ وأنت في عملك فتقول، هلم الينا، ولا هلم اليكم دون غيركم[3]».

بمعنى أنه من فرط خشية عمر من أن يجمع الهاشميون النبوة والملك؛ لا

---

(١) سورة محمد آية ٩.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٤، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٣/١٠٧، كما أخرجه أبو الفضل أحمد بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد راجع مجلد ٢ ص٩٧ من شرح النهج، ١٢/ ٥٣ ـ ٥٤ شرح النهج تحقيق محمد أبو الفضل.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

يريد أن يولى أي هاشمي حتى لا يدعو مستقبلاً للهاشميين فتكون الخلافة فيهم مع النبوة، يريد أن يتأكد أثناء حياته أن الهاشميين بعيدين تماماً عن مركز الخطر والتأثير، حتى لا يأخذوا الخلافة بعد وفاته.

لم يحتاط عمر من معاوية، ولا من المغيرة، ولا من أحد من عماله، فهم موضع ثقة وضد فكرة جمع الهاشميين للنبوة مع الملك لكنه احتاط عندما خطر بباله أن يولي ابن عباس الهاشمي، وأكبر الظن أن ابن عباس لو وافق بالكامل على شروط عمر وأقسم له أغلظ الايمان بأن يفكر كما يفكر، فإن عمر لن يوليه، فقط لأنه هاشمي، والهاشمي لا ينبغي أن يسلط على رقاب الناس، فعمر رجل عادل ويحب العادلين مثله. وموالي لقضية بطون قريش ويحب الموالين لتلك القضية، وفي قلوب الهاشميين حسداً للبطون لا يزول!! كما قال.

شعار القرابة:

عندما تأكد قادة التحالف أن النبي قد انتقل الى جوار ربه، وأن آل محمد مشغولون بمصابهم وليس بامكانهم ترك النبي والخروج، رتبوا أمورهم ليتعين خليفة للنبي في غياب آل محمد كلهم وطمعاً باجتذاب الأنصار إلى صفهم لمواجهة آل محمد بالأمر الواقع في ما بعد رفع قادة التحالف شعار: أنهم أقارب محمد وأهله وعشيرته وأنهم الأولى بميراثه وسلطانه!!

فقال أبو بكر في سقيفة بني ساعدة: «الناس تبع لنا ونحن عشيرة الرسول» وقال عمر: «إنه والله، لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن، العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم.. من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أهله وعشيرته..».

وأقوال أبي بكر وعمر هذه في السقيفة متفق عليها[1]. وعندما قالت الأنصار لا نبايع إلا علياً[2]. تجاهل الموجودون من قادة التحالف هذا الطلب،

---

(١) الإمامة والسياسة ص٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/١٩٨، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٣/١٩٨، وطبقات بن سعد =

وقالوا: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم، وبايعهم الأنصار على أساس أنهم عشيرة النبي وأهله الأحق بميراثه وسلطانه، أنظر الى قول بشير بن سعد أول رجل بايع أبا بكر: «إن محمداً رجلاً من قريش وعشيرته أحق بتولي سلطانه»(١).

شعار الأمر شورى:

لما قبض قادة التحالف على مقاليد الأمور، وبايعهم أولياؤهم بالخلافة واحتج آل محمد رفع قادة التحالف شعار أن الأمر شورى بين المسلمين، والمسلمون قد اختاروا أبا بكر أول الخلفاء وفق قواعد الشرع، انظر الى قول أبي بكر للعباس: «فخلى الرسول على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم متفقين غير مختلفين، فاختاروني عليهم ولياً ولأمورهم راعياً... الخ، وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك، اذ كنت عم رسول الله، وان كان الناس قد رأوا مكانك، ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم.. الخ»(٢).

بمعنى أنهم بمواجهة الأنصار وبغياب آل بيت محمد احتجوا بالقرابة من رسول الله، ولما قبضوا على مقاليد الأمور وواجهوا آل محمد بأمر واقع رفعوا شعار الشورى، واحتجوا باختيار الناس لهم وبالبيعة.

شعار حسبنا كتاب الله:

وجد هذا الشعار عملياً عندما بدأ الرسول بالتركيز المكثّف على الخلافة من بعده وعندما بين بأن الإمام من بعده هو علي بن أبي طالب، وبين الدور المميز في قيادة الأمة التي اختص الله به أهل بيت النبوة. عندئذٍ بدأ قادة التحالف بالاشاعات للتشكيك بقول الرسول وشخصه وصولاً إلى ابطال مفاعيل النصوص النبوية التي أحكمت ترتيب عصر ما بعد النبوة، وكانت العملية سرية، وعندما قعد الرسول

= ٢/ ١٢٨، ومسند أحمد ١/ ٤٠٥.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٦ وما فوق.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٥، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٣٩ ـ ١٤٠.

على فراش الموت قال عمر بن الخطاب والحاضرون من حزبه للرسول مباشرة، لا حاجة لنا بوصيتك حسبنا كتاب الله!!، أنت تهجر[1]!!.

أحاديث الرسول سبب الاختلاف ويجب احراق المكتوب ومنع كتابتها وروايتها:

واخراجاً لبيان الرسول عن التأثير على الأحداث السياسية، والغاء للبيان النبوي الذي غطى بدقة تفاصيل كلّ ما يتعلق بالقيادة من بعد النبي، منع قادة التحالف كتابة أحاديث الرسول وجمعوا المكتوب منها فأحرقوه، وكتبوا إلى الأمصار لمحو كل ما هو مكتوب عن الرسول وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة، وقد فعلوا كل ذلك تحت شعار حسبنا كتاب الله!!

على سبيل المثال، راجع تذكرة الحفاظ للذهبي[2]، حيث يؤكد أبو بكر أن رواية الناس لأحاديث الرسول تسبب اختلافهم، والذي يأمر فيه بعدم التحديث عن رسول الله، وتجد أن أبا بكر بدأ بنفسه وحرق الأحاديث التي كتبها شخصياً عن رسول الله وكان عنده ٥٠٠ حديث، وعندما آلت الخلافة لعمر طلب من الناس أن يأتوه بأحاديث الرسول المكتوبة، فلما أتوه بها حرقها[3]، وحبس عمر عدداً من الصحابة بجرم أنهم أكثروا الحديث عن رسول الله وقد وثقنا ذلك في البحوث السابقة.

وكل هذا كان يجري ضمن اطار شرعي ظاهر يحدد حسبنا كتاب الله، ونسج عثمان على منوال صاحبيه.

---

(١) صحيح البخاري كتاب المرض باب قول المريض قوموا عني ٧/٩، وصحيح مسلم آخر كتاب الوصية ٥/ ٧٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ٩٥، ومسند أحمد ٤/ ٢٥٦ ح٢٩٩٢، وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٨٨ تجد بقية المراجع.
وراجع قول عمر نفسه للرسول «أنت تهجر حسبنا كتاب الله» في سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١، وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٦٢، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٨٩.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢ ـ ٣.

(٣) الطبقات لابن سعد ٥/ ١٤٠.

معاوية بيّن الحكمة من منع كتابتها وروايتها:

معاوية أحد قادة التحالف وموضع ثقة أبي بكر وعمر وعثمان، بعد أن هزم الشرعية وقلم أظافر المعارضة، واستولى بالقوة على مقاليد الأمور وصار ملكاً حقيقياً على أمة محمد بين الحكمة من حرق أحاديث الرسول المكتوبة ومنع كتابة ورواية الأحاديث فأصدر مرسوماً ملكياً إلى كافة عماله على كافة الأقاليم: «أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته»، كما روى ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج نقلاً عن كتاب الأحداث للمدائني[1]، فالحكمة هي ابطال النصوص النبوية المتعلقة بخلافة النبي، وبالدور المميز لأهل بيت النبوة، ثم طور معاوية الحملة على علي بن أبي طالب وأهل البيت حيث حمل عدداً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه وجعل لهم على ذلك حصيلاً، وقد ذكر ذلك شيخ المعتزلة أبو جعفر الاسكافي فيما نقله ابن أبي الحديد[2].

التأثر البالغ:

سمعت بطون قريش ـ مهاجرها وطليقها ـ البيان النبوي فتأثروا تأثراً بالغاً وأدركوا أن الهاشميين سيجمعون النبوة مع الملك، وهكذا تحرم البطون من الشرفين معاً، ويختص الهاشميون الشرفين معاً، وأدركوا أن النبي جاد في ما يقوله، والأعظم فإن محمداً يقول أن هذه الترتيبات والتعيينات من عند الله لأنه يتبع ما يوحى اليه!!

التحرك السريع والقسمة:

وقررت قيادة البطون ـ المهاجرين والطلقاء معاً ـ أن تتحرك، وأن تحول دون تحقيق ذلك، ورفعت شعاراً بدى لها معقولاً، وعرضت قسمة لاح لها بأنها

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٥٩٥ شرح حسن تميم، وكتابنا الخطط.
(٢) النص والاجتهاد للامام شرف الدين العاملي ص٥٠٨ تجد المراجع.

عادلة، فقالت: لتبقى النبوة لبني هاشم لا يشاركهم فيها أحد من البطون، ولتكون الخلافة لبطون قريش وللناس عند الاقتضاء لا يشاركهم فيها هاشمي قط.

دعايات لدعم قسمة البطون:

وفي سبيل اقناع الناس، «باجحاف قسمة الله ورسوله» وعدالة قسمة البطون، أخذ قادة البطون يبثون الدعايات والشائعات سراً التي تهدف الى التشكيك بقول الرسول، وبشخص الرسول، وأن الترتيبات التي أعلنها الرسول ليست من عند الله، انما هي باجتهاده الشخصي وتأويله، اذ من غير المعقول أن يعطي الله النبوة لبني هاشم ثم يعطيهم الملك، ويجمع لهم الشرفينِ معاً، واستمالت هذه الدعايات الكاذبة المنافقين دغدغت أحلامهم بتقويض الإسلام ووجدوها فرصة فمد المنافقون أيديهم القذرة للبطون، وشجعوهم ليمضوا قدماً بمواجهة الرسول، وأدرك طلاب الدنيا أن بطون قريش والمنافقين كوّنوا حزباً قوياً، وأنهم قوة واقعية، قد تنجح فعلاً بانقلابها، وتستولي على السلطة بالقوة.

وتعاطف مع البطون طلاّب الدنيا أيضاً، وانضمت المرتزقة من الأعراب الى هذا التجمُّع، وصار هذا التحالف الواقعي والغير معلق عنه، والمكوّن من بطون قريش، ومن المنافقين، ومن طلاب الدنيا، ومن المرتزقة من الأعراب قوة هائلة.

وصارت الفئة المؤمنة الصادقة أقلية، وسط بحر هذا التجمُّع، وقد سمع المؤمنون الصادقون بدعايات البطون وشائعاتهم، فظنوها نفثات الصدور، وسمعوا بالتقارب الذي حدث بين بطون قريش والمنافقين والمرتزقة من الأعراب، ولكنهم لم يعطوا أهمية، فطوال تاريخ الدعوة والدولة الاسلامية كان المؤمنون أقلية، وشكل المنافقون الأكثرية، ولكن المؤمنون كانوا هم الفائزون، وكلمتهم في المجتمع هي العليا، وقيادة البلاد بأيديهم.

وجود فكرة الانقلاب لم تخطر على البال:

لم تخطر فكرة وجود انقلاب على البال، ولا خطرت وجود قاعدة شعبية لهذا الانقلاب، ولا وجود قيادة للانقلابيين، ولا وجود خطط لهذا الانقلاب،

ولم يخطر ببال أحد أن قادة الانقلاب سيواجهون الرسول وهو في بيته المقدس ويقول له وبكل جرأة: «لا حاجة لنا بوصيتك ولا بكتابك، عندنا كتاب الله يكفينا أنت تهجر يا محمد»[1]!!

(1) تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي، ص٦٢، وراجع سر العالمين وكشف ما في الدارين لحجة الإسلام أبو حامد الغزالي ص٢١، وراجع على سبيل المثال صحيح البخاري ٧/ ٩، ٤/ ٣١، ١/ ٣٧، ٥/ ١٣٧، ٢/ ١٣٢، ٤/ ٦٥ ـ ٦٦، وصحيح مسلم ٥/ ٧٥، ٢/ ١٦، وصحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ٦٥، ١١/ ٩٤، وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٣، ١٩٢، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٢، ٣/ ٢٨٦، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٦/ ٥١، وراجع تحليلنا للمواجهة في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام ص٢٨٨ وما فوق.

الفصل الثاني:

توقيت الإعلان عن وجود الإنقلاب

مرض رسول الله ليس مفاجأة، لقد أعلن رسول الله مراراً وتكراراً بأنه سيمرض في ذلك العام، ويموت في مرضه لأنه قد خيّر فاختار ما عند الله، فقال للناس في حجة الوداع لعلي: لا ألقاكم بعد عامي هذا، وقال للناس في غديرخم: يوشك أن أُدعى فأُجيب. . لقد قعد رسول الله على فراش المرض، في بيت عائشة أم المؤمنين، وأحيط الناس علماً بأن الرسول سيموت من مرضه هذا، كل شيء واضح تماماً، أكمل الله الدين وأتم النعمة، ولقد جرت العادة أن تجتمع الأسرة عند مريضها، وأن تستمع اليه، فيلخص لها الموقف. وجرت العادة أن تجتمع علية القوم عند زعيمهم إذا مرض مرض الموت ليلخص لهم الموقف وليعبّروا له عن ارتباطهم به، وعن تقديرهم لجهده المميز الذي بذله طوال فترة قيادته لهم، هذا أمر طبيعي قد ألفته البشرية كلها، وحدث ويحدث مع كل أرباب الأسر وزعماء العالم فكيف بسيد ولد آدم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو قائد الدعوة وقائد الدولة، العارف بماضيه وحاضره ومستقبله المشفق على أمته الرؤوف الرحيم بها؟! فهو الأولى بتلخيص الموقف، واصدار توجيهاته النهائية بالوقت الذي يراه مناسباً، ولِمَ لا فمحمد سيبقى رسمياً رسول الله ومتمتعاً بحقوق الرسالة حتى يلفظ آخر أنفاسه الطاهرة، ويبقى قائداً للدولة واماماً وولياً للأمة ومتمتعاً بكافة صلاحياته حتى اللحظة التي تصعد فيها روحه الطاهرة إلى بارئها عز وجل!!.

ثم إن رسول الله كان يقعد على فراش مملوك له، وداخل بيته المملوك له لا في بيوت الناس، ومن حق المريض أي مريض على الاطلاق أن يقول ما

يشاء!! ومن حق صاحب البيت ـ أي صاحب بيت أنه يقول داخل بيته ما يشاء، هذا حق طبيعي للانسان تعارفت عليه البشرية واحترمته على مختلف ألوانها ومعتقداتها، ومحمد كسيد ولد آدم وكانسان هو الأولى بممارسة هذا الحق!!

ثم إن محمد رسول الله على صلة دائمة بالله تعالى، وعلى ارتباط عميق بالوحي والملائكة تنزل وتصعد في كل لحظة، وأهل السماء في شغل شاغل لتغطية حدث موته وهو يعي وعياً تاماً ما يدور حوله، ومتأثر بحفاوة أهل السماء به!!

ثم إن محمداً بهذا الوقت يخطط ويعبىء ويشرف على تسيير جيش أسامة للاصطدام مع احدى القوتين الأعظم في العالم آنذاك!!

ومن كانت حاله كحالة النبي هذه، لا يمكن أن يكون قاصراً، ولا يمكن أن يكون بحاجة إلى توجيهات رعاع العرب، وليس مجنوناً، أو فاقداً للسيطرة على نفسه، ولا هاجراً أو يهجر، كما زعم عمر بن الخطاب، والانقلابيون الذين اقتحموا عليه الغرفة المقدسة!!

الرسول يضرب موعداً لكتابة توجيهاته النهائية:

من المؤكد أن رسول الله، قد حدد موعداً لكتابة توجيهاته النهائية، وتلخيصه للموقف، ومن المؤكد أنه قد طلب حضور عدد من أهل ثقته ومن خواصه ليشهدوا كتابة توجيهاته، حتى يكونوا عوناً لولي الأمر من بعده، وحجة على خصمه، فمحمد ليس رجلاً عادياً، انما هو خيرة الله من خلقه، ورسول الله، وولي الأمة، وقائد دولتها، فمن غير الممكن عقلاً أن لا يستحضر أحداً عند كتابة توجيهاته النهائية.

من الذي أخبر عمر بن الخطاب عن هذا الموعد:

طالما أن الرسول قد حدد الموعد داخل بيته، ولم يعلم به إلا أهل بيت النبوة وزوجات الرسول فكيف عرف عمر بن الخطاب بهذا الموعد المحدد حتى جاء اليه ومعه حشد هائل من أنصاره ومن قادة التحالف ليحولوا بين رسول الله

وبين كتابة توجيهاته النهائية؟ ومن الذي أخبر عمر عن مضمون التوجيهات النهائية حتى عرفها تماماً وحشد حشده؛ اعترف عمر بن الخطاب في ما بعد قائلاً: «لقد أراد رسول الله في مرضه أن يصرّح باسم علي بن أبي طالب فمنعته»[1].

مما يعني: أن عمر عرف وقت كتابة التوجيهات النهائية، ومضمون هذه التوجيهات من مصدر ما داخل بيت الرسول!! عندئذٍ كانت مع عمر المدة الكافية ليجمع قادة التحالف، ويخبرهم بالموعد وبالمضمون معاً ويتفق واياهم على خطة للحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد. فمن هو هذا المصدر من بيت الرسول الذي أنبأ عمر بموعد كتابة التوجيهات النهائية وبمضمون هذه التوجيهات؟

المصدر الذي أخبر عمر بالموعد:

هذا المصدر أو المخبر يكره عليَّ بن أبي طالب بالضرورة، ويعارض خلافة علي للنبي، وتربطه بعمر وبأبي بكر علاقة قوية جداً ومميزة!! ومن المستحيل استحالة مطلقة أن يكون من أهل بيت النبوة، إذن لا بد أن يكون أحد الخدم، أو احدى زوجات الرسول، والخدم لا يجرؤون اطلاقاً على مثل هذا العمل الخطير، فيبقى الاحتمال المؤكد أن احدى زوجات الرسول قد أطلعت عمر على وقت كتابة التوجيهات وعلى مضمون هذه التوجيهات لأنها سمعت الرسول يتكلم بذلك مع علي بن أبي طالب.

وبهذه الحالة تقفز الى الذهن حفصة زوجة الرسول وابنة عمر بن الخطاب، وتقفز عائشة زوجة الرسول وابنة أبو بكر، قال الواقدي في مغازيه: إن أبا بكر وعمر لا يفترقان، وأن عائشة وحفصة ابنتاهما كانتا معاً. ربما كانتا معاً قد أخبرتا عمر، أو كانت احداهما قد أخبرت عمر عن موعد كتابة التوجيهات النهائية وعن مضمون هذه التوجيهات.

وقد أخبرنا الله تعالى عن تظاهر زوجتين من زوجات الرسول عليه فقال

---

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد ج٣ ص١٠٥، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٤٢.

﴿وإنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فإنَّ الله هُوَ مَوْلاهُ﴾[1]. . وقال عمر بن الخطاب في ما بعد أن اللتين تظاهرتا على الرسول هما حفصة وعائشة، هكذا أخرج البخاري في تفسير هذه الآية[2]، وأن الله سبحانه وتعالى طلب منهما أن تتوبا إلى الله، والتوبة لا تطلب إلا من المذنب[3].

واتلو ما أنزل الله تعالى: ﴿إنْ تَتُوبا الى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾[4]. . قالت عائشة للنبي يوماً: «أنت الذي تزعم أنك رسول الله»[5]، ولهما ضرب الله مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط[6]. كل هذا يرجح أن تكون احداهما قد أخبرت عمر بموعد كتابة التوجيهات النهائية وبمضمون هذه التوجيهات. ولكن من منهما؟ لنتابع استقراءنا للنصوص:

روى البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد والسير) باب ما جاء في أزواج الرسول عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: «قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: «ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة - ثلاثاً - من حيث يطلع قرن الشيطان» راجع صحيح بخاري مطابع الشعب ج٤ ص١٠٠!!!

وفي لفظ آخر خرج رسول الله من بيت عائشة فقال: «رأس الكفر من ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان»[7]. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الرسول كان مريضاً في بيت عائشة وأن المواجهة بين الرسول وبين عمر بن الخطاب تمت في بيت عائشة قرب الاحتمال أن تكون عائشة زوج النبي هي التي أخبرت عمر بن

---

(١) سورة التحريم آية ٤.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٣٦، ٣/ ١٣٧.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٦٦، وتفسير الرازي ٨/ ٣٣٢، والدرّ المنثور للسيوطي ٦/ ٢٣٩، ٢٤٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٧٧، ١٨٨، وفتح الغدير للشوكاني ٥/ ٢٥٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٨٧، ٣٨٨.

(٤) سورة التحريم آية ٤.

(٥) آداب النكاح من الاحياء ٢/ ٣٥ لمحمد الغزالي، وذكره في مكاشفة القلوب باب ٩٤ ص٢٣٧.

(٦) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٢، وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٢٥٥.

(٧) صحيح مسلم كتاب الفتن باب الفتنة من المشرق ٢/ ٥٦٠، ١٨/ ٣١ - ٣٣ بشرح النووي.

الخطاب عن موعد كتابة التوجيهات النهائية، وعن مضمون هذه التوجيهات!! وعلى أثرها استعد عمر وحشد عدداً كبيراً من أعوانه فكسروا خاطر النبي الشريف وحاولوا بينه وبين كتابة ما أراد.

ومن جهة أخرى، فإن عائشة أم المؤمنين كانت تكره الإمام علي وتحقد عليه ولا تطيق ولا تحتمل أن تلفظ حتى اسمه بدليل:

أ ـ عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله واشتد به وجعه.. فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض بين ابن عباس «تُعنى الفضل» وبين رجل آخر قال عبيد الله فأخبرت عبد الله بن عباس بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت لا. قال: ابن عباس هو علي بن أبي طالب ثم قال: ان عائشة لا تطيب لها نفساً بخير»[1].

ب ـ عن عطاء بن يسار قال: جاء رجل فوقع في علي وفي عمار عند عائشة فقالت عائشة: «أما علي فلست قائلة لك فيه شيء وأما عمار فقد سمعت رسول الله يقول فيه «لا يخير بين أمرين إلا اختار أرشدهما»[2].

ج ـ وفي ما بعد خرجت على الإمام علي، وحاربته ونبحتها كلاب الحوأب، بدعوى المطالبة بدم عثمان مع أنها هي التي أفتت بقتله[3].

ومع أن عائشة قد خسرت حربها، ووقعت أسيرة بعد أن ثارتها فتنة عمياء إلا أن الإمام علي أكرمها وأعادها معززة مكرمة لما قتل عثمان كانت تتصور أن الناس سيبايعون ابن عمها طلحة قال البلاذري في أنساب الأشراف[4]: «كانت

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٢٩ بسند صحيح ط ليدن، ٢/ ٢٣٢ طبعة دار صادر بيروت، وصحيح البخاري باب مرض النبي ووفاته ٥/ ١٣٩ ـ ١٤٠ طبعة دار الفكر «ولكن البخاري حذف لا تطيب لها نفساً بخير»، وراجع السيرة الحلبية ٣/ ٣٣٤.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ١١٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٢، وشرح النهج تحقيق أبي الفضل ٦/ ٢١٥ ـ ٢١٦، وتذكرة الخواص ص٦١، ٦٤، وتاريخ الطبري ٤/ ٤٠٧، والكامل لابن الأثير ٣/ / ٢٠٦.

(٤) أنساب الأشراف ص٢١٧.

عائشة في مكة حين بلغها قتل عثمان، ولم تكن تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر فقالت بعداً «لنعثل» أي لعثمان وسحقاً، ايه ذا الاصبع أبا شبل ايه يا ابن عم لكأني أنظر الى أصبعه وهو يبايع»، تعني بذلك ابن عمها طلحة.

ولما علمت أن طلحة لم يُبايع، وأن الناس قد اجتمعوا على علي بن أبي طالب صعقت فقالت «والله، ليت أن هذه انطبقت على هذه» أي انطبقت السماء على الأرض ثم قالت ردوني ردوني وقادت فتنتها العمياء بالتعاون مع طلحة والزبير أكثر المؤلبين على عثمان للمطالبة بدم عثمان[1]!!

د ـ ومع أن الإمام علي أكرمها وأعادها معززة إلى بيتها التي خرجت منه وقد أمرت أن تقرَّ فيه إلا أنه لما بلغها موت الإمام علي «سجدت لله شكراً»[2].

قـــد قيـــل تبـــت وعلـــي غمضـــا فلـــم سجـــدت الشكـــر لمـــا قُبعـــا

راجع النص والاجتهاد للإمام العاملي ص٤٥٧.

هذه طبيعة مشاعر أم المؤمنين نحو علي بن أبي طالب، فمن الطبيعي أن تتحالف مع أي كان لصرف الأمر عنه» ومن الطبيعي أن تخبر عمر وأبا بكر عن موعد كتابة التوجيهات النبوية النهائية وعن مضمون هذه التوجيهات وأن تشترك معهما باتخاذ كل ما يلزم للحيلولة بين الإمام علي وحقه الشرعي بالقيادة من بعد النبي، وهي تعلم علم اليقين أن علي هو صاحب الأمر شرعاً من بعد النبي.

هـ ـ ولكن كيف تحب من قتل أولاد عمها في بدر، انها تكره علي وتكره ذريته. فعندما أرادوا دفن ابن النبي الحسن بن علي بجانب جده رسول الله، ركبت عائشة بغلاً، واستعونت بني أمية ليحولوا بين الحسن وبين أن يدفن بجانب جده، راجع ترجمة الحسن من مقاتل الطالبيين، وجاءها القاسم بن محمد بن أبي بكر وقال لها «يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر أتريدين أن يقال «يوم

---

(١) الغدير للعلامة الأميني ج٩ ص٢٠، والنص والاجتهاد للامام العاملي ص٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي فرج الأصفهاني ص٤٣، وكتاب الجمل للشيخ المفيد ٨٣ ـ ٨٤.

البغلة الشهباء» ولولا حكمة الحسن لأثارتها ثانية فتنة عمياء»[1]. فعلت كل هذا وقد أذنت أن يدفن أبيها، وعمر بن الخطاب مع أن الدار لرسول الله لا لها، ولها منها ٩/١ الثمن فقط وفي ذلك يقول القائل:

تجمّلـــــــت تبغلّـــــــتِ ولـــــو عشـــــت تفيّلـــــت
لـــــك التســـع مـــن الثمـــن وبـــالكـــل تملّكـــتِ

و ـ والسيدة التي تفعل كل هذا يهون عليها أن تخبر عمر بن الخطاب وقادة التحالف عن موعد كتابة التوجيهات النبوية النهائية وعن مضمون هذه التوجيهات.

ز ـ والمكانة التي تمتعت بها عائشة في عهدي أبي بكر وعمر، تجعلنا نجزم بأنها هي التي أخبرتهما بموعد ومضمون التوجيهات النبوية الإلهية، حتى أعدا العدة، وحالا بين الرسول وبين كتابة ما أراد، وكسرا خاطره الشريف.

فلا أحد من المسلمين والمسلمات كان يأخذ عطاء أكثر من عائشة، وحفصة فلكل واحدة منهما اثنى عشر ألفاً فهما مميزتان على نساء الرسول اللواتي أعطيت لكل واحدة منهن عشرة آلاف.

وكلمة عائشة عند عمر كانت أمراً، أنظر الى قوله: «ومن تأمرني أن أستخلف» ذلك أنه لمّا طعن عمر أرسل ابنه عبد الله بن عمر ليستأذن عائشة فيدفن في بيت الرسول الى جانبه وجانب أبي بكر، فقالت عائشة حباً وكرامة، ثم قالت لعبد الله بن عمر «يا بني ابلغ عمر سلامي وقل له لا تدع أمة محمد بلا راعٍ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة! عندئذٍ قال عمر: ومن تأمرني أن أستخلف»[2]!!

فلو أمرته أم المؤمنين أن يستخلف أعرابياً من البادية لفعل، فهو مدين لها بمنصب الخلافة، فلو لم تخبره بموعد ومضمون التوجيهات النبوية النهائية لسار الأمر سيراً طبيعياً ولما اختلف اثنان في ما بعد.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي، والنص والاجتهاد للإمام العاملي ٤٥٧ ـ ٤٥٨.
(٢) على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١/ ٢٢.

والخلاصة وعلى ضوء ما ذكرنا: فإن عائشة أم المؤمنين هي المصدر أو المخبر الذي أخبر عمر بن الخطاب وقادة التحالف بموعد كتابة التوجيهات النبوية النهائية وبمضمون هذه التوجيهات، مما أعطى عمر الوقت والفرصة ليجمع قادة التحالف ويقتحم بهم بيت رسول الله فيحولوا بينه وبين كتابة ما أراد.

الإعلان عن وجود انقلاب وعن وجود قاعدة شعبية تدعم هذا الإنقلاب:

منذ اعلان النبوة والرسالة، وبطون قريش بحركة دائمة لا يعتدلها، ولا يستقيم لها حال، وهمها الأعظم صرف شرف النبوة عن محمد الهاشمي، والحيلولة بين العرب وبين الاعتراف بهذه النبوة، لا كراهية بالدين الجديد، فليس في الدين الجديد ما تعافه النفس البشرية، ولكن حسداً لبني هاشم، وبعد مقاومة ضارية، وحرب ضروس دامتا ٢١ عاماً قتل الهاشميون خلالهما خيرة أبناء بطون قريش، صارت البطون تحقد على محمد والهاشميين لأنهم قتلة الأحبة وهكذا جمعت البطون مع الحسد لبني هاشم الحقد عليهم، وفوجئت البطون بجيش جرار قوامه عشرة آلاف مقاتل يغزوها في عقر دارها بقيادة محمد والهاشميين، فاستسلمت، وتلفظت بالشهادتين، ولكن الحسد والحقد على بني هاشم كانا قداستقرا في نفوس أبناء البطون نهائياً. ولم ينقب الرسول الكريم عما في نفوس البطون بل اكتفى بالظاهر لأن البواطن اختصاص الهي، وفتح النبي صفحة جديدة، وقالت البطون أنها قد نسيت الماضي، وأسفت عليه وأنها تفتح صفحة جديدة أيضاً. وكان فتح مكة فرصة لالتقاء أبناء قبيلة قريش، المهاجر منهم والطليق، وفرصة لتذكر الأحبة الذين قُتلت أكثريتهم على يد الهاشميين وبسبب محمد، وكانت فرصة لتذكر الصيغة السياسية القائمة على اقتسام مناصب الشرف بين البطون، وعلى التوازن والتعادل في ما بينها.

وركّز النبي تركيزاً خاصاً على منصب القيادة من بعده على اعتبار أنه النظام الواقعي الأمثل الذي يُبقي جموع المسلمين داخل اطار الشرعية والمشروعية، وبأمر من ربه قدم الرسول علي بن أبي طالب كأول امام وقائد للأمة من بعده.

المواجهة في الموعد المحدد وسببها المباشر:

حضر الذين اصطفاهم النبي ليكتب أمامهم التوجيهات النهائية وليلخص أمامهم الموقف، وفجأة حضر عمر بن الخطاب ومعه قادة التحالف وعدد كبير من أعوانه، الذين اتفق معهم عمر على خطة تحول بين النبي وبين كتابة ما أراد. وحضور أعوان عمر لم يكن بالحسبان،!! كيف يفعل النبي أمام هذه المفاجأة؟ هل يلغي الموعد، ويضرب موعداً جديداً، أو يمضي قدماً الى حيث أمره الله؟، لقد اختار النبي الحل الأخير فقال:

«قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، وفي رواية ثانية: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، وفي رواية ثالثة «ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، وفي رواية أخرى «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً»، وفي رواية خامسة «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، وفي رواية سادسة قال «ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً»، وفي رواية سابعة قال الرسول «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده».

هذا ما قال الرسول حسب كل الروايات، وهذا سبب المواجهة المباشر بين الرسول وعمر بن الخطاب وحزبه.

هل هذا السبب يوجب المواجهة مع الرسول؟

أنظر ملياً الى هذه الروايات السبع التي أُسندت للرسول: هل فيها خطأ؟ هل فيها غلط!! هل فيها اساءة لأحد!! من يرفض التأمين ضد الضلالة، ولماذا، ولمصلحة من هذا الرفض؟ ثم إن الرسول في بيته، ومن حق الإنسان أن يقول داخل بيته ما يشاء، ثم إن الرسول مسلم ومن حق المسلم أن يوصي، والذين يسمعونه أحرار في ما بعد بإعمال أقواله أو اهمالها ثم ان الرسول ما زال رسولاً وقائداً للدولة وسيبقى حتى تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها متمتعاً بصلاحياته كرئيس. انه وبكل المعايير العقلية والانسانية والدينية لا يوجد ما يبرر مواجهة

الرسول بسبب قوله «هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً» بل إن المؤمن الصادق يستجيب لله ولرسوله، ويفرح بهذا العرض الذي يحصن الأمة ضد الضلالة أبداً!!!

قائد التحالف عمر بن الخطاب يتصدّى للنبي:

ما أن أتم رسول الله جملته: «قربوا أكتب لكم كتاباً..» حتى تصدى له عمر بن الخطاب وقال متجاهلاً النبي وموجهاً كلامه للحاضرين «إن النبي يهجر وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله»[1].

قادة التحالف يرددون خلف عمر:

وما أن أتم عمر كلامه حتى قال أعوانه بصوت واحد متجاهلين وجود الرسول وموجهين كلامهم للحضور: «هجر رسول الله، إن رسول الله يهجر، ما شأنه أهجر؟ استفهموه؟، ماله أهجر؟ استفتموه؟ وردد أتباع عمر مع كل جملة من الجمل الأربعة قافية «القول ما قال عمر» متجاهلين بالكامل وجود الرسول.

الحضور من غير حزب عمر:

صعق الحضور من غير حزب عمر من هول ما سمعوا فقالوا: قربوا يكتب لكم الرسول؛ ويرد عمر عليهم متجاهلاً وجود النبي: «إن النبي يهجر، وعندنا كتاب الله حسبنا كتاب الله»، ـ وعلى الفور ـ يضج أتباعه بالقافية: القول ما قال عمر إن النبي يهجر، ماله استفهموه أهجر؟ ما شأنه أهجر!!

النسوة يتدخلن في الأمر:

قال ابن سعد في طبقاته[2]: «لما مرض الرسول قال: «ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، قالت النسوة: ألا تسمعون رسول الله

(١) تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.
(٢) الطبقات لابن سعد ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

قربوا.. فقال عمر: إنكن صويحبات يوسف، فقال الرسول: «دعوهن فإنهن خير منكم» يبدو أن النساء المتجمعات في بيت رسول الله بمناسبة مرضه سمعن اللغط والمشادّة بين عمر وأتباعه من جهة، الذين يحاولون بكل ما أُوتوا من قوة أن يحولوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد وبين المؤمنين الصادقين الحاضرين الذين استجابوا لله وللرسول، فعندئذٍ تجمعن أمام الباب أو من وراء الستر، وتعجبن مما يفعل عمر وحزبه فقلن.. عندئذٍ نهرهن عمر وقال أنتن صويحبات يوسف فرد الرسول عليه ذلك الرد الموجع.

نتيجة تصرفات عمر وحزبه:

كثر اللغط، وكثر اللغو، وكثر الاختلاف، وارتفعت الأصوات، وتنازع الفريقان، فريق عمر، والفريق الذي يؤيد الرسول وسمعت النساء بما جرى وهتفن: ألا تسمعون رسول الله وصاح عمر وحزبه بالنساء ورد الرسول على عمر وحزبه رداً موجعاً، وصارت الكتابة بهذا الجو مستحيلة، لأن عمر وحزبه كانوا على استعداد لفعل أي شيء يحول بين الرسول وبين كتابة ما أراد، وقد أدرك الرسول ذلك ورأى الكثرة التي جلبها لهذه الغاية.

الرسول يحسم الموقف وينصرف الجميع:

رأى رسول الله كثرة حزب عمر، واصرارهم على فعل أي شيء للحيلولة دون الرسول ودون كتابة ما أراد، فلو أصرّ الرسول على كتابة ما أراد، لأصر عمر وحزبه على اثبات هجر رسول الله، مع ما يجره هذا الإتهام من عواقب مدمرة للتشكيك بكل ما قاله الرسول، وبما أن اللغط والاختلاف، وارتفاع الأصوات عند النبي قد كثر، وحدثت مشادة كادت تؤدي للتنازع، بل وبدأ التنازع فعلاً، لذلك رأى رسول الله أن يصرف النظر عن كتابة توجيهاته النهائية، وتلخيصه للموقف، وحسم موضوع هذا التجمُّع، فعندما وصل الأمر بالنساء لانتقاد تصرفات عمر، ورد عمر وحزبه على النساء متهمين اياهن «بأنهن صويحبات يوسف»، تكلم

رسول الله وأجاب عمر وحزبه «بأنهن خير منكم»[1]، وقال الرسول: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه»، أو «ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه»، أو قال: «قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع»، أو قال: «قوموا عني». وهذا ما تمناه عمر وحزبه، فبعدما نجح عمر وحزبه بالحيلولة دون رسول الله وكتابة ما أراد، فقد تحققت الغاية من اقتحامهم لبيت الرسول، ولم يعد ما يوجب البقاء[2].

لماذا استمات عمر وحزبه ليحولوا بين الرسول وكتابة ما أراد؟

لقد اعترف عمر في ما بعد، بأنه وحزبه لم يحولوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد لأن المرض قد اشتد به، أو لأن القرآن وحده يكفي كما زعموا يومها، انما صدوا النبي عن كتابة ما أراد حتى لا يجعلوا الأمر لعلي بن أبي طالب[3]!!

حوادث مشابهة ومكر الليل والنهار!!:

مرض أبو بكر:

مرض أبو بكر مرضاً شديداً قبل أن يموت، دعى أبو بكر عثمان قبيل وفاته بقليل ليكتب توجيهاته النهائية، وطلب من عثمان ألا يسمع أحد وقال لعثمان اكتب: «اني قد وليت عليكم.. ـ فأغمي على أبي بكر من شدة الوجع ـ فكتب عثمان اسم (عمر) «اني قد وليت عليكم عمر» فلما أفاق أبو بكر من غيبوبته،

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٢) صحيح البخاري كتاب المرض باب قول المريض قوموا عني ٧/ ٩، وصحيح مسلم في آخر كتاب الوصية ٥/ ٧٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ٩٥، ومسند الإمام أحمد ٤/ ٣٥٦، ح٢٩٩٢، وصحيح بخاري ٤/ ٣١، وصحيح مسلم ٢/ ١٦، ومسند أحمد ٣/ ٢٨٦، و١/ ٣٥٥، وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٢، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣٢٠، وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

(٣) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٣/ ١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى مصر وبيروت، ٢/ ٧٩ سطر ٣ بتحقيق أبو الفضل، ٣/ ٨٠٢ طبعة مكتبة الحياة، ٣/ ١٦٧ طبعة دار الفكر، كتابنا نظرية عدالة الصحابة.

طلب من عثمان أن يقرأ له ما كتب، فقرأ عثمان، فسر أبو بكر وقال: «لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها». وأصغى المسلمون لأبي بكر ونفذوا تعليماته وعاملوه بكل التوقير والاحترام ولم يقولوا إن أبا بكر هجر، ولا قالوا إن المرض قد اشتد به، ولا قالوا حسبنا كتاب الله[1].

عندما أراد أبو بكر أن يكتب توجيهاته النهائية وهو مريض وقبيل وفاته كان عمر جالساً مع الصفوة التي اختارها أبو بكر ليشهدوا كتابة توجيهاته النهائية ومعه شديد مولى أبي بكر حاملاً للصحيفة.

فكان عمر يقول: «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله، انه يقول اني لم آلكم نصحا[2]».

قارن بين موقف عمر وحزبه من رسول الله وموقفهم من أبي بكر، لم يقل عمر إن أبا بكر قد اشتد به الوجع، مع أن وجع أبي بكر أشد من وجع الرسول!! ولم يقل عمر: «إن أبا بكر قد هجر كما قال هو وحزبه عن الرسول!!» ولم يختلف الحضور ولم يتنازعوا ولم يكثر اللغط ولم تتدخل النساء، إن هذا لأمر عجاب!! هل لأبي بكر قيمة عند عمر وحزبه وقداسة أكثر من قيمة الرسول وقداسته!! أجب كما يحلو لك!!

مرض عمر:

طُعن عمر بن الخطاب، قال طبيبه: لا أرى أن تمسى فما كنت فاعلاً فافعله، واشتد بعمر الوجع، وقال: لو أن لي ما اطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع!!، الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر!! وقال لابنه عبد الله ضع خدي على الأرض لا أم لك[3]!!

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٩، وسيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٥، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام، ص١٥٩.

(٢) تاريخ الطبري، ط أوروبا ١/ ٢١٣٨.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٢١ ـ ٢٢، والطبقات لابن سعد ٢/ ٣٦٤، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١١٩، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٦٧ـ٣٦٩.

ومع هذا كتب عمر توجيهاته النهائية وعهد لستة نظرياً وعهد لعثمان عملياً، وأمر بضرب عنق من يخالف تعليماته النهائية[1].

لقد كتب عمر ما أراد؛ ولم يعترضه أحد، ولم يقل أحد إن المرض قد اشتد بعمر، مع أن المرض قد اشتد به فعلاً أكثر مما اشتد المرض برسول الله!! ولم يقل أحد أن عمر يهجر كما قال ذلك عمر وحزبه لرسول الله، ولم يقل أحد عندنا كتاب الله وهو يكفينا ولا حاجة لوصيتك، انما عُومل عمر بكل التوقير والتقديس والاحترام، ونفذت تعليماته النهائية حرفياً كأنها كتاب منزّل من عند الله وأكثر!! فهل لعمر وأبي بكر قداسة عند الناس أكثر من رسول الله!! وبأي كتاب أُنزل بأن الاثنين أولى بالاحترام والطاعة من رسول الله!! أجب بما يحلو لك، فإنك لن تغيّر الحقيقة المرة!!

لم يصدف طوال التاريخ:

لم يصدف طوال التاريخ أن عُومل ولي الأمر سواء أكان خليفة أو ملكاً وهو مريض بالقسوة والجلافة التي عومل بها رسول الله!!، ولم يصدف أن اعترض المسلمون أي خليفة إذا أراد أن يكتب تعليماته النهائية أو يستخلف من بعده بل على العكس، قال ابن خلدون في مقدمته «إن الخليفة ينظر للناس حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته ويقيم لهم من يتولى أمورهم من بعده»[2].

لم يقل أحد لأي خليفة «قد اشتد به الوجع!! ولم يقل أحد انه قد هجر!! ولم يقل أحد عندنا كتاب الله حسبنا، كما قيل لرسول الله فهل للخليفة وقار عند المسلمين أكثر من الرسول!! وهل له مكانة أعظم من مكانة الرسول!! إن هذا لأمر عجاب!! أجب بما يحلو لك!، لقد قالوها بصراحة أن الخليفة أعظم من الرسول[3].

---

(١) الطبقات لابن سعد ٣/ ٢٤٧، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ١٨، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص١٧٧، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٨٢ وما فوق.

(٣) تاريخ ابن كثير ١٠/ ٧، ٨، وسنن أبي داود ٤/ ٢١٠ ـ ٢٠٩، الحديث ٤٦٤٢، ومروج الذهب للمسعودي ٣/ ١٤٧، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٥/ ٥٢، ٥/ ٥١، وتاريخ الطبري ٥/ ٦١ حوادث =

الإعلان عن وجود انقلاب، وقاعدة شعبية له:

موقف عمر وحزبه في الحجرة المقدّسة، وقولهم للنبي: (أنت تهجر) وحيلولتهم بين النبي، وبين كتابة ما أراد، والحشد الذي جمعه عمر واقتحم به بيت رسول الله، ونجاحه بالحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد واعلانه رسمياً بتأييد من حزبه أن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لرسول الله ولا لتوجيهاته هو بمثابة اعلان عن وجود انقلاب تدعمه قاعدة شعبية وبأن الانقلابيين سيستولون قريباً على السلطة بالقوة، وأنباء المواجهة التي جرت في حجرة الرسول بين الرسول ومن والاه من جهة وبين قائد الانقلاب عمر بن الخطاب ومن والاه من جهة أخرى شقت طريقها بكل تفاصيلها الى أسماع أهل المدينة وما حولها من الأعراب، وسمع بها المنافقون، وشعروا بالسعادة لأنها بشائر انهيار الإسلام ونظامه السياسي بالنسبة لهم، واغتبط المنافقون لأن عمر وحزبه كسروا خاطر الرسول وقالوا له: (أنت تهجر)، وحالوا بينه وبين كتابة ما أراد، وارتفعت أسهم عمر وقادة التحالف عند المنافقين ارتفاعاً عظيماً. وتذكر المنافقون أن عمر بن الخطاب وطلحة من قادة التحالف بعد أن فروا من معركة أُحُد وأُشيع بأن النبي قد قتل، قالوا «ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبي سلول ـ زعيم المنافقين ـ ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا» كما سنوثق ذلك[1]، وسنسوق عشرات المصادر في ما بعد. وشعر المنافقون بالارتياح؛ لأن ذلك النفر هم (قادة الانقلاب)، وتصور المنافقون أن الفرج عليهم قريب!!.

= ٨٩، وابن كثير ٩/ ٧٦، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية ٣٨٥ ـ ٣٨٧.

(١) النص والاجتهاد ص٣٢٧.

الفصل الثالث:

تنفيذ الإنقلاب

موعد تنفيذ الانقلاب المناسب:

بعد نجاح الإنقلابيين بمواجهتهم مع النبي، وحيلولتهم دون الرسول وكتابة ما أراد، وبعد أن تلقى الناس نبأ المواجهة غير المتوقع وتأكدوا من وجود انقلاب على الشرعية الإلهية، وبعد أن بهر الانقلابيون المنافقين، واقتنع طلاب الدنيا المرتزقة من الاعراب أن ميزان القوى الى جانب الانقلابيين، وبعد تفكير عميق قرر الانقلابيون أن يكون موعد تنفيذ الانقلاب خلال الفترة الزمنية الممدودة الواقعة بين وفاة النبي وبين دفنه وهي فترة انشغال آل محمد وبني هاشم بمصابهم الجلل برسول الله، واعدادهم واستعدادهم لتجهيزه ودفنه، إذ لو حضر آل محمد، وكان هنالك تكافؤ فرصة لتمكن الإمام علي من اقامة الحجة على الانقلابيين، واذا تصدى له الانقلابيون كأشخاص فإنه سيسحقهم سحقاً، والحل الأمثل أن ينفذ الانقلاب خلال الفترة التي حددوها وفي غياب آل محمد، حتى يتمكن الانقلابيون من تنصيب خليفة يزفه أعوانه وأنصاره زفاً ويفاجؤون آل محمد بأمر واقع، فإذا اعترض آل محمد عندئذٍ يصورهم الانقلابيون بصورة الخارجين على الجماعة الشاقين لعصا الطاعة، ويصورهم قادة الانقلاب بصورة طلاب زعامة وهكذا يستخفون الناس، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويتلاعبون بعواطف السذج فإذا خطر ببال علي أو آل محمد أن يقاوموا وأن يستعملوا القوة، فلن يكون عمر أو غيره من قادة الانقلاب مضطراً لمواجهة علي بل يسلط على الإمام مجموعة من الغوغاء فيحيطون به ويقبضون عليه، وإذا تجاوز حدوده يقتلونه،

وإذا تعاضد مع أهل البيت وآل البيت متعاضد عندئذٍ يسلط الانقلابيون عليهم قبيلة من المرتزقة، وخلال مدة محدودة تكون نساء آل محمد سبايا، وأموالهم غنيمة لتلك القبيلة، وهكذا نجح الانقلابيون بتحديد الوقت المناسب.

خطوات تنفيذ الانقلاب وتوزيع الأدوار:

من اللحظة التي قعد فيها رسول الله على فراش المرض، استنفر الانقلابيون قاعدتهم الشعبية، وقامت قيادة الانقلاب بتحديد الخطوات، وتوزيع الأدوار على القيادة والقواعد الشعبية، بحيث ينجح الانقلاب، ويتم تنصيب خليفة خلال الفترة الواقعة بين وفاة النبي وبين دفنه، فيواجه آل محمد بواقع لا قبل لهم بتبديله، أو تعديله أو تغييره.

الخطوة الأولى: المواجهة مع النبي داخل بيته:

لما علم الإنقلابيون من مصدر موثوق أن النبي يريد أن يكتب توجيهاته النهائية، جمع عمر بن الخطاب حشداً كبيراً من رجاله، واقتحم بهم بيت النبوة، وعندما أراد النبي أن يكتب توجيهاته النهائية، اعترض عليه عمر بن الخطاب بشدة وقال للنبي: أنت تهجر، لا حاجة لنا بكتابك، عندنا القرآن وهو يكفينا[١]!! وردد الحاضرون من حزب عمر خلفه: إن النبي يهجر، والقول ما قال عمر[٢]، وفي ما بعد اعترف عمر بن الخطاب أنه قد صد النبي عن كتابة توجيهاته النهائية حتى لا يجعل الأمر لعلي[٣].

وهكذا نجح الانقلابيون بخطوتهم الأولى وحالوا بين الرسول وبين كتابة ما

(١) تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

(٢) صحيح البخاري ٧/ ٩، ٤/ ٣١، وصحيح مسلم آخر كتاب الوصية ٥/ ٧٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ٩٥.

(٣) شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد ٣/ ١١٤ سطر ٢٧ للطبعة الأولى مصر، وبيروت، ١٢/ ٧٩ سطر ٣ تحقيق أبي الفضل، ٣/ ٨٠٣ مكتبة الحياة، ٣/ ١٦٧ دار الفكر.

أراد، وذلك بفضل تعاون أم المؤمنين عائشة التي أخبرتهم بموعد كتابة تعليمات الرسول النهائية كما أثبتنا.

الخطوة الثانية:

وضع قسم كبير من أنصار الإنقلاب في المسجد وحوله، ليكونوا قرب آل محمد، يراقبون تحركات آل محمد، وينتظرون اللحظة التي يأتي بها الخليفة الجديد، فيستقبلونه مجرد وصوله ويبايعونه أمام آل محمد، بعفوية وبدون اعتراض، وكأن هذا القسم لا يعرف شيئاً عن الانقلاب، وكأنه قد فوجيء كما فوجيء آل محمد، ولكن ليبدو الأمر طبيعياً يباشر هذا القسم بالبيعة.

وبالفعل عندما جاء الخليفة الجديد نهضت هذه المجموعة لاستقبال الخليفة، فقال لهم عمر بن الخطاب: «ما لي أراكم حلقاً شتّى قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايعته وبايعته الأنصار»[(١)].

وكأن كلام عمر مسحة رسول، فقام عثمان بن عفان والأمويون فبايعوا الخليفة الجديد، وقام سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا الخليفة الجديد، ولم يبق من هذا الجمع بدون بيعة إلا علي بن أبي طالب والعباس ومن معهما من بني هاشم بالإضافة الى الزبير•الذي انضم اليهم[(٢)].

وهكذا عُزل الهاشميون وآل محمد كما خطط قادة الانقلاب، ونجح القسم الذي وضع في المسجد باداء دوره على أكمل وجه.

الخطوة الثالثة:

قسم يتحرك الى منطقة الأنصار، ويتجمعون في سقيفة بني ساعدة كأنهم زوار لسعد بن عبادة الذي كان مريضاً وطريح الفراش باجماع كل المؤرخين، ومهمة هذا القسم أن ينتظر قدوم قادة الانقلاب الرئيسيين الثلاثة وأن يشتركوا

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١/ ١١.

(٢) المصدر نفسه.

بالحوار وكأنه لا علم لهم بوجود انقلاب، حتى إذا نجح قادة الإنقلاب بجر المجتمعين إلى الخوض في حديث خليفة النبي، أو من يخلف النبي، أمسكوا بالحديث وتابعوه حتى يتم تنصيب الخليفة المتفق عليه وهو أبو بكر عندئذٍ ينهض القسم الذي تجمع في سقيفة بني ساعدة ويبايع أبا بكر كأول خليفة للنبي، فينذهل الحاضرون من غير الانقلابيين ويجدون أن من الحكمة مبايعة الخليفة الجديد حتى يشركهم في ما بعد بالمنافع والأدوار، ويحافظوا على مصالحهم.

سعد بن عبادة مريض بالإجماع، وقاعد على فراش المرض في منزله المجاورة لسقيفة بني ساعدة، ولأن سعد سيد الخزرج بلا كلام، فمن الطبيعي أن تأتي وجوه الخزرج لعيادته والاطمئنان على صحته، وليتدارسوا الوضع بعد أن تأكدت وفاة الرسول الكريم خاصة وأن وفاة النبي ستترك فراغاً هائلاً، وفجأة حضرت الأوس المتفقة مع قادة الإنقلاب، والمحصورة مهمتها بمبايعة الخليفة الجديد عند طرحه من قبل قادة الانقلاب الثلاثة، وليس في حضور الأوس أو جزءاً كبيراً من الأوس، أو مجموعة من الأوس لزيارة سعد بن عبادة ما يثير الريبة، فسعد مريض، وعيادة المريض وزيارته مرغوبة في الجاهلية والإسلام، وهي من حيث الظاهر مبادرة نبيلة من الأوس.

جلس الجميع واطمأنوا ظاهرياً على صحة المريض، سعد سيد الخزرج، ومن غير المستبعد أن الانقلابيين من الأوس قد تطرقوا إلى عصر ما بعد النبوة، ويجمع المؤرخون بأنهم قالوا لسعد بن عبادة الأمر لك، فما كنت فاعلاً فلن نعصي لك أمراً، بمعنى أن سعد بن عبادة يتولى توجيه الأنصار الى ما يمكن عمله، وكيف، وليس المقصود تولية سعد خليفة على المسلمين، فلا سعد يقبل ذلك، ولا الأوس تقبل ذلك، ومن الطبيعي أن ينشرح خاطر سعد، فهو سيد الخزرج بلا منازع، وتولى من حضر من الأوس وهم كثير، الأمر لك أمر غريب ومدهش، ولكن تقبله سعد وتقبلته الخزرج بحسن نية، وبارتياح كانت الخزرج خالية الذهن تماماً من موضوع الانقلاب، ومن تورُّط أعداد كبيرة من الأوس فيه.

حضور قادة الإنقلاب الثلاثة، وفجأة حضر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة

حضور أبي بكر وعمر خاصة أمر مستهجن، فهم أصهار الرسول، وقد جرت العادة أن ينشغل الأصهار مع أهل الميت بتجهيزه ودفنه ولكن سعد والخزرج تصوروا أن زيارة الثلاثة، تعبير عن محبتهم لسعد بن عبادة، ولفتة نبيلة منهم تجاه الخزرج، ومن الطبيعي أن ينهض الجميع، أو يتفسحوا على الأقل للزوّار الثلاثة، ومن الطبيعي أن ينقطع الحديث بوصول الزوّار الثلاثة، ومن ثم يجلس الجميع، الحشد الذي كان عند سعد، بالإضافة الى الزوّار الثلاثة، فمن الذي وصل الحديث، أو من الذي بدأ الحديث!!؟، وكيف تطور إلى الحديث عن خلافة النبي؟! لا أحد يعلم ذلك على وجه اليقين!! لم تعد الروايات التاريخية التي هندستها وسائل اعلام السلطة مقبولة عقلياً، ولا قادرة على الوقوف أمام أي تحليل منطقي محايد!!!

لكن المؤكد الوحيد أن غاية الثلاثة من قدومهم هو تنصيب الخليفة الجديد بهذا المكان الملائم بعيداً عن آل محمد، ثم زف الخليفة إلى المسجد حيث يبايعه الإنقلابيون المتواجدين في المسجد وحول بيت الرسول، ومن المؤكد أيضاً أن قسماً كبيراً من الأوس كان ضالعاً، وأن تواجدهم ليس صدفة، إنما هو عمل مدبّر وثمرة تخطيط وتدبير مسبق، فأسيد بن حضير قدمته وسائل اعلام الدولة على أنه سيد الأوس، وبعد يوم واحد من دفن الرسول يشترك في سرية يقودها عمر بن الخطاب مهمتها احراق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه، وفيه علي والحسن والحسين وفاطمة!! فهل يعقل أن يكون هذا الاندفاع ثمرة صدفة في السقيفة أم أنه فصل في كتاب المؤامرة[١].

ماذا جرى داخل السقيفة:

هنالك اجماع على أن أبا بكر قد تكلم فقال: «إن المهاجرين هم أول من

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤، وأبو بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد في ١/ ١٣٠ ـ ١٣٤، ١٩/٣ تجد أن أسيد بن حضير هو أحد رجالات سرية الحريق!!

عَبدَ الله في الأرض، وأنهم عشيرة الرسول، وأنهم الأمراء، والأنصار هم الوزراء»[1].

ويجمع المؤرخون بأن عمر قد تكلم ومما قاله: «بأن المهاجرين هم أولياء الرسول وعشيرته والأحق بالأمر من بعده، وأن العرب تأبى أن نؤمر الأنصار ونبيها من غير الأنصار، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم، من ينازعنا سلطانه وميراثه ونحن أهله وعشيرته»، ويجمع المؤرخون بأن أبا عبيدة قد قال «يا معشر الأنصار انكم كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير[2]!!!»

أنت تلاحظ أن المهاجرين الثلاثة قد احتجوا بحجة آل محمد ليحصلوا على بيعة الأنصار!!، فهل حقيقة أن أبا بكر وعمر وأبو عبيدة هم عشيرة النبي، وأولياؤه، أو هم الأولى بسلطانه وبميراثه كما قالوا!! فكل واحد من هؤلاء الثلاثة من بطن مستقل عن الآخر، ومحمد من البطن الهاشمي المستقل عن هذه البطون والمتميز عليها.

ويلاحظ أيضاً أن الثلاثة صوروا وكأن الأنصار يريدون أن يكون الخليفة منهم، وهذا غير صحيح، فلم يفكر الأنصار بذلك، والموجود من الأنصار في السقيفة عدد قليل، وسعد بن عبادة أنبل وأرفع وأجلّ من أن يقبل أن يكون خليفة مع وجود علي، ومن غير المعقول أن يتقدم على علي فسعد من شيعة علي، وابنه قيس من شيعة علي، والمقداد من شيعة علي، والحباب بن المنذر من شيعة علي، أولئك هم الذين قادوا جبهة الأنصار في السقيفة، ومن جهة ثانية، فإن الذين حضروا من الأنصار في السقيفة، ولم يكونوا متورطين مع الانقلابيين كانوا مع الشرعية وكانوا مع علي بن أبي طالب فقد قام المنذر بن الأرقم وقال: «إن

---

(١) تاريخ الطبري ١٩٨/٣، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ٨/١، وشرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد ٢٢٦/٢.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٨/١ وما فوق، وتاريخ الطبري حوادث سنة ١١ هـ، وتاريخ بن الأثير ١٢٥/٢.

فيكم لرجل لو طلب هذا الأمر لم ينازعه أحد «يعنى علي بن أبي طالب»[1].

ويروي المؤرخون: أن الأنصار قالت ـ أو قال بعض الأنصار ـ: «لا نبايع إلا علي بن أبي طالب»[2].

التعازم والمبايعة:

قال أبو بكر، هذا عمر، وهذا أبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم؟ فقال عمر لأبي بكر أبسط يدك أبايعك، وكثر اللغط وكثر الاختلاف، أهل الشرعية من الأنصار يقولون لا نبايع إلا علياً، والثلاثة يريدون عملياً أبا بكر والمندسون من الانقلابيين ينتظرون الفرصة.

أحد الانقلابيين يحسم الموقف:

كان بشير بن سعد الخزرجي رجلاً مغموراً، بشكل أو بآخر أقنعه الانقلابيون بالإنضمام اليهم، وبشير هذا كان يكره الإمام علي، وأورث هذا الكره لابنه النعمان ـ فقد كان ثاني اثنين من الأنصار يقفون في ما بعد بصف معاوية ضد علي ـ كما يروي ابن أبي الحديد في شرح النهج، ـ ولما رأى حالة الاختلاف، وأن مفاتيح الأمور مع سعد بن عبادة ورجاله، حسد سعداً، ورأى أن الفرصة ملائمة ليتحول من رجل مغمور إلى بطل فوقف بشير بن سعد وقال: «يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا، وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا، فما ينبغي أن نستطيل على الناس بذلك.. ألا إن محمداً من قريش وقومه أحق به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تخالقوهم..

عندئذٍ قال أبو بكر هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا؟ قال الإثنان: «والله لا نتولى هذا الأمر عليك»..

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٠٣، والموفقيات للزبير بن بكار ص٥٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٠٨، وطبعة أوروبا ١/٦٨١٨، وابن الأثير ٢/١٢٣ قال: أن الأنصار قالت: بعد أن بويع أبو بكر.

أنت تلاحظ أن بشير بن سعد استعمل حجة أبي بكر وحجة عمر وهي حجة آل محمد، وأنه كان متفقاً معهما اتفاقاً تماماً، فهم يتصرفون كأنهم آل محمد، وكأنهم ورثته، وبشير بن سعد يتبنى حرفياً ادعاءهم!!

الانقلابيون الحاضرون في السقيفة يؤدون دورهم كاملاً:

بهذه الأثناء قفز بشير بن سعد الأنصاري وبايع أبا بكر فكان أول من بايع، وتقدم أسيد بن حضير وعويم بن ساعدة وأبو عبيدة وكل المتواجدين من الانقلابيين فبايعوا أبا بكر، وذهل الفريق الآخر ولم يدر ماذا يفعل وتزاحم الحاضرون من أوليائهم على البيعة، وتصور الحضور أن بيعة أولئك الذين بايعوا عفوية، ولم يدروا أن الأمر قد دُبِّر بإحكام بالغ.

الخطوة الرابعة: استقدام المرتزقة من الأعراب:

استقدم الانقلابيون أعداداً كبيرة من المرتزقة من الأعراب، وطلبوا منهم أن يتواجدوا بالوقت الذي حددوه قرب بيت سعد بن عبادة. وجاءت قبيلة أسلم بالوقت الذي جاء فيه من حضر من الانقلابيين في سقيفة بني ساعدة يبايعون الخليفة الجديد أبا بكر.

روى الطبري: أن أسلمٌ (قبيلة كبيرة) أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر[١].

قال عمر بن الخطاب: «ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»!! جاءت قبيلة أسلم الكبيرة، أو تجمع من القبائل كان أبرزها قبيلة أسلم حتى تضايق بهم السكك لكثرتهم[٢]، فبايعوا جميعاً أبا بكر.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٨، وطبعة أوروبا ١/١٨٤٣، وقال ابن الأثير في تاريخه ٢/٢٢٤ «وجاءت أسلم فبايعت»، وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية ابن أبي الحديد ٦/٢٨٧ «فقوي بهم أبو بكر»، قال المفيد في كتابه الجمل ص٤٣ «إن القبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة».

(٢) المصادر السابقة.

وعلق عمر على هذه الواقعة في ما بعد فقال: «ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»[1].

والسؤال المهم الذي يطرح نفسه هو: «كيف علم عمر أن تجمع القبائل القادم من خارج المدينة سيبايع أبا بكر؟ كيف أيقن عمر بن الخطاب، أن هذا التجمع القبلي معه وسينصره، وسيبايع أبا بكر؟ هل هو يعلم ما في نفوس هذا التجمُّع الكبير، حتى تيقن بأنهم معه، وأنه سينصرونه؟ إن عمر نفسه لا يدعي أنه يعلم ما في النفوس!!، وشيعة قادة التاريخ لا يقولون بأن عمر يعلم الغيب، هم يعتبرونه موازٍ للرسول، ويُرَجّحونه على الرسول عندما يختلفان!!، ولكنهم لا يقولون بأن عمر يعلم الغيب!! إذاً كيف تيقن عمر أن كل ذلك التجمع من القبائل التي ضاق بهم السكك معه؟ يقولون أنه ذو فراسة وعراف، إن الفراسة والعرافة قد تجدي بفرد أو فردين أو عشرة أو مائة ولكن أي ذي فراسة وأي عراف هذا الذي يتيقن من فعل الآلاف قبل أن يقع!!!

إذاً يبقى المؤكد الوحيد أن عمر بن الخطاب قد استحضرهم لهذه الغاية، وقد أطلعهم على مجريات الأمور، وطلب منهم أن يحضروا بالوقت الذي حدده لهم فيبايعوا أبا بكر ويشتركوا بزفته إلى المسجد!! ومن غير المستبعد أن يكون عمر وقادة الانقلاب قد منّوهُم بجعْل على ذلك أو مكافأة، ومن الممكن أن تكون هذه القبائل قد تصورت أنها ستحصل على غنائم سهلة، فأقبلت حتى ضاقت بهم السكك!! ومثل عمر المخطط البارع لا يترك الأمور للصدفة، ولا يبني انقلابه على الصدف، ولا نعلم النصر على من؟!!

وقول عمر: «فأيقنت بالنصر!! انه بالرغم من بيعة الانقلابيين لأبي بكر في السقيفة، إلا أنه لم يتصور أن هذه البيعة ستحقق له الانتصار على آل محمد!! فقط تيقن بالنصر عندما شاهد جموع القبائل والمرتزقة يتجهون نحو السقيفة ليؤيدوا الخليفة الجديد، وليقفوا معه ومع حزبه، ضد ارادة محمد، ولانتزاع حق آل محمد الثابت بالقيادة والإمامة من بعد النبي!! وأقبلت المرتزقة من القبائل

(١) المصادر السابقة.

المستحضرة للمدينة من كل جانب تبايع أبا بكر.

الخطوة الخامسة: زفة الخليفة الجديد:

بايع أبا بكر الانقلابيون من المهاجرين والطلقاء والأنصار ومن المرتزقة من الأعراب «وكان عمر محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: «ألا إن الناس قد بايعوا أبا بكر»[1]، وأحاطت جموع الانقلابيين الكبيرة بالخليفة، وزفوه زفاً إلى المسجد، محتفين بتنصيبه، وتحركوا بزفتهم إلى المسجد حيث يُسجى الجثمان المقدّس، وحيث يحيط به الآل الكرام.

وشق موكب الخليفة المدينة، مكبراً مهللاً، معلناً ابتهاجه بتنصيب الخليفة، ووصل الموكب الى المسجد، وعلى التكبير واستقبله القسم الأول من الانقلابيين «الخطة الأولى» فرحين سعداء بتنصيبه، وأخذوا يبايعونه حسب الخطة، وتجاوبت أرجاء المسجد بالتكبير[2].

وجاء البراء بن عازب، فضرب الباب على الهاشميين وقال يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر!!، وقال بعض الهاشميين لبعض ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمد!!

ودخلت الجموع إلى المسجد يتقدمها الخليفة الجديد، فقال عمر لأبي بكر: اصعد منبر رسول الله، فتردد أبو بكر ولم يزل به عمر حتى صعد فبايعه الحاضرون كلهم من جديد.

وبعد ذلك ألقى الخليفة الجديد خطبته وجاء فيها: «أما بعد أيها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني.. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»[3].

---

(١) كتاب السقيفة للجوهري كما نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ١/ ١٣٣، و٧٤ بلفظ آخر.
(٢) الموفقيات ص٥٧٨، والرياض النضرة ١/ ١٦٤ للطبري، وتاريخ الخميس ١/ ١٨٨.
(٣) طبقات ابن سعد ٢/ ٢/ ٧٨ طبعة ليدن.

وسمع أمير المؤمنين ذلك فقال متمثلاً بقول القائل:

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا ويطغون لما غال زيد غوائل

نقل هذا أبو بكر الجوهري في كتابه (السقيفة)، كما نقل ذلك عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج[1].

وهكذا تم الإنقلاب، وتم عزل آل محمد كما خطط الانقلابيون، وتمت مواجهة آل محمد بأمر واقع[2].

الخليفة الجديد يتفضل بتفقد الأمور ومشاركة آل محمد العزاء:

نجح الإنقلابيون بتنفيذ خطة الإنقلاب المتماسكة، بنداً وبنداً، ونجحوا بتنصيب الخليفة في الغياب الكامل لآل محمد ودون مشورتهم، ثم زفت الجموع الخليفة الى المسجد حيث يتجمع الآل الكرام في بيت النبي حول الجثمان المقدّس وعلى التكبير والتهليل، وبايعت الجموع خليفتها الجديد مرة ثانية على مسمع ومرأى من آل محمد، وخطب الخليفة الجديد، وخطب نائبه عمر بن الخطاب، وانتظر الخليفة والنائب آل محمد ليأتوهما مبايعين مباركين بعد أن واجهوهما بأمر واقع، ولم يحدث هذا، فغضب الخليفة، وغضب نائبه، وغضبت حاشيتهما، وغضبت الجموع، لتجاهل آل محمد لهذا الأمر الواقع، ولكن الخليفة كان رجلاً حليماً عاقلاً، فتجمل بالصبر وطلب من الجميع ضمنياً أن يمارسوا ضبط النفس. وذهبوا الى آل محمد كأن الأمر طبيعي، وكأن شيئاً لم يحدث، وكأن القائد جاء ليتفقد الرعية، وليشارك أهل المصاب مصابهم، كان لفتة نبيلة من

---

(١) شرح النهج ٦/ ١٤ تحقيق أبي الفضل.

(٢) الطبري تاريخ الطبري ٣/٢٠٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٠ وما فوق، وسيرة ابن هشام ٤/٣٣٦، وشرح النهج ٢/ ٢، ١/ ١٣٣، ٦/ ٢٨٧، والموفقيات لابن بكار ص٥٧٨ والرياض النضرة للطبري ١/ ١٩٤، وتاريخ الخميس ١/ ١٨٨، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ٢٣٤، وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٤٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٤٧، وكنز العمال ٣/ ١٢٩ ح٢٢٥٣، والسيرة الحلبية ٣/ ٣٩٧، وصحيح بخاري ٤/ ١٦٥ كتاب البيعة.

أبي بكر ونائبه وقاعدته الشعبية أن يتذكروا بعد ٤٨ ساعة موت الرسول والإمام والقائد!!

وتفرغ الإنقلابيون لأمر الميت!!

وتذكر الإنقلابيون: أن علي بن أبي طالب والعترة الطاهرة ألهاهم الرسول المسجى بين أيديهم، وقد أغلقوا عليهم الباب[١]، وأن أهل بيت محمد، كانوا مشغولين بتجهيز الرسول[٢] وأن الرسول قد مكث ثلاثة أيام لا يدفن[٣]، وذلك من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء[٤].

وتبين للانقلابيين أن أهل الرسول قد تولوا دفنه[٥]، وأن علياً والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولاه وأسامة بن زيد قد تولوا غسله وتكفينه وأمره كله.

الخليفة ونائبه وعائشة لم يشهدوا الدفن:

أبو بكر وعمر لم يشهدا دفن الرسول ولا تغسيله أو تجهيزه، حيث كانوا مشغولين بمتاعب الإنقلاب[٦]، ومن باب أولى أن لا يشهدا الغسل والتكفين والتجهيز، أما عائشة زوجة النبي فقد قالت: «ما علمنا بدفن النبي حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ليلة الأربعاء»[٧].

وأكبر الظن إن أم المؤمنين كانت مشغولة مع أبيها ومع قادة الانقلاب

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٣٦، والرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢/ قسم٢/ ٨٢١.

(٣) تاريخ ابن كثير ٥/ ٢٧١، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٢.

(٤) الطبقات لابن سعد ١/ ٤٩٩، وسيرة ابن سيد الناس ٢/ ٣٤٠. وقال بعض المؤرخين: والصحيح انه دفن ليلة الأربعاء، انظر تاريخ ابن كثير ٥/ ١٧١.

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٦١، وقريب منه تاريخ الذهبي ١/ ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٦.

(٦) كنز العمال ٣/ ١٤٠ تجد أنهما لم يشهدا الدّفن.

(٧) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٤ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٥٢ و٤٥٥ وطبعة أوروبا ١/ ١٨٣٣ و١٨٣٧ وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٧٠، وابن الأثير في أسد الغابة ١/ ٣٤ في ترجمة الرسول وطبقات ابن سعد ج٢ ق٢ ص٧٨، وتاريخ الخميس ١/ ١٩١ وتاريخ الذهبي ١/ ٣٢٧ ومسند أحمد ٦/ ٦٢.

بترتيب أمور المسلمين بعد وفاة الرسول، لأن دفن الرسول بنظرهم ليس مشكلة إنما المشكلة والأهم هو تعين الخليفة الجديد، فالأهم يتقدم على المهم!!.

وعندما تأكد عمر من وفاة الرسول، وكان أبو بكر غائباً، وقف وأخذ يقول: ان الرسول لم يمت، وانما ارتفع الى السماء، وهدّد أن يعلو رأس من يقول بموت الرسول بالسيف، وألهى الناس بهذه المقولة فترة حتى إذا حضر أبو بكر ذهب عنه الروع، وكبت مشاعره وذهوله، وانطلق مع أبي بكر كأن لم يك به شيئاً ليواجه الأهم وهو تنصيب الخليفة، ويتركا المهم وهو تجهيز الرسول ودفنه، ثم عمر قريب العهد بالرسول فَقَبْلَ يوم واحد شاهده ومعه مجموعة كبيرة من حزبه، وقال بحضور النبي متجاهلاً وجوده: «إن النبي يهجر حسبنا كتاب الله».

بمعنى: أن عمر وحزبه حديثوا العهد بالرسول، والأهم عندهم تنصيب خليفة للرسول، فمحمد بشر، وقد انتهى دوره، ومواراته في ضريحه الأقدس ليس أمراً عاجلاً بنظر عمر وحزبه. لأن ما يعنيهم هو مصلحة المسلمين ووضع حد للتميز الهاشمي!!

بمعنى: أن عمر تهدد بالموت من يقول بموت الرسول، وشغل الناس بمقولة رفع النبي للسماء حتى جاء أبو بكر[1]، ولما جاء أبو بكر قال أبو بكر **﴿وما مُحَمَّدٌ إلاّ رسُولٌ قدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾**[2].. عندئذٍ سكت عمر[3] واسترد عمر وعيه وسار مع أبي بكر كأنه لم يكن به شيء!!! ورتب الاثنان مع أعوانهما أمر الخلافة وواجهوا آل محمد بأمر واقع لا قبل لهم برفعه كما فصلنا.

---

(١) مقولة عمر ان الرسول لم يمت، وشفائه من ذهوله بحضور أبي بكر في تاريخ الطبري ٣/ ١٩٨، وشرح بن أبي الحديد ١/ ١٢٨ وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٤٢، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦، والمواهب اللدنية للعسقلاني وروضة المناظر لابن شحنة بهامش تاريخ ابن الأثير ٧/ ٦٤، وشرح المواهب للزرقاني ٨/ ٢٨٠ والسيرة الحلبية ٣/ ٣٧١ ـ ٣٧٤ الهامش السيرة الدحلانية.

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٤.

(٣) الطبقات لابن سعد، تاريخ الطبري ١/ ١٨١٧ ـ ١٨١٨، وابن كثير ٥/ ٢٤٢.

الفصل الرابع:

المواجهة مع صاحب الحق الشرعي، ومع آل محمد!!!

إحلب حلبا لك شطره:

بعد أن نصب الإنقلابيون الخليفة الجديد، في غياب آل محمد، وحشدوا لك الحشد الهائل من الأتباع والأعوان، وواجهوا صاحب الحق الشرعي علي بن أبي طالب وآل محمد بهذا الأمر الواقع، توقع الانقلابيون من صاحب الحق الشرعي، ومن آل محمد أن يبادروا على الفور بالاعتراف بهذا الأمر الواقع، وبمبايعة الخليفة الجديد، خاصة وأن الخليفة الجديد ونائباه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة وأعوانهم وقاعدتهم الشعبية قد جاءوا إلى بيت محمد مشاركين بالعزاء!! لكن ما توقعه الانقلابيون لم يحدث، ولم يتقدم، لا علي بن أبي طالب، ولا أحد من بني هاشم الى مبايعة الخليفة الجديد، أو اظهار الاعتراف بالأمر الواقع[1]، وجلس علي بن أبي طالب وأهل بيته ولفيف من المعزين في بيت علي وفاطمة بنت رسول الله، ومن هؤلاء المعزين: سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وأُبي بن كعب، وعزّ على عمر بن الخطاب ذلك، قال عمر في ما بعد: «وإنه كان من خبرنا حين توفي نبينا أن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة»[2].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١/ ١١، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٢٩.

(٢) مسند أحمد ١/ ٥٥، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٦٦ ط أوروبا ١/ ١٨٢٢، وابن الأثير ٢/ ١٢٤، وابن كثير ٥/ ٢٤٦، وابن أبي الحديد ١/ ١٢٣، وتاريخ السيوطي ص١٤٥، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٢٨ وتيسير الوصول لابن الديبع ٢/ ٤١ وتاريخ الخميس ١/ ١٨٨ وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦ وابن شحنة بهامش الكامل ص١١٢.

وتأثر أبو بكر من فعلة علي، وآل محمد، وتلكوئهم عن بيعتهم، فأرسل أبو بكر عمر بن الخطاب وقال له «ائتني به بأعنف العنف. . فجاء عمر وجرى بينه وبين الإمام علي حديث»[1]. فقال علي لعمر: «والله ما حرصك على امارته اليوم إلا ليؤثرك غداً»[2]، أو قال له علي «أحلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً»[3]. فعلي بن أبي طالب يعلم علم اليقين أن أبا بكر سيستخلف عمر بن الخطاب ومن الطبيعي أن تنته المناقشة دون نتيجة، ومن الطبيعي أن عمر بن الخطاب لا يجرأُ إطلاقاً على الاصطدام مع علي دون وجود قوة كانت تحميه من الإمام علي، لأن عمر ليس بقوة علي، ولا هو من رجاله وعمر بن الخطاب لا يجيد القتال!!، فخرج عمر ثم عاد ومعه قوة من جيش الخليفة الجديد!! فيهم أسيد بن حضير، وعبد الرحمن بن عوف، وزياد بن لبيد، وزيد بن ثابت، وسلمة بن أسلم، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس بن شماس، وسلمة بن سالم بن وقش[4]، بهدف اخراج علي بن أبي طالب وآل محمد ومن معهم بالقوة ليبايعوا أبا بكر أو ليدخلوا في ما دخلت فيه الأمة، على حد تعبير عمر بن الخطاب، وقال أبو بكر لقائد السرية عمر: «وإن أبوا فقاتلهم»[5].

تصميم عمر بن الخطاب على احراق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه:

لما كان عمر بن الخطاب رجل حازم، ولا يؤمن بانصاف الحلول، ولأنه يريد من علي ومن آل البيت «أن يدخلوا في ما دخلت فيه الأمة»[6]، فقد صمم عمر بن الخطاب نهائياً على إحراق بيت فاطمة على من فيه وفيه علي بن أبي

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٨٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإمامة والسياسة ص١١ ـ ١٢.

(٤) تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤، وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة حسب رواية ابن أبي الحديد ١/ ١٣٠ ـ ١٣٤.

(٥) تاريخ ابن شحنة ص١١٣ بهامش الكامل ج١١، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ١٣٤.

(٦) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٦٤، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦.

طالب، وفاطمة بنت محمد، وسيدا شباب أهل الجنة وريحانتا النبي من هذه الأمة بالإضافة الى عدد كبير من المعزين.

وأقبل بقبس من النار فعلاً ليضرم عليهم النار فعلاً، فلقيته فاطمة بنت محمد رسول الله فقالت: «يا ابن الخطاب أجئت لتحرق علينا دارنا؟ فقال عمر: نعم أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة»[1].

وتقدم عمر ومعه المهاجمون قال اليعقوبي: «فأتوا في جماعة حتى هجموا، على الدار، وكسروا سيف علي، ودخلوا الدار[2]، واستخرجوا علياً بالقوة وقالوا له: بايع، وقادوه إلى أبي بكر».

علي يحرج السلطة الجديدة أمام قاعدتها الشعبية:

جيء بعلي بن أبي طالب بالقوة الى أبي بكر، فقيل له بايع، فقال علي: «أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة، وسلموا اليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فانصفونا إن كنتم تخافون الله، واعرفوا لنا من الأمر مثلما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون».

قال أبو عبيدة: «يا أبا الحسن إنك حديث السن، وهؤلاء مشيخة قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى منك على هذا الأمر وأشد احتمالاً له، فسلم له هذا الأمر وارض به.. فإن تعش ويطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليق وعليه حقيق في فضلك، وسابقتك وقرابتك،

---

(١) المصدر السابق، وانظر أيضاً أنساب الأشراف ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٧، وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد ١/ ١٣٢، والخميس ١/ ١٧٨، وتاريخ ابن أبي الحديد ١/ ١٣٤، وتاريخ ابن شحنة ص١١٣ بهامش الكامل لابن الأثير ج١١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.

وجهادك[1]. فقال علي: «يا معشر المهاجرين، الله، الله، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان منا القارىء لكتاب الله، الفقيه لدين الله، العالم بالسنّة، المضطلع بأمر الرعية، والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً»[2].

حكم أحد الحضور على حجة الإمام:

قال بشير بن سعد وهو أول من بايع أبا بكر وأحد أقطاب الإنقلاب: «لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان ولكنهم بايعوا»[3].

وقال الإمام علي لأبي بكر: «أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم ترع لنا حقاً» ـ كما روى المسعودي ـ فقال أبو بكر: «بلى ولكني خشيت الفتنة»[4].

عمر البطل لا يعرف لغة الحوار:

قال عمر بن الخطاب: انك لست متروكاً حتى تبايع!!، فقال له علي: «احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً»، قال عمر: بايع، فقال علي: إن لم أبايع فمه؟ قال عمر: والله، الذي لا إلهٰ إلا هو لنضربن عنقك!! قال علي: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فقال عمر: أما عبد الله فنعم؛ وأما أخو الرسول فلا! عمر لا يعترف بأخوة علي لرسول الله، ولكنه يعترف بأخوته لأبي بكر، وبموجب هذه الأخوة ورث عمر أبا بكر[5]!!

---

(١) الإمامة والسياسة ص١١ ـ ١٢، وتاريخ الطبري.
(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١١، ١٢.
(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص١٢، وتاريخ الطبري، رواه أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة كما في شرح النهج ٦/ ٢٨٥.
(٤) مروج الذهب للمسعودي ١/ ٤١٤، والإمامة والسياسة ١/ ١٢ ـ ١٤ مع اختلاف يسير.
(٥) الإمامة والسياسة ص١١ وما فوق.

وانصرف علي إلى منزله ولم يبايع، ولا بايعه أحد من بني هاشم حتى بايع علي بعد ستة شهور[1].

ومن غير الهاشميين الذين لم يبايعوا:

١ ـ فروة بن عمرو جاهد مع رسول الله وقاد فرسين[2].

٢ ـ خالد بن سعيد الأموي قال ابن قتيبة في المعارف[3] وابن أبي الحديد في شرح النهج: أن خالد قد أسلم قبل اسلام أبي بكر، وبقى خالد حتى بايع علي وبايع بنو هاشم[4].

٣ ـ سعد بن عبادة لم يبايع لا أبا بكر ولا عمر حتى رماه محمد بن مسلمة بسهم فقتله زمن عمر بأمر من عمر[5].

جيش الثلاثة:

قال اليعقوبي في تاريخه[6]، واجتمع جماعة الى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة فقال لهم علي: «اغدو عليّ محلقين الرؤوس فلم يغدو عليه إلاّ ثلاثة نفر».

محاولة لشق وحدة الهاشميين:

كان المغيرة بن شعبة داهية، ومن الذين يحقدون على علي وعلى بني هاشم، ولأنه من قادة الإنقلاب، اقترح على أبي بكر وعمر أن يأتوا إلى العباس

---

(١) الطبري ٢/ ٤٤٨ وطبعة أوروبا ١/ ١٨٢٥، وصحيح البخاري كتاب المغازي ٣/ ٣٨، وابن أبي الحديد ١/ ١٢٢، والمسعودي في مروج الذهب ٢/ ٤١٤، والإمامة والسياسة ص١٣ ـ ١٤ (تهديد عمر لعلي بضرب العنق)، وأنساب الأشراف ٦/ ٥٨٦. وشرح النهج ٢/ ٨، ٩ واعلام النساء ٣/ ١٢٠.

(٢) الموفقيات ص٥٩٠.

(٣) ص١٢٨.

(٤) أسد الغابة ٢/ ٨٢، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ١٣٥ نقلاً عن السقيفة للجوهري.

(٥) أنساب الأشراف ١/ ٥٨٩.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.

ويجعلوا له نصيباً من الأمر يكون له ولعقبه إن ترك علياً وسار في ركاب حكومة الانقلاب، وفعلاً عرضوا ذلك على العباس فرفض عرضهم رفضاً مطلقاً[1]، ولم يكن هذا العرض محبة للعباس، ولا تقرباً للنبي بصلة عمه إنما محاولة من المغيرة ليشق وحدة الهاشميين، ويعزل علي عن بني هاشم كما عزلوه عن الأنصار والمهاجرين.

ولما جاء أبو بكر وعمر والمغيرة الى العباس، وعرض أبو بكر على العباس بعض الأمر له ولعقبه لم ينس عمر التأكيد للعباس قائلاً: «أي والله، وأخرى: إنّا لم نأتكم حاجة منا اليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن منكم في ما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم وعامتكم» مما يعنى أن السلطة الانقلابية لو أذنت للعامة ـ قاعدتها الشعبية ـ لسحقت آل محمداً سحقاً[2].

أعظم مكرمة للأنصار:

«ثم إن علياً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار، فكان الأنصار يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن ابن عمك سبق الينا أبا بكر ما عدلنا به، فيقول علي: أفكنت أترك رسول الله ميتاً في بيته لم أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه وتقول فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه»[3].

وإلى هذه الواقعة أشار معاوية: «وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلا دعوته الى نفسك، ومشيت اليهم بامرأتك، وأذللت اليهم

(١) الإمامة والسياسة ص١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري كما روى ابن أبي الحديد في شرح النهج ٦/ ٢٨، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١/ ١٢.

بابنيك.. فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة»[1].

اللهم اشدد وطأتك على الأنصار:

احتج الأنصار بعدم نصرتهم لعلي وحمايتهم له ولأولاده ببيعتهم لأبي بكر!! وكانوا قد بايعوا رسول الله قبل بيعتهم لأبي بكر أن يحموه، ويحموا ذريته كما يحمون ذراريهم.

جاء في مقاتل الطالبيين لأبي فرج الأصفهاني[2] عن أبي غسان قال: «إني لواقف بين القبر والمنبر إذ رأيت بني الحسن يخرج بهم من دار مروان يراد بهم الربذة، فأرسل اليّ جعفر بن محمد الصادق فقال: ما وراءك؟ فقلت: رأيت بني الحسن يُخرج بهم في محامل! فقال: اجلس فجلست، فدعا غلاماً له، ثم دعا ربه كثيراً، ثم قال لغلام له: فإذا حملوا فأت فأخبرني. قال: فأتاه الرسول فقال: قد أُقبل بهم.

فقام جعفر فوثب وراء ستر شعر أبيض من ورائه، فطلع بعبد الله بن الحسن وابراهيم بن الحسن، وجميع أهله كل واحد منهم معاوله مسود، فلما نظر اليهم جعفر بن محمد هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته، ثم أقبل علي فقال:

يا أبا عبد الله والله ما وقت الأنصار، ولا أبناء الأنصار لرسول الله بما أعطوه من البيعة عن العقبة».

وقد روى الصادق عن أبيه عن رسول الله أنه قد قيل له: «خذ عليهم البيعة في العقبة؟ فقلت: كيف آخذ عليهم البيعة؟ قال خذ عليهم: يبايعون الله ورسوله.. إلى أن قال: على أن تمنعوا رسول الله وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم!! ثم قال جعفر: فوالله ما وفوا له حتى خرج من بين أظهرهم، ثم لا أحد يمنع يد لامس، اللهم فاشدد وطأتك على الأنصار»[3].

---

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ٦٧، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١٨٢.

(٢) مقاتل الطالبيين ص٢١٩، ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه.

إما التسليم أو الدخول في مواجهة انتحارية:

الإنقلابيون هم القوة الحقيقية في المجتمع، فلقد ضم تحالفهم بطون قريش كلها المهاجر منها والطليق والمنافقون كلهم بلا استثناء، بالإضافة الى أكثرية الأنصار التي هالتها قوة هذا التحالف وتماسكه فاستسلموا ليسلموا، وتورّط الكثير منهم بالإنقلاب طمعاً بالمغانم وهروباً من المغارم، بالإضافة الى المرتزقة من الأعراب الّذين يوالون من يعطيهم. والمرتزقة على علم بأن المال والمغانم كلها ستكون بيد الانقلابيين ومن والاهُم، لذلك مالوا مع الانقلابيين، ولقد مد الانقلابيون نفوذهم حتى داخل بيت الرسول، فصارت عائشة أم المؤمنين معهم وحافزها على ذلك حبها لأبيها ولقومها بطون قريش، وحقدها على علي بن أبي طالب قاتل أبناء عمومتها، وعلى ذريته الّذين سرقوا منها زوجها قال الإمام علي: «أما فلانة فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين[1]»، لقد عرفت عائشة موقعها في قلب النبي فقالت له يوماً: «والله لقد عرفت أن علياً أحب اليك من أبي ومني»[2] فمعنى ذلك أن هذا التحالف يشكل الأغلبية الساحقة من الناس الّذين جمعهم قادة التحالف!!

حرص قيادة التحالف على الاستيلاء على السلطة:

المتحالفون أو الانقلابيون أصروا من البداية على الاستيلاء على السلطة مهما كلف الثمن، حتى لو ضحوا بالرسول نفسه، ولو واجهوا الرسول نفسه، فقد تجاهلوا النبي وقالوا أمامه: «إن النبي يهجر حسبنا كتاب الله»، وحالوا بينه وبين كتابة ما أراد كما أثبتنا، ولو أن النبي قد أصر على الكتابة، وكتب توجيهاته النهائية، وانه قد استخلف عليَّ بن أبي طالب لن يغير من واقع الحال، ولفعلوا تماماً ما فعلوه، ولقبضوا على مقاليد الأمور بالقوة، عندئذٍ تثبت وسائل اعلامهم أن الرسول فعلاً هجر، عندما اختار عليَّ بن أبي طالب، وأن الرسول عندما كتب

---

(١) شرح النهج ٩/ ١٨٩، ووضوء النبي للسيد علي الشهرستاني ص٢٣٥.
(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٧٥ ح١٨٤٥٠.

توجيهاته النهائية كان فاقداً للسيطرة على نفسه، ثم لو أن الله أحيا محمداً بعد موته لما اعترفوا به ولما تنازلوا له عن السلطة لأن السلطة من بعده كانت مطمعهم الأول والأخير، وكل شيء ما هو إلا وسائل للوصول اليها. تلك طبيعة الّذين واجهوا علياً وآل محمد!!.

من كان مع علي:

قال اليعقوبي في تاريخه[1]، وابن أبي الحديد في شرح النهج[2] واجتمع جماعة الى علي بن أبي طالب يدعونه للبيعة فقال لهم: «أغدو علي محلقين رؤوسكم فلم يغدو عليه إلا ثلاثة».

حمل علي زوجته وقاد ابنيه الحسن والحسين وطاف على بيوت الأنصار ليسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة بنت رسول الله الانتصار، فنسى الأنصار بيعتهم لرسول الله وتذكروا بيعتهم لأبي بكر فقالوا: «قد سبقت بيعتنا لهذا الرجل ولو كان ابن عمك سبق الينا ما عدلنا به». كما ذكر أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد من شرح النهج[3]، وكما روى ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة[4] وشهد معاوية بذلك[5].

ولقد هدد علي بالقتل أمام المهاجرين والأنصار ولم يحركوا ساكناً احتجاجاً على الأقل، ولم ينكر منهم منكر[6]. حيث قال عمر لعلي: «بايع» فقال علي: «إن لم أفعل فمه؟» قالوا: «إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك»[7] ألا يستطيع أحد من الأنصار الذين بايعوا النبي على حماية النبي وذريته كما يمنعون أنفسهم وذراريهم أن ينكروا ذلك ولو بألسنتهم!! ألا يستطيع أحد من المهاجرين

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.
(٢) شرح النهج ٢/ ٤.
(٣) شرح النهج ١/ ٢٨.
(٤) الإمامة والساسية ١/ ١٢.
(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ٦٧، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١٨٢.
(٦) الإمامة والسياسية ١/ ١١.
(٧) المصدر السابق ١/ ١٣.

أن يستنكر ذلك فيقول: علام تقتلون هذا الرجل وهو ولي الله وقد بايعناه بالولاية يوم غدير خم، أو ألا تذكروا جهاد هذا الرجل في بدر وأُحُد وخيبر!! أو ألا تذكرون أن هذا الرجل هو على الأقل ابن عم النبي، وزوج ابنته ووالد سبطيه!! لم يقل أحد من المهاجرين أو الأنصار ذلك، لأن يد الله مع الجماعة!! وعلي وآل محمد خارجون على الجماعة، عجيب!! لماذا لم يسقطوا آل محمد من الصلاة فيقولون اللهم صلِّ على محمد فقط كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم، وبارك على محمد فقط كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم، لو فعل الانقلابيون ذلك لأخفوا الجريمة فعلاً، ولما لامهم أحد في ما بعد!!

وهدد قادة الانقلاب علياً وأهل بيت النبوة أن يحرقوا عليهم البيت[1] ويموتوا حرقاً بداخله إن لم يبايعوا!! بعد يوم واحد فقط من موت والد فاطمة، وابن عم علي محمد، وجد الحسن والحسين!! بعد يوم واحد فقط من موت الرسول!! مَن مِن المهاجرين أو الأنصار استنكر هذا العمل الإجرامي؟!! من قال منهم هذا منكر؟!! أو هذا حرام؟!! أو ترفقوا بأهل بيت محمد الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً!!، لم يقل منهم أحد ذلك! ليت أحدهم قد قال: الرفق أولى!! اضبطوا أعصابكم لا داعي لاحراق أهل بيت النبوة!!

حافظ ابراهيم يخلد عمر بقصيدته:

قال حافظ ابراهيم شاعر النيل يصف بطولة عمر عندما هم بحرق بيت

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٢، والعقد الفريد لابن عبد ربه المالكي ٤/ ٢٥٩، ٢٦٠ طبعة ثانية بمصر، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ١٣٤، ٢/ ١٩ ط١ بمصر، و٢/ ٥٦، و٦/ ٤٨ طبعة مصر بتحقيق محمد أبو الفضل، ١/ ١٥٧ دار الفكر، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٠٤ ط دار المعارف بمصر، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥٧ طبعة بيروت وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦، واعلام النساء ٣/ ١٢٠٧، وتاريخ ابن شحنة بهامش الكامل ٧/ ١٦٤، وبحار الأنوار ٢٨/ ٣٢٨ و٣٢٩، والغدير للأميني ٧/ ٧٧، والنص والاجتهاد للعاملي ص٣٧، ومروج الذهب للمسعودي ٢/ ١٠٠، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٧، وتاريخ الخميس ١/ ١٧٨، وأبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة برواية ابن أبي الحديد ١/ ١٣٤، ومعالم المدرستين للعسكري ١/ ١٢٧.

فاطمة بنت محمد على من فيه، وفيه فاطمة وعلي والحسن والحسين.

وقـولـة لعلـي قـالهـا عمـر ... أكـرم بسـامعهـا أعظـم بملقيهـا
حـرقـت دارك لا أبقـى عليـك بهـا ... إن لـم تبـايـع وبنـت المصطفـى فيهـا
مـا كـان غيـر أبـي حفـص بقـائلهـا ... أمـام فـارس عـدنـان وحـاميهـا

وغاب عن المرحوم حافظ ابراهيم بأن عمر لم يقلها لعلي بصفته الشخصية إنما قالها بصفته نائباً للخليفة، وحوله جيش من الأعوان، ولو كان الإثنان معاً وجهاً لوجه لما كان بامكانه أن يقولها لعلي، ولو كان بامكانه أن يقولها لعلي لبارز عمرو بن ود يوم الخندق، ولو كان بامكانه أن يقول ذلك لعلي لما فر يوم أُحُد، ويوم خيبر، ويوم حنين كما وثقنا ذلك. بل إن المشهور عن عمر أنه لم يقتل ولم يجرح مشركاً واحداً قط فهو رجل رحيم بالجنس البشري.

وبقي الإمام وحيداً:

لقد استقطب الانقلابيون الجميع رغبة أو رهبة، وتحالفت بطون قريش مهاجرها وطليقها مع المنافقين في المدينة ومن حولها من الأعراب، مثلما تحالفت مع المرتزقة من الأعراب، ثم تورط قسم من الأنصار مع الانقلابيين ومالت بقية الأنصار بعد أن اكتشفوا أنهم صاروا أقلية، وتكون حلف قوي من هذه الجماعات حتى والرسول على قيد الحياة، وبلغ من قوة نشاطه أن دَخَل بيت النبي، فاستقطب عائشة أم المؤمنين معه، ومن قوته أن قائده عمر بن الخطاب ومجموعة من أنصاره واجهوا النبي نفسه في داره، وتجاهلوا وجوده، وحالوا بينه وبين كتابة ما أراد، قائلين أمامه: «إن النبي يهجر ما شأنه أهجر؟ استفهموه؟ انه يهجر» ولو أصر النبي على الكتابة لا أصروا على هجر النبي، وأثبتوا بالباطل هجره.

مما يعني أن الانقلاب قد قبض على مقاليد الأمور عملياً والنبي على فراش الموت، واستقطب حوله الأكثرية الساحقة، (وقد وثقنا ذلك في الفصول السابقة).

ومما يعني أيضاً أنه ليس مع علي إلا أهل بيته وقد عبّر الإمام علي عن هذه الحقيقة بقوله: «اللهم اني أستَعْدِيكَ على قريش ومن أعانَهُم، فإنهم قد قطعوا رحِمِي، وأكفأوا إنائي، وأجمَعْوا على منازعتي حقاً كنتُ أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنَّ في الحق أن نأخذه، وفي الحق أن تمنعهُ، فاصبر مغموماً، أو مت متأسفاً، فنَظَرتُ فإذا ليس لي رافد ولا ذات ولا مساعد إلا أهل بيتي، فظننتُ بهم عن المنِيَّة، فأغضيتُ على القذى، وجرعتُ ريقي على الشجا، وصبرتُ من كظم الغيظ على أمَرَّ من العلقمِ، وآلَمَ للقلب من وخز الشفار[١] . . .».

وكقول الإمام: «إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم، والناس حديثوا عهد بالاسلام، والدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى وهن ويعكسه أقل خلاف[٢] . .».

الحل الذي ارتئاه الإمام:

عندما علم الإمام بالردة السياسية عن الإسلام، وبقوة القوى المتحالفة التي تدعم هذه الردة، وأن بطون قريش كلها مهاجرها وطليقها ومعهم المنافقون والمرتزقة من الأعراب يؤيدون الانقلابيين ويقيمون تحالفاً وثيقاً معهم، وأن هذا التحالف قد استقطب أعداداً كبيرة من الأنصار، وأن قسماً من الأنصار قد تورط مع الانقلابيين، وأنه ليس له رافد ولا معين إلا أهل بيته.

قدّر الإمام أن المواجهة مع الذين غصبوا حقه بهذه الظروف انتحار حقيقي له، بوصفه مستودع علم النبوة، ولأهل بيته باعتبارهم شجرة النبوة والثقل الأصغر، وبعد أن استنفد كافة الجهود للحصول على النصرة أو الانتصار، ولم يجدهما، عندئذٍ. . قرر الإمام أن يقعد في بيته، وأن يحتج على الانقلابيين احتجاجاً لا يفرق المسلمين، ولا يوهن الدين، ثم يسلم بالأمر الواقع ما سلمت

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة لابن أبي الحديد ٣/ ٦٩ خطبة ٢١١.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

أمور المسلمين، فبقى الإمام في بيته حتى جاءوا إليه، فهددوه بحرق البيت على من فيه وفيه فاطمة بنت محمد رسول الله، وفيه علي ولي الله، وفيه الحسن والحسين ابنا رسول الله، وكان هذا التهديد رسالة ضمنية الى المسلمين عن طبيعة الانقلابيين، وأسلوبهم المتحدي للدين، ولرسالة سيد النبيين، ومع هذا لم يحرك المسلمون ساكناً ولم يستنكروا لا بيد ولا بلسان، ، وقد وثقنا واقعة التحريق أكثر من مرة.

ثم هددوه بالقتل وهو أخ النبي، وابن عمه، وزوج ابنته، ومستودع علم النبوة وفارس الإسلام بغير منازع، وكان هذا التهديد رسالة ضمنية ثانية عن خلق الانقلابيين وحرصهم على السلطة، ولكن المسلمين لم يحركوا ساكناً ولم يستنكروا ذلك لا بيد ولا بلسان. وقد وثقنا واقعة التهديد بالقتل، وهي معروفة للخاصة والعامة ثم رأى الانقلابيون أن يتركوا الإمام في بيته، وأن يعزلوه عزلاً تاماً عن الأمة حتى لا تنتفع بعلمه، وتكتشف النظام السياسي الإلهي الذي أنزله الله وبينه الرسول، فبقى الإمام في بيته ستة أشهر لم يبايع، ولم يبايع النظام الجديد أي هاشمي[1].

وهكذا ابتعد الإمام عن المواجهة غير المتكافئة، إذ لو واجههم بالقوة، لقتلوه وقتلوا ابنيه وقطعوا شجرة النبوة، ثم أشاعت وسائل اعلامهم أن علياً وابنيه مثل أبي طالب ماتوا على الشرك فهم في ضحضاح من النار مع أبي طالب، ومع الأيام تنجح وسائل اعلامهم بتحويل الشائعات الكاذبة الى قناعات يتبناها العامة كأنها وحي من الله!! وصمم الإمام علي أن يبدأ بتكوين قاعدة شعبية، تفهم الإسلام على حقيقته، كما أنزله الله وبينه الرسول لتتصدى وتكشف ألاعيب الطامعين بالسلطة وتحريفاتهم، وكعمل عاجل ركز الإمام علي ايجاد كوادر علمية يعلمها علمه ـ علم النبوة ـ لتنقله الى الأجيال اللاحقة من غير تحريف، فلبد في بيته، يجيب إذا سُئِلَ ويهدي إذا استهدي.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١/٥١٧، وتاريخ الطبري ٢/٤٤٨، وطبعة أوروبا ١/١٨٢٥، وتيسير الوصول لابن الديبع ٢/٤٦.

تجميل ملك الانقلابيين ببيعة علي وأهل بيت النبوة:

لقد صرّح عمر بن الخطاب علناً بأنه ورجاله وحزبه ليسوا بحاجة لآل محمد[1]. . فقد نجح الانقلابيون بعزل آل محمد عزلاً تاماً عن الأنصار، وعن بطون قريش المهاجر منها والطليق، وعن المنافقين، فكلهم شكلوا جبهة واحدة واتحدوا ضد ولاية علي تماماً كما اتحدوا ضد نبوة النبي، وبهذه الحالة فإن آل محمد لا يشكلون أي خطر على الدولة الجديدة، فقد أهانهم عمر بن الخطاب، وجرأ الناس عليهم يوم أحضر قبس من النار وهمَّ أن يحرق بيت أهل البيت على من فيه[2]!!، ولقد استهان عمر بالإمام يوم هدده وحزبه بالقتل أمام المهاجرين والأنصار[3].

لقد وصف الإمام علي حالته وحالة أهل بيت النبوة بعد وفاة النبي قائلاً: «لما قبض الله نبيه وكنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه من دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصار الأمر لغيرنا، وصرنا سوقه، يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل، فبكت منا الأعين لذلك، وخشيت الصدور، وجزعت النفوس[4]. .» هذا وصف دقيق لحقيقة أهل بيت النبوة بعد أقل من ثلاثة أيام من موت نبيهم.

وعلى هذه الحالة ورغم العزلة التي فرضت على وصي النبي وأهل بيته، لم يقف عمر بن الخطاب مكتوف الأيدي، بل، عَمِل مع حزب التحالف الذي يقوده على تحطيم آل محمد من جميع الوجوه، حتى لا يطمع بعد موته منهم طامع بالسلطة، فيأخذ الخلافة، وهكذا يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معاً!! ويحدث

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٥.

(٢) على سبيل المثال أنساب الأشراف ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٧، ومروج الذهب للمسعودي.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١١.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

الاجحاف!! الذي لا يتلائم مع طبيعة عمر[1]!!.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن عمر يريد أن يزين ملك التحالف ببيعة آل محمد، لكل هذه الأسباب قرر عمر أن ينزل بآل محمد ضربته الماحقة وأن يصدر أو يحمل الخليفة على اصدار سلسلة من القرارات الاقتصادية التي تقيم الدنيا على أهل بيت محمد ولا تقعدها، وتركهم بعد أن عجز حصار المشركين في مكة عن تركيع البيت الهاشمي، فقرار حصار ومقاطعة بني هاشم آنذاك لم يكن مجدياً لخرق المشركين وسوء تدبيرهم.

عمر يتخذ القرارات الاقتصادية لتركيع آل محمد:

القرار الأول: حرمان أهل بيت النبوة من ارث النبي:

لم يكن تهديد الإمام علي بحرق بيته على من فيه كافياً، ولا تهديده بالقتل منتجاً. لذلك رأت السلطة الحاكمة أن تحرم علي وفاطمة وابناهما وآل محمد من ميراث محمد، فلا يرثون من مال النبي شيئاً، بحجة أن الرسول قد قال لأبي بكر: «إني لا أورث»[2]، فقالت له فاطمة: «من يرثك إذا مت؟»، فقال أبو بكر: «ولدي وأهلي؟» فقالت: «فما لنا لا نرث النبي؟!»، فردد أبو بكر مقولته السابقة[3]، فقال علي لأبي بكر: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وقال: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، فكيف نوفق بين قولك الأنبياء لا يورثون وبين هاتين الآيتين!! فقال علي: هذا كتاب الله ينطق!!، فسكت أبو بكر وانصرف مصراً على قوله[4]، ولم تكتف فاطمة بذلك انما بسطت الخصومة بينها وبين أبي بكر علنياً أمام المهاجرين والأنصار وأقامت الحجة على أبي بكر بخطبة رائعة جاء فيها: «أفعلى

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣/ ٦٣، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ١٠٧ أفست بيروت، ١٢/ ٥٣ ـ ٥٤ تحقيق أبي الفضل.

(٢) صحيح الترمذي ٧/ ١١١ باب ما جاء في تركة الرسول.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١/ ١٠ ح٦٠، وسنن الترمذي ٧/ ١٠٩، وطبقات ابن سعد ٥/ ٧٧، وتاريخ ابن الأثير ٥/ ٢٨٦.

(٤) كنز العمال ٥/ ٣٦٥، وطبقات ابن سعد ٢/ ٣١٥.

عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وورث سليمان داود﴾[1]، وقال عز وجل في ما قصَّ من خبر يحيى بن زكريا: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾[3] وقال ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[4] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾[5]، وزعمتم أن لا حق ولا ارث لي من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها نبيه!! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون!! أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة! لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي!! أفحكم الجاهلية تبغون[6]»!!.. وأصر أبو بكر على رأيه وحرم آل محمد من ميراثه!!

قال أبو بكر: يرث محمد الذي يقوم مقامه. وبما أن محمد قد مات، وبما أن أبا بكر هو خليفته، فوارث النبي الوحيد هو أبو بكر[7]!!

وتحقيقاً للعدالة ورحمة بأهل بيت النبوة، فقد أخذ أبو بكر كل ما تركه الرسول ولكنه تفضل وأعطى آلة الرسول ودابته وحذاءه الى علي[8]!!

القرار الثاني: حرمان أهل بيت النبوة من منح الرسول ومصادرة المنح التي أعطاه الرسول لهم:

أثناء حياة الرسول الأعظم منح منحاً كثيرة للناس، ومنح أهل البيت الكرام

---

(١) سورة النمل آية ١٦.

(٢) سورة مريم آية ٥ ـ ٦.

(٣) سورة الأنفال آية ٧٥.

(٤) سورة النساء آية ١١.

(٥) سورة البقرة آية ١٨٠.

(٦) بلاغات النساء ص١٦ ـ ١٧.

(٧) مسند أحمد ١/ ٤ ح١٤، وسنن أبي داود ٣/ ٥٠، وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٨٩، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٤٦، وشرح النهج ٤/ ٨١ نقلاً عن الجوهري من كتابه السقيفة.

(٨) شرح النهج ٤/ ٨٧، ٨٩، وبلاغات النساء ص١٢ ـ ١٥.

منحاً كغيرهم من الناس، فترك أبو بكر كافة المنح التي أعطاها الرسول للناس احتراماً لمشيئة الرسول وارادته، وتقديراً للذين دخلوا في طاعة الخليفة والتزموا بجماعته.

أما المنح التي أعطاها الرسول لأي فرد من أهل بيت النبوة فقد قرر أبو بكر مصادرتها وحرمان أهل بيت النبوة منها وذلك حرصاً على مصلحة المسلمين، وكانت فاطمة بنت محمد أول من حرمت من منحتها، فصودرت تلك المنحة. جاء في فتوح البلدان[1]: أن فاطمة بنت رسول الله قالت لأبي بكر: «أعطني فدك فقد جعلها رسول الله لي»، فسألها البينة فشهدت أم أيمن زوج الرسول، ورباح مولى الرسول فقال أبو بكر: «لا يجوز إلا شهادة رجل وامرأتان!!»، وشهد لها علي ولكن الخليفة قرر ولا راد لقراره!! لم يسأل أبو بكر الناس بينة، انما سأل فاطمة عن البينة!!!

القرار الثالث: قرار حرمان أهل بيت النبوة من الخمس الوارد في القرآن الكريم:

جاء في شرح النهج[2]، وفي تاريخ الإسلام للذهبي[3]، وفي كنز العمال[4] ثلاث روايات.

لما منعوا ابنة الرسول من ارث أبيها، ومن منح الرسول طالبتهم بسهم ذوي القربى فقالت لأبي بكر: «لقد حرمتنا أهل البيت، فاعطنا سهم ذوي القربى وقرأت آية: **﴿واعْلَمُوا إنَّما غَنِمْتُمْ من شيءٍ فأنَّ لله خُمُسَه وللرَّسُولِ وَلِذي القُرْبى﴾**».. فقال لها أبو بكر: سمعت رسول الله يقول «سهم ذوي القربى للقربى حال حياتي وليس لهم بعد موتي»[5]!!

(١) فتوح البلدان ٢/ ٣٤ ـ ٣٥.
(٢) شرح النهج ٤/ ٨١ نقلاً عن الجوهري.
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٣٤٧.
(٤) كنز العمال ٥/ ٣٦٧.
(٥) المصدر السابق.

الصدقة محرّمة على آل محمد:

والكارثة مع هذه القرارات أن الصدقة غير جائزة على آل محمد، ولا تحل لهم، فقد روى مسلم: أن النبي كان إذا أُتي بطعام سأل عنه، فإن كان هدية أكل منها، وإن كان صدقة لم يأكل منها[1] ورد الصدقة[2]، ومر النبي بتمره بالطريق فقال: «لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها»، وأن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله: «كخ كخ ارم بها، أما علمت إنا لا نأكل الصدقة». وفي رواية: «انا لا تحل لنا الصدقة»[3].

من أين يأكل أهل بيت محمد بحق الله!!

إذا حرم أهل البيت من ارث النبي، وحرم أهل البيت من المنح التي منحها النبي لهم، وحرم أهل البيت من الخمس الوارد في القرآن الكريم، وإذا كانت الصدقة محرّمة على أهل البيت، فمن أين يأكلون بحق الله!! هل يموتون جوعاً!!

إذا أراد أهل البيت الحياة فعليهم أن يسألوا الحاكم ويوالوه:

قال أبو بكر لفاطمة: (ربما عندما تساءلت بهذه التساؤلات) «اني أعول من كان رسول الله يعول، وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه»[4]، فآل محمد يأكلون ليس لهم أن يزيدوا على المأكل[5]!!

فالحاكم يقدم لأهل بيت محمد المأكل ولا يزيد عليه، فطوال التاريخ يجب على أهل البيت أن يمدوا أيديهم للحاكم الذي هو على استعداد أن يقدم لهم

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٢١ باب قبول الهدية.

(٢) مجمع الزوائد ٣/ ٩٠.

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٨١ باب ما يذكر في الصدقة، وصحيح مسلم ٣/ ١١٧ باب تحريم الزكاة على رسول الله، وسنن أبي داود ١/ ٢١٢ باب الصدقة على بني هاشم.

(٤) سنن الترمذي ٧/ ١١١.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٢٠٠ باب مناقب قرابة الرسول، وسنن أبي داود ٣/ ٤٩ كتاب الخراج، وسنن النسائي ٢/ ١٧٩ قسم الفيىء، ومسند أحمد ١/ ٦ ـ ٩.

المأكل فقط، ومن الحشمة وحسن الخلق أن يطيع الإنسان من يطعمه!! تلك هي سنة أبي بكر وعمر!! وهذا هو عدلهم!! وهذا هو برهم لصديقهم محمد بن عبد الله!!!

الاحتجاجات لا تجدي أمام قرارات السلطة:

ضج أهل بيت النبوة واحتجوا، على هذه القرارات الأليمة، والمذلة. وقد ذهبت الزهراء بنفسها، واحتجت أمام المهاجرين والأنصار بخطبة من عيون خطب العرب، ذكرها الجوهري في كتابه السقيفة[١]، وسمع الخليفة وعمر وأركان حزبه، ورقص المنافقون طرباً، وازداد ولاؤهم للسلطة، ولم يستنكر المهاجرون والأنصار هذه القرارات لا بيد ولا بلسان، واكتفى الخليفة وعمر وأركان حزبهما بالسماع وبقيت القرارات سارية المفعول.

وَسعُدَ عمر بالأثر المؤلم التي تركته تلك القرارات، على آل محمد، وتذكرت القلة المخلصة من المهاجرين حصار بطون قريش ومقاطعتهم لبني هاشم في شعاب أبي طالب، وكيف أن بطون قريش يومها قصرت الحصار والمقاطعة على البيع والشراء والنكاح، وتمنت القلة المخلصة لو طبق هذا الحصار ثانية على أهل البيت لكان أخف وطأة، وأسهل حملاً على أهل بيت محمد، وأقوم قيلاً.

ولم يبق أمام آل محمد غير الصبر والتسليم إلى حين!!!

ندم الخليفة على معاملة فريقه القاسية لأهل بيت النبوة:

لقد تيقن أبو بكر، أن عمر قد حمل قبساً من النار، وهمّ باحراق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه، وفيه علي ابن عم النبي وزوج ابنته، وفارس الإسلام والولي الشرعي من بعد النبي[٢]، وأن فاطمة تلقته على الباب وقالت له: «يا ابن

---

(١) شرح النهج ٤/٨٧، وأحمد بن أبي الطاهر البغدادي في بلاغات النساء ص١٢ ـ ١٥.
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٦٤، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦.

الخطاب أتراك محرقاً عليَّ بابي؟»، وأن عمر قد أجابها بشجاعة الرجال: «نعم[1]!!».

فقد سمع أبو بكر قول فاطمة لعمر وسريته: «لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ من محضركم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا»[2].

كما وسمع أبو بكر أن عمر ومن معه من حزبه هجموا على دار فاطمة وكسروا سيف علي، ودخلوا داره دون اذنه[3].

- وسمع أبو بكر أن فاطمة بنت محمد نادت بأعلى صوتها: «يا أبت، يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة»[4].

وتذكر أبو بكر ما قالته فاطمة له شخصياً ولعمر بن الخطاب وجهاً لوجه: «أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟» قالا: «نعم»، فقالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: «رضى فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟» قالا: «نعم» سمعناه من رسول الله، فقالت الزهراء: «فإني أشهد الله أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه!!»، فقال أبو بكر: «أنا عائذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة»، ثم انتحب أبو بكر حتى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول: «والله، لأدعون عليك في كل صلاة أصليها»[5].

كما وتذكر أبو بكر ساعة هدد عمر بن الخطاب علياً بالقتل إن لم يبايع،

---

(١) أنساب الأشراف ١/٥٨٦ للبلاذري، وكنز العمال ٣/١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/١٦٧، ومروج الذهب للمسعودي ٢/١٠٠.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/١٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/١٠٥.

(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/١٣.

(٥) الإمامة والسياسة ١/١٣ ـ ١٤.

وكيف التحق علي بقبر النبي يبكي ويصيح: «يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[1].

- وتذكر أبو بكر يوم اتخذ تحت الضغط الشعبي لقادة التحالف القرارات الأليمة ضد أهل بيت النبوة، فقرر حرمانهم من ارث النبي[2]، وحرمانهم من المنح التي أعطاها النبي لهم[3]، وحرمانهم من حقهم الشرعي بالخمس[4]، وبما أن الصدقة محرمة عليهم فمعناه موتهم جوعاً، مما اضطره أن يعد بتقديم الأكل لهم[5]، وهكذا أذلهم بعد عز ووضعهم بعد رفعه.

فقد تذكر أبو بكر كل ذلك وندم، وأدرك أنه أول ضحايا هذا النظام الجديد الذي أقامه عمر، وخرج إلى الناس قائلاً: «يبيت كل واحد منكم معانقاً حليلته، مسروراً في أهله، وتركتموني وما أنا فيه، أقيلوني بيعتي»[6]..

لقد كان الرجل صادقاً بالفعل، لكن قادة الانقلاب وبالذات عمر، لن يسمحوا له بالإفلات، لذلك أمروه بالبقاء وتعللوا بسبب ظاهري مفاده خشيتهم من عدم استقامة الأمر ورخاوة العروة، فاضطر أبو بكر للبقاء، لأنه ليس بوسعه إلا البقاء، فهذه مرحلة انتقالية يجب أن يحمل وزرها، وهو مشرف على الموت، وبموته يرثون دولة مستقرة.

هذه هي الفكرة التي منعت عمر من قبول اعتزال أبي بكر، وفضلاً عن ذلك فإن أم المؤمنين عائشة ابنته، وقد أسدت للانقلابيين خدمة كبيرة وما زال لها دور اعلامي خاص، ونفوذ أدبي كاسح.

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١٤.
(٢) صحيح الترمذي ٧/ ١١١.
(٣) فتوح البلدان ٢/ ٣٤ ـ ٣٥.
(٤) تاريخ الذهبي ١/ ٣٤٠، وكنز العمال ٥/ ٣٦٧.
(٥) صحيح الترمذي ٧/ ١١١، وصحيح البخاري ٢/ ٢٠٠، وسنن أبي داود ٣/ ٤٩، وسنن النسائي ٤/ ١٧٩.
(٦) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٣ ـ ١٤.

وعائشة أم المؤمنين لم تكتف بما فعل أبوها وصاحبه:

كأن أم المؤمنين لم تكتف بما فعل أبوها وصاحبه بعلي وأهل بيت النبوة؛ وكأنها اعتقدت أن مساهمتها بالانقلاب كانت متواضعة، لذلك أرادت أن تزيد أسهمها وأن تصب جام غضبها على علي ومن والاه، فقد سربت أم المؤمنين مجموعة من الروايات أسندتها لرسول الله، فقالت أن رسول الله قد أخبرها عن علي: «بأنه يموت على غير ديني»[1]، وربما وضعت أم المؤمنين هذه الرواية عندما بلغها أن عمر بن الخطاب هدد علياً بالقتل، تقول لعمر: نفذ تهديدك ولا تخشى غضب رسول الله فقد أخبرها بأن علياً يموت على غير دين النبي!!

ولم تكتف أم المؤمنين بذلك بل؛ روت بأن رسول الله قال لها: «من أراد أن ينظر الى رجلين من أهل النار، فلينظر الى هذين، فنظرت عائشة فإذا بعلي والعباس قد أقبلا!!» وطالما أن علياً من أهل النار فليس عجيباً منه أن يعترض على خلافة أبيها[2].

قال أمير المؤمنين مخاطباً أهل البصرة في ما بعد: «وأما فلانة ـ أي عائشة ـ فأدركها رأي النساء، وضغن غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دُعِيَتْ لتنالَ من غيري ما أتت إليّ لم تفعل»[3]. إن حقدها على الإمام لا يوصف، انه كما وصفه الإمام: «يغلي في صدرها كالمرجل!!»، وماذا تقول بالسيدة التي تسجد شكراً لله عندما يبلغها وفاة عدوها. فقد كانت تعتبر علياً عدواً لها ولا تطيق أن تلفظ حتى اسمه[4]!!

جاء في مسند أحمد[5] عن عطاء بن يسار: أن رجلاً وقع في علي وفي عمار عند عائشة فقالت: «أما علي فلست قائلة لك فيه شيئاً، وأما عمار فقد

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤/ ٦٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شرح النهج ٩/ ١٨٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٢/ ٢٩ بسند صحيح، والسيرة الحلبية ٣/ ٤٤.

(٥) مسند أحمد ٦/ ١١٣.

سمعت رسول الله يقول فيه لا يخير بين أمرين إلا اختار أرشدهما».

تقول ذلك عن علي وهي تعلم فضله، وقد سقنا من البيان النبوي الذي تعرفه عائشة ما فيه الكفاية.

والعجب أن تقول أم المؤمنين بأن علياً من أهل النار!! ويموت على غير دين النبي، ولم تكتف بذلك، بل؛ أدخلت معه في النار العباس!! عم النبي، ومن يلمها بعد أن تأكدت من أن علي هو حبيب الرسول الأول.

تجريد أهل بيت النبوة من كافة حقوقهم السياسية:

وهكذا وعملياً ابتزوا ابتزازاً حق علي بن أبي طالب الشرعي بقيادة الأمة من بعد النبي[1]، وحتى عمر بن الخطاب اعترف بذلك فقال لابن عباس: «أما والله لقد كان علي بن أبي طالب أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر[2]..

وقال عمر لابن عباس يوماً: «يا ابن عباس والله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله ولكننا خفنا..»[3].

وقد اعترف عمر بأن الإمام مظلوم فقال لابن عباس: «ما أظن صاحبك إلا مظلوماً»[4].

وقد اعترف عمر وبكل صراحة: «بأن الأمر كان لعلي فزحزحوه عنه..»[5].

ولم يكتف عمر وحزبه بذلك انما حرموا على الهاشميين أن يتولوا أي منصب من مناصب الدولة حتى لا يدعوا لأنفسهم يوماً فيجمعوا النبوة والملك معاً

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١١، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١١٨ ـ ١١٩، تجد رسالة معاوية التي تشير الى واقعة الابتزاز.

(٢) الراغب في محاضراته ٧/ ١٣، وكنز العمال ٦/ ٣٩٤.

(٣) شرح النهج لعلامة المعتزلة ٢/ ٢٠.

(٤) شرح النهج ٢/ ١٨.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ١٣٠.

ويتجاوزوا الخط الأحمر الذي رسمه عمر بن الخطاب[1]، ولم يكتفوا بذلك انما حرموا على آل محمد الخلافة بحجة أن النبي كان من بني هاشم ولا يجوز أن الخليفة منهم، والعدل يقتضي أن يختص الهاشميون بالنبوة وأن تختص بطون قريش بالخلافة، فلا تجوز الخلافة لهاشمي بناء على تعليمات عمر بن الخطاب[2].

وقد وصف الإمام حالته وحالة أهل بيته وأشار الى واقعة تجريدهم من حقوقهم السياسية فقال: «لما قبض الله نبيه، وكنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه من دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصار الأمر لغيرنا، وصرنا سوقه، يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل[3]. . .».

تجريد من يوالي أهل البيت من حقوقه السياسية:

وعلى سبيل الاحتياط فلم يصدف وعلى الاطلاق أن ولى أبو بكر أو عمر أو عثمان أو الأمويين أي رجل على الاطلاق موالٍ لآل محمد أو متظاهر بالولاء لهم، فلقد غضبوا على من والاهم من غضبهم عليهم، وجاء زمن من الأزمان أصدر معاوية بن أبي سفيان مراسيم ملكية عممها على كل مقاطعة وكورة، مفادها بالحرف «أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته»، فقام الخطباء على كل منبر يلعنون علياً، ويبرءون منه، ويقعون فيه، وكتب نسخة واحدة الى كل عماله بأن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي «محبيه وأعوانه» شهادة، وكتب أيضاً نسخة واحدة: «من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل البيت فامحوه من الديوان، واسقطوا رزقه وعطاءه، وشفع ذلك بنسخة أخرى قال فيها:

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٣٥٣ـ ٤٥٤، واقرأ نص الحوار الذي دار بين عمرو ابن عباس.

(٢) راجع على سبيل المثال شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ١٠٧، ١٢/ ٥٢ تحقيق أبي الفضل، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣، وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة.

(٣) شرح النهج ١/ ٢٤٨ـ ٢٤٩.

«من اتهمتموه بحب هؤلاء القوم (أهل بيت النبوة) فنكلوا به وأهدموا داره»[1].

من الذي جرّأ معاوية على فعل ذلك؟

معاوية كما يقول برسالته الى محمد بن أبي بكر: «كان يرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا. . حتى إذا قبض الله رسوله فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه[2]»، فعمر بالذات وأبو بكر هما أول من جرّأ الناس على رسول الله وعلى الولي من بعده، وعلى أهل بيت النبوة ومن والاهم ولولا اجتهاد هذين الرجلين لما اختلف اثنان كما قال سلمان الفارسي.

تجريد أهل بيت النبوة من الحقوق المالية:

لقد شعر عمر أن تجريدهم من حقوقهم السياسية كاملة غير كافٍ؛ لذلك عمل الخليفة على تجريد أهل بيت النبوة من كافة أموالهم وممتلكاتهم ومصادرتها، فحرمهم من ارث النبي كما بينا[3]، وصادر المنح التي أعطاها لهم رسول الله[4]، وحرمهم من حقهم بالخمس الوارد بآية محكمة[5]، ولما سألوه: من أين نأكل إذاً؟، بالغ باذلالهم وقال لهم: إن الحاكم سيقدم لكم الطعام فقط ولا يزيد عليه[6].

وهكذا جرد علي وأهل بيت النبوة وآل محمد من حقوقهم المالية، وحولهم عمر وحزبه الى فئة ذليلة تقف على باب الحاكم لتقدم له الولاء مقابل طعامها بلا زيادة!!

فإذا أضفنا هذا الى انتهاك حرمات منازلهم، والتهديد باحراق هذه المنازل،

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦ تحقيق حسن تميم، كما نقل ذلك بن أبي الحديد عن المدائني.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١١ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١١٨ ـ ١١٩.

(٣) صحيح الترمذي ١/ ١١١، وطبقات ابن سعد ٢/ ٣١٥، ٥/ ٧٧.

(٤) فتوح البلدان ٢/ ٣٤، ٣٥.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٣٤٧، وكنز العمال ٥/ ٣٦٧.

(٦) صحيح الترمذي ٧/ ١١١، وصحيح البخاري ٢/ ٢٠٠، وسنن أبي داود ٣/ ٤٩.

والتهديد بقتل عميد أهل بيت النبوة، ستتبين عندها أنه لم تكتوَ أي فئة من الأمة بالنار التي اكتوى بها أهل بيت النبوة، وستتسائل أحسد هذا أم كره أم حقد؟ أم حسد وكره وحقد معاً!!!

من الذي أمر بتجريد أهل بيت النبوة من حقوقهم السياسية والمالية؟ ومن الذي جلب عليهم المحن والمصائب؟

هل هو أبو بكر؟ لقد سمعنا اعتذار أبي بكر وتفهمنا نواياه الحسنة وقلبه الرقيق، وامكانياته المحدودة، وعرفنا أنه ليس أكثر من واجهة لسياسة الحزب الذي يقوده عمر بن الخطاب، فعمر بن الخطاب هو باني الحزب، وهو رئيس الدولة الفعلي، وهو المنظر لسياستها، وبالتالي كان وراء قرار تجريد أهل بيت النبوة من كافة حقوقهم السياسية والمالية، وكان وراء كل المحن التي حلت بأهل بيت النبوة وبالأمة، وبمؤسسة الإمامة من بعد النبي؟!!

قد يقال: كيف ذلك، وأبو بكر هو الخليفة الفعلي؟. أبو بكر ليس له من الخلافة والحكم إلا الاسم، أما الحاكم الفعلي، فهو عمر، والحزب الذي يقوده عمر!! وأبو بكر يقر بذلك ويعترف.

واقعة لا خلاف عليها:

كتب أبو بكر لعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس كتاباً، فأخذاه إلى عمر ليشهد، فلما شاهد عمر الكتاب لم يعجبه، فتفل فيه فوراً ومحاه، فرجعا الى أبي بكر وقالا له: «والله، لا ندري أأنت أمير أم عمر؟» فقال أبو بكر: «بل؛ هو، لو شاء كان» فجاء عمر الى أبي بكر، وقرّعه بشدة على هذا الكتاب، فقال له أبو بكر: «فلقد قلت لك أنك أقوى مني على هذا الأمر لكنك غلبتني»[1].

سر قوة عمر:

كان عمر في الجاهلية نكرة، فهو ليس أكثر من مبرطش يكتري للناس الإبل

---

(١) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد تحقيق حسن تميم ٣/ ٧٨٩ ـ ٧٩٠.

والحمير ويأخذ عليه جعلاً[1]، وبنو عدي لم يكونوا مع العير ولا مع النفير، لم يقاتلوا محمداً ولم يقاتلوا بطون قريش، كما قال أبو سفيان[2]، ولم يتأكد على الاطلاق أن عمر بن الخطاب قد قتل مشركاً أو جرحه، وهو يتباهى بذلك، ويزعم أن الرسول قد نهاه حتى عن قتل المشركين! سهيل بن عمرو مشرك، وأبو جندل مسلم، اقترح عمر على أبي جندل أن يقتل سهيل بن عمرو وشجعه على ذلك فقال له أبو جندل: ما لك لا تقتله أنت؟ فقال عمر بن الخطاب: نهاني رسول الله عن قتله وقتل غيره[3]؟!!. وعمر يعتبر القتل عيباً بالرجل حتى ولو كان في سبيل الله! قال يوماً لابن عباس: «إن الأمر كان لعلي بن أبي طالب فزحزحوه عنه لحداثة سنه وللدماء التي عليه»[4]. وإذا اشتد القتال كان عمر بن الخطاب يولّي الادبار ويهرب حرصاً على الحياة التي وهبها الله له فقد هرب مع عثمان يوم أُحُد[5]، وانهزم عمر يوم حنين[6]، وانهزم يوم خيبر[7]، ولم يكن لعمر أي دور في معركة الخندق.

حتى أن رسول الله كلّف عمر بن الخطاب أن ينقل رسالة شفهية لبطون

---

(١) تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي مجلد ٤ مادة برطش.

(٢) المغازي للواقدي ١/ ٤٥.

(٣) المغازي للواقدي ٢/٦٠٨ ـ ٦٠٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ١٣٠.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٢٠٣، وتاريخ ابن الأثير ٢/ ١١٠، والسيرة الحلبية ٢/٢٢٧، والبداية والنهاية ٢٨/٤، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٥ وقد اتفق هؤلاء الرواة على فرار عثمان وعمر كان معه، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ١٤/ ٢٧٦ و١٥/ ٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٤ و٢٥، وحياة محمد لهيكل ص٢٦٥ وتفسير الرازي ٩/ ٦٧، والدر المنثور ٢/ ٨٠ و٨٨، وكنز العمال ٢/ ٢٤٢، والمغازي للواقدي ٢/ ٦٠٩، والكامل لابن الأثير ٢/ ١٠٨.

(٦) صحيح البخاري تفسير قوله تعالى: ﴿ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم﴾.

(٧) المستدرك ٣/ ٣٧ للحاكم وقال: هذا حديث صحيح، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٨٨ ـ ٢٢٠ ح٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٥ و٢٣٦ و٢٤٠ و٢٤١ و٢٤٢ و٢٤٣ و٢٤٧ و٢٦١ و٢٦٢، ومناقب علي لابن المغازلي ص١٨١ ح٢١٧، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٥٢ و٥٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٢٢ و١٢٤، وأسد الغابة ٤/ ٢١، ومسند أحمد ٦/ ٣٥٣، والبداية والنهاية ٤/ ١٨٦، ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٥٤، ومسند البزار ج١، والكامل لابن الأثير ٢/ ١٤٩.

قريش مفادها أن الرسول لم يأتِ لحرب انما جاء معتمراً، فرفض عمر أن يذهب خشية أن تقتله قريش؛ لأنه لا أحد من بني عدي يحميه[1]!!

وبمعنى مختصر: إنّ بطون قريش لم تكن تكره عمر ولم تحقد عليه؛ لأنه لم يثبت اطلاقاً أن عمر خلال عمره كله قد قتل مشركاً أو جرحه، ولم تقتل بنو عدي مشركاً أو يقتل منها أحد، فإذا كانت بطون قريش لا تحب الرجل فإنها لا تكرهه، فهو شخص عادي لا يقدم ولا يؤخّر، كل ما في الأمر أنه اعتنق الإسلام كما اعتنقه العديد من أبناء بطون قريش، وزوج محمداً ابنته حفصة، فصار صهره.

ولم يكن عمر بن الخطاب شخصاً مميزاً في الصحابة سوى بصهره من رسول الله، فلقد أمّر رسول الله عمرو بن العاص عليه وعلى أبي بكر في غزوة ذات السلاسل[2].

وتأمير عمرو بن العاص على الاثنين له دلالات كبيرة يمكنك فهمها، خاصة وأن عمرو معروف دينه، وقد هاجر بعد صلح الحديبية مع خالد بن الوليد.

وأبعد من ذلك فإن رسول الله قد أمّر أسامة بن زيد على أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة وأمثالهم[3].

عمر لم يستمد قوته من تاريخه:

فليس لعمر موقع اجتماعي بارز في بطون قريش، وليس له تاريخ حربي حافل، إذ لم يقتل أو يجرح أي مشرك قط. إنما كان مسلماً عادياً لمع اسمه، وتألق نجمه بمصاهرته لرسول الله، حيث زوج رسول الله ابنته حفصة، ومن هنا كانت بطون قريش حيادية وخالية الذهن من جهته، فإن أحبته تحبه لأن أحد أفراد

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٣١ و١٩٠، والاستيعاب بهامش الإصابة، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ١٥٦ و٣١٧، والسيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٧٢، ٢٧٤، والسيرة الحلبية ٣/ ١٩٠ و٢٠٧، وسيرة ابن دحلان ٢/ ٢٣٢ هامش الحلبية، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٦/ ٣١٩.

(٣) وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٩٣، وشرح النهج ٦/ ٥٢ تحقيق أبي الفضل ابراهيم، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٤/ ١٨٠.

بطون قريش، وليس هنالك ما يوجب كراهية البطون لعمر.

عمر والمنافقون:

تابع المنافقون بشغف بالغ معارضات عمر بن الخطاب المتكررة لرسول الله، واعتراضاته عليه، وقد أحيطوا علماً بارتيابه، وسمعوا مقالته يوم الحديبية: «لقد ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذٍ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت»[1]، وقد اعترف عمر بذلك فقال: «فما أصابني قط شيء مثل ذلك اليوم، ما زلت أصوم وأتصدّق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت يومئذٍ».

الواقعة التي استقطبت ولاء المنافقين لعمر:

لقد اطمئن المنافقون إلى عمر وأحبوه حباً شديداً من يوم الرزية، وهو اليوم الذي حال فيه عمر وحزبه بين الرسول وبين كتابة ما أراد.

وبالرغم من خطورة هذه الحادثة، وأنها قد غيرت مجرى التاريخ إلا أن المسلمين يمرون عليها مرَّ الكرام، ولا يتوقفون عندها، مع أن أبا بكر قد كتب وصيته وهو مريض ولم يعترض عليه أحد، ولم يقل له أحد أنه قد هجر مع أن عمر كان موجوداً، ومع أن عمر نفسه قد كتب وصيته وهو مريض ولم يعترض عليه أحد، ولم يقل عنه أحد أنه قد هجر، وكل خليفة من الخلفاء كتب وصيته وهو على هذه الحالة، ولم يعقه أحد أو يكسر بخاطره أحد، ولم يقل أحد بأنه قد هجر؟! لماذا يعترض عمر وحزبه على رسول الله؟! ولماذا حالوا بينه وبين كتابة ما أراد وكسروا خاطره الشريف؟!

وما يعنينا أن هذه الواقعة الأليمة انتشرت بنفس الليلة في المدينة وما حولها، ورقص المنافقون من حول المدينة ومن مردوا على النفاق داخل المدينة فرحاً بما فعل عمر، واعتبروا عمر بن الخطاب بطلاً لأنه قد تجرأ هو ورجاله على الدخول الى منزل النبي ومواجهته، ومنعه من كتابة ما أراد، وقوله للنبي: أنت

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٧.

تهجر! وعلم المنافقون أن عمر قد صد الرسول عن العهد لعلي بن أبي طالب، وعلي هذا عدوهم يبغضونه كما يبغضون النبي، ويكرهونه كما يكرهون النبي، وقد شاع بين المسلمين أن المنافقين كانوا يعرفون ببغضهم لعلي، وقد نص الشارع الحكيم على ذلك أيضاً بأنه: «لا يحب علي إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق».

والخلاصة: إنّ هذه الواقعة أو المواجهة التي حدثت بين الرسول من جهة، وبين عمر وحزبه من جهة ثانية في بيت الرسول، قد رفعت أسهم عمر بن الخطاب عند المنافقين الى القمة، ومن ذلك التاريخ لم يَرْوِ راوٍ قط أن أحداً من المنافقين قد عارض عمر، أو تخلّف عن دعوته لأي أمر من الأمور.

كان المنافقون دائماً في صف عمر، ومع أبي بكر من أجل عيون عمر، فلم يرو مؤرّخ قط أن أي منافق قد تأخر عن بيعة أبي بكر أو عمر أو عثمان، أو معاوية أو أي خليفة من خلفاء التحالف!!

والخلاصة: أن عمر بن الخطاب مدين بجزء كبير من قوته ونفوذه ووجوده للمنافقين!!

ثم أحبت بطون قريش ال٢٣ ابنها البار عمر بن الخطاب:

ولماذا لا تحبه بطون قريش، فلم يثبت خلال الحرب الدموية التي جرت بين الرسول وبين بطون قريش أن عمر بن الخطاب قد قتل مشركاً قط، أو جرحه سواء أكان من بطون قريش أو من غيرها، فليس لبطون قريش ثارات عند عمر، ثم إن البطون كانت على علم بمعارضات عمر للرسول، وسمع الطلقاء بمواجهات عمر المستمرة للرسول، وخاصة المواجهة الأخيرة للرسول في بيته، وتأكدت البطون من معارضة عمر التامة لجعل النبوة والخلافة في بني هاشم(١)، وهي على علم بشعار عمر: «النبوة لبني هاشم والخلافة للبطون»، وهي على علم بجهود عمر الحثيثة لتوحيد المهاجرين من أبناء البطون مع طلقائها وتكوين جبهة موحّدة من الفريقين لمواجهة آل محمد، وكلما يريده عمر هو أن يثبت لبطون قريش أنه

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣، وتاريخ بن الأثير ٣/ ٦٣، وشرح النهج ١٢/ ٥٣ ـ ٥٤.

ليس المبرطش الذي عرفوه في الجاهلية؛ انما أصبح رجلاً عظيماً في الإسلام، وبامكانه أن يلعب دوراً تاريخياً إن ساعدته البطون، وقد وثقنا كل ذلك.

وأحبت المرتزقة من الأعراب عمر بن الخطاب أيضاً:

لقد أحب المرتزقة من الأعراب عمر بن الخطاب حباً جماً، وأعطوه مقادتهم بلا تردد لأنهم اكتشفوا أن المستقبل لعمر، وأن الأموال ستكون بيد عمر وحزبه، ولما أعطاهم عمر اشارة وطلب مساعدتهم سارعت المرتزقة من الأعراب لتلبية اشارة عمر ودعوته، وحضرت الى المدينة حتى ضاقت بهم السكك قال الطبري: «إن اسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر بن الخطاب يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»[(١)]، وقال الزبير بن البكار في الموفقيات برواية ابن أبي الحديد[(٢)]: «فقوى بهم أبو بكر ولم يعنيا حتى جاءت أسلم والظن أن يكون ذلك يوم الثلاثاء». والسؤال الذي طرحناه ونطرحه هو كيف علم أن بطون أسلم ستحضر؟، وكيف تيقن أنها معه ومع الانقلابيين؟ وكيف جزم أنهم سيبايعون أبا بكر؟ وكيف أيقن أنهم سينصرونه؟ «فأيقنت بالنصر» والمؤكد الوحيد أن هنالك اتفاق مسبق بينه وبينهم، على موعد محدد، وعلى هدف محدد.

السر الحقيقي في قوة الرجل:

السر الحقيقي في قوة الرجل يكمن في التحالف الذي أنشأه، أو بالحزب الذي أسسه، ومن قيادته لهذا التحالف أو الحزب، حيث أن عمر كخطوة أولى وحّد بطون قريش المهاجر منها والطليق لهدف محدد وهو الحيلولة بين الهاشميين وبين أن يجمعوا مع النبوة الخلافة بعد وفاة النبي[(٣)]، بمعنى أن وحدة البطون موجهة ضد البطن الهاشمي للحيلولة بين علي وبين حقه بالولاية من بعد النبي،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٨، مطبعة أوروبا ١/١٨٤٣، وفي رواية بن الأثير ٢/٢٤ «وجاءت أسلم فبايعت».

(٢) الموفقيات ٦/٢٨٧.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/٦٣، وتاريخ الطبري ٤/٢٢٣، وشرح النهج ١٢/٥٣ ـ ٥٤.

تماماً كما حاولوا أن يحولوا بين النبي وبين حقه الإلهي بالرسالة.

وكخطوة ثانية أقام عمر علاقات وثيقة مع المنافقين، فوافقوه بدون تردد؛ لأن المنافقين يكرهون محمداً وعلياً، ويكرهون آل محمد فسلم المنافقون له المقادة، واتحدوا مع بطون قريش لتحقيق ذات الغاية.

وكخطوة ثالثة وطّد عمر علاقاته بالاعراب والمرتزقة من القبائل خارج المدينة، ومطمع المرتزقة وهمهم الوحيد هو المغانم والمنافع المادية، وقدروا أن الرجل سيغلب هو وحزبه لذلك أطاعوه.

وهكذا أسس عمر حزبه:

وهكذا أقام عمر حزباً أو تحالفاً مكوناً من ١ ـ بطون قريش مهاجرها وطليقها، ٢ ـ ومن المنافقين من أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، ٣ ـ ومن المرتزقة من الأعراب الموالين لمن يدفع لهم أو يعدهم بالدفع.

لغاية محددة، وواضحة وهي صرف الأمر عن علي بن أبي طالب والحيلولة بين أهل بيت النبوة وبين أي دور مميز في قيادة الأمة. وزيادة في الاطمئنان ورّط قادة التحالف الكثير من الأنصار، وهكذا تحددت معالم المواجهة من بعد النبي.

١ ـ ففي جانب يقف آل محمد برئاسة علي بن أبي طالب ومعهم قلة قليلة من المؤمنين الصادقين الذين يجهلون خيوط المؤامرة، ٢ ـ وفي الجانب الآخر التحالف المكوّن من بطون قريش، والمنافقين، والمرتزقة من الأعراب ومن تورّط معهم من الأنصار.

وعلى قمة هذا الهرم جلس عمر بن الخطاب:

وتسلم عمر بن الخطاب عملياً رئاسة التحالف أو الحزب، وجمع بين يديه خيوط القوة كلها، وأخذ يواجه آل محمد بالطريقة التي يريدها وهو مستند الى جدار قوي من القوة والمنعة، وكيف ما فعل عمر بآل محمد، فلن يجد منكراً أو مستنكراً، فلو هدد عمر علياً بالقتل فالحزب يسكت، ولو هم باحراق بيت فاطمة فالحزب يسكت، والسكوت في معرض الحاجة الى البيان بيان، ومن هنا صار

عمر هو الناطق الرسمي باسم التحالف، وهو واجهة التحالف، وهو الذراع الذي يبطش به التحالف بآل محمد، وهو القائد الذي يقود التحالف الى هدفه المحدد وهو تحجيم آل محمد، والحيلولة بينهم وبين قيادة الأمة. هذا هو سر قوة عمر بن الخطاب.

لقد رتب عمر أموره خلال مدة طويلة وبتروٍّ، حتى إذا مرض النبي انقضّ على داره وواجهه تلك المواجهة الأليمة، وبعد موت النبي صب جام غضبه على علي بن أبي طالب وعلى أهل بيت النبوة، وجرّدهم من كافة حقوقهم السياسية والمالية كما وثقنا. وجعلهم سوقة يطمع فيهم الضعيف، ويتعزّز عليهم الذليل.. كما قال الإمام[1].

وحاول عمر أن يعدّل شرع الله، ويتصرّف بالسنة النبوية على الوجه الذي يريده ظاناً أنه سيد الجميع، وفوق الجميع؛ لأن خيوط القوة قد تجمّعت بين يديه، وأفقدته توازنه، فصار يعتقد أن رأيه الشخصي واجتهاده أقرب للصواب من حكم رسول الله!! ـ كما سنوثق ونثبت ذلك في حينه ـ، وهذه هي مكامن القوة والضعف في ذات الرجل الذي غيّر التاريخ، وقلب الأمور رأساً على عقب.

---

(١) شرح النهج ١/٢٤٨ـ٢٤٩.



قادة التحالف خططوا لعزل أهل بيت النبوة وتحجيمهم وخلق حالة من المواجهة الدائمة معهم

القناعة المطلقة:

لسوء الحظ أن قادة التحالف وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، قد اقتنعوا قناعة مطلقة لا تقبل المناقشة، بأن النبوة وحدها تكفي البطن الهاشمي، ولا ينبغي تحت أي ظرف من الظروف أن يجمع الهاشميون مع النبوة الخلافة، لأن جمع الهاشميين للنبوة مع الخلافة اجحاف صارخ بحق البطون القريشية الأخرى!! على حد تعبير عمر بن الخطاب. والإصابة والتوفيق يتحققان عن طريق أربعة مبادىء:

المبدأ الأول: اعطاء النبوة لبني هاشم فكل بطون قريش قد اعترفت بنبوة محمد الهاشمي.

المبدأ الثاني: اعطاء الخلافة لبطون قريش تتداولها في ما بينها.

المبدأ الثالث: إبعاد الهاشميين عن مراكز الدولة والوظائف العامة من باب سد الذرائع حتى لا يستغل الهاشميون مناصبهم ومع الأيام يستولون على الخلافة[1]، وجاء في الامامة والسياسة لابن قتيبة[2] أن عبد الرحمن بن عوف قال لعلي: «عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين وأن لا تولى أحداً من بني هاشم!!.

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٣٥٣ ـ ٤٥٤ دار الكتب العلمية بيروت.
(٢) الإمامة والسياسة ١/ ١٢ وما فوق.

المبدأ الرابع: وفي سبيل توحيد الناس ضد بني هاشم عدلت هذه النظرية في ما بعد، ورأى قادة التحالف أنه لا بأس من أن يتولى الأنصار الخلافة، فقال عمر: لو كان معاذ بن جبل حياً وليته واستخلفته، ومعاذ هذا من الأنصار، وكان من غير الجائز برأي عمر أن يتولى الأنصار الخلافة. ولا بأس أيضاً من أن يتولى الموالي الخلافة، قال عمر بن الخطاب: «لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً وليته، (وسالم من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب)[1].

النجاحات المتتابعة لعمر بن الخطاب وحزبه:

نجح سادات البطون بتوحيد قريش مهاجرها وطليقها ضد علي وضد أهل بيت النبوة، مثلما نجحوا بالتحالف مع المنافقين والمرتزقة من الأعراب ومثلما نجحوا بتوريط أكثرية الأنصار بهذا التحالف وتكوين جبهة متحدة منهم جميعاً ومتفقة على صرف الخلافة عن علي وعن أهل بيت النبوة، ونجح قادة التحالف بمواجهة الرسول في بيته والحيلولة بينه وبين كتابة ما أراد[2]. وبعد ذلك نجحوا بتنصيب أول خليفة للنبي في غياب علي وأهل بيت النبوة[3].

ونجح قادة التحالف بمحاولة حرق بيت فاطمة على من فيه، وفيه: علي وفاطمة وحسن وحسين دون أي معارضة أو استنكار من مهاجر أو طليق أو أنصاري[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣، ٥/ ٣٣، الإمامة والسياسة ١/ ٢٢. وحول القناعة المطلقة راجع: الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٣٤ آخر سيرة عمر من حوادث ٢٣، وشرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد ٢/ ١٠٧ وأورده في أحوال عمر، وأخرجه أبو الفضل ابن أبي الطاهر في تاريخ بغداد ٣/ ٩٧، شرح النهج ٣/ ١٠٧ طبعة أوفست بيروت، ١٢/ ٥٣ ـ ٥٤ تحقيق أبي الفضل ٣/ ٧٨٦ مكتبة الحياة ٣/ ٥٦ دار الفكر.

(٢) تذكرة الخواص لابن الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٨٧ و٢٨٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٨، وابن الأثير ٢/ ٢٢٤، والرياض النضرة للطبري ١/ ٦٤، وتاريخ الخميس ١/ ١٨٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ١٣٣، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ٦٣.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٦٤، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦، وأنساب الأشراف ١/ ٥٨٦، وكنز =

ونجح قادة التحالف برئاسة عمر بن الخطاب في تهديد علي بالقتل دون أي معارضة أو استنكار من مهاجر أو طليق أو أنصاري[1].

ونجح قادة التحالف بتجريد علي وأهل بيت النبوة من ممتلكاتهم، فحرموا أهل البيت من تركة الرسول ومن ارثه[2]، وورثه أبو بكر دون الناس وصار أبو بكر هو وارثه الوحيد حسب ترتيباتهم الجديدة[3]. وهكذا استولى قادة التحالف على كل تركة رسول الله دون منكر بيد أو بلسان من كل المهاجرين والأنصار!! وبعد أن صادر قادة التحالف تركة الرسول وحرموا أهل البيت منها نجحوا أيضاً بمصادرة المنح التي أعطاها الرسول لهم حال حياته كفدك[4]، ولم ينكر على قادة التحالف منكر، لا من المهاجرين ولا من الأنصار، وبعد ذلك نجحوا بمصادرة سهم ذوي القربى الوارد بآية محكمة، وحرموهم من حقهم بالخمس[5]، ولم ينكر على قادة التحالف منكر لا من المهاجرين ولا من الأنصار.

ونجح قادة التحالف بعزل علي بن أبي طالب عن الناس جميعاً، فقد ذهب: علي وفاطمة والحسن والحسين الى بيوت الأنصار بيتاً بيتاً طالبين النصرة فلم يجبهم أحد[6].

= العمال ٣/ ١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٧، وتاريخ الخميس ١/ ١٧٨، وشرح النهج ١/ ١٣٤، وتاريخ بن شحنة ص١١٣ بهامش الكامل لابن الأثير ج١١.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٢ ـ ١٣.

(٢) صحيح الترمذي ٧/ ١١١، وطبقات بن سعد ٥/ ٧٧، وتاريخ ابن الأثير ٥/ ٢٨٦، وكنز العمال ٥/ ٣٦٥، وبلاغات النساء ص١٦ ـ ١٧.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٥٠، وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٨٩، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٤٦، وشرح النهج ٤/ ٨٤ نقلاً عن السقيفة للجوهري.

(٤) فتوح البلدان ٢/ ٣٤ ـ ٣٥.

(٥) كنز العمال ٥/ ٣٦٧.

(٦) شرح النهج ٦/ ٢٨ نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهري، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٢ والى هذه الواقعة أشار معاوية برسالته للإمام وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١٨٢، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ٢/ ٦٧.

قال اليعقوبي في تاريخه[1] واجتمع جماعة الى علي بن أبي طالب يدعونه للبيعة فقال لهم علي: اغدو عليّ محلقين رؤوسكم فلم يغدُ عليه إلا ثلاثة!!

ولتعلم حجم الضغط والاستقطاب ضد علي وأهل بيت النبوة، أن عمر وحزبه تجاهلوا بالكامل البيان النبوي الذي نص على إمامة علي من بعد النبي، فلم ينكر عليهم منكر، وهدد علياً بالقتل فلم ينكر منكر تماماً كيوم تآمرت البطون على قتل النبي!! وتم تجريد أهل بيت النبوة من ممتلكاتهم فلم ينكر منكر تماماً مثلما اتفقت بطون قريش على حصار ومقاطعة النبي وبني هاشم.

وأحضر عمر بن الخطاب الحطب وقبس من النار وهم أن يحرق بيت فاطمة على من فيه وفيه أهل البيت وبنو هاشم!! ولم ينكر منكر لا بيد ولا بلسان، لقد رمى قادة التحالف أهل البيت بسهم واحد!!

وهكذا صار قادة التحالف ومن والاهم في جهة وعلي وأهل بيت النبوة في جهة أخرى:

لقد نجح قادة التحالف نجاحاً ساحقاً بابتزاز حق أهل بيت النبوة بالقيادة[2] ونجحوا بعزلهم عن القاعدة الشعبية فلم ينصرهم أو ينتصر لهم أي واحد من الأنصار[3]، ولم يكن مع أهل البيت عملياً من الناس إلا ثلاثة[4].

مما يعني أن قادة التحالف ومعهم المجتمع كله رغبة أو رهبة صاروا في جهة وعلي وأهل بيت النبوة وبني هاشم وبني المطلب صاروا في الجهة الأخرى، تماماً بنفس وضع النبي عندما أعلن عن النبوة، وبوضعه عندما قررت بطون قريش محاصرة ومقاطعة بني هاشم!!!

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١١، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١١٨ و١١٩، وانظر كيف وصف معاوية فعل أبي بكر وعمر بأنه ابتزاز.

(٣) شرح النهج ٦/ ٢٨، ٢/ ٦٧، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٢، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١٨٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.

الحل الأمثل والاستقطاب:

الحل الذي ارتئاه الولي علي بن أبي طالب هو الحل الذي رآه النبي عندما اجتمعت بطون قريش ومن والاها على مقاطعته ومحاصرة النبي وبني هاشم، وهو الصبر، والبحث عن الأعوان، ولكن الأعوان الذين يريدهم علي أعوان من نوع خاص أعوان يلتزمون بالشرعية الإلهية بدقة متناهية بالمعنى الذي بسّطناه في فصل (نماذج من مواجهة النظام للشرعية الإلهية)، وهكذا جرت ضرورة اعادة تنظيم وتعبئة المتشيعين لعلي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة، فبدأ الإمام بالاستقطاب العلمي حول الشرعية، وبدأ تنظيم التشيُّع، وأخذ الإمام يستقطب وبهدوء حوله وحول الشرعية التي يمثلها، وبدأت بذرة التشيُّع تنمو من جديد.

عمر بن الخطاب يحتاط ويجذّر المواجهة الى يوم الدين:

تيقن عمر بن الخطاب أنه قد استطاع أن يجرد أهل بيت النبوة من كافة ممتلكاتهم، وأن يعزلهم عزلاً كاملاً عن الناس.

ولكنّ رجلاً له همة عمر، ومشاعره نحو علي وأهل بيت النبوة لا يقنعه ذلك ولا يكتفي به، فلدى الهاشميين دائماً القدرة على الخروج من بين الانقاض والبناء من جديد، لذلك أراد عمر أن يجذّر المواجهة بين أهل بيت النبوة وبين المسلمين، وأن يرسي قواعدها بحيث تصبح مواجهة المسلمين لأهل بيت النبوة ناموساً من نواميس الحياة تنقضي الحياة نفسها قبل أن تنقضي المواجهة، ويجب أن تكون الاجراءات التي يتخذها عمر بن الخطاب لترشيد المواجهة مع أهل بيت النبوة حاسمة وقوية بحيث يكون أهل بيت النبوة دائماً هم الطرف الخاسر في هذه المواجهة، وبحيث يبقى المسلمون في جهة وأهل البيت في الجهة الأخرى.

خطط عمر لتجذير المواجهة ودوامها:

وضع عمر بن الخطاب بالتعاون مع قيادة التحالف مجموعة من الخطط لتجذير المواجهة مع أهل بيت النبوة وجعلها حالة دائمة.

الخطة الأولى: القرابة من النبي:

لما واجه عمر بن الخطاب وحزبه رسول الله في بيته، تجاهل عمر وجود الرسول، ووجه كلامه للحاضرين فقال: «إن النبي يهجر؛ حسبنا كتاب الله»[١].

في سقيفة بني ساعدة، تجاهل عمر وجود أهل بيت محمد، كما تجاهل محمد في بيته، واحتج بحجة أهل بيت النبوة وهي القرابة من رسول الله فقال: «.. العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته»!!

وقال أبو بكر: «إن المهاجرين هم عشيرة النبي وهم الأولى به..»، هنالك اجماع بين المؤرخين على صحة هذين القولين[٢].

أنت تلاحظ أن قادة التحالف تجاهلوا وجود أهل بيت النبوة واحتجوا بحجة أهل البيت وهي القرابة. قال الإمام أبو جعفر الصادق: «تمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر من معدنه، واحتجت على الأنصار بحجتنا..»[٣].

في دمشق استقبل المنهال بن عمرو الصحابي، علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فقال له: «كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟»، فقال علي بن الحسين (عليه السلام): «أمسينا كبني اسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منهم، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا أهل بيت محمد ونحن مغصوبون مظلومون، مقهورون، مثبورون، مطردون، فإن لله وإنا اليه راجعون على ما أمسينا فيه يا منهال»[٤].

---

(١) تذكرة الخواص للسبط الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/٨، وما فوق، وشرح النهج ٢/٢٢٦، وتاريخ الطبري حوادث سنة ١١ هـ، وتاريخ ابن الأثير ٢/١٢٥.. الخ.

(٣) شرح النهج تحقيق حسن تميم ٣/٥٩٥.

(٤) فتوح اعثم ٥/٢٤٧ ـ ٢٤٩، ومقتل الخوارزمي ٢/٦٩ ـ ٧١.

ومن النوادر المفجعة حقاً، أنه عندما ذهب أمراء الشام الى أبي جعفر العباسي أقسموا له بالله، وبطلاق نسائهم، أنهم لا يعلمون إن كان لرسول الله أقارب!! وهم يظنون أن أقاربه هم بنو أمية!!

لقد احتج عمر وحزبه بحجة أهل البيت، وصوّروا للناس أنهم أقارب محمد، واتفقت بطون قريش كلها على بني هاشم، وصوّروا الهاشميين بصورة الابن العاق للعشيرة، وصوّروا ابتزازهم لحق أهل بيت النبوة بصورة الخلاف العائلي.

وبلغ الاستهتار بقريش حداً أنها منعت أهل بيت النبوة حقهم بالخمس بحجة أن قريش كلها قرابة ـ كما وثقنا ـ.

وهكذا أخذ عمر وقادة التحالف حجة القرابة من رسول الله ودعموها بنصوص تفيد بأن الأئمة من قريش كما هو مشهور عند القوم، وبما أن حكام الأقاليم هم البارزون فهم عملياً قرابة الرسول الوحيدة.

الخطة الثانية: تداول الخلافة بين البطون وفتح شهية الجميع لها:

وليجعل عمر بن الخطاب للجميع مصلحة بالوقوف ضد أهل بيت النبوة ومواجهتهم واستبعادهم عن الحياة السياسية عين أبا بكر ليكون أول خليفة من خلفاء التحالف، وأبو بكر من بني تيم، وصار عمر بن الخطاب هو الخليفة الثاني وهو من بني عدي، وعين عثمان بن عفان خليفة من بعده وهو من بني أمية المشهورين بحقدهم على علي وعلى الهاشميين لأنهم وتروهم.

وفتحت شهية الأنصار للخلافة عندما صرح: «بأنه لو كان معاذ بن جبل حياً وليته واستخلفته»[1].

وفتح شهية الموالي للخلافة عندما صرح: «بأنه لو كان سالم مولى أبي

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٢.

حذيفة حياً وليته واستخلفته»[1]، وسالم هذا من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب!!

وهكذا طمع الجميع بمنصب الخلافة وطيب خاطر الجميع. فصارت الأمة كلها تنافس آل محمد على منصب الخلافة!! وهذا هو السر في قدرة عمر على التدبير والتخطيط!!

اقتسام المناصب والولايات:

حسم عمر خلافه سريعاً مع أبي سفيان ـ الذي كما يبدو كان خارج اللعبة ـ وأعطاه ما بيده من الصدقات وفيها حق الفقراء والمساكين[2]..

وعين يزيد بن أبي سفيان قائداً لجيوش الشام، وعين أخاه معاوية نائباً له، فارتاحت نفس أبي سفيان، وشعر الأمويون أن لهم مصلحة في النظام، وأنهم شركاء وأخذوا يتحينون الفرص للاستيلاء على السلطة كلها، اذ من غير المعقول أن يكون الأمر بأذل حيين من قريش ـ على حد تعبير أبي سفيان[3].

وترك عمر معاوية والياً على الشام يجمع كيفما شاء، ويعمل بما شاء دون رقيب ولا حسيب، وولاية الشام من أعظم الولايات، ولعل عمر بن الخطاب كان يعد معاوية ليتسلم قيادة التحالف في ما بعد، لقيادة المواجهة ضد أهل بيت النبوة.

كان أبو سفيان ومعاوية والأمويون عامة قوم موتورون وترهم الهاشميون وعلي بالذات، ومن المحال عقلاً أن يحب الأمويون بني هاشم.

كما وسلّم عمر بن الخطاب عمرو بن العاص بلاد مصر وجزءاً كبيراً من فلسطين، وعمرو بن العاص موتور وتره الهاشميون وعلي بالذات، ومن المحال عقلاً أن يحبهم.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٤٩، وشرح النهج ١/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢/ ٣٥.

وجعل خالد بن الوليد علماً من الأعلام، وخالد موتور من بني هاشم، ومن المستحيل على بطن خالد وخالد أن يحبوا علياً وبني هاشم، ثم طيّب عمر خاطر بني مخزوم بقوله: «لو كان خالد بن الوليد حياً وليته واستخلفته»[١].

وولى المغيرة بن شعبه الجزء الأكبر من العراق، والمغيرة بن شعبه مشهور بكرهه لبني هاشم.

وأغرق أصحاب الخطر بالعطايا والصلات:

بعد أن ألغى عمر سنة رسول الله التي تساوي بين الناس في العطاء وأحل رأيه الشخصي الذي يفاضل بين الناس في العطاء محلها[٢]، صار عمر يتصرف بمال المسلمين على الوجه الذي يريده، فأعطى أصحاب الخطر من الناس ورؤسائهم العطايا الجزيلة والصلاة العظمى، وأعطى رؤساء الأنصار ورجالات قريش وأصحاب النفوذ فيهم، ورؤساء القبائل اعطيات تفوق التصوُّر والتصديق فعائشة أم المؤمنين نصيبها ١٢ ألفاً وحفصة ١٢ ألفاً وكل واحدة من أمهات المؤمنين عشرة آلاف، وصار طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وأبو سفيان وغيرهم من أصحاب الحظوة عنده، وهم أصحاب الخطر الذين تحولوا بقدرة قادر الى أصحاب ملايين، فطابت نفوسهم، ورضوا بما أعطوا، وشعروا بالفعل أنهم شركاء في النظام، وأن حالهم أفضل من حال قائد التحالف عمر بن الخطاب الذي ألزم نفسه بنمط متواضع من مستوى المعيشة، وصارت من مصلحة هؤلاء جميعاً أن تكون القيادة بيد التحالف لا بيد أهل بيت النبوة.

تجاهل عمر بن الخطاب للإمام وتصغير منزلته الرفيعة علناً:

لما طعن عمر بن الخطاب، وأخذ يتلوى من سكرات الموت، تجاهل تماماً وجود الإمام علي بن أبي طالب فتمنى أن يكون أبو عبيدة حياً حتى يوليه الخلافة،

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٢، واعلام النساء ٢/ ٧٨٦.

(٢) شرح التجريد للقوشجي ص٤٢٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٧، وشرح النهج ٨/ ١١.

وتمنى أن يكون سالم مولى أبي حذيفة حياً ليوليه الخلافة، وتمنى أن يكون معاذ بن جبل حياً حتى يوليه الخلافة، بل وتمنى أن يكون خالد بن الوليد حياً حتى يوليه الخلافة، واكتشف بأنهم أموات[١].

فعندما يقدم عمر بن الخطاب هؤلاء على ولي الله بالنص وقائد الأمة بالنص وإمام المتقين بالنص وسيد العرب بالنص وسيد المسلمين بالنص، فإنه يحقر الإمام علي بن أبي طالب علناً، ويصغِّر من منزلته، ويهوّن أمره أمام الأمة، لقد اكتشف الإمام علي ذلك فقال يوماً متوجعاً شاكياً: «اللهم اني أستعينك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي»[٢]..

وقال مرة: «اللهم اني أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري»[٣]..
لست أدري بأي موازين يتقدم خالد بن الوليد الذي غيّر مجرى معركة أحد لصالح المشركين على علي بن أبي طالب الذي قتل حملة رايات المشركين يوم أُحُد وحمى النبي وأنقذ المسلمين من هزيمة ساحقة!!

بل كيف يتقدم عمر نفسه على علي بن أبي طالب مع أن عمر هنأه بالإمارة يوم غدير خم!!

كانت تلك محاولات متعمدة لتهيئة الأمور وتصغير منزلة علي بأعين المسلمين!! نفس علي الذي أثبتنا بالنصوص الشرعية القاطعة بأنه خيرة الله من خلقه لخلافة النبي!!

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٢، اعلام النساء ٢/ ٧٨٦، والعقد الفريد ٤/ ٢٧٤.
(٢) شرح النهج ٣/ ٣٥١.
(٣) شرح النهج ٣/ ٦٩.

خمسة أسافين ينافسون علياً على الخلافة وذرياتهم تنافس ذرية علي:

كان علي بن أبي طالب يتنافس مع أبي بكر وحده، وموقن بأنه الأولى منه بالخلافة، فأخذ أبو بكر الخلافة بالصورة التي بيناها آنفاً، وهو على فراش الموت عهد بالخلافة لعمر بن الخطاب الذي ورث دولة مستقرة، وأمة مروّضة مطيعة، ولما طعن عمر وأشرف على الهلاك، فاجأ الناس بقوله: بأن الخليفة واحد من ستة: علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام!! وقال عمر: «هؤلاء النفر الذي توفى رسول الله وهو راضٍ عنهم»[1]. مثلاً لقد كان الرسول راضياً عن الحسن والحسين عندما مات، وكان راضياً عن سعد بن عبادة لماذا لم يدخلهم عمر!!

لقد كان الرسول ساخطاً على عمر عندما توفي، وكيف لا يسخط عليه وقد قال له: أنت تهجر، ولا حاجة لنا بوصيتك[2]!!، وكيف لا يكون ساخطاً عليه وقد حال بينه وبين كتابة ما أراد.

وهكذا أخرج عمر للمسرح خمسة أشخاص دفعة واحدة ينافسون الإمام علي على الخلافة، ورفع مستواهم الى مستوى الإمام وهبط بمنزلة الإمام الى منزلتهم.

وفي كل وقت يطلب فيه الإمام الإمامة، سينهضون بوجهه ويقولون له: نحن أولى منك يا علي فما أنت إلا واحداً من ستة حسب ترتيبات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!!، وأولادهم سينافسون أولاد علي وهكذا نجح عمر باقامة حالة من المواجهة الدائمة مع هؤلاء الستة.

عمر بن الخطاب يعيّن عثمان خليفة له، والشورى شكل وديكور!!

خليفة عمر معروف قبل أن يطعن عمر، ومعروف من زمن أبي بكر، لما مات أبو عبيدة صار عثمان بن عفان هو الرجل الثالث في التحالف، فاصطفاه أبو

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٢، واعلام النساء ٢/ ٧٨٦.
(٢) تذكرة الخواص للسبط الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٨٦ ـ ٢٨٧.

بكر واصطفاه عمر ولم يخرج عثمان عن رأيهما خلال حياتهما قط.

ولم يذكر أن عثمان قد عارض الاثنين قط، وكان عثمان أول زعيم من زعماء المهاجرين يبايع أبا بكر فلما بايع عثمان أبو بكر، بايعه بنو أمية[1].

وكان عثمان يدعى في امارة عمر بالرديف، والرديف بلغة العرب هو الرجل الذي يأتي بعد الرجل والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم. راجع نظام الحكم للقاسمي كما نقلها عن الطبري من ابتداء معركة القادسية.

إذاً فتلك حقيقة مطلقة أن الثلاثة الذين دخلوا السقيفة قد خرجوا من السقيفة معاً مثلما دخلوها معاً ورتبوا أن يكون أبو بكر الخليفة الأول، وأن يكون عمر الخليفة الثاني، وأن يكون أبو عبيدة الخليفة الثالث وبموت أبي عبيدة وقع اختيار عمر على عثمان لأنه من بني أمية حتى يضمن أن يكون خصم علي وأهل البيت قوي وقادر على الحاق الهزيمة بهم. ومن يدقق بالشروط التي وضعها عمر يكتشف أن عثمان معين بالنص عليه من عمر[2].

رأي عمر بالخمسة الذين جعلهم أقراناً لعلي:

قال عمر بن الخطاب لابن عباس: «لا أدري ما أصنع بأمة محمد؟»، فقال له ابن عباس: «لم تهتم وأنت تجد من تستخلفه؟»، قال عمر: «أصاحبكم ـ يعني علياً ـ»، قلت: «نعم، هو أهل لها في قرابته من رسول الله وصهره وسابقته وبلائه»، فقال عمر: «إن فيه بطالة وفكاهة»!! قلت: «فأين أنت من طلحة؟» قال عمر: «إبن الزهو والنخوة!!» قلت: وعبد الرحمن بن عوف قال: «رجل صالح على ضعف!» قلت: «فسعد؟» قال: «صاحب مقنب وقتال!! لا يقوم بقربة لو حملها. قلت: «الزبير» قال: «مؤمن الرضى، كافر الغضب شحيح!!» قلت: «عثمان؟» قال: «لو وليها لحمل بني معيط على رقاب الناس،

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١١.

(٢) كتابنا النظام السياسي ص١٤٧.

ولو فعلها لقتلوه[1]». وفي لفظ آخر انه قال عن طلحة: «أنفه في السماء وأسته في الماء»!!

لو أدرك عمر رجلين ما جعلها شورى!!!

قال عمر: لو أدركت أحد رجلين فجعلت هذا الأمر اليه «سالم مولى أبي حذيفة، وأبي عبيدة الجراح، ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى»[2].

إنَّ كُره عمر بن الخطاب للإمام علي ولأهل البيت أفقده بصره وذاكرته!! فهو لا يريد أن يرى النصوص الشرعية التي بينها النبي، ولا يريد أن يتذكر انه قد هنأ الإمام بالإمارة في خم كما وثقنا ذلك أكثر من مرة.

تعليمات عمر للشورى:

أمر عمر أصحاب الشورى، أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً، فإذا اجتمع اثنان على رجل، واثنان على رجل، رجعوا في الشورى. فإذا اجتمع أربعة على واحد وأباه واحد كانوا مع الأربعة. فإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الذين فيهم ابن عوف[3].

وقال اليعقوبي[4] في تاريخه، والبلاذري في أنساب الأشراف[5]: «إذا اجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان الأربعة، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا رأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا واطيعوا، وإن صفق عبد الرحمن بن عوف باحدى يديه على الأخرى فاتبعوه»، وقال المتقي الهندي في كنز العمال: «وإن ضرب عبد الرحمن بن عوف احدى يديه على الأخرى فبايعوه»[6].

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ١٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٨، والتمهيد للباقلاني ص٢٠٤، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٥٦١، وأسد الغابة ٢/ ٢٤٦.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ١٨.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦.

(٥) أنساب الأشراف ٥/ ١٥.

(٦) كنز العمال ٣/ ١٦٠.

والمؤكد أن طلحة كان غائباً ولم يحضر المشاورة، فيكون بالضرورة عثمان وعبد الرحمن بن عوف صهره، وسعد بن أبي وقاص ابن عمه في جهة، والزبير وعلي في جهة أخرى. فعثمان هو الناجح بالضرورة، ثم إن الصلاحيات التي خولت لعبد الرحمن تدل بأن عبد الرحمن سيفعل ما فعل، وبالنتيجة سيعهد عثمان لعبد الرحمن بن عوف!! في ما بعد.

لذلك قال علي لعبد الرحمن: «حبوته محاباة، ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا أما والله، ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر اليك»[١].

الخطة الثالثة: طمس البيان النبوي واخفاؤه:

كل الأحاديث النبوية المتعلقة بقيادة علي من بعد النبي، وبالدور المميز لأهل بيت النبوة، طمست وتم تجاهلها تماماً، فقد منعوا رواية وكتابة أحاديث رسول الله وأحرقوا المكتوب منها[٢]، وعند تولي معاوية الخلافة، أباح دم من يروي شيئاً من فضل علي بن أبي طالب أو أهل البيت، وقاد حملة لوضع أحاديث تناقض النصوص النبوية الواردة في فضل علي وأهل بيت النبوة[٣]. [وقد وثقنا ذلك وفصلناه]، وبعد أن استرد الناس بعض حريتهم كانت الأحاديث الصحيحة محروقة ومنسية، والأحاديث المختلطة والمكذوبة بين أيديهم.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٦٠.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢ ـ ٤، وطبقات بن سعد ٥/ ١٤٠.

(٣) شرح النهج تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

عمر يضع أساس المملكة الأموية لتقود المواجهة ضد أهل بيت النبوة

كان عمر متيقناً أن عثمان بن عفان يحب أقاربه الأمويين حباً عظيماً، وأنه لو تولى الخلافة فسيجمعهم حوله، ويحملهم على رقاب الناس[1]، وبالرغم من يقين عمر هذا، إلا أنه استخلف عثمان عملياً وعينه خليفة من بعده، لأن الخليفة متيقن أن البطن الأموي هو وحده القادر بعد وفاة عمر على قيادة المواجهة ضد أهل بيت محمد، فالصراع بين الأمويين والهاشميين سابق لعصر النبوة، وكانت القيادة في الجاهلية لبني أمية فجاء الإسلام وجرّدهم منها، ولما نشبت الحرب بين الشرك والايمان، كان الأمويون يقودون جبهة الشرك ضد محمد ودينه، وكان الهاشميون مع محمد، وفي معركة بدر بالذات فتك الهاشميون وخاصة علي بن أبي طالب وحمزة ببني أمية فتكاً ذريعاً فقتلوا سادات بني أمية، وكان من جملة المقتولين: حنظلة بن أبي سفيان شقيق معاوية، وعتبة، وشيبة، والوليد وهم جد معاوية وخاله وابن خاله، مثلما فتك الهاشميون ببني معيط وأبناء العاص عمومة عثمان الأقربين، بمعنى أنه ليس في بني أمية بيت إلا وهو موتور من بني هاشم ومن علي بن أبي طالب بالذات، مما يعني أن الأمويين يحسدون بني هاشم، ويحقدون عليهم لأنهم سلبوهم القيادة، وقتلوا أحبتهم[2].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ١٦.

(٢) المغازي للواقدي ١/ ١٢٥، ١٢٤، ٩٢، والطبقات لابن سعد ٣/ ١٣٠، وفتوح أعثم ٥/ ٢٤١، ومقتل الحسين للخوارزمي ٢/ ٥٨، وراجع تحليلنا المستفيض للموضوع في فصل «قبول الأمة بالترتيبات الإلهية».

كان عمر بن الخطاب يعرف كل ذلك، لذلك استخلف عثمان، ليجمع بني أمية حوله، ليسلط الحقد الأموي، والنفوذ الأموي على أهل بيت النبوة خاصة، والهاشميين عامة، وليمكنهم من قيادة المواجهة ضد أهل بيت النبوة، بقصد ابعادهم أو استبعادهم نهائياً عن قيادة الأمة، وقد بدأ بنفسه باثارة أحقاد بني أمية. انظر إلى قول عمر لسعيد بن العاص بن سعيد الأموي الذي قتل علي بن أبي طالب أباه: «إني لأراك معرضاً عني تظن أني قتلت أباك»[1].. فعمر يذكر هذا الأموي بطريقة ذكية أن الذي قتل والد هذا الأموي هو علي بن أبي طالب!!

وتسهيلاً لمهمة الأمويين بقيادة المواجهة من بعده ضد أهل بيت النبوة، عين عمر يزيد بن أبي سفيان قائداً للشام، ولما مات يزيد عين عمر أخاه معاوية، وولاّه في ما بعد على بلاد الشام كلها يجمع كما يريد، ويتصرف كما يريد بلا رقيب ولا حسيب. وعين عمرو بن العاص والياً على بلاد مصر، وجعل خالد بن الوليد علماً من الأعلام، حتى أن خالد لو كان حياً لولاه عمر الخلافة، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة موتور وحاقد على علي بن أبي طالب بالذات وعلى الهاشميين عامة، وهكذا وضع عمر بن الخطاب الأساس المتين لبناء الدولة الأموية، ورسم معالم المواجهة المستقبلية مع أهل بيت النبوة، فالثلاثة هم حكام البلاد من الناحية الفعلية، وهيأ الأسباب لتوطيد حكم عثمان الأموي، والاعلان عن قيام الدولة الأموية.

بمعنى أن الدولة الأموية كانت موجودة بالفعل قبل مجيء عثمان، ولكن بتولية عثمان أُعلن عن قيام الدولة الأموية.

الخليفة عثمان يجمع أعداء النبي حوله:

ما أن انتهت مراسم تنصيب الخليفة الجديد، ومراسم تشييع الخليفة الراحل حتى بدأ عثمان عهده ليكون الخليفة الراشد الثالث، فجمع حوله كل أولئك الذين قادوا المواجهة مع رسول الله، فجعلهم ولاته وحكومته ومستشاريه، وأطلق يد

(١) المغازي للواقدي ١/ ٩.

الولاة في ولاياتهم، وأغدق على حكومته ومستشاريه العطايا التي تفوق حد التصوُّر والتصديق، حتى صاروا فئة متميزة عن الجميع، وطبقه فوق الجميع، إنه لا حرج على عثمان لو قرب بعض الذين بالغوا بعدائهم للرسول أو قادوا المواجهة ضد الرسول، ولكن الحرج يكمن في جمع كل أعداء الرسول حوله ليكونوا أصفياءه ومستشاريه وحكومته وولاته، صحيح أن قسماً من رجالات عثمان، قد عين قبل تسلمه للخلافة، لكن عثمان بالغ باستقدام بقية أعداء الرسول لقصره، واتخاذهم بطانة له. وبتعبير أدق، جاء بالشجرة الملعونة وغرسها في دار الخلافة.

رأس الشجرة الملعونة:

الحكم بن العاص هو عم عثمان، كان من أشد الناس ايذاءً لرسول الله في الجاهلية، وهو طليق تلفظ بالشهادتين بعد الفتح، ثم قدم المدينة، ولم يتوقف عن ايذاء النبي، فكان يتلصلص على الرسول، ويمشي خلفه، ويهزء بالرسول مقلداً مشيته، فلعنه رسول الله مرات متعددة، وأخبر الأمة بأن هذا الرجل هو والد الشجرة الملعونة، وقال الرسول: «لا يساكني ولا ولده»، ونفاه الى الطائف، فلما مات الرسول راجع عثمان أبو بكر ليرد الحكم وولده فأبى أبو بكر ذلك، ولما استخلف عمر كلمه عثمان ليعيد الحكم وذريته فأبى عمر[1].

رسول الله لعن الحكم بن العاص ولعن ما في صلبه:

قال ابن حجر في صواعقه[2]: أن رسول الله قال: «ليدخلن الساعة عليكم رجل لعين! فدخل الحكم بن العاص» وروى البلاذري في الأنساب[3]، والحاكم في المستدرك[4] وصححه، والواقدي كما في السيرة الحلبية[5] أن الحكم بن العاص استأذن يوماً على رسول الله فعرف صوته فقال: «ائذنوا له، لعنة الله عليه

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٢٧.

(٢) الصواعق المحرقة ص١٤٤.

(٣) الأنساب للبلاذري ٥/ ١٢٦.

(٤) المستدرك للحاكم ٤/ ٤٨١.

(٥) السيرة الحلبية ١/ ٣٣٧.

وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم» وذكره السيوطي في جمع الجوامع[1] نقلاً عن أبي يعلى والطبراني والحاكم والبيهقي وابن عساكر، وجاء في كنز العمال[2] أن رسول الله لعن الحكم بن العاص وما ولد، وقالت عائشة أم المؤمنين لمروان: «إن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه»[3]. قالت عائشة لمروان بن الحكم: «سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدك أبي العاص بن أمية أنكم الشجرة الملعونة في القرآن» هكذا أخرجه ابن مردويه[4]. ومثل هذا أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي.

التحذير من وقوع الكارثة:

أخرج ابن أبي حاتم أن النبي قال: «رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلْنَاسِ والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ﴾ يعني الحكم وولده[5].

وفي لفظ أن النبي رأى في المنام أن ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة.

وفي لفظ للحاكم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر وأبي يعلى أن الرسول قال: «رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص، ينزون على منبرى كما

---

(١) جمع الجوامع ٦/ ٩٠.

(٢) كنز العمال ٦/ ٩٠.

(٣) المستدرك للحاكم ٤/ ٤٨١، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٩٧، وتفسير الزمخشري ٣/ ٩٩، والفائق ٢/ ٣٢٥، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٥٩، وتفسير الرازي ٧/ ٤٩١، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٣٤، والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ٥٥، وتفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ٢٦/ ١٣، والإجابة للزركشي ص١٤١، وتفسير النسفي هامش الخازن ٤/ ١٣٢، والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٠٨، وارشاد الساري للعسقلاني ٧/ ٣٢٥، ولسان العرب ٩/ ٧٣، والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٤١، والسيرة الحلبية ١/ ٣٣٧، وتاج العروس ٥/ ٦٩، وتفسير الشوكاني ٥/ ٢٠، وتفسير الألوسي ٦/ ٢، والسيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية ١/ ٢٤٥.

(٤) الدرّ المنثور للسيوطي ٤/ ١٩١، والسيرة الحلبية ١/ ٣٣٧، وتفسير الشوكاني ٣/ ٢٣١، وتفسير الألوسي ١٥/ ١٠٧.

(٥) الدر المنثور للسيوطي ٥/ ٣٠٩، طبعة دار الفكر، بيروت ١٩٩٣ م.

تنزو القردة»، فما رؤى النبي مستجمعاً ضاحكاً[1].

تحذير آخر قبل وقوع الكارثة:

قال الرسول لأصحابه: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وأن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم»[2].

وقال الرسول لأصحابه: «إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً»[3].

وقال الرسول يوماً أمام أصحابه: «ويل لبني أمية، ويل لبني أمية، ويل لبني أمية»[4]، وقال الرسول يوماً لأصحابه: «شرب العرب بنو أمية».. قال ابن حجر صح وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال أمير المؤمنين علي: «لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية»[5].

تجاهل التحذيرات وتجاهل عداوة الحكم لرسول الله:

نسي عثمان عداوة الحكم بن أبي العاص لرسول الله، ونسي أن الرسول قد لعنه ولعن ما في صلبه، وأن الرسول نفاه وحرّم عليه دخول المدينة وذريته، ونسى تحذيرات الرسول من هذا الرجل ومن ذريته، وليس من المستبعد أن عثمان قد تناسى ذلك فالحكم بن العاص عمه، ثم إن عثمان وعمر من مدرسة واحدة، فهما على قناعة تامة بأن الرسول يتكلم في الغضب والرضى، وليس كل كلام الرسول جدير بالإعمال، ثم إن هدف الإثنين واحد، وهو استبعاد قاتل الأحبة علي بن أبي طالب واستبعاد أهل بيت النبوة، عن قيادة الأمة استبعاداً كاملاً، وحشد كافة الطاقات، وكافة عناصر الأمة لتبقى بحالة مواجهة مع علي وأهل بيت

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥١١، كنز العمال ح٣١٧٣٦، ٣١٠٦٤، الدر المنثور ٥/ ٣٠٩.
(٢) المستدرك للحاكم ٤/ ٤٨٧ وصححه.
(٣) المستدرك للحاكم ٤/ ٤٧٩، وكنز العمال ٦/ ٣٩، وأخرجه ابن عساكر كما روى صاحب الكنز.
(٤) الإصابة لابن حجر ١/ ٣٥٣، والسيوطي في الجامع الكبير ٦/ ٣٩، ٩١.
(٥) كنز العمال ٦/ ٩١.

النبوة تحقيقاً للأهداف التي وضعها عمر بن الخطاب بموافقة قادة التحالف.

ما فعله عثمان بعد تسلمه الخلافة:

١ ـ ما أن تسلم عثمان الخلافة، حتى استقدم عمه الحكم بن العاص فدخل المدينة ليسوق تيساً له وحالته زرية، وبعد ساعة من دخوله الى قصر الخليفة، خرج الحكم بن العاص وعليه جبة من الخز والطيلسان[١]، وعينه الخليفة على الصدقات فبلغت هذه الصَدَقات ثلاثمئة ألف درهم فأعطاها عثمان له وفيها حق الفقراء والمساكين. . وعثمان يسير على سنّة صاحبيه، فقد ترك أبو بكر بايعاز من عمر لأبي سفيان ما بيده من الصدقات ليضمن رضا أبي سفيان؛ مع أن فيها حق الفقراء والمساكين[٢]، ولم يكتف عثمان بذلك، بل وضع الحكم بن العاص في قصره وأعطاه مئة ألف درهم[٣].

٢ ـ وزوج الخليفة ابنته لمروان وأعطاه دفعة واحدة خمس غنائم افريقيا[٤]، ومروان هذا ملعون لعنه رسول الله[٥]، وكان مروان يلقب بخيط باطل[٦]، ومروان مشهور بحقده على أهل بيت محمد. قال ابن عساكر: لقد أبى مروان أن يُدفن الحسن بن علي بن أبي طالب في حجرة الرسول وقال مروان: «ما كنت لأدع إبن أبي تراب يدفن مع رسول الله»[٧]، قال ابن حجر في صواعقه: «أن مروان لما ولي المدينة كان يسب علياً على المنبر كل جمعة»[٨].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤١.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٤٩، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) المعارف لابن قتيبة ص٨٤، والعقد الفريد ٢/ ٢٦١، ومحاضرات الراغب ٢/ ٢١٢.

(٤) المعارف لابن قتيبة ص٨٤، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٦٨، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٣٨، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ٦١، الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٨، وطبقات ابن سعد ٣/ ٤٤، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٥.

(٥) المستدرك للحاكم ٤/ ٤٧٩.

(٦) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ١٢٦.

(٧) تاريخ ابن عساكر ٥/ ٢٧.

(٨) الصواعق ص١٤٤.

٣ ـ ولم يكتف عثمان بذلك بل زوج الحارث بن الحكم بن العاص، أخا مروان، ابنته عائشة، وأعطاه ثلاثمئة ألف درهم دفعة واحدة[١]، ولما قدمت ابل الصدقة أعطاها عثمان للحكم بن العاص[٢] وكان رسول الله قد تصدق على المسلمين بموقع في المدينة فأعطاه عثمان للحكم بن العاص[٣].

٤ ـ كان العاص بن أمية من جيران الرسول المشهورين بايذائهم له، وقد خرج لحرب الرسول يوم بدر فقتله الإمام علي بن أبي طالب على الشرك[٤]، وقد أعطى عثمان لسعيد ابن العاص ألف درهم دفعة واحدة، وولاه على الكوفة، ونكّل بالعلماء من أبناء الأمة.

٥ ـ كان عقبة بن أبي معيط، وهو أخ الخليفة من أمه، من أشد الناس ايذاءً لرسول الله[٥]، قال ابن هشام في سيرته[٦]: «كان الحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط، يؤذون الرسول في بيته، وفي بدر أسر عقبة وأمر الرسول بقتله صبراً»، كما أخرج ذلك ابن مردويه وأبو نعيم من الدلائل[٧].

قال تعالى: ﴿ويَوَمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يدَيْهِ﴾[٨] فالظالم هو عقبة، وقال ابن مردويه، وابن نعيم في الدلائل وابن المنذر وعبد الرزاق في المصنف وابن أبي شيبة وابن أبي حاكم وسعيد بن منصور وابن جرير: «أن الظالم هو عقبة بن أبي معيط والد الوليد»[٩].

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٥٢.

(٢) المصدر نفسه ص٢٨.

(٣) المعارف لابن قتيبة ص٨٤، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ٢٦١، وابن أبي الحديد في شرح النهج ١/ ٦٧، ومحاضرات الراغب ٢/ ٢١٢.

(٤) الطبقات لابن سعد ٥/ ٢١، ٦/ ١٣٥.

(٥) المصدر نفسه ١/ ١٨١.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥.

(٧) الغدير للأميني ٨/ ٣١٩.

(٨) سورة الفرقان آية ٢٧.

(٩) تفسير الطبري ١٩/ ١٦، وتفسير البيضاوي ٢/ ١٦١، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٥، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٢٦، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣١٧، والإمتاع للمقريزي ص٦١ و٩٠، والدرّ المنثور للسيوطي، =

والوليد بن عقبة هو الفاسق الذي فضحه القرآن في آية النبأ[1].

لقد أعطى عثمان بن عفان الوليد بن عقبة، وأرضاه وولاّه على الكوفة، وصلى بالناس صلاة الصبح وهو سكران!!! وهذه الحادثة لها من الشهرة بحيث لا تنكر. قال أبو فرج الأصفهاني:

نادى وقد نفدت صلاتهم   أأزيدكم! ثملاً ولا يدري[2]

٥ ـ زوج الخليفة عثمان ابنته لعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية وأعطاه مئة ألف درهم ولكل رجل من قومه ألف درهم دفعة واحدة[3]، وقال اليعقوبي في تاريخه[4]: «أنه أعطى عبد الله هذا ستمئة ألف درهم دفعة واحدة»، ومن الطبيعي أن الخليفة قد اصطفاه، وضمه مع السابقين لحاشيته وأهل مشورته.

٦ ـ كان أبو سفيان قائد جبهة الشرك ضد رسول الله بلا كلام، وقائد الأحزاب ورأسها بلا كلام، قاتل رسول بكل فنون القتال، وقاومه بكل أساليب المقاومة؛ حتى أحيط به فأسلم، فأدناه عثمان وجعله من أهل مشورته وهو القائل لعثمان ـ والمشير عليه بعد أن آلت الخلافة اليه ـ: «صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار» راجع الاستيعاب لابن عبد البر[5] وهو القائل يوماً: «تلقفوها تلقف الكرة فما هنالك جنة ولا نار»[6]. وقال يوماً: «يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة؛ فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم ورثة»[7].

= وتفسير الخازن ٣/ ٣٦٥، وتفسير النسفي على هامش الخازن ٣/ ٣٦٥، وتفسير الشوكاني ٤/ ٧٢.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢/ ١٠٣.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٤/ ١٧٩.

(٣) العقد الفريد ٢/ ٢٦١، والمعارف لابن قتيبة ص٨٤، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٦٦.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤٥.

(٥) الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٦٩٠.

(٦) تاريخ الطبري ١١/ ٣٥٧.

(٧) مروج الذهب للمسعودي ١/ ٤٤٠.

ودخل أبو سفيان يوماً على عثمان فقال له وكان أعمى: «هل هنا أحد؟ فقالوا: لا. فقال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية»[١].

وباختصار فإن تاريخ أبي سفيان، وعدائه للإسلام، لا يخفى على منصف، ومع هذا كان أحد حاشية عثمان، وأحد مستشاريه، وأحد المنتفعين بعطاءاته التي تفوق التصوُّر!!

٧ ـ عبد الله بن أبي سرح هو الذي افترى على الله الكذب ـ بنص القرآن ـ وهو الذي قال: «سأنزل مثل ما نزّل الله»[٢]. وقد أباح الرسول دمه حتى لو تعلق بأستار الكعبة لأنه أسلم ثم ارتد، وافترى على الله الكذب وعند فتح مكة وبطريقة ما أحضره عثمان وطلب له الأمان من رسول الله، وسكت الرسول طويلاً لعل المسلمين يقتلون هذا الرجل خلال فترة سكوته، ولأنه لا يقول لا، تركه لعثمان[٣].

دولة أموية مستعدة لقيادة المواجهة ضد آل محمد:

الخليفة أموي، والحكومة أموية، والحاشية أموية، والمستشارون أمويون والولاة أمويون، وكل بيت من بيوت بني أمية وتره الهاشميون وخاصة علي بالذات، والأمويون بأغلبيتهم الساحقة يحقدون على علي خاصة وعلى الهاشميين

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٦/ ٤٠٧.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٤٩، وتفسير القرطبي ٧/ ٤٠، وتفسير البيضاوي ١/ ٣٩١، والكشاف للزمخشري ١/ ٤٦١، وتفسير الرازي ٤/ ٩٦، وتفسير الخازن ٢/ ٣٧، وتفسير النسفي هامش الخازن ٢/ ٣٧، وتفسير الشوكاني ٢/ ١٣٣ نقلاً عن ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جريج وابن جرير وأبي الشيخ.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٢٢٠، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٤٩، ومستدرك الحاكم ٣/ ١٠٠، والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٣٨١، وتفسير القرطبي ٧/ ٤٠ وأسد الغابة ١/ ١٧٣، والإصابة لابن حجر ٢/ ٣١٧، وتفسير الشوكاني ٢/ ١٣٤.

عامة، لأنهم قد قتلوا الأحبة بمعنى أن البيت الأموي مؤهّل ليبدأ بمواجهة جديدة مع علي بن أبي طالب، ومع الهاشميين.

بعد أن أخذ الناس يتعرفون على حكم الشرع بالقيادة وعلى حق أهل بيت النبوة الذي ابتزه الخلفاء!!

فليس أمام الخليفة الجديد كائناً من كان سوى أن يبقى رمزاً للحكم، وبلا سلطات، في هذا المناخ، أو يواجه الأمويين فيهزمونه هزيمة ساحقة في النهاية، بمعنى أن الحكم صار حكماً أموياً جاهلياً ولكن بثوب الإسلام، أو بمعنى أدق؛ صار ملكاً ولكن بديكور شكلي، ومصطلحات اسلامية خالية من المضمون!!

كان الإمام علي يعرف ذلك، وهذا سر تردده بقبول الخلافة، وهذه ثمرة ترتيبات الخليفة العادل عمر بن الخطاب، وثمرة تركه لسنة رسول الله، التي كانت تقيد الحاكم بطريقة توزيعه للمال، واتباع سنة عمر الذي أعطى الحاكم الحرية في التصرف بالمال بأي وجهٍ يريدهُ.

وهكذا دخل المال كسلاح جبار ليواجه أهل بيت النبوة مع تجمعات التحالف.

قوة الرجال الذين خصصهم عمر لمواجهة علي وأهل بيت النبوة:

تحدثنا باسهاب عن نفوذ وقوة الأمويين، فإذا أضيف الأمويون للخمسة الذي خصصهم عمر، لمنافسة علي وأهل البيت وخصص أولادهم لمنافسة أئمة أهل البيت، أدركنا خطورة وحجم المواجهة بين علي وأهل بيت النبوة وبين منافسيهم:

١ ـ الزبير بن العوام: جاء في صحيح البخاري كتاب الجهاد باب بركة الغازي في ماله[1]، «أن الزبير خلّف احدى عشر داراً بالمدينة ودارين بالبصرة ـ

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢١.

وداراً بالكوفة وداراً بمصر وكان له أربع نسوة فأصاب كل واحدة بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا ألف»!!

قال المسعودي في مروج الذهب[1]: «خلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً»!!

٢ ـ طلحة بن عبيد الله التميمي: كانت غلته في العراق كل يوم ألف ديناراً، قال ابن الجوزي: «خلف طلحة ثلاثمئة حمل ذهب»، وعن عمرو بن العاص أن طلحة ترك مائة بهار، كل بهار ثلاثة قناطير ذهب، وقال ابن عبد ربه: «وجدوا في تركة طلحة ثلاثمائة بهار من ذهب وفضة»، وأخرج البلاذري بأن عثمان أعطى طلحة من خلافته مائتي ألف دينار[2].

٣ ـ عبد الرحمن بن عوف: قال ابن سعد: «ترك عبد الرحمن ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس وكان يزرع على عشرين ناضحاً، والذهب الذي خلفه قطع بالفؤوس، وترك أربع للنساء أصاب كل واحد ٨٠ ألف»، وقال اليعقوبي: «أن امرأة من نسائه صولحت عن ربع الثمن بـ مئة ألف: وقال المسعودي»[3]. .

٤ ـ سعد بن أبي وقاص: قال بن سعد: «ترك سعد بن أبي وقاص يوم مات: مئتي ألف ألف وخمسين ألف درهم»[4].

٥ ـ أما عثمان فحدِّث ولا حرج عن أمواله وضياعه ودوره[5]، ومن الطبيعي أن تؤول أمواله لذريته بعد موته.

---

(١) مروج الذهب ١/ ٤٣٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٨، وأنساب البلاذري ٥/ ٧، ومروج الذهب ١/ ٤٣٤، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ٢٧٩، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٥٨، ودول الإسلام للذهبي ١/ ١٨.

(٣) الطبقات لابن سعد ٣/ ٩٦، ومروج الذهب ١/ ٤٣٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤٦، وصفوة الصفوة لابن الجوزي ١/ ١٣٨، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٩١.

(٤) الطبقات لابن سعد ٣/ ١٠٥، ومروج الذهب للمسعودي ١/ ٤٣٣.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٣ و٣/ ٤٠، وأنساب الأشراف ٣/ ٤، والاستيعاب ٢/ ٤٧٦، ودول الاسلام للذهبي ١/ ١٢، ومروج الذهب للمسعودي ١/ ٤٣٣.



تحوّل الخلافة إلى ملك

إذا انتصر الإمام علي على الخمسة فلن ينتصر على الأمويين:

إذا استطاع علي وأولاده بهذه الظروف أن يدخل في مواجهة مع الخمسة اللذين أوجدهم عمر لمنافسته ومواجهته، فلن يقوى على الانتصار على بني أمية الذين أتخموا وملكوا النفوذ والقوة والمال واستعدوا من وقت طويل لمواجهة أهل بيت النبوة.

كذلك فإذا انتصر الأئمة من أبناء علي على أبناء الخمسة، فلن ينتصروا على أبناء الأمويين.

لم يبق من الخلافة غير الاسم!!

لقد سقطت الشرعية، وعادت الجاهلية، ولكن بثوب الإسلام، الذي صار طريقاً الى الملك. فالخليفة الملك هو خليفة الرسول من حيث الشكل، وهو ولي أمر المسلمين، وهو مرجعهم الرسمي في أمور دينهم ودنياهم ولكن لا مؤهل له إلا القوة والغلبة، اذ صارت القوة سبباً مكسباً للخلافة بل هي السبب الوحيد. وبما أن الخليفة الملك هو خليفة الرسول فقد تمتع بكل الصلاحيات التي كان يتمتع بها الرسول، وأضفيت عليه القداسة التي كانت للرسول بوصفه خليفته!! تلك هي الكارثة التي واجهت الأمة وواجهت أئمة أهل بيت النبوة!!

وجارى علماء الدولة هذا الواقع الأليم، ذكر أبو يعلى الفرا روى الإمام أحمد ما دل على أن الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ولا تفتقر الى العقد فقال: «ومن

غلب بالسيف حتى صار خليفة وسُمِيَ أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً براً كان أم فاجراً»، وقال في رواية أبي الحارث في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم، تكون الجمعة مع من غلب[1]!!. ويجب على المسلمين طاعة هذا الخليفة مهما فعل ومهما ظلم، ومهما انتهك من حقوق[2].

وأعظم من ذلك أن هذا الخارج على الشرعية والذي أصبح خليفة بالقوة يتولى أمور الناس حتى وهو ميت أنظر الى قول ابن خلدون في مقدمته: «ينظر للناس حال حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته فيقيم لهم من يتولى أمورهم!!».

والسند الشرعي لكل هذا لا آية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله!! ولكن كلمة صدرت من عبد الله بن عمر يوم الحرة عندما قال: «نحن مع من غلب»!! راجع كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية.

الملك الخليفة رجل مقدس وهم أعظم من النبي!!

الأصل أن الخليفة مهاب ومحترم وموقر لأنه القائم مقام الرسول بقيادة الأمة وحفظ الدين على أصوله الصحيحة، فهيبة الخليفة مستمدة من رسول الله، هذا بالنسبة للخليفة الشرعي المعين بأمر الله ورسوله، والأصل أن هذا الخليفة هو الأعلم والأفهم بالدين والأتقى وأصلح المسلمين، ولما انتشرت تقليعة الغلبة واكتساب الخلافة عن طريق الغصب والقوة انتقلت مهابة الخليفة الشرعي للخليفة الغالب الذي لا سند لشرعية حكمه غير القوة والقوة وحدها، وجاءت وسائل الاعلام التي تملكها دولة الخليفة الغالب فأعطت هذا الغالب مكانة لم تخطر على البال!!

---

(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٥٣، ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ لظافر القاسمي ص٢٤٤، ٢٤٥، والأحكام السلطانية ص٥ ـ ١١.

(٢) صحيح مسلم ٦/ ٢٠ ـ ٢٢ باب الأمر بلزوم الجماعة، وشرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٢٢٩، سنن البيهقي ٨/ ١٥٨ ـ ١٥٩.

فصار الخليفة صفى الله!!، وصار خليفة الله لا خليفة رسوله قال الحجاج يوماً على منبر الكوفة: «اسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفيه عبد الملك بن مروان»[1] وحاول الحجاج بن يوسف أن يقنع الناس بأن الخليفة أعظم من الرسول نفسه فناشد عقولهم يوماً على المنبر قائلاً: «أرسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله»[2]!!.

وعاب الحجاج على الذين يزورون قبر رسول الله ويتجاهلون قصر أمير المؤمنين عبد الملك فقال: «تباً لهم يطوفون بأعواد ورمّة بالية!! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله»[3]!!

جاء في العقد الفريد[4]: «إنّ الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان وزعم له أن السموات والأرض ما قامتا إلا بالخلافة وعلى الخلافة!! وقال يوماً أن من يقف مع الخليفة مؤمن، ومن يعاديه كافر»[5].

طاعة الخليفة:

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم[6]، والبيهقي في سننه[7]، ما يلي وبالحرف: «وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: «لا ينعزل الخليفة ـ المتغلب ـ بالفسق والظلم وتعطيل الحدود، ولا يخلع ولا يجوز

---

(١) تاريخ بن الأثير ١/٨ ـ ٧.
(٢) سنن أبي داود ٤/٢٠٩ الحديث ٤٦٤٢، والمسعودي في مروج الذهب ٣/١٤٧، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٥/٥٢.
(٣) راجع كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٥٩٥ وما فوق.
(٤) العقد الفريد ٥/٥١.
(٥) سنن أبي داود ٤/٢٠٩، والعقد الفريد ٥/٥١.
(٦) شرح النووي لصحيح مسلم ٢/٢٢٩.
(٧) سنن البيهقي ٨/١٥٨، ١٥٩.

الخروج عليه بذلك.. والخروج عليهم وقتالهم حرام باجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين!!»

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب التمهيد طبعة القاهرة ١٣٦٦ هـ ما يلي وبالحرف:

«قال الجمهور من أهل الاثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود ولا يجب الخروج عليه[١]»!!

للخليفة حقوق أعظم من حقوق النبي، وطاعته أولى من طاعة النبي:

لما أراد الرسول أن يكتب تعليماته النهائية أثناء مرضه اعترضه عمر بن الخطاب وحال بينه وبين كتابة ما أراد وقال على مسمع الرسول: «إن الرسول يهجر حسبنا كتاب الله ولسنا بحاجة لوصية الرسول»[٢]. وعلى الفور قال الحاضرون من حزب عمر: «إن الرسول يهجر حسبنا القرآن»، وحالوا بينه وبين كتابة ما أراد وقد وثقنا هذه الواقعة أكثر من مرة[٣].

وعندما أراد الخليفة أبو بكر أثناء مرضه المشابه لمرض رسول الله أن يكتب تعليماته النهائية أخذ عمر يهرول بين يديه ويقول للحاضرين: «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله[٤]»، مع أن المرض كان مشتداً بأبي بكر أكثر مما اشتد المرض برسول الله[٥].

---

(١) راجع كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية.

(٢) تذكرة الخواص لابن الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

(٣) راجع على سبيل المثال صحيح مسلم ٥/ ٧٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ٩٥.

(٤) تاريخ الطبري ١/ ٢١٣٨ طبعة أوروبا.

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٩، نظام الحكم للقاسمي ص١٧٦ ـ ١٧٧، وسيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧، تاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٥.

بمعنى أن أبا بكر عومل باحترام أكثر مما عومل الرسول، وأتيحت الفرصة لأبي بكر أن يكتب تعليماته النهائية ولم يعط الرسول فرصة لذلك!!

ونفس الحالة حدثت مع عمر نفسه، فقد كان مريضاً، وقد اشتد به المرض أكثر مما اشتد بالرسول، ومع هذا كتب تعليماته النهائية قبل موته ولم يحل أحد بينه وبين كتابة ما أراد[1]، ومن جملة تعليمات عمر أن يضربوا عنق من يخرج عليها[2]!!

مما يعني أن عمر يتمتع باحترام عند اتباعه وعند المسلمين أكثر من الرسول نفسه.

وإلا فلماذا يكتب أبو بكر تعليماته النهائية ولم يعترضه أحد، ويكتب عمر توجيهاته النهائية ولم يعترضه أحد، وعندما أراد الرسول أن يكتب توجيهاته النهائية حالوا بينه وبين ذلك!!

فالخليفة عملياً عند اتباعه أعظم من الرسول، ويعامل باحترام أكثر مما عومل الرسول!!

حملة منظمة لتصغير منزلة علي وأهل البيت:

الإمام علي واحد من ستة:

عندما طعن عمر بن الخطاب، وأشرف على الموت؛ عهد بالخلافة لعثمان عملياً وشكلياً جعلها شورى بين ستة، وجعل أحدهم صاحب الحق الشرعي؛ الإمام علي بن أبي طالب[3]. قائلاً: إنّه اختار هذا النفر لأن رسول الله توفي وهو راضٍ عنهم[4].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٢١ ـ ٢٢ والطبقات لابن سعد ٢/ ١٦٤، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١١٩.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ١٨، وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٧.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ١٩.

(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٢٢، واعلام النساء ٢/ ٧٨٦.

والحقيقة أنه بعد موت أبي عبيدة وقع اختيار الخليفتين على عثمان ليخلف عمر، لأنه مطيع لهما، ومتعاون معهما، وكاره مثلهما لقيادة أهل بيت النبوة، فلذلك صار موضع ثقة أبي بكر وعمر. فعثمان هو الرجل الذي يتوقعون رئاسته بعد زعيمهم[1].

بمعنى أن الخليفة عمر قد استخلف عملياً عثمان، وقرب عثمان اليه، ورفع مكانته عنده، واقتنع الناس أن عمر مع عثمان، ولكن عمر جعل الأمر شورى من الناحية الشكلية حتى يبرز منافسين جدد لعلي بن أبي طالب، فيكون عثمان هو الخليفة من بعده، يدعمه الأمويون الحاقدون على علي وبني هاشم، وإذا مات عثمان، تكون شهية طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف مفتوحة للخلافة، فينافسون الإمام علي ويدخلون معهم بمواجهة إما منفردين، أو بالتعاون مع بني أمية.

هكذا يتحقق مخطط عمر الرامي الى استبعاد علي بن أبي طالب عن قيادة الأمة نهائياً، واستبعاد أهل بيت النبوة عامة، وإذا مات علي بن أبي طالب، وقام أولاده يطلبون حقهم بالقيادة، يتصدى لهم أولاد أصحاب الشورى الخمسة، وهكذا تبقى الأمة بحالة مواجهة مع أهل بيت النبوة ويحال بين أهل البيت وبين حقهم بالقيادة، هذا هو مخطط عمر ومخطط قادة التحالف!!

ولهذه الأسباب جعل عمر بن الخطاب علياً واحد من ستة!!

الإمام علي واحد من عشرة:

وخلال عهد عمر نشأت فكرة العشرة المبشرين في الجنة وهم: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح[2].

---

(١) نظام الحكم للقاسمي ص٢١٨ ـ ٢٢٢.

(٢) الترمذي ١٣/ ١٨٢ ـ ١٨٣، والبغوي في مصابيح السنة ٢/ ٢٧٧ بالاستناد الى عبد الرحمن بن حميد

وقد شاعت هذه الروايات شيوعاً كبيراً، لأن المبشرين اعلام وقادة التاريخ وتبشيرهم بالجنة يتلاءم مع هوى الناس.

وما يعنينا أن وسائل الاعلام جعلت الإمام علي أحد العشرة التي روجت بأنهم من أهل الجنة، وهكذا صار الإمام العلم الحادي عشر.

الإمام علي وأهل بيت النبوة مجرد صحابة:

قال عمر بن الخطاب في البداية: إن علي بن أبي طالب، ليس أكثر من أحد ستة مات الرسول وهو راضٍ عنهم[(١)]، وجاء شيعة عمر وأبي بكر وتأثروا بالمناخ السياسي وبوقائع التاريخ فزعموا أن الإمام علي أحد العشرة المبشرين في الجنة[(٢)]. وتجاهل عمر أهل بيت النبوة مثلما تجاهلت شيعته ذلك.

وقدر أعداء الإمام وأهل البيت أن علياً سيبقى ظاهراً ما دام واحد من ستة أو واحد من عشرة أشخاص؛ لذلك قرروا أن يجعلوه وأهل بيته مجرد أفراد من جملة ربع مليون صحابي!! واتفق هذا مع زمن معاوية واختراعه لنظرية عدالة الصحابة، حيث قاد بنفسه وبالتعاون مع حكام أقاليم مملكته حملة كذب على رسول الله فكتب مراسيمه الثلاثة إلى كافة عماله ونُسَخِهِ واحدة.

١ - **المرسوم الأول الملكي**: «أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل البيت»[(٣)] كما نقله عن كتاب الأحداث للمدائني.

٢ - **المرسوم الثاني الملكي**: «أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم وقربوهم»[(٤)]..

= عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف، وأخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٢٦٤ عن سعيد بن زيد مثل ذلك، ابن الربيع في تيسير الوصول.

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٢، وبلاغات النساء ٢/ ٧٨٦.

(٢) صحيح الترمذي ١٣/ ١٨٢ - ١٨٣، ٨٦، وسنن أبي داود ٢/ ٦٤.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٥.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد نقلاً عن المدائني ٣/ ٥٩٥.

٣ ـ المرسوم الثالث الملكي: «أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب وأهل بيته إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب اليّ وأقر لعيني وادحض لحجة أبي تراب وشيعته»[١].

٤ ـ المرسوم الرابع الملكي: «من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل البيت فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، ومن اتهمتموه بموالاتهم فنكلوا به واهدموا داره»[٢].

نتائج هذه الحملة المسعورة ـ أكاذيب على رسول الله ـ:

قال المدائني في كتابه (الأحداث) كما يروى بن أبي الحديد في شرح النهج مجلد ٣: «فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والتنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بها عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل.

حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث الى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها[٣]».

الغاية من هذه الحملة:

روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر فقال: «إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة إفتعلت في أيام بني أمية تقرباً اليهم، بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف

---

(١) شرح النهج تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) شرح النهج تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٦، كما نقله عن المدائني في كتابة الأحداث.

بني هاشم» انتهى ما قاله ابن أبي الحديد في شرح النهج[1].

وكانت غاية معاوية من حملته بوضع الأحاديث الكاذبة على رسول الله:

١ ـ أن يطمس البيان النبوي المتعلق بامامة علي من بعد النبي، وبالدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة، طمساً كاملاً، وهو في هذا أشد بياناً وأكثر وضوحاً من أبي بكر وعمر اللذين أرادا ما أراد معاوية ولكنهما حرقا جميع البيان النبوي المتعلق بالقيادة وغير القيادة كما بينا[2]، ومنعوا كتابة ورواية أحاديث الرسول، وقد وثقناه أكثر من مرة.

٢ ـ أن يشكك بكل ما عرفه الناس عن البيان النبوي المتعلق بالقيادة، فما من خبر يأتي في علي وأهل بيته إلا ويضع مناقضاً له بالصحابة.

٣ ـ إضفاء العصمة والقداسة على الصحابة جميعاً: وهم «كل من سمع الرسول أو شاهده وأسلم أو تظاهر بالاسلام»[3] ومعاملتهم بالتقديس جميعاً المهاجر والطليق فيصير معاوية وأهل بيته منهم!!

٤ ـ وصولاً إلى انتزاع علي بن أبي طالب وأهل بيته الكرام من قمة الهرم القيادي وتحويلهم الى مجرد صحابة من جملة ربع مليون صحابي شاهدوا الرسول، وسمعوا وأسلموا أو تظاهروا بالاسلام!!

كان هذا هو القصد من حملة معاوية، ومن اختراعه لنظرية عدالة الصحابة. وقد ألفت كتاباً كاملاً حول هذا الموضوع «نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام»، فارجع اليه إن شئت لتقف على تفاصيل نظرية معاوية وشيعة السلطة في الصحابة.

٥ ـ تفريغ الدين الاسلامي السياسي من محتواه ومضمونه وتحويله إلى مجرد وسيلة للملك وتوسيعه والمحافظة عليه.

---

(١) المصدر نفسه، ٥٩٧/٣.
(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢ ـ ٤، وطبقات ابن سعد ٥/ ١٤٠.
(٣) الإصابة لابن حجر ص١٠.

الفشل المنطقي لحملة التصغير والانزال من القمة الى القاعدة:

عندما جعل عمر بن الخطاب علياً بن أبي طالب أحد ستة قال أن الرسول قد توفي وهو راض عنهم[1]، كان قوله مخالفاً للواقع ومتناقضاً معه، فليس هؤلاء الستة هم وحدهم الذي توفى الرسول وهو راضٍ عنهم!! فقد كان الرسول راضياً عن الكثير منهم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة كما هو ثابت بلا خلاف، كان راضياً عن سيد الخزرج سعد بن عبادة الذي قتله عمر[2]، وكان الرسول راضياً عن خالد بن سعيد الأموي الذي قال عند ابن قتيبة في المعارف[3]: «انه قد أسلم قبل أبي بكر[4]»، هذا على سبيل المثال وكان الرسول عندما توفي راضٍ عن الكثير من أصحابه، فكيف حصر عمر بن الخطاب هذا الرضى بخمسة وعلي سادسهم!!

وإذا كان لرضى الرسول دور بالتقدم والتأخر عند عمر فإن عمر بن الخطاب أول المتأخرين، فلقد مات الرسول وهو ساخط عليه وغير راضٍ منه!! وهل يعقل أن يرضى الرسول من الرجل الذي حال بينه وبين كتابة ما أراد وقال له مواجهة: «أنت تهجر ولا حاجة لنا بكتابك حسبنا كتاب الله[5]»!!

وهل يعقل أن يرضى الرسول ممن أجلب عليه حزباً فقال أمام الرسول: «القول ما قاله عمر إن الرسول يهجر، ما شأنه أهجر! استفهموه انه يهجر» وحالوا مع عمر بين الرسول وبين كتابة ما أراد[6]، وهل يعقل أن يرضى الرسول عن الذين تجاهلوا البيان النبوي المتعلق بالقيادة ورتبوا كما يحلوا لهم!! فإذا كان

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٢، وبلاغات النساء ٢/ ٧٨٦.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٨٩، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٦٤ ـ ٦٥.

(٣) المعارف ص١٢٨.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ١٣، ٦/ ١٣، ١٦، والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٣٩٨، ٤٠٠ وأسد الغابة ٢/ ٨٢.

(٥) تذكرة الخواص لابن الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٣١، ٧/ ٩، وصحيح مسلم ٥/ ٧٧، ١١/ ٩٤ ـ ٩٥، بشرح النووي.

لرضى رسول الله قيمة وميزان فإن ما حدث بالكامل يغضبه ويسخطه ولا يرضيه كما قالت الزهراء فاطمة بنت الرسول[1]!! وهل يرضى الرسول عمن أراد أن يحرق بيت أهل بيت النبوة على من فيه وهم أعدال الكتاب[2]!!

إن رضى الرسول عن من يفعل ذلك يخالف العقل والأصول المستقرة من الدين!! كانت غاية عمر من هذا الترتيب ١/٦ أن يكثر منافسي الإمام على الخلافة ومنافسي أبناء الإمام، وأن يجعل وصولهم لحقه بالقيادة مستحيلاً.

وقصة (العشرة المبشرين في الجنة) غير واردة بموازين العقل والشرع والتاريخ، فقد بشر الله الحسن والحسين بالجنة، وقال أنهما سيدا شباب أهل الجنة، قبل أن تنتشر شائعة العشرة المبشرين في الجنة. وهذا ثابت بلا خلاف!! بل وبشر الرسول كل من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بالجنة. أخرجه أحمد والطبراني من طريق أبي موسى الأشعري، وبشر كل من مات ولا يشرك بالله شيئاً بالجنة أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن حيان عن أبي ذر، (إلا من أبي)؟! قيل: «يا رسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة؟» قال الرسول: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار» أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح[3].والغدير للعلامة الأميني[4] فهل هو مطيع للرسول من يحول بين الرسول وبين كتابة ما أراد!! كما وثقنا، وهل هو مطيع للرسول من يقول أمام الرسول ومتجاهلاً وجوده: «أنت تهجر» كما وثقنا وهل هو مطيع للرسول من أحضر النار ليحرق بيت الرسول على من فيه وفيه ابن عمه وابناه وابنته!!

وهل هو مطيع للرسول من يهدد ابن عم النبي وولي الله وفارس الإسلام بالقتل!!

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١٣ وما فوق.
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٧، وأبو بكر الجوهري في السقيفة كما نقل بن أبي الحديد ١/ ١٣٢، وتاريخ الخميس ١/ ١٧٨، وتاريخ ابن الشحنة ص١٣ بهامش الكامل ج١١.
(٣) مجمع الزوائد ١/ ٧٠.
(٤) الغدير للعلامة الأميني ١٠/ ١٥١.

ونظرية عدالة الصحابة التي اخترعها معاوية لجعل علي وأهل بيت النبوة مجرد أفراد من جملة ربع مليون صحابي لا تستقيم أيضاً مع العقل والشرع بقرانه وبيانه النبوي، ولا مع التاريخ لأن معاوية الذي صار صحابياً مثل علي بن أبي طالب حَسَب موازين نظرية معاوية الذي قاتل دفاعاً عن الاسلام ٢١ عاماً مثل معاوية وأبوه اللذان قاتلا الإسلام علناً وقاوموه ٢١ عاماً!! فبأي منطق ووفق أي عدالة جعل علي مثل معاوية!!. بطون قريش كلها قد اشتركت بحصار الهاشميين! فبأي عدالة يصبح المحاصر (بالكسر) كالمحاصر (بالفتح) أين كان الصحابة يوم قاسى الهاشميون ويلات الحصار والمقاطعة!!

قلب الحقيقة قد يمشي إذا دعمته القوة، ولكن بمناخ الحرية يسقط الزيف وتبقى الحقائق متألقة!!

لقد كان عمر بن الخطاب ذكياً، ومنظراً لا مثيل له، يعرف ماله وما عليه، فكثيراً ما سأل حذيفة عن نفسه، وهل ذكره رسول الله بأنه من المنافقين[(١)]. ولهذا لم يكن يُصلي على ميت وكان يطلب من حذيفة أن يصلي على الأموات لأنه كان يخشى أن يكون من المنافقين[(٢)].

---

(١) الباقلاني في التمهيد ص١٩٦، وابن أبي حمزة في بهجة النفوس ٤/٤٨.

(٢) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١/ ٤٤، والغدير للأميني ٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

اثني عشر اماماً
يقودون اثني عشر مرحلة من مراحل المواجهة

كمال الدين وتمام النعمة الإلهية:

أثبتنا في الأبواب السابقة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينتقل الى جوار ربه إلا بعد أن أكمل الله دينه وأتم نعمته، وبين القرآن الكريم بياناً قائماً على الجزم واليقين. ومن الثابت بالنص الحكيم أن الله جل وعلا قد أنزل القرآن الكريم تبياناً لكل شيء، والإمامة أو قيادة الأمة ومرجعيتها هي أهم شيء ومن المحال شرعاً وعقلاً أن يبين رسول الله غير المهم وأن يبين المهم ويترك الأهم. لأن هذا يتنافى ويناقض كمال الدين وتمام النعمة الثابت في القرآن الكريم، والذي أجمعت الأمة على صحة حدوثه بلا خلاف ولا اختلاف.

معالجة موضوع القيادة أو الإمامة من بعد النبي:

وقد أفردنا باباً خاصاً سقنا فيه البيان النبوي المتعلق بالقيادة أو الإمامة أو المرجعية من بعد النبي، وأثبتنا بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن رسول الله (ص) قد أعلن وبكل وضوح، وبين وبكل طرق البيان أن الله تعالى الذي اختاره للنبوة والرسالة اختار علي بن أبي طالب لإمامة الأمة وقيادتها من بعده، وأنه تعالى قد أعد الإمام علي وهيأ له الأسباب ليكون هو الأعلم والأفهم بالدين، والأكثر احاطة وعلماً بسنة سيد المرسلين، والأتقى والأقرب الى الله ورسوله وأصلح عباد الله بعد رسوله وأفضل المسلمين.

وأعلن رسول الله بكل وسائل الإعلان وبين بكل طرق البيان أيضاً أن الله تعالى الذي اختار محمد للرسالة والنبوة واختار عليَّ بن أبي طالب لإمامة الأمة وقيادتها من بعده، قد اختار أهل بيت النبوة لأداء دور مميز في قيادة الأمة وتوجيهها طوال حياة الجنس البشري، ولا عجب فمحمد آخر الأنبياء وخاتم الرسل ولا بد للجنس البشري من نقطة تجمُّع وارتكاز يرجعون اليها ويستندون عليها.

ومعذرة للأمة وقطعاً لدابر الخلاف والاختلاف حدد رسول الله اثني عشر اماماً كل امام يعين بنص ممن سبقه وبعهد من رسول الله، وسمى هؤلاء الأئمة بأسمائهم وأعلنهم لمن عاصره من المسلمين بكل وسائل الإعلان، وبينهم بكل طرق البيان ليضفي حالة من الاستقرار والمؤسسية على منصب القيادة أو الإمامة أو المرجعية من بعده.

وأعلن الرسول بكل وسائل الإعلان، وبين بكل أساليب البيان أن هذه الترتيبات المتعلقة بالقيادة أو الإمامة أو المرجعية والمتعلقة بالدور المميز لأهل بيت النبوة، هي وحي الهي وأوامر الهية أُمر بابلاغها وبيانها للناس، مثلما أُمر ببيان الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من أمور الإسلام، وما كان له أن يتقول على الله أو يفتري عليه وهو على وشك لقائه، وأيده القرآن الكريم **﴿وما يَنطِقُ عنِ الهَوى، إنْ هُو إلاّ وَحْيٌ يُوْحَى﴾**[1] **﴿إنْ اتَّبع إلاّ ما يُوحَى اليَّ﴾** **﴿اتَّبعْ ما أُوحِيَ اليكَ مِن ربِّكَ﴾**[2] **﴿ولَوَ تَقوَّل عَلَينَا بَعْضَ الأقَاوِيلِ لأخَذْنا مِنهُ باليَمِينِ، ثمَّ لَقَطَعْنا مِنهُ الوَتِينَ﴾**[3].

وأخبر النبي كافة المسلمين في حجة الوداع أنه لن يلقاهم بعد عامهم هذا، وقدم اليهم إمامهم من بعده فبايعوه بالولاية، وقدموا له التهاني، ومرض النبي كما أخبر المسلمين سلفاً، ومات من مرضه كما أعلمهم سلفاً، وقد وثقنا ذلك توثيقاً

(١) سورة النجم آية ٣ ـ ٤.
(٢) سورة الأنعام آية ٥٠، ١٠٦.
(٣) سورة الحاقة آية ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦.

محكماً، فارجع الى باب البيان النبوي المتعلق بالإمامة أو القيادة من بعد النبي.

المفاجأة الكبرى واصطدام الشرعية الإلهية بما تهوى الأنفس:

لما رأى بعض المسلمين أن الله الذي اختار محمداً الهاشمي للنبوة والرسالة قد اختار ابن عمه الهاشمي عليَّ بن أبي طالب للإمامة والقيادة من بعده، واختار أهل بيت النبوة الهاشميين لدور مميز ودائم لقيادة الأمة، ورأوا أن الجميع من بني هاشم، دب الحسد في قلوب هذا البعض. وبما أن الهاشميين هم الذين احتضنوا النبي وحموه وحموا دعوته، وحيث أنَّهم كانوا رأس الحربة لمواجهة النبي مع أعدائه الذين أصبحوا في ما بعد مسلمين، وبما أن عليّ بن أبي طالب خاصة والهاشميين عامة قد وتروا أعداء النبي الذين صاروا مسلمين في ما بعد، بعد أن تلفظوا بالشهادتين، لذلك فإن هذا البعض المسلم صار يحسد الهاشميين عامة وأهل البيت خاصة ويحقد عليهم.

ورأى هذا البعض أنه لا تناقض ولا تعارض بين حسدهم وحقدهم على آل محمد وبين اعترافهم بنبوة محمد ورسالته، ودخولهم في الإسلام، وقدَّروا أنه لا تناقض بين قبولهم للإسلام كله ورفض الجانب المتعلق منه بالقيادة من بعد النبي وبالدور المميز لأهل بيت النبوة.

ولأن الإفصاح عن هذا أمر محرج لهم ويثير استنكار العامة، واكتشاف الخاصة لحقيقتهم، فقد أخفوا حقيقة تفكيرهم، وقادوا حملة شائعات مركزة وسرية أثناء حياة النبي، فشككوا بقول النبي وببيانه المتعلق بالقيادة من بعده وزعموا أن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى ولا ينبغي أن يحمل كل كلامه على محمل الجد وشككوا بشخصية الرسول وعقله واتزانه ـ كما وثقنا وأثبتنا في باب الشائعات ـ وصولاً إلى ابطال البيان النبوي المتعلق بالقيادة من بعد النبي، وبالدور المميز الذي اختص الله به أهل بيت النبوة.

ولضمان عدم تفعيل البيان النبوي المتعلق بالقيادة، وابطال مفاعيل هذا البيان نهائياً، وتجاهله تجاهلاً كاملاً أسس هذا البعض حزباً أو تحالفاً أو تنظيماً متماسكاً ليلغى البيان النبوي المتعلق بالقيادة من بعده والدور المميز لأهل بيت

النبوة وابطال مفاعيل هذا البيان بالقوة عند الاقتضاء، مع الاحتفاظ بهوية الانتماء للدين، والاعتراف بنبوة سيد المرسلين على اعتبار أن هذه النبوة هي التي أقامت الملك الجديد وأسسته، وأن هذه النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمحافظة عليه.

المواجهة مع النبي نفسه:

والنبي على فراش الموت أراد أن يكتب تعليماته وتوجيهاته النهائية كنبي وكقائد للأمة أسوة بقادة الأمم، وبالوقت المحدد لكتابة هذه التوجيهات فوجىء النبي بدخول عمر بن الخطاب ومعه عدد كبير من أعوانه ورجالات حزبه الذين يرون رأيه، فقال النبي لأهل طاعته: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، وما أن سمع عمر بن الخطاب أمر النبي حتى تجاهل وجوده وقال للحاضرين في حجرة النبي: «إن النبي يهجر ولا حاجة لنا بكتابه حسبنا كتاب الله»[1]. وكأنّ بين عمر وبين رجاله الذين حضروا معه اتفاق مسبق!! فما أن سمعوا قول عمر الخطير هذا حتى تجاهلوا وجود النبي كما تجاهله عمر وقالوا وبصوت واحد: «القول ما قاله عمر»، عندنا كتاب الله، حسبنا كتاب الله ولا حاجة لنا بكتاب الرسول «إن النبي يهجر!! ما شأنه أهجر!! ما له أهجر!! استفهموه»[2].

فصعق الحاضرون من أهل طاعة النبي من فظاعة قول عمر وحزبه، وأصروا على احضار الكتف والدواة، وأصر عمر وحزبه على عدم احضارها، وتنازع الفريقان واختلفوا وأكثروا اللغط وكل فريق متمسك برأيه، أقلية من أهل طاعة النبي وأكثرية من أهل طاعة عمر، فقدر النبي أن كتابة الكتاب بهذا المناخ غير

---

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

(٢) صحيح البخاري ١/١٣٧، ٢/١٣٢، ٤/٣١و٦٥ـ٦٦، ٥/١٣٧، ٧/٩، ٨/١٦١، وصحيح مسلم ٢/١٦، ٥/٧٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ٩٤ـ٩٥، وتاريخ الطبري ٣/ ١٩٢ـ١٩٣ وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ١/٥١، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي.

مجدية لذلك قال للجميع: قوموا عني، دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه، انه لا ينبغي عندي تنازع[1]!!.

وقد اعترف عمر بن الخطاب في ما بعد بهذه الواقعة، وقال انه صد النبي عن كتابة الكتاب الذي أراد، وحال بين النبي وبين كتابة توجيهاته النهائية حتى لا يجعل الأمر من بعده لعلي بن أبي طالب[2].

ويجدر بالذكر أن أبا بكر مرض في ما بعد وأراد أن يكتب توجيهاته النهائية قبل موته فقال لعمر ومن حضر: «قربوا أكتب لكم كتاباً»، فقال عمر للحاضرين: «اسمعوا واطيعوا قول خليفة رسول الله»[3]، فاصابة أبو بكر غشية بعد قوله: «اني قد وليت عليكم..»، وانتظروه بكل الاحترام حتى كتب توجيهاته النهائية واستخلف عمر فسمعوا له وأطاعوا[4]. وعمر نفسه كتب توجيهاته النهائية للأمة وهو مشرف على الموت، وكل خليفة في ما بعد فعل ذلك، ولم يقل أحد لأي واحد منهم أنت تهجر!! حسبنا كتاب الله مع أنهم جميعاً أقل مرتبة من الرسول وبكل الموازين!! والخلاصة أن الرسول قد انتقل الى جوار ربه بعد أن حالوا بينه وبين كتابة ما أراد مكتفياً بالبيان النبوي الشامل.

تجاهل امام الأمة من بعد النبي واختيار قائد بديل في غياب علي وأهل بيت النبوة:

بعد أن نجح عمر وحزبه بالحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد طوروا نجاحهم واغتنموا فرصة انشغال صاحب الحق بالقيادة وأهل بيته بتجهيز النبي

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) المصادر السابقة، وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٣/١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى، مصر، وبيروت، ١٢/٧٩ سطر ٣ بتحقيق أبي الفضل، ٣/٨٠٣ طبعة مكتبة الحياة، ٣/١٦٧ طبعة دار الفكر.

(٣) تاريخ الطبري ط أوروبا ١/١٣٨.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٢٩، ونظام الحكم للقاسمي ص١٧٦ ـ ١٧٧، وسيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧ وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٥، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٣٦٧.

ودفنه واختاروا خلال تلك الفترة خليفة وقائد بديل للإمام علي متجاهلين بالكامل وجود الإمام صاحب الحق، ووجود أهل بيت النبوة ومتجاهلين البيان النبوي الشرعي الذي حدد القائد من بعد وفاة النبي، واختص أهل بيت النبوة بدور مميز!! وفوجىء الإمام علي وأهل بيت النبوة بالقائد الجديد يزفه حزبه ومؤيدوهم كواقع مفروض لا مفر من قبوله، أو الدخول مع القائد البديل وحزبه بمواجهة غير متكافئة قد تقوض أعمدة الدين كله!! الذي ما زال وهناً في نفوس الأكثرية، ولا خلاف بين أحد من أهل الملة بأن اختيار الخليفة أو القائد البديل تم في الغياب الكامل لعلي وأهل بيت النبوة، فتوثيق هذه الناحية من قبيل تحصيل الحاصل وإيضاح الواضحات ومع هذا فقد وثقت كافة هذه الأمور توثيقاً كاملاً في فصل «خطوات تنفيذ الانقلاب وتوزيع الأدوار»[١].

علي بن أبي طالب أول الأئمة الاثنى عشر:

لا خلاف بين أحد من أولياء أهل بيت النبوة بأن الإمام علي بن أبي طالب هو أول أئمة أهل بيت النبوة من بعد النبي، وهو والدهم، وهو أول عمداء أهل بيت النبوة خاصة والبطن الهاشمي عامة، ولا علم لنا بخلاف على ذلك. فمن علي بن أبي طالب وزوجته البتول الزهراء انحدر كل أئمة أهل بيت النبوة أو عمداء أهل بيت النبوة في كل زمان، فكان علي هو خيرة الله من خلقه بعد النبي كما أثبتنا، وهو أعلم الناس بعد النبي بالدين، وأفهمهم به، وأكثرهم احاطة بالسنة النبوية، وأقربهم الى الله ورسوله وأصلحهم، فهو سيد العرب بالنص، وسيد المسلمين بالنص، وأمير المؤمنين بالنص، وإمامهم وقائدهم من بعد النبي بالنص، وزوجته هي سيدة نساء العالمين بالنص. ومن هذه الذرية المباركة انحدر الأئمة الاحدى عشر الآخرين، وكل واحد منهم وعى علم النبوة بحيث كان في

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٨، ٣/ ١٩٨، ٢٠٨، وطبعة أوروبا ١/ ١٨١٨، ١٨٤٣، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٨ وما فوق، وتاريخ ابن الأثير ٢/ ١٥٢، ١٢٣، ٢٢٤، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ٢٢٦، ٦/ ٢٨٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٣، والموفقيات للزبير بن بكار ص١٧٩.

زمانه هو الأعلم والأفهم بالدين، والأقرب لله ولرسوله، وأصلح وأفضل المسلمين.

كيف واجه أول الأئمة واقعه؟

لا ريب أن قادة التحالف نصبوا خليفة بديل، ولا ريب بأنهم قد تجاهلوا البيان النبوي المتعلق بالقيادة من بعد النبي تجاهلاً كاملاً أو أولوه بما يتفق مع مقاصدهم ولا ريب بأن الأكثرية الساحقة من أفراد المجتمع معهم أو حُشدت معهم، لأن الأقلية الصامتة اختارت العافية، وانحنت في النهاية أمام العاصفة لقد سمع الإمام في ما بعد أن الأنصار قد قالت لقادة التحالف: «لا نبايع إلا علياً»، أو أن بعض الأنصار قد قالوا: «لا نبايع إلا علياً»[1]، وقال ابن الأثير: إنّ الأنصار قد قالت هذا بعد أن بويع لأبي بكر[2]، وسمع الإمام بقول المنذر بن الأرقم لقادة التحالف في السقيفة: «إن فيكم لرجل لو طلب هذا الأمر لم ينازعه أحد ـ يعني الإمام علي ـ»، وسمع الإمام علي قول بشير بن سعد له: «لو أن هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان»[3].

وسواء أجاءت هذه الأقوال قبل البيعة أو بعد البيعة فإنها لا تؤثر على الواقع المفروض ولا تغير حقيقة بأن الأكثرية الساحقة من أفراد المجتمع نصبوا خليفة بديل في غياب الإمام الشرعي، وأن هذه الأكثرية الساحقة تقف وبكل عزم وحزم خلف خليفتها الجديد رغبة أو رهبة، وتشعر هذه الأكثرية بأنها مشتركة بتنصيب هذا الخليفة الجديد، مثلما تشعر بأنه الغالب لا محالة، وأن من مصلحتها الوقوف معه لتحمي مصالحها وليشركها الحكم الجديد في مغانمه ويجنبها شر المغارم. وسيان أخطأت هذه الأكثرية في موقفها أم أصابت وخالفت البيان النبوي أو وافقته فإن هذا لن يغير الواقع الذي صار حقيقة من حقائق المجتمع.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٠٨، وطبعة أوروبا ١/١٨١٨.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/١١٣.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/١٢.

الإمام علي لم يبدأ بالمواجهة:

لما رأى الإمام علي الواقع المفروض شاخصاً أمامه، جلس في بيته مهموماً لتجاهل القوم للبيان النبوي، ولضياع حقه، وأخذ يرقب بعين البصير الفطن تسارع حركة الأحداث.

ولأن قادة التحالف يخشون من خطر الإمام لكونه صاحب حق ولكونهم قد ابتزوه هذا الحق على حد تعبير معاوية برسالته الموجهة الى محمد بن أبي بكر[1] أو لأنهم صرفوه عنه على حد تعبير عمر بن الخطاب[2]، وسواء للسببين أو لأحدهما فقد أدرك قادة التحالف خطورة الرجل وضرورة الحصول على بيعته وبيعة أهل بيته بأي ثمن.

وبفظاظة وجلافة وقسوة بالغة لا تليق بهم ولا بمنزلة الإمام احضروا حطباً ووضعوه حول بيت الإمام وجاءوا بقبس من النار وهموا باحراق بيت علي بن أبي طالب على من فيه وفيه علي وهو القائد الشرعي للأمة وسيد العرب وسيد المسلمين، وفيها فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وفيها ابنا رسول الله سيدا شباب أهل الجنة وريحانتاه من هذه الأمة بالإضافة الى لفيف من الزوار المعزين لأهل بيت النبوة بوفاة الرسول[3]!!

قال اليعقوبي في تاريخه[4]: «وتقدم عمر بن الخطاب ومن معه وهجموا على الدار ودخلوا دار علي وكسروا سيفه»!!

هذا الأسلوب لم تعهده العرب ولا أي مجموعة بشرية لا في الجاهلية ولا

---

(١) مروج الذهب ٣/ ١١، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١١٨ و١١٩.

(٢) الطبقات لابن سعد ٣/ ١٣٠.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٦٤، وتاريخ أبي الفداء ١/ ٥٦، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٧، وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد ١/ ١٣٢، وتاريخ الخميس ١/١٧٨، وشرح النهج ١/ ١٣٤، وتاريخ ابن شحنة ص١١٣ بهامش الكامل ج١١.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.

في الإسلام فقد تعود الناس أن يأخذوا بخاطر أهل الميت لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع أو أربعين يوماً، هذا عرف اتفقت عليه البشرية وأجمعت، وعمل قادة التحالف هذا غير مألوف بل ومستهجن بكل موازين الشرع والعقل والعرف والأخلاق، وبقسوة بالغة أخرجوا الإمام علي واقتادوه ليمثل أمام الخليفة الجديد ويبايعه رغم أنفه.

الإمام يحول حوادث العنف الى مناسبة لابطال حجة التحالف التي قام عليها ملكهم الجديد:

لما أُوقف الإمام علي أمام الخليفة الجديد وحوله وجهاء أهل طاعته، وكبار رجال قادة التحالف قال الإمام علي أمامهم جميعاً: «أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله (ص)، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم، فأعطوكم القيادة وسلموا اليكم الإمارة وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً، فانصفونا إن كنتم مؤمنون، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون»..

قال أبو عبيدة بن الجراح: «يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى منك على هذا الأمر، وأشد احتمالاً واضطلاعاً به فسلم لأبي بكر، فإنك تعش ويطل بك البقاء فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق، في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك».

فأجابه الإمام علي: «الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته الى دوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحق الناس به، لأنا أهل البيت، ونحن أحق بالأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم

بالسوية، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً»[1].

قال بشير بن سعد أول من شق اجماع الأنصار وبايع أبا بكر: «لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان»[2].

وسر تركيز الإمام على القرابة من رسول الله أن المهاجرين احتجوا على الأنصار بالقرابة من رسول الله، فقال أبو بكر: «ونحن عشيرة الرسول»[3]، وقال أبو بكر أيضاً: «ونحن أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده لا ينازعهم فيه إلا ظالم»[4]، وقال عمر بن الخطاب: «والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم.. من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أهله وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم[5]..».

عندئذٍ قال بشير بن سعد: «إن محمداً رجل من قريش، وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه، وايم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم، ومد يده وبايع أبا بكر»[6].

الإمام علي يهدم الأساس الذي بني عليه تنصيب الخليفة الجديد:

أنت تلاحظ أن قادة التحالف احتجوا بحجة أهل بيت النبوة وهي القرابة من رسول الله وعلى هذا الأساس سلم الأنصار، وبايعوا أبا بكر مع أن أبا بكر من بني تيم وعمر من بني عدي ومحمد من بني هاشم، وبعد أن وضع الإمام علي النقاط على الحروف، انهار كلياً الأساس الذي بني عليه تنصيب الخليفة البديل، واغتنم

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١١، ١٢.
(٢) المصدر السابق ١/ ١٢.
(٣) الإمامة والسياسة ١/ ٦.
(٤) المصدر السابق ١/ ٧.
(٥) المصدر السابق ١/ ٧ـ ٨.
(٦) المصدر السابق ١/ ٨ـ ٩.

الإمام علي الفرصة فأكّد أن الإمامة حق له ولأهل بيته، وليست حق لغيره. والحق أحق أن يتبع، وترك الحق مع العلم ظلم عظيم. وهكذا حرك الإمام عقول الناس ولكنها لم تتحرك.

وأنت تلاحظ أن احتجاج الإمام منطقي وسلميٌّ من جميع الوجوه وملتزم بالمسيرة العامة دون شق عصا الطاعة أو تفريق كلمة المسلمين، أو تعريض الدين للوهن، لأن الناس حديثوا عهد بالإسلام.

منطق القوة لا قوة المنطق:

عمر القوي الشديد بحزبه لا يصغي للغة المنطق، ولا تقدِّم عنده حجة الإمام ولا تؤخِّر لذلك تجاهل حجة الإمام وكأن لم يسمعها وقال للإمام: «بايع»!! فقال له الإمام علي: «إن لم أفعل فمه؟»، قال عمر (وقالوا): «إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك؟»، قال علي: «أتقتلون عبد الله وأخا رسوله؟»، قال عمر: «أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا (معنى ذلك أن عمر يجحد البيان النبوي المتعلق بأخوة النبي لعلي)!! فلحق علي بقبر النبي يبكي ويصيح ويقول كما قال هارون لموسى عندما عصاه قومه أثناء غياب موسى: «يا ابن أُم، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[1].

وهكذا حرّك الإمام عواطف القوم فلم تتحرك واستثارها فلم تثر وبعد تفكير عميق قرر عمر وقادة التحالف أن لا يقتلوا الإمام علي، لأنه علم تعرفه كل العرب، ولأن زوجته الزهراء علم مثله، وقتل الإمام علي في مثل هذه الظروف احراج كبير لقيادة التحالف!! وقد يفسد عليهم القتل أمرهم.

الإمام علي لم يقطع الأمل من رجوع القوم إلى أنفسهم:

بعد أن هدم الإمام الحجة التي نصب على أساسها الخليفة، تأمل الإمام أن يرجع قادة التحالف الى الحق وأن يعيدوا له حقه الذي ابتزوه[2]، واقرأ رسالة

(١) المصدر السابق ١/ ١٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١١، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم.

معاوية وكيف أنه قد وصف العملية «بأنها ابتزار الحق»، لذلك عندما جاء عمر وأبو بكر الى بيت الزهراء ليقدموا عذرهم واعتذارهم عن ترويعها بمحاولة احراق بيت أهل النبوة على من فيه. فرفضت الزهراء مقابلتهم بعد الذي فعلوه، ولكن الإمام علي أقنعها فأدخلهما البيت، «فلما قعدا عندها وجهت وجهها الى الحائط وسلما عليها ولم ترد، فتكلم أبو بكر، وقال: أيا حبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحب اليّ من قرابتي، وإنك لأحبّ اليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت، ولا أبقى بعده.

فقالت الزهراء: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (ص) تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت فاطمة: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: «رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟» قالا: نعم سمعناه من رسول الله (ص)، قالت فاطمة: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه، فأخذ أبو بكر يبكي وينتحب وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها»[1].

رضوخ الخليفة الجديد للحق ومحاولة الإنسحاب:

لما خرج الاثنان من اجتماعهما بعلي وفاطمة، كان قادة التحالف وشيعتهم ينتظرون ليعرفوا عما أسفر عنه هذا الاجتماع الحاسم.

فقال أبو بكر: «يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي»[2]!

من المؤكد أن الرجل قد تأثر كثيراً، وأنه قد راجع نفسه، وقرر أن يتخلى عن الحق لصاحبه، أو يخرج نفسه من التورُّط بابتزازه، ومن المؤكد أنه كان صادقاً. ولكن التحالف رفض ذلك بشدة، فالخليفة الجديد ليس ملك نفسه كما

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١٤.

(٢) المصدر السابق.

كان يتصور إنما هو ملك الحزب، ملك التحالف، ملك التنظيم الذي أسسه عمر، وخرج التحالف بحجة مفادها رخاوة الأمر[1]!! ويئس الإمام من رجوع التحالف لأنفسهم، ومن عودتهم للحق. عن طريق الحجة والإقناع.

الإمام وأهل بيت النبوة يطلبون النصرة:

حمل الإمام علي زوجته سيدة النساء وقاد ابناه الحسن والحسين وطاف بهم على بيوت الأنصار بيتاً بيتاً يطلبون النصرة لعلي والانتصار لهم، فكان الأنصار يقولون لهم: «لقد سبقت بيعتنا لهذا الرجل (أبا بكر)، ولو أن زوجك سبق الينا ما عدلنا به»! فيقول لهم الإمام: «أفكنت ادع رسول الله في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه!!» وتقول فاطمة: «ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه وطالبهم»[2].

قال اليعقوبي في تاريخه[3] وابن أبي الحديد في شرح النهج[4]: إنّ جماعة اجتمعوا الى علي يدعونه للبيعة فقال لهم: «اغدو علي محلقين رؤوسكم» فلم يغدو عليه غير ثلاثة.

التقدير الدقيق للموقف واستحالة نجاح المواجهة المسلّحة مع التحالف:

لقد هم قادة التحالف باحراق بيت أهل بيت النبوة على من فيه وفيه علي وفاطمة ـ بنت النبي ـ وابناه الحسن والحسين!! كما وثقنا وهموا بقتل ولي الله المعين رسمياً اماماً للأمة من بعد النبي!! ومع هذا لم يستنكر أحد من المهاجرين والأنصار ذلك لا بيد ولا بلسان.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإمامة والسياسة ١/ ١٤، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٦/ ٢٨، ورسالة معاوية التي أشارت لهذه الواقعة في شرح النهج ٢/ ٦٧، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١٨٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٠٥.

(٤) شرح النهج ٢/ ٤.

وطاف الإمام علي ومعه سيدة نساء العالمين وابنا رسول الله الحسن والحسين على بيوت الأنصار بيتاً بيتاً يطلبون النصرة والانتصار ولم يجبهم أحد الى ذلك.

وعندما جاء نفر الى بيت الإمام علي يعرضون عليه البيعة قال لهم: «اغدو علي محلقين رؤوسكم» فلم يغدو عليه غير ثلاثة.

مما يعني أن علياً وأهل بيت النبوة وعموم بني هاشم وثلاثة صادقين من شيعة الإمام علي في جهة، وقادة التحالف ومعهم الأغلبية الساحقة من المجتمع رغبة أو رهبة في جهة أخرى، فإذا حدثت مواجهة مسلّحة بين الجهتين فخلال ساعة من الزمن سيتمكن قادة التحالف من قتل الإمام وابادة أهل بيت النبوة وبني هاشم وسبي نسائهم وغنيمة أموالهم، فحالهم كحال النبي عند اعلان الدعوة، وحال الأنبياء الكرام عندما خذلهم أقوامهم، فالعيب بالقوم أو الأقوام لا بالأنبياء، والعيب في المجتمع لا في علي ولا في أهل البيت، فخذلان مجتمعات السوء للأنبياء نذير شؤم لتلك المجتمعات لا للأنبياء.

وباختصار فإن المواجهة المسلحة بهذا المناخ انتحار وعمل لا يتفق لا مع الدين ولا مع العقل فمن الطبيعي جداً أن تختفي من ذهن الإمام فكرة المواجهة المسلّحة وأن يبحث عن بديل، وقد توسعنا في ذلك في الفصول السابقة ووثقنا ومن قول الإمام نفسه[1].

البديل الوحيد:

بهذه الحالة ليس أمام الإمام إلاّ الصبر على اعراض الناس عن البيان النبوي المتعلق بالقيادة وبدور أهل بيت النبوة، والصبر على ضياع حقه، واتباع الأسلوب الذي اتبعه النبي بهذه الحالة وهو دعوة الناس الى الحق، وتوضيح معالم هذا الحق توضيحاً دقيقاً وخلق الحوافز لدى الناس للإلتزام بهذا الحق أو بتعبير أدق

---

(١) شرح بن أبي الحديد ٢/ ٦٧، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١٨٣ تجد قول الإمام: «لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضتُ القوم».

تكوين قاعدة شعبية عريضة تعرف الشرعية والمشروعية الإلهية على حقيقتها وتلتزم بها، بادئاً بتكوين كادر فني من الدعاة الذين يعينونه على التبشير بفجر الشرعية والمشروعية. وهكذا قعد الإمام في بيته وصمم على الالتزام والعمل بما استقر عليه رأيه.

اجبار الإمام وأهل بيت النبوة على الاحتكام للخليفة البديل ومفاوضته:

مثل عمر بن الخطاب ومثل قادة التحالف أكبر وأعظم من أن يدعوا الإمام ليعيش هو وأهل بيته في سلام وهم دون بيعة، ففكروا ملياً ثم خرجوا بمجموعة من القرارات الاقتصادية الأليمة التي هزت وجود أهل بيت النبوة هزاً عنيفاً، وروعتهم ترويعاً مخيفاً، وأجبرتهم اجباراً بالرجوع الى الخليفة الجديد المالك الفعلي للقوة والسلطان ومقارعته ومواجهته بالحجة والمنطق لعله يرجع عن قراراته الاقتصادية المذهلة.

المواجهة على حقوق شخصية منحها الله ورسوله لأهل بيت النبوة:

بدون مقدمات قرر الخليفة الجديد الناطق الرسمي بلسان قيادة التحالف أن يصادر كافة تركة الرسول، وأن يحرم الورثة من هذه التركة[1].

ولما سأل علي وفاطمة وأهل بيت النبوة الخليفة الجديد: فمن يرث النبي إذا كان أهله لا يرثونه؟ فأجاب الخليفة الجديد: إنه هو الوارث الوحيد للنبي[2].

---

(١) صحيح الترمذي ٧/ ١١١، ومسند الإمام أحمد ١/ ١٠ ح٩٠، وسنن الترمذي ٧/ ١٠٩، وطبقات ابن سعد ٢/ ٣١٥، ٥/ ٧٧، وتاريخ ابن الأثير ٥/ ١٨٦، وكنز العمال ٥/ ٣٦٥، وقد فصّلنا ذلك في البحوث السابقة وسقنا حجة أهل بيت النبوة.

(٢) مسند الإمام أحمد ١/ ٤ ح١٤، وسنن أبي داود ٣/ ٥٠، وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٨٩، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٤٦، وشرح النهج ٤/ ٨٤ نقلاً عن الجوهري في السقيفة.

ولأسباب انسانية أعطوا أهل البيت من ميراث النبي «آلة الرسول ودابته وحذاءه»[1].

وبدون مقدمات أيضاً صادر الخليفة الجديد المنح التي أعطاها رسول الله إلى أهل بيته أثناء حياته مثلما أعطى الكثير من الناس، فأخذ فدك منهم[2].

وبدون مقدمات أيضاً حرموا أهل بيت النبوة من حقهم بالخمس الوارد بآية محكمة[3]. واحتج أهل البيت أمام الخليفة الجديد وأمام الأنصار والمهاجرين بالقرآن الكريم وأقاموا الحجة على الخليفة الجديد وعلى قيادة التحالف، وأثبتوا بطلان هذه القرارات الثلاثة، ولكن قادة التحالف أبوا الرجوع عن قراراتهم.

ومع هذا لم يبايع الإمام:

وبالرغم من الاجراءات القاسية من تهديد باحراق البيت، الى تهديد بالقتل، الى حرمان من التركة، الى حرمان المنح، الى مصادرة السهم المخصص لأهل البيت، إلا أن الإمام علي لم يبايع إلا بعد أن ماتت فاطمة الزهراء وانصرف عنه وجوه الناس، وحوصر اجتماعياً اضطر أن يبايع الخليفة الجديد، ومع بيعته بايعه الهاشميون أيضاً[4].

وقد فصلت تفصيلاً كافياً مواجهة الإمام الأول علي في معرض معالجتي للأحداث بتسلسلها المنطقي تحت عنوان المواجهة مع صاحب الحق الشرعي ومع آل محمد، ولكني منهجياً رأيت أن أرتب المواجهة بين الأئمة الاثنى عشر

(١) شرح النهج ٤/ ٨٧، ٨٩، وبلاغات النساء ص١٢ ـ ١٥.
(٢) فتوح البلدان ٢/ ٣٤ ـ ٣٥.
(٣) شرح النهج ٤/ ٨٤ نقلاً عن الجوهري، وتاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٣٤٧، وكنز العمال ٥/ ٦٧.
(٤) تيسير الوصول ٢/ ٤٦، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٤ والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٢٤٤، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٨٦، وأسد الغابة ٣/ ٢٢٢ بترجمة أبي بكر، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.

وبين الواقع المفروض عليهم بما أمكن من الايجاز لاطلاع المسلمين على عدالة قضية أهل بيت النبوة، وسداد منهج الأئمة واعتقدت ان هذه العجالة مع ما مر تكفي لرسم المعالم الكبرى لمواجهة الإمام مع واقع مفروض.



الفصل التاسع:

المواجهة المستحيلة والمحسومة سلفاً

استذكار الظروف الموضوعية التي واجهها الإمام عندما فرضت عليه المواجهة:

١ ـ لقد نجح عمر بن الخطاب وقادة التحالف بابطال البيان النبوي المتعلق بالقيادة من بعد النبي وبالدور المميز لأهل بيت النبوة عندما منعوا رواية الحديث النبوي وكتابته كما وثقنا وعندما جمعوا أحاديث رسول الله المكتوبة عند الناس كلهم وقاموا باحراقها[1] ورفعوا شعار حسبنا كتاب الله، وبعملهم هذا أخرجوا البيان النبوي وشخص الرسول الكريم من التأثير على مسرح الأحداث، وحرموا الناس من الوقوف على بيان النبي لهذا القرآن وقد وثقنا ذلك.

٢ ـ مثلما نجح عمر وقادة التحالف بارساء قواعد النظام الجديد، وباشغال الناس بالحروب والفتوحات الجديدة.

٣ ـ مثلما نجحوا بعزل علي وأهل بيت النبوة عن الناس عزلاً تاماً حتى أن علياً وفاطمة والحسن والحسين طافوا مجتمعين على بيوت الأنصار بيتاً بيتاً طالبين النصرة والانتصار فلم ينصرهم أحد[2]، وقال اليعقوبي في تاريخه[3] واجتمع

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٢ ـ ٤، والطبقات لابن سعد ٥/ ١٤٠.

(٢) الإمامة والسياسة ١/ ١٢، ورسالة معاوية ني وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١٨٢، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ٦٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.

جماعة الى علي يدعونه للبيعة فقال لهم: «اغدو عليّ محلقين رؤوسكم» فلم يغدو عليه غير ثلاثة.

٤ ـ ونجح عمر بن الخطاب وقادة التحالف بتحييد قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد هدد علياً بالقتل[١]، وهم باحراق بيت أهل النبوة عَلى من فيه[٢]، وصادر عمر تركة الرسول وحرم أهل بيت النبوة من ميراثهم[٣]، وصادر عمر المنح التي أعطاها رسول الله لأهل بيت النبوة حال حياته[٤] وحرمهم عمر بن الخطاب من الخمس المخصص لهم بآية محكمة[٥].

وجعل أبو بكر هو الوارث الوحيد لرسول الله[٦] لقد حدث كل هذا ولم ينكره أو يستنكره رجل واحد من المهاجرين أو من الأنصار أو من كل المسلمين لا بيد ولا بلسان، وهكذا اختفى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأطبق قادة التحالف سلطانهم وقبضتهم على كل شيء.

٥ ـ ونجح عمر بن الخطاب بتسليم أعوانه وشانئي أهل بيت النبوة كافة المناصب والقيادات والولايات، فلا تجد قائداً أو والياً أو معيناً للخليفة أو مستشاراً له يقبل بقيادة أو ولاية أهل بيت النبوة أو يعترف بحقهم في ذلك.

٦ ـ نجح عمر بن الخطاب بخلق منافسين أقوياء ومدعومين عشائرياً ليتنافسوا مع الإمام علي بعد موت عمر على منصب الخلافة فجعل عثمان خليفة له رسمياً وفعلياً كما وثقنا وأوجد ديكوراً شكلياً سماهم بأصحاب الشورى،

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١٢ ـ ١٣.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٦٤، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٦٥، وأنساب الأشراف ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/ ٦٧، وتاريخ الخميس ١/ ١٧٨، وشرح النهج ١/ ١٣٤.

(٣) صحيح الترمذي ٧/ ١١١، وطبقات ابن سعد ٥/ ٧٧، وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٨٦، وكنز العمال ٥/ ٣٦٥.

(٤) فتوح البلدان ٢/ ٣٤ ـ ٣٥.

(٥) كنز العمال ٥/ ٣٦٧.

(٦) سنن أبي داود ٣/ ٥٠.

وقال: «أنه يجعل الأمر لهؤلاء الستة الذين مات رسول الله وهو راضٍ عنهم[1]» وهكذا صار الإمام علي واحد من ستة، فإذا طلب علي الخلافة يطلبها الستة، وإذا طالب أولاد علي بحقهم بالخلافة طالب أولاد الستة بالخلافة سنداً لتنسيب عمر بن الخطاب.

٧ ـ ونجح عمر بن الخطاب بالغاء سنة الرسول التي كانت تعطي المال بالسوية بين الناس وباحلال رأيه الشخصي محل سنة الرسول ـ كما وثقنا ـ مما أعطاه الحرية ليتصرف بمال المسلمين على الوجه الذي يراه فأغرق أولياءه بالعطايا والصلاة، فكان بامكانه أن يُرضي أبا سفيان بما جمع أبو سفيان من الصدقات ويتركها بيده ليضمن عدم معارضة أبي سفيان للنظام[2].

ومع أن عمر متيقن أن عثمان سيحمل بني معيط على رقاب الناس[3] لكنه اختار عثمان لأسباب كثيرة منها الحقد الأموي على بني هاشم عامة، وعلى علي بن أبي طالب خاصة فما من بيت من بيوت بني أمية إلا وهو موتور من بني هاشم ومن علي بالذات[4]. وهذا هو السر بتوليه معاوية وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهم من ذوي الأحقاد على بني هاشم.

٨ ـ نجح عثمان بن عفان عندما تسلم الخلافة باستقطاب بني أمية حوله واعطائهم وأوليائهم كافة مناصب الدولة ووظائفها، واغراقهم بالعطايا والصلات التي تفوق حد التصور والتصديق.

فعندما قتل عثمان كانت الدولة أموية من جميع الوجوه، وكان الأمويون طبقة متميزة من دون الناس وفوق الناس جميعاً، وكان عثمان نفسه مجرد رمز لا حول بيده ولا قوة، والملك الحقيقي بيد البيت الأموي.

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٢، وبلاغات النساء ٢/ ٧٨٦.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٤٩، وشرح النهج ١/ ٣٠٦ـ٣٠٧.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ١٦.

(٤) المغازي للواقدي: ١/ ٩٢، ١٢٤، ١٢٥، والطبقات لابن سعد ٣/ ١٣٠، ومقتل الحسين للخوارزمي ٢/ ٥٨، وراجع تحليلنا المستفيض في الفصول السابقة.

٩ ـ ونتيجة عطايا عمر وعثمان صار الأربعة الذين بقوا على قيد الحياة من أصحاب الشورى ومن منافسي علي بالخلافة صاروا من أصحاب الملايين والضياع والعبيد يتألفون الناس بأموالهم.

١٠ ـ حالة من القداسة والتقديس تخلعها جموع العامة من المسلمين على أبي بكر وعمر لأنهم قارنوهما بعثمان فصارا مثلهم الأعلى، واستبعدا عليهما أن يعصيا رسول الله وأن يبتزا حق الإمام بالقيادة، فصارت حجة الإمام للمطالبة بحقه تصطدم بقداسة هذين الرجلين.

١١ ـ صحيح أن الإمام علي استقطب حوله عدد كبير من الذين استفاقوا من ذهولهم وغفلتهم وبدأوا يكتشفون الحقائق، لكن هذا العدد قليل إذا ما قورن ببحر جموع العامة التي لا تعرف عن الحقيقة شيء والمشغولة برغيفها ومعاشها.

١٢ ـ وصحيح أيضاً أن الكثير من الناس تأثرت مصالحهم من حكم عثمان ومن تسلُّط الأمويين، لكن هذه الفئة تدور مع مصالحها لا مع مبادئها.

١٣ ـ وصحيح أيضاً أنه قد تكونت في المجتمع طبقات متعددة، فقلة من أصحاب الملايين، وقلة من أصحاب الحرف والموظفين، وقلة من الولاة وحكام الأقاليم، وكثرة ساحقة من الجياع والمستضعفين، وأن الجميع قد شعروا بأن أمر الخلافة قد بدأ يخرج عن السيطرة ولكنهم اقتنعوا بأن الملك لمن غلب، ولا مصلحة لهم بالتضحية، وأن مصلحتهم محكومة بتوقعاتهم لحجم المكاسب التي سيحصلون عليها من الغالب، أكثر من توقعاتهم ببعد الغالب أو قربه من الشرعية!!

هذه هي الظروف الموضوعية التي وجد الإمام علي بن أبي طالب نفسه وجهاً لوجه معها يوم قتل الثوار عثمان بن عفان الخليفة الأموي، ويوم فرضت عليه أعباء مواجهتها، وهي ظروف تنذر بالسوء وبالهزيمة المحققة له ولأوليائه.

الحكم على نتيجة المواجهة في هذه الظروف:

مواجهة الإمام علي لخصومه الذين زرعهم عمر بن الخطاب وقادة التحالف

ونموا مع الأيام بمثل هذه الظروف محسومة ومعروفة النتائج سلفاً، وهي تعني أن يواجه علي وأهل بيته والأقلية من أوليائه دولة قائمة بذاتها لها مواردها وجيشها واعلامها وجمهورها الفخم المنتفع من وجودها، فإذا استطاع أن يهزم الأربعة المتبقين من الخمسة الذين سماهم عمر أهل الشورى لمواجهة الإمام مستقبلاً والحيلولة بينه وبين حقه بالإمامة والقيادة، إذا استطاع أن يهزم هؤلاء الأربعة ومن والاهم فإنه لن يقوى على هزيمة الدولة الأموية الضاربة الجذور والتي أسسها من الناحية الفعلية عمر بن الخطاب خصيصاً لمثل هذه المواجهة. لكن الإمام علي لا يتهرب من مسؤوليته ولن يلتحق ببارئه قبل حلول أجله، وليس بامكانه أن يتفرج على سير الأحداث بعد أن هرع اليه أهل المدينة والثوار المتواجدين فيها.

بيعة علي بن أبي طالب:

قتل الثوار عثمان، وتحلل الناس من كل بيعة وتهافت أهل المدينة والثوار على علي بن أبي طالب يطلبون يده للبيعة[1]. جاءه أصحاب الرسول وقالوا له: «لقد قتل عثمان ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك ولا أقدم سابقه ولا أقرب للرسول!!» وتذكر الإمام علي هول المواجهة وظروفها فقال: «لا تفعلوا فإن أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً»، ولما أصروا عليه قال الإمام: «إذاً في المسجد فإن بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضى المسلمين»، وصعد علي المنبر وكان أول من بايعه طلحة وكانت يده شلاء[2].

الذين بايعوا علي بن أبي طالب:

قال قيس بن سعد بن عبادة مخاطباً النعمان بن بشير بن النعمان، ابن أول من بايع أبا بكر والذي انفرد هو وصاحبه من دون الأنصار، ووقف مع معاوية في ما بعد: «انظر يا نعمان بن بشير، هل ترى مع معاوية إلا طليقاً، أو اعرابياً أو

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٥٢ ـ ١٥٣، وكنز العمال ٣/ ١٦١ الحديث ٢٤٧١، وابن أعثم ص١٦٠ ـ ١٦١ من تاريخه.

(٢) الطبري ٥/ ١٥٣، وأنساب الأشراف ٥/ ٧٠.

يمانياً مندرجاً! وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعين باحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه!! ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك ولستم والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة في الإسلام ولا في القرابة(١)!!.

هؤلاء هم الذين كانوا مع الإمام، (ووفق سنة أبي بكر وعمر) فإن علي بن أبي طالب خليفة المسلمين من جميع الوجوه، ويجب طاعته حسب هذا الظاهر على الأقل.

المواجهة مع الموجة الأولى التي أعدّها عمر حال حياته:

بعد أن تمت البيعة جن جنون الزبير وطلحة، فاستأذنا وذهبا الى مكة كعمّار ليلتقوا مع عدوة الإمام اللدودة أم المؤمنين عائشة وينسقوا معها خطوات المواجهة مع علي وأهل بيت النبوة، أما سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فامتنعا عن البيعة!! هذا هو موقف الأربعة الذين اختارهم عمر للشورى خصيصاً لمعارضة الإمام والحيلولة بينه وبين حقه بالإمامة والقيادة مستندين الى اختيار عمر.

وانتهى المطاف بطلحة والزبير في مكة، حيث التقيا بأم المؤمنين عائشة وقرر الثلاثة جمع الجموع والخروج على الإمام، ثم ساروا الى البصرة ليألبوا أهل العراقين على الإمام تحت شعار المطالبة بدم عثمان مع أن طلحة والزبير هم أول من حرض على قتل عثمان، وهذا أمر لا خلاف فيه وعائشة كانت أول من ذم عثمان وجرأ الناس عليه(٢).

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص٥١١، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٩٤، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٢٩٨، وجمهرة الخطب ١/ ١٩٠.

(٢) شرح النهج ٢/ ٧٧، ٨٦، ٦/ ٢١٥ ـ ٢١٦ والاستيعاب بهامش الإصابة ٢/ ١٩٢، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص٦١ و٦٤ وتاريخ الطبري ٤/ ٤٠٧ و٤٥٩ و٤٦٥، والكامل لابن الأثير ٣/ ٢٠٦، وتاج العروس ٨/ ١٤١، ولسان العرب ١٤/ ١٩٣، والإمامة والسياسة ١/ ٤٣ و٤٦، والعقد الفريد ٤/ ٢٩٥ ـ ٣٠٦، والطبقات لابن سعد ٥/ ٢٥، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٧٠، ٧٥، ٩٠، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٧٢.

مما يعني أن المطالبة بدم عثمان مجرد غطاء شرعي ظاهري للخروج على الإمام وللتعبير عن حقدهم المشترك على الإمام.

هزيمة الخمسة:

سعد وعبد الرحمن وإن لم يبايعا هزما، أما طلحة والزبير وعائشة فقد جمعوا أمرهم وواجهوا الإمام بالبصرة فهزمهم الله وهزمت عائشة ومعها الأحزاب، وبعد الهزيمة دخل عليها محمد بن أبي بكر وقال لها: «أما سمعت رسول الله يقول: «علي مع الحق والحق مع علي تقاتلينه بدم عثمان!!»، ثم دخل علي فسلم عليها، وقال لها: «يا صاحبة الهودج قد أمرك الله أن تقعدي في بيتك ثم خرجت تقاتلين، أترحلين؟» قالت عائشة: «أرحل»، فخصص لها علي موكباً وحرساً من النساء ولما وصلت الى المدينة وعرفت أن حرسها نساء، قالت: «جزى الله بن أبي طالب الجنة»[1]. أما طلحة فقد قتله شريكه بالتحالف مروان بن الحكم، وأما الزبير فقد انسحب من القتال وقتل في الطريق وهكذا هزم الإمام الخمسة.

مواجهة جديدة:

لقد أسس عمر بن الخطاب الملك الأموي عندما استخلف عثمان، وعين يزيد بن معاوية قائداً لجيوش الشام واستخلف معاوية على بلاد الشام، وتركه يجمع ويفعل بلا حسيب ولا رقيب وأسس الدولة الأموية عندما جعل كل ولاته من الكارهين مثله لولاية علي والشانئين لأهل بيت محمد والموتورين منهم.

لما هزم علي الخمسة وجد نفسه وجهاً لوجه أمام الدولة الأموية التي يقودها معاوية بن أبي سفيان.

من هو معاوية بن أبي سفيان؟

لا خلاف بأن معاوية بن أبي سفيان، وأبو سفيان وأولاده هم الذين قادوا

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٦٤ ـ ٧٣، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٦٤، وما فوق

جبهة المقاومة والحرب ضد رسول الله طوال مدة ٢١ عاماً حتى أُحيط بهم فتلفظوا بالشهادتين ـ كما فصلنا ووثقنا في الباب الأول ـ فأبو سفيان ومعاوية من أئمة الكفر[١]، وقد لعنه رسول الله يوم أحد[٢] ولعنه رسول الله في سبعة مواضع[٣].

وأخرج نصر بن مزاحم المنقري عن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال رسول الله: «اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيصص، فقال ابن براء لأبيه: «من الأقيصص»، قال: «معاوية»، وأخرج نصر بن مزاحم عن ابن الأقمر في حديث آخر: «نظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعه معاوية وأخوه أحدهما القائد والآخر سائق، فقال رسول الله: «اللهم اللعن القائد والسائق والراكب»، قال: قلنا: «أنت سمعتَ رسول الله؟» قال: «نعم وإلا فصُمَّتْ أذناي[٤]»، وروى البخاري أن رسول الله كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة من الفجر كان يقول: «اللهم العن فلاناً وفلاناً»، بعدما يقول سمع الله لمن حمده، وأخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر أن رسول الله قال يوم أُحُد: «اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية»، وأخرج السيوطي والترمذي وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم «أن رسول الله كان يدعو على أربعة نفر ويقول في صلاة الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً» ومن الطبيعي أن الرواة قد حذفوا اسم أبي سفيان واسم معاوية!!

رسالة محمد بن أبي بكر تؤكد هذا المضمون:

قال محمد بن أبي بكر برسالة لمعاوية: «... وقد رأيتك تساميه «عن علي» وأنت أنت، وهُوَ هُوَ، أصدق الناس نية، وأفضل الناس ذرية، وخير الناس

(١) تفسير الطبري ١٠/ ٦٢، وتاريخ ابن عساكر ٦/ ٣٩٣، وتفسير الخازن ٢/ ٢١٨، والألوسي ١٠/ ٥٩ الآية ١٢ من سورة التوبة ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾.

(٢) تفسير الطبري ٤/ ٥٨، وأخرجه الترمذي في جامعه كما في نيل الأوطار للشوكاني.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ١٠٢، ١٠٣.

(٤) مروج الذهب ٣/ ١٤، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص٢١٧، ٢٢٠.

زوجة، وأفضل الناس ابن عم، أخوه الشاري بنفسه يوم مؤته، وعمه سيد الشهداء يوم أُحُد وأبوه الذابُّ عن رسول الله وعن حَوْزَته، وأنت اللعين ابن اللعين، لم تَزَلْ أنت وأبوك تبغيان لرسول الله الغوائل، وتجهدان في اطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتؤلبان عليه القبائل، وعلى ذلك مات أبوك، وعليه خلفته»[1].

ولم ينف معاوية لعنه، ولا لعن أبيه، مع أنه قد رد رداً بليغاً على الرسالة.

وتألق نجم معاوية:

أول من بايع أبا بكر عثمان بن عفان الأموي وبنو أمية، فأحبهم عمر وأحبهم أبو بكر[2]، واختار عمر وأبو بكر يزيد بن أبي سفيان قائداً لجيش الشام، ولما مات يزيد ولّى عمر معاوية ولاية الشام كلها وبقي والياً على الشام طوال عهد أبي بكر وعهد عمر وعهد عثمان، يجمع ويتمتع دون رقيب ولا حسيب لا يخاف عزلاً لأنه واثق أن عمر يعده لمواجهة الإمام علي، خلال هذه المدة جهل أهل الشام، فكانوا لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، وكان فيهم بمثابة ملك، وحولهم بالمال والدهاء وقلب الحقائق الى جيش حقيقي يقوم إذا غضب معاوية فيغضبون لغضبه ويرضون لرضاه.

وانتهى الإمام علي من تصفية الخمسة، فطلب من معاوية أن يبايعه، هنالك روايات متعددة حول هذا الموضوع، ولكن معاوية قال كما قالت عائشة وطلحة والزبير أنه يطالب بدم عثمان، وبمعاقبة القتلة وما شعاره إلا كشعار عائشة وطلحة والزبير!!

وحدثت المواجهة العسكرية:

وحدثت المواجهة العسكرية بين علي والمسلمين من جهة وبين معاوية وأهل الشام من جهة أخرى وكاد الإمام أن ينتصر، وفي اللحظة الحاسمة رفع

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١٤، ١٥، ١٦، ٣/ ٢١ من طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت ١٩٩١.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٦ وما فوق.

معاوية المصاحف على الرماح بمشورة عمرو بن العاص وقال: «هذا كتاب الله بيننا وبينكم»، ورأى المنافقون أنها فرصة العمر لتفويت الانتصار على علي، فثاروا من كل جانب وأجبروه على وقف القتال، وبوقف القتال نجا معاوية من هزيمة محققة وقويت شوكة المنافقين في صفوف علي، وثبطوا الناس، حتى انتهى الأمر بالتحكيم فأجبروا الإمام على اختيار الأشعري المعروف بخذلانه لعلي وبتثبيطه عنه، وخدعه عمرو وتوالت الانقسامات في جيش الإمام ولم تنفع بلاغة الإمام ولا صادق نصحه بتوحيدهم واستنهاض عزائمهم فخاروا.

سلاح المال:

قال معاوية: «والله لأستميلن بالأموال ثقات علي، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياي آخرته»[1]، لقد استمال معاوية بما أغدقه من الأموال حتى ابن عم الإمام عبيد الله بن العباس!!

سلاح الارهاب:

معاوية يعلم أن المؤمنين يحبون علياً، وأن المنافقين يكرهون علياً، وهو يعلم أن ملكه لن يستقر إلا إذا أباد إبادة كاملة كل الذين يوالون علياً ويحبونه، واغتنم معاوية فرصة تفكك معسكر علي واختلافه فسيّر مجموعة من السرايا للأقاليم الموالية لعلي وأمر قادة هذه السرايا بقتل كل من يجدونه على طاعة علي!! وبإهلاك الحرث والنسل، ونهب الأموال كسرية النعمان بن بشير بن النعمان (كان والده أول من بايع أبا بكر) بجيش قوامه ١٠٠٠ رجل الى عين التمر، ووجه سفيان بن عوف في ستة آلاف الى هيت والأنبار والمدائن، ووجه عبد الله بن مسعدة للإغارة على تيماء، ووجه الضحاك بين قيس وأمره أن يمر بأسفل واقصة، وأن يغير على كل من مر به ممن هم في طاعة علي، ووجه عبد الرحمن بن قيات بن أشيم الى بلاد الجزيرة، ووجه الحرث بن نمر التنوخي الى الجزيرة، ووجه زهير بن مكحول الى السماوة.

---

(١) راجع كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص٤٩٥، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ٢٩٣.

فعاثت جيوشه في الأرض فساداً فأهلكت الحرث والنسل وقتلت كل من وجدته وكان في طاعة علي، وما فعلته جيوش معاوية بالمسلمين لم يفعله أي غزاة في تاريخ العالم كله!!

جيش بُسر بن أرطأة:

وجه معاوية بسر بن أرطأة بجيش سار به حتى وصل المدينة، فهرب والي علي ودخل المدينة، فاستذل أصحابها وهدم دوراً منها، ثم سار الى مكة فهرب أبو موسى منه، ثم سار الى اليمن وقتل فيها كل من كان في طاعة علي بما فيه الأطفال الصغار، ومن جملة القتلى ابني واليها عبيد الله بن العباس وكانا طفلين صغيرين[1].

وفُجع قلب الإمام الشريف بما فعله عسكر معاوية:

تناهت الأنباء الى سمع الإمام وفجعت قلبه الشريف، فاستنهض القوم فلم ينهضوا واستثار حميتهم فلم يثوروا وصاح من الأعماق: «فيا عجباً، عجباً والله يميت القلب، ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يرمى، يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تغزون، ويُعصى أمر الله وترضون»[2].

مثل الإمام لا يستسلم:

دعا الإمام الناس الى الجهاد، وقال: «اني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح الى الجنة فليخرج»، ووزع الرايات فعقد راية للحسين، وراية لأبي أيوب الأنصاري، وراية لقيس بن سعد[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٧٧ ـ ٨١، والكامل لابن الأثير ٣/ ١٦٢ ـ ١٦٧، وتاريخ بن عساكر ٣/ ٢٢٢، والاستيعاب ١/ ٦٥ ـ ٦٦. وتاريخ ابن كثير ٧/ ٣١٩ ـ ٣٢٢، والغدير للأميني ١١/ ٣٤ وما فوق.

(٢) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٤٩٨ ـ ٤٩٩.

(٣) شرح النهج خطبة رقم ١٨٢، وسيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٥٨٦.

وهوى القمر من السماء:

بينما كان الإمام يستعد لمعاقبة معاوية وعصابته القتلة، وفي صبيحة أحد أيام رمضان، وبينما كان الإمام يخرج لصلاة الفجر، غدره عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وضربه ضربة الموت، وسقط الإمام الذي لم يسقط قط، وعالج الموت ثلاثاً، ثم هوى القمر المنير من السماء، وخر الفرقد الذي ملأ الأسماع والأبصار والقلوب طوال حياته المباركة.

الإمام علي يكتب توجيهاته النهائية ويعهد بالأمر من بعده للإمام الحسن:

قال الإمام علي لابنه الحسن: «يا بني أمرني رسول الله أن أوصي اليك، وأن أدفع اليك كتبي وسلاحي، كما أوصى الي ودفع اليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين»، ثم أقبل على ابنه الحسين فقال: «وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك هذا»، ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك محمد بن علي فاقرئه من رسول الله ومني السلام»، ثم أشهد على الوصية تلك الحسين ومحمد ابناه وجميع أولاده ورؤساء شيعته وأقطابهم[1].

(١) سيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٢٢، وإعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي ص٣٠٧ نقلاً عن حياة الحسن ١/ ٥٦٧، نقلاً عن الكافي، والأربلي في كشف الغمة ٢/ ١٥٨، نقلاً عن الكافي والمجلسي في بحار الأنوار ٤٢/ ٢٥٠ نقلاً عن ما لا يحضره الفقيه.

الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب يقود المواجهة

بايع الناس الإمام الحسن، وأقاموا مراسيم العزاء والمبايعة معاً، وسط الألم والحزن والدمار، تحامل الإمام الجديد الحسن بن علي على نفسه ووقف خطيباً بين الناس فقال: «لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون، ولم يدركه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجهه برايته، فيكنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه..» وغلبت الإمام الدموع ثم استأنف خطبته قائلاً: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي بن النبي، ابن الوصي، وأنا ابن البشير النذير وأنا ابن الداعي الى الله باذنه وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل الينا، ويصعد من عندنا[1]..

تمت بيعة الإمام رسمياً، وصار قائداً للأمة وإماماً لها، وعليه أن يتابع المواجهة مع أعداء الله من حيث انتهى أبوه.

التعبئة والاستعداد للمواجهة العسكرية:

لما انتهت مراسم العزاء والبيعة أخذ الإمام الحسن يستعد فوراً للمواجهة المسلّحة مع عدو الله معاوية، واستدعى قريبه عبيد الله بن العباس، وقال له: «اني باعث اليك اثنى عشر ألفاً، من فرسان العرب، وقراء المصر، الرجل منهم يزيد كتيبة، فأسر بهم، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، واخفض لهم جناحك،

(١) سيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٢٣ نقلاً عن اعلام الورى للطبرسي ص٣٠٨، وحياة الإمام الحسن ٢/ ٣١.

وادنهم من مجلسك، فإنهم بقية ثقاب أمير المؤمنين، وسر بهم على شط الفرات، ثم امض حتى تستقبل جيش معاوية، فإن أنت لقيته فاحبس حتى آتيك، فإني على أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كل يوم، وشاور هذين الرجلين قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، وإن أصبت فقيس بن سعد على الناس، فإن أصيب قيس بن سعد، فسعيد بن قيس على الناس(١)..

الخيانة مقابل رشوة:

سار عبيد الله بن العباس حتى التقى مع جيش معاوية، وتربّص الجيشان، خلال مدة التربُّص بعث معاوية عيونه وجواسيسه ورسله الى عبيد الله بن العباس، وأخذوا يغرونه بالمال ويعرضون عليه الرشوة، ليلتحق بمعاوية ومعه أكبر عدد ممكن من جنده، واختلقوا له الأكاذيب والأراجيف، فزعموا له أن الحسن يريد أن يسلم لمعاوية وما هي إلا قضية وقت، ومن الخير لعبيد الله أن يقبض ما يريد، وهو عزيز خير من أن يضطر الى التسليم بدون مقابل وبذل، وما زالوا بعبيد الله حتى صار بأيديهم أطوع من العبد فخان سيده مقابل رشوة، وترك قيادة جيش الحسن، والتحق بمعاوية ومعه أكثر من نصف الجيش، ولا عجب فإن الكثير من جيش الحسن خرجوا من أجل الغنيمة، وها هم يحصلون على بعضها دون جهد، فضلاً عن ذلك فقد أدركوا أن موازين القوى مالت كلياً الى جانب معاوية(٢).

الضربة المعنوية القاتلة:

كانت خيانة عبيد الله بن العباس ضربة معنوية قاتلة لجيش الحسن ولأتباع الحسن، ولمستقبل المواجهة التي يقودها الإمام الحسن، فإذا كان عبيد الله بن العباس الهاشمي يبيع إمامه وقائده ويتخلى عن قيادة جيشه مقابل رشوة تافهة!! فما الذي يجبر العامة على الالتزام بولائها في ظروف كل شيء فيها يدل على أن معاوية وشيعته سيغلبون!! لذلك نبتت في أذهان العامة والأكثرية من الخاصة فكرة

---

(١) شرح النهج ١٦/ ٤٠ لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد.
(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١٦١، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٣٠.

تسليم الإمام الحسن لمعاوية مقابل مبالغ، أو فكرة قتل الإمام الحسن وتقديم رأسه لمعاوية مقابل غنيمة يغدقها معاوية عليهم، فقد صار المال سلاحاً جباراً، يستميل الأكابر والأصاغر.

الإمام الحسن يقيم الموقف:

أدرك الإمام الحسن أن الاستمرار بالمواجهة المسلحة انتحار حقيقي وابادة لما تبقى من المؤمنين الصادقين وهم قلة، ومعاوية يبحث عنهم كما يبحث عن الملك والذهب، وابادة المؤمنين الصادقين هي أغلى غاياته وتيقن الإمام من الحالة النفسية لرعيته، فلو تمكنوا من الإمام لربطوه وسلموه الى معاوية أو قتلوه، ووضعوا رأسه بين يدي معاوية طمعاً بخسيس من الدنيا.

ولقد عبّر الإمام عن هذه القناعات بقوله: «والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني اليه سلماً، والله لئن أسالمه وأنا عزيز أحبّ إليّ من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمن علي فتكون سبة على بني هاشم»[1].

وقال الإمام الحسن مرة: «إني خشيت أن يجتث المسلمون من الأرض فأردت أن يكون للدين داعٍ»[2].

المفاوضة والتوقيع على الصلح:

بهذه الأثناء فاوض معاوية الإمام الحسن، وأرسل اليه ورقة بيضاء وقد وقع معاوية أسفلها ليكتب الإمام شروط الصلح فكتب الإمام الحسن:

١ ـ أن يعمل معاوية فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد (ص) وسيرة الخلفاء الصالحين.

٢ ـ ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

---

(١) توفيق أبو علم ص٣٣٥، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٣١.

(٢) حياة الإمام الحسن للقرشي ٢/ ٢٧٨، وسيرة الرسول وأهل بيته.

٣ ـ إن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهامتهم وحجازهم.

٤ ـ إن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ على أحد من خلفه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه.

٥ ـ أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت الرسول (ص) غائلاً سراً ولا علانية ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق.

وأرسلت الشروط لمعاوية ووقعها فعلاً وقدم الى الكوفة.

نكث معاوية العهد:

لما قدم معاوية الكوفة خطب الناس فقال: «الآن فقد جمع الله لنا كلمتنا وأعز دعوتنا، فكل شرط شرطته لكم فهو مردود، وكل وعد وعدته أحداً منكم فهو تحت قدمي، أو قدمي هاتين»[1].

الناس يلومون الحسن:

قال أحدهم للإمام الحسن: «يا مذل المؤمنين»!! فقال له الإمام الحسن: «لست مذلاً للمؤمنين، ولكني معزهم، ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع عنهم القتل، عندما رأيت تباطؤ أصحابي وتكولهم عن القتال». وقال لأبي ضمرة: «اني خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين داعٍ».

وقال مخاطباً أبا سعيد: «يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة الرسول لبني ضمرة، وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من صلح الحديبية»[2].

---

(١) فتوح أعثم ٤/ ١٦١، وسيرة الإمام الحسن للقرشي ٢/ ٢٦٢.
(٢) فتوح أعثم ٤/ ١٦١ وما فوق، والإمام الحسن للقرشي ٢/ ٢٧٧.

وقال الإمام لأحد أصحابه: «اني لم أفعل ما فعلت إلا ابقاء عليكم»[1].

مراسيم معاوية الملكية:

بعد أن استتبّ الأمر لمعاوية وصار ملكاً للمسلمين، فعل ما لم يفعله فرعون بشعبه، فنقض كل عهوده وأصدر عدة مراسيم ملكية لم يصدرها من قبله ولا من بعده ملك قط، وعمم هذه المراسيم على كل عمّاله، وحكّام أقاليمه في المملكة الأموية[2] وهي:

١ ـ برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب أو أهل بيت النبوة.

٢ ـ لا تجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

٣ ـ من قامت عليه البينة انه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه.

٤ ـ من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم «يعني علياً وأهل البيت» فنكلوا به وأهدموا داره.

٥ ـ لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة.

٦ ـ ادعوا الناس الى الرواية بفضائل الصحابة والخلفاء الأولين[3].

معاوية وفضائل الصحابة:

قال ابن عرفه المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه: «إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني

---

(١) سيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٣٦.

(٢) شرح النهج لعلامة المعتزلة تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

(٣) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد تحقيق حسن تميم ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦ تجد النص الحرفي لهذه المراسيم.

أمية تقرباً اليهم بما يظنون أنهم يرغمون بهم أنوف بني هاشم»[١].

فهدف معاوية بالذات أن يلغي التميز الذي خص الله به أهل بيت النبوة، وأن يحوّل أعلام أهل بيت النبوة الى مجرد صحابة من جملة ربع مليون صحابي ليتساوى معهم بالفضل أمام الناس، ومن هنا اخترع نظرية عدالة الصحابة، وقد ألفنا بهذا الموضوع كتاباً كاملاً «نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام»، فارجع اليه إن شئت.

أربع خصال في معاوية:

قال الحسن البصري: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة:

١ ـ انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزوها أمرها بغير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضل.

٢ ـ واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير.

٣ ـ ادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

٤ ـ قتله حجر بن عدي، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر، قالها مرتين[٢].

فساد عقيدة معاوية:

نقل ابن أبي الحديد كلمة الجاحظ أبي عثمان حول معاوية، وقول أبي جعفر النقيب: «إن معاوية من أهل النار، لا لمخالفته علياً، ولا بمحاربته ولكن لأن عقيدته لم تكن صحيحة، ولا ايمانه حقاً، وكان من رؤوس المنافقين هو وأبوه، ولم يسلم قلبه قط، وانما أسلم لسانه، ونقل من حديث معاوية ومن فلتات

---

(١) شرح النهج ٣/ ٥٩٧ تحقيق حسن تميم.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ١٥٧، والكامل لابن الأثير ٤/ ٢٠٩، وتاريخ إبن كثير ٨/ ١٣٠، ومحاضرات الراغب ٢/ ٢١٤..

لسانه وما حفظ عنه ما يقتضي فساد عقيدته»[1].

وأقول أنا فإذا أضفنا إلى هذا كله ما تواتر عن الرسول من أنه لعن أبا سفيان ولعن ابنيه معاوية ويزيد كما وثقنا، وكراهية آل أبي سفيان لعلي الذي لا يحبه إلا مؤمن، جزمنا بنفاق الرجل.

حفيد معاوية يصف جده وأباه:

لما هلك يزيد بن معاوية ولي الخلافة من بعده معاوية بن يزيد بن معاوية فصعد المنبر فقال: «إن الخلافة حبل الله، وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه»[2]..

معاوية يسم الإمام الحسن بن علي:

لأن معاوية قد أشرف على الهلاك، ودنى أجله، لذلك عزم على تتويج تاريخه بسم الحسن بن علي بن أبي طالب، سيد شباب أهل الجنة، وريحانة النبي من هذه الأمة.

قال ابن سعد في طبقاته: «سمه معاوية مراراً لأنه كان يقدم عليه الشام هو وأخوه الحسين».

وقال الواقدي: «إن الحسن سقى السم مراراً ثم أفلت، ثم كانت الآخرة فتوفى بها، وكان معاوية قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سماً»[3].

قال المسعودي: «لقد سقى الإمام الحسن السم، فقام لحاجة الإنسان، ثم رجع فقال: لقد سقيت السم عدة مرات، فما سقيت مثل هذه»، وقال: إن الحسن قد قال عند موته «لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته ـ معاوية ـ والله ما وفى بما وعد،

---

(١) شرح النهج ٥٧٢ ـ ٥٨٩.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٣٤ .

(٣) تاريخ ابن كثير ٨/ ٤٣.

ولا صدق في ما قال (أي لزوجة الإمام جعدة)»[1].

قال أبو الفرج الأصفهاني: «كان الحسن شرط على معاوية في شروط الصلح أن لا يعهد الى أحد بالخلافة بعده، وأن تكون له الخلافة من بعده وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن، وسعد بن أبي وقاص فدس سماً اليهما، وأرسل الى ابنة الأشعث: اني مزوجك بيزيد ابني على أن تسمّي الحسن، وبعث اليها بمائة ألف درهم»[2].

وقال أبو الحسن المدائني: «دس اليه معاوية سماً على يد جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن»[3].

وقال أبو عمر في الاستيعاب[4] «سم الحسن بن علي سمته زوجته جعدة بنت الأشعث، وقالت طائفة كان ذلك بتدسيس من معاوية». وقال السبط بن الجوزي في تذكرة الخواص: «قال علماء السير: دس اليها يزيد بن معاوية أن سُمِّي الحسن وأتزوجك»[5]، وقال ابن عساكر في تاريخه[6]، مثل ذلك.

فرح معاوية بموت الإمام الحسن:

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة[7] أن معاوية لما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه، وجاء في العقد الفريد لابن عبد ربه[8]: «لما بلغ معاوية موت الحسن خرّ ساجداً»[9]، وقد وثقنا ذلك وذكرنا في البحوث السابقة عدة مراجع[10].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٥٠.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص٢٩، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٤/ ١١، ١٧.

(٣) شرح النهج ٤/ ٤.

(٤) الاستيعاب ١/ ١٤١.

(٥) تذكرة الخواص ص١٢١.

(٦) ترجمة الإمام الحسن من تاريخ ابن عساكر ٤/ ٢٢٨ ـ ٢٤١ الأحاديث ٣٦٧ ـ ٣٩٣.

(٧) الإمامة والسياسة ١/ ١٤٤.

(٨) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ٢٩٨.

(٩) تاريخ الخميس ٢/ ٢٩٤.

(١٠) الغدير للأميني ١١/ ٢٦ ـ ٣٢.

بعد أن قتل معاوية الحسن ألحق به فوجاً من الصالحين:

طلب أحد ولاة معاوية من محكوميه أن يلعنوا علياً، فأبوا، فأرسلهم هذا الوالي الى معاوية فقتلهم معاوية صبراً في مرج عذراء، وفيهم من خيرة الصحابة وفيهم حجر بن عدي الصحابي الجليل وستة من أصحابه الأجلّاء، وعمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي الجليل الذي أبلت العبادة وجهه، قتلهم معاوية صبراً بجرم أنهم على دين علي بن أبي طالب[1].

ظافر القاسمي في كتابه الخلافة في الشريعة والتاريخ:

قال الأستاذ ظاهر القاسمي الذي يتبنى بالكامل نظرية أهل السنة في الخلافة في كتابه أعلاه ص٢٨٣ «حصل معاوية على البيعة بالتقتيل والتدمير والتحريف وشتمه أنصار رسول الله، واستغل أموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاماً بولايته على الشام ليوطد سلطانه بعد أن أخرج أموال المسلمين عن مصارفها الشرعية، ورتب عطاءً اسمه رزق البيعة يعطي للجند عند تعيين خليفة جديد».

وسنَّ معاوية سُنَّة اللعن:

سنَّ معاوية قبل رحيله لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيته على كل منبر وفي كل صلاة[2].

راجع باب البيان النبوي في علي لتعرف حجم جريمة معاوية!!

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٢٥٣ ـ ٢٨٠، وعيون الأخبار لابن قتيبة ١/١٤٧، والكامل لابن الأثير ٣/٣٥٢ ـ ٣٥٧، ٤٨٢ ـ ٤٨٨، والأغاني لأبي فرج الأصفهاني ١٦/١١٢، والغدير للعلامة الأميني ١١/٣٧ ـ ٧٠، والنص والاجتهاد للعاملي ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤/٣٦٦ وشرح النهج لابن أبي الحديد ١/٣٥٦ و٢/٢٢٠ و٣/٢٥٨ و٤/٥٦ بتحقيق أبي الفضل، والغدير ٢/١٢٢ وأسد الغابة لابن الأثير ٣/١٤٤، وترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر ٣/١٢٧ ح١١٤٩، ومعاوية بن أبي سفيان في الميزان للعقاد ص١٦.

التمهيد لاستخلاف يزيد بن معاوية:

زار معاوية المدينة ليمهد بيعة يزيد فقال أمام وجوه المدينة: «قد قلت وقلتم وأنه قد ذهب الآباء، فابني أحب اليّ من أبنائهم ومع أن ابني إن قاولتموه وجد مقالاً، وإنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف لأنهم أهل رسول الله فلما مضى رسول الله ولى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك والخلافة غير انهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك الى بني عبد مناف فلا يزال فيهم الى يوم القيامة وقد أخرجك الله يا ابن الزبير وأنت يا ابن عمر منها فأما ابناء عمي هذان فليسا بخارجين من الرأي إن شاء الله (ويقصد بابني عمه عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر..) ثم أمر بالاستعداد للرحيل»[(١)]. وزار عائشة فلما قدم قالت عائشة: «يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه العابدين المجتهدين»، فقال معاوية: «دعى هذا كيف أنا في الذي بيني وبينك وفي حوائجك»؟ قالت: «صالح»[(٢)]. وعاد معاوية الى عاصمة ملكه وحصل على بيعة أهل الشام والعراق، وبعد ذلك جاء برحلة جديدة الى المدينة وقال معاوية للناس:

«أيها الناس قد علمتم أن رسول الله قبض ولم يستخلف أحداً، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، وكانت بيعته هدى فعمل بكتاب الله وسنة رسوله، فلما حضرته الوفاة عهد لعمر، فلما حضرته الوفاة عهد لسته فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر كل ذلك يصنعون نظراً للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظراً لهم بعين الانصاف»[(٣)].

وأخذ معاوية موافقة عائشة:

ثم دخل على عائشة فشكا معارضيه اليها فوعظته وقالت له: ««بلغني أنك

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١٤٢، وجمهرة الخطب ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦.

(٢) الغدير للعلامة الأميني ١٠/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤.

(٣) الإمامة والسياسة ١/ ١٤٩ ـ ١٥٥، وتاريخ الطبري ٦/ ١٧٠، واللفظ لابن قتيبة، الغدير للعلامة الأميني ١/ ٢٩٩، ٣٠٠.

تتهددهم بالقتل»، فقال: «يا أم المؤمنين هم أعز من ذلك ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم، أفترين أن أنقض بيعة بعد أن تمت»، قالت: «فارفق بهم فانهم يصيرون الى ما تحب إن شاء الله»[1]، وأشاعت عائشة بقولها: «سلطان الله يؤتيه من يشاء»[2] لقد بايع الناس عملياً يزيد رغبة أو رهبة وسمعوا أمر الخليفة وركعوا واستسلموا إلا حسيناً.

وصية معاوية لابنه:

قال لابنه: «إذا ثار أهل المدينة فارسل اليهم مسلم بن عقبة»، وثار أهل المدينة بالفعل في ما بعد فأرسل لهم يزيد عقبة بناءً على وصية أبيه ومع عقبة قائمة بأسماء الطاهرين من الصحابة ليقتلهم واحداً واحداً، ربما أراد معاوية بارسال بشر بن أرطأة ومسلم بن عقبة أن يبيد طبقات الصحابة الاحدى عشر حتى يأتي دوره ودور ابنه فيكون هو وأولاده أولى بالحكم من أولاد الطبقات الأخرى!!

نتائج وصية معاوية:

١ ـ أبيد من حضر من البدريين بالكامل.

٢ ـ أبيد من قريش ومن الأنصار سبعمائة رجل.

٣ ـ أبيد من الموالي والعرب عشرة آلاف.

كان ذلك يوم الحرة سنة ٦٣ هـ[3] وقد أجمع على ذلك المؤرِّخون، لقد سفكت الدماء وهتكت الحرمات واستبيحت مدينة الرسول حتى ولدت الأبكار لا يعرف من أولدهن، وأخذ الناس يبايعون على أنهم عبيد ليزيد بن مغاوية[4].

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣/ ٢١، والعقد الفريد ٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤، وجمهرة الرسائل ٢/ ٦٩، والغدير للأميني ١/ ٣٠١ـ٣٠٢.

(٢) تاريخ بن كثير ١/ ٢١٢.

(٣) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص١٨٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥٠، ٢/ ٢٦٥، وسيرة الرسول وأهل بيته مؤسسة البلاغة ٢/ ١٨٢.

من يواجه أمير المؤمنين يزيد؟ من يتصدى لظلمه ومن يفضح مخازي خلافته؟ هذا هو السؤال الكبير..

الفصل الحادي عشر:

الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب

من هو الحسين الإمام؟

الإمام الحسين علم الهدى، القمر المتألق، يعرفه العرب والعجم قبل أن يعرف نظام الخلافة، وقبل أن يبرز خلفاء التاريخ على مسرح الأحداث فهو حفيد النبي سليل ابنته البتول الزهراء، وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي من هذه الأمة، أحبه الرسول حب الوالد لابنه الحبيب بعلم الأمة كلها، وهو ابن علي بن أبي طالب ولي الله بالنص، وسيد العرب بالنص وسيد المسلمين بالنص وأمير المؤمنين بالنص، وفارس المسلمين الأوحد بلا خلاف، وهو حفيد أبي طالب سيد قريش وشيخها وحكيمها ومربي النبي وحاميه ودعوته قبل الهجرة، وهو شقيق الإمام الحسن الحكيم المسموم ظلماً. فالعرب والعجم يعرفون الحسين لذاته لا لوظيفته.

وضع الحسين قبل المواجهة:

صحيح أن الإمام الحسين هو أفضل المسلمين وأعلمهم في الدين، وأقربهم الى الله ورسوله في زمانه، وصحيح أيضاً أن الحسين معروف ومتألق كالشمس في رابعة السماء أنساً للخلق، وصحيح أيضاً أنه قد صار مناط رجاء الأمة لتخليصها من قبضة الطغاة الذين غلبوا على أمرها بالقوة، وساموا الأمة سوء العذاب، يذبحون أبناءها ويستحيون نساءها وينهبون أموالها على سنة فرعون وملأه، كل هذا صحيح، ولكن الواقع، أن الحسين وفق معايير مجتمع الخلافة الفاسد ليس أكثر من مواطن عادي، يأخذ عطاءه من الدولة الظالمة كأي مواطن وقد اعتزله

الناس ليبلغوا رضى الدولة، وليتجنبوا سخطها عليهم، وفوق هذا وذاك فالدولة وعملاؤها يحصون عليه وعلى محبيه سكناتهم وحركاتهم.

وضع الخلافة قبيل المواجهة الحزينة الخالدة:

لقد تجاهل مؤسسوا الخلافة ـ كما فصلنا ـ البيان النبوي، الذي بين الخليفة من بعد النبي، وبين فيه الأسلوب الذي ينتقل فيه منصب الخلافة من رجل لآخر، تجاهلوا ذلك كله، وأعد مؤسسوا الخلافة القوة حتى والنبي على قيد الحياة، وبعد موت النبي استولوا بالقوة والتغلب والغصب على منصب الخلافة، فصار الخليفة من غلب كائناً من كان، وصار صاحب الحق الإلهي وأعوانه مجرد مواطنين عاديين معزولين عن الناس بهيبة الدولة وقوتها، دون حول ولا قوة.

وقبل أن يموت مؤسسوا نظام الخلافة وطمعاً بتكثير منافسي أهل بيت النبوة والحيلولة بينهم وبين حقهم في قيادة الأمة، أوجدوا نظام أصحاب الشورى لينافسوا الإمام علي حال حياته، وينافس أبناؤهم أبناء علي بعد مماتهم، ثم سلموا الخلافة عملياً لأبي سفيان وولده، وهم أنفسهم الذين قاوموا النبي وحاربوه طوال ٢١ عاماً ثم أسلموا مكرهين وهم يبطنون النفاق والشقاق والحقد على محمد وعلى آل محمد وبدأ الأمويون حملة تقتيل وتشريد وترويع هدفها القضاء على كل من يوالي محمداً وأهل بيت محمد، وفي غمرة هذه الحملة قُتل الإمام علي، وآلت الأمور الى الإمام الحسن، الذي رأى ـ وهو محق في ما رآه ـ إن الاستمرار بالمواجهة في تلك الظروف انتحار، لذلك سلّم بقيا منه على القلة المؤمنة التي لم تنالها سيوف الطاغية، وخلى الجو لمعاوية الذي تحول الى ملك للمسلمين جميعاً، وصار منصب خلافة النبي سوطاً بيد معاوية وشيعته وسيفاً مصلتاً على الرقاب فأذل أعداءه، وشتتهم ونكّل بهم، وذبحهم فوق كل حجر ومدر واستحي أعوانه نساءهم، وسلبوهم أموالهم، ولما تم له ما أراد استخلف ابنه يزيد بن معاوية، المشهور بمجونه وعهره وكفره ـ كما وثقنا ـ ليكون خليفة رسول الله على أمة دينها الرسمي دين الإسلام!! وكان هذا الرجل دموياً أكثر من معاوية، ويكفي أن تعلم أنه قد أشرف بوقعة واحدة وهي وقعة الحرة على قتل عشرة آلاف مسلم

من العرب والموالي في يوم واحد وسبعمائة من قريش ومن الأنصار، وأنه قد أشرف بنفسه على هدم الكعبة المشرفة قبلة المسلمين بعد حرقها!! كل هذا وهو رسمياً خليفة رسول الله!! وأمير الأمة المؤمنة فأنت تلاحظ أن الخلافة صارت ملكاً كملك فرعون تماماً.

حالة الأمة قبل المواجهة الخالدة:

مات الشعور العام موتاً تاماً، وذل الناس ذلاً تاماً، ولم يعد بامكان أحد أن يرفع رأسه، أو أن يتخلى عن عمله أو أن يخاطر بعطائه الذي تقدمه له الدولة ما دام عبداً لها يدين بالولاء لها، فإذا صار عبداً لله، تقطع عنه العطاء وتقتله. كان الناس يعرفون ما وصلت اليه أمورهم ويعرفون أن هذا هوان حقيقي، لكنهم كانوا يطمعون أن يبرز فارس من عالم الغيب فيخلصهم دون أن يكلفهم عناء المواجهة مع فرعونهم.

قال الطبري في تاريخه[1]: «إن المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول له: انصرف الناس يكفونك. ويجيء الرجل الى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام» فصار أهل الشام موتاً، وصار الإتكال على المجهول أمل الناس الوحيد.

ثم انظر الى نصيحة رجل من علية الأمة للحسين وهو يحاول أن يحثه على البيعة وينهاه عن الخروج: «أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك، وحرمة قريش حرمة العرب فلا تفعل، ولا تأت الكوفة ولا تعرض لبني أمية.. والله لئن هلكت لنسترقنَّ بعدك»[2] فبني أمية ملك الموت، وقابض الأرواح، يخشونهم أكثر من خشيتهم لله!!

هذه هي حالة الخلافة وحالة الأمة عندما فرض على الحسين أن يقود المواجهة.

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٧١.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ٣٥١، ٣٩٥-٣٩٦.

السبب المباشر للمواجهة:

لقد هلك معاوية، وبايعت الأمة رغبة أو رهبة يزيد ابنه، المعروف بفساد العقيدة، وفساد الخلق، وبوقت يطول أو يقصر فعلى الحسين وأهل بيت النبوة أن يبايعوا أو يموتوا، فالحسين وأهل بيت النبوة على علم بتاريخ الخلافة، فمن أجل البيعة وبعد يوم واحد من وفاة النبي أحضر أولياء أبي بكر الحطب وقبس من النار ليحرقوا البيت على أهل بيت محمد لأنهم قالوا: أننا الأحق بالخلافة ولن نبايع، وهدد أولياء أبي بكر عليَّ بن أبي طالب بالقتل إن لم يبايع، ولم ينكر أحد من المسلمين ذلك على أبي بكر وعمر وقد وثقنا ذلك، إذا كان أبو بكر وعمر يفعلان ذلك وهما صفوة الخلفاء فكيف يفعل يزيد وأولياء يزيد بحسين وأهل بيت النبوة!! وهل يقبل الحسين أن يضع يده بيد يزيد المشهور بكفره وعهره ومجونه، وأنه يبايعه ليكون خليفة لرسول الله ومتحكماً بأمور عباد الله مع علمه بحاله وحقيقة دينه!! الحسين يعلم بأن عليه أن يبايع وأهل بيت النبوة ليزيد أو يموتوا ويعلم أنه ملاحق ومطلوب، فلذلك قال: «وايم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم»[1]، وعرف الحسين مصيره فقال مرة: «والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإن فعلوا، سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم»[2].

إن خيارات الحسين وأهل بيت النبوة محدودة، فإما أن يبايعوا عدو الله وهم أذلة أو يقتلهم عدو الله صبراً وبالطريقة التي يراها مناسبة.

حتمية المواجهة:

من يعرف طبيعة الإمام الحسين، وطبيعة أهل بيت النبوة يتيقن أن مبايعتهم

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٨٩، وطبقات ابن سعد ح٢٧٨، وتاريخ ابن كثير ٨/١٦٩، والكامل لابن الأثير ٤/٣٨، وسيرة الرسول وأهل بيته ص١٣٠ ومعنى جحرهامة: الشق الذي تختفي فيه الحية أو العقرب.

(٢) الكامل لابن الأثير ٤/٣٩. ومعنى الفرم: هي خرقة من قماش تضعها المرأة على فرجها عند الحيض.

ليزيد بن معاوية مستحيلة استحالة مطلقة، وأن نزولهم على حكمه وتسليم أنفسهم له ليقضي فيهم برأيه وغطرسته مستحيل أيضاً استحالة مطلقة، واستسلام الحسين كما استسلمت الأمة، وقبوله بالذل والهوان كما قبل الملأ وقبلت أكثرية الأمة غير وارد، فالملأ والأكثرية الساحقة من الأمة يخشون الموت، ولتجنُّب الموت يعطون الدنية وهم سعداء، لكن الحسين وأهل بيت النبوة لا يخشون الموت إن الموت عندهم نجاة وسعادة، ومنى وهو يصرح بذلك علناً: «إن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرت حداء، «مقطوعة» ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»[1].

لو ركع الملأ واستسلموا، لكان بامكانهم أن يعتذروا يوماً ما، ولو ركعت الأكثرية الساحقة واستسلمت، لما أثاروا عجباً، فطوال التاريخ البشرية وجدت أمم وشعوب تركع للطغاة، وتعبدهم من دون الله ووجدت أمم مستذلة غلبت على أمرها.

كيف يقال بأن الحسين وأهل البيت قد استسلموا لأنهم جزعوا من الموت؟!!، وكيف يقال أن حفيد النبي، وابن علي، وحبيب الزهراء وإمام الأمة وسيدها قد هان أمام الظالمين؟.

وكيف يقال أن أحفاد شيخ قريش أبي طالب وأبناء سيد العرب علي قد تركوا عميدهم الحسين يموت وحده؟!!، وأي معنى للحياة بعده؟!!، فودعوا أباهم رسول الله وخرج ركب الحسين خائفاً يترقّب، تماماً مثلما خرج موسى من عند فرعون خائفاً يترقّب، ورمقته الجموع الذليلة باشفاق ومحبة، وهم على علم بأن مصير الحسين وأهل بيت النبوة القتل ومع هذا لم تقدم هذه الجموع ولم تؤخِّر، بل بقيت راتعة في مرعاها الوبيل!! تنتظر جزارها ليختار ذبائحه بأي وقت

(١) مقتل الحسين لابن طاووس ص٣٢، ٣٣، وسيرة الرسول وأهل بيته لمؤسسة البلاغ ١٣٨/١.

شاء، لقد غاب القمر عن المدينة وتركها في ليل بهيم، إذا أخرجت يدك لم تكن تراها!!

المسيرة:

سمع أهل المدينة كلها بمسيرة الحسين، ووصل مكة، وعلم أهل مكة بوصوله، ثم غادر مكة متوجهاً إلى العراق فعلم أهل مكة بمسيرة الحسين الى العراق، وعلم أهل العراق بقدوم الحسين، وسمعت كل أقاليم المملكة الأموية بمسيرة الحسين، وسمع كل رعايا المملكة الأموية بالمسيرة الخالدة، قال له أهل العراق إنهم معه، وبايع مسلم ابن عقيل ١٨ ألف رجل منهم، وعندما جد الجد تخلوا عن مسلم بن عقيل ولم يجد من أهل الكوفة بيتاً واحداً يأويه أو رجل يستضيفه إلا امرأة، ولما علم ابنها بوجود مسلم انطلق وأخبر عبيد الله بن زياد بايوائه أمه لمسلم طمعاً بالمكافأة، وتهادى ركب الحسين الى كربلاء ومعه أهل بيت النبوة صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم وكان عدد الركب مائة يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً!!

المذبحة الكبرى:

وفي كربلاء كان جيش أمير المؤمنين ينتظرهم وقوامه ألفاً، أو أربعة آلاف، أو ثلاثين ألفاً، ليست هنالك ضرورة عسكرية لمجابهة الحسين وأهل بيته ومن معهم، ولا خطر من وجودهم، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص يقود جيش أمير المؤمنين الذي جاء خصيصاً لذبح الحسين ومن معه، ومعه أهل بيت النبوة.

الحصار الأليم:

تعليمات أمير المؤمنين يزيد وواليه على الكوفة لعمر بن سعد بن أبي وقاص تقضي بمنع الحسين وأهل بيت النبوة من ماء الفرات المباح للوحش والحيوان والطير والإنسان، مع أن أمير المؤمنين وواليه عبيد الله بن زياد وقائد الجيش يعلمون أن مع الحسين أطفال رضّع ونساء وصغار بحاجة الى الماء، ومع هذا منعوا عنهم الماء فقاسى الحسين وأهل بيت النبوة، ومن معهم من حر الصحراء

اللافح، وشدة الحصار المحكم، الحرمان من الماء والعطش الشديد، وتذكرت الآن كيف أن المشركين اضطروا أطفال بني هاشم أن يمصوا الرمال من العطش في شعب أبي طالب، وأن يأكلوا ورق الشجر من الجوع أثناء حصارهم ومقاطعتهم عندما رفضوا تسليم النبي لبطون قريش لتقتله!!؛ وتذكرت أن سعد بن أبي وقاص امتنع عن بيعة علي بن أبي طالب، وأن سعد من أهل الشورى الذين اختارهم عمر، وأن سعد من العشرة الذين قيل بأنهم مبشرون في الجنة، وكيف أن ابنه عمر تبرّع لحرب الحسين وأهل بيت النبوة، بهذا الجو الأليم نشب القتال غير المتكافىء!!

المذبحة واحتفالات النصر:

قلت في كتابي الخطط السياسي لتوحيد الأمة الإسلامية[1]:

«هجم جيش أمير المؤمنين المكوّن من أربعة آلاف مقاتل على ٧٢ مقاتلاً فقتل الحسين ومن معه وقطعت رؤوسهم، وبعد ذلك أصدر عمر بن سعد بن أبي وقاص أمراً لكوكبة من فرسانه لتطأ جثة الحسين وكل الذين قتلوا معه، وعاد جيش أمير المؤمنين منتصراً، وعاد القتلة ومعهم رؤوس ال٧٢ رجلاً، وأقيمت الأفراح، ونصبت أقواس الزينة والنصر، وأخذت بنات الرسول سبايا، واقتيد الركب الى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ليقضي فيهم بأمره، وانتهت الغارة بابادة أهل بيت النبوة ولم يبق منهم غير الإمام علي بن الحسين الذي كان مريضاً لا يقوى على الحركة!! بالوقت الذي صلى فيه جيش أمير المؤمنين الأوقات الخمسة، وصلوا في كل صلاة على محمد وآله!!».

من ينكر ومن يعتذر!!

من ينكر ذلك، ومن يتنكر لوقائعها المخجلة، التي يترفّع عن فعلها حتى همج ما قبل التاريخ!! ومن يعتذر عنها!! وكيف!!! لو أن الحسين ومن معه اصطدموا بجيش من بني اسرائيل أو بجيش أمريكي، أو انكليزي أو بجيش من

---

(١) الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٥٨٠، ٥٨١.

همج ورعاع ما قبل التاريخ فهل تفعل هذه الجيوش بالحسين وأهل بيت النبوة الطاهرين ما فعله جيش أمير المؤمنين بهم.

ثم لنفترض أن الحسين قس نصراني أو حبر يهودي اصطدموا مع جيش مسلم فهل يفعل الجيش المسلم باليهود والنصارى ما فعله بأهل بيت النبوة!!

لو لم يفعل قادة التاريخ وشيعتهم من المخازي غير ذلك لكفاهم خجلاً ومبرراً لتبقى رؤوسهم منكّسة الى الأرض أبداً!!

الرد الإلهي العاجل:

لم يمض وقت يذكر حتى أرسل أمير المؤمنين يزيد جيشاً على أهل المدينة فقتل ٧٠٠ رجل من المهاجرين والأنصار وعشرة آلاف من الموالي والعرب، واستباح المدينة فحملت ألف عذراء بمن لا يعرف أبوهم، وسار الى مكة ونكّل بأهلها وأحرق الكعبة نفسها، ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾[(١)]، وجاء أولاد مروان بن الحكم ينزون على منبر رسول الله نزو القردة كما قال رسول الله (ص)، وكل ما لاح للأمة أن طاغية هلك وأنها ستتخلص من الذل، جاء خلفه طاغية جديد فزادها ذلاً على ذل.

الإمام الحسين فضح الخليفة ونظامه:

كرست كل وسائل اعلام دولة الخلافة التاريخية كافة جهودها وطاقاتها الهائلة وامكانياتها، لاقناع المسلمين وسكان المعمورة، بأن الخليفة رجل مقدس، لأنه خليفة الرسول (ص)، ولأنه صفوة المسلمين، وبالغت وسائل اعلام دولة الخلافة، فأشاعت بين الناس بأن الخليفة أعظم من الرسول نفسه وأن أمر السموات الأرض قد قام على نظام الخليفة والخلافة[(٢)]، فمن عاد الخلافة صار

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٩.

(٢) سنن أبي داود ٤/ ٢٠٩، والمسعودي في مروج الذهب ٣/ ١٤٧، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٥/ ٥٢، ٢/ ٥١.

كافراً، ومن والاه صار مؤمناً[1]!! ويتوجب على المسلمين اطاعة الخليفة عصا الله أم أطاعه!! عمل بالعدل، أو مارس الظلم والجور، فسق أو استقام!! أعمل الحدود أم عطلها، هو حر، يعصي الله لحكمه!! ويعطل الحدود لحكمه، ويمارس الظلم والجور لحكمه، ويقتل النفس التي حرم الله لحكمه، ويضيع الحقوق، ويغصب الأموال لحكمه!!، فلا يجب الخروج عليه مهما فعل، وتجب طاعته[2]!! راجع سنن البيهقي، والباقلاني في كتابه التمهيد، وراجع الفصل الثامن من هذا الباب فإذا جاء فارس من عالم الغيب، وغلب الخليفة الغالب، فإن الخليفة الغالب الجديد يتمتع بكافة الصلاحيات وبنفس المكانة وبالحصانة التي كانت للخليفة المغلوب!! وإذا تكلم الخليفة، أصغى الناس، كأن كلامه كلام الله!! وإذا وصى الخليفة نفذوا الوصية وعملياً فإن الخليفة صار أعظم من النبي!!، لما أراد الرسول أن يكتب تعليماته وتوجيهاته النهائية، قال عمر بن الخطاب للرسول: «أنت تهجر ولا حاجة لنا بوصيتك»[3]، وعلى الفور ضج الحاضرون من حزب عمر وقالوا: القول ما قال عمر: إن الرسول يهجر، ولا حاجة لنا بكتابه، عندنا القرآن، وقد وثقنا هذه الكارثة مرات في هذه الدراسة[4]، ولما أراد كل خليفة أن يكتب تعليماته النهائية، قال الناس لبعضهم اسمعوا واطيعوا خليفة رسول الله يريد أن يكتب تعليماته النهائية[5]. وقف على الحقيقة وقداسة معاملة القوم للخليفة[6]!! فالخليفة يتمتع بالاحترام أكثر من النبي في هذه الحالة!!

وكاد العالم أن يصدق أن نظام الخلافة التاريخي هو نظام الإسلام، وأن الخليفة التاريخي هو الصفوة، وهو أهل للقداسة.

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٢٠٩.

(٢) صحيح مسلم ٦/ ٢٠ ـ ٢٢، ٢/ ٢٢٩، وصحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ١٥٨، ١٥٩.

(٣) تذكرة الخواص للسبط الجوزي ص٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص٢١.

(٤) كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص٢٨٦ ـ ١٨٧ تجد عشرات المراجع.

(٥) تاريخ الطبري ١/ ٢١٣٨ طبعة أوروبا.

(٦) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٩، وسيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٥.

فجاءت ثورة الحسين، ومسيرته الخالدة التي سمع بها أهل الدنيا، وسمع أهل الدنيا بمذبحة كربلاء، وكيف أن الخليفة أرسل جيشاً ضخماً لحرب رجل واحد وهو الحسين بن الرسول ومعه أهل بيته ومواليه!!، وكيف قتلهم شر قتلة، وقطع رؤوسهم وحملها من بلد الى بلد، ثم أمر بأن تداس جثثهم بسنابك الخيل!!، وأخذ بنات النبي سبايا، وقادهن حفايا من بلد الى بلد، فمرغ الخليفة شرف العسكرية الإسلامية بالوحل، وظهر على حقيقته كسفاك وقاتل ومجرم لا أخلاق له، وظهرت حقيقة أن فرعون الذي ادعى الربوبية هو أكثر نبلاً وأعظم احساس بالمسؤولية من أمير المؤمنين يزيد وأمثاله!! وإن كسرى وقيصر لهما أكثر رشداً من هذا الخليفة وأمثاله!!، لقد فضحت ثورة الحسين الخليفة وأظهرته على حقيقته البشعة، مثلما فضحت نظام الخلافة وأظهرت هذا النظام بصورته المخالفة للدين والعقل والمنطق!! ومن المشكوك فيه أن تتمكن أية ثورة أخرى في فضح الخليفة ونظامه غير ثورة الحسين ونتائجها المأساوية الدامية!!

الحسين صدم ضمير الأمة وأجبرها أن تستفيق:

بينا أن الأمة قد غلبت على أمرها، واستمرئت الذل والهوان، وتشبثت بالحياة، وتطرفت في تشبثها، وعندما نهض الحسين نهضته الخالدة وضحى بحياته، وبأهل بيت النبوة، وتناهت أنباء مذبحة كربلاء ووقائعها الدامية الى الإسماع، صدم ضمير الأمة، وهز هول الأنباء كيانها فاستفاقت من رقدتها، ونهضت لتجالد عدوها الخليفة ونظامه وبطانته، فأعلن أهل المدينة الثورة بقيادة عبد الله بن حنظلة، وقمعها يزيد بعد أن قتل ٧٠٠ من المهاجرين والأنصار وعشرة آلاف من العرب والموالي وهتكت حرمة المدينة واستبيحت أعراضها، وبايع الناس على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية. راجع تاريخ اليعقوبي[١] والإمامة والسياسة لابن قتيبة، ومع هذا لم تهدأ روح المقاومة حتى سقط الحكم الأموي، فغلب العباسيون وحكموا، ولم يقلوا سوءاً عن الأمويين، ولم تهدأ روح المقاومة حتى

---

(١) ٢/ ٥٠.

سقط العباسيون، وجاء العثمانيون لأنهم غالبون، ولم تهدأ المقاومة حتى سقط الحكم العثماني.

وكأثر مباشر لثورة الحسين، اشتعلت ثورة التوابين[١] وثورة أهل المدينة التي أسلفنا ذكرها[٢] وثورة المطرف بن المغيرة[٣] وثورة بن الأشعث وثورة زيد بن علي[٤].

تلخيص الإمام أبي جعفر الباقر لما جرى مع الأئمة الثلاثة علي، الحسن، الحسين وأوليائهم:

قال الإمام أبو جعفر الباقر لأحد أصحابه كما روى بن أبي الحديد في شرح النهج[٥] ما يلي:

«يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش ايانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس، إن رسول الله (ص) قبض، وقد أخبرنا أنا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش، حتى أخرجت الأمر من معدنه، واحتجت على الأنصار بحجتنا وحقنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد، حتى رجعت الينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت لنا الحرب، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل.

فبويع ابنه الحسن، وعوهد ثم غُدر به، وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أُمهات أولاده، فوادع معاوية، وحقن دمه، ودماء أهل بيته، وهم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين (عليه السلام) من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه، ثم لم نزل أهل البيت نُستذل ونُستضام،

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٢٦ـ٤٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/٣٦٦ـ٣٨١.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٤٢٤.

(٤) مقاتل الطالبين ص١٣٩.

(٥) شرح النهج ٣/ ٥٩٥ تحقيق حسن تميم.

ونُقصي ونحرم، ونُقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا.

ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به الى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله ليبغضونا الى الناس، وكان عظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت الحسن (عليه السلام) فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكل من يذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن، أو نهبت ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب اليه من أن يقال شيعة علي . . ».

الإمام الرابع: علي بن الحسين بن علي زين العابدين:

أبوه الحسين، وجده النبي وعلي، وأمه شاه زنان «وتُعنى بالعربية سيدة النساء»، وهي ابنة يزدجر بن شهريار بن كسرى آخر ملوك الفرس، تزوجها الحسين فولدت لهم علياً زين العابدين الإمام الرابع من أئمة أهل بيت النبوة، وعندما ولد، وسمع الإمام علي بن أبي طالب بولادته سجد لله شكراً.

قال ابن عباس: سمعت رسول الله (ص) يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»[1].

تربى الإمام زين العابدين في مدرسة الرسالة والنبوة، وانتهى اليه علم النبوة كله، وتوفرت فيه كل صفات الأئمة، فكان هو الأعلم والأفهم بالدين والأكثر احاطة بسند سيد المرسلين، والأقرب لله ولرسوله والأصلح من أهل زمانه.

وقد رأينا في سيرة الإمام الحسن، أن الإمام علي أبلغه وصية رسول الله، وطلب من الحسين، أن يعهد بالإمامة من بعده لابنه علي، وقد وثقنا ذلك.

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢/ ٤٤٥، وكفاية الأثر ص١٩، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٨٩ مؤسسة البلاغ.

رأي علماء شيعة الحكام بالإمام زين العابدين:

قال الزهري: «لم أدرك أحداً من أهل بيت النبوة أفضل من علي بن الحسين».

قال سعيد بن المسيب: «هذا سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)».

قال الإمام مالك: «سمي زين العابدين لكثرة عبادته».

قال أبو حازم: «ما رأيت أفقه منه»[١].

حزن الإمام زين العابدين:

توفرت فيه كل صفات الإمام؛ رحل مع أبيه وأهل بيت النبوة من المدينة الى مكة الى كربلاء، وشهد المذبحة في كربلاء حيث كان مريضاً لا يقوى على الحركة وطريح الفراش، ورافق بنات الرسول الى دمشق، وعاد الى المدينة، وقلبه الشريف مثخن بالجراح النازفة، وحزنه على أبيه وأهل بيت النبوة الذين ذبحوا في كربلاء يجري في عروقه جريان الدم، لقد بكى عليهم عشرين عاماً فما وضع بين يديه طعام إلا وبكى، قال له أحد مواليه يوماً: «أما آن لحزنك أن ينقضي؟» فأجابه الإمام: «ويحك إن يعقوب النبي، كان له اثنى عشر ابناً، فغيّب الله واحداً منهم، فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حياً في الدنيا. وأنا نظرت الى أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين، فكيف ينقضي حزني!!»[٢].

الشعور بالذنب:

شاع خبر فضل الإمام، وفيض حزنه، وتذكر المسلمون وقعة كربلاء

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص٣٣١، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤/ ١٦٥، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٣/ ١٣٨.

ومذبحة أهل بيت النبوة فيها، وقعودهم عن نصرة الحسين وأهل بيت النبوة، وخذلانهم المستمر لأهل بيت النبوة، فتولد لديهم احساس عميق بالذنب، وشعور غامر بالاثم، رافقهم في حلهم وترحالهم، وساهم في ما بعد بابراز قضية أهل بيت النبوة، وبتعرية الخلفاء الطغاة على حقيقتهم والخروج من موقع الذل والهوان إلى الثورة.

الدعاء والعبادة:

الأفواه مكممة، والطغيان يلقي أجرانه في بلاد الإسلام، فلم يكن بوسع الإمام أن يفعل شيئاً أفضل من أن يبث حزنه الى الله، من خلال أدعية تحرك القلوب الموات، وتكشف هيمنة الرب ورقابته على ما يجري، وعظيم سلطانه، وواسع علمه، فدعا ربه بأدعية لم يسمع بها أهل زمانه من قبل، وانتشرت أدعيته (وجمعت في ما بعد بما عرف بالصحيفة السجادية) وكثرت عبادته وكثر دعاؤه، وهو قاعد في بيته، إذا جاءه مستهدىء هداه، وإن استعمله متعلم علمه، وإن أتيحت له فرصة، قرع الناس الذين خانوا أباه.

موئل العلم:

طبقت سمعة الإمام الآفاق، وملأت أخباره الأسماع والقلوب والأذهان، وقصده طلاب العلم لينهلوا من علم النبوة، فحدثهم وأنسوا به، فذاع صيته، وانتشر علمه، وتخرج على يديه كوادر علمية من شيعة أهل بيت النبوة ساهمت بترسيخ عدالة قضية أهل البيت. وارتباطها الوثيق بدين الإسلام.

الكل يعرف الإمام:

عرفت الأمة الإمام زين العابدين، رفيعها ووضيعها، القاصي والداني فأحبوه وأكبروه طاف يوماً حول البيت الحرام، فلما انتهى الى الحجر، تنحى له الناس هبةً وتوقيراً واحتراماً له، وكان الملك هشام بن عبد الملك موجوداً ومعه الملأ من أهل الشام، فسأل أحدهم هشام: من هذا الذي هابه الناس وأفسحوا له ليتسلم الحجر الأسود؟. ومع أن هشام كان يعرفه إلا أنه قال للشامي: لا أعرفه.

حتى لا يميل أهل الشام اليه، وكان الفرزدق الشاعر المعروف حاضراً فأجاب الشامي بقصيدة أمام هشام بن عبد الملك كما قال ابن خلكان في ترجمة الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم

إلى أن قال:

فليس قولك من هذا؟ بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم

إن عُدَّ أهل التقي كانوا أئمتهم ... أو قيل من هم خير أهل الأرض قيل هم[١]

لقد غضب هشام وسجن الفرزدق، ولكن قصيدته الرائعة صارت خالدة.

نهاية الإمام:

كان ابن الزبير يطلب الملك، فخرج على الأمويين، واستولى على الحجاز فترة، لما عرف بمكانة الإمام بين الناس، وحبهم له، جن جنونه واشتعلت نيران الحقد في قلبه، لأنه كان يحقد على آل محمد، وأراد أن يستأصلهم من الوجود فجمع حطباً بعد أن جمع بني هاشم، وصمم على أن يحرق آل محمد وهم أحياء، ولولا نجدة جاءتهم لحرق آل محمد فعلاً!! وأثناء حكمه على الحجاز عكر صفو آل محمد عامة، والإمام زين العابدين خاصة ولو دام حكمه لنكل بأهل بيت النبوة، ولكن الأمويين هزموه[٢]. وبانتصار الأمويين وجدوا أمامهم زين العابدين يخطر على القلوب بمكانته أحلى الخطرات، فأوجسوا منه خيفة، وامتلأت قلوبهم غيرة، وتأججت نيران حقدهم على آل محمد، فدس له الملك

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/ ٩٦.
(٢) كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية ص٥٨١.

الأموي سليمان بن عبد الملك السم فقتله. وانتهت حياة الإمام بعد أن أثار عواطف المسلمين، بحزنه العظيم، وبثه لله، وأدعيته المباركة وعلمه النافع، وخلق لديهم احساساً عظيماً بالذنب، وشعوراً فائقاً بالاثم، ونبههم الى الظلم الفظيع الذي لحق بأهل بيت النبوة.

الإمام الخامس: محمد بن علي الباقر:

هو خامس الأئمة، أشار له الإمام علي بن أبي طالب بوصيته؛ وكلف عليَّ بن الحسين: أن يعهد له ـ بناءً على أمر رسول الله ـ وأن يقرؤه السلام من رسول الله ومنه، ولقب بـ (الباقر) لأنه بقر العلوم كلها.

قال عبد الله بن عطاء المكي: «ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر».

قال محي الدين النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) عن الإمام الباقر: «تابعي جليل، وإمام بارع مجمع على جلاله، روى عنه أبو اسحاق وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار والزهري وربيعة، وروى له بخاري ومسلم[١]».

قال ابن العماد الحنبلي: «قيل له الباقر لأنه بقر العلم أي شقه وعرف أصله»[٢].

قال ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول[٣]: «هو باقر العلم وجامعه».

قال أبو الفداء اسماعيل بن كثير: «أبو جعفر الباقر أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادةً وشرفاً، وسمي الباقر لبقره العلم»[٤]..

إذا كان علماء الدولة يقولون هذا عن الإمام، فيعني أن الباقر قد صار بدراً، يتعذّر حتى على العميان انكار وجوده.

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢/ ٤٣٦.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٤٣٦.

(٣) ص٤٣٧.

(٤) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢/ ٤٣٧.

كان الباقر موقناً أنه إمام الأمة، وحاكمها الشرعي، وأن الحكام الذين خططوا في الظلام وتآمروا على أجداده غاصبون للسلطة، أخذوها بالقوة والتغلُّب.

ولكن مطالبة الإمام الباقر بحقه الشرعي، بقيادة الأمة في زمانه على ضوء تجارب آبائه وأجداده بمثابة انتحار، لذلك كرّس الإمام الباقر كل جهوده لاستقطاب المسلمين حول تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، فتحرك كأعلم العلماء في زمانه ـ فحدّث عن أبيه، عن جده، عن رسول الله جده فقدم للناس تعاليم دينهم من أوثق الطرق، وكشف ملامحه المتميزة، على نسق آبائه وأجداده وضمن خطتهم الرامية لتكوين أُمّة محصنة ضد الانحراف.

وبنى الإمام كوادر فنية لتعليم الأجيال اللاحقة، لأنه أدرك كآبائه وأجداده أن تكوين الأمة المحصنة ضد الانحراف خطوة سابقة ومتقدمة على الوصول الى السلطة.

فلو حكم الإمام الباقر أمّة كالأمة التي أوجدها معاوية، فلن ينجح بادارتها، وإنّما ينجح بادارتها فقط عندما تعرف الأمة معنى الشرعية والمشروعية وتلتزم بها التزام المؤمن.

كل هذا يستدعي اعادة بناء الأمة بناءً جديداً على أساس عموميات الدين وتفاصيله.

ومن هنا كرّس الإمام كل وقته لتعليم الدين، وتنظيم أصفيائه.

موت الإمام:

وأدركت دولة الخلافة خطورة الإمام فلجأت الى سلاحها القذر، فدسّت السم للإمام ليلحق بأبيه المسموم، وبالحسن المسموم وكان ذلك سنة ١١٤ هـ.

الإمام السادس: جعفر بن محمد الصادق:

عهد الإمام الباقر لابنه جعفر بن محمد الصادق بالإمامة عملاً بتوجيهات

رسول الله، ولأن الإمام الصادق تأهل للإمامة، فصار الأعلم والأفهم بالدين والأحوط بسنة سيد المرسلين، وأصلح أهل زمانه وأقربهم لله ولرسوله.

آراء علماء الدولة بالإمام الصادق:

قال المؤرِّخ اليعقوبي[1] عن الإمام الصادق: «أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه قالوا: أخبرنا العالم».

قال مالك ابن أنس ـ صاحب المذهب المالكي ـ: «ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً» راجع المناقب لابن شهر آشوب.

قال محمد فريد وجدي صاحب دائرة المعارف: «أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق هو أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإمامية، من سادات أهل البيت لقب بالصادق لصدقه في كلامه، كان من أفاضل الناس»[2].

قال أبو الفتح الشهرستاني[3] في كتابه «الملل والنحل» عن الإمام الصادق: «هو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات».

نقل الإمام العاملي عن الحسن بن زياد في «أعيان الشيعة»[4] عن أبي ليلى قوله: «ما كنت تاركاً قولاً قلته، أو قضاء قضيته لقول أحد إلا رجلاً واحداً إلا وهو جعفر بن محمد»[5].

تركيز الإمام:

ركز الإمام على نقطتين:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٨١.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٣/ ١٠٩.

(٣) الملل والنحل ١/ ١٤٧.

(٤) أعيان الشيعة ١/ ٦٦٤.

(٥) أعيان الشيعة ١/ ٦٦١.

١ ـ العلم: حيث فتح جامعة حقيقية قال العلامة محسن الأمين في أعيان الشيعة[١] أن الحافظ بن عقدة الزيدي جمع في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمد، فضلاً عن غيرهم وذكر مصنفاتهم.

وقال أيضاً: وروى النجاشي في رجاله بسنده عن الحسن بن علي الرشا في حديث قال فيه: «أدركت في هذا المسجد ـ مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد».

طبيعة حديث الإمام جعفر:

كان الإمام جعفر يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل»[٢].

الاعلام وجعفر الصادق:

قال عمرو بن أبي المقدام: «كنت إذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين، ولا تخلو كتب أحاديثه وحكمه، وزهده، وموعظة من كلامه، يقولون قال جعفر بن محمد الصادق»، ذكره النقاش والثعلبي والقشيري والقزويني في تفاسيرهم[٣].

وجاء في حلية الأولياء لأبي نعيم: «إن جعفر الصادق حدث عنه الأئمة الأعلام، مالك بن أنس، وشعبه بن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريج، وعبد الله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينه، وسليمان بن بلال، وسليمان بن جعفر، وحاتم بن اسماعيل وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وابراهيم بن طحان، وأخرج عنه مسلم في صحيحه محتجاً بحديثه، وقال

---

(١) أعيان الشيعة ١/ ٦٦١، ومسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٣١٠.

(٢) «الإمام الصادق» لعبد الحميد الجندي ص١٦١.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٢/ ٢٤٩.

غيره: وروى عنه مالك والشافعي والحسن بن صالح، وأيوب السجستاني، وعمرو بن دينار، وأحمد بن حنبل»[1].

وفي عهد الإمام ظهر الملاحدة والزنادقة، وجواسيس الدولة المتسترين بالولاء لأهل البيت والغلو في حب الأئمة، فدرب الإمام جعفر مجموعة من رجاله على الكلام والجدل والمناظرة والفلسفة للدفاع عن عقيدة التوحيد وعن نقاء دعوة أهل بيت النبوة.

جاء في الكافي[2] عن سدير قلت لأبي عبد الله: «إن قوماً ـ جواسيس الدولة ـ يزعمون أنكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآناً: **﴿وهو الذي في السماء وفي الأرض إله!﴾**، فقال الإمام عليه السلام: يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرىء الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله واياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم».

٢ ـ النقطة الثانية: ركز الإمام على أوليائه، وأصفياء آبائه وأجداده فخصهم بعنايته ونظم أمورهم تنظيماً دقيقاً، وعرفت الشيعة، وعرف أن لها مذهب وهو مذهب أهل بيت النبي الذي أبرزه الله على يد جعفر الصادق.

تعاطفه مع الثوار:

كان يتعاطف مع الثوار كتعاطفه مع ثورة زيد، ولكنه لم يتورّط مع أي جماعة وكان يقول لكل جماعة علمه بنتائج حركتهم مسبقاً.

جاءه عبد الله بن الحسن كما روى المسعودي في مروج الذهب وقال له: «إن القوم يريدون ابني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة»، فقال أبو عبد الله الصادق: «والله، ما هو مهدي هذه الأمة، ولئن شهر سيفه ليقتلن»، فنازعه عبد الله القول حتى قال له: «والله، ما يمنعك من ذلك إلا الحسد»، فقال الإمام: «والله، ما هذا إلا نصح مني لك». بمعنى أن الرؤيا كانت واضحة أمام الإمام.

---

(١) المصدر نفسه ٤/٢٤٧.

(٢) الكافي ١/٢٦٩.

موت الإمام الصادق:

قال اليعقوبي في تاريخه[1]: «روى اسماعيل بن علي بن عبد الرحمن بن العباس قال: دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً وقد اخضلت لحيته بالدموع، فقال لي: ما علمت ما نزل بأهلك؟ فقلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: فإن سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفي؟ فقلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: جعفر بن محمد».

هذا رأي عدو الإمام الذي يخشاه على ملكه، فكيف يشعر صديقه!!، ومن المؤكد أن السلطة قد لجأت في قتل الإمام الى سلاحها المجرب وهو السم.

الأئمة الستة:

٧ ـ **الإمام موسى بن جعفر الكاظم**: وأبوه الإمام جعفر بن محمّد الصادق.

وُلد سنة ١٢٨ هـ واستُشهد في سجن هارون الرشيد سنة ١٨٣ هـ.

وصفه الحافظ الرازي في موسوعته الرجالية بقوله: «موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، روى عن أبيه، روى عنه ابنه علي بن موسى وأخوه علي بن جعفر، سمعت أبي يقول ذلك. قال عبد الرحمن: سئل أبي عنه فقال: ثقة، صدوق، إمام من أئمة المسلمين[2]».

٨ ـ **الإمام علي بن موسى الرضا**: وأبوه الإمام موسى بن جعفر الكاظم.

وُلد سنة ١٤٨ هـ واستُشهد مسموماً سنة ٢٠٣ هـ.

وكان سيّد أهل البيت في عصره ومحطّ أنظار المسلمين جميعاً، مما أرغم المأمون الخليفة العباسي على أن يعهد له بالخلافة من بعده، ويزوِّجه ابنته، وكان كآبائه في العِلم والورَع والتقوى.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٣/ ٣٨٣.

(٢) الجرح والتعديل: ٨/١٣٩٠ ت٦٢٥.

وصفه المؤرخ الرجالي الواقدي بقوله: «كان ثقة، يفتي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن نيف وعشرين سنة»[1].. ووصفه أبوه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بقوله لبقية أولاده: «هذا أخوكم علي بن موسى، عالم آل محمد، فسلوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم»[2].

٩ ـ الإمام محمد بن علي الجواد: وأبوه الإمام علي بن موسى الرضا.

وُلد سنة ١٨٥ هـ وتوفي سنة ٢٢٠ هـ.

قال سبط ابن الجوزي واصفاً الإمام محمّداً الجواد: «محمّد الجواد: وهو محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

وكنيته أبو عبد الله، وقيل أبو جعفر. وُلد سنة خمس وتسعين ومائة وتوفي سنة مائتين وعشرين، فكان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود»[3].

١٠ ـ الإمام علي بن محمد الهادي: وأبوه الإمام محمد بن علي الجواد.

ولد سنة ٢١٤ هـ وتوفي سنة ٢٥٤ هـ.

عرّفه الذهبي بقوله: «علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن زين العابدين السيّد الشريف أبو الحسن العلوي الحسيني الفقيه ـ أحد الاثني عشر ـ وتُلقِّبه الإمامية بالهادي»[4].

وعرّفه الرجالي الشهير أبو الفلاح الحنبلي بقوله: «كان فقيهاً إماماً متعبِّداً»[5].

---

(١) ابن الجوزي/ تذكرة الخواص: ص١٩٨.

(٢) الطبرسي/ أعلام الورى بأعلام الهدى: ص٣٢٨ ط٣.

(٣) تذكرة الخواص: ص٢٠٢.

(٤) تاريخ الإسلام: ص٢١٨ ـ حوادث ووفيات سنة ٢٥١ ـ ٢٦٠ هـ.

(٥) ابن العماد الحنبلي/ شذرات الذهب ٢/ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ المجلد الأول.

١١ ـ الإمام الحسن بن علي العسكري: وأبوه الإمام علي بن محمد الهادي.

وُلد سنة ٢٣٢ هـ وتوفي سنة ٢٦٠ هـ.

ووصفه سبط ابن الجوزي الحنفي بقوله: «وكان عالماً ثقة، روى الحديث عن أبيه عن جدّه»[١].

١٢ ـ الإمام محمد بن الحسن المهدي[٢]: وأبوه الإمام الحسن بن علي العسكري.

وُلد سنة ٢٥٥ هـ. وقد وردت روايات عديدة تتحدّث عن مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، رواها عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمثال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وعثمان بن عفان، وعمار بن ياسر، وأبي هريرة، وعبد الله ابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأمّ سلمة، وحذيفة بن اليمان، وكثيرين غيرهم.

من هذه الروايات ما رُوي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة»[٣]، وروي عنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[٤].

وهكذا يعرِّف القرآن، والرسول، والعلماء، والمؤرّخون بمختلف مذاهبهم واتجاهاتهم، شخصيات أئمّة أهل البيت الاثني عشر: عليّ وولديه الحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين.

وهم كما رأينا يتوارثون العلم ابناً عن أب عن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) تذكرة الخواص: ص٣٦٢.

(٢) موسوعة الإمام المهدي ـ ٤ مجلدات لمحمد الصدر ـ طبع دار التعارف ـ بيروت ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

(٣) مسند أحمد ١/ ٨٤، سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦٧/ ح٤٠٨٥.

(٤) سنن أبي داود: ٢/ ٢٠٨، المستدرك للحاكم: ٤/ ٥٥٧.

وسلم، ويواصلون السير على منهاج النبوة، ويمثّلون الامتداد الطبيعي للمسيرة الاسلامية التي بدأها الرسول الهادي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

العهد:

كل واحد من الأئمة الكرام صار اماماً بعهد ممن سبقه، وبنفس الترتيب الذي رتبهم فيه رسول الله كما رأينا.

فرسول الله عهد لعلي، وعلي عهد للحسن، وطلب من الحسن أن يعهد للحسين، وطلب من الحسين أن يعهد لابنه علي، وطلب من علي أن يعهد لابنه محمد، وعهد محمد لابنه جعفر، وعهد جعفر لابنه موسى، وعهد موسى لابنه علي، وعهد علي لابنه محمد، وعهد محمد لابنه علي، وعهد علي لابنه الحسن، وعهد الحسن لابنه محمد، عليهم جميعاً أتم صلاة وتسليم.

القناعة المطلقة:

اقتنع الأئمة الأثنا عشر قناعة مطلقة بأن تحصين الأمة ضد الانحراف، واعادة بناء الأمة أولى من الوصول الى الحكم، بعدما شاهدوا ورأوا من انحراف الأكثرية الساحقة من الأمة عن الحق بعد وفاة الرسول، حتى تحولت هذه الأكثرية الى أداة بيد الطغاة، وكرة يتقاذفها الظالمون، وحقل تجارب للعسف والطغيان، والذل والهوان. لقد آلت قيادة الأمة الى الإمام علي بن أبي طالب بطريقة الخلفاء وبسنة أبي بكر وعمر، وصار خليفة وهو موقن بأن الخلافة ستنهار من تحته عاجلاً أم آجلاً وأن الأمويين سيغلبون حتماً مقضياً، لأن دولتهم كانت قائمة، وكل شيء في المجتمع مطعّم بأمصالهم القذرة ومهيء لتبعيتهم، وأن أكثرية الأمة مقبلة على الدنيا وحدها، وما إقبالها على الدين إلا لأنه صار وسيلة للدنيا، ولكن يتعذّر على الإمام علي أن يترك مقاومة الانحراف والفساد والخروج على الشرعية ما وجد أعواناً، لذلك قارع الانحراف والفساد والطغاة حتى استشهد. وجاء من بعده ابنه الحسن، فتولى خلافة علي بسنة أبي بكر وعمر، وهو موقن بأن الخلافة ستنهار من تحته كما انهارت من تحت أبيه لأنها لا تحتمل عدله مثلما لم تحتمل عدل

أبيه، ولكن يتعذّر عليه أن يتخلى عن مقارعة الفساد والانحراف ومحاربة الطغاة الخارجين على الشرع ما وجد على ذلك أعواناً، فجد الإمام الحسن بالمقارعة حتى انفض من حوله الأعوان وانهارت الخلافة عملياً من تحته، ولم يبق من المؤمنين إلا قلة، عندئذٍ وادع معاوية حرصاً منه على ما تبقى من المؤمنين، وبقياً منه على ما تبقى من أهل بيت النبوة.

وخروج الحسين لم يكن طمعاً في الخلافة، فهو موقن أنه سيلاقي ربه قبل أن يدرك الخلافة، وأنه لو أدرك الخلافة لانهارت من تحته لأنها لا تحتمل العدل الإلهي الذي يمثله الأئمة، ولكن الحسين خرج إباية من وضع يده بيد يزيد وطمعاً بوضع النقاط على الحروف وكشف طبيعة الأوضاع التي آلت اليها أوضاع الخلافة، ونظامها، إذ لم يعد هنالك فارق يذكر بين حكم الفراعنة، وحكم خلفاء بني أمية، ومع هذا يتسترون بالدين، فأراد الحسين أن يفضحهم وأن يسحب براقع الدين عن وجوه الخلفاء، وأن ينزع القفازات البيض عن أيديهم الملطّخة بدماء الجرائم، ليظهروا على حقيقتهم، وأراد الحسين أن يصدم عواطف الناس وعقولهم ليستفيقوا، ويصحوا من ذلهم وهوانهم، ومن حرصهم المقرف على حياة لا يؤسى عليها، من أجل هذا خرج الحسين مع ايمانه بأن تحصين الأمة ضد الانحراف والمنحرفين أولى من وصوله الى الحكم.

علم الأئمة وصفاتهم:

كل واحد من الأئمة الكرام كان بالضرورة هو الأعلم والأفهم بالدين، والأكثر احاطة بسنة سيد المرسلين، وهو الأتقى لله والأقرب لرسول الله، وأصلح المسلمين في زمانه، فكل واحد منهم انتهى عليه علم النبوة كاملاً، وأعد اعداداً الهياً للقيام مقام الرسول في زمانه.

الأقرب للنبي:

كل إمام من الأئمة الاثنى عشر كان في زمانه هو الأقرب لله ولرسوله، فكل الأئمة الكرام انحدروا من علي بن أبي طالب، ومن سيدة نساء العالمين البتول

الزهراء فاطمة بنت رسول الله، فأمهم فاطمة وجدهم رسول الله وهم ذرية الرسول بالنص الشرعي ـ كما وثقنا ـ، ولم يعش من نسل الرسول أحد إلا نسل فاطمة.

الغاية واحدة:

غاية كل الأئمة واحدة وتتلخّص باعادة بناء الأمة من جديد، وتنظيمها وتحصينها ضد الانحراف، وكل امام من الأئمة يبني فوق الذي بناه سابقه، فيهدي الجميع ويخص الاتباع وأولياء أهل بيت النبوة، وقد استطاع الأئمة الكرام أن يجعلوا من قضية أهل بيت النبوة، قضية مركزية، وأن يغلبوا الدولة الأموية بكل قوتها واعلامها، فلولا تمسح العباسيين بشعار أهل بيت النبوة، وادعائهم بموالاة أهل البيت لما وصلوا الى الحكم.

مراحل العمل:

كل إمام من أئمة أهل بيت النبوة قاد مرحلة من مراحل العمل، تتناسب مع الدعوة ومع الظروف السياسية التي عاصرها، ولكن هذه المراحل كانت متكاملة وملتزمة بخط النبوة والرسالة فقد رأينا كيف قاد الإمام علي مرحلة ما بعد النبوة، حتى وصل الى الحكم، ورأينا الإمام الحسن كيف قاد مرحلة ثانية، ورأينا الإمام الحسين، كيف قاد مرحلة ثالثة، والإمام زين العابدين والباقر والصادق، إلى آخرهم، وإن كل أسلوب من أساليب الأئمة الاثني عشر (أئمة أهل بيت النبوة) نابع من مشكاة واحدة.

العمل المستمر بالرغم من الحصار والمضايقة:

على الرغم من الحصار والمضايقة التي تعرض لها كل الأئمة إلا أنهم استمروا في العمل الدؤوب لإعادة بناء الأمة وتحصينها ضد الانحراف، وألاعيب الحكام، ومضوا قدماً بتنظيم اتباعهم، وتنظيم الاتصال بأولئك الاتباع، وتنميتهم عددياً ونوعياً، وتجنيبهم المواجهة مع السلطة حتى لا تقضي عليهم، وحتى لا يصطدموا معها قبل الوقت المحدد الذي يكتمل فيه بناء الأمة، لأنه إذا اكتمل بناء

الأمة يسقط الطغاة آلياً، إذ لا يبقى حولهم معين، عندئذٍ يعودوا الى طبيعتهم، فيظهرون الإسلام، ويبطنون النفاق.

وعد:

ومعالجة مراحل العمل عند الأئمة، ودور كل امام بمرحلة من هذه المراحل يصلح أن يكون بحثاً مستقلاً، وإنني أعد أن أعدّ العدة ـ باذن الله تعالى ـ لابراز هذا البحث الفريد والمتميز ووضعه بين يدي عشاق الحقيقة.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم